المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

المدافعة الفكرية في بلاد الشام

في القرن الرابع عشر الهجري

وأثرها في ثقافة الأمة ، وتطبيقاتها المعاصرة

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الثقافة الإسلامية

إعداد الطالب
بلقاسم بن علي بن حمد الجلبي القوزي
الرقم الجامعي (٤٢٨٨٠٣٠٦)

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور
محمد بن سعيد السرحاني
عميد كلية الدعوة وأصول الدين

١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

H

المقدمة وخطة البحث

الحمد لله وكفى ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ، وآله وأصحابه ، ومن اقتفى وسلّم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد :

فإنأُمّةَ الإسلام ، وشريعتَها الغراء ، ومنهجَها الرباني - الذي سار عليه رسولها الكريم ﷺ ، وأصحابه ، وسلف الأمة ، ومن بعدهم إلى قيام الساعة - كان ولا يزال يواجه تحديات ومؤامرات لم تختلف في أهدافها وغاياتها عن تلك التي واجهتها الأمة في القرون الأولى ، وإن اختلفت الوسائل والآليات ؛ بحسب اختلاف ظروف الزمان والمكان والحال .

ولم تواجه الأمةمكرًا وكيدًا في قرونها الماضية كمثل الذي واجهته في قرونها المتأخرة ؛ حيث اجتماع أمم الكفر وقوى العالم ، وهيمنة الغرب الأقصى والأوسط ، وغزو الجيش الأحمر الشرقي الشيوعي ؛ بالتيارات الفكرية ، والمذاهب الإلحادية ، ومحاولات تعديل المنهج الرباني ، بل إزاحته من الوجود ، ووضع قانون الشركاء الذينيشرّعون للعالمدينًا لم يأذن به الله –تعالى- .

ويعتبر القرن الرابع عشر الهجري من أكثر القرون التي واجهت فيها الأمة تحديات على مختلف الصُّعُد : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والإعلامية ، وبكافة الوسائل والإمكانات : العسكرية ، والمادية ، والفكرية .

وكانت أكثر بلاد الإسلام هدفًا ومقصدًا لهذه الأحزاب والقوى **بلاد الشام ومصر** ؛ لأنهمابوّابتان رئيستان ، لا يمكن الولوج للعالم الإسلامي إلا عبر طريقهما :

و**(الشام)** فلأنه مأرز الإيمان آخر الزمان ، ودرع الإسلام الحصينة قبل قيام الساعة ، ومنطلق الفتوحات والملاحم ، وأرض الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام .

ومع ما كانت تعيشه الأمة من ضعف وتأخر في مختلف الجوانب ، وفي ظل إمكاناتها المحدودة التي لا تقارن بإمكانات العدو ، إلا أن جهودًا كبيرة ومدافعة مستميتة برزت للحفاظ على ما بقي من دينها خلال القرن الرابع عشر الهجري .

ولقد رأيت من الأهمية - ونحن نستلهم الدور المنشود **لبلاد الشام** في آخر الزمان - أن ألقي الضوء على هذا القطر الإسلامي ، وجهود أهله خلال هذا القرن ، ومسئوليتهم العظيمة في إعداد الوسائل والأسباب ، ومعرفة سنن التمكين والنصر ، وتكوين طلائع الإسلام القادمة .

ومن هنا جاء اختيار بحثي لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى ؛ ليكون موضوعه :

((المدافعة الفكرية في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري وأثرها في ثقافة الأمة وتطبيقاتها المعاصرة))

أسباب اختيار الموضوع :

أولا : رغبتي في دراسة بحثية لواقع العالم الإسلامي ،وخصوصًا **بلاد الشام** خلال القرن الرابع عشر الهجري .

ثانيًا : أن حجم المدافعة وقوة الصراع بين أهل الحق في **بلاد الشام** والمخالفين لهم ظل مغيّبًا عن ساحة العمل الإسلامي طوال هذه الفترة .

ثالثًا : أن ما عاشته **بلاد الشام** خلال القرن الرابع عشر الهجري أشبه شيء بما تعيشه اليوم بلدان العالم الإسلامي . وما أشبه الليلة بالبارحة ! ومن هنا كانلزامًا على أهل الإسلام أن يستبينوا سبل المجرمين ، ويستعدوا لهذه التحديات ، ويدفعوها قبل أنتلجَ ديارَ هم .

رابعًا : وقفت على دراسات عدة في هذا الموضوع ، واستفدت منها في إثراء الحديث عن الشام ؛ لكنها كانت متناثرة هنا وهناك ، ولم تستقص الكتابة فيـــه .

خامسًا : أهمية بلاد الشام بالنسبة للعالم الإسلامي ؛ حيث إنها الدرع الحصينة ، وأرض الملحمة آخر الزمان ، وهي خير الأرض يومئذ ، وفيها الطائفة المنصورة ؛ فهي بهذا أحرى بالدراسة والبحث .

سادسًا : الوقوف مع إخواننا في **بلاد الشام** ؛ لدراسة سلبيات المرحلة السابقة وعقباتها ، وإبراز الدور الإيجابي لجهود المخلصين من أهلها ، وكيف يمكن توظيفها اليوم ؟

سابعًا : استبانة مكر اليهود والنصارى ، وسائر الأحزاب السياسية التي غزت بلاد الشام ، وكشف أستارها وأباطيلها .

ثامنًا : إثراء ساحة العمل الإسلامي ؛ بإبراز **تجربة أهل الشام في المدافعة ،** ومحافظتهم من خلالها على ثقافة الأمة .

تاسعًا : إشارة بعض أهل العلم والفضل بدراسة الموضوع ، والبحث فيه . ومنهم : فضيلة شيخي "عبد الرحمن قصاص" - حفظه الله تعالى - .

الدراسات السابقة :

من خلال البحثوالتقصّي عن الدراسات السابقة في الموضوع ، خلصت إلى

ما يلي :

أولا : بعد التتبع لمصادر البحوث العلمية والدراسات الجامعية لم أقف على من تناول هذا الموضوع بالدراسة .

ثانيًا : وجدت أثناء البحثمَ ن تناول مفهوم المدافعة بمعناها الشامل النظري ، ولم يتعرض من قريب أو بعيد لتطبيقاتها المعاصرة . ومن ذلك : الرسالة العلمية التي تقدم بها الشيخ **الفاضل/ "خالد بن موسى الحسني الزهراني"**؛ لنيل درجة الماجستير ، من كلية الدعوة وأصول الدين - قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . وعنوانها : (**سنة التدافع ، وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل دراسة قرآنية موضوعية**)

وقد تحدث المؤلف عن سنة التدافع في ضوء القرآن الكريم خاصة ، وأشار إلى ذلك في مقدمة الرسالة عند حديثه عن الباب الثاني ، **فقال : (الفصل الثالث : واشتمل** على رأس الموضوع ، وبيت القصيد فيه ، وهو : حديث القرآن عن هذه السُّنّة ...)[1]

ثالثًا : هناك من تحدث عن الانحرافات العقدية في العالم الإسلامي عمومًا . ومن ذلك : ما كتبه **فضيلة الشيخ/ "علي بن بخيت الزهراني"** ، في بحثه المسمى (**الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع** عشر الهجريين) وأصله رسالة علمية تقدم بها لقسم الدراسات العليا الشرعية - فرع العقيدة بجامعة أم القرى ، ونال بها درجة الماجستير عام (١٤١٥هـ)

وقد تكلم الباحث عن صور الانحراف العقدي والعلمي في بلدان العالم الإسلامي ، وذكر شيئًا مما يتعلق **ببلاد الشام** ، غير أنه لم يتحدث عن جوانب كثيرة من الانحراف الفكري والعقدي المعاصر . أما بالنسبة لـ **(المدافعة)** فلم يتعرض لميادينها ، ولمكلّ ف نفسه الولوج فيها ؛ فهي ليست ذات صلة بالبحث .

رابعًا : كتب **الدكتور"خالد بن إبراهيم الدبيّان"** بحثًا أسْماه : **(الجمعيات القومية العربية في القرن الرابع عشر الهجري ، وموقف الإسلام منها)** تقدم به لنيل درجة الدكتوراه من قسم العقيدة بجامعة أم القرى .

وكان حديثه محصورًا في الجمعيات القومية ، ونشأتها ، وبيان موقفها من الإسلام ، وموقف الإسلام منها . ولم يتعرض المؤلف لموضوع المدافعة الفكرية إلا في

(١) خالد الزهراني ، سنة التدافع وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) (ص١١)

جزئية تتعلق بموقف العلماء من هذا الجمعيات ،وجمْع أقوالهم . وقد أدرج عند ذكره تراجمَ لبعض من انتسب إلى الجمعياتأسماءَ بعض أولى العلم والفضل الذين ركبوا موجتها أول الأمر ثم رجعوا عنها بعد ذلك ؛ **كالشيخ "محمد رشيد رضا"**[1] ، **والشيخ "محمد كامل القصاب"**[2] ، **والمحقق "محب الدين الخطيب"**[3] - عليهم رحمة الله تعالى - . غير أن **الدكتور "خالد بن إبراهيم الدبيان"** لم يُشِر إلى ذلك .

خامسًا : عثرتُ على كتابين لمؤلف واحد ؛ وهو **الأستاذ/ "محمد فاروق الخالدي"** ، تحدث فيهما عن المؤامرة الكبرى على بلاد الشام :

فأما الأول : فموضوعه : **(المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين)** وقد غلب على هذا الكتاب سيرُه على المنهج التاريخي المتسلسل ؛ ابتداءً من أواخر عهد العثمانيين إلى نهاية الانتداب الفرنسي والبريطاني على بلاد الشام . وقد اشتمل الكتاب على مادة علمية تمكنت من الاستفادة منها في جوانب من البحث .

وأما الثاني : فموضوعه : **(التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين)**وتحدّث فيه المؤلف عن بقية فصول المؤامرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين ، والحصاد المر للتيارات الاشتراكية والعلمانية ، والحركات القومية ،

---

(١) **هو** : محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني . بغدادي الأصل ، صاحب (مجلة المنار) . كان عالمًا بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير ولد في (القلمون) (بلدة تتبع طرابلس الشام) كتب في بعض الصحف ، ولازم الشيخ محمد عبده ، وبث آراءه في الإصلاح الديني والاجتماعي . وأنشأ مدرسة (الدعوة والإرشاد) وكانت له رحلات للهند وأوروبا والحجاز . توفي فجأة في مصر وهو في سيارته ، سنة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م) ودفن بـ(القاهرة)

يُنظَر في ترجمته : عبد الحميد خالد فوزي ، محمد رشيد رضا ، طود وإصلاح دعوة وداعية ، دار علماء السلف ، الإسكندرية ، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)

(٢) **هو**: محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب . أصله من (حمص) ، وانتقل أبوه إلى (دمشق) فولد بها. يعتبر من زعماء (الحركة الاستقلالية) في سوريا ، أنشأ مدرسة (الكاملية) وتخرج منها رجال الحركة ؛ كـ"عبد الوهاب الإنجليزي" ، و"عارف الشهابي" ، و "خير الدين الزركلي" ، و"أسعد حكيم" . وهو عضو في (جمعية العربية الفتاة) ، وعضو (حزب اللامركزية) تولى في السعودية إدارة المعارف في (١٣٤٥/٤/١٥هـ- ١٩٦٢/١٠/٢١م) بعد الشيخ "صالح شطا" . توفي في فلسطين سنة (١٣٧٣هـ -١٩٥٤م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٣/٧)

(٣) **هو** :محبّ الدين بن أبي الفتح ، محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب . ولد في (دمشق) وتعلم بها وبالآستانة . توفي سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٨٢/٥)

والفرق المخالفة لأهل الإسلام . غير أن **الكتاب لم يتحدث عن المدافعة بمفهومها الشامل** ، وإنما كانكشفًا لمؤامرات العدو ، ودعوة صريحة - كما يذكر المؤلف- للالتفات لمخططاته .

طريقتي ومنهجي في البحث :

١-عزْو الآيات القرآنية وذكر اسم السورة ورقم الآية من مصحف المدينة المنورة .

٢-خرّجت الأحاديث النبوية وأحلْتها إلى مواضعها من كتب الأئمة ، مع ذكر الباب ، ورقم الحديث ؛ إلا في المسانيد ، فإني أذكر رقم الحديث والجزء .

٣- إن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اقتصرت عليه ، وإلا ذكرت من خرّجه من الأئمة ، مع ذكر درجة الحديث ، ومن صححه من أهل الحديث .

٤-ترجمتُ لأبرز الأعلام الواردين في البحث عند أول ذكر لهم ، ما عدا الأنبياء - عليهم السلام - ، والصحابة - رضوان الله عليهم - ؛ لشهرتهم ، وعدالتهم. وحرصتُ على أن أترجم لبعض من وقفت على ترجمته من الشخصيات الغربية . وإذا تكررت الترجمة في مواضع اكتفيت بالترجمة الأولى ، ولم أعُدْ إليها إلا للمناسبة والحاجة .

٥- اجتهدتوسُعي في إثباتالتاريخَين : الهجري ، والميلادي .

٦- ذيّلتُ بحثي بفهارس شاملة في آخره .

صعوبات أثناء كتابة البحث :

واجهتني أثناء كتابة البحث صعوبات ؛ منها :

١ - حاجة الباحث إلى قراءة شاملة لهذه الفترة التاريخية ؛ وذلك بتناول رسائل ومؤلفات الإسلاميين ، وغيرهم ، وتكوين قاعدة للبحث العلمي تكونمنطلقًا للبحث .

٢ - مشقة البحث -أحيانًا - في سيرة بعض الأعلام ؛ حيث إن بعضهميصدّر اسمه بـ (محمد)تبركًا ، وبعضهم لا يشتهر إلا بالنسبة ، فلا يُعرفاسمُه ولا اسم أبيه ، وبعضهم مشهور بكنيته ، ولا يمكن الوصول إليه إلا بعد البحث الحثيث ، والجزم بأنه هو المقصود .

٣ - هناك بعض الشخصيات الإسلامية ممن كان لهم دور كبير في خدمة الدين ، تدثرت بالقومية فيمرحلةٍ مّا ،وانتُهِمت بانتسابها إلى بعض النوادي الماسونية . وقد

حاولت جهدي في تتبُّع ما قيل فيهم ، وما انتهت إليه مواقفهم وآراؤهم .

٤- صعوبات السفر إلى بلاد الشام ، والوقوف على واقعها المعاصر وأمسها الدارس ؛ حيث الأجواء السياسية الساخنة في لبنان ، والتوترات السورية العربية ، والاحتلال اليهودي لفلسطين . ومع ذلك ؛ فقد قمت بزيارة إلى لبنان، والتقيتُ ببعض مديري الجمعيات الإسلامية والكلّيات الشرعية هناك ، كما حظيت بزيارة بعض المخيمات الفلسطينية ، ووقفت عن كثب على واقع العمل الإسلامي ، ومراحله .

خطتي في البحث :

جاءت خطة بحثي مقسمة إلى : **مقدمة ، وتمهيد ، وخمسة فصول ، وخاتمة .**

الفصل الأول : المقدمة والتمهيد :

أما المقدمة : فتحدثت فيها عن أهمية الموضوع ، وسبب اختياره ، والدراسات السابقة . وختمتها بالحديث عن منهجي في البحث ، والصعوبات التي واجهتني ، وخطة البحث .

وأما التمهيد : فذكرت فيه تعريف (**المدافعة**)لغةً واصطلاحًا ، وموارِدها في القرآن الكريم وفي السنة النبوية ، وختمته بالحديث عن **الأحوال الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية في بلاد الشام ، خلال القرن الرابع عشر الهجري .**

وأما الفصل الثاني : فكان عنوانه : (**الانحراف الفكري في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري**)

وعقدت له مبحثين :

- المبحث الأول : **دعاة الانحراف الفكري في بلاد الشام .**
- المبحث الثاني : **دعاوى الانحراف الفكري في بلاد الشام .**

وذكرت تحته ستة مطالب اتكأ عليها دعاة الانحراف الفكري في بلاد الشام :

المطلب الأول : **السعي لاستقلال العرب وبناء المملكة العربية الكبرى .**

المطلب الثاني : **ضرورة الفصل بين الدين والحياة .**

المطلب الثالث : **المساواة في الحقوق والواجبات .**

المطلب الرابع : **العمل على تحرير المرأة .**

المطلب الخامس:ممارسةحرية الاعتقاد والاجتماع تحت ظلال القومية .

المطلب السادس : **تحسين الأوضاع الاقتصادية على مستوى الفرد والمجتمع .**

أما الفصل الثالث : فعنوانه : **(وسائل الانحراف الفكري في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري)**

وتحته خمسة مباحث :

- المبحث الأول : **وسائل الانحراف الفكري في الميدان السياسي .**
- المبحث الثاني : **وسائل الانحراف الفكري في الميدان الاجتماعي** .
- المبحث الثالث : **وسائل الانحراف الفكري في الميدان الاقتصادي** .
- المبحث الرابع : **وسائل الانحراف الفكري في الميدان التعليمي .**
- المبحث الخامس : **وسائل الانحراف الفكري في الميدان الإعلامي .**

وذكرت فيه أبرز الوسائل في كل ميدان ، وعلقت عليها بحسب المقتضي .

أما الفصل الرابع : فكان بعنوان : **(عوائق المدافعة في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري ، وكيفية التعامل معها)**

واشتمل على أربعة مباحث :

- المبحث الأول : **العائق السياسي** .
- المبحث الثاني : **العائق الإعلامي** .
- المبحث الثالث : **العائق الاقتصادي** .
- المبحث الرابع : **العائق التربوي .**

وقسمت كل عائق إلى عناصر ، وتحدثت عن كل عنصر .

أما الفصل الخامس : فهو بعنوان : (**الجهود الفكرية للمدافعة في بلاد الشام ووسائلها في القرن الرابع عشر الهجري)**

واشتمل على عدة مطالب :

المطلب الأول : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان السياسي ، ووسائلها .

المطلب الثاني : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الاجتماعي ، ووسائلها .

المطلب الثالث : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان التعليمي ، ووسائلها .

المطلب الرابع : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الإعلامي ، ووسائلها .

المطلب الخامس : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدانين : الدعوي ، والتربوي .

أما الفصل السادس : فعنوانه : (**الدروس المستفادة من المدافعة وتطبيقاتها المعاصرة)**

وتحته مبحثان :

ـ المبحث الأول : **الدروس المستفادة من المدافعة .**

ـ المبحث الثاني : **التطبيقات المعاصرة .**

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : مناقب الشام وأهله ، وفضائله في الكتاب والسنة .

المطلب الثاني : واقع الشام المعاصر ، ومستقبله المنشود .

وأما الخاتمة : فقدضمّ نتها أبرز النتائج والتوصيات المتعلقة بالبحث .

ذيّلتُ البحث بالفهارس .

شكر وتقدير

أشكر الله سبحانه وتعالى ؛ الذي أعانني على إتمام هذه الرسالة ، ووفقني بمنه وفضله للعلم النافع ، وأسأله سبحانه أن يرزقني العمل الصالح .

وأرفع يديَّ ضارعًا داعيًا لوالدي الكريم – أمد الله في عمره على طاعته وأعانني على بره والإحسان إليه – ؛ فما فتئ يدعو لي بالعون والتوفيق .

كما أتوجه بالشكر والدعاء لشيخي ومشرفي فضيلة عميد كلية الدعوة وأصول الدين "محمد بن سعيد السرحاني " ، الذي كان عوذًا لي وموجهًا ومربيًا . ولقد أفدت من توجيهاته وتوصياته .

كما لا يفوتني أن أشكر أساتذتي الفضلاء في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بالكلية ؛ على ما تفضلوا به علي من التعليم والتوجيه . ولا أنسى إخوتي وأصدقائي ممّن قدّم لي العون والمساعدة . فجزى الله الجميع عني خير الجزاء .

وأقدّم شكري لأستاذَيّ الفاضلين : سعادة الدكتور/ عبد الرحمن جميل قصّاص . وسعادة الدكتور/ أحمد بن عائش البدر . على تفضُّلهما بمناقشة هذه الرسالة . فجزاهما الله خير الجزاء .

والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله تعالى وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الفصل الأول

مقـدمة وتمهيـد

ويشتمل على ما يلي :

۞ **أولاً : مفهوم المدافعة ومرادفاتهلغةً واصطلاحًا.**

۞ ثانيًا : **المدافعة في ضوء القرآن الكريم والسنة .**

۞ ثالثًا : **أحوال بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري .**
وتحته ثلاثة مباحث :

❁ **المبحث الأول :** الحالة الدينية .

❁ **المبحث الثاني :** الحالة السياسية .

❁ **المبحث الثالث :** الحالة الاجتماعية والاقتصادية .

أولاً : مفهوم المدافعة لغةواصطلاحًا :

-المدافعة لغةً :

بعد الرجوع إلى كتب المعاجم اللغوية التي عنيت بكشف معاني الألفاظ العربية وتتبع استعمال هذه الكلمة في مظانّها ظهر ليأنّ معنى المدافعة من حيث اللغة يأتي علىوجوهٍ منها :

١- ما ذكره "ابن منظور"[١] في (لسان العرب) من أن معناها **الإزالة بقوة** ، يقال : تَدَافَعَ القوم : أي دفع بعضهم بعضًا . ورجل دَفَّاعٌ ومِدْفَعٌ : أي شديد الدّفع قويٌّ . ويجري على هذا المعنى كثير من تصريفات مادة (دَفَعَ) فتقول : دَفَعْتُ الشيءَ ،ودَفَعَهُ فلانٌ دَفْعًا ودِفَاعًا ، ودَافَعَهُ وقَعَّدَهُ فانْدَفَعَ وتَفَعَّ ، وتَدَافَعَ وتَدَافَعُوا[٢].

٢- **إنالة الشيء بذْ له لمستحقه** . وأمارة ذلك : أن يتعدى الفعل (دفع) بحرف الجر (إلى) وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦.

٣- **إفادتها معنى الحماية** . وأمارة ذلك : أن يتعدى الفعل (دفع) بحرف الجر (عن) وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الحج: ٣٨.

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١ . وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾ المعارج: ١ - ٢. أي :حامٍ .

وقد أشار إلى الوجه الثاني والثالث : "الراغب الأصبهاني[٣]" ، و "أبو البقاء

---

(١) **هو** : محمد بن مكّرم بن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي ثم المصري ، أبو الفضل جمال الدين ، إمام لغوي ، ولد بمصر ، وتوفي بها سنة (٧١١هـ – ١٣١١م)

يُنظَر في ترجمته : محمد شاكر الكتبي ، فوات الوفيات ،والذّيل عليها ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، بدون سنة الطبع (٣٩/٤)

(٢) ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ، (٣٦٩/٤) يتصرف.

(٣) هو : الحسن بن محمد بن المفضل ، المعروف بالراغب ، أديب ، عالم ، سكن بغداد ، وأصله من (أصبهان) توفي سنة (٥٠٢هـ – ١١٠٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق : (٢٥٥/٢)

المكي[1]" - عليهما رحمة الله تعالى -[2].

٤-**المضيُّ في الأمر والمزاحمة فيه** . قال الليث : الاندفاع : المضي في الأرض كائنًا ما كان... ويقال : فلان سيّد في قومه غير مدافَع : أي غير مزاحم في ذلك ولامدفوعٍ عنه . وهكذا قال "الأزهري"[3] ، ووافقه "الجوهري" في الصحاح[4].

والتدافُع والمدَافَعَة على وزن (تَفاعُل) ووزن (مُفَاعَلَة) وهما يفيدان معنى المشاركة بين اثنين أو أكثر ، ولا يكون إلا لازمًا ، نحو : تدافع القوم : أي اشتركوا في التدافع فيما بينهم .

والخلاصة : أن **المدافعة في اللغة** تأتي ويراد بها **إزالة الشيء بقوة** . وهذه الإزالة إما أن تكون :

- من واحدٍ لحظِّ نفسه ، فتقول : دافع ودفع ويدافع زيدٌ عن نفسه .

- أو تكون لحظ الغير . كالآية الكريمة السابقة ، وهي قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ الحج: ٣٨. .

ويُعدّى الفعل في كلا الحظين بـ(عن)

- وإما أن يراد بالمدافعة **دفع الشيء لمستحقه** . كما بُيِّن ذلك في الآية الكريمة . وهي قوله تعالى : ﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم

---

(١) أبو البقاء المكي أيوب بن موسى الحسيني الكوفي الكفوي ، قاضٍ حنفي ، تولى القضاء في تركيا والقدس وبغداد ، توفي سنة (١٠٩٤هـ - ١٦٨٣م)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ، جمع عدد من أهل العلم ، طبعة مجلة الحكمة ، بريطانيا ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م) (٥٤٤/١)

(٢) الراغب الأصبهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، عناية إبراهيم شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ -١٩٩٧م) – دفع – (ص١٩١) ، وأيضًا : أبو البقاء المكي ، الكليات ، عناية "عدنان درويش" و"محمد المصري" ، طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، (ص٤٥٠)

(٣) الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد علي النجار ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مادة – دفع – (٢٢٦/٢)

(٤) إسماعيل الجوهري ، الصحاح ، طبعة دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م) ، مادة – دفع – (٩٣٧/٢)

مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ... ﴾ النساء: ٦.

ويعدّى الفعل حينها بـ(إلى)

- وإما أن **يكون الدفاع والمدافعة بمعنى المضي في الأمر ، والاستقواء به ، والمزاحمة فيه بين طرفين فأكثر** ؛ أفرادًا ، أوجماعةً . والله تعالى أعلم .

- المدافعةاصطلاحًا :

بعد بيان المدافعة في لغة العرب يتبين أن الفعل (دَفَعَ) وما تصرف منه جاء في القرآن الكريم على ستةأوجهٍ ، وهي :

١ - أن يأتي الفعل بصيغة المصدر (دَفْع) :

وقد ورد في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١.

والثاني : في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠.

٢ - أن يأتي الفعل بصيغة الأمر للمفرد (ادفع) :

وقد ورد في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٦ .

والثاني : في قوله تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ

حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ .

٣ - أن يرد الفعل بصيغة الأمر للجمع (ادفعوا) :

وقد ورد ذلك أيضًا في موضعين :

الأول : في وصف حال المنافقين ، في قوله تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾آل عمران: ١٦٧ .

والثاني : في قوله تعالى للأولياء والأوصياء : ﴿ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ ﴾ النساء: ٦.

٤ - أن يرد الفعل بصيغة المضارع (يدافع) أو بصيغة (يدفع) :

كما في قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الحج: ٣٨. وفي قراءة "لبلن كثيرٍ "[1] ، و"أبي عمروٍ "[2] : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ﴾الحج: ٣٨.

---

(١) **هو** : أبو عبد الله بن كثير بن المطّلب . مولى عمرو بن علقمة ، الكناني المكي ، إمام أهل مكة في القراءة ، ولد سنة (٤٥هـ) وتوفي سنة (١٢٠هـ)

يُنظَر في ترجمته : كتاب الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، طبعة دار عالم الكتب ، طبعة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) تحقيق طيار آلتي قولاج (١٩٧/١) والإمام ابن الجزري في غاية النهاية ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية (١٤٠٠هـ- ١٩٧٩م) (٤٤٣/١)

(٢) **هو** : أبو عمرو ، واسمه زبان على الصحيح ، المازني ، النحوي ، البصري . إمام العربية ، وإمام أهل البصرة في القرآن ، ولد سنة (٦٨هـ) وتوفي سنة (١٥٤هـ -٧٧١م)

يُنظَر في ترجمته : كتاب الذهبي ، معرفة القراء الكبار ، مرجع سابق ، (٢٢٣/١) ، وابن الجزري =

٥- أن يرد الفعل الماضي (**دَفَعَ**) مقترنـًا بتاء الفاعل وميم الجمع :

كما في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾النساء: ٦.

٦- أن يرد باسم الفاعل المشتق من الفعل(**دَفَعَ**)

وهذا في موضعين :

الأول : في قوله تعالى : ﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ الطور: ٨.

والثاني : في قوله تعالى : ﴿ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ ﴾ المعارج: ٢.

ومن خلال ما ورد في مادة (دفع) في القرآن الكريم ، والنظر إلى سياق الآيات الكريمة سواء التي صرحت باللفظ أو أشارت إليه يتبين لنا معنى المدافعة في صورها المختلفة وأنها كما **قال بعض المعاصرين : ظاهرة كونية إلهية ، تنشأ من احتكاك المدافعين ،إما بسبب اختلاف التصورات أو الطّباع بدرجات متفاوتة من القوة**[1] **.**

=

في غاية النهاية ، مرجع سابق ، (٢٨٨/١)

(١) خالد موسى الزهراني ، سنة التدافع وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل ، مكتبة الرشد (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) الرياض – الطبعة الأولى ، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م) (ص٧٨)

ثانيًا : المدافعة في ضوء القرآن الكريم والسنة :

سبق بيان أن مادة (**دفع**) في القرآن الكريم وردت في ستة مواضع بصيغ مختلفة في سور مكية ومدنية :

١- فجاءت بصيغة الأمر للمفرد (**ٱدْفَعْ**) في سورتين مكيتين هما (المؤمنون) و(فصلت) قال تعالى : ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ المؤمنون: ٩٦ . وقال تعالى: ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ .

وجماع معنى الآيتين الكريمتين :أمْرُ المؤمنين بدفع السيئة بالحسنة ، والعفو والصفح والإحسان لمن أساء إليهم وجهل عليهم .

٢- جاءت المادة بصيغة الأمر للجمع (**ٱدْفَعُوا**) كما في سورة آل عمران ، قال تعالى : ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٧ .

وكان ذلك في غزوة(أُحُدٍ) لما قال "عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري" ﷺ لِمَ ن رجع بثلث الجيش - وهو رأس المنافقين "عبد الله بن أبي بن سلول" - : (قاتلوا في سبيل الله) فلما رأى أنهم ليسوا أهلاً لذلك عرض عليهم أن يكثروا السواد وإن لم يقاتلوا ؛ ليندفع الكفار لكثرة سواد المؤمنين[١] .

وقيل :رابِطُوا. والمرابط مدافعٌ ؛ لأنه لولا مكان المرابطين في الثغور لاستبيحت بيضة المسلمين[٢] .

---

(١) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) (٣٩٢/٢٦) صفي الرحمن المباركفوري ، الرحيق المختوم ، طبعةدارَي الوفاء والتدمرية ، المنصورة ، والرياض ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م) (ص٢٦٩)

(٢) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، تفسير القرآن العظيم (١٦٠/٢) تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية (١٤٢٠هـ -١٩٩٩م)

٣- وجاءت مادة (**دفع**) بصيغة المضارع (**يُدافِعُ**) في سورة الحج ، قال تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ الحج: ٣٨.

قال "الإمام الزمخشري" (١) : ((خصّ المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته لهم ، كما قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١ . وقال : ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ الصافات: ١٧٢. وجعل العلة أنه لا يحب أضدادهم ؛ وهم الخونة الكفرة ، الذين يخونون الله تعالى ورسوله ﷺ ، ويخونون أماناتهم ، ويكفرون نعم الله ويغمطونها . ومن قرأ (**يدافع**) يبالغ في الدفع عنهم كما يغالب من يغالب فيه ؛ لأن المغالب يجيء أقوى وأبلغ(٢) .

٤- وجاءت بصيغة المصدر (**دَفْع**) في موضعين :

أولهما : في البقرة ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١ .

وثانيهما : في سورة الحج : قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ الحج: ٤٠ .

قال "ابن عطية" - رحمه الله - : ((أخبر تعالى أنه لولا دفعه بالمؤمنين به في صدور الكفرة على مرّ الدهر لفسدت الأرض ؛ لأن الكفر كان يطبقها ، ويتمادى في جميع أقطارها . والله تعالى لا يخلي الزمان من قائم بحق ، وداع إلى الله ، ومقاتل عليه؛ إلى أن جعل ذلك في أمة محمد ﷺ إلى قيام الساعة ، فله الحمد كثيرًا))(٣).

هذا بالنسبة لورود المادة (دفع) في القرآن الكريم ، أما مرادفاتها في القرآن الكريم ، وما هي في معناها فقد وردت في مواضع كثيرة ، ومن ذلك :

---

(١) محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري ، جار الله ، عالم في الأدب والفقه ، كان على مذهب الاعتزال ، توفي سنة (٥٣٨هـ - ١١٤٣م)

يُنظَر في ترجمته : الذهبي ، ميزان الاعتدال ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ، (١٩٦٣م – ١٣٨٢هـ) ، (٣٨٢/٦)

(٢) الزمخشري ، الكشاف ، مرجع سابق ، (ص٦٩٦)

(٣) ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مرجع سابق ، ص (٢٢٧)

أ - (الجهاد) :

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن في واحد وثلاثين موضعًا ، كلها تدل على معنى المدافعة . فالمجاهدة : بذل الجهد واستفراغه في مدافعة العدو[١] يستوي في ذلك العدو الظاهر والعدو الباطن ، وسواء في ذلك الجهاد باليد أو اللسان أو المال ؛ لذا تكرر استعمال لفظ الجهاد في سور مكية ،ولم يكن ثَمّ قتال[٢].

وقد جاء هذا اللفظ في السنة بمعنى المدافعة . فعن "أنس بن مالك" ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : **(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم)**[٣].

ب - (القتال) :

والمقاتلة : مفاعلة . ووردت في القرآن الكريم والسنة بمعنى التدافع باليد :

-**إمّا بالقتال حقيقة** ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ التوبة: ٣٦ وكما في قوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجرات: ٩ .

-**أو حكمًا** . كحديث "أبي سعيد الخدري" ﷺ عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (**إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه ، وليدرأه ما استطاع فإن أبى فليقاتله ، فإنما هو شيطان**)[٤]

---

(١) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، دار القلم ، (دمشق) ، الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ، تحقيق : صفوان داوودي ، (ص٢٠٨)

(٢) خالد الزهراني ، سنة التدافع وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل ، مرجع سابق ، (ص٨٤)

(٣) أخرجه أبو داود - كتاب الجهاد : باب (كراهية ترك الغزو) حديث رقم (٢٥٠٤) ، وأحمد في المسند (١٢٢٤٦) (١٢٥٥٥) وصححه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود حديث رقم (٢١٨٦)

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة - باب : منع المار بين يدي المصلي- حديث رقم (١١٢٨)

قال "القاضي "عياض"[1] - رحمه الله - : ((وأجمعوا على أنه لا يلزمه مقاتلته بالسلاح، ولا ما يؤدي إلى هلاكه))[2].

وقد وردت لفظة (**القتال**) في القرآن ، إحدى وسبعين مرة[3]، بتصريفات متعددة؛ مثل : (قاتَل ، قاتِل ،قِتْتَل ، يقاتل ، قوتلتم ، قتال) ولكلٍّ منها مواضع في القرآن الكريم[4].

ج - (المحاجة) :

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم والسنة . **ومعناها : أن يطلب كل واحد أن يرد الآخر عن حجّته ومحجّته**[5] وورد ذكرها في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعًا بتصريفات مختلفة ؛ نحو : (حَاجَّ ،حَاجَّكَ ،حَاجَجْتُمْ ،حَاجُّوكَ ، تَحَاجُّوا ، أتحاجُّونَنا، يُحَاجُّكُم ، يُحاجُّون ،يتحَاجُّون)[6].

وقد وردت في السنة في حديث "أبي أمامة الباهلي" ﷺ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (**اقرؤوا القرآن ،فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه . اقرؤوا الزهراوين : البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو كأنهما غيايتان**[7]**، أو كأنهما فرقان من طير صواف**[8] **،تحاجّان عن أصحابهما .اقرؤوا سورة البقرة فإنّ أخذَها بَرَكَةٌ ، وتَرْكَها**

---

(١) القاضي عياض : عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ، إمام في الحديث والنحو وكلام العرب، له مؤلفات ، توفي سنة (٥٤٤هـ - ١١٤٩م)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة ، وجمع عدد من أهل العلم ، مرجع سابق ، (١٧٩٤/٢)

(٢) محيي الدين النووي ، شرح صحيح مسلم ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة العاشرة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (٤٤٦/٤) حديث رقم (١١٢٨)

(٣) محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، (القاهرة) ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) (ص٦٤٤)

(٤) المصدر نفسه (ص٦٤٤)

(٥) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، مرجع سابق ، (ص٢١٩)

(٦) محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، (ص٢٣٧)

(٧) قوله ﷺ : (**كأنهما غمامتان أو كأنهما غيايتان** ..)) قال أهل اللغة : الغمامة والغياية : كل شيء شيء أظل الإنسان فوق رأسه من سحابة ، وغبرة ، وغيرهما . قال العلماء : المراد : أن ثوابهما يأتي كغمامتين . يُنظَر : شرح النووي على صحيح مسلم (٦ /٣٣١) حديث (١٨٧١)

(٨) أي : قطعتان وجماعتان . شرح النووي على صحيح مسلم (٣٣١/٦) حديث (١٨٧١)

حَسْرةٌ ، ولا تستطيعُها البَطَلَةُ)[1] .

د - (المجادَلة) :

وهي من جَدَلْتُ الحبل ، أي :أحْكَمْتُ فَتْلَهُ .وهي مفاعَلة ؛**كأن المتجادِلَيْنِ يفتل كل واحد الآخر عن رأيه** . وقيل : من الجدال ، أي : الصراع ،وإسقاط الإنسانِ صاحبَه[2].

وقد تكررت هذه اللفظة في القرآن الكريم تسعًا وعشرين مرة بتصريفات مختلفة، نحو : (جَادَلْتم جَادَلْتَنا ، جَادَلوا ، جَادَلُوك ، تُجادِلْ ، تُجَادِلُك ، تُجَادِلُوا ، تُجَادِلُ وننى ، يُجَادِلُ ،جَادِلْهم ،جِدَالاً ،جِدَالٌ)[3].

هـ - (المدارأة) :

وردت في القرآن الكريم في خمسة مواضع ؛ منها :

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ البقرة: ٧٢ .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ آل عمران:١٦٨ .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرعد: ٢٢ .

وفي السنة ورد قوله ﷺ : (**إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه ولْيَدْرَأْهُ**[4]**ما استطاع**)[5]

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة (٣٣٠/٦) حديث (١٨٧١)

(٢) الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، مرجع سابق ، (١٩٠)

(٣) محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مرجع سابق ، (٢٠٢)

(٤) أي : يدفعه . شرح النووي على صحيح مسلم (٤ /٤٤٦) حديث (١١٢٨)

(٥) تقدم تخريجه : (ص٢٣)

ثالثًا : أحوال بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري :

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول : **الحالة الدينية .**
- المبحث الثاني : **الحالة السياسية .**
- المبحث **الثالث** : **الحالة الاجتماعية والاقتصادية .**

X

قبل أن أدلف إلى التعريف بأحوال البلاد الشامية آنذاك أقدم صورةً مهمة لهذه الفترة التي أتحدث عنها ، وسأختصرها في الآتي :

١- أن الخلافة العثمانية - إبّان بدايات القرن الرابع عشر الهجري والموافق للعام الميلادي (١٨٧٩م – ١٢٩٦هـ) - كانت قد مرت بحزمة من المتغيرات نتج عنها خلخلة سلطان الخلافة ، واضطراب أحوال ولاياتها ؛ مما أضعف شوكتها،وقوّى عليها خصومها . ومن ذلك :

أ - **بروز الروح القومية عند العرب** ، في أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، و((كانت ظروفها شبيهة بالظروف التي ظهرت فيها القومية الفارسية في صدر الإسلام . فالشعوبية الفارسية ظهرت نتيجة عنجهية العرب الجاهلية من الحكام في أواخر الدولة الأموية))- كما يذكر "محمد محمد حسين"[(١)]- . "وهكذا كانت الشعوبية العربيةأثرًا من آثار عنجهيةالتُّرك الحاكمين[(٢)]

---

(١) **محمد محمد حسين** . أديب إسلامي ، وباحث ، ومفكر ، وناقد . ولد في (سوهاج) بمصر ، وعمل أستاذًا في الأدب العربي بجامعة الإسكندرية ، وعمل فترة في (جامعة ليبيا) معروف برصانة الأداء ، وقدرته على استيفاء جوانب موضوعه . له محاضرات أبرزها محاضراته عن الإسلام والحضارة الغربية . وأبرز كتبه : (حصوننا مهددة من الداخل) ، و(الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) توفي يوم الجمعة (١٤٠٣/٣/٩هـ) الموافق (١٩٨٢/١٢/٢٤م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، طبعة دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م) ، (٢١٤/٢)

(٢) برزت الروح القومية عند العرب كصدًى للقومية الطورانية التي نادى بها الاتحاديون ، وتعبيرًا عن رفضهم للقرارات والمواقف التركية تجاه حقوق العرب ، الأمر الذي يجمع المؤرخون على أنه كان أعظم أسباب سقوط الخلافة . غير أن قوله : (إن االشعوبية الفارسية ظهرت نتيجة عنجهية العرب من الحكام في أواخر الدولة الأموية ...) الخ فيه تحامل لفظي ومعنوي لا يُسلَّم به ؛ فمع الانحرافات السياسية التي وقعت من بني أمية من نظام الملك =

،

وكانت الشام أسرع أجزاء الوطن العربيتأثرًا بالفكرة القومية))[1]

ب- **(استيراد النظم والدساتير الأوروبية)** منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري

=

العضوض وجلعْه بديلاً للخلافة ، وإسكات الناس بالقوة عن مراقبة أعمال الحاكم وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، أو تأولهم الفاسد في الإنفاق من بيت المال على أشخاصهم ، وبحبوحة الترف الذي غشي قصور الخلفاء والوزراء والأمراء والتجار ثم أفراد الشعب ، إلا أنها لم تكن خطيرة بالقياس إلى الأحداث التي وقعت في ذلك الحين ؛ بل كانت تبدو مستساغة في نظر كثير من الناس ، أو على الأقل لها ما يبررها ؛ كما يقول الأستاذ "محمد قطب"- . ومن هنا ينبغي عرض الواقع الإسلامي بكل تجرد ، وبدقة كذلك . فالشعوبية الفارسية التي تحدث عنها د/ "محمد محمد حسين"تنامى حِقدها بعد توسع الفتوحات الإسلامية ودخول الفرس تحت سلطان الإسلام بل إنهم لم يجدوا مجالاً للتنفيس في العهد الأموي . وإن كانت الفرصة قدواتتْهم بعد ذلك ، إلا أن الضغط الأموي وتغليب جانب الحيطة والحذر منهم ساعد في كسر شوكتهم. وعلى الرغم من أن الأمويين حولوا الخلافة إلى ملك عضوض إلا أنهم حرصوا على أن يختاروا الأصلح لولاية الحكم ، بخلاف من جاء بعدهم كما في العهد العباسي ؛ فإنهم جعلوا الوراثة بالدور ، حتى ولو كانطفلاً ولّوه .

إننا عندما نكتب عن تاريخ تلك الفترة ينبغي أن نتبين عدة محاذير :

أ - أن معظم ما نتداوله في مدارسنا ودراساتنا - للأسف - مكتوب بأيدي شيعية أو سبئية ، هَمُّهَا تجسيم أخطاء الأمويين وإبرازها ، وممارسة التفسير المغرض للأحداث التاريخية.

ب - الانحراف المنهجي في الاستدلال على الواقع ؛ إما بالاختلاق والوضع تارة ، أو الإتيان إلى حادثة صحيحة ، فيُزاد فيها ، أو يُنقَص منها ؛ حتى تتشوه وتخرج عن الأصل . أو وضع الخبر في غير السياق ؛ حتى ينحرف عن معناه . أو إخفاء الحقائق وإبراز المثالب ، أو صناعة الشعر وانتحاله لتوثيق النصوص ، أو وضع الكتب والرسائل المكذوبة ونحلها لعلماء وشخصيات مشهورة.

ج -أن كثيرًا من أحداث تلك الفترة حظيت بعناية المستشرقين والمنصّرين إبان غزوهم واستعمارهم، ووجدوا فيهضالّتهم ، وشايعهم طائفة من تلامذتهم ، فكانوا على الأمة أشد ضررًا منهم .

ينظر : ما كتبه "محمد قطب" في (كيف نكتب التاريخ الإسلامي) طبعة دار الشروق ، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) (ص١٢١ - ١٥٠) تحت عنوان : المدّ الإسلامي . و "محمد بن صامل السلمي" في : (منهج كتابة التاريخ الإسلامي) طبعة دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى – شوال (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) (ص٤٩٦- ٥١٠) تحت عنوان : (عوامل الانحرافات الواقعة في كتابة التاريخ الإسلامي وأهم الطوائف المساهمة فيه)

(١) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر– دار الرسالة للنشر والتوزيع ، الطبعة التاسعة (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م) ، مكة ، (٩٩/٢)

، حيث كان السلطان "سليم الثالث"[١] البادئ الحقيقي ، وجاء بعده السلطان "محمود الثاني" ، وكانت أمُّهُ فرنسية ؛ ولذلك كان شغوفًا بحضارة أوروبا وفرنسا خاصة . وكان حكمه للخلافة عام (١٨٠٨م – ١٢٢٢هـ) ولم يحقق طوال ثلاثين عامًا من حكمه إلا أهدافًا وضيعة ؛ كإدخال الفرق الموسيقية إلى الجيوش ، وإلباس عناصرها أزياءً أوروبية[٢] .

وبعد موت السلطان "محمود الثاني"[٣] سنة (١٨٣٩م – ١٢٥٤هـ) خلفه ابنه "عبد المجيد"[٤] وكان في السادسة عشرة من عمره . وفي عهده استحدثت وسائل تغريب في كثير من وزارات الدولة .

٢- نفوذ الدخلاء ، الذين سعوا لتقسيم الخلافة وتقطيع أوصالها ، حتى تمكن كثير منهم من الولوج عن طريق ما سنته قوانين الخلافة التي كان السلطان "عبد الحميد الثاني"[٥] يقبلها تارةً ، ويرفضها أخرى ؛ حتى أصبحت شرعة بعد خلعه عن طريق "جمعية الإتحاد والترقي" ، ووصول الكماليين لسدة الحكم . أو عن طريق المنظمات اليهودية ، والمؤامرات السرية التي تعقد في قنصليات وسفارات أوروبا الموجودة في دار الخلافة[٦] .

---

(١) تولى أمر الخلافة بعد وفاة عمه "عبد الحميد الأول" . كان حميد الخصال ، استمرت خلافته تسعة عشر عامًا . توفي سنة (١٢٢٢هـ-١٨٠٧م)

يُنظَر في ترجمته : شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (٢٥٨)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين ، دار المعالي ، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م) (ص١٦)

(٣) استخلف بعد خلع أخيه "مصطفى الرابع" ،وعمره أربعة وعشرون عامًا ، وحكم سبعًا وعشرين سنة . توفي سنة (١٢٥٥هـ -١٨٣٩م)

يُنظَر في ترجمته : شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق، (٢٦٧)

(٤) تولى الحكم بعد أبيه ، وأدخل تنظيمات حديثة . عُرِف بضعف بنيته ، وحدة الذكاء . دام حكمه اثنين وعشرين عامًا . توفي سنة (١٢٧٧هـ -١٨٦٠م)

يُنظَر في ترجمته : شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (٢٨٨)

(٥) السلطان الرابع والثلاثون .نشأ يتيمًا ، وتعلم التاريخ واللغة الفارسية والعربية . تولى الخلافة وعمره أربعة وثلاثون عامًا .خُلِع سنة (١٣٢٦هـ -١٩٠٩م)

يُنظَر في ترجمته : شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (٣٠٠)

(٦) كان السلطان عبد الحميد ألغى دستورًا وضعيًا بلجيكيًا سنة (١٨٧٦م – ١٢٩٢هـ) ثم أعيد عام (١٩٠٨م – ١٣٢٥هـ) ثم ألغاه . وكان سببًا في عزله عن الخلافة ، حتى تمكن الاتحاديون من إعادته بزعامة "مدحت باشا" الذي سمي فيما بعد بـ (أبو الدستور) وهو الذي نقله إلى حيز =

٣- الدور الكبير الذي قامت به أوروبا -وخصوصًا فرنسا وبريطانيا - في دعم المتمردين على الخلافة ، والمنشقين عنها ، أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ، حتى فرّ منهم عدد كبير ، أكثرهم من الشاميين إلى حيث يأمن بطشها ، وقد استقر بعضهم في مصر ؛ حيث كان الإنجليز يشجعون كل متمرد في الدولة العثمانية ، ويحمون كل خارج عليها . واستقر فريق آخر منهم في فرنسا ؛ حيث وجدوا كل عون وتشجيع من الدولة التي تزعم لنفسها حق حماية نصارى الشرق[١].

كان لهذه المتغيرات المتتابعة آثارها الخطيرة على بلاد الشام ؛ من تمزيق الخلافة ، وأفول نجمها ، واستعمار الولايات العربية التابعة لها ، كبلاد الشام التي كانت ولاتزال تعيش حالة الانقسام الطائفي والحزبي ، وتتنازع عليها قوىً إقليمية وعالمية . وسيأتي - إن شاء الله تعالى - مزيد بيان في الفصول التالية .

المبحث الأول
الحالة الدينية

عُرفت الشام منذ قرون الإسلام الأولى بمركزها الديني والاقتصادي ، وكانت مجمعًا للعلماء وطلاب العلم ، وانتقلت إليها الخلافة زمن الأمويين حتى كانت قلعة من قلاع الإسلام ؛ حيث شُيدت فيها المراكز والمعاهد ، وانطلقت منها قوافل المجاهدين الفاتحين . ومع ما كانت تعيشه الشام من رخاءٍ وعزةٍ وقوةِ دين ، إلا أنها في القرون

=

التنفيذ .

يُنظَر في ذلك : شكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، طبعة دار التقدمية ، لبنان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م – ١٤٢٨هـ) (٦٢- ٦٣) ، ومحمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٨٤) وشكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، طبعة دار بن كثير بـ(دمشق) و(بيروت) ، ودار التربية بـ(دمشق) و(بيروت) ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) (ص٣٣٢ - ٣٣٤) ، وجورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الأسد ، و إحسان عباس ، طبعة دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة الثامنة (١٩٨٧م – ١٤٠٧هـ) (ص١٧٥- ١٧٧)

(١) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، (١٠٠/٢) ، وشكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، مرجع سابق ، (ص٦٧ -٦٨)

المتأخرة -وخصوصًا في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريَّين - كانت ضحية لمؤامرات الصّهاينة والصّليبيين والمستعمرين ،وساحةً رحبةً لتغلغل الطوائف والفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة ،وزرْعها الانقسامات داخـــل الولاية . ومع ذلك ؛ لم يكن الحال يختلف عن أحوال سواها من ولايات الخلافة العثمانية ، إلا ما كان من حال بلاد نجد التي تأثرت بدعوة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" - رحمه الله تعالى -.

وأما مظاهر ضعف التدين التي أصابت الدولة العثمانية عامة وبلاد الشام التي أتحدّث عنها خاصة فلعلي أقسم الكلام فيها إلى قسمين :

القسم الأول : الشرك بنوعيه : الأكبر ، والأصغر[١] :

ومن مظاهره :

أ- الغلو في مدح المصطفى ﷺ :

اعتقد بعض من الناس أنه ﷺ يكشف الكروب ، ويضر وينفع ، ويعطي ويمنع ، ويخفض ويرفع ، إلى غير ذلك من الاعتقادات الفاسدة التي بدأت طلائعها منذ بدايات القرن الثالث الهجري ؛ كما يحكي "ناصر بن عبد الكريم العقل"[٢] وإن كانت أقوال العلماء متعددة في تحديد بداية ونشأة هذا الفكر ، كما تعددت في الفرق الأخرى[٣].

ويذكر "علي بن بخيت الزهراني" احتفالات بعض المنتسبين للطرق الصوفية من العلماء والشعراء في القرنين الماضيين ، ونسجهم القصائد النبوية بغلوٍّ اوإطراءً . فكلما ازداد الواحدغلوّ اوشركًا كان مدحه أعظم[٤].

---

(١) **<u>الشرك الأكبر</u>** ، هو :أن يُجعَل لله تعالى شريك في أنواع العبادة ؛ كالذبح ، والنذر ، والدعاء ولو في بعضها وهو أعظم الذنوب ، ولا يغفره الله تعالى ، وهو مُحبِط للعمل ، وصاحبه مخلّد في النار .

<u>الشرك الأصغر</u> ، هو : ما كان دون ذلك ؛ كقول الرجل : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، ومثله : يسير الرياء .

يُنظَر : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مرجع سابق (ص٧٥-٨٢)

(٢) ناصر بن عبد الكريم العقل ، دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، طبعة مركز الدراسات والإعلام – دار أشبيليا للنشر – الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ص(١٦٩)

(٣) غالب علي عواجي ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، دار لينة للنشر - دمنهور - الطبعة الثالثة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) ، جـ ٧٣٣/٢

(٤) علي بن بخيت الزهراني ، الانحرافات العلمية والعقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر =

ب- تعظيم القبور وبناء المساجد عليها :

وقد وقعت الأمة خلال هذه الفترة في ما حذر منه النبي ﷺ ، فعن "عائشة" -رضي الله عنها- ، قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : (**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد . قالت : فلولا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجدًا**)[١] وعنها -رضي الله عنها- ، قالت : لما اشتكى رسول الله ﷺ ذكرت بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض (الحبشة) يقال لها "مارية" ، وقد كانت "أم سلمة" و"أم حبيبة" -رضي الله عنهما- أتتا أرض (الحبشة) ، فذكرتا من حُسنها وتصاويرَ فيها ، فقال : (**إن أولئك إذا مات الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ، ثم صوروا فيه تلك الصورة ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة**)[٢] ، وعن "ابن عباس" و"عائشة" -رضي الله عنهم-، أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يُلقي على وجهه طرف خميصة له ، فإذا اغتمّ بها كشفها عن وجهه وهو يقول : (**لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، تقول عائشة رضي الله عنها : يحذر ما صنعوا**)[٣].

فهذا "محمد عبد الجواد القاياتي"[٤] يذكر عددًا من الأضرحة والمزارات

=

، دار طيبة بمكة وآل عمار بالشارقة - الطبعة الثانية (١٤٨١هـ - ١٩٩٨م) ، (٣٥٩/١)

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور (الحديث١٣٣٠) ،يُنظَر : البخاري مع الفتح (٢٥٥/٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (الحديث ١١٨٤) ،يُنظَر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٥)

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز ، باب بناء المسجد على القبور (الحديث١٣٤١) يُنظَر : صحيح البخاري مع الفتح (٢٦٥/٣) ، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب : النهي عن بناء المساجد على القبور (الحديث١١٨١) ،يُنظَر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٥)

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (الحديث٣٤٥٣/٣٤٥٤) ،يُنظَر : صحيح البخاري مع الفتح (٦٠٤/٦) ، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور (الحديث١١٨٧) ، يُنظَر : صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/٥)

(٤) "**القاياتي**" : هو : محمد عبد الجواد بن عبد اللطيف القاياتي . صوفي مصري ، كان ممن ناصَر الثورة العرابية ،واعتُقل ،وحُبس ، ثم صدر الأمر بإبعاده عن مصر ، فتوجه إلى الشام ، وبعد أربع سنوات عاد إلى مصر ، وتوفي ببلده (القايات) في الصعيد ، وذلك سنة (١٣٢٠هـ - ١٩٠٢م)

يُنظَر في ترجمته : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان - الطبعة =

المنسوبة إلى الأنبياء في بلاد الشام التي زارها هناك بعد نفيه من مصر في أعقاب "الثورة العرابية"[١] ، في بداية القرن الرابع عشر الهجري ، ومن هذه القبور :

أ- في لبنان :

١- **مزار "يحي بن زكريا" في (صيدا)**[٢] -جنوب لبنان- ، في قمة جبل يشرف على البلد والبحر ، وهو غاية في النضارة - كما يقول- . وذكر أنه مر على مشهد منسوب إليه أيضًا في مغارة في ضيعة (سبسطة)[٣] بفلسطين ، مع أن المقام المشهور الذي دفن فيه رأس "يحي بن زكريا" - عليه السلام - كما يقولون في (دمشق)[٤] ، في

=

السابعة عشرة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م) ، (١٨٥/٦)

(١) "**الثورة العُرَابيّة**" : ثورة قام بها فريق من الضباط الوطنيين ، على رأسهم اللواء "أحمد عرابي بن محمد عرابي باشا" ؛ بسبب رغبة ناظر (وزير) الجهادية والبحرية في حكومة "الخديوي توفيق" آنذاك "عثمان رفقي باشا" الشركسي تنحيتَهم عن مراكزهم ، فانتدبوا "أحمد العرابي" للمطالبة بحقوقهم ،ورفعوا ذلك إلى رئيس النُّظّار (رئيس الوزراء) "رياض باشا" فلم يلتفت لهم ، واجتمع "الخديوي" حينها بمجلس رئاسته ،وقرّروا محاكمة الوطنيين وسجن "العرابي" واثنين من أصحابه ، فهاج الوطنيون حتى اضطر "الخديوي" إلى عزل الناظر "عثمان رفقي" ، وانحلت وزارة "رياض باشا" وجعل العرابي وكيلاً للجهادية والبحرية ثم ناظرًا ، إلى أن دخلت القوات الإنجليزية مصر ، ووقعت المذابح في الإسكندرية ، ونُفِي "عرابي باشا "إلى جزيرة (سيلان) ،وحُلّ الجيش المصري ، وذلك سنة (١٣٠٠هـ - ١٨٨٢م)

يُنظَر في ذلك : شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، إشراف "يوسف حسين" و"توما توفيق" و"يوسف قزما خوري" ، طبعة دار التقدمية - لبنان - (ص٥٠-٥١) ،وأيضًا خير الدين الزركلي في الأعلام ، مرجع سابق ، (١٦٨/١-١٦٩)

(٢) **(صيدا)**- بالمد والقصر- ثالث أكبر المدن اللبنانية ، وأكبر مدن محافظة الجنوب ، تقع على ساحل البحر المتوسط .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٣) (**سبسطة**):بلدة قديمة جدًا ، تقع إلى الشمال الغربي لمدينة (نابلس) ، تشتهر بزراعة الزيتون واللوزيات .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٤) **(دمشق)** : عاصمة سوريا اليوم ، تعتبر من أقدم المدن في العالم . يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف . عاش بها مشاهير التاريخ ، والعلم ، والأدب ، والشعر ، والصناعة ، والفكر .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

=

قلب (الجامع الأموي) وهناك أيضًا مقام ثالث في (الجامع الأموي) بـ(حلب)[١] ؛ حيث توجد حجرة تعرف بـ(الحضرة النبوية) ، يقال : إن بها رأس "يحيى بن زكريا" - عليه السلام - في صندوق جرن . وقيل : إن بها عضوًا من أعضاء نبي الله "زكريا" - عليه السلام - في صندوق مرمر[٢] .

٢- **مزار "شمعون"**[٣] في الجانب الشرقي من (صيدا) ، يخرج إليه أهل البلد في الغداة والعشي[٤] ، مع أن هناك مزارًا مشهورًا للاسم نفسه في قضاء كلِّز[٥] من أعمال (حلب)[٦] .

٣- **مزار (صيدون)** في وسط البساتين في (صيدا)[٧]

ب- في فلسطين :

١- **ضريح "الخليل" - عليه السلام-** ، وعليه قبة وباب من الفضة ، وضريح "إسحاق" - عليه السلام - ، وضريح "يعقوب" - عليه السلام - ، وضريح "يوسف" - عليه السلام - . وكل تلك الأضرحة داخل مسجد كبير في مدينة (الخليل)[٨] .

=

Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(١) **(حلب)** - بالتحريك - :مدينة تقع شمال سوريا اليوم ، وهي من أكبر المدن ، تعدّ من أقدم المدن المأهولة في العالم .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .
Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٢) كامل حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، المطبعة المارونية (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م) ، (٢٤٤/٢)

(٣) هذه الأضرحة والمزارات - كما يزعمون - لأنبياء ؛ سواء صحت النبوة لهم أم لا . ومن هؤلاء من قيل إنهم من أنبياء بني إسرائيل . ولم يرد عند علمائنا ما يصدق ذلك أو يكذبه ، والله أعلم.

(٤) عبد الله بن خميس ، شهر في (دمشق) ، مطابع الرياض ، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م) ، (ص٦٣)

(٥) **كِلِّز** -بكسر أوله وثانيه بشدّة ، آخره زاي - : قرية من نواحي (عزاز) ، بين ((حلب)) و(أنطاكية)

يُنظَر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مرجع سابق ، (٤٦٧/٤)

(٦) كامل بن حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق ، (٣٧١/٢)

(٧) محمد عبد الجواد القاياتي ، نفحة البشام في رحلة الشام ، دار الرائد العربي- بيروت - (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) ، (ص٦٣)

(٨) **الخليل** : مدينة فلسطينية ، تقع إلى الجنوب من (القدس) في الضفة الغربية ، تعتبر من أكبر المدن الفلسطينية من حيث عدد السكان ، والمساحة .

=

٢ - **مزار "أيوب" - عليه السلام - ، ومزار "صالح" - عليه السلام -** : في (يافا)[١] بـ(فلسطين) ، مع أن هناك في (حضرموت)[٢]في وادي (سر) يوجد قبر طويل عليه قبة كبيرة يزعم الناس أنه قبر "صالح" - عليه السلام - . والتاريخ لا يثبت وجود قبر "صالح" - عليه السلام - في (حضرموت) ؛ لأنه مات في (الحجاز)[٣] .

٣- **ضريح "يونس" - عليه السلام-** في بلدة (حلحول)[٤] بين (القدس) و(الخليل) ، وكان به عمارة جديدة لم تكمل - كما يقول "القاياتي"-[٥] مع أن هناك جامعًاكبيرًا به ضريح في قرية (نينوى)[٦] في العراق ، يدعى جامع النبي "يونس"[٧].

=

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(١) **يافا** : مدينة تقع في فلسطين تحت الاحتلال اليهودي ، من أقدم مدن فلسطين التاريخية . تقع على الساحل الشرقي للبحر المتوسط .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٢) **حضرموت** : من أكبر محافظات اليمن ، تحتل اليوم (٣٦%) من مساحة الجمهورية . وتتكون من ثلاثين مديرية . وعاصمتها مدينةالمكلا ّ) .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٣) صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي ، مكتبة ومطبعة اليابي حلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الثالثة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م) (ص٥٣)

(٤)**حلْحُول**من أعرق قراى فلسطين وأجملها طبيعة ، وأنقاها هواءً . تقع على هضبة جبلية على الطريق الرئيس بين (القدس) و (الخليل)

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٥) محمد عبد الجواد القاياتي ، نفحة البشام في رحلة الشام ، مرجع سابق (ص١٠١)

(٦)**نِيْنَوى** - بكسر أوله وسكون ثانيه ، وفتح النون والواو - : محافظة في شمال العراق ، ومركزها (الموصل) ، لها تاريخ عريق .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٧) سعيد الديوه جي ، جامع الموصل في مختلف العصور ، مطبعة شفيق ، (بغداد) ، سنة الطبع (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م) ، (ص٧٣)

بل إن "القاياتي" نفسه ذكر أنه أثناء خروجه من (نابلس)[١] مرَّ في الطريق على ضيعة يقال إن فيها مزار النبي "يونس" - عليه السلام - ، وهي عبارة عن قبة صغيرة ، ومن داخلها غار يقال إن فيه قبر "يونس" - عليه السلام-[٢]

٤- **ضريح "الأسباط"** إخوة "يوسف" - عليه السلام - ، في (نابلس)

ج – في سوريا :

١- **ضريح "موسى" - عليه السلام** - ، في (الشام) في المحل المشهور بـ(القَدَم).

٢- **ضريح "ذي الكفل" - عليه السلام** - ، في جبل (قاسيون)[٣] في (دمشق)[٤] .

٣- **ضريح "الخضر" - عليه السلام -** ، في (معرَّة النعمان)[٥] بـ(الشام)[٦]

٤- **ضريح "شيث" - عليه السلام-** ، في (معرة النعمان) أيضًا ، مع أن هناك

---

(١) **نَابُلُس** - بضم الباء واللام ، والسين المهملة - : إحدى أكبر المدن الفلسطينية سكانًا ، وأهمها موقعًا . وهي عاصمة فلسطين الاقتصادية ، ومقر أكبر الجامعات الفلسطينية . تعتبر عاصمة شمال الضفة الغربية .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٢) محمد عبد الجواد القاياتي ، نفحة البشام في رحلة الشام ، مرجع سابق (ص١٠٩)

(٣) **جبل قاسيون**: جبل يطلّ على مدينة (دمشق) .يعتبر امتدادًا جغرافيًّا لسلاسل الجبال السورية الغربية ، ويمكن مشاهدة المدينة بالكامل منه .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٤) محمد عبد الجواد القاياتي ، نفحة البشام في رحلة الشام ، مرجع سابق ، (ص١٠٣، ١٣٢ ، ١٣٥)

(٥) **معرة النعمان :** مدينة تقع جنوبي (أدلب) في سوريا ، تقرب من (حلب) و (حماه) ، لها تاريخ قديم . وقامت فيها حضارات وممالك بائدة .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٦) محمد سليم الجندي ، تاريخ معرة النعمان ، تحقيق عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي الدمشقية الدمشقية ، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م) ، (٤٦٨/١)

جامعًا كبيرًا في (الموصل)[١] يسمى جامع النبي "شيث" ، داخله ضريح يعتقد أنه مدفون فيه.

والعجب أن بعض من تحدث عن تاريخ (الموصل) نفى أن يكون قبر النبي "شيث"معروفًا قبل القرن الحادي عشر الهجري ، وعزا قبره المزعوم في (الموصل) إلى رؤيا منامية رآها أحد الأولياء العارفين دلّ بها على موضع القبر ، فبنى عليه الضريح ، ثم أقام عليه الجامع المشهور . فالله المستعان[٢] .

٥- **قبر "هود" عليه السلام** في حائط مسجد (دمشق) كما يسميه العامة هناك . والراجح أنه قبر "معاوية" - رضي الله عنه - كما قال شيخ الإسلام "ابن تيمية"[٣] - رحمه الله[٤]- . وهناك قبر منسوب إلى "هود" - عليه السلام- في (حضرموت) أيضًا[٥].

هذابعضٌ ممّا نسبه القبوريون إلى الأنبياء - عليهم السلام - ، فأما ما نسبوه إلى غيرهم من الأولياء والصالحين فهو أكثر من ذلك ؛ حتى ما نسبوه إلى الصحابة ﷺ من الأضرحة والمشاهد فيبلدانٍ لم تطأها أقدامهم ؛ بل لا يشهد التاريخ أن الصحابة ماتوا بهامطلقًا .

وأقربمثالٍ على هذا : قبر "الحسين بن علي" - رضي الله عنهما - ، ففي مدينة (حلب) مشهد يعرف بمشهد "الحسين" . وسبُب إحداثه - كعادة القبوريين - قصة

---

(١) **الموصل** - بفتح الميم وكسر الصاد - : مدينة في العراق ، وهي مركز محافظة (السليمانية) تقع في الشمال على ضفاف نهر دجلة . تشتهر بالتجارة .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٢) سعيد الديوه جي ، جامع الموصل في مختلف العصور ، مرجع سابق (٢١٣)

(٣) **ابن تيمية :** أحمد بن عبد الحليمبن عبد السلام الحرّاني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، تقي الدين . ولد في (حرّان) ، وتحول به أبوه إلى (دمشق) فنبغ واشتهر ، وابتلي فسجن أولاً في مصر في فتوى الطلاق ثم أطلق ، ورجع إلى (دمشق) ، واعتقل مرة أخرى وأطلق ، ثم أعيد، ومات بقلعتها سنة (٧٢٨هـ - ١٣٧٢م)

يُنظَر في ترجمته : عبد الحي اللكفوي ، فوات الوفيات ، بنارس – الهند ، مكتبة ندوة المعارف ، (١٩٦٧م – ١٣٨٦هـ) ، (٧٤/١)

(٤) ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، طباعة ورثة جامعها "عبد الرحمن بن قاسم النجدي" وابنه "محمد" (٤٤٧/٢٧-٤٩١)

(٥) صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي ، مرجع سابق ، (ص٥٣)

خرافية تقوم علىمقامٍ كاذب ، وأشخاص مجهولين[١] ، مع كونه استشهد بـ(كربلاء) العراق ، ودفن بدنه بمكان استشهاده . أما رأسه - رضي الله عنه - فالراجح أنه دفن في (المدينة) ؛ كما بين ذلك شيخ الإسلام "ابن تيمية" - رحمه الله-[٢] ومع ذلك فله مقام عظيم وضريح كبير ، ومسجد معروف في مدينة (القاهرة)

وقد أطال شيخ الإسلام - رحمه الله- في إبطال صحة ذلك المشهد ، وأورد الأدلة والحجج الدامغة في ذلك ، وبيّن أن "العبيديين" في أواخر دولتهم أقاموه . ونقل أقوال العلماء في بيان زيفه ، وكذبه .

وذكر "الغَزِّيُّ" أن مشهد "الحسين" في (حلب) كانمهملاً ، ثم بُدئَ في إصلاحه وفي سنة (١٣٠٢هـ - ١٨٨٤م) جُدِّدَتْ بعض جدرانه . وبعد بضع سنين أهدى السلطان "عبد الحميد"ستاراً لحريريًّ امزركشاً ابآياتٍ قرآنية ، ووُضِع على المحراب ، وفرشت أرض قبلته بالطنافس الجميلة ، وجُدِّد ترخيم أرض الصحن ، وعُيِّن له إمام راتب ، ومؤذن ، وخادم ، وموظفون يقرأون كل يوم أجزاء شريفة من القرآن . والنفقات على ذلك كله من صندوق أملاك السلطان "عبد الحميد" في (حلب)[٣].

ويذكر "محمد بن علي السنوسي"[٤] أنه زار ثلاثة قبور نُسِبت إلى "حفصة" و"أم سلمة" و"أم حبيبة" ؛ أمهات المؤمنين - رضي الله عنهن- في (دمشق) ، مع كونهنمدفوناتٍ في المدينة[٥].

وزار قبرَ "أسماء بنت أبي بكر" - رضي الله عنهما - في (دمشق) أيضًا ، مع كونها ماتت بمكة بعد مقتل ولدها "عبد الله بن الزبير" - رضي الله عنه - بأيام قليلة[٦].

---

(١) كامل بن حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق ، (٢٨٠/٢)

(٢) شيخ الإسلام بن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مرجع سابق ، (٤٨٢/٢٧)

(٣) كامل بن حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق (٢٨٢/٢)

(٤) **محمد علي السنوسي** : هو محمد بن علي السنوسي ، أبو عبد الله السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي . زعيم الطريقة السنوسية الأول ومؤسسها . ولد في (الجزائر) وتصوف فيها ، ثم انتقل راحلاً إلى (تونس) و(طرابلس) و(مصر) و(مكة) ، وفيها تصوف ، وبنى زاوية في جبل (أبي قبيس) ، وكثر تلامذته والتزموا طريقته .له مؤلفات تقرب من أربعين مؤلفًا . توفي سنة (١٢٧٦هـ - ١٨٥٩م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٩٩/٦)

(٥) محمد علي السنوسي ، الرحلة الحجازية ، تحقيق علي الشنوفي ، طباعة ونشر الشركة التونسية للتوزيع (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) ، (٢١٤/٢)

.[1]

وهناك ضريحٌ في بلدة (الرّها) - من أعمال (حلب)- يقال : إنه لـ"جابر بن عبـــــــد الله الأنصاري" -رضي الله عنهما-[2]، مع أن "جابرًا"- ﷺ توفي في المدينة .

وأنقل هناكلامًا لشيخ الإسلام "ابن تيمية" - رحمه الله - ؛ حيث قال :

(وغالب ما يستند إليه الواحد من هؤلاءأنّه يدعي أنه رأىمنامًا ، أو أنه وجد بذلك القبر علامة تدل على صلاح ساكنه : إما رائحة طيبة ، وإما توهّم خرق عادة ونحوها ، وإما حكاية بعض الناس : إنه كان يعظم ذلك القبر . فأما المنامات فكثير منها - بل أكثرها كذبٌ . وقد عرفنا في زماننا بـ(مصر) و(الشام) و(العراق) من يدعي أنه رأى منامات تتعلق ببعض البقاع أنه قبر نبي ، أو أن فيهأثرَ نبي ونحو ذلك ؛ ويكون كاذبًا . وهذا الشيء منتشر ؛ فرائي المنام غالبًا ما يكون كاذبًا ، وبتقدير صدقه : فقد يكون الذي أخبره بذلك شيطان . والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن يثبت بها شيء ؛ بالاتفاق . فإنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : (**الرؤيا ثلاثة :رؤيا من الله ، ورؤيا مما يحدّث به المرء نفسَه ، ورؤيا من الشيطان**)[3] فإذا كان جنس الرؤيا تحته أنواع ثلاثة ؛ فلابدّ من تمييز كل نوع منها عن نوع) [4].

وعلى كلحالٍ ؛ فليس في تعيين أصحاب هذه المشاهد والأضرحة مستمسَك للقبوريين إلا المنامات المزعومة ، وظهور الروائح الزكية ، وتعظيم الناس لها ، والتي تتهافت مرة بعد أخرى ، ويسارع أصحابها إلى التمويه وقلب الحقائق ، وخداع الأتباع من المغفلين والسذج .

ج - الاستعانة والاستغاثة بأصحاب تلك الأضرحة والمشاهد ، ودعاؤهم من دون الله عز وجل :

حيث ساد اعتقاد بعض الناس فيهم بأنهم يدفعون الضر ، ويكشفون اللأواء ، ويفرجون الهمّ ، وينفسونالكُرَب ، إلى غير ذلك من الاعتقادات الباطلة التي يدعيها القبوريون والمتصوفة ، والتي لا تزال الأمة تجنيثمارَها إلى اليوم .

---

(١) الحافظ بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الفكر ، بيروت (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ، (٢٣١/٤)

(٢) كامل بن حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق (٥٤٢/١)

(٣) رواه البخاري في كتاب التعبير - باب القيد في المنام برقم (٧٠١٧) الفتح (٤٠٤/١٢) ورواه مسلم برقم (٢٢٦٣) كتاب الرؤيا (١٧٧٣/٤)

(٤) شيخ الاسلام ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، مرجع سابق (٤٥٧/٢٧)

ففي سوريا قبر "ابن عربي"[١] في (دمشق) ، يمارس القبوريون عنده شتى ألوان الشرك الأكبر ؛ يغدون إليه ويروحون ، ويطوفون حوله ويتوسلون به ، ويعلنون دعاءه من دون الله . فهذه المرأة تضع خدها على شباك الضريح وتمرغه ، وتنادي : أغثني يا محيي الدين . والصبايا البريئات يجئن إليه ، ويمددن أمامه الأكف ، ويمسحن الوجوه ، ويخشعن ويتضرعن[٢] .

د - الذبح والنذر والطواف بالمشاهد والأضرحة :

وهذا جانب آخر لا يقل عن الصور السابقة ؛ بل عم بلاؤه وظهر أثره حين ترسخت في عقول بعض الناس معتقدات باطلة ، وطمست أنوار الشريعة ومعالمها ، ولم يبق للحق من قائم بحجة إلا من رحم ربك . حتى آل أمر الخلق إلى التذلل للأضرحة ، والانكسار عند أعتابها ، وتقديم القرابين لها ، تقربًا لأصحابها ، ودفعًا للشر بزعمهم . وما أشبه أفعال الجاهلية المعاصرة بأفعال الجاهلية الأولى التي عبدت الأصنام والأشجار ، وقدمت القرابين والنذور ، واتخذوهاآلهةً من دون الله لا يخلقون شيئًا وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهمضرًّا ولا نفعًا ، ولا يملكونموتًا ولا حياةً ولا نشورًا .

إن صورًا مخزية يطالعها من يقرأ أحوال الأمة خلال القرن الرابع عشر الهجري ، في الوقت الذي سقطت فيه الخلافة العثمانية ،وحلّ الصليبيون بأرضها ، وذهبت آمال العرب فيملكٍ قريب وعَدَهُم به بنو الأصفر ؛ حتى وجدت مخرجها من كل ذلكفُبُلاتٍ عند عتبة مشهد ، وتمريغ خدٍّ على تراب ضريح .

ودونك ما كان يفعله جهلة الناس مما ذكرتهآنفًا :

ففي سوريا أورد "محمد سليم الجندي"[٣] في كتابه (تاريخ معرة النعمان) أن

---

(١) **ابن عربي** : محمد بن علي بن محمد بن عربي . أبو بكر الأندلسي ، المعروف بمحيي الدين ، فيلسوف ، متكلم ، أنكر عليه أهل الديار المصرية شطحات صدرت عنه ، وحبس ، ثم أطلق ، واستقر في (دمشق) حتى مات بها سنة (٦٣٨هـ - ١٢٤٠م) ، كان قدوة القائلين بوحدة الوجود كما يقول الذهبي .

يُنظَر في ترجمته : عند السيوطي ، طبقات المفسرين ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، (١٩٨٣م – ١٤٠٣هـ) ، (٩٨)

(٢) عبدالله بن خميس ، شهر في (دمشق) ، مرجع سابق (ص:٦٤-٦٥)

(٣) **هو** : محمد سليم بن محمد تقي الدين الجندي . شاعر ، مدرس ، عالم بالأدب ، له اشتغال بالتاريخ . ولد في (المعرة) . توفي سنة (١٣٧٥هـ-١٩٥٥م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٤٨/٦)

في هذا البلد مغارةً يزعم الناس هناك أنها مقام "الخضر" ، وذَرَ الناس لهذا المقام البرغل المطبوخ بالدردار ، ويسمى المفحومة بلغتهم . ومنهم من يذبح الخرفان ، ويسمى هذا النذر بالحذّاء أيضًا[١].

وعند ضريح آخر ينذرون (معلاقًا) يجتمع الناس عنده إذا برئ المريض أو حضر الغائب ، ويأكلون مايعلق به من أجزاء الحيوان من الكبد والرئة والقلب والمريء ، وما عليها من شحم[٢].

وعلى ضريح آخر بـ(المعوّة) أيضًا يعلقون على نافذته خروقًا من ثياب المريض ، وينذرون له زيتًا ليوقد له عند ضريحه[٣].

وفي الشرق من (المعرة) مسجد ومقام يزعم الناس أن فيه قبر "أويس القرني"[٤]، يعظمه أهل المعرة ويكثرون زيارته ، وتقريب القرابين له ، والوفاء بالنذر عنده[٥].

وتوجد في محلة (الضوضو) بـ(حلب) قبة على قارعة الطريق ، فيها دفين يسمونه الشيخ "محمد الضوضو" ، يعتقد فيه أهل المحلة ، ويذكرون له كرامات ، وينذرون له الزيت .

وهناك زاوية يقال لها زاوية بيت "الكيالي" قال عنها "الغزي" : (هي الآن عامرة ، وللناس اعتقاد حسن بمن دفن فيها ، فيقصدونها للاستشفاء من الأدواء ، وينذرون لها النذور)[٦]

وفي (حلب) كان إذا تعسر مخاض المرأة سقوها شيئًا من السمن المذاب ، وبعضهم يحضر حربةً مركوزةً عند أضرحة بعض الصالحين ، فتتوكأ عليها تبركًا

---

(١) محمد سليم الجندي ، تاريخ معرة النعمان ، مرجع سابق ، (٤٦٨/١)

(٢) المصدر نفسه (٤٧٠/١)

(٣) المصدر نفسه (٤٧٠/١)

(٤) **هو** : أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني . من بني "قرن بن ردمان" ، عابد ، من سادات التابعين ، أصله من (اليمن) ، توفي سنة (٣٧هـ - ٦٥٧م)

يُنظَر في ترجمته : أبو نعيم الأصفهاني ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ، (٩٥/٢)

(٥) محمد سليم الجندي ، تاريخ معرة النعمان ، مرجع سابق (٣٦٣/١)

(٦) كامل بن حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق (٢٧٢/٢)

وهي على الكرسي إلى أن تضع[1].

هـ - التبرك بالأضرحة والاحتماء والاعتصام بها :

لم يكن أحد يجرؤ على أن ينتهك حرمة ضريح يلوذ بهمجرمٌ ، أو يعتصم به خائف من بطش ظالم ، أو هارب من وعيد حاكم ؛ مهما بلغت جنايته ؛ خشيةً من صاحب القبر أن ينزِلَ نقمته ، أو يُسلِك رحمته .وكثيرًا ما كان يُعفى عن المحتمين بها ،والفارّين إليها ؛إكرامًا للمقبور ، أوخوفًا من بأسه .وحُكيتأمثلةٌ أورثت عجبًا وغرابة مما كان يعتقده أولئك القوم .

ومما يجب علمه في ذلكأنّ الاعتصام والاحتماء بالقبور معروف حتى قبل القرن الرابع عشر الهجري ، وكان الذي أحدثه طوائف الصوفية ، والقبورية ، والشيعة .

و - تعليق الرقى والتمائم والأوتار :

وقد انتشرت بسبب طوفان الجهل والخرافة ، واستولت على عقول جَهَلة الناس ، وقضت على ما بقي من بصيص التوحيد . ويصور لنا "علي الزهراني" أثر ذلك على الناس فيقول : (وكانت هذه الرقى والتمائم تسيطر على غالب شؤون الناس ، يستشفى بها من الأمراض ، ويحترز من الأدواء والعلل ، ويتقى بها الكثير من الشرور ، ويُطلب بها الرزق والولد ؛ بل كانوا يرون الأطباء الحقيقيين هم صانعوا الرقى والتمائم في كثير من الأحوال)[2].

ومن طريف ما يُذكر : أن الشيخ "محمد الحامد"[3] كانت ولادته بعد انقطاع الحمل عن أمّه عدد سنين ، حتى شكا والده إلى بعض خواصه في ذلك ، فأخبروه أنه كان في (حمص) شيخ مبارك ، يكتب بعض الكلمات على ورقة ، ويعطيها لمن تشكو إليه انقطاع حملها فتلحسها فتحمل بإذن الله ، ولقد توفي ولكن يقوم مقامه في هذا أحد

---

(١) المصدر نفسه (٢٤٤/١)

(٢) علي بن بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، مرجع سابق (٣٩٩/١)

(٣) **محمد الحامد** : عالم ،مجاهد ، من مواليد (حماة) . تعلم وعلم ، وكان له أثر كبير في بلاد الشام ، كان نقشبندي الطريقة . توفي سنة (١٣٨٩هـ-١٩٦٩م)

يُنظَر في ترجمته : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (٢٣٣/٣)

أولاده ، فتمت كتابة الورقة ، وحملتأمُّ الشيخ[١] !

وهذه صورة من خرافات الصوفية وانحرافاتهم الباطلة التي أطبقتجَهَلة على بلاد الشام خلال هذه الفترة ، وإلا فإن الذي يخلق ما يشاء ويعطي ويمنع هو الله تعالى .

ز - الشرك بالأحياء والغلو فيهم :

ما فتئ الناس يعكفون على أضرحة الموتى وقبورهم ، ويتوسلون بها ؛ حتى عمدوا إلى الأحياء ، فأحاطوهم بهالة التقديس ، وصرفوا لهم كثيرًا من العبادات ، وأشركوهم مع الله تعالى.

ولم يكن الغلو في الأحياءمشتهرًا في القرن الرابع عشر الهجري في بلاد الشام فحسب ؛ بل في بلاد كثيرة كـ(الحجاز ، ومصر ، واليمن ، والمغرب) . ومن الشواهد على هذا التوسل الممنوع والشرك الصراح :

كان بعض الموالين لـ "محمد بن علي الإدريسي"[٢] أثناء حروبهم مع الأتراك يستغيثون به ، ويقولون (المدد يا مهدي الله يا إدريسي!)[٣]

وكان من أسياد الصوفية الخرافيين من يأمر الناس أن يستغيثوا به ، كما فعل "أحمد بن زيني دحلان"[٤] الذي حارب الدعوة السلفية طيلة حياته . فقد كان يأمر الأعراب بذلك ، ويقول لهم : لا تخافوا من شيء أبدًا ، وإذا حصل لكمضيقٌ فيأيِّ أمرٍ كان فنادوني ، واستغيثوا بي فإني أغيث الملهوف[٥].

---

(١)علي بن بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، مرجع سابق ، (٣١٤/١)

(٢) **محمد علي الإدريسي** : محمد علي محمد ابن السيف أحمد بن إدريس . مؤسس دولة الأدارسة في (صبيا) و(عسير) ، أصله من فاس . تعلم في الأزهر ، ونشر في صبيا طريقة جده ، فاتبعه كثيرون . وكانمدبرًا ،حكيمًا ، جوادًا . توفي سنة (١٣٤١هـ - ١٩٢٢م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٠٣/٦)

(٣) شرف عبد المحسن البركاتي ، الرحلة اليمانية ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ، (ص١٠)

(٤) **أحمد بن زيني دحلان** : صوفي ، فقيه ، مؤرخ ، من أهل مكة .ولُدِبَها ، وتولى الإفتاء والتدريس ، ومات في المدينة . وكان ممن حارب الدعوة السلفية طيلة حياته . توفي سنة (١٣٠٤هـ - ١٨٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٢٩/١)

(٥) أبوبكر محمد شطا ، نفحة الرحمن في بعض مناقب سيدنا ومولانا وأستاذنا وشيخنا المرحوم =

ويذكر بعض المؤرخين أن أحد العارفين قد استقر في قرية (كفركرمين) بناصية جبل (سمعان) من أعمال (حلب) ، واختارها ، وأقام بها فيغارٍ هناك ، فكان يزوره ضعاف النفوس ، ويأتونه بالنذور والذبائح على عاداتهم ، ويعتقدون ويتبركون بأنفاسه ودعواته ، ويزعمون حصول الشفاء لكثير من المرضى و الزمنى على يده[1].

ولقد كانت تشيع عند الناس آنذاك مثل هذه الخرافات والأباطيل ؛نظرًا لطغيان الصوفية في البلاد .

ح - التوسل بالأشجار والأحجار من دون الله :

وانتشر هذا البلاء والضلال عند العوام ، وعادت الجاهلية الأولى كاللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، وتمادى الناس في تعظيمها حتى نذروا لها النذور ، وقدموا لها القرابين ، وتبركوا بها وجعلوهندًّ ا لله تعالى .

وقد قال الشيخ "محمد بن عبد الوهاب"[2] في (كتاب التوحيد)[3]: باب من تبرك بشجرةٍ أو حجر أو نحوهما ، وقول الله تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم: ١٩ - ٢٣ .

=

"أحمد بن المرحوم السيد زيني دحلان" ، دار فينوس ، (القاهرة) (١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م) (ص:٣٣)

(١) عبد الرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، مرجع سابق ، (٧٥٣/٢)

(٢) **هو** : محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي . ولد في (العيينة) سنة (١١١٥هـ - ١٧٠٣م) ورحل مرتين إلى الحجاز ، وزار الشام ، والبصرة ، وأوذي في الأخيرة ، وعاد إلى نجد وسكن (حريملاء) ، وكان أبوه يعمل بها قاضيًا . نهج منهج السلف ، فدعا للتوحيد ، ونبذ الشرك والبدعة . توفي سنة (١٢٠٦هـ -١٧٩١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٥٧/٦)

(٣) محمد عبد الوهاب ، كتاب التوحيد ، بشرح الشيخ "عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ" المسمّى (فتح المجيد) ، وتعليق الشيخ ابن باز - رحمه الله - ، طبعة دار الفيحاء بـ(دمشق) ودار السلام بالرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ، (ص١٤٠)

وقال الشيخ "عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب"[١] -رحمه الله تعالى- في كتابه (فتح المجيد) : (ومطابقة الآيات للترجمة من جهة أن عبّاد الأوثان إنما كانوا يعتقدون حصول البركة منها بتعظيمها ، ودعائها ، والاستعانة بها ، والاعتماد عليها في حصول ما يرجونه منها ، ويؤملونه ببركتها وشفاعتها ، وغير ذلك . فالتبرك بقبور الصالحين كاللات ، وبالأشجار والأحجاركالعزَّى ، ومناة منفِعْل جملة أولئك المشركين مع تلك الأوثان ، فمن فعل مثل ذلك ، أو اعتقد في قبر أو حجر أو شجر ، فقد ضاهى عبَّاد هذه الأوثان فيما يفعلونه معها من هذا الشرك ، على أن الواقع من هؤلاء المشركين مع معبوديهم أعظم مما وقع من أولئك . فالله المستعان)[٢].

وقال - رحمه الله- شرحًا لحديث "أبي واقد الليثي" ﷺ حين قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى (حنين) ونحن حدثاء عهدٍ بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها (ذات أنواط) ، فمررنابسدرةٍ ، فقلنا :يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله ﷺ : (**الله أكبر ، إنها السنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى :** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨ **لتركبن سنن من كان قبلكم**)[٣] .

ففيه : الخوف من الشرك ، وأن الإنسان قد يستحسن شيئًا يظنه يقربه من الله ، وهو أشدّ ما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه . ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الأزمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور ؛ من الغلو فيها ، وصرف جل العبادة لها ، ويحسبون أنهم على شيء ، وهو الذنب الذي لا يغفره الله[٤].

---

(١) **هو** : عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب . فقيه حنبلي ، من علماء نجد ،تفقّه بنجد ثم مصر ، ثم عاد إلى نجد ، واشتهر فيها ، وتولى القضاء ، ومات بها سنة (١٢٨٥هـ - ١٨٦٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، مرجع سابق ، (٣٠٤/٣)

(٢) عبد الرحمن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض ، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) ، (٢٥٨/١)

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢١٨/٥) والترمذي في الجامع رقم (٢١٨١) وقال : حسن صحيح . والنسائي في السنن الكبرى كما في تحفة الأشراف (١١٢/١١) وأبو يعلى في المسند ، رقم (١٤٤١) وابن أبي شيبة في المصنف (١٠١/١٥)

(٤) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، مرجع سابق ، (٢٥٨/١ - ٢٦١)

ط - الحلف بغير الله تعالى :

أشار "علي الزهراني" إلى ما أحدثه الناس في ذلك ، وما حملهم عليه ، فقال : ((اعتاد الناس أن يحلفوا بغير الله تعالى من المخلوقين ، وكان حلفهم ينبعث في الغالب من تعظيم المحلوف به ، وخوفهم ورهبتهم منه واعتقادهم في نفعه وضره ، وما أسهل أن يحلف الإنسان منهم بالله كاذبًا عامدًا متعمدًا ! ولكن لا يجرؤ أن يحلف بما عظمه من المخلوقين إلاصادقًا))[(١)].

ففي سوريا كان الحلف بغير الله شائعًا عند الأضرحة والمشاهد والمزارات في مختلف الأقاليم والولايات ، ففي (حلب) زاوية تعرف بمزار الشيخ "جاكير" ، لها شيء من الأوقاف ، وكان أهل (حلب) يحلفون عند ضريحه تعظيمًا له ؛ بل كانوا يحلّفون المتهمين والمظنونين عند قبر هذا الشيخ ، فلا يجرؤ أحد على الحلف بباطلاً ؛ لما كان يعتقده الناس أن من حلف عنده كاذبًا نُكب في نفسه ، أو ماله ، أو ولده[(٢)].

وكان مما يحلف به الناس : ما اعتقدوه في الإمام "البخاري"[(٣)] - رحمه الله - من زعمهم أنه من الأولياء عندهم ، فكانوا يحلفون بصحيح البخاري أكثر ممّا يحلفون بالقرآن العظيم الذي هو كلام الله وصفة من صفاته ؛ بل كان الواحد منهم يحلف بالله أو بالقرآن كاذبًا ، ولا يجترئ أن يحلف بالبخاريّ وكتابه كاذبًا ؛ لما شاع عندهم وقتئذ أنّه يستشيط غضبًا لنفسه ممن حلف بصحيحه كاذبًا .

ي - انتشار السحر والكهانة :

كان بعض العوام لا يكاد يميز بين السّحر والكرامات ؛ إذ إن بعض السحرة قد بلغ مبلغًا كبيرًا من الدهاء والمعرفة ، بحيث يخفي أعماله الخبيثة ويتظاهر بالأعمال الصالحة ، فإذا نظر إليه الناظر أحسن به الظن وسلكه في عباد الله الصالحين ، ثم إذا ظهر على يديه خارقٌ ظن أن ذلك كرامة له . فمن هنا رغب بعض الساعين للجاه والمكانة والتصدر والتسمي بأسماء الولاية والاتصاف بصفاتها عند الناس أن يتظاهروا بالزهد من جهة ، ويستخدموا بعض أنواع السحر من جهة أخرى ؛ ليُحسَبوا من

---

(١) علي بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، مرجع سابق (٣٧٠/١)

(٢) كامل حسين الحلبي الغزالي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق (٥٠٧/٢)

(٣) **هو** : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري . حافظ ، محدث . ولد في (بخارى) ، ورحل في طلب العلم إلى الأقاليم . توفي في (خرتنك) من قرى (سمرقند) سنة (٢٥٦هـ-٨٧٠م)

يُنظَر في ترجمته : الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت – لبنان ، بدون سنة الطبع (٥٥٥/٢)

الأولياء . ولقلة العلم وغلبة الجهل ورواج الخرافة ، ولما يحصل لهم من سمعةٍ ، والتفاف المريدين حولهم - وربما يزكيهم بعض الأخيار اغترارًا بحالهم - فشت أنواع من السحر لدى بعض مدعي التصوف ، وبعض القبوريين[١].

وهناك حقائق أخرى كلها تثبت علاقة الصوفية بالسحر ، وعملهم به واستخدامه لإظهار الخوارق التي يقولون للناس : إنها كرامات[٢].

كان أحد مشايخ الصوفية من بلاد الشام يجلس في المسجد الحرام في (مكة المكرمة) ووجهه إلى الكعبة ، وأما تلامذته فيجلسون صامتين ووجوههم إلى الشيخ ؛ لأن النظر – عندهم - إلى وجه الشيخ عبادة ، ولو لم يكن يلقي عليهم درسًا . وعندما يقوم من مجلسه يسرعون لخدمته ، فأحدهم يمسك له الحذاء ، وآخر يناوله العصا ، ويمشون وراءه كأن على رؤوسهم الطير[٣].

وهذا صوفي آخر من بلاد الشام يوزع على تلامذته ورد "الشاذلية"[٤] ، وأوله بالحرف الواحد (اللهم انشلني من أوحال التوحيد وأغرقني في عين بحر الوحدة)[٥].

حقًّا لقد كان الانتساب إلى الطرق المشهورة ضربة لازب ، لا تكمل قيمة صاحبه إلا أن يعتنق طريقةمَّا ،حتى الفقهاء والعلماء لم يسلموا ، فرأينا منهم الشافعي مذهبًا والشاذلي طريقة ، وإن لم يمارس طقوسهم ولم يعتقد الكثير من عقائدهم ، ولكنه التقليد والخوف من الخروج عن المألوف .

وأقف مع هذين المثالين عدة وقفات يجدر التنبيه عليها :

١- أنه ليس هناك تربية ذليلة للأتباع ، ولا طاعة عمياء ، ولا شخصية

---

(١) أحمد بن حسن المعلم ، القبورية ، نشأتها ، آثارها ، موقف العلماء منها ، (اليمن أنموذجًا) ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، (ص٤٠٦)

(٢) أحمد بن حسن المعلمي ، القبورية ، نشأتها ، آثارها ، موقف العلماء منها ، (اليمن أنموذجًا) ، مرجع سابق (ص٤٠٨)

(٣) محمد العبدة ، وطارق عبد الحليم : الصوفية نشأتها وتطورها ، طبعة دار الصفوة بـ(القاهرة) – مصر - ، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، (ص١٢١)

(٤) **الشاذلية** : طريقة صوفية تنسب إلى "أبي الحسن الشاذلي" ، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وتربيته . يشتهرون بالذكر المفرد (الله)أو مضمرًا (هو)

يُنظَر : ينظر الشاذلية عرض ونقد ، رسالة دكتوراه لم تطبع ، جامعة الإمام بالرياض (٢٠٠٧م – ١٤٢٧هـ)

(٥) محمد العبدة ، وطارق عبد الحليم : الصوفية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، (ص١٢١)

أضعف مما أنتجته هذه المناهج المخالفة لأهل السنة والجماعة عبر القرون المتتابعة ، فهاتان مدرستا التصوف و الرفض تحولان تلاميذهما إلى آلات جوفاء ، تردد ما يقال لها بلا تفكير ولا اعتراض . وهنا يظهر لنا وجه من الوجوه المشتركة بين الفريقين :

لقد مشت الجماهير المغفلة في القرن الماضي والقرون قبله وراء ساداتها وشيوخها ، يقبّلون أيديهم وينحنون لهم تعظيمًا ، ولا يتكلمون إلا إذا تكلم الشيخ ، ويصدقونه في كل ما يقول ، ويحملون له حذاءه وسجادته ،وسمّوا كل هذا في كتبهم تحت عنوان (آداب المريد)[١]

ألم يقولوا لمريديهم :(كن بين يدي الشيخ كالميت بين يدي المغسّل ، ولا تعترض فتطرد ، وإن من الأدب تعظيمه ظاهرًا وباطنًا ، ولا تصاحب له عدوًا ، ولاتعادِ لهصديقًا ، ولا تكتم عنه شيئًا مما خطر في بالك ، ولا تسافر ولا تتزوج إلا بإذنه ؟ وأعظم من هذا قالوا :وحُرِّم على المريدين السؤال ؛ لأن الشيخ قد يكون جاهلاً فينفضح)[٢] .

ألم يقولوا : (مَن صحب شيخًا من الشيوخ ثم اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ، ووجبت عليه التوبة ؟ ألم يقل شيوخهم :إنّ حقوقهم لا توبة منها؟)[٣] .

٢- إن دعوتهم إلى التسليم والخضوع لهؤلاء المشايخ مرده إلى الجهل ، والبعد عن العلوم الشرعية،وخصوصًا فيما يتعلق بعلم الحديث والفقه ، إذإنّ المريد يسأل شيخه سؤالات فينكشف زيف ذلك الشيخ ، وتهتز الثقة فيه فلا يبقى حوله أحد.

٣- تظهر في المثال الثاني خرافة من خرافات الصوفية ، وشطحة من شطحاتهم ، تصادم سنن الله في جريان الصراع بين الحق والباطل وبقائه وديمومته ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴿٢١٧﴾﴾ البقرة: ٢١٧ .

---

(١)صنف العلماء سلفًا وخلفًا كتبًا ورسائل في آداب العالم والمتعلم ؛ مثل : **تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم** ، لابن جماعة الكناني ، و **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع** ، للخطيب البغدادي ، و **جامع بيان العلم وفضله** ، لابن عبد البر -عليهم جميعًا رحمة الله- . ولم يضمنوها مثل هذا الخضوع المذموم .

(٢) عبد الرحمن الوكيّل ، هذه هي الصوفية ، ط دار الكتب العلمية ، (ص١٠١)

(٣) المصدر نفسه ، (ص١٠١)

إنها المساواة بين المؤمن والكافر ، وبين من يعبد الله عز وجل ومن يعبد البقر ، والنار ، والوثن ، إنها (وحدة الوجود)[1].

ك - مظاهرة المشركين ومناصرتهم على المسلمين :

كان سقوط خلافة "بني عثمان" أشبه بسقوط بلاد المسلمين في (الأندلس) ؛ حيث تمالأ عليها النصارى ، وصار كثير من قادة الولايات يسارعون في أهل الكتاب ويتقربون إليهم ، ويستنصرون بهم على إخوانهم المسلمين . وقد سجل لنا تاريخ هذا القرن شواهد ثابتة من مراسلات ، ولقاءات ، ومؤتمرات ، ووثائق ، لا تزال محفوظة إلى اليوم . ولعلي أشير إلى شيء من ذلك على سبيل الاختصار ، أما التفصيل فأودعه عند المبحث الخاص بدراستي للحالة السياسية لبلاد الشام .

فمن الإشارات المتعلقة بالصورة السابقة :

١- سعْي بعض رجالات الفكر في بلاد الشام للقضاء على الخلافة العثمانية ، وتكوينهم جمعيات سرِّية تخدم مصالح الاستعمار.
٢- مساندة المستعمر الفرنسي والبريطاني التي ظهرت في إعلان الثورات العربية والدعوة إليها ، والتسابق المحموم في الدخول تحت لوائه.
٣- تحول الولاءات من مفهومها الإسلامي القائم على محبة المؤمنين ، ومناصرتهم ، والدفاع عنهم ، والبراءة من الكفار ، مع دعوتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن ؛ لتكون مبنية على الولاءات الجاهلية كالتعصب للعرق ، والجنس ، أو على المنافع الشخصية .

---

(١) **وحدة الوجود :** عقيدة إلحادية هندية ، قال بها فلاسفة اليونان القدماء ،وتبعهم عليها بعض المذاهب الفلسفية المعاصرة وغلاة الصوفية ، تقوم على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر ، فكل شيء هو الله ، واختلاف الموجودات هو اختلاف في الصور والصفات مع توحد في الذات، وهي بذلك امتداد لعقيدة الحلول .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، (١١٦٨/٢)

القسم الثاني : البدع المحدثة :

وأما الحديث عنها فأدعه للشيخ "جمال الدين القاسمي"[1] ، ـعلاَّمة الشام في زمانهـ ، الذي ألف كتابًا سماه (إصلاح المساجد من البدع والعوائد) وقد صوّر لنا ما ابتليت به بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري من طغيان البدع وفشو الجهالة ؛ حتى حمله ذلك على بيان الحق ،ونشْره بين الناس ، فقال في مقدمته : ((فلما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين ، والمهم الذي ابتعث الله له النبيين ، وجب على كل مستطيع له أن يقتحم لوجه الله سبله ؛ خشية أن تعم البدعة وتفشو الضلالة ، ويتسع الخرق ، وتشيع الجهالة ؛ فتموت السنة ، ويندرس الهدي النبوي ، ويُمحى من الوجود معالم الصراط السوي .ولمّا أضحت البدع الفواشي كالسحب الغواشي ، يتعذر على البصير حصرها ، وضبط أفرادها وسبرها ، رأيت أن أدلّ بجزئيٍّ منها على كلياتها ، وبنبذة منها على بقياتها ؛ وذلك في البدع والعوائد ، الغاشية في كثير من المساجد ؛ لأني ابتليت كآبائي بإمامة بعض الجوامع في دمشق الشام ، وبالقيام بالتدريس العام ، فكنت أرى من أهم الواجبات إعلام الناس بما ألم بها

(١) **هو** : جمال الدين أو محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق من سلالة الحسين السبط . إمام الشام في عصره . كان سلفي العقيدة ، لا يقول بالتقليد ، وكانت له دروس للعامة والخاصة ، وبحوث في الصحف والمجلات .وُلِد في (دمشق) ، وتوفي بها سنة (١٣٣٢هـ - ١٩١٤م)

يُنظَر في ترجمته : ظافر القاسمي ، جمال الدين القاسمي وعصره ، طبعة مكتبة أطلس ، دمشق (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)

من البدع والمنكرات .....الخ))[1].

ومن أبرز مظاهرها :

أ - **إحياء الموالد النبوية** : وكان "العثمانيون" يحتفلون بها رسميًّا ، ويحضر السلطان في الجامع الذي يختاره لهذه المناسبة ، ويجتمع معه الأمراء والعلماء والوزراء بملابسهم الرسمية وعلى صدورهم النياشين بأنواعها ، ثم يقفون في صفوف متراصة ، ونظام تام ينتظرون تشريف السلطان . وفي هذه الليلة يخرج السلطان من قصر (يلديز) ممتطيًا جوادًا مطهمًا بمسرج من الذهب الخالص وقد حف الموكب به ، ورفعت على رأسه الأعلام ، ويسير وسط الجماهير المحتشدة حتى يصل إلى الجامع ، فيبدأ في رسوم المولد وفقراته حتى تنتهي ، فيعود إلى قصره[2].

ولم يكن الاحتفال خاصًّا بدار الخلافة العثمانية فحسب ؛ بل شمل ذلك ولاياتها، فتعطلت مصالح الناس ومنافعهم شغلاً بالمناسبة . ففي يوم الثلاثاء (١٣٦٣/٣/١٢هـ الموافق ١٩٤٤/٣/٧م) عطلت الحكومة السورية أعمالها بمناسبة المولد النبوي ، وجرى احتفالٌ ضخم بقراءة قصة المولد بعد الظهر في (الجامع الأموي) حضره "رئيس الجمهورية" ، وأقيمت معالم الزينة من مدخل سوق (الحميدية) حتى باب الجامع ،فرُفعت من الأغصان بعض القباب والأقواس ،وزُشرت الأعلام على أبواب الحوانيت ،ومُدّت من أول السوق إلى آخره أسلاكٌ عُلِّق بها كثير من المصابيح الكهربائية ، ومشت أمام "رئيس الجمهورية" في مجيئه إلى الجامع وعودته مظاهرات شعبية ، وعلت أصوات المتظاهرين بالأناشيد البلدية ، وكان بعضهم يطلق الرصاص في الهواء ، وكان منظر السوق في الليل بهيجًا بما اتَّقد فيه من المصابيح ،ومزدحمًا بالمظاهرات التي مشت فيه . وقد زُيِّنت دوائر الحكومة . وفي مساء اليوم التالي أقام نادي "فيصل الثقافي" في المجمع العلمي حفلة لذكرى المولد ، ألقيت فيها الكلمات والقصائد[3].

وقد وصل الاحتفاء بيوم المولد النبوي أن تفتتح المشاريع العامة فيه ، ففي عام

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد - تخريج العلامة "الألباني" – إشراف "زهير الشاويش" – ط السادسة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) - المكتب الإسلامي (ص٩)

(٢) علي بن بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، مرجع سابق (٣٩٠/١)

(٣) علي بن بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، مرجع سابق (٣٩٠/١).

(١٢٨٤هـ) كان الشروع بتعبيد طريق (اسكندرونه)[١]، وكان ابتداء العمل به في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول تبركًا وتيمنًا[٢].

ب - الاحتفالات بالموالد الأخرى : إن من شأن البدعة أن تجر إلى أختها ، وعادة أصحاب البدع ألا يُحْدثوا بدعة حتى يسارعوا إلى إحداث غيرها . ففي بداية الأمر كان يقتصر على الاحتفال بالمولد النبوي ، ثم تعدى ذلك إلى الاحتفال بموالد بعض الأنبياء ، ثم تعدى إلى موالد كثير من الأولياء والصالحين ، ووصل الأمر إلى الاحتفال بموالد بعض المعتوهين والمجانين . ففي فلسطين من هذه الموالد ما سموه بمولد "موسى"-عليه الصلاة والسلام - الذي كان يحتفل به احتفالاً عظيمًا في(القدس)؛ حيث اجتمع الناس من الأمراء والذوات والعلماء والباشاوات ، واصطف العساكر على الجانبين من باب الأقصى إلى باب قبة الصخرة ، ومعهم "متصرف القدس" ، وخرجوا به من الباب الشمالي ، وركب معه المفتي ، فصار المسجدمزدحمًا بالزوار ، وأرباب الإشارات -ويقال لهم : السيارات - ، وكذلك الطرقات من حول المسجد . وكان الناس يزورون المقام المنسوب إلى "موسى" - عليه الصلاة والسلام - أثناء احتفالهم بمولده ، ويقع لهم من المشقة والعناء عند القدوم إليه ؛ حيث يبيتون تحت المطر في الصحراء ، وفي البرد الشديد ، مع وعورة الطريق ؛ حتى إنه ليهلك جملة منهم في تلك الرحلة[٣]

ولا ينقضي العجب إذا تأملنا أن كثيرًا من موالد الأنبياء كان يُحتفل بها في مواعيد معينة على الرغم من أن تواريخها بالتأكيد مجهولة ، كما أن أكثر القبور والمشاهد المنسوبة إليهم مكذوبة ، ومع ذلك تتعلق بها نفوس الدهماء من الناس دون تفكرٍ أو إعمال عقل.

ج - قراءة صحيح البخاري لدفع نازلٍ من غازٍ أو وباءٍ شديد ونحوهما :

يقول الشيخ "جمال الدين القاسمي" في كتابه (إصلاح المساجد من البدع والعوائد) : ((وقد جرى على العمل بذلك كثير من رؤساء العلم ومقدمي الأعيان إذا ألمّ بالبلاد نازلة مهمة ، فيوزعون أجزاء (الصحيح) على العلماء والطلبة ، ويعيّنون للختم يومًا يفدون فيه لمثل الجامع الأموي أمام (المقام اليحيوي) في (دمشق) وفي غيرها ؛

---

(١) **اسكندرونة** : مدينة تقع على البحر المتوسط ضمن محافظة (هاتاي) التركية اليوم .

يُنظَر : ويكيبيديا الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٢)علي بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرن الثالث عشر والرابع عشر ، مرجع سابق (٣٩٧/١)

(٣) محمد لبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية ، مطبعة المعارف ، الناشر "محمد سعيد كمال" ، (الطائف) ، الطبعة الثالثة (ص١٦٢)وأيضًا : "محمد عبد الجواد القاياتي" ، نفحة البشام في رحلة الشام ، مرجع سابق (ص٩٦)

كما يراه مقدَّموها . وهذا العمل ورثه جيل عن جيل منذ انتشار ذلك القول ؛ بل كان ينتدب بعض المقدمين إلى قراءته موزعًا ، ثم ختمه اجتماعًا ؛ لمرض والي بلدةٍ مّا أو عظيم من عظمائها ؛ مجانًا ، أو بجائزة . بل قد يُستأجَر لخلاص وجيه من سجن ، أو شفائه من مرض على النحو المتقدم ؛ تقليدًا لمن مضى))[1].

وقد كانت هذه البدعة منتشرة في بلدان شتى ؛ حتى إن السلطان العثماني في سنة (١٢٠٢هـ - ١٧٨٧م) أرسل أموالاً لتفرّق على طلبة العلم في الأزهر ؛ ليقرأوا له صحيح البخاري ، ويدعوا له بالنصر[2].

وكان مما جُزِم بحقّيّته : أنه لما قدم الفرنسيون إلى (مصر) ، وقبل دخولهم (القاهرة) ، كان العلماء يجتمعون في الأزهر كل يوم ، ويقرأون البخاري وغيره . وكذلك : مشايخ (الأحمدية)[3] ، و(الرفاعية)[4] ، و(القادرية)[5] ، وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير ، ويعملون لهم مجالس في الأزهر . وخرجت أرباب الأشاير بالطبول والزمور والأعلام والكاسات ، وهم يضجون ويصيحون ، ويذكرون بأذكار مختلفة . ويُذكر أيضًا : أن العامة لما التحم القتال ضجوا بالصياح ورفع الأصوات قائلين : (يا رب ! يا لطيف ! يا رجال الله !) حتى حلت الهزيمة في خلال ثلاثة أرباع

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، مرجع سابق (ص٢٢١)

(٢) عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الفارس ، بيروت (٥٣/٢)

(٣) **الأحمدية** - وتسمى : المحمدية ، و"التيجانية" - : طريقة صوفية ، تنسب إلى "أبي العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد التيجاني" . تزعم أن "الفاتح التيجاني" لقي النبي ﷺ ولقنه دعاء الفاتح وبلّغه الطريقة مباشرة .

يُنظَر : اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ،بحث عن الطائفة "التيجانية"، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، الطبعةالثالثة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

(٤) **الرفاعية** : منسوبة إلى أبي العباس أحمد بن الحسين الرفاعي ، ويطلق عليها (البطائحية) ، نسبوا إليه الأساطير والخرافات حتى رفعوه لمقام الربوبية .

يُنظَر: عبد الرحمن دمشقية ، الرفاعية دراسة مستفيضة عن مبادئهم وأحوالهم من خلال كتبهم ومصادرهم ومن متابعة بعض أحوالهم ميدانيًّا ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

(٥) **القادرية** : طريقة صوفية ،تنسب إلى "عبد القادر الجيلاني" ، يزعم أتباعها أنه أخذها عن "الحسن البصري" عن "الحسن بن علي بن أبي طالب" ، ونسبوا لشيخ الطريقة معرفته بالغيب ، وإحياء الموتى ، ودفع الكروب ، ونحو ذلك من الشركيات .

يُنظَر : سعيد بن مسفر القحطاني ، الشيخ عبد القادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، رسالة ماجستير لم تطبع ، جامعة أم القرى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)

الساعة[1].

أما كان على العلماء وطلبة العلم أن يدافعوا عن بيضة الإسلام بإعداد العدة ، وتهيئة النفوس ، وتثبيت الناس ، وحمل السلاح ، والقتال في سبيل الله ؛ وقد داهمهم العدو في ديارهم بدلاً من هذا الهراء ، والقعود إلى الأرض .

ولعل مستمسك العلماء في صنيعهم هذا ما ذكره بعض شراح (صحيح البخاري) عند تقريرهم لفضل (كتاب البخاري) على (كتاب مسلم) ،وذكرهم وجوه التفضيل ، ومن هؤلاء : "الحافظ ابن حجر"[2] في مقدمته (هدي الساري) ؛ حيث قال بعد سرد الوجه السادس من وجوه تقديم صحيح الإمام البخاري على صحيح الإمام مسلم : ((وإذا تقرر ذلك فليقابل هذا التفضيل بجهة أخرى من وجوه التفضيل غير ما يرجع إلى نفس الصحيح ، وهي ما ذكره الإمام القدوة "أبو محمد بن أبي جمرة" في اختصاره للبخاري، قال : قال لي من لقيته من العارفين عمن لقي من السادة المقر لهم بالفضل : إن صحيح البخاري ما قرئ في شدّةٍ إلا فُرجت ، ولا رُكب به في مركبٍ فغرق . قال : وكان مجاب الدعوة ، وقد دعا لقارئه - رحمه الله تعالى - ...))[3].

وذكر ذلك أيضًا "شهاب الدين أحمد القسطلاني"[4] في شرحه على البخاري المسمى (إرشاد الساري) حيث قال : وقال الحافظ "عماد الدين بن كثير" : وكتاب البخاري الصحيح يُستسقى بقراءته الغمام ، وأجمع على قبوله وصحة ما فيه أهل الإسلام[5].

---

(١)عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، مرجع سابق ، (١٨٦/٢)

(٢) **هو** : أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ، أبوالفضل شهاب الدين ، ابن حجر . من أئمة الحديث والتاريخ . ولد وتوفي بـ(القاهرة) . رحل إلى اليمن والحجاز ، وقصده الناس للأخذ عنه ، واشتهرت مؤلفاته . ولي القضاء عدة مرات ثم اعتزل . توفي سنة (٨٥٢هـ - ١٤٤٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٧٨/١)

(٣) أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مقدمة فتح الباري المسماة (هدي الساري) طبعة دار السلام بالرياض ودار الفيحاء بـ(دمشق) (ص:١٦)

(٤) **هو** : أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني ، القتيبي ، المصري ، أبو العباس شهاب الدين ، مولده ووفاته في (القاهرة) .كان معروفًا بالتصوف ، وملأ تآليفه منه . توفي سنة (٩٢٣هـ - ١٥١٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٣٢/١)

(٥) أحمد شهاب الدين القسطلاني ، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م) ، (٥٢/١)

وللرد على هذه الشبهة أقول :

=

=

أولاً : إن "أبا محمد عبد الله بن أبي جمرة لم يسمِّ لنا مَن حدّثه ولقيه من العارفين ، وإنما اكتفى بلفظ (العارف أو السيد) وهذا من المبهم الذي يردّه أهل الحديث ولو كان بلفظ التعديل على الصحيح ؛ كقول الراوي : حدثنا الثقة ، أو المتقن ، أو العدل ، أو الضابط . فكذا العارف والسيد ؛ لاحتمال ألا يكون ثقة أو مقبولاً عند غيره وإن كان ثقة ومقبولاً عنده .

ثانيًا :إن هذه العبارة مع كونها ليس لها زمام ولا خطام بل تلقّاها الناس جيلاً بعد جيل ، فإنها لا تعد نصًّا يجب التسليم به ، ولا يجوز الخوض فيه ، وإنما الواجب التسليم به هو كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ الصحيحة .

ثالثًا:إن هذه العبارة تثير جدلاً وشكًّا حتى عند المخدوعين والقائلين بها ،فواقع المسلمين يكذّب ذلك . فهذه مصر ؛ ألم يحتلها الفرنسيون ثم البريطانيون ؟ ألم تسقط الخلافة العثمانية على أيدي اليهود ، ثم لم تقم لها قائمة بعد ذلك ؟ ألم يُهزَم العثمانيون في معارك خاضها سلاطينهم ، بعد أن طلبوا من العلماء قراءة صحيح الإمام البخاري ، أم إنهم كانوا يقرأون عليهم لا لهم ؟

رابعًا : هل يقول قائل : إن قراءة صحيح البخاري لرد عدو ، أو دفع بلاء ،أو فكّ أسير ، أو شفاء مريض خير من قراءة القرآن الذي هو كلام الله تعالى المنزل على رسوله ﷺ ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟ وكيف وقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧﴾ **يونس: ٥٧** .

خامساً : إن هذا الصنيع من هؤلاء العلماء لو سلِّم به جدلاً ولو كان الاشتغال والحالة هذه بكتاب الله تعالى لكان ذلك مخالفًا لحاله - عليه الصلاة والسلام - عند تحزب الأعداء لحربه ؛ فإنه كان يعد العدة ويجهز الجيش ، ويبعث العين على العدو ، ويحمل درعه ، ويركب فرسه ، ولم يكن يشتغل هو وأصحابه عن ملاقاة العدو بالجلوس في المسجد وقراءة القرآن في الزوايا ، ولا بالهتافات والصراخ ، والإغراق في البدع والخرافات . ألم يحفر ﷺ الخندق هو وأصحابه ، وينقلون التراب في الليالي الشاتية الباردة ، وينيب أحد أصحابه ليرعى أهل المدينة ويحفظ نساءهم وذراريهم ؟ ألم يدع ﷺ إلى الله على بصيرة هو وأصحابه خلال ثلاث وعشرين سنة ؟ أما قاد جيش المؤمنين في بدر وأحد حتى شجَّ - عليه الصلاة والسلام - وكسرت رباعيته ؟ أما سار بأصحابه إلى (تبوك) عام العسرة واشتداد الحرّ ؟ أما دخل يوم الفتح وعلى رأسه المغفر حتى جاء الحق وزهق الباطل ؟ وقد قال تعالى : ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ **الأحزاب: ٢١** .

سادسًا : نقل الشيخ "محمد جمال الدين القاسمي" عن أحد الفضلاء الأزهريين أنه كتب لأحدى المجلات العلمية بمصر انتقادًا على هذه الحالة بما يشفي صدور الناقمين على البدع ، سأقتصر على ذِكْر بعضها ، وهي تحت عنوان : (بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ؟)قائلاً : دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الأزهر بقراءة (متن البخاري)موزَّعًا كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة ، جريًا على عادتهم من إعداد هذا المتن أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفريج الكروب ، فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم الأسلّ، وفي الحريق مقام المضخَّة والماء ، وفي الهيضة مقام الحيطة الصحية وعقاقير الأطباء ، =

د - الإنشاد قبل خطبة الجمعة :

حيث يجتمع المؤذنون على السدّة المقابلة للمنبر في الجامع ، ويتحلقون للصراخ بالصلوات النبوية قبل صعود الخطيب ، وبعد صعوده ينتهون بالصلوات إلى ثلاث مرات ، ويزعقون في قولهم : ((وعلى آل محمد))زعقًا شديدًا . وحكى الشيخ "محمد جمال الدين القاسمي" أنه رأى في بيروت في بعض جوامعهاشخصًا ينشد مدائح نبوية

=

وفي البيوت مقام الخفراء والشرطة . وعلى كل حال فهو مستنزل الرحمات ، ومستقر البركات . ولما كان العلماء أهل الذكر ، والله تعالى يقول : ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ النحل: ٤٣ ، فقد جئت أسألهم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله ﷺ أو رأيٍ مستدلٍّ عليه لأحد المجتهدين الذين يقلدونهم : إن كانوا قد أتوا هذا العمل على أنه ديني في دائرة المأمور به . وإلا ؛فعن أيِّ حذاق الأطباء تلقّوه ؟ ليتبين للناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء الهيضة عن الأمة ، وأن هذا داخل في نواميس الفطرة أو خارج عنها خارق لها .وإذا كان هذا السرُّ العجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فَلِمَ خُصَّ بهذه المزية مؤلَّف البخاري ؟ ولِمَ لَمْ يجز في هذا (موطأ مالك) وهو أعلى كعبًا ، وأعرق نسبًا ،وأغزر علمًا ،ولا يزال مذهبه حيًّا مشهورًا ؟ وإذا جروا على أن الأمر من وراء الأسباب فَلِمَ لَمْ يقرأه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرأونه لإزالة المغص أو القيء أو الإسهال ، أو حتى تذهب الشحناء من صدور كثير من أهل العلم ؟ (أي : من أهل الجامع الأزهر) وعلى هذا القياس يُقرأ لكل شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة . فإن لم يستطيعوا عَوْرَ هذا الدواء إلى الأطباء سألتُ المُلِمَّ منهم بالتاريخ أنْ يرشدنا إلى مَن سنَّ هذه السنة في الإسلام ،وهل قُرِئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة ؟ فإنا نعلم أنه قُرِئ للعُرابيِّين في واقعة (التل الكبير) في (مصر)فلم يلبثوا أن فشلوا ومُزِّقوا شرّ ممزّق ! ونعلم أنه يُقرأ في البيوت لتأمن من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس مذكورًا في جانب أجر شركة التأمين المعروفة ، مع أن الناس يتسابقون إليها تسابقهم إلى شراء الدواء إذا نزل الداء ، ويعدلون عن الوقاية التي نحن بصددها وهي تكاد تكون بالمجان ، ويجدون في نفوسهم اطمئنانًا دون هذه . فإن لم يجد العلماء عن هذه المسألة إجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الأقلام عليهم حملةً تُفقِد الثقة بهم حتى من نفس العامة ،وحينئذٍ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة ، واتهام العلماء بالتقصير ، وكون أعمالهم حجة على الدين ... إلى أن قال : هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم نرفعه إليكم ؛ ليكونوا على بينةٍ منه؛ لأنهم لا يختلطون بالناس غالبًا إلا في الولائم والمآتم وان اختلطوا فقلّما يناقشونهم في شيء تحرُّرًا من حدتهم في المناقشة ، ورميهم مناظرهم لأول وهلةٍ بالزيغ والزندقة ؛ فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية الهجر والمعاندة .أمّا أنا فإني لأزال ألحّ في طلب الجواب الشّافي عن أصل دفع الوباء بقراءة الحديث ، وعن منح متن البخاري مزيّة لم يُمْنَحْها كتاب الله الذي نعتقد أنه مُتَعَبَّدٌ بتلاوته دون الحديث . ولو كان من غير العلماء الرسميين لضربت عنهم وعن عملهم صفحًا ، ولما خططت كلمة ، ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية يزاحمون بها مراكز الأمراء ، فيجب أن يُؤْبَه لهم ، وأن ينظر لعملهم بإزاء مركزهم من الأمة التي يُسألون عنها . والله ولي التوفيق .

عن الجمع الموجودين ، ويختار لذلك في الجوامع المهمة من يكون صوته حسنًا مطربًا ، وكان يفعل ذلك كل ليلة ، أو ليلة الاثنين والجمعة في الجامع الشهير في (دمشق)[١].

هـ - نشيد وداع رمضان :

وكان عادةً جاريةً في أغلب المساجد ؛ وذلك أنه إذا بقي من رمضان خمس ليال أو ثلاث يجتمع المؤذنون والمتطوعون من أصحابهم ، فإذا فرغ الإمام من سلام وتر رمضان تركوا قراءة المأثور من التسبيح ، وأخذوا يتناوبون مقاطيع منظومة في التأسُّف على انسلاخ رمضان ، فمتى فرغ أحدهم من نشيد مقطوعة بصوته الجهوري أخذ رفقاؤه بمقطوعة دورية ، باذلين قصارى جهدهم في الصيحة والصراخ بضجيج يصم الآذان ويُسمِع الصُّمَّ ، ويساعدهم على ذلك جمهور المصلين . ولعلم الناس بأن مثل تلك الليالي هي ليالي الوداع ترى في أطراف المسجد وعلى سدده وأبوابه وداخل صحنه النساء والرجال والشبّان والولدان بحالة تقشعر لقبحها الأبدان[٢].

و - الحافظون لنعال الناس في المساجد :

حيث يوجد من يأخذ نعال الداخلين إليها ، ويحفظها لهم في موضع يغصبه من المسجد بدراهم تدفع له بعد قضائهم الصلاة ، أمّا هؤلاء فلا يحضرون جمعة ولا جماعة[٣] .

ز - إيواء القطط في المساجد :

حيث صارت مأوىً للقطط المؤذية : فكل من كان عنده هرٌّ مؤذٍ أرسله إلى الجامع دون أن يفكر في تلويثها للمساجد ، وقد شوهد ذلك مرارًا كما يقول الشيخ "جمال الدين القاسمي" .فإنّا لله وإنّا إليه راجعون[٤] !

ح - إيواء المجاذيب[٥] في بعض المساجد :

حيث كانوا يأوون إلى حجرات فيها ، أويتوطّنون أروقتها ، فيقذرون جانبًا منها . فكم ترى من يتسوَّل عاريًا من اللباس ،وطورًا يُشاهد منهم من يهيمون على وجوههم في الشوارع ، مقلقين راحة السكان بما يأتونه من الأمور المغايرة ، من رؤوس مكشوفة ،وعورةٍ غير مستورة وإسدالِ شعور للأطفال والنساء مخيفة . ومن العامة

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، مرجع سابق (ص١٢٤)

(٢) المصدر نفسه (ص١٢٧)

(٣) المصدر نفسه (١٥٨)

(٤) المصدر نفسه (ص١٥٩)

(٥) المجاذيب : المجانين والمعتوهون .

من يعتقد في مثل هؤلاء الولاية . نعوذ بالله من الجهل والضلال[١] !

ط - دعاء ليلتَي أول السنة وآخرها :

وهو دعاء مخترع لم يؤثر عن النبي ﷺ ، ولا عن أصحابه ، ولا عن التابعين . وهو من مخترعات بعض المتصوفة، ومن أعظم الفرى فيه على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ قول مخترعه :إنّ من قرأه يقول الشيطان منه : (قد تعبنا معه طول السنة فأفسد عملنا في ساعة)[٢].

ي - تبليغ المؤذنين جماعة :

وذلك أن المبلغين يتواكلون في التكبير ، ويديرونه بينهم ، ويقطعونه ، ويوصلونه ؛ وذلك أن بعضهم يبتدئ به ،ثمّ يبتدئ الآخر من أثناء الكلمة اصلاً صوتَه بصوت صاحبه قبل انقطاعه ،مبالغًا في رفع صوته على سبيل العمد ، فلا يأتي بالتكبير على وجهه . وفي هذا من المفاسد مالا يخفى ؛ كذهاب الخشوع والحضور في الصلاة ، ومفسدة انتظار الإمام لهم ، وذلكأنّ الإمام يكبّر للركوع ويركع ، فيكبّرون خلفهويطوِّلون برفع أصواتهم عليه ،فإمَّا أن يرفع رأسه من الركوع قبل أن ينقضي تكبيرهم ،وإماّ أن ينتظر فراغهم منه ، فينعكس الأمر ويصير الإمام تابعًا للمأموم . ومنها مخالفة السنّة ، ولا يقال : قد يكون في الجامع كثير فلا يبلغهم صوت الواحد ؛ لأن الواحد الصَّيِّت يكفي في ذلك ، كما يكفي لإسماعهم وهو بين يدي الخطيب يؤذن . وخلافه مكابرة[٣].

ك - اتخاذ الجوامع خانقاهات :

فمن المعلوم أن السلاطين السالفين شادوا للصوفية خانقاهات (تكايا) ، يقيمون فيها أذكارهم وأورادهم ، وكل ما اصطلحوا عليه من الأوضاع والرسوم ؛ بل حتى رتّبوا في المساجد العامة صوفية لإقامة رسومهم ، وقد يضطرون إلى مبارحة ذلك المسجد إلى غيره إذا جاء ميعاد الاجتماع للذكر وإقامة الرسوم ؛ حتى لايشوِّشون على المصلين من جهة ،ولأنّ من أرباب الطرق من لايجوّز دخول من ليس من طريقتهم إلى حلقة ذكرهم ، ولا حتّى أن يراهم ولو على بُعد . وكانوا إذا حضر ميعادذِكرهم وتأخر في المسجد بعض المصلين أو العاكفين ممن ليس منهم اضطروه إلى الخروج ؛ إمّا مشافهةً ، أوبدقّ حلقة باب حرم المسجدقَّ امكررًا ، فيضطر للخروج[٤].

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، مرجع سابق (ص١٥٩)

(٢) المصدر نفسه (ص١١٣)

(٣) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، مرجع سابق (ص١٢٥)

٤) المصدر نفسه (١٥٣-١٥٤)

ل - اتخاذ المساجد مكاتب أو مخافر ، أو مكاتًا للتكسب :

يقول الشيخ "محمد جمال الدين القاسمي" : (وطالما ذُكِر لي عن بعض المساجد أنه أرسل للإقامة بها بعض الشرط للمحافظة على تلك المحلّة ، وأن جيران ذلك المسجد قلقوا وضجروا لحاجتهم إليه ، ووجود ما يصلح لهم سواه إلا أنه بأجرة والمسجد بدونها . وذُكر لي أيضًا من المخزيات والمنكرات فيه من بعض الشُّرَط ما نُجِلّ كتابنا عن ذكره ، وهذا مما لا يرضاه شرع ولا عقل . ومثله يقال في اتخاذ بعض المساجد مجالس للحكومة ؛ كالتحقيق مع العسكر الذين بلغوا السنّ الذي يُلْعَبون فيه[1].

وكان كثيرٌ من البُصراء الحافظين للقرآن يأوون إلى المساجد ويتحلّقون بها ؛ ليرى الناس ما عليهم من الفاقة والحاجة فيتصدقون ويحسنون إليهم . وقال الشيخ "محمد جمال الدين القاسمي" : (ويعلم الله أني كلما رأيت بصيرًا منهم يكاد قلبي يتفطر أسفًا على حاله ، لاسيّما إذا رأيته يستجدي بالتلاوة ، فحسبنا الله ونعم الوكيل !)[2].

م - اعتقاد الفضل في بعض آثار الأنبياء :

يعتقد بعض الناس جهلاً أن النبي ﷺ حين أُسري به إلى المسجد الأقصى صلى عند المغارة التي دفن فيها "الخليل إبراهيم" - عليه الصلاة والسلام - ، وأنه قيل له : هذه طَيبة ، انزلْ فصلّ . فنزل فصلّى ، وقيل له : (هذا مكان أبيك ، انزلْ فصلّ) وهذا المروي كذب موضوع عليه ﷺ .

حتى الصحابة ﷺ لما قدِموا إلى (الشّام) لم يذهبوا إلى (مغارة الخليل) ، ولا غيرها من آثار الأنبياء ؛ لا بـ(دمشق) ، ولا بـ(بيت المقدس) ، ولا غير ذلك .

فهذا "عمر بن الخطّاب" -ﷺ- فتح (بيت المقدس) ، وبعد أن فتح (الشام) قدِم إليها وصالَح "النصارى" على الجزية ، وشرط عليهم الشروط المعروفة . وقدِمها مرة ثالثة ومعه أكابر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، ولم يثبت عن أحد منهم أنه فعل شيئًا مما يفعله الجهال اليوم.

وقد كانت (مغارة الخليل) مسدودةً حتى استولى "النصارى" على (الشام) أواخر المائة الرابعة ، ففتحوا الباب وجعلوا ذلك المكان كنيسة ، ثم لما فتح المسلمون البلاد وطالَ العهدُ اتخذها بعض الناس مسجدًا ، مع أن أهل العلم ينكرون ذلك[3].

---

١) المصدر نفسه (١٥٤- ١٥٥)

(٢) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، مرجع سابق (ص١٥١)

(٣) المصدر نفسه (ص١٦٩)

ن - رفع الأصوات أمام الميت بالأناشيد قبل دخول المسجد وبعده :

وكذلك الأذان عند الدّفن ؛ حيث إن كثيرًا من الجهّال يتغنّى بمقاطع يشوّش بها على المتنفّلين والتّالين ، ويمطّط القراءة تمطيطًا فاحشًا ، مع إدخال حروف زائدة ، ونحو ذلك مما يفعله القراء والفقراء والمريدون.

وأما بدعة الأذان عند الدّفن فكانوا يفعلونه قياسًا على ندبه في المولود ؛ إلحاقًا لخاتمة الأمر بابتدائه ، ولا وجه صحيح للقياس ، ولم يصح فيه شيء . ومثله لا يثبت إلا بتوقيف[١] .

س - رثاء الموتى في المسجد وقراءة النسب والحسب :

حيث كانوا يعدّدون محاسن الموتى ، وينوحون عليهم بما يهيّج المصيبة ؛ من وعظٍ ، أو إنشاد أشعار فيها تزكية وتعظيم ، خصوصًا ما يصنعه الشعراء في عظماء الدنيا؛ ممّا يبعث على النّوح ويجدّد الحزن ، مع أنّ الميت مضطر إلى الدعاء ومحتاج إليه ؛ بل إن فِعْل ذلك قد يكون سببًا لعذاب الميت أو توبيخه ، ويشبه التظلم من الظالم؛ وهو عدلٌ من الله تعالى[٢].

ع - مشي المستبرئين في جوانب المسجد :

يوجد داخل بعض المساجد بيوت للطهارة ، فإذا فرغ الموسوسون من البول قاموا يدورون في جوانبها ويتمايلون في مشيتهم ؛ طلبًا للاستبراء - كما يزعمون - ، إلاّ أن ذلك الفعل الشنيع على مرأى من الناس والمارة منكر عريض ، فكم أفضى إلى كشف العورات ، وتنجيس حيطان المسجد ، وخلع الأدب ، وإضاعة الوقت ، وهذا من كيد الشيطان بأبناء آدم[٣].

ف - وضع ستائر وأعلام في نواحي المسجد :

يقول الشيخ "محمد جمال الدين القاسمي" - رحمه الله - : (يوجد في بعض المساجد ستائر موضوعة على زوايا المسجد أو على جانب حائط أو على عمود ، فإذا سأل سائل عنها فقد يقال له : إن هذا السّتار لمقام فلان . يَعُدُّون : أنه كان يحضر حيًّا هنا فينبغي تقديس محله ، أو أنه رُئِي في النوم جالسًا هنا ؛ فيجب صيانته عن ابتذاله بالوطء بالأقدام ، أو أنه حُكي أنه دُفن فيه ، أو للإعلام بانتماء هذا المكان لفلان .. إلى غير ذلك من الأوهام السيئة . ومعلوم أن نتيجة ذلك تغرير العامة والبسطاء بأن ثمة مكانًا شريفًا أوليًّا مأنوفًا) .

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، مرجع سابق (ص١٤٩)

(٢) المصدر نفسه (ص١٤٠- ١٤١)

(٣) المصدر نفسه (ص١٨٤)

قال الشيخ : وقد تذكرت ستارًا موضوعًا في (جامع حسان) ، ظاهر (باب الجابية) ، قريبًا من زقاق المكتبي ، مكتوب عليه : (هذه راية سيدنا حسان رضي الله عنه) ونحو هذا . وضعهشخصٌ على زاوية الجامع القبلية الغربية ، وكانعلمًطويلاً منقوشًامزركشًا . والسبب في وضعه : أن شخصًا حكى أنه رأى "حسان" -رضي الله عنه- في تلك الزاوية، فخطر لهذا العامي أن يسعى في عمل ستار لهذا الموضع ؛ احترامًا لهذه الرؤية التيرُؤيت عن شخص مجهول ، إمامغفّل ، أو عامي ، أومختلقٌ لها .فسُرِت تلك الزاوية ، وصار الداخل إليها يظن أن ثمةقبرًا أومزارًا . والكثير من الجهلة يلمسها ، ويتمسح بها . والحقيقة : مارأيتَ [1].

وحصْر هذه البدع والحديث عنها تنوء به الأسفار فضلاً عن أن يتناوله كتاب أو بحث . ولعلي أشير باختصار إلى ما بقي من البدع ، وقد قيل : يكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

فمن ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - : التمسح بالأعلام والحيطان في المسجد ،والصدّ عن تدفئة المساجد في الشتاء ، وقراءة القرآن في مجلس العزاء ، وتفريق أجزائه على المجتمعين ، والاحتفال بمحمل الحج ذهابًا من الشام وإيابًا من الحجاز ، والتهليل في المسجد إذا مات إمامه أو خطيبه أو خادمه بين المغرب والعشاء ثالث ليلة ، والتمسح بالخطيب إذا نزل من المنبر ، والجهر بالنية قبل تكبيرة الإحرام ، وتنوير المساجد في الأشهر الثلاثة ، وزيادة التنوير ليلة الجمعة الأولى في رجب ، وليلة النصف من شعبان ، وأول رمضان وأيام العيد إلى الضحوة، والتحلق لحديث الدنيا في المساجد ، وزيادة لفظ سيدنا في التشهد وعند إقامة الصلاة[2].

(١) محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد ، مرجع سابق (ص١٨٧)

(٢) للاستزادة ؛ يُنظَر : جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد .فقد وُفِّق المؤلف في جمعها ، والتعليق عليها .

المبحث الثاني

الحالة السياسية

يمكن تقسيم الواقع السياسي لبلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري إلى ثلاثة مطالب ؛ ليسهل بها قراءة المرحلة التي أتحدث عنها ، وتعطي صورة واضحة لما كان يدور من أحداث وتجاذبات ؛ وذلك على النحو التالي :

المطلب الأول : واقع بلاد الشام من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى نهاية الحرب العالمية الأولى .

المطلب الثاني : واقع بلاد الشام من بعد الحرب العالمية الأولى إلى إعلان الاستقلال .

المطلب الثالث : واقع بلاد الشام من إعلان الاستقلال إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري .

المطلب الأول : واقع بلاد الشام من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى نهاية الحرب العالمية الأولى .

لا يخفى على من يستقرئ التاريخ ويستوعب أحداثه تسلسل حلقاته وارتباطها ، من غير اعتبار لزمن ولا ملاحظة بداية قرنٍ مّا أو نهايته ؛ وهو مع ذلك يتميز بتراكم الأحداث . ولذا ؛ فإن تقريب صورة بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري يستلزم العود قليلاً لمجريات القرن الذي سبقه ، الذي اكتوت فيه بلاد الشام بسطوة التآمرات ونيران الاستبداد ، التي أوقدها العدو وساعد في توهجها غفلة الصديق .

مرت بلاد الشام في القرن الثالث عشر الهجري بحربين ضروسين ، دعتا كثيرًا من المؤرخين إلى تسميتها (حربا الشام الأولى والثانية) كما فعل ذلك "محمد فريد بك المحامي"[1] في (تاريخ الدولة العلية العثمانية) .

وأتحدث الآن عن أبرز أحداث هاتين الحربين ، فأقول -مستعينًا بالله تعالى- :

(أ) الحرب الشامية الأولى :

جاء "محمد علي باشا"[2] مع من جاء من الجنود الذين قدموا لإخراج الفرنسيين من مصر عام (١٨٠٢م – ١٢١٦هـ) ، واستطاع بمكره ودهائه بعد مناورات مع المماليك ، والولاة والأهالي ، أن يتوصل إلى ولاية (مصر) . وعندما حاول الإنجليز عزله أو نقله تمسك به القادة والعلماء ؛ بل على الرغم من أنه أبدى حماسًا شديدًا لكي يصبح خادمًا مطيعًا للسلطان ، إلا أن سيرته وتاريخه حملت السلطان على أن يعيد النظر في تعيينه واليًا ، فأمر بنقله عن ولاية (مصر) ،إلاّ أن تدخل

---

(١) **هو** : محمد فريد بك ابن أحمد فريد باشا ، رئيس الحزب الوطني أيام الاحتلال البريطاني لمصر . نابغة ، أصله تركي ، ومولده بـ(القاهرة) ، وتعلم بها ، واحترف المحاماة ، ولزم "مصطفى كامل باشا" في كثير من رحلاته لأوروبا . ولما توفي الأخير انتخب "محمد فريد باشا" رئيسًا للحزب ، فحُبس ونُفي ،حتى تُوفي بـ (برلين) ، ونقل جثمانه لـ(القاهرة) سنة (١٣٣٨هـ - ١٩١٩م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٢٨/٦)

(٢) **هو** : محمد علي باشا ابن إبراهيم أغا بن علي . المعروف بمحمد علي الكبير ، مؤسس آخر دولة ملكية بمصر . ألباني الأصل ، احترف تجارة الدخان فأثرى وكان أمّيًّا ، تعلم القراءة في الخامسة والأربعين من عمره ، قام بإصلاحات كبيرة بعد ولايته لمصر سنة (١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م) وكانت له أحداث مشهورة مع العثمانيين ، تنازل عن ولايته لابنه "إبراهيم "حين نزل به المرض ، وأقام بـ(الإسكندرية) إلى أن توفي بها .

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٩٨/٦)

العلماء مرة أخرى جعل السلطان يُصدر "فرمانا"[١] آخر بتثبيته على ولاية مصر في (١٢٢١/٨/٢٢هـ) الموافق (٦/نوفمبر/١٨٠٦م)[٢] .

اهتم "محمد علي" بشؤون بلاده وأدخل أنظمة جديدة ، فأقام الجسور على (النيل) لحفظ البلاد من الغرق ،ونظّم وأقام المدارس والورش الصناعية حتى صار لا يأتي بلوازم جيوشه من الخارج ؛ بل يصنعها كلها في الورش المصرية من المركوب والطربوش إلى البندقية والمدفع ، إلى غير ذلك من الإصلاحات والإحداثات التي لا تتعلق بأوليات هذا البحث[٣].

وبهذه القفزات الكبيرة التي قام بها "محمد علي باشا" في (مصر) ، وهذه الإصلاحات المدهشة أطلق عليه بعض الكتاب لقب "أعظم مصلحي الشرق" ؛ بل "أعظم مصلحي العالم" ؛ منهم : "شكيب أرسلان"[٤] في كتابه (تاريخ الدولة العثمانية) وكان في الحقيقةملكًمستقلاً ،خصوصًا بعد فتحه للسودان ؛ لولا الخراج الذي كان يدفعه للدولة[٥].

كان مما عرفه المقرّبون من "محمد علي باشا" ، والمتابعون لخطاباته وحواراته أنه يطمح في توسعة أملاكه ، ويرغب في ضم بلاد الشام إليه ، وكان حينها قد فرض الضرائب الفادحة على المصريين[٦] حتى التجأ كثيرون منهم إلى (والي عكا) "عبد الله باشا" المعروف بـ"الجزار)" ، وطلب منه "محمد علي باشا" عودتهم إليه

---

(١) **<u>الفرمان</u>** : القرار الصادر من السلطان الذي يتولى عرش الدولة ، من إسناد منصب ، أو إعطاء رتبة ، أو امتياز لهيئة أجنبية ، أو إلغاء أو إبرام ، أو نحو ذلك .

يُنظَر : كتاب نجاتي أقطاش وعصمت بينارق ، الأرشيف العثماني ، ترجمة صالح سعداوي صالح ، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية بـ"إسلامبول" ، طبعة عمان (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) ، (ص٤٦٣-٤٦٤)

(٢) ينظر : علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، بورسعيد ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) ، (ص٣٤٢)

(٣) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، طبعة دار النفائس ، بيروت – لبنان ، الطبعة العاشرة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م) ، (ص٤٤٨)

(٤) **شكيب بن محمود بن حسن بن يونس أرسلان** : عالم بالأدب والسياسة ، مؤرخ ، من أكابر الكتّاب ، ينعت بـ(أمير البيان) ولد في لبنان ، وانتخب نائبًا عن حوران في مجلس (المبعوثان) العثماني ، وعاد إلى بيروت ومات بها سنة (١٣٦٦هـ -١٩٤٦م)

يُنظَر في ترجمته : أحمد الشرباصي ، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام ، طبعة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، القاهرة ، بدون سنة الطبع .

(٥) شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٢٧١)

(٦) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٤٩)

خوفًا من كثرة من يتسرب إلى الشام من أهالي مصر فامتنع عن ذلك بدعوى أن الإقليمين يتبعان سلطة واحدة ،وسواءٌ الأمر إن أقاموا هنا أو هناك ، فأمر "محمد علي باشا" بإعداد الجيوش والتأهب لغزو الشام ، وأصدر الأوامر لابنه "إبراهيم باشا"[١] ومعه أربعون ألفًا من الجنود النظاميين بمغادرة (القاهرة) ومحاصرة مدينة (عكا) ، وبالفعل تمكن "إبراهيم باشا"من تسلم جميع المدن التابعة لـ(عكّا) وبدون حرب ، وهي : (غزة ، والرملة ، وحيفا ، ويافا ، القدس) وعين عليها متسلمين من قبله ، وتم حصار المدينة نفسها وبمساعدة الأمير الدرزي "بشير الشهابي"[٢] مدة ستة أشهر حتى اضطروا إلى إطلاق المدافع عليها ، واستولى بذلك على بلاد الشام بعد أن سيطر على ولايتي (الشام) و(طرابلس) والألوية التابعة لهما ، وألغى التقسيمات الإدارية التي كانت على عهد العثمانيين ، وعين متسلمين عليها وفوض الأمير "بشير الشهابي" حاكم (جبل لبنان) بإدارة شؤون هذه المدن[٣].

يُذكَر أنه لمّا علم "الباب العالي"[٤] بدخول الجيوش المصرية إلى بلاد الشام اعتبر ذلك عصيانًا ، وأوعز إلى والي (حلب) بالسير لقتال "إبراهيم باشا" فجمع نحوًا من عشرين ألفًا غير أن "إبراهيم" لم يمهله حتى يأتي عليه ، فالتقيا بالقرب من (حمص) ، وانتصر المصريون عليهم ، وعندما بلغه أيضًا نبأ سقوط (عكا) وأسر واليها وإرساله إلى مصر أمر بجمع ما يمكن جمعه من الجيوش فكان عددهم ستين ألفًا ، وعين قائدًا لها ألحق به "إبراهيم باشا" هزيمة منكرة ، سنة (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م) [٥]

---

(١) **هو** : إبراهيم بن محمد علي باشا . قائد قومي ، تعلم بمصر ، وقاد حملة إلى الحجاز ونجد ، وسار بالحملة المصرية إلى عكا فحاصرها واستولى عليها ، ودخل (دمشق) و(حمص) و(حلب) ، انتصر على جيوش الخلافة حتى حملها على ضم سوريا إلى مصر . تنازل له أبوه عن ولاية مصر فحكمها سبعة أشهر وأيام ، نزل به مرض ، ومات به قبل أبيه سنة (١٢٦٤هـ – ١٨٤٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧٠/١)

(٢) **هو** : بشير قاسم عمر الشهابي . أحد الأمراء .وُلد بقرية (غزيو) قرب بيروت ،نشأ يتيمًا ، وكانت فيه نجابة . ولي إمارة لبنان ، وكانت له حوادث ، وعزل عدة مرات ثم أعيد . آزر "إبراهيم باشا" المصري حين قدم الشام ،وذُ في من قبل الإنجليز ، والتمس الاقامة في الآستانة، ثم الأناضول ، ومات بـ (الآستانة) ودفن في (دير الأرمن الكاثولكيين)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٢٨/٦)

(٣) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص١٨)

(٤) ويقال له : الباب الآصفي ، وهو قصر الإقامة الرسمي للصدر الأعظم في الدولة ، حيث يقيم فيه بصورة عامة كل من يعين لهذا المنصب ، وقد كان يسمى قبل ذلك بـ(باب الوزير) ثم بـ(الباب الآصفي) حتى انتهى إلى التسمية بـ(الباب العالي) على عهد "السلطان عبد الحميد الأول" ،يُنظَر كتاب نجاتي أقطاش وعصمت بينارق ، الأرشيف العثماني ، مرجع سابق ، (ص١٤)

.[1]

فأرسل الخليفة جيشًا في المرة الثالثة ، وكان "إبراهيم باشا" اجتاز جبال (طوروس) وما وراءها ، حتى خيف أن يطرق حدود عاصمة الخلافة ، فالتقيا قرب مدينة (قونية) وانتصر المصريون فيها ، وأخذوا قائد الجيش العثماني أسيرًا في (١٢٤٨/٧/٢٧هـ) الموافق (٢٠/ديسمبر/١٨٣٢م)[2] ، وازدادت مخاوف العثمانيين ، وخشيت الدول الكبرى كروسيا وبريطانيا أن يكون قصد "محمد علي باشا" احتلال (الآستانة) وإسقاط بني عثمان ، والاستئثار بالخلافةبدلاً من (الرجل المريض)[3] ، فعرضت روسيا المساعدة فأنزلت خمسة عشر ألف جندي لحماية (الآستانة) ، وحينئذ اضطربت مواقف الإنجليز والفرنسيين فألحوا على "الباب العالي" سرعة الاتفاق مع "محمد علي باشا" قبل تفاقم الخطب[4].

وبالفعل تمكنت الدولة العثمانية و"محمد علي باشا" في عام (١٢٤٨هـ - ١٨٣٢م) من إبرام معاهدة سميت (معاهدة كوتاهيه) - نسبة إلى المدينة التي كان بها "إبراهيم باشا" عند إبرام الإتفاق - وكان نصها كالتالي :

١- أن ترجع جيوش "محمد علي باشا" عن إقليم (الأناضول) إلى ما بعد جبال (طوروس) .

٢- يعطى "محمد علي باشا" ولاية (مصر) مدة حياته .

٣- يعين "محمد علي باشا" واليًا من قبله على ولايات الشام الأربع (عكا ، وطرابلس ، ودمشق ، وحلب ، وجزيرة كريت) .

٤- يعين "إبراهيم بن محمد علي باشا" واليًا على إقليم (أضَنَه) ، وهو الأقليم المتاخم للأناضول .

هذه الشروط ذكرها المؤرخ الشيخ "محمود شاكر" في كتابه (التاريخ

(١) يُنظَر : محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٥٠)

(٢) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٥٠)

(٣) أول من استعملها القيصر نقولا قاصدًا بها الدولة العثمانية ، وذلك أثناء اجتماعه بالسفير البريطاني "السير جورج هملتون سيمور" في مدينة (سانت بطرس بورج) في (٩/كانون الثاني/١٨٥٣م – ١٢٦٩/٣/٢٩هـ)

ينظر : شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٣٤)

(٤) محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٥٠-٤٥١) ، ومحمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (١٦٩/٨)

الإسلامي) وكذا "محمد فريد" في كتابه (تاريخ الدولة العلية العثمانية) ، غير أن أمير البيان "شكيب أرسلان" زاد عليهما موافقة السلطان "محمود الثاني" على تجديد ولاية "إبراهيم باشا" على (جدة) مع مشيخة الحرم المكي ، وتخويله إدارة إقليم (أضَنَه)[١] .

(ب) الحرب الشامية الثانية :

أغلب من كتب عن وقائع الخلاف بين العثمانيين و"محمد علي باشا" . كـ"محمود شاكر" و"محمد فريد بك". يشيرون إلى أن هناكدواعيَ حملت الفريقين على المعاهدة المذكورة أهمها : أولاً منهما يريد جعلها مرحلة للاستعداد للحرب مرة ثانية ، فالسلطان العثماني "محمود الثاني" أراد أن ينقذ موقفه من تعديات واليه على مصر ، ويضمن بقاء عاصمة الخلافة آمنة دون اضطراب غير محسوب ، وأما "محمد علي باشا" فرضخ للمعاهدةخوفًا من تدخل الدول ، وإجباره على التراجع ، بينما هو يريد الانفصال التام الذي فاتَحَ به وكلاء الدول الأوروبية في مصر الذين نقلوا ذلك إلى السلطان فأرسل مندوبه إلى "محمد علي باشا" واتفق معه على أن تكون (مصر) وجزيرة العربملكًامتوارثًا له ولأسرته ، وأما بلاد الشام فتكون لـ"محمد علي باشا" بقية حياته ، وأن تكون جبال (طوروس) حدًّافاصلاً بين (الشام) و(الأناضول) على أن تكون له فجاج جبالها وللسلطان سفوحها فأبى "محمد علي باشا" وأصر أن يكون له عكس ذلك[٢].

أرسل السلطان العثماني "محمود الثاني" جيشًا إلى بلاد الشام ، وفي (١٢٥٥/٤/١١هـ الموافق ١٨٣٩/٦/٢٣م) التقى مع "إبراهيم باشا" في بلدة (نزيب) ، فانهزم العثمانيون وتركوا عتادهم للمصريين حيث غنموا (١٦٦) مدفعًا ، و(٢٠٠٠٠) بندقية ، وتوفي السلطان العثماني "محمود الثاني" في (١٢٥٥/٤/١٩هـ الموافق ١٨٣٩/٧/١م) قبل وصول الأنباء إليه ، وإن كان "شكيب أرسلان" أشار إلى أن الأنباء وصلته فاغتم بها وكانت سببًا لوفاته[٣].

ازدادت مخاوف الدول الأوروبية لانتصار المصريين ، وضاعف خوفها أن

(١) يُنظَر : محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية ، مرجع سابق ، (٤٥١) ، ومحمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (١٧٠/٨) ، وشكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، ص(١٩-٢٠)

(٢) محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (١٧٠/٨-١٧١) ، ومحمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق (ص٤٥٢)

(٣) محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (١٧١/٨) ، وشكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٢٨٧)

قائد البحرية العثماني سار بالأسطول العثماني إلى "محمد علي باشا" وسلمه إياه في ميناء مدينة (الإسكندرية) ، بسبب خلافه مع "الصدر الأعظم" ، فصارت الدولة مضطرة إلى الصلح مع "محمد علي باشا" ؛ إذ لم تعد لها قوة بحرية تحميها ، ولا قوة برية تدافع عنها ، فقدمت لائحة مشتركة من (روسيا ، وبروسيا ، والنمسا ، وفرنسا ، وإنجلترا) تطلب من السلطان الجديد ألا يقر موضوعًا في شأن يتعلق بوالي مصر دون الرجوع إليهم ، مع استعدادهم للتوسط والصلح بينهما ، فقبل الخليفة اللائحة ، واجتمع سفراء الدول عند "الصدر الأعظم" ، وظهر تباين في وجهات النظر ، فروسيا تريد الاحتفاظ بالمعاهدة الدفاعية التي أبرمت مع العثمانيين وأتاحت لها التدخل في شؤون الدولة الخاصة ، وانجلترا وفرنسا تمنعانها من التفرد والتصرف في شؤون الدولة دون مشاركة منهما ، ومن ناحية أخرى فإن فرنسا تود دعم "محمد علي باشا" في الاحتفاظ بنفوذه ، وإنجلترا لا تريد ذلك منافسة لفرنسا على مركزها في (مصر) ،وخوفًا من منافستها على طريق الهند ، وأما النمسا وروسيا فرأتا في "محمد علي باشا" خطرًا على أوروبا لاحتمال أن يعيد الخلافة من جديد[1]، وبعد فشل اللقاءات نجحوا في عقد اتفاقية معاهدة سنة (١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م) مع السلطان العثماني تقضي بما يلي :

أولاً : إبقاء الحكم وراثيًا في مصر "لمحمد علي باشا" وعقبه ، على أن ينسحب جيشه من جميع البلاد العثمانية.

ثانيًا : أن يدفع "محمد علي باشا" جزية سنوية لـ"الباب العالي" .

ثالثًا : تعدّ القوات المصرية جزءًا من القوات العثمانية.

رابعًا : تتعهد الدول الأوروبية الموقعة على هذه المعاهدة حماية العرش العثماني من أي اعتداء محتمل سواء من "محمد علي باشا" أو غيره.

خامسًا : يحق لانجلترا وفرنسا محاصرة الموانئ الشامية ، ومساعدة كل من أراد من السكان خلع طاعة "محمد علي باشا" والعودة إلى الدولة العثمانية.

سادسًا : يجب أن تصدق هذه الاتفاقية خلال شهرين في (لندن) ، كما يجب تصديقها من الخليفة[2]

(١) محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص١٧٠-١٧١) ، ومحمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٥٧-٤٦٠) ، وشكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٢٨٨)

(٢) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٢٦) ، ومحمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص١٧٢-١٧٣)

هذه بنود الاتفاق الذي انسحبت منه فرنسا والتي رأت أنه يتقاطع مع مصالحها ، فحاولت الاتفاق مباشرة مع "محمد علي باشا" ومع السلطان العثماني وتشجيعه على رفض مطالب انجلترا على أن تدعمه في ذلك ، وبلغت الاتفاقية "محمد علي باشا" من قبل قناصل الدول الأربع ما عدا (فرنسا) التي حرضته على المقاومة ووعدته بالمساعدة، فقام بطرد القناصل والمندوب العثماني ، ورفض بنود الاتفاق ، فأعطوه مهلة عشرة أيام ليرد الجواب ، فإن رفض أو لم يرد فإن الدول تتخذ ما تراه مناسبًا ، فلما انقضت المدة اجتمع القناصل بـ"الصدر الأعظم" واتخذوا قرارًا بسلخ ولاية (مصر) من "محمد علي باشا" وازداد ضعف الفرنسيين أمام قرارات هذه الدول فسحبت قواتها البحرية إلى مياه اليونان ثم إلى فرنسا ، وتركت سواحل الشام ومصر لسفن انجلترا حتى ثار الرأي العام الفرنسي ضد الحكومة[١].

في حقيقة الأمر كان الصراع من أجل النفوذ دائرًا بين فرنسا ، وبريطانيا التي استطاعت أن تقلب الطاولة على الفرنسيين ، وتضيق الحصار عليهم من خلال المعاهدة . فهذا قائد البارجة البريطانية "بورفول" الأميرال "شارل نابي" يوجه نداءً إلى سكان سوريا ، ذكر فيه أن حكومات (بريطانيا والنمسا وروسيا وبروسيا وتركيا) قد اتفقت جميعًا على إنهاء حكم "محمد علي باشا" في سوريا ، ودعاهم إلى الثورة لخلع الظلم الذي يئنون تحت ثقله[٢] ، وكان ذلك تحريضًا بريطانيًّا للثوريين والمعارضين لحكم "إبراهيم باشا" في سوريا ؛ - كما سيأتي - . وتمكنت إنجلترا من إنزال قواتها شمال (بيروت) ، وبدأت المعارك ، وانسحب "إبراهيم باشا" من مدينة (عكا) إثر انفجار مستودع الذخيرة الذي قضى على طابور بأكمله من المشاة ، وهدم ثلث المدينة ، وأرسل "محمد علي باشا" إلى ابنه بأن يرجع ومن معه لعدم القدرة على المقاومة[٣].

ويذكر "محمد فريد بك" أن رجوع المصريين كان في شوال سنة (١٢٥٦هـ - ١٨٤٠م) ، وقد وقع لهم في الطريق ما تعجز عن وصفه الأقلام ؛ إذ مات كثير منهم في الطريق بسبب مناوشات البدو الذين زاد حنقهم عليهم ، ناهيك عن الخيول التي هلكت بسبب العطش وشدة التعب ، حتى إن "إبراهيم باشا" وجيشه لم يمكنهم العودة إلى (القاهرة) من طريق (صحراء العريش) بسبب من يترصد لهم من البدو الفلسطينيين ، وأخيرًا وصل إلى (غزة) بعد أن مات ثلاثة أرباع جيشه وكثير من الموظفين الملكيين مع عائلاتهم ، والتمس من والده إرسال ما يلزم له من المراكب لنقل

(١) محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص١٧٣)

(٢) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٢٦-٢٧)

(٣) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق (ص٢٧)

فرقته إلى (الإسكندرية) ، وبذلك تم جلاء القوات المصرية عن بلاد الشام[١].

قامت على إثر هاتين الحربين في بلاد الشام فتن طائفية كان وراءها الإنجليز والفرنسيون ، هدفها زعزعة الخلافة ، وإشغالها بالثورات التي تقوم هنا وهناك ، فقد اندلعت النزعات الثورية في (الصرب) ، و (الجبل الأسود) ، و (البوسنة والهرسك) ، وكانت (الشام) من بينها ، ويبدو أن خط البداية للفتنة هو الاتفاقية الأخيرة التي وقعتها الدول الأربع مع السلطان والتي لم توافق عليها فرنسا ؛ حيث حرضت انجلترا بعدها مباشرة سكان الجبال من "دروز"[٢] ، و"موارنة"[٣] ، و"نصيرية"[٤] ، على معارضة حكم "محمد علي باشا" الذي كان حليفًا للفرنسيين ، وحاولت فرنسا أن يكون لها وجود في (الشام) فرفعت شعار المدافعة والنصرة لـ"الموارنة" في لبنان ، على حين دعمت انجلترا "الدروز"[٥] ،وشاهدُ ذلك التقرير الذي رفعه قنصل بريطانيا في (بيروت) "الكولونيل روز" إلى وزارة الخارجية البريطانية جاء فيه : (إن "الموارنة" في لبنان مستسلمون نفسًا وجسدًا إلى

---

(١) محمد فريد بك ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٦٨-٤٦٩)

(٢) **الدروز** : فرقة باطنية تُؤلّه الخليفة الفاطمي "الحاكم بأمر الله" ، أخذت جل عقائدها عن الإسماعيلية ، تنتسب إلى "نشتكين الدرزي" ، نشأت في مصر ، ثم هاجرت إلى الشام ، ينكرون الأنبياء والرسل والجنة والنار والقرآن إلى غير ذلك ، أغلب وجودهم في لبنان وسوريا وفلسطين المحتلة .

يُنظَر : محمد كامل حسين ، طائفة الدروز تاريخها وعقائدها ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)

(٣) **المارونية** : طائفة من طوائف النصارى الكاثوليك الشرقيين ، ينتسبون إلى القديس "مارون" ويتخذون من لبنان مركزًا لهم ، كان لهم دور بارز في خدمة الصليبيين ،وخصوصًا بعد الحرب العالمية الأولى ، تم الاتفاق بينهم وبين المسلمين أن يكون رئيس الدولة منهم ، من زعاماتهم المعاصرة : "آل جميّل" و"شمعون" ، و"إده" .

يُنظَر : يوسف سعيد الغامدي ، المارونية وأثرها على العالم الإسلامي ، رسالة دكتوراه لم تطبع ، جامعة أم القرى (١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م)

(٤) **النصيرية** : حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث الهجري ، أصحابها من غلاة الشيعة المؤلهين عليًا ، أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي اسم "العلويين" تمويهًا ، مؤسسها "محمد بن نصير النميري" ، يستوطنون (جبل النصيريين) و(اللاذقية) ، ولهم انتشار في سائر سوريا وتركيا ولبنان .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب العاصرة ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، بإشراف "مانع الجهني" ، مرجع سابق ، (٣٩٠/١ - ٣٩٦)

(٥) ينظر محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٤٢/١-٤٣) ، ومحمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص١٧٤-١٧٥)

فرنسا، وعليه فلم يبق لبريطانيا أن تختار في الأمر ، بل أمسى من المحتم عليها عضد "الدروز")[1]

اعتدى "الدروز" على "الموارنة" عام (١٢٥٧هـ -١٨٤١م) ودخلوا (دير القمر) ، وارتكبوأعمالاً وحشية ، وكرروا الاعتداء عليهم عام (١٢٦١هـ - ١٨٤٥م) وقتلوا المسيحيين ، وتعدّوا على قسس الكاثوليك الفرنساويين ، وقتلوا رئيس أحد الأديرة واثنين من الرهبان ، وحرقوا جثثهم ، ونهبوا المنقولات والأمتعة ، وتدخل السلطان وعزل الأمير الدرزي "بشير الشهابي" ، بعد خروج المصريين - كمامرّ - ، وعيّن واليًاعثمانيًّا ، وألغى جميع الامتيازات في إدارة الجبل التي منحهمسابقًا ، فلم تقبل الدول الكبرى ذلك فاضطر أن يعيد للجبل امتيازاته ، وأن يكون للوالي العثماني "قائمقامين" أحدهما ماروني والآخر درزي ، ويتولى كل منهما النظر في أبناء جنسه ، وذلك سنة (١٢٥٨هـ - ١٨٤٢م)[2].

ولم تنجح المحاولات المستمرة بسبب اختلاط السكان من "موارنة" و"دروز" فأصدر "الباب العالي" (فرمانًا) يقضي بفصل (إقليم الجبل) الآهل بـ"الموارنة" من حكومة الجبل ، وضمه إلى (ولاية طرابلس) دون امتيازات . وعارضه "الموارنة" واعتبروه تقوية للعنصر الدرزي ،وإضعافًا للعنصر الماروني ، واستمرت جهود المصالحة لكنها لم تفلح حتى وقعت المذابح الكبرى بينهما عام (١٢٧٧هـ- ١٨٦١م) ، وعرضت فرنسا على الدول أنها مستعدة لإرسال جيوشها إلى بلاد الشام لحماية المارونية وقمع الفتنة ، ولم تقبل الدول باقتراحها بادي الرأيخوفًا من عدم خروج فرنسا من بلاد الشام ، ولما حصلت مذبحة (دمشق) التي قتل فيها نحو ستة آلاف نسمة ، أرسلت جميع الدول إلى "الباب العالي" تهدده بالتدخل إن لم يضعحدًّا للفتنة ، فجمع وزراءه وحزم أمره وتقرر بالإجماع انتدابه لقيادة الجيوش ، فسافر سريعًا وشكل هناك مجلسًاحربيًّا ، وحاكم رؤساء الفتنة ، وشنق كثيرًا ممن ثبت تورطه وعمالته سواء كان من "الدروز" أو المسيحيين أو المسلمين ، وفي أثناء ذلك اتفقت الدول على أن ترسل فرنسا إلى الشام ستة آلاف مقاتل لمساعدة العثمانيين وإعادة السّكينة - كما زعموا - ، والحقيقة أن فرنسا قصدت إيهام المسيحيين أنها حمتهم من ظلم المتوحشين ، وأبرزت دور "النصارى" الأوروبيين ، وانعقدت بمدينة (بيروت) لجنة أوروبية مشكلة من مندوبيين معينين من قبل الدول الموقعة على (معاهدة باريس) التي ذكرتآنفًا ، وبعد مداولات اتفقوا مع "الباب العالي" على أن يعطوا للمسيحيين الذين أحرقت دورهم مبلغ خمسة وسبعين مليون قرش بصفة تعويض ، وأن يمنح أهالي الجبل حكومة مستقلة تحت سيادة الدولة العلية يكون حاكمهامسيحيًّا . وعين بالإجماع "داود أفندي" -الأرمني الجنس- أميرًا للجبل لمدة ثلاث سنوات ، لا يمكن

(١) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٢٩)

(٢)يُنظَر : محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (١٧٤/٨)

عزله إلا بموافقة الدول . وبذلك استطاع العثمانيون إنهاء الفتنة ولو بكيفية مجحفة بالدولة ، لكنها منعت تدخل الدول بصفة شديدة ، وألزمت فرنسا بسحب قواتها في (١٢٧٧/١١/٢٧هـ - ١٨٦١/٦/٥م)[١].

كان من أبرز الأحداث خلال هذه الفترة ثورة العرب ، وحنقهم على الاتحاديين الأتراك ، ونفورهم من التبعية لهم بعد محاولاتهم اليائسة في سبيل الإصلاح مع "جمعية الاتحاد والترقي"[٢] .

وتتضح أبعاد هذه الكراهية في ما يلي :

أولاً : تمجيد الأتراك لطورانيتهم القديمة قبل الإسلام ، وذلك بإحياء تاريخ أجدادهم ، وتمجيد الغزاة والفاتحين من أسلافهم الوثنيين ، حتى قالوا : (نحن أتراك وكعبتنا طوران) ، ثم اتخذوا الأسماء القديمة قبل الإسلام وكان شعارهم (صورة الذئب الأغبر) الذي رسموه على طوابع البريد[٣] وهو شعار الترك أيام وثنيتهم[٤] ، بعد أن ظلّ بعض الترك العثمانيين حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي لا يكادون يعرفون شيئًا عن ماضيهم وتاريخهم وأصلهم ونسبهم ، إذ كانت تلاوة الكتب الدينية والسيرة النبوية وتاريخ أبطال الإسلام لا تُ لهم أكثر من تلاوة تاريخ أجدادهم الوثنيين وفتوحاتهم[٥].

ثانيا : قيام الاتحاديين بإجراءات أثارت حفيظة العرب ، وزادت معها رياح الحركة القومية العربية التي بدأت منتصف القرن التاسع عشر ، ومن أبرزها ما يلي :

---

(١) يُنظَر : محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (١٨٠/٨)

(٢) **<u>جمعية الاتحاد والترقي</u>** : جمعية تركية نشأت في أوروبا سنة (١٣١٦هـ - ١٨٩٨م) ، كحركة مناوئة لنظام الخلافة، وكانت في البداية تحت جمعية (تركيا الفتاة) ، كونت خلايا سرية ، وانضم إليها عدد من يهود الدونمة ، طاردهم "السلطان عبد الحميد" ، فنقلوا نشاطهم إلى (باريس) و(سالونيك) بعد محاولة انقلاب على الخلافة سنة (١٩٠٨م – ١٣٢٥هـ) غير أنهم نجحوا أخيرًا في تنحية السلطان .

يُنظَر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، بإشراف "مانع الجهني" ، إصدار دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، (١٠٣٨/٢)

(٣) ينظر : محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، (٩٧/٢)

(٤) علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق (٨٩- ٩٠)

(٥) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق (١٠١/٢)

أ) محاولات الأتراك ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة التركية.

ب) محاولاتهم الجادّة لعلمنة أنظمة الحكم جميعًا ، ومنها نظام التعليم ونظام القضاء وإلغاء المحاكم الشرعية.

ج) إعراضهم عن العرب والمسلمين الذين لا ينتمون للعنصر الطوراني ، وفي المقابل تقريب الطورانيين من الترك العثمانيين ، والتركمان ، والتتر ، والمغول ، والفلنديين ، والمجر ، والسعي إلى تتريك الدولة[١].

د) جرأتهم في الطعن والكيد للإسلام كما يشهد بذلك كتاب (قومٌ جديد) لمؤلفه "عبيد الله أفندي" الذي عينته "جمعية الاتحاد والترقي" مدرسًا في جامع (أيا صوفيا) ، وجعلوا حوله الشرط يحرسونه ويحمونه من اعتداء المسلمين[٢].

وقامت مجلة (المنار) بترجمة أجزاء من كتاب (قومٌ جديد) وذكرت أن الكاتب يحرّف القرآن ، حين جعل الصلاة والصيام والحج والزكاة دين القدماء المسلمين ، وعبّر عنهم بعبارة (قومٌ عتيق) ، كما صرح - الكاتب العلماني - بعدم جواز العمل بكتب فقه الأئمة الأربعة ، ومقابل ذلك بين الكاتب أركان دين (قومٌ جديد) وهي (العقل وكلمة الشهادة والأخلاق الحسنة)[٣].

هـ) إذكاء الصراع بين الترك والعرب ؛ حيث صارت الصحف التركية تهاجمهم ،وتحطُّ من شأنهم ، ووصل الجدل الدائر إلى مجلس المبعوثان (البرلمان) بين العرب والترك ، وكانت حكومة الاتحاديين لا تخفي كرهها للنواب العرب والسوريين خاصَّة ؛ مثل : "شفيق المؤيّد" [٤] ، و"رشدي الشّمعة"[٥]، و"شكري العسلي" [١].

---

(١) المصدر نفسه (١٠٢/٢)

(٢) مجلة المنار ، ٣٠ يونيو / ١٩١٦م ، (١٥٦١/١٩)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٩٩- ١٠٠)

(٤) **هو** : شفيق بك بن أحمد المؤيد العظم . من مواليد (دمشق) ،تعلّم بـ(بيروت) ، وسافر لـ"الآستانة"وتقلّب في المناصب ، ثم انتخب نائبًا عن (دمشق) ، وانضم إلى معارضي (الاتحاديين) في مجلس النواب العثماني ، توفي سنة (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣ / ١٦٨)

(٥) **هو** : رشدي بك بن أحمد باشا بن سليم الشمعة . ولد وتعلم في (دمشق) ، انتخب نائبًا عنها في المجلس العثماني ، وضع الروايات في إذكاء القومية العربية ،أعدم شنقًا في ساحة الشهداء بـ(دمشق) ، سنة (١٣٣٤هـ -١٩١٦م)

=

و) اعتماد لغة الترك لتكون اللغة الرسمية حتى في المدارس العربية بدلاً من اللغة العربية نفسها ، وطالب النواب العرب بجعل التدريس باللغة العربية في المدارس العربية .

ز) تأييد حكومة الاتحاديين للهجرة اليهودية نحو (فلسطين) ، وتعاونها مع الحركة الصهيونية ، حتى آل الأمر إلى اقتراحها بيع ثلاثة ملايين دونم لليهود في فلسطين ، بمساعدة وزير المالية اليهودي "جاويد"[٢] ، الأمر الذي كان يرفضه العرب .

ح) سوء تصرف الإدارة الاتحادية إضافة إلى الظلم والرشوة والفساد ، حتى عمّت الاضطرابات وقامت الثورات على الدولة في كل مكان[٣].

فهذان"محمود شاكر" و"محمد محمد حسين" يحكيان قيام الجماعات والأحزاب التي نشأت كردة فعل على سوء إدارة السلطة وتتريك الدولة ، فبينما كانت حكومة الاتحاديين تسعى لإحياء العصبية الطورانية التقت في (مصر) و(الشام) و(العراق) خاصة جماعات تتحدث عن القومية العربية ، بل آل الأمر في (مصر) للحديث عن العصبية المصرية التي تطورت فيما بعد إلى العصبية الفرعونية ، وهكذا تصبح الأمة المسلمة الواحدةأممًا يتصارع بعضها مع بعض[٤].

ما سبق ذكره كانعاملاً من العوامل الأساسية التي حملت العرب على المطالبة بالاستقلال أو بالحكم اللا مركزي على أقل تقدير ، وظل العرب ينتهزون كل فرصة سانحة للثورة ، وكانت الشام هي أسرع أجزاء الوطن العربي تأثرًا بالفكرة القومية الجديدة[٥].

=

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام، مرجع سابق، (٢١/٣)

(١) **هو** : شكري بك بن علي بن محمد العسلي . من زعماء النهضة العربية الحديثة ، ولد في (دمشق) وتعلم منها وانتخب نائبًا عنها في مجلس النواب العثماني ، وأصدر جريدة (القبس) وحكم عليه في ديوان (عالية) بالإعدام ، بعد أن نقم عليه غلاة الترك طلبه اللامركزية .

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٧٢/٣)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٩٨- ١١٠)

(٣) المصدر نفسه (ص١٠٨)

(٤) محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (٢٥/١١) ، و محمد محمد حسين ، الاتجهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، (٩٦/٢)

(٥) المصدر نفسه (٩٩/٢)

لم تكن ردود العرب خافية على الاتحاديين الذين كانوا يتابعون الموقف ، ويؤكد "محمد فاروق الخالدي" أنه من أجل ذلك اختار الاتحاديون "جمال باشا" حاكمًا لسوريا ؛ ليعيش العرب فيها مرحلة البطش ، والاعتقالات ، والإعدام ، والنفي ، ويعلنوا الثورة على الأتراك[١].

يقول الأمير "شكيب أرسلان" : (ويظهر أن "جمال باشا" تعهد للاتحاديين بأن يقضي على الروح العربية في سورية ، على شرط أن يتركوه حرًّا في العمل ، وألا يعرقلوا مساعيه ، ولذلك بدأوا بسياسة جديدة لم تكن معهودة من قبل)[٢].

ويمكن إلقاء الضوء على أهم تداعيات هذه الفترة من خلال المقدمة التالية :

يجدر هنا أن أذكّر بأن تركيا عندما دخلت الحرب إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء أحرق قناصل دول الحلفاء أوراقهم السِّرية ، وشوهد الدخان يتصاعد من مداخنهم لمدة طويلة ، ويقال إن "جمال باشا" قد علم من "الصدر الأعظم" بوجود أوراق في تلك القنصليات تمس أمن الدولة ، وصدرت أوامر لوالي (بيروت) بتفتيش القنصليات، ورفض والي (بيروت) آنذاك "سامي بكير بك" تفتيش القنصليات ، حتى جاء خلفه "عزمي بك" فنفّذ التفتيش وداهم تلك القنصليات ، وعندما قدم "جمال باشا" إلى سوريا، أطلعه والي سوريا على هذه الأوراق ، فطلب منه حفظها بالسرّ ؛ لأنه كان يعد لحملة (السويس)[٣].

ووجدت هذه الأوراق في صندوق أودعه القنصل الفرنسي في (بيروت) لدى القنصلية الأمريكية وحصلت عليه السلطة التركية بالقوة ، وهو ضدّ الأعراف الدبلوماسية بعد أن أفشى سرّها ترجمان القنصل الفرنسي[٤].

يقول "محمد فاروق الخالدي" : والسؤال المهم هنا لماذا ترك "جورج بيكو" هذه الأوراق المهمة ، ولم يحرقها شأن القناصل الآخرين؟.

ألأنه كان يظن أن دخول فرنسا أصبح وشيكًا بعد الحرب ؟ إذ قال مودّعًا لأصحابه في (بيروت) ، وعلى مسمع من رجال السلطة التركية : إني عائد لهذه البلاد

---

(١) شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٣٣-٤٣٥) ، وما كتبه محمد فاروق الخالدي في كتابه المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٢٣- ١٢٨)

(٢) شكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، طبعة دار التقدمية ، لبنان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ) ، (ص١٥٥)

(٣) سليمان موسى ، الحركة العربية ، مرجع سابق (ص١٠٩)

(٤) مجلة الأسبوع العربي – بيروت ، عدد (٦٢١) – (١٣ آيار ١٩٧١م الموافق ١٣٩١/٣/١٨هـ) (ص٣٩)

بعد خمسة عشريومًا ، أي بعد هزيمة الدولة العثمانية.

أم أنه ترك هذه الأوراق لمعرفته بأن السلطة التركية سوف تعثر عليها ، يريد بذلك إذكاء حدّة الصراع بين العرب والترك ، وهو ما حدث فعلاً ؟.

فكأن "جورج بيكو" أوكل للأتراك - بصورة غير مباشرة - تصفية العاملين في الحركة العربيّة ، لأنه كان يعتقد بأن هؤلاء لابد أن يقفوا في وجه فرنسا عندما تضع يدها على سوريا ، والدليل على صحة هذا الرأي أن فرنسا ألقت بزملائهم السوريين الذين لم يعدموا في السجون بعد انتدابها على سوريا[١].

ويبدو أن ضمن تلك الوثائق الفرنسية ما يخص الاتصالات بين القنصل وبعض المتهوّسين من أبناء البلاد الشّامية ، وكان يكاتب القنصل بشأنها سفير دولته في (إسلامبول) ، وهي تدور حول القيام بثورة في سوريا ، وطلب حماية فرنسية للحيلولة بين الثّوار وبين الدولة العثمانية فيما إذا ساقت إليهم جنودها لإخضاعهم.

أما قنصل الإنجليز فكان قد أحرق الوثائق في قنصلية بريطانيا ، ولو أبقاها لعمّت بها البلوى أكثر بسبب ثقة "الشريف حسين"[٢] ، والجمعيات العربية بوعود بريطانيا آنذاك واتصالاتهم بها[٣].

وسرقت أوراق الأحزاب والجمعيات السياسية التي تألفت آنذاك في البلاد الشامية ، وكانت تعمل ضد الاتحاديين كـ"حزب اللامركزية"[٤] ،

---

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص١١٩) ، علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق (٢٩٥ - ٢٩٦)

(٢) **هو** : الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون الحسني الهاشمي .وُلِد في (الآستانة) ، آلت إليه إمارة مكة ، عرف بثورته المشهورة على العثمانيين ، نفي آخر عمره . توفي سنة (١٣٥٠هـ-١٩٣١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي،الأعلام،مرجع سابق، (٢٤٩/٢)

(٣) عبد العزيز العظمة ، مرآة الشام ، تحقيق نجدة فتحي صفوة ، (لندن) رياض الريس للكتب والنشر (٢٢٠-٢٢١)

(٤) **حزب اللامركزية** : جمعيةٌ نشِئت عام (١٩٠٢م – ١٣٣٠هـ) ، تولى رئاستها والهيكل الإداري لها شاميون مقيمون في مصر ، منهم "رشيد رضا" وكيل الحزب ورفيق العظم رئيسه ، و"محب الدين الخطيب" مساعد الأمين العام ، وانفرط عقد الحزب على يد (جمعية الاتحاد والترقي) سنة (١٩١٦م – ١٣٣٤هـ)

يُنظَر : خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، دار المسلم للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) (٩٩/١- ١١٥)

و "الجمعية القحطانيـة"[١] ، و"جمعية العربية الفتاة السرية"[٢] وغيرها، كما تمكن السُّرّاق من العثور على مذكرات ومباحثات "جمعية الإصلاح البيروتية"[٣] ، وغيرها ، وجاءوا بهذه الأوراق إلى الاتحاديين أملاً بالمكافأة إلا أنهم أعدموا في جملة من أعدم.

وجمع الاتحاديون هذه الأوراق كلها ، واحتفظوا بها ، ثم نشرواقسمًا منها في رسالة طبعها "جمال باشا" باسم (إيضاحات) باللغات التركية والعربية والفارسية ، وصار يخطب وينصح برجوع هؤلاءالمتهوّسين إلى رشدهم[٤].

ويبدو أن عملية الاعتقال والتحقيق لم تكن إلا خطة للتخلص من الحركة العربية ، استغل الأتراك فيها الحرب لتنفيذمخطّطهم ، إذ وردت برقية من (إسلامبول) لقيادة الجيش الرابع في سوريا ، تفضي باتخاذ جميع الوسائل لتشتيت تيار العرب القومي ، وتمزيق شملهم ، مما جعل الضباط العرب يهربون - عندما سمعوا الخبر - قبل أن يفتك بهم "جمال باشا"[٥].

ويبدو أن الذي سرَّب الأنباء للاتحاديين هم الحلفاء الذين أخبروهم أن ثورة

---

(١) **الجمعية القحطانية** : جمعية سرية ، نشأت سنة (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ) في (إسلامبول) على يد "خليل باشا" و"عبد الحميد الزهراوي" و"عزيز علي المصري" وغيرهم ، وهي خاصة بأفراد الجيش العسكري من قادة أركان الحرب وضبّاط بغية إقامة نشاط قوي ذي سرية تامة ، وانفرط عقدها سنة (١٩١٣م – ١٣٢٣هـ) بعد انضمام أعضائها إلى جمعيتي "العهد" "والفتاة"

يُنظَر : خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٩٦/١- ٩٩)

(٢) **جمعية العربية الفتاة** : جمعية سرية قومية ، أسست سنة (١٩٠٨م – ١٣٢٥هـ) أو (١٩٠٩م – ١٣٢٦هـ) وقيل (١٩١١م – ١٣٢٨هـ) على يد ثلاثة من الشبّان العرب في (باريس) ، ثم انتقلت إلى بيروت سنة (١٩١٣م – ١٣٣٠هـ) وهي أكثر الجمعيات شمولاً للفكر القومي ، وأشدها تأثيرًا على نهضة العرب .

يُنظَر :خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (١٣٧/١- ١٤٥)

(٣) **جمعية الإصلاح البيروتية** : جمعية قومية ، نشأت في بيروت سنة (١٩١٢م) ، وألغيت بعد شهرين من تشكيلها على يد "جمعية الاتحاد والترقي" الحاكمة في تركيا .

يُنظَر : خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (١٢٧/١- ١٣٧)

(٤) عبد العزيز العظمة ، مرآة الشام ، مرجع سابق (ص٢٢١)

(٥) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٢٤)

ستقوم في سوريا بعد أن يقوم الحلفاء بالإنزال العسكري في الساحل السوري ، وقد وجد في الوثائق البريطانية خطة واتفاق لقيام عصابة في سورية عن طريق "الشريف حسين "والضباط العرب أنفسهم ، ولذا هرب بعض الضباط العرب من وحداتهم في الجيش العثماني من دون سبب ، وكان "خالد الحكيم"[١] -وهو أحد الضباط الاحتياط- حذركلاً من "عبد الوهاب الإنجليزي"[٢] ، و"شكري العسلي" ، و"عبد الرحمن شهبندر"[٣]، وأشار عليهم بالهرب ، لكنهم رفضوا الفرار من (دمشق) ، بينما هرب "خالد الحكيم" و"الغصين"[٤] ، و"شهبندر" فيما بعد ، وأعدم "عبد الوهاب الإنجليزي" و"شكري العسلي" فيمن أعدم ، وذلك بعد حملة "جمال باشا" على (قناة السويس) ضد الإنجليز والتي فشل فيها العثمانيون في شهر شباط (١٩١٥م – ١٣٣٣هـ)[٥].

(١) **هو** : خالد بن ياسين بن محمد الحكيم . مهندس عسكري ، قاتل الايطاليين في (طرابلس) المغرب ، ودخل في "جمعية الفتاة السوّية" ، ولحق بثورة "الشريف حسين" ، أقام في شرقي الأردن بعد معركة (ميسلون) ، وحكم عليه الفرنسيون بالإعدام غيابيًّا ، أقام في خدمة الملك "عبد العزيز آل سعود" آخر حياته ، ومرض في نهايتها ، وتوفي بـ(دمشق) سنة (١٣٦٣هـ - ١٩٤٤م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٠٠/٢)

(٢) **هو** : عبد الوهاب بن أحمد الإنجليزي - نسبة إلى أسرة عربية في (دمشق) تعرف بآل الإنجليزي – تعلم في (دمشق) وتخرج في المدرسة الملكية في (الآستانة) ،ونصب مفتشًا للإدارة الملكية في ولاية (بيروت) ، طلبه ديوان (عالية) العرفي بجريرة معارضة الاتحاديين ،وحكم عليه بالإعدام شنقًا في ساحة الشهداء بـ(دمشق) سنة (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٨٢/٤)

(٣) **هو** : عبد الرحمن بن صالح شهبندر . طبيب ، من أهل (دمشق) ، مات والده وعمره ست سنوات ، فربّته أمه ، وتخرج في الجامعة الأمريكية بـ(بيروت) طبيبًا ، وكان من أعضاء "جمعية الاتحاد والترقي" ، ثم ناوأها بعد دعوتها للتتريك ، اختفى في الحرب الأولى ، اعتقله الفرنسيون وأطلق وتنقل هاربًا غير مرة ، وبينما كان في عيادته في (دمشق) دخل عليه ثلاثة أشخاص فقتلوه ، له كتابات في السياسة وعدد من الترجمات ، توفي سنة (١٩٤٠م – ١٣٥٩هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٠٨/٣)

(٤) **هو** : فائز بن زعل الغصين . من أعضاء جمعية العربية الفتاة ، تعلم بـ(دمشق) ثم (إسلامبول) ،واعتقل مرارًا ،فرّ إلى العراق ثم (جدة) حيث لحق بالشريف "فيصل بن الحسين" في (ينبع)فكان سكرتيرًا إلى دخوله (دمشق) ،ثم عمل مفتشًا في القضاء في العهد الفرنسي بسورية ، وأحيل للتقاعد ، ثم عمل محاميًا إلى أن توفي سنة (١٣٨٧هـ – ١٩٦٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٢٥/٥)

(٥) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٢٤)

قام "جمال باشا" في الشهر التالي للهزيمة بتصرفات عدائية نحو السكان وخاصة في سوريا ولبنان ، فهل كان لفشله في الحملة أثرٌ لانقلابه وجبروته ضد السكان[١] ؟

جاء في كتاب (الاستخبارات والجاسوسية) أن "جمال باشا" عندما أتى إلى سوريا كان يحمل في جيبه مشروعين خطيرين وهما :

المشروع الأول : إلغاء الامتيازات الخاصة في لبنان ، وإخضاعه للسلطة العثمانية .

المشروع الثاني : القضاء على الفكرة العربية ، ثم تتريك العرب[٢].

ويمكن القول :إنّ حماقة هذا الرجل الطوراني ، وعصبيته الغبراء ، وبطشه بمن وصلت إليه يده من العرب هي التي ذهبت بالبقية الباقية من إخلاص العرب للترك . حتى إن زعماء العرب في الشام والعراق ورجالات الجيش من الضباط والقادة ، وجهوا نداءً عاجلاً إلى "الشريف حسين" في (مكة) سنة (١٩١٥م – ١٣٣٣هـ) بصفته (أبا العرب) ، أن يشد أزرهم وينا صرهم وينقذهم من بطش وغدر "طلعت" ، و"جمال" ، ولكن "الحسين" فضل الانتظار ، اتباعًا لرأي ابنه "فيصل" الذي نصحه وقتذاك بتأجيل إعلان الثورة[٣] ، في الوقت الذي واصل فيه "جمال باشا" تصفية حساباته مع العرب ، وشكل محكمة عسكرية في (عالية لبنان) ، وكان أعضاؤها يأتمرون بأمره ،ويحدّد لهم مقابل الأسماء الأحكام التي يتوجب عليهم إصدارها[٤].

ذكر "محمد كرد علي"[٥] وكان قريبًا جدًّا من "جمال باشا" أنهما لا هدّد بالقتل بالقتل أعضاء الديوان العرفي (المحكمة) إن لم يحكموا على المتهمين السياسيين ،

---

(١) المصدر نفسه (ص١١٥)

(٢) عزيز بك ، الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية ، تعريب فؤاد الميداني ، بيروت (ص١٢٩)

(٣) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق (١٠٣/٢ - ١٠٤)

(٤) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص١٢٥)

(٥) **هو** : محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي . من أكراد (السليمانية) في العراق ، ومولده ووفاته بـ(دمشق) ، تولى تحرير جريدة (الشام) وكتب في (المقتطف) وأنشأ عددًا من المجلات ، وتولى رئاسة المجمع العلمي العربي في (دمشق) أول نشأته ، سنة (١٩١٩م – ١٣٣٧هـ) وتولى وزارة المعارف مرتين في عهد الاحتلال ، توفي سنة (١٣٧٢هـ- ١٩٥٣م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٠٢/٦)

فوافق بعضهم على ذلك اضطرارًا لا اختيارًا[١].

وذكر "شكيب أرسلان" بأنه عندما أصرّ "جمال باشا" على شنق المعتقلين استدعى "شكري بك" -رئيس الديوان العرفي الحربي- في (دمشق) وسلمه أسماء (٤٠) شخصية يجب الحكم عليهم بالإعدام ، فراوده "شكري" كثيرًا فهدّده بالقتل ، ولما قال له : إن وجدانه لا يرتاح بالحكم بالموت إلا على ثلاثة إلى خمسة ، استحضر أعضاء الديوان ، وهم ضباط شباب لا يخرجون عن إرادته ، وكانت النتيجة الحكم على (٢١) فقط[٢].

أما "خلوصي بك" - والي سوريا - فقد كان على خلاف مع "جمال السفّاح" بشأن الإعدامات ، وطلب من (إسلامبول) إيقاف "جمال باشا" عند حدّه ، فكان الجواب أن يعود "خلوصي بك" إلى (إسلامبول)[٣]

حوكمت الدفعة الأولى وكانوا أكثر من سبعين شخصًا من سوريا ولبنان وفلسطين ، وكان معظمهم مقيمًا في مصر ، منهم "محمد رشيد رضا" ، وحوكمت دفعة ثانية من رجال الحركة العربية الإصلاحية قدّرت بإحدى وعشرين شخصية ما بين الإعدام والنفي من البلاد[٤] ، ويذكر "محمد فاروق الخالدي" أن النفي من البلاد كان عامًّا وشاملاً للآلاف[٥].

واستمر "جمال" في جبروته ، فحكم بالنفي على (٣٠٠) أسرة سورية ، وأجلى النابهين من العرب إلى أرض الترك ، ليستعيض عنهم بأناس من شذاذ الآفاق[٦].

وكان "فيصل بن الشريف حسين" [٧] في دمشق عند إعدام هؤلاء ، وحاول

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، دار العلم للملايين – بيروت (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) ، (١٤٠/٣)

(٢) مجلة المنار – (القاهرة) (١٩٢٢) مجلد (١٣٢/٢)

(٣) مذكرات محمد كرد علي ، مطبعة الترقي – (دمشق)- (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، (١٨٨/١)

(٤) شكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، مرجع سابق (ص١٨٤) ، وكتاب أمين سعد ، الثورة العربية الكبرى مطبعة الحلبي – مصر (٥٧ - ٦٢)

(٥) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص١٢٧)

(٦) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق (١٣٨/٣ - ١٣٩)

(٧) **هو** : فيصل بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي . ملك العراق ، ولد بـ(الطائف) ، وترعرع في خيام (بني عتيبة) في الحجاز ، اختير نائبًا عن (مدينة جدة) في مجلس النواب العثماني ، تولى قيادة الجيش العربي ، وملك سوريا عام (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) نُفِي إلى أوروبا بعد معركة (ميسلون) ، وتولى عرش العراق عام (١٩٢١م - ١٣٣٩هـ) قصد سويسرا للاستجمام =

جاهدًا التوسُّط للحيلولة دون تنفيذ الإعدام ، وكذلك أبوه من خلال البرقيات ولكن دون طائل، إذ اعتمد "جمال" على السلطة الاستثنائية المخولة له كقائد عام للجيش في سوريا حيث نفذ هذه الأحكام دون تصديق من السلطان[١].

وكان نتيجة ذلك أن خطى "الشريف حسين" الخطوة الأخيرة نحو محالفة الإنجليز الذين دخلوا معه في مفاوضات رسمية سرّية ، عبر ممثلهم في مصر "السير آرثر مكماهون" الذي أبدى له رغبة جلالة ملكة بريطانيا العظمى في استقلال بلاد العرب وسكانها ويتولى هو زعامتها شريطة أن يعلن الثورة ضد العثمانيين ويقف مع دول الحلفاء التي لن تألوا جهدًا في مدّه بالجيش والعتاد .

وبالفعل أعلن "الشريف حسين" الثورة العربية في (٩) شعبان سنة (١٣٣٥هـ) يونيو (١٩١٦م) ،وتدفّقت المؤن والدواب والذخائر والذهب تحملها السفن الإنجليزية إلى موانئ الحجاز ، وسيطر الإنجليز على الجيش العربي عن طريق رجال المخابرات الإنجليزية وبعض ضبّاط العرب الذين فرُّوا من الجيش التركي ليلحقوا بالجيش العربي الجديد[٢].

ولما كان التاريخ شاهدًا على العصر ، فإنه يظهر أن مسلسل التآمرات المشبوهة على دولة الخلافة ، وحب الزعامة والإمارة حمل "جمال باشا" هو الآخر على أن يتآمر مع الحلفاء ضد بلاده وهو الأمر الذي لن يغفل عنه التاريخ ، ففي أثناء هذه الفترة التي أعدم فيها المئات من العرب وشرِّد الآلاف منهم كانت المفاوضات تدور بينه وبينهم ، والغريب - كما يقول "محمد فاروق الخالدي" - أنه مع ذلك لم تطلب فرنسا ولا إنجلترا من "جمال باشا" التوقف عن إعدام أحد ، أو التوقف عن شيء معين ، والأغرب من ذلك أنه كان يعدم الوطنيين بحجة اتصالهم بالأجانب لفصل سوريا والبلاد العربية عن الدولة العثمانية بينما كان هو يفاوض الأجانب حول

=

فتوفي بالسكتة القلبية في عاصمتها، ودفن بـ(بغداد) سنة (١٩٣٣م – ١٣٥٢هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٦٥/٥)

(١) تُراجَع مقالات وكتابات أمير البيان أ/ "شكيب أرسلان" عن "جمال باشا" في كتاب سيرة ذاتية إشراف "موسى النجار نصر" ، طبعة الدار التقدمية الأولى (٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ) - لبنان - حيث أشار إلى استهجان "الصدر الأعظم" الأمير "سعيد حليم باشا" لإقدام "جمال" على تنفيذ أحكام دون الرجوع للحكومة ، وهكذا بعض الأعضاء ، غير أن الجميع كان يتجنب المساس بـ"جمال"خوفًا من الحزب التركي الطوراني الذي كان مؤيدًا ومشيدًا بدور جمال في الشام ؛ فلتراجع.

(٢) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق (١٠٦/٢)

الأهداف نفسها[١].

وكان اتصاله بالحلفاء قد تم عن طريق الروس والإنجليز في مصر ، فقد أرسل صديقه السويسري الجنسية ومدير المصرف العثماني في (بيروت) واسمه "نوفيل" إلى الجنرال البريطاني "ماكسويل" - حاكم مصر - وذلك في شهر (آب/١٩١٥م – ١٣٣٣هـ) وكانت غايته تسليم سوريا للإنجليز والفرنسيين سلمًا ، شريطة أن يعين هو أميرًا عليها ، وقدأكّد "دوفرانس" في رسالة له إلى وزارة الخارجية هذه الأخبار في تشرين الثاني (١٩١٥م – ١٣٣٣هـ) ، وذكر أيضًا أن الجنرال الإنجليزي "ماكسويل" أرسل لـ"جمال" بأن مصير سوريا ليس بين يديه ولا يدي "جمال باشا"[٢] ، واتصل "جمال" كذلك عن طريق "سازانوف" - وزير خارجية روسيا - بوساطة (دكتور أرمني) يعمل في "بوخارست" وكان من شروط "جمال" الأولية لقيام التحالف :

١) أن يعترف الحلفاء باستقلال الأجزاء الأسيوية التالية من تركيا ، ويكون "جمال باشا" هو السلطان لهذه الأقاليم وهي سورية وفلسطين والعراق والجزيرة وكردستان وكيليكيا.

٢) أن يكون الحكم وراثيًا له ولذريته.

٣) أن يعلن سقوط حكومة (إسلامبول) ، وأن السلطان سجين الألمان ، وسيدخل في حربٍ ضدَّهم.

٤) يمدّه الحلفاء بالقوى والأسلحة اللازمة ، ويقدمون له المساعدات المالية في نهاية الحرب.

٥) يوافق "جمال باشا" على التخلي عن المضائق و(إسلامبول) .

وكان رأي "سازانوف": الدخول في مفاوضات سرية مع "جمال" ، إلا أن فرنسا رفضت اقتراحات روسيا بشأن الاتفاق مع "جمال باشا" ؛ لأنه مخالف لمبدأ التحالف الثلاثي ، واستغربت روسيا موقف الحكومة الفرنسية[٣].

وأخيرًا قبلت الأطراف التفاوض مع "جمال" و"الشريف حسين" بشرط الاطلاع والتشاور المستمر فيما بينهم[٤].

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرة على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٣٦)

(٢) علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق (ص٣٣١)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (١٣٦ - ١٣٩)

(٤) علي سلطان ، تاريخ سوريا – نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق (٣٣٢- ٣٣٥)

وذكر "عزيز بك" - ضابط الاستخبارات التركي - أن "جمال باشا" أراد من الفرنسيين أن يروجوا له وينادوا به أميرًا على سوريا كلها ثم يضع يده بأيديهم ، لكنهم رفضوا وانقطعت المفاوضات بسبب شروط "جمال" الأخرى كالحكم الوراثي وإلغاء الامتيازات[١].

يقول "محمد كرد علي" واصفًا حال الجيش العثماني في بلاد الشام -خلال الحرب العالمية الأولى- : (ولو أردنا تفصيل ما وقع من الجيش ولأجل الجيش ، وأهمه استباحة الأعراض المصونة ، والعبث بالمقدسات والمشخصات لاقتضى ذلك مجلدًا برأسه ، فقد فسدت الأخلاق ، ونضبت موارد البلاد ، وقلّ الفحم الحجري وقطعت الأشجار كحطبٍ بدلاً منه)[٢] ويصفها "كامل الغزّي" بأنها كانت وبالاً على بلاد الشام ، وكانت من أشأم الحروب إذ اجتمعت فيها المصادرات ، وفقد المواد الغذائية ، إضافة إلى ما خربته الحرب[٣] .

" وانتشر الهلع بين السكان مجرّد إعلان الحرب عامّة ، وزاد خوفهم بسبب الإجراءات الشديدة التي نفذها "جمال باشا" ، منها إعدام بعض الفارّين من الجندية ، ومداهمة البيوت لأخذ الشباب بالقوة ، كما أن المجرم السفّاح فوض الضباط الأتراك بتنفيذ الإعدام بسبب الفرار من الجندية في واحد من كل عشرة[٤].

وذكر "جمال باشا الصغير" في مذكراته عن الحرب بأنه لم يصل من بين (١٢٠٠٠) جندي معظمهم من العرب إلى عمّان إلا (٤٨٠٠) جندي ، وأما الباقون ففرّوا من الجيش والتحقوا بجيش الثورة العربية[٥].

تعهد الإنجليز للشريف أن يضم إليه البلدان العربية التي ينسحب منها العثمانيون وهي : الشام والعراق إضافة إلى الجزيرة ، ويكون ملكًا عليها ، وأعلن الشريف ثورته ضد دولة الخلافة الإسلامية ، وانحيازه إلى الحلفاء من دول أوروبا النصرانية ، وتحركت قواته نحو الشمال بقيادة ولده الثالث "فيصل" ، وكان لهذه القوات أثرها في تخفيف ضغط العثمانيين عن الإنجليز الأمر الذي جعل الجيش الإنجليزي بقيادة الجنرال "اللنبي"[٦] يتقدم في فلسطين ، ويتراجع أمامه الجيش العثماني ، وفرض

(١) عزيز بك ، الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية ، مرجع سابق (ص١٨٦)

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق (١٤٥/٣ - ١٤٦)

(٣) كامل بن حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق (٥٦٣/٣)

(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق (١٤٠/٣ – ١٤١)

(٥) جمال باشا الصغير ، كيف جلت القوات العثمانية ، ترجمة فؤاد الميداني ، بيروت (١٩٣٢م – ١٣٥١هـ) ، (ص١٣٦)

(٦) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (١٤٠ - ١٤١)

"فيصل" سيطرته على المناطق الداخلية ، وعاون الإنجليز في احتلال الأجزاء الشمالية من بلاد الشام ، ومع هذه المساعدة الفعالة من وجهة النظر الأوروبية فإن الإنجليز كانوا يتآمرون على "الشريف حسين" ومن مشى بجانبهم من العرب ، وربما كان هذا كله جزاء ذلك الانحياز ، لقد كان الإنجليز والفرنسيون يتفقون فيما بينهم على تقسيم بلاد الشام فيما عرف بـ(اتفاقية سايكس - بيكو)[١] ثم أعطى الإنجليز اليهود وعدًا بأن يؤسسوا لهم دولة في فلسطين فيما عرف بـ(وعد بلفور)[٢]بعد انتصار الحلفاء في الحرب،تمّ هذا كله ولا زالت العمليات الحربية تجري ، وبعد أن انتهت الحرب اتفق مجلس الحلفاء في (سان ريمو)[٣] تحت تأثير انجلترا وفرنسا على إعطاء انجلترا العراق، وأجزاء من بلاد الشام وهي ما عرف فيما بعد باسم سوريا الجنوبية (فلسطين والأردن) وإعطاء فرنسا أجزاءً أخرى من بلاد الشام وهي ما عرف فيما بعد بسوريا

---

(١) **اتفاقية سايكس – بيكو** :نسبةً إلى "مارك سايكس" المندوب البريطاني ، و"جورج بيكو" المندوب الفرنسي اللّذَين عقدا اتفاقيات بين بريطانيا العظمى وفرنسا في مدينة (لندن) تنص على أنهما مستعدتان أن تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دولة عربية تحت رئاسة عربي في المنطقتين (سوريا والعراق) ويكون لفرنسا منطقة سوريا ، ولبريطانيا منطقة العراق ، ولهما حق الأولوية في المشاريع والعروض المحلية ، وإنشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم ،إما مباشرًا أو بواسطة ، وبمراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة العربية ، وحددت إدارة دولية في فلسطين يعين شكلها بعد استشارة روسيا بالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة ،وعرفت أيضًا بمراسلات سايكس – بيكو .

يُنظَر شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٨٠)

(٢) **وعد بلفور** : نسبة إلى وزير الخارجية البريطاني اللورد "أرثر بلفور" الذي بعث رسالة إلى اللورد "روتشيلد" - أحد زعماء الصهيونية - ، عرفت فيما بعد بوعد "بلفور" جاء فيها : (إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية...الخ) ، وكان ذلك في (٢/تشرين الثاني/١٩٧١م الموافق ١٣٩١/٩/١٤هـ)

يُنظَر : شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٨٤)

(٣) **اتفاقية سان ريمو** : نسبة إلى مدينة "سان ريمو" الايطالية التي اجتمع فيها مجلس الحلفاء الأعلى المكون من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا لمدة أسبوع خلال الفترة من (١٩ - ٢٦/نيسان/١٩٢٠م الموافق ١-١٣٣٨/٨/٨هـ) ، ووضعوا خلاله صيغة معاهدة مع تركيا من قبل بريطانيا وفرنسا ، كما نصت هذه الاتفاقية على تأييد اتفاقية (سايكس – بيكو) والاعتراف المؤقت بسوريا والعراق كبلدين مستقلين على أن تكون كل منهما تحت إدارة دولة الانتداب ، التي اتفق مجلس الحلفاء على فتح الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان ، والبريطاني على فلسطين والعراق وشرق الأردن .

يُنظَر : شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص١١٦ – ١١٧)

الشمالية (سوريا ولبنان)[١] .

أعطي "عبد الله بن الشريف الحسين"[٢] حكم منطقة (شرق الأردن) من الشام (الأردن اليوم) وشكلت في (دمشق) إدارة حكومية تحت إمرة القائد العام "الجنرال اللنبي" وإدارة "فيصل بن الحسين" -قائد القوات العربية- ، أما فلسطين فقد وضعت تحت الإدارة العسكرية الإنجليزية المباشرة ، كما عهد إلى فرنسا بإدارة الشريط الساحلي السوري تحت قيادة "الجنرال اللنبي" ، وهذا كله فحوى اتفاقية (سايكس - بيكو)[٣] .

وأعلنت حكومات عربية في المناطق الساحلية تحت راية "الشريف حسين" إضافة إلى حكومة (دمشق) ، فرفع العلم العربي في (بيروت) في تشرين الأول سنة (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ) ، واحتج الفرنسيون لدى "الجنرالاللِّنْبي" ؛ لأن المنطقة كانت قد خصصتها اتفاقية (سايكس - بيكو) لفرنسا ، ثم ألزمت فرنسا ممثل "فيصل" هناك بالانسحاب فأزيحت الأعلام العربية على يد القوات البريطانية نفسها. وكانت رفعت شعارات في شوارع (بيروت) تتضمن أهمية التآخي والتعاون بين المسلمين والنصارى ، ومن بين تلك الشعارات (العرب قبل عيسى ومحمد) إشارة إلى ضرورة التعاون على أساس قومي عربي ، لا ديني طائفي[٤].

ولما دخلت قوات فرنسا (بيروت) تغير الحال ؛ إذ بدأت المظاهرات ترحب بالقوات الفرنسية ، وتطالبها بتخليصها من الاستعمار التركي والإسلامي ، مع أنهم كانوا قبل أيام يحتفلون مع المسلمين بإقامة الحكومة العربية في (بيروت) و(بعبدا)[٥].

و(بعبدا)[٥].

وما لبث "فيصل" أنْطُرد من سوريا وغادر ملكه بعد سنتين من توليه وذلك في ذي القعدة سنة (١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م) ، ودخل الفرنسيون دمشق بعد معركة

(١) محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق (١٤١/١١-١٤٢)

(٢) **هو** : عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد الحسني الهاشمي . أمير شرقي الأردن ثم ملك الأردن مات قتلاً بالرصاص في المسجد الأقصى، توفي سنة (١٣٧٠هـ-١٩٥١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي، الأعلام،مرجع سابق، (٨٢/٤)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٢٥٩)

(٤) المصدر نفسه (ص٢٥٩)

(٥) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٢٥٩- ٢٦٠)

(ميسلون) - بقيادة الضابط "يوسف العظمة"[1]- التي هزم فيها العرب بأحزابهم وجمعياتهم القومية ، وسقط فيها أكثر من ثمانية آلاف عربي بين قتيل وجريح ، وكان للخيانات وضعف النفوس دور في حسم المعركة[2]، وكان بودّ "فيصل" أن يتفاهم مع الفرنسيين لكنهم رفضوه رفضًا تامًّا ، وجهزوا له قطارًا خاصًّا ينقله إلى خارج سوريا مع عائلته وبطانته ، فانصاع للأمر ونفي إلى (إيطاليا) ، وظلّ بها حتى استدعاه "تشرشل" إلى لندن، وعرض عليه عرش العراق في مارس سنة (١٩٢١م – ١٣٣٩هـ)[3].

وما أصدق قول الشاعر "أحمد شوقي"[4]وهو يخاطب "الشريف حسين" :

كلنا وارد السَّراب وكلٌّ حملٍ في وليمة الذئب طاعمْ
قد رجونا من المغانم حظًّا ووردنا الوغى فكنا الغنائمْ[5]

---

(١) **هو** : يوسف بك بن إبراهيم بن عبد الرحمن العظمة . قتيل ميسلون ، من الوزراء ،ولد وتعلّم في (دمشق) ،وتنقّل في الأعمال العسكرية في دول كثيرة ، ولي وزارة الحربية بعد إعلان ملك فيصل بـ(دمشق) ، أصابته قنبلة فرنسية في معركة (ميسلون) ، ودفن في المكان الذي قتل فيه ،كان مجيدًا للغة العربية والفرنسية والتركية والألمانية وبعض الإنجليزية ، وعائلته مشهورة في سورية ونبغ منها ضباط وإداريون فضلاء ، توفي سنة (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢١٣/٨)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٢٩٦)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٢٩٩) ، محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق (٢٠٩/٢)

(٤) **هو** : أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي . يلقب بـ(أمير الشعراء) ، ولد بـ(القاهرة) وتوفي بها، قال عن نفسه : (سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب) ، نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في مدارسها ، اطلع على الأدب الفرنسي بعد ابتعاث "الخديوي توفيق" له ، وعاد بعد دراسته وعين رئيسًا للقلم الإفرنجي في ديوان "الخديوي عباس" ، ومثل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بـ(جنيف) ، وكانت حياته شعرًا وترفًا ، له عدد من الدواوين ، توفي سنة (١٩٣٢م – ١٣٥٠هـ)

يُنظَر في ترجمته : محمد كرد علي ، المعاصرون ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) (ص٥٩)

(٥) أحمد شوقي ، الشوقيات ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية عشرة ، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) ، (ص١٥٠)

المطلب الثاني : واقع بلاد الشام من بعد الحرب العالمية الأولى إلى إعلان الاستقلال.

W:

لعبت كل من فرنسا وبريطانيادورًا كبيرًا في تغيير خارطة بلاد الشام ؛ حيث توزعتا حصة الرجل المريض ، واستطاعتا الحصول على صك انتداب يكفل لكليهما السيطرة السياسية والعسكرية والاقتصادية تحت غطاء الأمم المتحدة في (٢٤ تموز) عام (١٩٢٢م) بذريعة حماية هذه المنطقة من أي نفوذ أجنبي ، واستمر هذا الانتداب ربع قرن حتى استقلت كل من سوريا ولبنان سنة (١٩٤٧م) ، وكانت فترة الانتداب تحمل عوامل ومتغيرات ، جعلت الساحة السياسيةميدانًا للصراعات والثورات ومن ذلك :

أولا : التقسيم والتجزئة :

حيث مارست فرنسا سياسة التفتيت والتفريق حين قسمت سوريا الكبرى إلى دولتين هما سوريا ولبنان ،وضمَّ إلى لبنان الكبير (جبل لبنان) ومدن (طرابلس وصيدا وصور وبيروت) علاوة على (سهل البقاع الخصيب)[١]، والغريب أن هذه المدن كانت ذات أغلبية مسلمة ، وقامت فرنسا بضمها إلى لبنان استجابة لرغبة "الموارنة" النصارى الذين استعطفوا الفرنسيين واسترحموهم توسعة نطاقاتهم وامتيازاتهم من جهة ، ومن جهة أخرى ما ذكره "محمد محمد حسين" أن فرنسا تزعم لنفسها حق حماية النصارى في الشرق وأن علاقتها بالشام ترجع إلى عهد الصليبيين[٢] ، ويمكن أن يقال :إنّ هذا التوسع جاءتقديرًا للدور الذي لعبه النصارى بقيادتهم الدينية يوم حطت فرنسا رحالها ، وكانوا لها أبناء بررة ،وجنودًا مخلصين لقيادتهم في باريس والفاتيكان ، وكانت لهم أمًّا حنونًا ، ولقدجلّى مواقفهم وكشف مستورهم "محمد عبد الغني النواوي" في كتابه (الصراع العربي الإسرائيلي) ، و "محمد محمد حسين" في كتابه (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) ،وكلٌّ من : "مصطفى الخالدي"[٣]و "عمر

---

(١)يُنظَر : محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، (٥٤/١,٦٠,٧١) ومحمد فاروق الخالدي – المؤامرة الكبرى على بلاد الشام – مرجع سابق (٣٣٧,٣٤٤,٣٤٩)

(٢) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق (١٠٠/٢)

(٣) **هو** : طبيب ، أديب ، كاتب إسلامي ، من مواليد (بيروت) ، عرف بدفاعه عن القضايا القومية والإسلامية ، توفي سنة (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام،مرجع سابق،(٧٨/٢)

فروخ"[1] في (التبشير والاستعمار) ، و"محب الدين الخطيب" في كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) ، و"محمود شاكر"[2] في كتابه (أباطيل وأسمار)

وأما سوريا فبعد أن أقامت فرنسا دولتين منفصلتين هما (دولة حلب) و(دولة دمشق) عام (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) وحكمًا منهما حاكمٌ محلي ، يساعده عدد من المستشاريين الفرنسيين ، أعلنت في عام (١٩٢٢م – ١٣٤٠هـ) دولة (جبل الدروز)[3] والذين لم يكونوا أقلّ دعمًا للفرنسيين من "الموارنة" ، إذ رحبوا بالغزاة المحتلين وقدّموا لهم كل ما في وسعهم حتى اطمأن الفرنسيون إليهم ، حتى إن الجنرال "غورو" لما عُيِّن مفوضًا سياسيًّا ، وقائدًا عامًّا لجيوش فرنسا في الشرق اختار حرسه الخاص من "الدروز" ، وخص الجبل بأكثر من ثلاثة آلاف صورة من صوره وهو في الزيّ العسكري، وقد أحاط به حرسه "الدروز" بثيابهم المزركشة وسيوفهم المتوهجة[4] ، كما كان بين رؤسائهم الروحيين ومشايخ الجبل وبين الفرنسيين رسائل عليها إمضاءاتهم نقلها "محمد عبد الغني النواوي"[5].

ثم أعلنت في العام نفسه (دولة العلويين) في (اللاذقية)وعُين عليها حاكم فرنسي فجَعَل لها نظامًا إداريًّا خاصًّا ، وفي عام (١٩٢٢م – ١٣٤٠هـ) أعلن الجنرال "غورو" - اضطرارًا - قيام اتحاد فيدرالي سوري يتضمن دويلات سوريا المستقلة (حلب ودمشق والعلويين) ثم اضطر مرة أخرى - إثر الانتخابات التي جرت في (حلب) أواخر سنة (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) وقرّر فيها المجلس النيابي (المنتخب)

---

(١) **هو** : عمر عبدالله فروخ . من أعلام الأدب العربي ، من مواليد (بيروت) ، نشأ في أسرة علم ودين ، اشتغل بالتدريس ، وشارك في مؤتمرات عالمية ، له عدة مقالات ودراسات ، توفي سنة(١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (٧٨/٢)

(٢) محمود بن محمد شاكر. علامة الأدب واللغة ، من مواليد (الإسكندرية) ، انتسب إلى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة (القاهرة) ، واختلف مع أستاذه "طه حسين"فترك الدراسة ، أسس مدرسة (جدة) السعودية ، ثم عاد لـ(القاهرة) واشتغل بالأدب والتأليف ، توفي سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٧م)

يُنظَر في ترجمته :نزار أباظة و محمد رياض المالح ، إتمام الأعلام، مرجع سابق (ص(٤٣٢)

(٣)يُنظَر محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٣٣٧)

(٤)يُنظَر : محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق نقلاً من كتاب تطور الحركة الوطنية في سوريا للدكتور "ذوقان قرقوط" عن كتاب (جبل الدروز) –"حنا أبو راشد" (٤٦/١)

(٥) المصدر نفسه (تكلم النواوي بكلام نفيس ومفصل عن الطائفة الدرزية في أكثر من تسعين صفحة فلتراجع هناك) (٣٦/١ - ١٢٧)

بالإجماع الاندماج بدولة (دمشق) - إلى إعلان اسم الدولة السورية بعد اختفاء استمر أربع سنوات[١].

وأما "سنجق اسكندرون" فقد منحت سنة (١٩٢١م – ١٣٤١هـ)نظامًا يشبه إلى حد كبير الحكم الذاتي بعد أن كانت في العهد العثماني (قائمقامية) تابعة لولاية (حلب)، وضمت إليها (أنطاكية) ودمجت سنة (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) بدولة (دمشق) و(حلب) بعد إعلان الدولة الواحدة ، غير أن فرنسا تنازلت لتركيا عن هذا الإقليم لتضمن حياد تركيا في حال نشوب الحرب العالمية الثانية وذلك سنة (١٩٣٩م – ١٣٥٧هـ) ، ولا تزال مشكلة الإقليم سببًا في توتر العلاقات السورية التركية[٢].

ويقسم "جورج أنطونيوس"[٣] الانتداب الفرنسي على سوريا إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : من سنة (١٩٢٠م – ١٩٢٦م) ،وسمّاها بـ (العصر المظلم) ، الذي بذرت فيه فرنسا بذور الاضطراب ، وجنت بسبب العمى والحمق السياسي حصادًوابيلاً في صورة ثورة ختمت بها المرحلة.

المرحلة الثانية : من سنة (١٩٢٦م – ١٩٣٦م) ويسميها (فترة المفاوضات) ، التي لجأت إليها فرنسا بعد الخسائر والفضائح الإدارية وسوء السمعة ، حيث رأت أن خير مخرج لها هو التفاهم مع الزعماء الوطنيين.

المرحلة الثالثة : من (١٩٣٦م – ١٩٤٧م) وهي التي توصل فيها الفريقان إلى اتفاق ملموس ، وابتدأ فيها عهد جديد في العلاقات

---

(١) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، منشورات دار الاتحاد ، طبعة جديدة – بيروت - بدون تاريخ (ص٤٠٨)

(٢) ينظر : محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٣٣٧ - ٣٣٨) ، و "عدنان زرزور" في كتاب (مصطفى السباعي الداعية المجاهد والفقيه المجدد)، طبعة دار القلم بـ(دمشق) ، الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م) (ص٥٤)

(٣) **هو** : جورج حبيب أنطونيوس . لبناني الأصل من أهل (دير القمر) ، ولد بـ(الإسكندرية) وتعلم بها في كلية (فكتوريا) ثم جامعة (كامبردج) في انجلترا مهندسًا ، وعمل ببلدية (الإسكندرية) بعدها ، ثم انتقل إلى (القدس) وعمل بإدارة المعارف ، كان من أمناء الوفد العربي لمؤتمر فلسطين في (لندن) (١٩٣٩م – ١٣٥٧هـ)دوّن ما عرفه من تاريخ العرب القومي ، وما حدثه به العارفون بتاريخهم ، في تقرير كتبه بالإنجليزيه ، وترجمه "علي حيدر الركابي" ، وسماه : (يقظة العرب) توفي سنة (١٩٤٢م – ١٣٦٠هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٤٥/٢)

الفرنسية العربية[١] .

وأما فلسطين فوضعت تحت الانتداب البريطاني ما يقارب ثلث قرن من عام (١٩١٧م – ١٩٤٧م) ، وحرصت بريطانيا على جعلها وطناً قومياً ليهودياً ، كما جاء في رسالة اللورد "آرثر بلفور" -وزير الخارجية البريطاني- إلى "اللورد روتشيلد" - أحد زعماء الصهيونية قائلاً : (إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية....)[٢] .

ودخل الجنرال "أدموند اللنبي" -قائد القوات البريطانية- إلى مدينة (القدس الشرقية) ، ومشى إلى جانبه ممثلوا دول الحلفاء ، ولم يمثل القوات العربية المشتركة في الحرب ممثل في ذلك الاحتفال الرسمي[٣] .

يقول وزير خارجية بريطانيا اللورد "كرزون" مفسراً معنى الوطن القومي لليهود : (إن الوطن القومي مفاده كيان سياسي يؤلفه اليهود ، ويدير شؤونه اليهود ، ويحكم وفقاً لمصالح اليهود)[٤] .

ويذكر "محمد فاروق الخالدي" أن أمر دخول (القدس) بقي سراً عدة أيام حتى إن الاحتفال المشار إليه لم يدم أكثر من نصف ساعة وذلك أن دخول القوات المحتلة النصرانية وبمباركة قومية كان أمراً خطيراً عند المسلمين ، لعلاقته بذكرى (الحروب الصليبية)[٥]

وفرح النصارى فرحاً عظيماً في (القدس) وخارجها ، حتى قرعت أجراس الكنائس في ألمانيا الحليفة للعثمانيين التي خسرت الحرب ؛ حيث كان النصر مغريًا لعودة الأرض المقدسة لـ"النصارى" - كما ذكر "محمد كرد علي"-[٦].

---

(١) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الأسد وإحسان عباس ، الطبعة الثامنة ، كانون الثاني (يناير١٩٨٧م) ، دار العلم للملايين (ص٥٠٠)

(٢) الأمير شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، إشراف "يوسف حسين" و"توما توفيق" و"يوسف قزماخوري" طبعة الدار التقدمية – لبنان – الطبعة الأولى (٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ) (ص٨٤)

(٣) المصدر نفسه (ص٨٥)

(٤) أحمد طربين – محاضرات في تاريخ قضية فلسطين – (القاهرة) (١٩٥٨م – ١٣٧٧هـ) (ص٤٣)

(٥) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٢١٢)

(٦) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق (١٤٦/٣)

وكان "البابا" قد دعا أتباعه في العالم أن يقدموا الشكر لله بمناسبة احتلال (القدس) ، وينهاهم عن السعي لإعادتها إلى تركيا[١].

وتجلى حقد العدو المستعمر عندما دخلت جيوش الحلفاء المدينة ، وترجّل "الجنرال اللنبي" ماشيًا إلى قلبها ، ثم قال حين أشرف على كنيسة القيامة : ((اليوم انتهت الحروب الصليبية)).

وهذه الكاتبة اليهودية "بربارة توخمان" في كتابها (التوراة والسيف) تقول : (وهكذا دخل "الجنرال اللنبي" إلى (القدس) فنجح من حيث كان "ريتشارد قلب الأسد" قد أخفق ، ولولا ذلك الانتصار لما كانت إعادة إسرائيل إلى أرض الميعاد قد أصبحت حقيقة واقعة)[٢]

بل استمع إلى ما قاله الجنرال "غورو" في خطاب ألقاه في (بيروت) عام (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) : (إني سليل الذين دخلوا هذه البلاد في غابر الزمن ، وقد أتيت إلى هنالأتمّم رسالة ما تركه أولئك الأبطال)[٣]

وتأمل ما قاله الجنرال "غوابه" - قائد الحملة التي زحفت إلى (دمشق) يوم (ميسلون) بأمر الجنرال "غورو" - في مذكراته التي كتبها بعد استقراره في (دمشق) ، وذيّل إحداها بحاشية صغيرة نقلها "ساطع الحصري"[٤] وترجمها بقوله : (أنا في دمشق)، إن هذا الاسم كان يمثل لي شيئًا لخرافيًّا عندما كنت أقرأه في سجلات عائلتي ، وأنا بعد في سنّ الطفولة ، إن "جان مونغوليه" الجد البعيد لجدتي من جهة "أبي لويز" كان قد وقع في الأسر خلال الحروب الصليبية الثانية سنة (١١٤٧م – ٥٤١هـ) ونقل إلى مدينة (دمشق) ، وكان من السواد الأعظم ، ولذلك لم يعامله (السراقون) المعاملة الحسنة التي كانوا يختصون بها ، وأهل (دمشق) جعلوا منه في ذلك الحين عبدًا يشتغل في أحد المصانع التي يصنع فيها الورق من القطن ، فاشتغل "جان" المسكين هناك

---

(١) مجلة الكواكب القاهرية ، العدد (٧٤) وتاريخ ٢٥ ديسمبر (١٩١٧م – ١٣٣٥هـ)

(٢) أنور الجندي ، العالم الإسلامي ، دار الكتاب المصري ، الطبعة الأولى (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ) ، (ص٤١٩)

(٣) عبد العزيز العظمة ، مرآة الشام ، ، مرجع سابق (ص٢٧١)

(٤) **هو** : ساطع بن محمد هلال الحصري . كاتب وباحث . وُلد بـ(صنعاء) ، وكان والده رئيس محكمةٍ فيها ، وتنقل في التعليم والإدارة ، وولي وزارة المعارف بـ(دمشق) فترة الحكم الفيصلي ، وبعد احتلال الفرنسيين لها غادر إلى (بغداد) ،وانتقل منها قسرًا إلى (حلب) ثم مصر . له أكثر من (٥٠) كتابًا ، وكانت وفاته بـ(بغداد) سنة (١٣٨٨هـ- ١٩٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : أحمد يوسف ،ساطع الحصري ثلاثون عامًا على الرحيل ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرة ، طبعة مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت) (١٩٩٩م – ١٤١٩هـ)

شغلا ًشاقّ ًا خلال ثلاث سنوات ، وبعد ذلك فرّ من (دمشق) ، وتمكن من الالتحاق بالجيش الصليبي بعد اجتياز آلاف المخاطر ، وعندما عاد إلى مسقط رأسه بعد غياب دام عشر سنوات أسس أول طواحين الورق التي عرفتها أوروبا ، أو ليست العدالة العليا هي التي سمحت لحفيد أسير الحروب الصليبية أن يدخل المدينة المقدسة ظافرًا منصورًا ؟)[١]

وفي عام (١٩٤٧م) أعلنت بريطانيا عزمها على إنهاء الانتداب في أول آب (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، وأنها لن تستخدم قواتها لتنفيذ مشروع التقسيم ، وأنها ستترك فلسطين لمن يقوم فيها ، بعد ثلاثين عامًا من الانتداب[٢].

وأمّا (شرقي الأردن) فكانت في منطقة واقعة تحت الانتداب البريطاني تابعة للإدارة الموحدة في فلسطين ، وأسست بهلاحقًا إدارة بريطانية منفصلة عن فلسطين رأسها اليهودي البريطاني "هربرت صمويل" ، لكنه لم يدطويلاً ، وذلك لأن فرنسا حين اجتاح جيشها مملكة الملك "فيصل بن الحسين" في (دمشق) سنة (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) غضب الملك " الشريف حسين" ملك الحجاز وأراد أن يثأر ، فأرسل ابنه "عبد الله" -نجله الثاني ووزير خارجيته المستقيل آنذاك - على رأس حملة ، فاحتوت بريطانيا غضبة "الشريف حسين" ، واعترفت بـ "عبدالله" أميرًا على (شرقي الأردن) ، على أن لا يمتدّ وعد "بلفور" إلى المناطق الواقعة شرقي نهر الأردن ، وثار الأمير "عبد الله" فكانت إمارة (شرقي الأردن) ترضية لحلفاء الأمس - كما عبّر بذلك "محمد فاروق الخالدي"-[٣].

أقام "عبدالله" عاصمته آنذاك في (عمّان) ، وكانت لم تزل بلدة صغيرة تقوم على سفوح جبال (أدوم) ، وبنى لنفسه قصرين متواضعين ، كما أقام حكومة هاشمية ، واستمر يحكم الأردن مدة ثلاثين عامًا ، كانت في بداية أمرها مؤلفة من (وزراء) سوريين ، مهاجرين ، ولم يكن الأمير والوزراء يحسنون التدبير والتوفير ، فقد كانت بريطانيا تقدم للحكومة إعانة سنوية ، وكان القائمون على الحكومة يهتمون بتعبئة جيوبهم ، بل ويهرّبون كميات من الأموال إلى جماعات الثائرين السوريين عبر الحدود ، وفي عام (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) قررت وزارة المالية البريطانية بعد أن فحصت حساباتها عدم تمويل حكومة الأمير إلا إذا أشرف البريطانيون على ماليتها .

(١) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، مرجع سابق (٣٦٧ - ٣٦٨)

(٢) الأمير شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم ووقائعه ، مرجع سابق (٣٩٩ - ٤٠٠)

(٣) يُنظَر : محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٤٢٥ - ٤٢٦) ، الزركلي في الأعلام ، مرجع سابق (٨٢/٤)

(٢) خير الدين الزركلي ، عامان في عمّان ، الأهلية للنشر والتوزيع ،عمّان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ) (ص٨ ،١١، ١٢)

وهكذا أصبح المعتمد البريطاني أعلى سلطة في البلاد ، وله قوة الإشراف والمراقبة ، وفصل الموظفون الدمشقيون من مناصبهم ، واحتل البريطانيون المراكز الرئيسية في الدولة كوزارتي الخارجية والمالية ، وظلت الأردن عشرين عامًا بلدًا صغيرًا معزولاً عن تيارات العالم وعواصفه إلى عهد استقلالها ، ولا تستطيع العمل بانفراد ، وتعيش على المساعدات البريطانية ، وإن كانت تتمتع بنعمة السيادة [٢].

ثانيًا : تأجيج الصراع والثورات :

وكان هذان أثرين للتقسيم والتجزئة التي عرضها العدو المحتل كما ذكرت آنفًا ، ويبدو أن بلاد الشام عاشت منذ زمن طويل حالة من الانقسام والتعددية المذهبية والطائفية وكانت عرضة للتجاذبات السياسية والإقليمية والدولية ، والتي استمرت بين التصاعد والفتور حتى اليوم ، وكان لذلك أثر كبير في إذكاء الثورات والصراعات خصوصًا بعد الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ) ، ودخول الحلفاء والمحتلين ، وقسمة التركة العثمانية (الشامية) بعد موت الخلافة .

فهاهي أول ثورة تمرد ومقاومة عرفت بثورة "إبراهيم هنانو"[١] في شمال سوريا والتي استمرت عامين من (١٩١٩م – ١٩٢١م ، ١٣٣٧هـ - ١٣٣٩هـ) ، حيث كانت (حلب) مسرح الثورة التي انتهت بلجوء "هنانو" إلى الأردن واحتلال الفرنسيين الكامل للمدينة[٢].

وهاهي موقعة (ميسلون)[٣] في (١٣٨٨/١١/٧هـ) الموافق (٢٤/تموز/١٩٢٠م)

---

(١) **هو** : إبراهيم بن سليمان آغا هنانو . من كبار قادة الثورات الاستقلالية بسورية ، ولد في (حلب) ، وتعلم في (الآستانة) ،كان عضوًا في (المجلس العمومي) بـ(حلب) ،ثم عضوًا في (المؤتمر السوري) بـ(دمشق) ،وعضوًا في جمعية (الفتاة السّرية) ، قاد عصابات عربية ضد فرنسا ، خاض سبعة وعشرين معركة لم يهزم في واحدة ، حوكم من الفرنسيين بسبب الثورة ، واجتمعت على زعامته في الميدان السياسي سوريا كلها ، توفي بـ(حلب) سنة (١٩٣٥م – ١٣٥٣هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (١٣٦/١)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٣٤٣ - ٣٤٤)

(٣) **معركة ميسلون** : كان الجنرال "غورو" المفوض الفرنسي لسوريا ولبنان بعث إنذارًا إلى الملك "فيصل بن الحسين" عدّد فيه مخالفات انتهجتها حكومته أثارت الفرنسيين ، منها : العداء الحكومي والشعبي الصريح للفرنسيين ، والتدابير الإدارية ضد الفرنسيين ، وطالب بقبول خمسة شروط فرنسية ، على أن يبلغ الأمر للمفوض السامي خلال ثلاثة أيام ، وإذا لم توافق حكومة (دمشق) عليها أو مضت المدة المحددة فإن فرنسا ستكون مطلقة اليد أن تعمل ما يلزم.

=

=

وهذه الشروط هي :

أ- تسليم خط حديد (رياق - (حلب)

ب- قبول الانتداب الفرنسي.

ج- إلغاء التجنيد الإجباري.

د- قبول تداول النقود السورية الجديدة.

هـ - الضرب على أيدي رجال العصابات على حدود لبنان.

التقى الملك "فيصل" بأعضاء حكومته ،واقترحوا تسريح الجيش وحلّه ، والموافقة على جميع الشروط ، إلا أن "يوسف العظمة" وزير الحربية رفض التوقيع بحجة أن الجيش إذا حل لم يعد بالإمكان جمعه ثانية ، فاضطروه إلى التوقيع بالإكراه ، وفي الحال صدرت إرادة ملكية بحل الجيش ، وقبول شروط الجنرال "غورو" وأرسل برقية بذلك رغم المعارضة ، إلا أن الجنرال الماكر زعم أن البرقية وصلت إليه بعد أن كانت المدة المحدّدة قد انتهت ، وبينما الجيش العربي المرابط يتراجع بعد صدور أوامر الانسحاب ،كان الجيش الفرنسي يتقدّم ، وعاد الملك ووزراؤه ورجّحوا فكرة الدفاع بعد ثلاثة أيام من حل الجيش وإخلاء الكتائب ، واقترحوا أن يسدّ الفراغ بآلاف المتطوعين والوطنيين لتأليف جيش أهلي ، وعادوا للضغط على وزير الحربية بدعوى أن الوقت وقت حميّة ،فتقدّم يقود جمهور المتطوعين على غير نظام ، وكان الملك فيصل أرسل مرافقه "جميل الألشي" إلى (ميسلون) ليستطلع أحوال الجيش ، ويذهب إلى الجنرال "غوابييه" - قائد الحملة الفرنسية -ليطلب منه الهدنة كحلّ أخير ،إلاّ أن "الألشي" خان أمانته وتنكر لقوميته فأبان للقائد الفرنسي مواطن الضعف في الجيش العربي ، وأكد أنه لا يبلغ (٤٠٠٠) متطوع ،فسرّ بالخبر ، وقال إذًا غداً مساءً نكون في (دمشق) . ووعد الأمين أن يحفظ له هذه الخدمة إذا رجعا إلى (دمشق).

وهذه خيانة أخرى لكنها في ثوب رجل درزي من المتطوعين تقدم مع بعض الفرسان ، وعرض على قائد الجيش خدمته ، وما إن تقدمت المسيرة نحو العدو حتى وثب ذلك اللئيم من خلفها وجعل الجيش بين نارين ، وقتل منهم عددًا ونهب سلاحها وعتادها.

وحضر رجلٌ يقال له "حسين الشماط" رئيس عصابة (سرغايا) إلى الزبداني وطلب من قائد الميمنة أن يسلّمه المدافع والرشاشات ليحفظها له ، فدفعه القائد بالتي هي أحسن.

وعلى الرغم من ذلك كله استمر القائد "يوسف العظمة"عازمًا على قتال الفرنسيين ، وكان قد جعل على رأس (وادي القرن) في طريق الفرنسيين (ألغامًا خفية) فلما بلغ (ميسلون) ورأى العدو مقبلاً أمر بإطلاقها فلم تنفجر ، فأسرع إليها يبحث ، فإذا أسلاكها قد قطعت ، فعلم أن القضاء نفد ، فلم يسعه إلا أن ارتقى ذروة ينظر منها إلى دبابات الفرنسيين الزاحفين نحوه ، وجماهير الوطنيين من أبناء البلاد بين قتيل وجريح ، فعمد إلى بندقيته وهي آخر ما بقي لديه ، فلم يزل يطلق نيرانها حتى أصابته قذيفة دبّابة ، ودفن في المكان الذي استشهد فيه وذلك في (٢٤/تموز/١٩٢٠م الموافق ١٣٣٨/١١/٨هـ) ، وقد سمح الفرنسيون لزوجته أن تكتب على قبره ، وعلى لوحة خشبية العبارة التالية : (هذا وزير حربية الحكومة الشريفة ،مات جنديًا بشجاعة)

=

والتي قادها "يوسف العظمة" -وزير الحربية في حكومة الملك "فيصل"- وقتل فيها بقذيفة المحتل الفرنسي ، كانت تعبيرًا عن عدم الرضا بسياسة الحلفاء تجاه العرب بعد قرارات مؤتمر "سان ريمو" سنة (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ)

وقد ضاق أهل الشام ذرعًا بما اقترفته قوات الاحتلال من تجاوزاتٍ حملتهم على تصعيد المقاومة لتصل إلى قادة الاحتلال ، ومنها محاولات الاغتيال التي تعرض لها الجنرال "هنري غورو" المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان . ففي (٢٣ حزيران ١٩٢١م الموافق ١٣٣٩/١٠/١٨هـ) أُطلق الرصاص عليه وهو يسير على طريق (القنيطرة) أثناء زيارته لبعض الأعيان من الأمراء [١].

ولا ننسى دور المقاومين للاستعمار فيما يعرف بـ(ثورة الحورانيين)[٢] التي شاركت فيها جموع من مدن وقرى (حوران) احتجاجًا على احتلال سوريا وطرد الملك "فيصل" ، وقام المحتل بإحراق بيوت مشايخهم واعتقال زعمائهم حتى اضطر بعضهم إلى مغادرة سوريا ، بل استخدم العدو الطائرات التي كانت تلقي قنابلها على القرى الآمنة بلا رحمة، ورغم الخسائر في الأرواح والأموال استمرت المقاومة في (حوران) ، وكان للمقاومين للاستعمار الدور كبير في الثورات المتعاقبة في (دمشق) و(جبل الدروز) سنة (١٩٢٥م – ١٣٤٣هـ)[٣] .

=

قال عنه المارشال الألماني "ماكنزن" - قائد جبهة رومانيا في الحرب العالمية الأولى- ، في حين كان "يوسف العظمة" يشغل منصب رئيس أركان حرب الفيلق العثماني في تلك الجبهة : (ما كان يخطر ببالي أن يكون في الجيش العثماني مثل "يوسف العظمة") . وبعد سقوط القائد أخذت فلول الحملة تتراجع نحو (دمشق) ، فاعترضها في الطريق "نواف الشعلان الدرزي" بمن معه من الخيالة ، وسلب سلاح القوم وعتادهم ، كما سطا بعض الأكراد على اصطبل الثكنة ، ونهبوا ما كان فيها من خيول الجيش ، ودخلت فرقة من جيش الفرنسيين (دمشق) في اليوم التالي دون قتالٍ ولا مقاومة ، وانتهى بهذه المعركة الحكم الفيصلي في سوريا في (٢٥/تموز/١٩٢٠م الموافق ١٣٣٨/١١/٩هـ)

يُنظَر حول هذا : عبد العزيز العظمة ، مرآة الشام ، تحقيق نجدة فتحي صفوة ، (لندن) – مطبعة رياض الريس للكتب والنشر ، (ص٢٦٤ - ٢٧٠) ، وكذلك الزركلي في الأعلام ، مرجع سابق، ترجمة يوسف العظمة (٢١٣/٨) ، وساطع الحصري في كتاب يوم ميسلون ، مكتبة الكشاف ، بيروت – (١٩٤٧م – ١٣٦٦هـ) ، (ص٢٦٨ - ٢٦٩)

(١) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق (ص١٣١)

(٢) نسبة إلى حوران .

(٣) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٧١/١-٧٣) ، ومحمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٣٤٤ - ٣٤٥)

ويكفي دليلاً على مقاومة الشاميين للمستعمر ما ذكره الجنرال الفرنسي "ساراي" حيث وصف حال فرنسا ، فقال : (إن سورية شهدت سنة (١٩٢٢م – ١٣٤٠هـ) وحدها خمسًا وثلاثين ثورة دفن فيها من الجيش الفرنسي خمسة آلاف جندي ، قد جعلت من الانتداب حملاً من الأشواك على عاتق فرنسا)[١]

وهذه الثورة السورية الكبرى في (٢/كانون الثاني /١٩٢٥م الموافق ١٣٤٣/٦/٧هـ) حين أمر المندوب السامي الجديد "موريس ساراي" بإلغاء الأحكام العرفية ، ونفى زعماء (جبل الدروز) واعتقل رجالاتهم ، فما كان من أعضاء "حزب الشعب" بقيادة "عبد الرحمن شهبندر" إلاّ أن اتفقوا مع "سلطان الأطرش"[٢] - قائد "الدروز" - على التقدم نحو (دمشق) ومقاتلة الفرنسيين ، فاشتعلت المعارك وحمي الوطيس ، وعجزت فرنسا عن احتلال عاصمة الجبل (السويداء) ، ثم نشبت بعدها ثورة (حماة) في نفس العام وعمّت أنحاء سوريا ، وقصفت فرنسا بطائراتها ومدافعها الأحياء والأسواق ، واستمرت الثورة شهورًا .

وأشير هنا إشارة مهمة ، وهي : أن هذه الثورة كانت ثورة وطنية شعبية ، والأحزاب التي شاركت فيها لم تكن ذات راية دينية بل كانت رايتها قومية ، ورفعت بعضها شعار "العلمانية" كـ"حزب الشعب السوري" -كما سيأتي- ، بل إن بعض الطوائف -كما يقول "محمد فاروق الخالدي" - لم تشترك ، كـ"النصيريين" ، وسكان (سنجق اسكندرونة) وبعض الأقليات العرقية ، كـ"الشركس" ، و"الأرمن" . وبعض قبائل البدو تواطأت مع العدو ، وساعدت في إخماد الثورة[٣].

وقد لحق دمشق وأهلَها وأسواقَها وطرقاتها من همجية ووحشية المحتل ما لا يسع ذكره هنا ، حتى عزّاهم الشاعر "أحمد شوقي" بقصيدة - وصف فيها ما حلّ بـ(دمشق) من دمار وخراب - على مسرح حديقة الأزبكية في (٢٢/تشرين الثاني/١٩٢٥م الموافق ١٣٤٣/٦/٧هـ) فقال:

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١/٧١-٧٣)

(٢) **هو** : سلطان ذوقان الأطرش . مولده في (جبل الدروز) وكان معقلاً له ولأنصاره ، قاد ثورة ثورة مشهورة في سوريا ، توفي سنة (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام، مرجع سابق، (١/٢١٠)

(٣) يُنظَر : محمد عبدالغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق (٧٦ - ٧٧) ، ومحمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٣٤٨ - ١٥١)

سلام من صبا بردى أرقُّ ودمعٌ لا يكفكف يا دمشقُ
ومعذرة اليراعة والقوافي جلاء الوِّزء عن وصف
وبي ممّا رمتك به الليالي يدقُّ جراحلتٌ لها في
دم الثوار تعرفه فرنسا القلب عمقُ وتعلم أنه نور
وللحرية الحمراء باب وحقٌّ بكل يد مضرجة
يُدَقّ[1]

وهذه الصحفية الفرنسية "أليس بولو" تحكي وحشية بني قومها ، فتقول : (كيف لي أنأُفْهِم أصدقائي الدمشقيين بأن سوريا قد وقعت في قبضة نفر من أبناء الحانات الوصوليين؟ أعتقد أننا أفرغنا في سوريا قمامة بلدنا الفرنسي ، والحقيقة أن أكثر مواطنيّ هنا هم خجولون إلى حد كبير ، وجاهلون إلى درجة يرثى لها ، فكل ما يعرفونه عن الشرف لا يتعدى معرفتهم لبعض الأمكنة العامة التي تتحدث عنها الصحف)[2] .

وهاهي تصفوتلاً جنائزيًّا من الجِمال المحملة بالجثث . وتحكي أن امرأة حاملاً شاهدت ذلك من نافذة منزلها فأسقطت ما في بطنها ، وكانت أحذية القتلى تترامى هنا وهناك ، وأذرعتها ممتدة ، وبدت الساحة من بعيد كأنها مذبح للجثث البشرية الهائلة . وقد روت عدة نساء محجبات - وهن ينتحبن - أن الجنود قتلوا هؤلاء الفلاحين الأبرياء عندما عجزوا عن الثوار ، ثم صرخن : "لقد كان هؤلاء أبرياء وحق الإله"[3].

وتقول أيضًا : (لقد حطموا أغلاق المخازن ومزقت بالمصفحات ، وكان الجنود ينهبون كل شيء في السوق الكبير ، وسوق المكتبات ، وقد رأيت أكوامًا من الكتب والأوراق المبعثرة الملطخة بالوحل والتي يداس عليها بالأقدام ، ثم فرضت السلطة الغاشمة على الأهالي غرامة مالية قدرها مائة ألف ليرة ذهبية ، يجب أن تدفع خلال ثلاثة أيام وإلا سيعاد القصف من جديد ، كما طلبت من السلطات جمع ثلاثة آلاف بندقية موزعة على جميع الأحياء ، ولكن من أين تدفع ؟ ومن أين يجمع المال ؟ وقد أحرقت البيوت بكل ما فيها ، وصار الدمشقيون يقولون : (إن فرنسا تأمرنا بدفع ثمن العصا التي ضربتنا بها ، فصار الجميع يفكرون بالهرب والهجرة ، فهاجر آنذاك خمسة عشر ألفًا من سكان (دمشق) إلى (بيروت) ومصر وغيرها)[4]

(١) أحمد شوقي ،ديوان الشوقيات ، مرجع سابق ، (٧٤/٢)

(٢) أليس بولو ، (دمشق) تحت القنابل ، ترجمة محمد نمر المدني ، دار دانية للنشر ، (دمشق) (١٩٦٦م – ١٣٨٥هـ) (ص٤٣ – ٤٤)

(٣) المصدر نفسه (ص(١٥ - ٧٧)

(٤) أليس بولو ، (دمشق) تحت القنابل ، مرجع سابق ، (ص١٥-٧٧)

وفي أثناء الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩م – ١٩٤٤م) وعند دخول القوات البريطانية والفرنسية (دمشق) قامت المظاهرات المنددة بالعدو ، ونشبت معارك طاحنة ، واستعانت فرنسا بجنودها في الهند والسنغال ملأً في الهيمنة الكاملة على سوريا ولبنان ، وإيجاد وضع خاص لها حتى بعد الاستقلال ، الأمر الذي وجد معارضة شديدة من قبل المواطنين ، وعرف في لحن القول عند الأمريكيين والبريطانيين كما يقول "الخالدي" ، وتطور الأمر في (٢٩/آيار/١٩٤٥م الموافق ١٣٦٤/٦/١٧هـ) حيث قتل حرس مبنى مجلس النواب بأيدي الفرنسيين ، ووجهت المدافع إلى مبنى المجلس ، وقام الطيران الفرنسي بقصف قلعة (دمشق) حتى مات خلق كبير من المساجين في القلعة ، وتدخلت بريطانيا لوقف إطلاق النار في (دمشق)حالاً ، فرحل جميع العسكريين الفرنسيين وأعيدوا إلى ثكناتهمخوفًا من اصطدامهم بالمقاتلين الإنجليز ، وعاد الهدوء مرة أخرى ، وتمّ جلاء الفرنسيين عن سوريا في (١٦/نيسان/١٩٤٦م الموافق ١٣٦٥/٥/١٥هـ) وأما لبنان فقد تم جلاء الفرنسيين عنه في (١٩٤٦/١٢/٣١م الموافق ١٣٦٦/٢/٨هـ) وأصبح يوم (١٧/نيسان) عيدًا وطنيًّا للسوريين[١].

وأما (شرق الأردن) -(الأردن اليوم)- فتقدم أنه كانت تحت الانتداب البريطاني ، وكانت منفصلة عن إدارة الاحتلال في فلسطين ، غير أن الحكومة البريطانية رأت أن تكون الإدارتان تحت رئاسة المندوب البريطاني اليهودي في فلسطين "هربرت صمويل" ، وتم ذلك بالفعل ، ولكن غضبة "الشريف حسين" على الحلفاء وإنفاذهجيشًا عربيًّا من الحجاز لقتال الحلفاء قاده ابنه "عبد الله" - وزير الخارجية الذي استقال بعد نبإ سقوط حكومة "فيصل" الدمشقية (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) - جعل الحلفاءوخصوصًا الإنجليز يبذلون وسعهم لتهدئة حليف الأمس وانتهى الأمر بعقد مؤتمرات شرق أوسطية توصلت إلى إقامة حكومة وحدة وطنية في العراق ، واختير "فيصل" (المنفيّ) ملكًا لها ، واختير "عبد الله" أميرًا على حكومة (شرقي الأردن) ، وظلت تنادي بالاستقلال من سنة (١٩٢١ – ١٩٤٦م) قرابة ربع قرن ، حتى تمكنت منه في (١٩٤٥/٥/٢٥م الموافق ١٣٦٤/٦/١٣هـ) وأصبحت الإمارة تحمل اسم : المملكة الأردنية الهاشمية ، وأصدر المجلس التشريعي الأردنيقرارًا بإعلان البلاد الأردنية دولة مستقلة وذات حكومة ملكية وراثية نيابية ، وإطلاق مسمى حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية على الأمير "عبد الله بن الحسين"[٢].

---

(١) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العلم العربي ووقائعه ، مرجع سابق (٣٥٠ - ٣٥١) ، ومحمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (٣٦٩ - ٣٧٣) ، وزهير الشّلق ، من أوراق الانتداب ، طبعة دار النفائس ، بيروت (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) (٣١٧ - ٣٢٨)

(٢) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق (ص٣٦٧ - ٣٧٢) ، ومحمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٤٢٤ - ٤٤٠)

ومما لاشك فيه أن الملك "عبد الله بن الحسين" كان يطمع في تحقيق الحلم الذي راود أباه من قبل ، والذي تبدّد بعد غدر الحلفاء بأبيه ، وظل يطمع في ضمّ بلاد الشام كلها تحت يده حتى يوم اغتياله - كما يقول "الخالدي"- .

وكان شعاره ((سوف تخضع كل سوريا لفرعٍ من البيت الهاشمي ، وشرق الأردن هو الخطوة الأولى))[١].

عاد الهدوء من جديد إلى بلاد الشام وخصوصًا في (جبل حوران) ، وإن كان "الدروز" لم يبرحوا في مناوشة "النصارى" والسنيين من أهل القرى والبادية، حتى استقلوا بها استقلالاً تامًّا . ومن ذلك : هجومهم خلال عامي (١٢٩٦هـ و١٢٩٨هـ - ١٨٧٩م و ١٨٨١م) على أهل (بسر الحرير) ، وأهالي قريتي (الكرك) و(أم ولد) اللتين ذبح سكانها عن بكرة أبيهم، ولم يبقوا منهم أحدًا حتى الأطفال الرضع ، وكم حاولت الدولة العثمانية تأديبهم أكثر من مرة ، لكنها فشلت أمام ضغوط الإنجليز[٢] ، وللحقيقة فكل من كتب عن تاريخ "الدروز" يؤكّد صلاتهم الوثيقة بهم ، ولذ كانوا من أوائل من استقبلوا الغزاة المحتلين للشام ، وقدّموا لهم كل دعم ومساندة ، بل استطاع رؤساؤهم الروحيون ، وزعماؤهم أن يستعطفوا المستعمر الفرنسي لينعم عليهم بإصدار قرار الموافقة على إقامة (دولة جبل الدروز المستقلة) عام (١٩٢٢م – ١٣٤٠هـ) - كما سيأتي - . ولا يتناقض هذا مع ما ذكرته سابقًا من أن الإنجليز كانوا حلفاء لـ"الدروز" ، كما أن فرنسا كانت حليفة لـ"الموارنة" ، وأن الصراع بين الطائفتين لون من ألوان الصراع العربي الفرنسي في المنطقة ، غير أن تطور علاقات "الدروز" مع الفرنسيين مرتبط بتطور العلاقات الإنجليزية الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى وتنفيذ معاهدة (سايكس بيكو)[٣]

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٤٤١)

(٢) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٣٠/١)

(٣) المصدر نفسه (٥٨/١)

المطلب الثالث : واقع بلاد الشام من إعلان الاستقلال إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري .

أولا : سوريا :

وهي جزء من بلاد الشام التي قسمها المستعمر إلى(سوريا ،ولبنان ، والأردن ، وفلسطين) . وموقعها اليوم في شمال غرب آسيا ، وتحيط بها (لبنان ، والعراق ، والأردن، وفلسطين ، وتركيا)[1].

ونالت سوريا استقلالها سنة (١٩٤٦م) واشتركت في وضع "بروتوكول الإسكندرية" -ميثاق "جامعة الدول العربية"- . وعند قيام "جامعة الدول العربية" في مارس (١٩٤٥م) كانت سوريا أحد الأعضاء السبعة المؤسسين لها ، غير أن أبرز المشاهد على ساحتها السياسية موجة الانقلابات العسكرية التي قضت على جهود البناء والإصلاح، ابتداءً بانقلاب سنة (١٩٤٩م – ١٣٦٨هـ) إلى سنة (١٩٧١م – ١٣٩٠هـ)[2] ، حين تولى "حافظ الأسد" [3]رئاسة الجمهورية إلى وفاته سنة (١٤٢١هـ

(١) علي جريشة ، حاضر العالم الإسلامي ، طبعة مكتبة وهبة ، مصر- (القاهرة) ، الطبعة السادسة (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م) ، (ص١٩٣)

(٢) عبد الرحيم عبد الرحمن ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، طبعة دار الكتاب الجامعي ، مصر – (القاهرة) ، الطبعة الثامنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) ، (ص٣٦٨ – ٣٧٩ - ٣٧١)

(٣) **هو** : حافظ بن علي بن سليمان الأسد . ولد في بلدة (القرداحة) شمال غرب سوريا،انتسب لحزب البعث مبكرًا،حكم سوريا ثلاثة عقود،توفي سنة (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد رياض المالح ، إتمام الأعلام، مرجع سابق، (ص١٠٦)

- ٢٠٠٠م) ، وتولى بعده ابنه "بشارحافظ" زمام الرئاسة إلى اليوم .

اعتبر عام (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) عام الاتجاه نحو السياسات الوحدوية التحرّرية في المحيط العربي ، كما أطلق عليه "عبد العزيز نوّار" ، وخصوصًا فيما يتعلق بالجانب السوري ، ففي يوليو عام (١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ) قرّر مجلس النواب السوري إقامة اتحاد مع مصر ، وتلت ذلك مفاوضات بين الجانبين للتوصل إلى شكل هذه الوحدة ، حتى أعلنت في فبراير سنة (١٩٥٨م – ١٤٧٧هـ) برئاسة "جمال عبد الناصر"[١] وسميت (الجمهورية العربية المتحدة)[٢].

كان نظام (الجمهورية العربية المتحدة) رئاسيًّا ديموقراطيًّا ، ووضع لها دستور ألغي بموجبه الدستور السوري عام (١٩٥٠م – ١٣٦٩هـ) ، والدستور المصري عام (١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ) ، ولكن قيام الوحدة بين (مصر وسوريا) أزعج القوى الخارجية التي تخشى على نفوذها ، كما أزعج القوى المحلية أيضًا[٣] ، خصوصًا بعد انضمام (اليمن) إلى الوحدة تحت اسم (الدول العربية المتحدة)[٤] والذي أثار جدلاً واسعًا .

والحقيقة التي لا تخفى أن هناك مجموعة من العوامل التي ساعدت في التقريب بين (دمشق) و(القاهرة) -كما يذكر من كتب عن هذه الفترة- ، منها قبول مصر وسوريا صفقات الأسلحة السوفيتية في الوقت الذي كان فيه (حلف بغداد) يهدّد الأراضي السورية بدعم من السياسة البريطانية ، وكذلك أيضًا العدوان الثلاثي على مصر عام (١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ)[٥]

لم يكتب لهذه الوحدة أن تعيش ، ولم يقدر للتجربة البقاء أكثر من ثلاث سنوات

---

(١) **هو** : جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل بن سلطان عبد الناصر . ثائر عسكري ، حكم مصر ثمانية عشر عامًا ، ولد بمحافظة (أسيوط) ، شارك في المظاهرات المعادية للإنجليز ، تولى رئاسة الوزراء في حكومة "محمد نجيب" ، ثم رئيسًا للجمهورية سنة (١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ) ، توقف قلبه فجأة في اجتماع قادة الدول العربية وتوفي بعد ثلاث ساعات سنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (١٣٤/٢)

(٢) عبد العزيز نوّار ، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، طبعة دار النهضة العربية ، لبنان – بيروت ، بدون رقم وتاريخ للطبعة (ص٣١٦ - ٣١٧)

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن ، تاريخ العرب الحديث المعاصر ، مرجع سابق (ص٣٧١)

(٤) عبد العزيز نوّار ، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، مرجع سابق ، (ص٣١٧)

(٥) عبد الرحيم عبد الرحمن ، تاريخ العرب الحديث المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٣٧٠- ٣٧١) وعبد العزيز نوّار ، تاريخ العرب المعاصر - مصر ، والعراق - ، مرجع سابق ، (ص٣١٦ - ٣١٧)

وذلك لأسباب كثيرة ؛ منها :

١) عدم وجود اتصال مباشر بين مصر وسوريا ، يمكن من نجاح الاتحاد الفيدرالي ، وإيجاد حالة من التكامل السياسي والاجتماعي بين البلدين.

٢) اصطدام الوحدة بعقبات داخلية ، حيث لم تتمكن من توحيد أجهزة الإقليمين، حتى في ظل الجهود والمعطيات المتوفرة في أول عهدها ، فلم تتوحّد وزارات الدفاع والخارجية ، ولم تتناغم النظم الإدارية ، والقضائية ، ولم تتحقق طوال فترة الوحدة نتائج تذكر ، إلا الانقسامات السياسية وزيادة نسبة الفقر بين البلدين ، ناهيك عن انفتاح الحدود السورية على القوى المناهضة للوحدة ، واستمرار نشاط الأحزاب السورية المعارضة لها[١].

٣) الدور الذي لعبته القوى الخارجية في دعم الأحزاب المناهضة للوحدة ، حيث اشتغلت الأوساط الحاكمة في الولايات المتحدة وبريطانيا والدول الغربية بالوضع في الشرق الأوسط ، وعقدت مباحثات وزيارات من أجل ذلك[٢].

كان سقوط "الجمهورية العربية المتحدة" في (٢٨/سبتمبر/١٩٦١م الموافق ١٣٨١/٤/١٨هـ) ، وقامت بعدها حركات وانقلابات متكررة حتى عام (١٩٧١م – ١٣٩٠هـ) حيث أصبح "حافظ الأسد" رئيسًا للجمهوريةبناءً على استفتاء شعبي[٣].

ثانيًا : لبنان :

تمكنت لبنان من الاستقلال في (٢٢/نوفمبر/١٩٤٤م الموافق ١٣٦٣/١٢/٧هـ) كما تقدم ، وخرج المستعمرون الفرنسيون بعدَدهموعُدَدهم في (٣١/ديسمبر/١٩٤٦م الموافق ١٣٦٦/٢/٨هـ) وشاركت في صياغة "بروتوكول الإسكندرية" الذي يقضي

---

(١) **من الشواهد على هذا القول** : أن "جمال عبد الناصر" حين بدأ في تنفيذ قوانين تمهّد للدمج أسرعت العناصر المناهضة للتحرك ، وتحركت جماعة ضباط سوريين بقيادة المقدم "عبد الكريم النحلاوي" ، وسيطروا على البلاد في (٢٨/سبتمبر/١٩٦١م الموافق ١٣٨١/٤/١٨هـ) ، وأعلنوا الانفصال . ورفض جمال استخدام القوة ضدهم ، وترك أمور سوريا لشعبها وقادتها .

يُنظَر : ما كتبه أكرم نور الدين ساطع في تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، طبعة دار النفائس ، لبنان – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) ، (ص١٥٤)

(٢) أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص١٢٣)

(٣) سأتحدث- إن شاء الله- عن مجريات الفترة عند حديثي عن عوائق المدافعة .

بأن تتألف (جامعة الدول العربية) من الدول العربية المستقلة ، وحظي استقلالها بمباركة الغربفضلاً عن الدول العربية التي نادت باحترام سيادتها واستقلالها ، بحدودها الحاضرة[١].

ويبدو أن لبنان عبارة عن تركيبة مرقّعة من العقائد والعشائر والمجموعات العرقية ، وهذه حالة كانمعترفًا بها خلال التقاسمالمعقّد للمناصب العامة والامتيازات مهما كانت صغيرة وثانوية ، وكانت تلك وغيرها سببًا في الحرب الأهلية التي وقعت في فبراير (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ)[٢] ، وأدت إلى تمزيقه ، ولم تخمد نارها إلا عقب مؤتمر الطائف في (١٩٨٩م – ١٤٠٩هـ)[٣] ، وبدأت لبنان بعده مرحلة التعمير وإعادة البناء.

ثالثًا : الأردن :

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية التي قاتل فيها جيش الأمير "عبد الله بن الحسين" إلى جانب الحلفاء ، رأت بريطانيا -تقديرًا للدور الذي قام به ،وحفظًا لماء الوجه الذي لم يبق منه شيء . بعد الوعود الكاذبة والأماني الخادعة التي أثارت حفيظة الهاشميين - عقد معاهدة بين شرق الأردن وبريطانيا ، تضمن استقلال (شرق الأردن) كدولة ذات سيادة ، يكونمكلفًا بحفظ الأمن داخل حدوده والدفاع عن نفسه ، ومدة المعاهدة خمسة وعشرونعامًا ، وللمعاهدة ملحق يجيز إقامة بعض الجنود البريطانيين في شرق الأردن . وكان ذلك في (٢٢/آذار/١٩٤٦م الموافق ١٣٦٥/٤/١٩هـ)[٤].

كان الملك "عبد الله بن الشريف حسين" يحلم حلم أبيه الذي راوده قبل الثورة العربية سنة (١٩١٦م – ١٣٣٤هـ) من سيطرته على بلاد الشام كلها ، وتحقيق مشروع سوريا الكبرى - سوريا ، لبنان ، فلسطين ، الأردن- ؛ بل حتى العراق أيضًا . ومن أقواله في ذلك : ما صرح به في (١٨/أيلول/١٩٤٦م الموافق ١٣٦٥/١٠/٢٢هـ) من أن مشروع اتحاد العراق وشرق الأردن هو مشروع قديم ، وأنه سيعلن تفاصيله عن قريب[٥].

---

(١) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٣٤٠)

(٢) أكرم نور الدين الساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٣١٦)

(٣)أكرم نور الدين الساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٥٥٤ - ٥٦٠)

(٤) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٣٦٧)

(٥) المصدر نفسه ، (ص٣٧٧)

ويذكر "محمد فاروق الخالدي" أن شعاره آنذاك قوله : (سوف تخضع كل سوريا لفرعٍ من البيت الهاشمي ، وشرق الأردن هو الخطوة الأولى)[١] وكان هذا المشروع محور علاقاته العربية والأجنبية طوال حياته ، حتى يوم اغتياله[٢].

وكان المشروع قد صادف معارضات قوية - داخل سوريا ولبنان - أعلنت عدم رغبتها في الاتحاد الذي لا يكفل حفظ الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها الدول صاحبة السيادة ، وأنها لا تقبل ذلك بوجه من الوجوه ، ودعت المواطنين في سائر الدول المنوي توحيدها إلى مقاومة المشروع ومكافحته[٣].

وسعيًا لتحقيق المشروع أعلن الملك "عبد الله" في (١/ديسمبر/١٩٤٨م الموافق ١٣٦٨/١/٣٠هـ) ضم الضفة الغربية من فلسطين إلى الضفة الشرقية لنهر الأردن ، بعد دخول الجيوش العربية وانتصارها في فلسطين ، ووقف إطلاق النار بين العرب واليهـــود ، الذي أتاح لهم فرصة إعادة تكييف موقفهم ، واحتجت غالبية الدول العربية بما فيها (أمانة مجلس جامعة الدول العربية) ، لدرجة أن بعض الدول الأعضاء كـ(مصر ، والسعودية ، ولبنان ، وسوريا) طالبت بطرد الأردن من عضوية "جامعة الدول العربية" ، ثم توصلوا إلى قرار تتعهد الأردن بموجبه بأن ضم الضفة الغربية هو إجراءٌ مؤقت إلى حين التوصل لتسوية نهائية لقضية فلسطين[٤].

في (٢٠/تموز/١٩٥١م الموافق ١٣٧٠/١٠/١٦هـ) اغتيل الملك "عبد الله" عند المسجد الأقصى في (القدس) حين تصدّى له بعض شبان العرب الفلسطينيين على ملأ من الناس ، فأطلق عليه أحدهم الرصاص فقُتل في الحال[٥] ونشأت أزمة العرش بعده في الأردن ، وتولى بعده ابنه المريض "طلال بن عبد الله"[٦] ، الذي أُعفي بسبب

---

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٤١)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٤١)

(٣) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص(٣٨٠ - ٣٨١)

(٤) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٤٧)

(٥) خير الدين الزركلي ، الأعلام ،مرجع سابق ، (٨٢/٤)

(٦) **هو** : هو طلال بن عبد الله بن الحسين بن علي . ثاني ملوك الأردن الهاشميين ، ولد بمكة وتعلم وتعلم بعمّان ، وتخرج بكلية (هارد) في انجلترا ،وكان متحمّسًا للقضايا العربية ، تولى الملك بعد أبيه سنة واحدة ، وخلعه البرلمان الأردني لخلل عقلي أصابه ، وأرسل إلى (لندن) للعلاج ، ثم (إسلامبول)حيث مكث فيها مريضًا عشرين سنة وتوفي بها بنوبة قلبية ،ونقل إلى عمّان .

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ،الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٢٨/٣ - ٢٢٩)

تردي حالته الصحية ، ونودي بابنه "الملك حسين"[١] ملكًا على الأردن[٢].

رابعًا : فلسطين :

سبقت الإشارة إلى الأحلام التي كان يعيشها الهاشميون من إقامة مشروع (سوريا الكبرى) والذي بدأت فكرته من بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان أبرز من دعا إليه الأمير "عبد الله بن الحسين" بعد وفاة أخيه "فيصل الأول" سنة (١٩٣٣م – ١٣٥١هـ) باعتباره أكبر أفراد الأسرة الهاشمية سنًا ، وكان جمع كبير من أهالي فلسطين بقيادة "الحاج أمين الحسيني"[٣] (مفتي القدس) يعارضون هذا المشروع لأنه يعني أن الخطوة الأولى ستكون باتجاه فلسطين ، مما يعني التفاهم مع بريطانيا واليهود والاتفاق معهما على حسابهم[٤].

وسبق بيان اعتراض بعض الدول الأعضاء في (الجامعة العربية) على سياسة "عبد الله بن الحسين" التوسعية - ومنها : مصر ، وسوريا ، والسعودية - ؛ مما شكل ضغطًا على المشروع ، واضطر الهاشمي إلى تأجيله.

في (١٩٤٧/١١/٢٩م الموافق ١٣٦٧/١/١٦هـ) وافقت الأمم المتحدة على تقسيم فلسطين إلى دولة عربية ويهودية ، وقوبل هذا القرار بالرفض العربي[٥] ، ولكن الشريف "عبد الله" أعلن أن مشروع سوريا الكبرى هو الحل الوحيد لمشكلة فلسطين[٦] ، وأصر على أن تكون القيادة العليا للجيوش العربية تحت إمرته[٧] ، وخلال حرب (١٩٤٨م – ١٣٦٨هـ) اتضحت المأساة في انسحاب قواته من (اللد) و(الرملة) وتسليمها لليهود ، وخرجت الأردن من الحرب وهي تسيطر على المناطق المخصصة للدول العربية ، وفق مشروع التقسيم الذي أعلنت عنه الأمم المتحدة ، بما

---

(١) **هو** : الحسين بن طلال بن عبد الله بن الشريف حسين . تولى إمارة الأردن سنة (١٩٥٢م - ١٣٧١هـ) مرض آخر عمره ، وتوفي بعد سنة (٢٠٠٠م – ١٤٢٠هـ)
يُنظَر في ترجمته : جيمس موريس ، الملوك الهاشميون ، طبعة الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ) (ص٢١٣)

(٢) أكرم نور الدين الساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٦١)

(٣) **هو** : محمد أمين الحسيني . من مواليد القدس سنة (١٨٩٧م – ١٣١٤هـ) ، تربى في بيت والده مفتي (القدس) ، درس وتعلم في بلدته ، سافر وتنقل عدة مرات ، وكان يدعو إلى حقوق الشعب الفلسطيني حتى توفي سنة (١٩٧٤م – ١٣٩٣هـ)
يُنظَر في ترجمته : حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (١٣)

(٤) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٤٢)

(٥) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٤٠٠)

(٦) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٤٥)

(٧) قرر مجلس الجامعة العربية في اجتماع (بيروت) قبل الحرب ألا تحاول أي دولة عربية تشترك جيوشها في الحرب أن تحقق لنفسها توسعًا إقليميًا ؛ لأن الهدف هو إنقاذ فلسطين من اليهود.

في ذلك القدس القديمة . واتخذ الشريف "عبد الله" الإجراءات التي تضمن لهضمّ هذه المناطق لتصبح جزءًا من مملكته[1] ، واستطاع الشريف استصدار قرار برلماني أردني يقضي بضم الضفة الغربية ، مع المحافظة على حقوق عرب فلسطين كاملة[2].

أصدرت الدول الاستعمارية الثلاث : الولايات المتحدة الأمريكية ، وبريطانيا ، وفرنسا في (١٩٥٠/٣/٢٥م الموافق ١٣٦٩/٦/٧هـ) تصريحًا بضمان حدود إسرئيل ، والمحافظة على الكيان الصهيوني ضدّ أي خطرٍ يهدّد مصالحه ، وقامت بدعم إسرائيل عسكريًّا واقتصاديًّا ، وتعهدت بجعلها أعلى قدرة من كل الدول العربية . وكان لروسيا موقف آخر أهم من ذلك وهو إمدادها إسرائيل بالعنصر البشري المدرَّب.

واستطاعت إسرائيل بذلك أن تموّل إجراءات اليهود المهاجرين ، وأن تجعل من فلسطين مكانًا مباحًا لكل من يرغب الهجرة ، وقامت بطرد السكان العرب ، وصادرت أملاكهم ، وسلبت أملاك الوقف الإسلامي التي قدرت مساحتها في عام (١٩٣٦م – ١٣٥٥هـ) بحوالي (١٦/١) من إجمالي مساحة فلسطين ، ضاربة بذلك عرض الحائط بجميع اتفاقيات الهدنة الصريحة مع العرب الذين ظلوا أوفياء مع كل ذلك.

تطاولت إسرائيل في عمليات الإغارة على القرى الفلسطينية ، حتى صارت تهدّد البلاد العربية المجاورة كـ(مصر) ودارت معارك طاحنة بين القوات الإسرائيلية والمصرية في (شرم الشيخ) و (الكونتيلة) ومناطق أخرى . وقامت بريطانيا وفرنسا بمساندة إسرائيل فيما عرف بالعدوان الثلاثي على مصر في (١٣٧٦/٣/٢٥هـ - ٢٩/أكتوبر/١٩٥٦م)[3] ردًّا على مصر التي اتجهت نحو الكتلة الشرقية واشترت أسلحة تشيكية ، وقامت بتأميم (قناة السويس) ، مما عُدّ إخلالاً بالصفة الدولية لـ(القناة) . وعندما بدا واضحًا لمصر أن التآمر الثلاثي يهدف إلى عزل الجيش المصري في (سيناء) ، وقطع طريق الإمداد والتموين عن طريق احتلال (القناة) اتخذت القيادة المصرية قرارًا بسحب القوات المصرية من (سيناء) مع ما يمكن من عتادها إلى غرب (القناة) ، كما صدرت الأوامر للحاكم العسكري لقطاع (غزة) بأن يستسلم عندما تحتم عليه المصلحة ذلك .

كان اليهود يحتفظون بالتفوق العسكري مقارنة بالإمكانات المصرية التي يفترض أنها أكبر الإمكانات العربية وأقواها ، فقد كان التفوق ظاهرًا حتى في الجانب العددي البشري ، فكان التفوق في المشاة بنسبة (٣:١) لصالح اليهود ، وفي القوات

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٤٥ – ٤٤٦)

(٢)شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٤٤٤)

(٣) عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، (ص٤٤٨ - ٤٤٩)

البرية (الدبابات) بنسبة (١:١,٨) لصالح اليهود ، وفي سلاح المدفعية بنسبة (١:٢,٥) لصالح اليهود أيضًا.

ونسّق اليهود مع حلفائهم على أن تقوم فرنسا بتأمين الغطاء الجوي الكافي للمدن الإسرائيلية ، على أن يتولى السلاح البحري تأمين حراسة السواحل الإسرائيلية ، وأن تشارك القوات الفرنسية بالقتال ضد أي دولة عربية تدخل الى جانب مصر ، وأسند إلى سلاح الجو البريطاني مهمة تدمير الطيران المصري على الأرض .

لم تكن مصر حينها تكترث بتهديدات اليهود ، ولم تحمل تصريحات العدو محمل الجد ، بل كان هناك استرخاء عسكري على الرغم مما يجري ، حتى إنها قامت بتخفيف أعداد القوات المعدة للقتال ، لكن القيادة الثورية لما علمت بأن أمر الحرب جِدٌّ ركزت جهودها على حماية (سيناء) من الشرق، بينما أهملت الجبهة الجنوبية منها إهمالاً مريبًا حين خصصت (١٢٠) جنديًّا من المشاة لحمايتها.

وبدأت الحرب في (٢٩تشرين الأول / أكتوبر١٩٥٦م الموافق ١٣٧٦/٣/٢٥هـ) ، بمهاجمة الخط الأقل خطرًا في نظر القيادة المصرية ، وهو المنطقة الجنوبية من (سيناء)، وأعلن اليهود أنهم يقاتلون على بُعد (٤٠كم) من (قناة السويس) ، حتى يعطو الذريعة لكل من فرنسا وإنجلترا للتدخل العسكري بحجة حماية حرية الملاحة الدولية في (قناة السويس) .

وبالفعل أقدم سلاح الجو البريطاني على ضرب الطيران المصري على الأرض، واضطر المصريون للقتال دون غطاء جوي على مختلف المحاور ، وأبلى المقاتلون المصريون مع ذلك بلاءً حسنًا لولا أن أوامر صدرت من (القاهرة) للقوات الأساسية بالانسحاب ، بعد إنذار تقدمت به بريطانيا وفرنسا .وفي ظل غياب أي غطاءٍ جويٍّ أو طبيعيٍّ من جبالٍ أو أشجارٍ كان الانسحاب شاقًّا، فقد أصبحت القوات المنسحبة مكشوفةً أمام الطائرات المحملة بكل أنواع الأسلحة المدمرة والحارقة [1].

ونسفت سوريا أنابيب النفط الممتدة من العراق إلى البحر الأبيض المتوسط ، وأصبحت (القناة) مغلقة بعد أن أغرق المصريون فيها اثنتين وثلاثينسفينةً .

وعلى الرغم من ذلك رفضت حامية (خان يونس) - من المجاهدين الفلسطينيين- الاستسلام وإلقاء السلاح ، وقدمت أرواح الشهداء رخيصة في ميدان الشرف.

وهكذا انتهت الحرب بهزيمة الجيش المصري فقد احتلّت (سيناء) ولم ينسحب

(١) عبدالعزيز كامل ، العلمانيون وفلسطين ، مرجع سابق ، (ص٢٢-٢٣)

اليهود منها إلا بعد أن تعهد المصريون لهم بالسماح بالملاحة في خليج العقبة كيفما شاؤوا .

ولم تنته فصول ما عرف بالعدوان الثلاثي سنة (١٩٥٦م – ١٣٧٦هـ) هنا ، بل استمر الصراع العربي الإسرائيلي ، وزادت حدّته بعد انهيار الوحدة بين مصر وسوريا في (٢٨/سبتمبر/١٩٦١م الموافق ١٣٨١/٤/١٨هـ) ، حيث تعمّد اليهود إثارة حدّة التوتر على الحدود السورية ، وكانت الشعارات القومية والاشتراكية والثورية على أشدها في مصر وسوريا ، إضافة إلى مظاهر الشقاق بين الدول الأعضاء في الجامعة العربية . ووسط هذه الحالة السيئة ظهرت (منظمة فتح الفلسطينية) وأصدرت أول بلاغ عن قيامها بأول عمل فدائي في يوم (١/يناير/١٩٦٥م الموافق ١٣٨٤/٨١/٢٨هـ) ، وفوجئ العالم بالبلاغ ، وحمل إسرائيل على القتال في الأماكن التي يعتقد أنها مراكز للفدائيين ، وأعلن "ليفي أشكول" - رئيس وزراء إسرائيل آنذاك في (ديسمبر/كانون الأول ١٩٦٦م – ١٣٨٦هـ) - نية بلاده دخول حرب جديدة مع العرب ، وأن الجيش الإسرائيلي سيلاحق أعداءه ، وسيحتل (دمشق) .

وظهرت أدلة كثيرة على نية إسرائيل العدوانية ، وفي إبريل (نيسان ١٩٦٧م – ١٣٨٦هـ) نفذ اليهود ما وعدوا به فشن سلاحهم الجوي هجوماً ضخماً على سوريا ، وفي الشهر التالي هدد "إسحاق رابين" بدخول (دمشق) ، بعد افتعال أزمة بسبب تحويل مجرى نهر الأردن ، وقيام أعمال فدائية ضد اليهود من داخل سوريا ، وكان هذا الهجوم رسالة موجهة إلى مصر ، ومن هنا تحركت مصر بالإعداد لردع العدوان ، واتخذت قواتها مواقعها على الحدود - على الرغم من أن قادتها كانوا غارقين في المستنقع اليمني حيث الحرب التي أقحم فيها الجيش المصري نصرة للقوى (التقدمية) ضد القوى (الرجعية) لصالح المعسكر الاشتراكي الشيوعي - وأعلنت مصر غلق المضايق ، ومنع الملاحة في خليج العقبة ، واللذان رأى فيهما اليهود أنه قرار إعلان حرب ، وانتشرت القوات المصرية على خليج العقبة بعد انسحاب قوات الطوارئ الدولية منه .

وزاد الاحتقان بعد أن أعلن توقيع ميثاق دفاع مشترك بين (مصر) و(الأردن) ، وأخبرت حكومتا (العراق) و(الأردن) "عبدالناصر" بأن لديهما معلومات استخباراتية تؤكد بأن إسرائيل ستبدأ الهجوم يوم (٥/يونيو) ، وهنا طلبت كل من الولايات المتحدة وروسيا من مصر أن تتحلى بضبط النفس فلا تكن البادئة بإطلاق النار ، وضمنت لها ألا تبدأ إسرائيل بذلك ، ثم كانت الضربة الكبرى حين فاجأ الطيرانُ اليهودي الطيرانَ العربي في مصر وسوريا والأردن والعراق بضربة قاضية في الساعات الأولى من يوم (٥/يونيو/حزيران ١٩٦٧م الموافق ١٣٨٧/٢/٢٧هـ) ، أطلق عليها (ضربة صهيون) ، وبعد خمس عشرة دقيقة من بدء المعركة صرح الجنرال "مردخاي هود" - قائد سلاح الجو الإسرائيلي - في لقاء مع ممثلي الصحافة الإسرائيلية والعالمية قائلاً : لقد دمرنا الحصيلة الكبرى من طائرات العدو، منها (٣٠٩) طائرات من (مصر) ،

و(٦٠) طائرة من (سورية) ، و(٢٩) طائرة من (الأردن) ، و(١٢)طائرة من (العراق) ، وطائرة واحدة من (لبنان) ، في حين لم تخسر (إسرائيل) سوى (١٩) طائرة .

وحلقت المقاتلات الإسرائيلية على ارتفاع منخفض أدنى من قدرة الرادارات المصرية على التقاطها ، وبهذا نجحت المقاتلات في حسم المعركة في ساعاتها الأولى مثلما حدث في حرب (١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ) ، لكن المقاتلات هذه المرة كانت إسرائيلية ولم تكن بريطانية .

واحتلت (سيناء) ، و(قطاع غزة) من مصر ، و(الجولان) من سوريا ، و(الضفة الغربية) من الأردن ، حتى سميت هذه الحرب بـ(حرب الأيام الستة) كما تسميها إسرائيـل ، أو (حرب النكسة) كما يسميها العرب[1].

الجدير ذكره أن إسرائيل انفتحت شهيتها لخوض هذه الحرب - حرب النكسة- لتستولي على هذه المناطق التي قُوِّت بأربعة أضعاف المساحة التي اغتصبوها في حرب (النكبة) (١٩٤٨م) ، لتأمين بقاء (القدس) بيد اليهود ، ولتبقى عملية المقايضة والمساومة عليها ، ومن الأمثلة على ذلك : (سيناء) التي لم تترك إلا بعد تعهد النظام في مصر عام (١٩٧٨م – ١٣٩٨هـ) بعدم دخول أي حرب (تحرير) أخرى بعد تحريرها وكان تخلي إسرائيل عن تلك الأراضي منقوصة السيادة ثمنًا للتخلي عن تبني قضية (القدس) مستقبلاً ، وعاش العرب بعدها سبع سنوات ذاقوا خلالها مرارة الهزيمة ، وتحمّلوا أعباء الحرب النفسية التي شنتها ضدّهم أجهزة الدعاية والإعلام العالمية .

ويُرجِع بعض الباحثين في تاريخ الصراع مع اليهود تلك الهزائم إلى الأخطاء الفادحة التي وقع فيها قادة المعركة مع إسرائيل ، ومنها :

أولاً : أن قيادات تلك المعركة كانت تشكل اتجاهًا علمانيًّا وقوميًّا ، ولم تتعظ بعد عشرين عامًا من النكبة الأولى التي حملت الراية نفسها ، مستبعدة في الوقت نفسه وبإصرار عجيب دخول الإسلام في المعركة .

ثانيًا : إساءة تقدير قوة العدو ، وإهدار الاستفادة من القدرات الذاتية للأمة ، بل إن القيادة المصرية كانت قررت القبول بتلقي الضربة الأولى نزولاً على رأي الروس الشيوعيين (الاتحاد السوفييتي سابقًا) حيث قدر الروس

(١) ينظر : جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق (ص٣٤٢ - ٣٤٣) ، وعبد الرحيم عبد الرحمن ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، مرجع سابق ، (ص٤٥٢ – ٤٥٣)

الخسائر المتوقعة في حال تلقي الضربة الأولى بما يتراوح بين ١٥% و٢٠% من مجموع القوة الجوية العربية ، وعدت القيادة السياسية هذه النسبة ضئيلة ومقبولة في مقابل إظهار (إسرائيل) بمظهر البادئ بالعدوان أمام الرأي العام العالمي .

ثالثًا : أجمع عسكريون كثيرون على أن القيادة المصرية لو كانت دبرت هجمة مضادة لإجهاض الهجوم الإسرائيلي في ذلك الوقت لكان لذلك تأثير في تغيير مجرى المعركة ، لكنها اكتفت بإصدار أوامر الانسحاب دون أي غطاء جوي ، حتى ارتبكت صفوفه ، وانكشفت ساحته أمام طائرات الجو الإسرائيلية ، ما تسبب في فقدان الجيش المصري لـ ٨٠% من السلاح ، وفقد عشرة آلاف من الجنود ، وألف وخمسمائة ضابط ، ووقوع خمسة عشر ألف جندي ونحو خمسمائة ضابط في الأسر ، ولم تقف الحرب حتى أعلنت مصر استسلامها ، وطلبت وقف إطلاق النار.

التفت اليهود بعد ذلك للجبهة الأردنية ، فاحتلوا (الضفة الغربية) وأعلنت الأردن استسلامها ، وأعلن وقف إطلاق النار .

ثم اتجه العدو إلى سوريا واحتلوا مرتفعات (الجولان) مع قاعدتها مدينة (القنيطرة) التي سلمت دون قتال ، وأعلن وقف إطلاق النار بعد ذلك .

وزاد غرور العسكرية اليهودية حتى كانت حرب رمضان عام (١٣٩٣/٩/٩هـ الموافق ٦/أكتوبر/١٩٧٣م) ، التي درجت أوساط كثيرة على تسميتها بـ (حرب أكتوبر) أو (حرب التحريك) لا (حرب التحرير) كما اشتهرت على الألسنة . والعجيب أن الرئيس المصري "حسني مبارك" الذي شارك بدور رئيسي في تلك الحرب هو ممن وصفها علنًا بذلك ، ويرجع السبب - كما يقول "عبدالعزيز كامل" - إلى أن هذه الحرب جاءت من أجل تحريك الأوضاع بعد حالة (اللاّسلم واللاّحرب) التي امتدت عدة سنوات قبل نشوبها ، إذ إن الأمور بعد حرب النكسة اتجهت نحو الحل الاستسلامي بدلاً من الحل الإسلامي ، وعاشت الشعوب العربية حالةً من الإحباط بعد أن تبين لها حجم الكارثة ، ومدى سلبية مواقف القيادات السياسية العربية من الاعتداءات اليهودية ، وهنا كان لابد من عملٍ مّا يكون نقطة انطلاق نحو إنهاء حالة الحرب مع اليهود ولو بصورة تدريجية ، وتقبله الشعوب العربية على مراحل ، لهذا كان الإعداد لـ (حرب التحريك) التي وضع لها - فيما يبدو - سيناريو مسبق في ردهات السياسة الدولية وكواليسها على هذا النحو تقريبًا :

في يوم (٦/ أكتوبر/١٩٧٣م) الموافق للعاشر من رمضان (١٣٩٣هـ) اجتازت القوات المصرية (قناة السويس) -(شرق سيناء)- وانتقلت لـ(الضفة الشرقية) ، واقتحمت خط (برليف) الحصين ، لتأخذ مواقع دفاعية بعد عشرة كيلو مترات من شاطئ القناة في داخل (سيناء) ولم تعط للقوات المسلحة بعد ذلك أية صلاحية من القيادة

العليا لتتابع تقدمها في (سيناء) وإكمال تحريرها مع إمكانية ذلك ، حتى إن رئيس الأركان في الجيش المصري "سعد الدين الشاذلي" اختلف مع القيادة السياسية واتهمها بالتواطؤ ، وعاش بعدها سنوات طويلة في منفاه الاختياري خارج البلاد .

أما اليهود فبعد بدء الحرب بعشرة أيام ،وبدوّ نشوة النصر - الظاهر - للعرب عبرت دباباتهم (قناة السويس) ، وفتحت ثغرةً في صفوف القوات المصرية ، وانتشرت على طول القناة من ضفتها الغربية وحاصرت مدن القناة ،وحُجزت القوات المصرية كلها في (سيناء) ، وانقطعت وسائل الاتصال بينها وبين قطاعات الجيش الأخرى ، وبدت إسرائيل هنا أمام مواطنيها والعالم منتصرة ، أما المصريون والعرب فعدوا عبور القناة نصرًا مؤزرًا ، وعند ذلك توقفت الحرب في وضع لا يسمح للمصريين بادعاء النصر الشامل ، ولا يمنع اليهود من ادعاء الثأر الكامل ، وذلك في (٢٢/ أكتوبر/ ١٩٧٣م الموافق ١٣٩٣/٩/٢٥هـ)

ومهما قيل ؛ فإن القوات العربية تمكنت من تحطيم أسطورة الجيش الإسرائيلي، وتلقى اليهود ضربات قاسية من الجيشين المصري والسوري ، وتقدمت قوات الجيش السوري حتى مدينة (القنيطرة) نحو أرض (الجولان السورية) لكنه هو الآخر لم يكمل مهمته ،متهمًا القيادة المصرية بإفشال مسعاه لتحرير (الجولان) . وعُدّت هذه الحرب الوحيدة التي بدأها العرب من طرفهم ، والتي رفعت فيها - بشكل جزئي - الشعارات الإسلامية[١].

لم تدم فرحة العرب بنشوة الانتصار حتى تطورت مواقفهم تجاه اليهود ، ففي كانون الثاني عام (١٩٧٤م -١٣٩٤هـ) وقعت كل من مصر وسوريا اتفاقًا يقضي بإحلال قوات الطوارئ في المناطق العازلة بين الجبهتين ، وفي أيلول عام (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ) وُقّع اتفاق مصري إسرائيلي جديد انسحبت إسرائيل بموجبه من أجزء من (سيناء) ، وتعهدت مصر وإسرائيل بعدم اللجوء للقوة لمدة ثلاث سنوات ، كما سمح للبواخر غير الحربية المتجهة لإسرائيل والقادمة منها بالمرور في (قناة السويس)[٢].

وكان الحدث الأبرز الذي أثار ضجة في الرأي العام الإسلامي والعالمي قيام الرئيس المصري "محمد أنور السادات"[٣] بزيارة إسرائيل في (١٣٩٧/١٢/٩هـ -

(١) عبدالعزيز كامل ، العلمانيون وفلسطين ، مرجع سابق ، (ص٣٥- ٣٨) و جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص٣٤٥ - ٣٤٦) و أكرم نور الدين الساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٢٩٦ – ٣٠٠)

(٢) جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص٣٤٦ - ٣٤٧)

(٣) من مواليد قرية (ميت أبو الكوم) بمحافظة (المنوفية) ، وتلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة الأقباط ، ودرس الثانوية في مدرسة فؤاد الأول بالعباسية (القاهرة) ، وتخرج في الكلية =

١٩/تشرين الثاني/١٩٧٧م) ، وقررت الأمانة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي في مؤتمرها المنعقد في ليبيا إجراء محاكمة قانونية تشرف عليها هيئتان هما هيئة الادعاء العام وهيئة المحكمة وفق قرار تشكيل صلاحيات محكمة المجلس[١] ، وزاد الأمور سوءًا توقيع اتفاقيات "كامب ديفيد" وإنهاء حالة الحرب مع اليهود ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وفتح الحدود للتبادل السياحي والتجاري والإعلامي بين اليهود ومصر ، وتطبيع العلاقات على حساب القضية الفلسطينية ، وتحققت آمال اليهود المنتظرة منذ قرون طويلة حتى قال الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" : (لقد صادق الرئيس السادات زعيم إحدى أعظم الأمم في العالم دون إكراه ، وبأعلى درجة من الحماسة على هذا الطموح العظيم لإسرائيل)[٢].

فتحركت أمام ذلك مشاعر المسلمين في فلسطين وغيرها ، ولا زالت إلى اليوم ، بل ستبقى أمارة على قيام الساعة كما أخبر المصطفى ﷺ .

والخلاصة : أن أبرز نتائج فترة ما بعد استقلال بلاد الشام إلى نهاية القرن الرابع عشر يمكن تلخيصها في الآتي :

١) فشل الشعارات التي ملأت الدنيا ضجيجًا من قومية واشتراكية وثورية ، والتأكيد على أن نجاح الأمة يتمثل في عودتها إلى أصالتها ودينها.

٢) الركض وراء المصالح والزعامات ، والمتاجرة بقضايا الأمة المسلمة ، مع التلون المريب والسريع من أدعياء العروبة والذي كان قاسمًا مشتركًا بين أكثر القيادات العربية.

٣) اتضحت أبعاد المؤامرة الكبرى على بلاد الإسلام ، وانكشف الغطاء عن الدور اليهودي منذ إسقاط السلطان "عبد الحميد" وحتى نهاية هذا القرن من خلال المسرحيات المشبوهة ، وتبادل الأدوار ، وانتهاز حالة الضعف والانقسام العربي.

=

الحربية ،وشارك في الحركات الوطنية قبل الثورة، واعتقل وسجن ، وفصل من الجيش ثم أعيد ، تنقل في مراتب عالية ، وكانت فترة رئاسته مثيرة للجدل ، انتهت باغتياله سنة (١٤٠١هـ/١٩٨١م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام ، مرجع ،سابق ، (١٢٨/٢)

(١) أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٣٧٥)

(٢) جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص٣٥٢ - ٣٥٥)

٤) ظهر أثر الالتفاف حول القيادات الدينية على نتائج الحروب ضد اليهود ، فمع سوء أحوال الشعوب العربية وضعفها المعنوي والحسّي ، ومحاولات التأثير على الرأي العام العربي إلا أن القادة المجاهدين كان لهم أثر كبير في تحويل سير المعارك ، وسارت قوافل المتطوعين من قوافل شباب الإسلام تتدفّق على فلسطين ، وقامت التظاهرات الحاشدة ، ومن لم يستطع الجهاد بالنفس قدّم ماله في سبيل ربه حتى أسفر القتال عن مئات القتلى والجرحى من اليهود ، وحمل ذلك الوكالة اليهودية أن تسارع لمجلس الأمن لتعرض شكواها ضد الحكومات العربية متهمة إياها بدعم القتال في فلسطين[١]، وسيأتي مزيد بيان في ذلك في الفصول القادمة .

٥) تميزت حروب الفترة بما يسمّى (فكرة الإسلام والتجمّع) فقد حارب على الجهة السورية قوات من (المغرب والعراق والأردن والسعودية) ، وعلى الجهة المصرية قوات من (السودان والجزائر وفلسطين) كما حظيت بتأييد كثير من البلاد الإسلامية كـ(باكستان وتركيا)[٢].

إلى آخر تلك النتائج التي يحسن بمن يريد التعمق فيها الرجوع إلى

المبحث الثالث

الحالة الاجتماعية والاقتصادية

عُرفت بلاد الشام بأرضها الزراعية ، حتى كانت أكثر أرض الله بركة ، وأحسنها خضرة ، كما عرفت بكثرة الحرف التي يقوم بها أهلها منذ القرن السابع عشر الميلادي إلى اليوم ، وكان للناس يومئذ نظام حرفي في بلاد الشام لم يكن له مثيل في

---

(١) جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص٣٣٥ - ٣٣٦)

(٢)جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص٣٤٦)

(٣) أهم الكتب التي تحدثت عن هذه الفترة :

أ- أحمد بهاء الدين : (وتحطمت الصورة عند الظهر)
ب- موسى صبري : (وثائق حرب أكتوبر)
ج- طه المجدوب : (حرب رمضان)
د- جميل المصري : (حاضر العالم الإسلامي)
هـ- عبدالعزيز كامل : (العلمانيون وفلسطين متون عامًا من الفشل ، وماذا بعد)
و- أكرم نور الدين الساطع (تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين)
ز- محمد عبد الغني النواوي : (الصراع العربي الإسرائيلي)

بقية ولايات الخلافة تميز بالتخصص وتنظيم العمل[1].

أولاً : سوريا ولبنان :

وتفيد سجلات المحاكم الشرعية خلال القرون الثلاثة (السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر) أن ما يقارب مائة وثلاثًا وستين طائفة حرفية سجلت في المحكمة ، ونصب لها شيخ اصطلحوا على تسميته بـ(شيخ الطائفة) واشترط فيه معرفته بأمور الحرفة ، وقدرته على أداء واجباته ، مع تحليه بالعفة والاستقامة ، وكان من بين هذه الطوائف (الخبازين ، الخشابين ، الدباغين ، العطارين ، والصباغين ...الخ)

وكانت حركة الاقتصاد في بلاد الشام خلال هذه الفترة نشطة قوية حتى القرن التاسع عشر ؛ حيث قامت أوروبا بغزو أسواق العالم ببضائعها ، ومن ذلك تصديرها لبعض الصناعات الحرفية إلى الشام وخاصة صناعة النسيج ، وكان ذلك سببًا في تدهور الحالة الاقتصادية في الشام حتى كسد الناتج المحلي ، وافتقر أصحاب الحرف ، وأغلقت بعض المحلات ، وأعلن إفلاس بعض الحرفيين حتى هرب بعضهم من دفع الضرائب ، ولم يقو أكثر الحرفيين على الوقوف في وجه السوق الأوروبية الغازية ، وكان ذلك سببًا في حدوث أزمات اقتصادية في بلاد الشام[2]، وسيأتي مزيد تفصيل عند دراستي للعائق الاقتصادي .

تقدر نسبة توزيع السكان في المجتمع السوري في عام (١٣٥١هـ-١٩٣٠م) على النحو التالي :

سكان الريف (٦٢%) ، سكان المدن (٢٥%) ، البدو (١٣%) ، وقد أصبحت النسبة عام (١٩٦٠م -١٣٨١هـ) على النحو التالي :

سكان الريف (٥٣%) ، سكان المدن (٤٢%) ، البدو (٥ %)

أما من حيث الفئات الاجتماعية في المجتمع الشامي (سوريا ولبنان) فيمكن تقسيمها إلى :

١- **فئة الاقطاعيين** : وكانت تعتبر الفئة الاجتماعية الأولى ذات التأثير السياسي والاجتماعي الفاعل ، إذ إن دور الزعامة السياسية ابتداءً من العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري – مطلع العشرينات من القرن العشرين الميلادي – كاد ينحصر ضمن أسماء أبناء الأسر الكبيرة التي

(١) عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، طبع تحت رقم (١١٢٤٨) وتاريخ (١٩٨٥/٢/١٩م) (بدون معلومات نشر) (ص٣٠)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٥٥- ٥٦)

اشتهرت بملكيتها الشاسعة للأراضي ، ومن هذه الأسر على سبيل المثال : (أسرة العظم ، والأتاسي ، والكيلاني ، ولقوّتلي ، والخوري ، والحفار والشّيشكْلي) ، وغيرها .

بدأت هذه الفئة الاجتماعية العليا تشعر بالخطر مع مطلع العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري ، بعد تأسيس الأحزاب السياسية وظهور الجمعيات الشبيهة بها ، ووجود فئة منافسة لها هي (فئة البورجوازية الصناعية والتجارية)

٢- **فئة البورجوازية الصناعية والتجارية** : ظهرت كطبقة ناشئة منافسة للإقطاعيين في تأثيرهم السياسي ودورهم الاجتماعي ، وقد اتضح ذلك من نتائج تصنيف مهن أعضاء البرلمان السوري في الأربعينيات .

٣- **طبقة البورجوازية الصغيرة** : وتضم فئات اجتماعية مختلفة تتراوح منزلتها في السلم الاجتماعي بين الفئة العليا التي تمثل (الإقطاعيين) ، وممثلي (البورجوازية الصناعية التجارية) ، وبين فئة (العمال) ونجد في صفوفها أصحاب المهن الحرة من أطباء ، ومحامين ، وأساتذة جامعيين ، وموظفين كبار ، وغيرهم .

كانت هذه الطبقة تمثل القاعدة الشعبية للأحزاب السياسية والجمعيات الإسلامية التي ظهرت في الشامو خصوصًا سوريا ولبنان .

٤- **فئة العمال** : كان أغلبهم يعمل في المهن الحرفية التقليدية ، ففي إحصاء أجري سنة (١٩٢٧م – ١٣٤٥هـ) تبين أن عددهم (٢٠٣,٩٢٧) عاملاً ، بينهم (١٦٥,٨٠٣) أي مايعادل (٨١,٣ %) يعملون في الصناعات التقليدية ، والباقون يعملون في المؤسسات الصناعية الحديثة[١] .

ولماّ دقّت نواقيس الحرب العالمية الأولى انتشر الهلع لدى سكان بلاد الشام - كما يحكي ذلك "محمد كرد علي" - ، وزاد قلقهم بسبب الإجراءات الاحترازية الشديدة التي أمر بها "جمال باشا" خوفًا من هروب الجنود من ساحات القتال وعدم الانقياد للأوامر فأمر بإعدام بعض الفارّين ، وداهم البيوت وأخرج أبناءها بالقوة ، كما فوّض الضبّاط الأتراك بتنفيذ الإعدام بسبب الفرار من الجنديّة في واحدٍ من عشرة[٢] .

وكانت هذه الحرب وبالاً على بلاد الشام ، وكانت من أشأم الحروب ، إذ

(١) ينظر : إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي، بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة (٢٠٠٤م – ١٤٢٤هـ) ، (ص١٠٩-١١٣)

(٢) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (١٤٥/٣ - ١٤٦)

اجتمعت فيها المصادرات ، وفقد المواد الغذائية ، والمجاعة ، إضافة إلى ما خربته الحرب ، مع انتشار (التيفوس) و(الطاعون) . ونتيجة لسياسة المصادرة ، وسوق جميع الرجال للحرب ، واختفاء الذهب ، وفقد النقود ، أغلقت المصارف أبوابها ، وأغلقت المعامل ، وتعطلت المصانع ، وبيعت الحاجات الخاصة بأسعار قليلة ، وتعطلت مواسم الحصاد بسبب قلة الرجال ، وأخذت المواد الغذائية في الاختفاء حتى انقطعتنهائيًّا كالسكر ، والأدوية ، والكاز ، والأقمشة[١].

يذكر الشيخ "علي الطنطاوي"[٢] - رحمه الله - في كتابه (دمشق) ما كان يراه من حال الناس فيقول :

(رأينا القتال في أسواق (دمشق) يدور كل صباح من أجلرغيفٍ من الخبز ، والفرن مغلق ما فيه إلا كوَّة واحدة مفتوحة يقوم عليها الخبّاز والجندي إلى جانبه ، يدعو واحدًا بعد واحد من هؤلاء الناس الذين سدّوا الشوارع بكثرتهم ، لا يطلبون صدقةً ولا إحسانًا ، وإنما يطلبون الخبز بالذهب فلا يجدونه ، وماشحّت السماء بالقطر وما أجدبت الأرض ، ولكن حلفاءنا الألمان استأثروا بأطايب القمح ، وتركوا لناشرّ الحنطة ، وأخبث الشعير ، ثم يا ليت أنا وجدناه)[٣].

ويقول متابعًا حديثه : (رأينا الناس في طريقنا إلى المدرسة ينبشون أكوام القمامة لعلهم يجدون فيها بقايا طعام ،وعزّ السكر حتى صارت الأوقية (مائتي غرام) بريال مجيدي ، وقد كان المجيدي قبل الحرب يكفي لوليمة ضخمة..وقلّ الكاز (البترول) وفقدت أشياء كثيرة ممّا كنّا نستورده ، وما كان عند التجار قبضوا عليه أيديهم وأخفوه في مستودعاتهم ، وكانتأيامًا شدادًا)[٤].

ومن الظريف حكايته : يوم كانت سماءُ صحن المدرسة مغطاة بسحابة سوداء دانية وكان يسّاقط منها شيء على رؤوسهم ، ولم تكن سحابة ممطرة وإنما كانتِجلاً

(١) علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق ، (ص٣٤٧ - ٣٥١)

(٢) **هو** : علي بن مصطفى الطنطاوي . أديب ، خطيب ، عالم موسوعي ، من أهالي (دمشق) ، أصله من (طنطا) ، توفي سنة (١٤٢٠هـ -١٩٩٩م)

يُنظَر في ترجمته : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (١٨٩/٣)

(٣) علي الطنطاوي ، (دمشق) صور من جمالها وعبر من نضالها ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الخامسة (٢٠٠٧م) ، (ص٦٦)

(٤) علي الطنطاوي ، ذكريات ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الخامسة (٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ) ، (٥٧/١ - ٥٨)

من الجرادغطّى سماء الشام وأرضها وأتى على الأخضر واليابس من زرعها[١].

ولم تكن ومئذٍ هذه المبيدات الموجودة اليوم ، وفي فترة الحرب العالمية الأولى كان أهل الشام بعيدين عن أخبار المعركة ، فلم تكنثمّ جرائد يتداولها الناس ، ولم تكن اخترعت أجهزة الإذاعات ، وكانت كما يصورها الطنطاوي كالبركة الساكنة ، تعيش في عزلةمادّية وفكرية ، وازدادت مناظر الجياع والهاربين من الجندية[٢].

وكان من أعظم ما نزل ببلاد الشام خلال فترة الحرب العالمية الأولى انتشار وباء (التيفوس) و (الكوليرا) وقد بلغت ضحايا (التيفوس) في (حلب) أواخر (١٩١٤م – ١٣٣٢هـ) الآلاف ، فكان يموتيوميًّا (٢٠٠ – ٣٠٠) شخص ، وانتشر المرض في (بيروت) فأصاب (٢٥%) من سكانها ، وهكذا بقية المدن والأقاليم ، وانتشرت (الكوليرا) في البلاد وخاصة بين الجنود وعامة الجيش ، وطغت المجاعة على كل المصائب ، وكان لها سببان :

الأول : موجات الجراد الوافدة من الصحراء ، ولم تشهد البلاد لهاثيلاً منذ أربعين سنة ، كما أن غزارة الأمطار وكثرة الثلوج في جبال لبنان منعت وصول الحبوب إليه من داخل سوريا.

الثاني : أن الحكومة صادرت معظم الرجال والحيوانات منذ بدء الحرب[٣].

لقد باع الناس شبابيك بيوتهم وسقوفها ، وصاروا يهجرون قراهم وخاصة في لبنان ويتجهون نحو سوريا ، كانوا يأكلون الأعشاب ، وكان الأطفال والصبية يتسولون في الشوارع والأسواق ، بل بعضهم يخطف كل ما يرى من الباعة أو الناس من الغذاء ، حتى إن الجنود الجياع كانوا ينقضّون على الباعة فيخطفون ما معهم ، وكان الباعة يهربون منهم عند رؤيتهم من بعيد[٤].

ويذكر "محمد كرد علي" أن سوريا فقدت عشر سكانها ، أي (٣٠٠) ألف من جراء الحرب والجوع والمرض[٥].

مع كل هذه النوازل ماذا كان دور العثمانيين في الدولة ؟

كان الاتحاديون أرسلوا في (١/كانون الأول/١٩١٤م الموافق ١٣٣٣/١/١٣هـ)

---

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥٥/١ ـ ٥٦)
(٢) المصدر نفسه ، (٦٢/١)
(٣) علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق ، (ص٣٤٧ ـ ٣٥١)
(٤) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٤٢ ـ ١٤٣)
(٥) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (١٦١/٣)

"جمال باشا" ليتولى قيادة الفيلق الرابع العثماني في دمشق[١] وقد تقدّم الحديث عن ذلك لكن ما يتعلق بالموضوع هنا ما أشار إليه "علي سلطان" من أنّ جمال " كان متّهمًا بتعمّد تجويع أهالي سوريا ولبنان خاصة ، حتى يتخلص منهم لأنهم يوالون فرنسا والحلفاء ، ويكتمون كرههم للدولة العثمانية[٢].

وكان "جمال" قد أمر بمصادرة كل المواد الغذائية ، دون أن يترك ما يكفي للسكان لسد جوعتهم ، إضافة أنه لم يطعم جنوده بأكداس القمح المخزونة في العراء ، حتى أصابت الجيش مجاعة ، وصار الجنود يقاسمون السكان اللقمة التي لا يجدونها[٣]، وبدأت الدولة في سوريا ولبنان تجلب الحبوب وتبيعها بأسعار معتدلة ، وخاصة الفقراء ولكن بعد فوات الأوان[٤].

كان للحلفاء دور في اشتداد المجاعة ، ففي الوقت الذي وصلت فيه باخرتان تحملان أرزاقًا وملابس للجوعى والبائسين من أهل سورية وخصوصًا أهل لبنان بعثها إخوانهم السوريون المقيمون في أمريكا قامت السلطات الانجليزية بحجزها في (ميناء الإسكندرية) ، ورفضت السفر بها إليهم بعد أن تعلقت بها قلوب الفقراء هناك فور وصول أنبائها[٥].

ويذكر الأمير "شكيب أرسلان" أنّ المجاعة لمّا عضّت بأنيابها في سوريا زمن الحرب ، وحين سدّت دول الحلفاء جميع الطرق البحرية على سورية دخل على "الصدر الأعظم" ، وأشار عليه باستدعاء "القاصد البابوي" المقيم بـ(الأستانة) والتماس الكتابة لـ"البابا" للتدخل في إيصال الأطعمة والملابس إلى الشام ولو لزم من ذلك تحمّل الدولة لثمن التكلفة دون أن يلحق "البابا" شيء من كيسه ، وإن كانوا يخشون من أن هذه الأرزاق والحوائج تتصرف بها الحكومة العثمانية فإننا نتعهد بألاّ نمس منها شيئًا ، بل نترك توزيعها على الأهالي للزعماء الروحيين ، أو لمن يشاء "البابا" تعيينهم ، لكن "البابا" لم يرد جوابًا[٦].

ويحكي الشيخ "علي الطنطاوي" الصورة الاجتماعية لبلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري فيقول : (ما كانت عندنا سيارات ، ولا شوارع يمكن أن تمشي بها السيارات ، إنما كانت عندنا العربات الجميلة تجرها الخيول الأصيلة ، وأنا أذكر أن أول سيارة وصلت إلينا وصلت سنة (١٩١٦م – ١٣٣٤هـ) ، وخرج الناس ينظرون

(١) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٧٦)
(٢) علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق ، (ص٣٥٨)
(٣) المصدر نفسه ، (ص٣٥٨ – ٣٥٩)
(٤) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٤٤ - ١٤٥)
(٥) شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٤٦٧)
(٦) المصدر نفسه، (ص٤٧٥ - ٤٧٦)

إليها ، فلما رأوها تمشي وحدها لا يسحبها حصان قال قائلٌ للعوام : إن الجن تسيِّرها ، فتدافع ضعاف القلوب هاربين ، وهربنا نحن الصغار معهم ، وضاعت حقيبة كتبي ونلت على ذلك جزائي)[١].

ويقول : (كانت تسلياتنا قليلة ولكنها نبيلة ، ليس عندنا إذاعات ، ولم تكن قد اخترعت ، ولا كان الرّائي[٢] ولا السّينمات ، إلا سينما واحدة للدعاية الحربية ، أخذونا إليها فأرونا فلمًا صامتًا ، إذ لم تكن السينما قد نطقت ،ثم أُنشِئَتْ داران للسينما وهما (الزهرة) أو (الزهراء) وسينما (النصر) ثم أُنشئت (الكوزموغراف) و (الإمبَيَر) و(العباسية) التي بنيت على أرض وقفية)[٣] .

أمّا الطيارة فقد جاءت إلى سوريا سنة (١٩١٥م – ١٣٣٣هـ) ، كما ذكر الشيخ - رحمه الله-[٤].

عادت الأنفاس إلى (دمشق) بعد ظروف الحرب ،وحلّ الوجدان محل الحرمان -كما يقول "الطنطاوي"- فهذا الخبز مبسوط أمام المشترين من كل نوع وفي كل مكان ، وكثر السكروالبنُّ والرز والكاز وعلقت الأعلام على الدكاكين ،وعلى أبواب المنازل ، والأناشيد التركية ذات الألحان القوية بدلت على عجل بأناشيد عربية صيغت كلماتها ، وركب اللحن التركي القديم على النشيد العربي الجديد ، وكان الناس لا يهتم جمهورهم بالسياسة ولا بالرياسة ، همتهم أداء فرضهم ، وحفظ عيالهم ، وتسلية أنفسهم بما لم يحرمه عليهم دينهم[٥].

ثم كانت (دمشق) بعد ذلك كعبة الشباب العربي المثقف كما أطلق عليها "أسعد داغر"[٦] ، فقد استوطنها رجال من مختلف الأقاليم الشامية ، وقد لعبوا دورًا كبيرًا في هذه الفترة ، وأصبحت البلاد في حركة دائبة وحماسة وطنية متقدة ، تظافرت فيها الجهود لبناء الدولة العربية الواحدة ، وتوطيد دعائم الاستقلال والوحدة[٧].

---

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥١/١)

(٢) هو التلفاز.

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥٠/١) و(٤٠١/١)

(٤) المصدر نفسه ، (٥٢/١)

(٥) المصدر نفسه ، (٧٠/١ - ٧١)

(٦) **هو : أسعد** بن مفلح داغر . من أهل (تنورين) بلبنان ،تعلّم بـ(بيروت) في مدرسة (عين طورا) النصرانية حتى انتهى من المرحلة الثانوية ، قصد بعد ذاك (الآستانة) لتعلم الحقوق ، وهناك انضم إلى مؤسسي جمعية "المنتدى الأدبي" وكان يكتب في جريدة "المقطم" المصرية عن طريق مراسلاته البريدية ، ثم محررًا لها ، توفي سنة (١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م)

يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٠١/١)

(٧) أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، (القاهرة) ، (١٩٦٠م – ١٣٨٠هـ) ، =

وكان الشعور العربي حتى ذلك الوقت ممزوجًا بروحٍ إسلامية ، حتى إن شوارع (دمشق) كانت تمتلئ بعشرات الآلاف من المتظاهرين في المناسبات الوطنية وهم يهتفون (دين محمد دين السيف)[١]

سرعان ما تغير واقع بلاد الشام بعد صدور صك الانتداب على سوريا ولبنان في (٢٤/تموز/١٩٢٢م – ١٣٤٠/١١/٣٠هـ) ، بعد أن هزم العرب في معركة (ميسلون) المشهورة ، وكانت فترة الانتداب احتلالاً شرسًا بقوة السلاح وقرارات عصبة الأمم الظالمة، ففي سنة (١٩٣٩م – ١٣٥٨هـ) نقض الفرنسيون المعاهدة التي أبرمت مع الوطنيين ، فاضطربت الأوضاع في الشام ، وظهر وجه الانتداب البشع ، ونزلت قيمة الليرة السورية مقابل الليرة الذهبية من (٥٥٠)قرشًا سوريا إلى (٧٥٠) قرشًا[٢].

يقول "محمد فاروق الخالدي" : (أمضى المحتلون أكثر من ربع قرن من الزمن ، وهم يستغلون خيرات البلاد ، ويربون لهم العملاء ليحكموا لهم بالوكالة بعد خروجهم)[٣].

ثانيًا : الأردن :

وهذا "خير الدين الزركلي"[٤] يحكي الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في حكومة (شرقي الأردن) ، فيقول : (كان الأردن على جانب من الفقر المدقع بالنسبة إلى البلاد التي يحكمها "فيصل " العراق ، ففي الأردن كان يقيم ثلاثمائة وخمسون ألف شخص ليس إلا ، وتتألف معظم البلاد إما من الجبال الصخرية الجرداء أو من الصحارى الشاسعة التي لا حدود لها ، وتقع الأرض الوحيدة المزروعة في سهل ضيق يمتد على الحدود الغربية ، ويحد البلاد إلى الغرب (نهر الأردن) ، وإلى الشرق صحراء لانهاية لها ، وحتى عام (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) عندما أخذ الأمير"عبد الله"

=

(ص١٠٥)

(١) المصدر نفسه ، (ص١٠٥)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، (٤/ ١٢٦)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٣٣٠)

(٤) **هو** : خير الدين بن محمود علي بن فارس الزّركلي -بكسر الزاي والراء- . ولد بـ(بيروت)، ونشأ بـ(دمشق)، وتعلم في مدارسها الأهلية ،أولع بالأدب ، وكان شاعرًا ،وأصدر مجلة (الأصمعي) الأسبوعية فصادرتها الحكومة العثمانية ، لصورة كُتب أنها صورة الخليفة العربي المأمون ، توفي سنة (١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م)

يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٦٧/٨)

القسم الجنوبي من (شرق الأردن) من والده ملك الحجاز لم يكن للإمارة أي منفذ إلى البحر إلا عن طريق فلسطين نحو ساحل البحر الأبيض المتوسط ، وهذه المنطقة لا تنتج شيئًا ، ولا تصنع شيئًا ، فهي من الناحيتين الاقتصادية والجغرافية لا شيء مطلقًا، و(عمّان) كانت المدينة الرئيسية في الأردن ، أما أماكنها التاريخية القديمة كـ (جرش) و (البتراء) و (الكرك) فقد أضحت كلها خرائب ، وزالت غاباتها من عالم الوجود ، بعد أن استخدمت أشجارها إما في مدّ سكة حديد الحجاز ، أو في تغذية قاطراتها بالحطب اللازم للاحتراق ، ولم يكن في البلاد أية طرق للمواصلات باستثناء سكة حديدية واحدة ، ولا مدارس ، ولا شرطة ولا مقومات للكيان)[١]

ويقول أيضًا : (ففي أراضي الأردن الجرداء ، ومن تلال (أدوم) إلى الصحراء السورية في الشرق عاشت القبائل البدوية المشهورة ، (الرولة) في الشرق ولها سبعة آلاف خيمة ، و(الحويطات) في الجنوب بعامة وعودة أبي تايه ، و(بنو عطية) على حدود الحجاز، و(بنو صخر) في الوسط ولهم ثلاثة آلاف خيمة ، و(أهل الجبل) في المنطقة الشمالية ، وبين هذه القبائل الرئيسية عاشت قبائل وعشائر أخرى أقل أهمية وعددًا وأصغر حجمًا ، تعتمد في علاقاتها على تحالفاتها مع القبائل الكبيرة ، ووقوفها إلى جانبها في أوقات الخصومات والمنازعات ...، وإلى الغرب من هذه القبائل عاشت في الأردن جماعات من الناس أقلهيلاً إلى الحرب وأقلقلقًا ، وعملت في زراعة الأراضي الواقعة على مقربة من الحدود الغربية)[٢].

أما التقسيمات الإدارية في بلاد الشام فكانت - إلى آخر أيام الخلافة -تتألّف من أقضية ، و(القضاء)[٣] أصغر الأجزاء الإدارية ، ومن مجموع (الأقضية) تكون الولاية (المحافظة) ، ومن مجموع الولايات (المحافظات) تكون الحكومة فالقضاء الواحد صورة مصغرة للحكومة بوزاراتها كلها ، يرأسها "قائم مقام"[٤] ، ثم يليه - تبعًا للتشريفات العثمانية - القاضي الشرعي ثم حاكم الصلح ثم مدير المال (ممثل وزارة المالية) والطبيب الذي يمثل (وزارة الصحة) ومدير الزراعة ممثل (وزارة الزراعة)[٥].

أما بيوت الشاميين خلال هذا القرن فيصفها "مجاهد مأمون ديرانية" - حفيد

(١) الزركلي ،عامان في عمّان، مرجع سابق ، (ص١٠)

(٢) الزركلي ،عامان في عمّان، مرجع سابق ، (ص٣١٣)

(٣) المجلس المصغر لممثلي وزارات الحكومة ،وأشبه شيءٍ به اليوم مجالس المحافظات ، والمدن .

(٤) ممثل وزارة الداخلية ،وأشبه شيءٍ به اليوم المحافظون في المدن .

(٥) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٢١٥/٤)

الشيخ "علي الطنطاوي" - ، فيقول : (البيت الشامي القديم مكون منغرفٍ عدة ، تفتح كلها على بقعة مكشوفة لا سقف لها في صحن الدار ، وربما كان البيت من طبقة مفردة وربّما كان من طبقتين ، فأمّا "المربَّع" فهو الاسم الذي كانوا يطلقونه على الغرفة الكبيرة في الطابق الأرضي ، ويغلب أن تكون مربّعة الشكلفعلاً ، و(القاعة) هي غرفة الاستقبال التي يضعون فيها أرائك فاخرة لاستقبال الضيوف ،وكثيرًا ما تكون من الأرائك المطعمة بالصّدف وهي صنعة شامية قديمة كادت تندثر اليوم ، و(الفرنكات) وهي الغرف العلوية التي تكون في الطابق الثاني ، أما (المصبات) فلا أعرفها)[١]

ويغلب أن تزرع على أطراف صحن الدار الأشجار والأزهار وتتوسطه بركة فستقية من الرخام يتدفق فيها الماء ، هذا الصحنيسمّيه الشاميّون (الديّار) وكانشطْف أرضه بالماء أو مسحه في كل يوم مرة أو مرتين من أوجب الواجبات[٢].

وكانت البيوت من الحجر والطين والخشب ، وكانت متداخلة متعانقة ، يستطيع من شاء أن ينتقل من طرفالحيّ إلى طرفه الآخرمن فوق السطوح لا تمس رجلاه الطريق[٣].

ويصف الشيخ "الطنطاوي" البيت من الخارج بأنه مستور ، وأن أهل الدار لا يرون من في الخارج ولا يراهم أحد ، وليس للبيت نافذة على الطريق ، ولا شرفة للجيران عليها ، وكان في مدخل الحارات (سمّان) وهو البقّال بلغتهم أو عطار ، ووظيفتهما مراقبة الحارة ، فإن رأىشابًّا غريبًا في الحي سأله من أين ؟ وإلى أين ؟ وإن خرجت امرأة وحدها يراقبها ليرى أين تذهب وحدها[٤].

وكان يفصل بين الأحياء بوابات تغلق بعد العشاء ، ولها حراس من وراءها لايفتحون إلا لمن يعرفونه ويطمئنون إليه ، وإذا اضطر أهل بيت أن يخرجوا منها نادوا من وراء البوابة : عندنا كذا ، ونريد أن نأتي بكذا فافتح لنا فيفتح لهم[٥].

وعرفت في دمشق حارات وأحياء يجتمع فيها أرباب الصناعة الواحدة فتعرف بهم وتنسب إليهم ، ففي الشام سوق (القطن) ، وسوق (الحبوب) ، وسوق (الحرير) ،

(١) علي الطنطاوي ، (دمشق) صور من جمالها وعبر من نضالها ، مرجع سابق ، (ص٢١٠)
(٢) علي الطنطاوي ، (دمشق) صور من جمالها وعبر من نضالها ، مرجع سابق ، (ص١٦٨)
(٣) المصدر نفسه (١١٢/٢)
(٤)علي الطنطاوي ، (دمشق) صور من جمالها .. ، مرجع سابق (ص:١٧٣)
(٥) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣١٥/١)

وسوق (الصاغة) ، وسوق (النحاسين) وسوق (الحدّادين) ، وغيرها[١].

وكانت البيوت تستقي من آبار يصل إليها الماء من أنهار البلاد ، ويتم سحب الماء من الآبار بالمضخات ، وكان في ضخها رياضة للبدن ، وتقوية لعضلات اليد ، وكان بعض أهالي البلد الموسرين يستعينون بالمحركات الكهربائية (المواطير) حين وصلت أول مرة إلى الشام ، فلما رآها الناس اشتد عجبهم منها لأنهم لم يروا مثلها قبل ذلك[٢].

وكانت المرأة لا تخرج إلا باللباس الطويل الذي يصل إلى نصف الساق وتحته الجوارب السميكة ، وكانت البنت تستحيي أن يراها أبوها في البيت بالكمّ القصير أو بالصدر المكشوف ، ولا تظهر بزينتها إلا أمام زوجها[٣].

وكان في كل حي من أحياء دمشق جامع حافلٌ بالعلماء وعامر بالدروس يجتمع فيه الناس كل صلاة ، وكانت حلقات العلم عامرة لا تنقطع خاصة في الجامع الأموي ، فجامع التوبة لحي (العقيبة) وما حولها ، وجامع القصب للعمارة وباب السلام ، وجامع السّنانية لباب (الجابية) وما اتصل به ، وجامع باب (المصلى) حيث كان مصلى العيد في أول ميدان الحصى ، وجامع (منجك) وجامع الدّقاق لحي (الميدان) ، وجامع الشيخ "محي الدين" وجامع الحنابلة ، وجامع الشيخ "عبد الغني النابلسي" لأحياء سفح جبل (قاسيون) ، وجامع (تنكز) ، وجامع (يلبغا) في حي (المرجة) وما جاورها ، وكان العلماء مرجع الناس في أمور الدنيا والآخرة ، وكان الحي كأنه أسرة واحدة ، وأهله شركاء في الفرش والآنية ، إن احتاج أحد شيئًا قرع باب جاره فاستعاره منه ، ولا تسأل عن الفرح والمأتم فقد كانوا أوفياء عملاً وعاطفة[٤].

كان الناس في بلاد الشام يتركون أعمالهم ويغلقون محلاتهم بعد صلاة العصر ، ويذهبون إلى (السيران) في صدر الباز أو الربوة أو (مصطبة الهبل) ينصبون سماور الشاي ويبردون البطيخ في النهر ، ويتناولون العشاء جميعًا ، ثم يصلون المغرب ويعودون إلى دورهم[٥].

وكان الناس في دمشق قبل الحرب العالمية الأولى يصلون العشاء ثم ينامون ، ولم يكونوا يألفون السهر ، حتى المقاهي لم يكن روادها يسهرون أكثر من الساعة

---

(١) المصدر نفسه ، (١٩٣/١)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١/ ٢٢٧)

(٣) علي الطنطاوي ، (دمشق) ، مرجع سابق ، (ص١٧٤)

(٤) المصدر نفسه ، (ص١٧٢ - ١٧٣) بتصرف، و علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١٩١/١)

(٥) علي الطنطاوي ، (دمشق) ، مرجع سابق ، (ص١٧٥) بتصرف.

الثالثة أو الرابعة بعد غروب الشمس ، يستمعون إلى (الحكواتي) أو يشاهدون (كراكوز)[١] ، ثم يمضون إلى بيوتهم ، ولم يكن لهم أسرّة ينامون عليها إلا ما كان عند الأغنياء ، إنما ينامون على الأرض على فرش متواضعة[٢]، فإذا استيقظوا وضعوها في (اليوك)[٣].

وكانوا يلبسون في مناسبات العيد ونحوها الأقمشة اللامعة ذات الألوان المتعددة والخطوط المختلفة ، وكان منها الرخيص المنسوج من القطن ونحوه ، ويسمى عندهم (الديما) ، والغالي المنسوج من الحرير وشبهه ، وهو المسمى عندهم بـ (الألاّجة) ، وهو سميك متين يبقى طويلاً لا يبلى[٤].

ولم تكن في الشام جريدة عامة تباع علنًا ، فكانت الجرائد تطبع بأعداد قليلة وترسل للمشتركين ولم يكن شيء من هذه المجلات المصورة ، ولا هذه الروايات ولا الكتب العامة ، ولم يكن الاصطياف عندهم معروفًا فكان غاية الرجل أن يسير بأهله يومين أو ثلاثة ثم يعود ، ولم يكن في قرى المصطافين قهوة مفتوحة ، ولا (نادٍ) ولا (كازينو) وإذا حضر وقت الصلاة أذّن المؤذن وصلّى الإمام ، ولربما صلّى خلف الإمام في بعض السهول ستة صفوف فيها ستمئة مصطاف ، لا يتأخر منهم رجل واحد[٥].

ولم يكن في بلاد الشام سنة (١٩٣١م – ١٣٤٩هـ) إلا جهازان للرادّ ، أحدهما عند رئيس الجمهورية "محمد علي بك العابد"[٦]، والآخر عند الأمير "سعيد الجزائري"[٧] ، وكان الجهاز بحجم الثلاجة ، ماكان قد وجدت هذه الرادّ الصغيرة

(١) خيال الظل .

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١٠٢/٣)وأيضًا (١٩٧/١)

(٣) **هو** : الخزانة في الجدار بغير باب ولا رفوف ،تصف فيه الفرش المطوية بعضها فوق بعض ، ويوضع عليها ستارة منقوشة مطرزة .

(٤) علي الطنطاوي ، ذكريات ، (١/ ١٩٢)

(٥)علي الطنطاوي ، (دمشق) صور من جمالها ، مرجع سابق ، (ص١٧٥) بتصرف.

(٦) **محمد علي بك العابد** : أول رئيس للجمهورية السورية . ولد بـ(دمشق) ،وتعلّم بها وبـ(الآستانة) ، درس الحقوق بـ(باريس) ، عيِّن أولاً وزيرًا للمالية ثم رئيسًا للجمهورية . توفي بـ(باريس) ، ودفن بـ(دمشق) سنة (١٣٥٨هـ - ١٩٣٩م)

يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (٣٠٤/٦)

(٧) الأمير سعيد الجزائري : هو محمد سعيد بن علي ابن الأمير عبد القادر الجزائري ، سياسي ، ولد بـ(دمشق) وتعلم منها ، ترأس جمعيات الخلافة بسوريا ولبنان ، تقلد رئاسة الدولة قبيل دخول الجيش العربي والإنجليزي . توفي سنة (١٤٠٢هـ-١٩٨١م)

يُنظَر : نزار أباظة ، علماء الشام وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق ، =

التي تحمل باليد[١].

وكانت مدن الشام وبيروت لبنان كمدينتين في بلد واحد ، وكان الذي يعمل في بيروت كالذي يعمل في الشام ، وكان أهل المدينتين يقصد بعضهم بعضًا ، وكانت العملة في المدينتين واحدة وهي الليرة ، ولم يكن السفر إلى إحداهما محتاجًا إلى إذن ، ولا رخصة ، ولا ختم أوراق ، أو تفتيش متاع[٢].

وكان في دمشق ثلاثة مستشفيات : (مستشفى كلية الطب) ويسمى بالمعهد الطبي، و(المستشفى الفرنسي) ، و(المستشفى الإنجليزي) ، والأخيران تنصيريّان تبشيريّان[٣].

أمّا ينابيع الشام فلا يجذب ناظرك إلا صفاء مائها وبريق حصاها الذي يبدو كاللؤلؤ ، وهذه الشلالات تنكسر أشعة الشمس على مائها فيلمع فيه مئة ألف حجر ألماس ، وتمر به في الليل فلا ترى شيئًا أشد رهبةً منه ، تظن من شدة سواده ودويّه أن فيه مئة ألف مارد[٤].

=

(ص٥٠)

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١٩٧/٢)

(٢) المصدر نفسه ، (٤/ ٥٨)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٧٨/٤)

(٤)علي الطنطاوي ، (دمشق) ، مرجع سابق ، (ص١٨٢) بتصرف.

الفصل الثاني

الانحراف الفكري في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري

ويحتوي على مبحثين :

- **المبحث الأول :** دعاة الانحراف الفكري في بلاد الشام .
- **المبحث الثاني :** دعاوى الانحراف الفكري في بلاد الشام .

لم يكن الدور الذيأدّتْه الجمعيات والأحزاب في العالم الإسلاميوخصوصًا في بلاد الشامجديدًا ولا غريبًا ، أما كونه غير جديد فلأن الإسلام - منذ ظهوره في مكة ، وقيام دولته في المدينة ،مرورًا بعهد الخلافة الراشدة وزمن بني أمية وبني العباس إلى نهاية الدولة العثمانية - واجهقوىً وتكتلات وتحديات داخلية وخارجية أشبه ما تكون بتحديات الجمعيات والأحزاب المعاصرة ، فحين كان الإسلام في مكة تحدته الوثنية ، ومارست شتى الوسائل لصد الناس عنه ، بالتعذيب والتهديد تارة ، وتجميد الأموال ومصادرتها تارة أخرى ، ولا تسل عن السخرية والاستهزاء والمراء بالباطل وتلبيس الحق على الفئة المؤمنة ، ومع ذلك لم تفلح تلك الجهود بل اتسعت دائرة الإسلام في بطون "قريش" وسمعت به قبائل العرب ، وحين قامت دولته في المدينة واجه تحديًا آخر من أهل الكتاب من اليهود ، بل حتى النصارى كان لهم دور كبير في محاولات وقف المد المتسارع للإسلام في شمال الجزيرة العربية ،لكنَّ الإسلام بقوته الذاتية استطاع التغلب على كل هذه التحديات ، وامتد إلى فيافي الجزيرة ، وديار الشام، وسواد العراق ، ووادي مصر ، ورياض الأندلس ، وربوع العجم ، وبلاد الهند، وأرجاء الصين ، واستمع إلى ما قاله الخليفة العباسي "هارون الرشيد"[١] حين وقف على شرفة قصره وقدمرّت به سحابة ولم تمطره فخاطبها بقوله : (أمطري حيث شئت ، فإن خراجك سيأتيني)[٢] وهذا القول تصوير صادق لعظمة السيادة السياسية التي بلغها الإسلام.

لقدتعرّض الإسلام إلى محن داخلية قامت بها جمعيات باطنية بذرت الفرقة بين المسلمين وأدّت إلى امتشاق الحسام ، واستمرت زمن الأمويين ، واشتدت التحديات حين دخل في الإسلام من تظاهر به من أهل الكتاب والفرس والمجوس ، لكن الأمة حينها كانت من الوعي على دينها ، ومن القوة في إيمانها بحيث فوتت على هؤلاء أهدافهم ، فسار الإسلام - رغم الجراح قُدُمًا ، حتى سلط الله على أهله الذل والهوان لمّا أقبلوا على دنياهم ، واشتغلوا عن الجهاد ، ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة.

ومن هنا نعلم أن الظروف التي نشأت فيها الجمعيات القديمة والأحزاب المتدثرة بالإسلام هي في الغالب ذات الظروف التي نشأت فيها الجمعيات القومية والأحزاب المعاصرة ، وأن الخط الانحرافي بين الجمعيات القديمة والحديثة كان واحدًا ، مع اختلاف الوسائل ، ومراعاة ظرف الزمان والمكان ، ولتقريب الصورة الشاهدة على

---

(١) **هو** : هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي . خامس خلفاء بني العباس في العراق ، ولد بـ (الرّي) ، ولاه أبوه غزو الروم في القسطنطينية ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه سنة (١٧٠هـ - ٧٨٦هـ) ، وازدهرت الدولة في أيامه ، توفي سنة (١٩٣هـ - ٨٠٩م)
يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٦٢/٨)
(٢) الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الرياض ، الطبعة الثانية (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م) (٢٨٦/٩)

وحدة الدور والدافع عند هؤلاء وأولئك أقول :

أولا : لمّا قامت الجمعيات والحركات الباطنية القديمة اتخذت من شعار (آل البيت) دثارًا تخفي تحته حقدها الدفين على الإسلام وأهله ، كما فعلت حركة اليهودي "ابن سبأ"[١] ، وهذا الشعار هو الذي رفعته الجمعيات القومية والأحزاب التي نتحدث عنها ، ألا ترى كيف ناصر أعضاؤها "الشريف حسين" ، وجعلوه قائدًا لها وهو من سلالة آل البيت[٢].

ثانيًا : غلب على الجمعيات الباطنية القديمة والحديثة الطابع السري والعلني المنظم ، ووضع الخطط والدسائس في الخفاء والظلام مع القدرة على التلوُّن ، والذوبان داخل الأمة المسلمة ، فهؤلاء المنافقون واليهود على عهد النبي ﷺ ، وهذه السبئية وعلى رأسها "عبد الله بن سبأ" الذي رحل إلى الحجاز والعراق يدعو لبدعته سرًّا وجهرًا ، ويؤلب في المجالس والنوادي على "عثمان" رضي الله عنه ، وهكذا سار على طريقتهم إخوانهم في القرن الرابع عشر الهجري ، فكانت تتسم نشاطاتهم بالسرية ، فحينما يكشف نظام جمعيةٍ مّا تُحَلُّ الجمعية فينتقل أعضاؤها إلى مسمّى جمعية ثانية[٣] ، وقد كشفت بعض الوثائق عن علاقة بعض الزعامات والمحققين والناشرين ممّن عرف بالفضل أنه كان يرتبط ارتباطًا وثيقًا ببعض هذه الجمعيات[٤].

ثالثًا : الواضح في سير هذه الجمعيات القديمة والحديثة أنها تنشط عند عزة

---

(١) **هو** : عبد الله بن سبأ . رأس السبئية ،القائلة بأولوهية عليّ ، من يهود اليمن ، ادّعى الإسلام ورحل إلى (البصرة) و(الكوفة) يدعو لبدعته ، حتى جهر بها في مصر ، قال "بن حجر العسقلاني" : ابن سبأ من غلاة الزنادقة ،أحسب أن عليًّا حرّقه بالنار .
يُنظَر في ترجمته : سليمان بن حمد العودة ، عبد الله بن سبأ وأثره في إحداث الفتنة في صدر الإسلام ، دار طيبة ، الرياض ، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)

(٢) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٥٠/١) ، بتصرف.

(٣) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٦٨/١)

(٤) من هؤلاء : شكري القوتلي عضو "جمعية العرب الفتاة" وأمين سرّها ،فإنه لمّا سجنه "جمال باشا" خشي أن يبدر منه في حال الإغماء ما يقضي عليه وعلى إخوانه في الجمعية ،فأعدّ قلمًا وقرطاسًا وتمدّد على سريره الخشبي ، وقطع شريان يده اليسرى ، وغاب عن وعيه ، فرأى حارس السجن دمًا أسفل الباب ، فأسرع إلى رئيسه واستدعى الطبيب المناوب "أحمد قدري" ، وحمل القوتلي إلى المستشفى .
يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (١٧٢/٣) ، وعبد اللطيف يونس ، شكري القوتلي حياة أمة في رجل ، دار المعارف بمصر – (١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ) ، (ص١٢)

الإسلام ومنعته ، ففي الوقت الذي تخاف فيه من استلاب مصالحها وذهاب ريحها تعمل جاهدة من أجل القضاء عليه بكل ما أوتيت من قوة، فهذا النفاق لم يظهر في مكة لضعف دولة الإسلام وقلة أنصاره وغلبة دولة الباطل ، ولكن بمجرد قيام دولة الإسلام في المدينة ظهر النفاق والمنافقون، وحاكوا الدسائس والمؤامرات تارة من عند أنفسهم ، وتارة بتحالف سرّي بينهم وبين المشركين ، وآخر بينهم وبين اليهود وهلم جرًّا . ولم يختلف عنهم إخوانهم اليوم ، وما سقطت الخلافة العثمانية إلا بهذا الكيد الكُبّار ، بل ما وصل المسلمون اليوم إلى حالة الانهزام والانحدار والضعف المعنوي إلا بتلكم التحالفات والتآمرات السرية والعلنية .

رابعًا : أن الجمعيات القديمة والحديثة استطاعت أن تضم في قائمة أعضائها عقائد مختلفة من أجل التّمويه على العامّة ، ولئلا تشتغل عقول الناس بالالتفات إلى أهدافهم وتتبع مقاصدهم ، فكان ذلك من أكبر عوامل الهدم . فهذه "الباطنية" ضمّت جميع العناصر المناهضة للإسلام ، وكانت التناقضات بينها تبيض وتفرخ[١] ، وأما اليوم فما تكاد واحدة من الجمعيات تقوم إلا وتجد أعضاءهاخليطًا من نحل شتى ، وخدع بها بعض أهل الإسلام ؛ كـ"محمد عبده"[٢] ، والشيخ "رشيد رضا " ، و"جمال الدين الأفغاني"[٣].

خامسًا : مما يثير الدّهشة أن هذه القوى وجدت لهاوسطًا يتقبّل أفكارها ،

---

(١) جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦هـ) ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، الطبعة السابعة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ، (ص٤٧)

(٢) **هو** : محمد عبده بن حسن خير الله التركماني . مفتي الديار المصرية ، ولد بمصر ، وتعلم وتصوّف بها ، درس الفلسفة وعمل في التعليم ، وكتب في الصحف ، شارك في "الثورة العرابية" ، ونفي إلى الشام كان صديقًا وتلميذًا لـ"جمال الدين الأفغاني" ، وأصدر جريدة (العروة الوثقى) تولى منصب القضاء في مصر ،ثم جعل مستشارًا في محكمة الاستئناف ، فمفتيًا للديار المصرية إلى وفاته سنة (١٣٢٣هـ- ١٩٠٥م)
يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (٢٥٢/٦)

(٣) **هو** : محمد بن صفدر ، الحسيني الأفغاني جمال الدين . فيلسوف ، ولد في (أسعد أباد) بأفغانستان ، ونشأ في (كابل) برع في الرياضيات وسافر إلى الهند ، وحج سنة (١٢٧٣هـ - ١٨٥٦م) وأقام بـ(كابل) ، ورحل إلى مصر و(باريس) وروسيا وألمانيا وغيرها ، دعا إلى النهضة والإصلاح في الدين والسياسة ، أنشأ مع تلميذه "محمد عبده" مجلة (العروة الوثقى) بـ(باريس)،مرض بالسرطان في فكّه وقيل دسّ له سُمٌ ، ودفن بأفغانستان سنة (١٣١٥هـ- ١٨٩٧م)
يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (١٦٨/٦)

وجمهورًا يردد شعارها واتخذت من بلاد الشام ومصر والعراق دارًا تصدر عنها هذه الجمعيات وترد ، فهذا "ابن سبأ" -كما تقدم في ترجمته- جاء إلى العراق والشام حتى استقر في مصر ، وصار له أنصار ، وهذا "المختار بن أبي عبيد الثقفي"[١] قامت فتنته من أرض العراق سنة (٦١هـ - ٦٨٠م) وهذه "الدولة الفاطمية" تحالفت مع "الحركة الباطنية الإسماعيلية"[٢] في مصر والشام ، ووقف الباطنيون إلى جانب الصليبيين وخاصة في (دمشق) سنة (٥٢٣هـ - ١١٢٩م) ، وإلى جانب المغول كما حدث في (بغداد) سنة (٦٥٦هـ - ١٢٥٨م)

وأمّا المتأخرون من إخوانهم فساروا حذوالقذّةبالقذّة فهذه جمعياتهم وأحزابهم تئن منها بلدان الشام والعراق وحين أخذ على أيديهم السلطان "عبد الحميد" فرُّوا إلى مصر حيث الإنجليز أو إلى فرنسا التي تزعم لنفسها حق حماية نصارى الشرق[٣].

سادسًا : كان لليهود والنصارى دور بارز في إذكاء الشقاق والفرقة ، وتغذية هذه القوى والأحزاب ضد الإسلام وأهله منذ وقت مبكر ، وذلك عبر التحالفات اليهودية الرافضية التي تمثلت في حركة "ابن سبأ" وأتباعه ، أو التحالفات النصرانية الباطنية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية ، أو الوثنية الرافضية ، كما في غزو المغول . وكان هذا التحدي - كما يشير إليه "جميل المصري" -شريكًا لبعض الوقت للغزو الصليبي ، وكان اليهود أكثر خطرًا ، وأشنكيلاً .

وهذا "محمد قطب"يؤكّد على أن دور اليهود في إفساد العالم لم يكن وليد صدر الإسلام ، بل كان لهم دور قديم ورثه جيل عن جيل ، وكانت لهم اليد الطولى في إفساد دين النصارى أنفسهم في أوروبا[٤].

---

(١) **هو** : المختار بن أبي عبيد الثقفي . أحد الثوار على بني أمية ، من أهل (الطائف) ، انتقل مع علي إلى العراق ، وسكن (البصرة) ، شاع من أخباره أنه ادعى النبوة ونزول الوحي . توفي سنة (٦٧هـ) بـ(الكوفة)
يُنظَر في ترجمته : : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٩٢/٧)

(٢) **الإسماعيلية** : فرقة باطنية تنتسب إلى الإمام "إسماعيل بن جعفر الصادق" ، ظاهرها التشيع ، وحقيقتها هدم الإسلام ، تعددت فرقها ، ومالت إلى الغلو حتى إن "الاثني عشرية" تكفر بعض أعضائها .

يُنظَر : إحسان إلهي ظهير ، الإسماعيلية تاريخ وعقائد ، إدارة ترجمان السنة – باكستان (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

(٣) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، (١٠٠/٢)

(٤) عقد "محمد قطب"فصلاً تحدث فيه عن دور اليهود في إفساد أوروبا ،يُنظَر كتابه مذاهب فكرية معاصرة ،طبعة دار الشروق، (القاهرة) - بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ - =

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، فهؤلاء الشيعة (الاثنا عشرية)[1]، و(الدروز) ، و(النصيرية) ، و(الإسماعيلية) ، و(القاديانية)[2] و(البهائية)[3] ، وغيرها استفحل أمرهم مع مجيء الاستعمار الصليبي الذي طوق الأمة . وهل خفي دور "الصفوية الاثنا عشرية" في محاربة الدولة العثمانية على مرّ عصورها ؟ وحين احتل الفرنسيون سوريا وانطلقت الحركات الجهادية ضدّهم كان "الإسماعيلية" في (سلَمية) وغيرها يقاتلون جنبًا إلى جنب مع "النصارى" ، وأما "الدروز" و"النصيريون" فكانوا على مرّ التاريخ مصدرًا لإثارة القلاقل ، وزعزعة الأمن ، وقيام الثورات ،وعونًا للصليبيين[4].

وأما "البهائية" فمنذ نشأتها وهي تحت رعاية الاستعمار الروسي والإنجليزي ، وحسبك أنها تقوم على الموالاة لليهودية العالمية ، وأما "القاديانية" فإنها نشأت بتخطيط من المستعمر الإنجليزي في القارة الهندية ، وقامت على خدمته[5] ، إلى آخر تلك

=

١٩٨٣م) ، (ص٧٩)

(١) **الاثنا عشرية :** فرقة زعمت أن عليًا أحق في وراثة الخلافة دون الشيخين ، ويطلق عليها (الإمامية) ،وسميت بذلك لأنهم قالوا باثني عشر إمامًا دخل آخرهم سرداب (سامراء) ولم يخرج حتى الآن .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (٥١/١)

(٢) **القاديانية** : حركة نشأت سنة (١٩٠٠م – ١٣١٧هـ) بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية ، تزعمها "مرزا غلام أحمد القادياني" ، تهدف إلى صرف المسلمين عن الجهاد ضد الإنجليز ، عقيدتها مخالفة للإسلام في كل شيء ، وأفتى علماء الإسلام بكفر معتنقيها .

يُنظَر : محمد الخضر حسين ، القاديانية ، طبعة مجمع البحوث الإسلامية ، القاهرة (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م)

(٣) **البهائية** : ويقال لها البابية ، حركة نبعت من المذهب الشيعي ، وتحت رعاية الاستعمار الروسي والإنجليزي واليهودية العالمية ، مؤسسها "علي محمد الشيرازي" ، تختلف مع الاسلام في كل شيء ،وصدرت فتاوي المجامع العلمية بكفر أصحابها كفرًا بواحًا .

يُنظَر : عبد الرحمن الوكيل ، البهائية تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة (١٣٨١هـ - ١٩٦٢م)

(٤) علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ، مرجع سابق ، (ص٥١٩ - ٥٢٠)

(٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (٤٠٩/١ - ٤١٦)

التحالفات التي اكتوت الأمة بشرورها .

سابعًا : إنّ أهم ما يميز الجمعيات القديمة والحديثة أنها تتمكن من بث أفكارها حين تتخلّى القيادات الربانية عن مسؤولياتها ، وتضعف عن أداء دورها في حماية بيضة الأمة ، وشواهد الحال على ذلك كثيرة.

إن قيام العلماء بتحقيق مفهوم العبودية الشاملة في حياة الناس كفيل بسلامة سفينة المجتمع من الغرق ، وذلك عن طريق النصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم ، وفي جميع ميادين الحياة التي تتعلق بها مصالح الخلق.

وهذا المفهوم هو الذي جعل حياة الأوائل من السلف حافلة بالأعمال العظيمة من تقوية الدولة الإسلامية وتربية رعاياها ، وجهاد الكفار والمنافقين ، والقيام على أمور المسلمين مع انحسار هذا المفهوم شيئًا فشيئًا كلما تقدم الزمان ، حتى آل الأمر إلى لزوم خاصة النفس ، ونمت روح الفردية على حساب الروح الاجتماعية ، وانشغل أهل الحق بأمورهم الخاصة عن العامة.

ونتيجة لانحسار هذا المفهوم في حياة الأمة وانحساره في جوانب معينة ،حلّت بدلاً من شريعة الله مذاهب إلحادية زاحمت ما بقي من نور النبوة ، وظهرت على الوجود جمعيات وأحزاب غيرت معالم الأمة ، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كانت دولة الإسلام زمن رسول الله ﷺ وزمن الخلفاء الراشدين حصينة مانعة، مع ما كان من بداية خط الافتراق والاختلاف الذي بدأ في زمن "عثمان" رضي الله عنه إلا أن المجتمع ظل سليمًا من غوائل الانحرافات ، وكان للعلماء من أصحاب رسول الله ﷺ [1] وتابعيهم دور كبير في مواجهة الفتن ودفع الناس عنها.

ولما كثر الكذب على رسول الله ﷺ انبرى أهل العلم بالحديث للدفاع عن رسول الله ﷺ ،وردّوا أكاذيب الشيعة والزنادقة ، ونقدوا الحديث ،وقعَّدوا له بقواعد ،وتحرَّوا في ما ينسب إلى النبي ﷺ .

وحين ظهرت "الصوفية"[2] في القرن الثالث ، ووصلت إلى أخطر مراحلها في

---

(١) كابن عباس وابن عمر -رضي الله عنهم- .

(٢) **الصوفية** : حركة دينية قامت في القرن الثالث كنزعات فردية ، تقوم على خليط من الفلسفات الهندية والفارسية واليونانية ، مصدر تلقيها الكشف والنبي عليه الصلاة والسلام والخضر والإلهام والفراسة والإسراءات والمعاريج التي تكون للأولياء.

يُنظَر : عبد الرحمن الوكيل ، هذه هي الصوفية ، طبعة دار الكتب العلمية ، القاهرة ، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)

القرن السابع الهجري وظهر غيرها من الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة كـ"الجهميَّة"[١] و"المعتزلة"[٢] وغيرها ، كان للعلماء دور كبير في رد شبهاتهم وصنفوا المصنفات ، وعقدوا المناظرات ،وتصدَّوا للدفاع عن شريعة رب الأرض والسماوات[٣].

ولضعف هذا الدور في القرن الرابع عشر الهجري أفسح المجال للمناهج الغربية لتشيع في ديار الإسلام كـ"العلمانية"[٤] ، و"الحداثة"[٥] ، و"الليبرالية"[٦] ، و"القومية"[١] . كما أغرقت بلادَ الإسلام صورٌ من

(١) **الجهمية** : فرقة كلامية ، متأثرة بعقائد اليهود والصابئة والمشركين والفلاسفة ، تنسب إلى "الجهم بن صفوان" الذي أخذها عن "الجعد بن درهم" الذي أخذها عن "أبان بن سمعان اليهودي" ، تنكر جميع الأسماء والصفات وتقول بخلق القرآن ، ولا يزال لآرائهم وجود خصوصًا عند العصرانيين الجدد .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (١٠٤٠/٢)

(٢) **المعتزلة** : فرقة نشأت أواخر عهد الأمويين ، وازدهرت في العصر العباسي ، اعتمدت على العقل وتأثرت بعلوم الفلسفة ، نشأت على يد "واصل بن عطاء" تلميذ "الحسن البصري" ، ويحاول بعض الكتاب اليوم إحياءها من جديد خصوصًا العقلانيين والتنويريين .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (٦٤/١)

(٣) يُنظَر : ما كتبه شيخ الإسلام "ابن تيمية" في مجموع الفتاوى في المجلد الحادي عشر عن التصوف والمجلد العاشر عن السلوك وتلميذه ابن القيم في الصواعق المرسلة وغيرهما.

(٤) **العلمانية** : فصل الدين عن الدولة والحياة ظهرت أولاً في أوروبا منذ القرن السابع عشر ، وانتقلت إلى الشرق في بداية القرن التاسع عشر ، وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية .

يُنظَر : سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة ، جامعة أم القرى – مكة (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م)

(٥) **الحداثة** : مذهب فكري أدبي علماني ، بني على أفكار الماركسية والوجودية والفرويدية والدارونية ، والمذاهب الفلسفية السابقة مثل السريالية والرمزية ، ويهدف إلى إلغاء الدين ونقد الثوابت بحجة أنها قديمة ، من أبرز خصائصه محاربة الدين بالفكر ، وتمجيد الرذيلة ، والثورة على اللغة .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (٨٦٧/٢)

(٦) **الليبرالية** : مذهب رأس مالي ينادي بالحرية المطلقة في الاقتصاد والسياسة ، أشهر من نادى بها "آدم سميث" و"مالتوس" .

يُنظَر : عبد الرحيم بن صمايل السلمي ، الليبرالية وموقف الإسلام منها ، جامعة أم القرى – مكة المكرمة (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م)

الشرك والبدع ، وصار الإسلام غريبًا . والله المستعان.

وكان من أهم مظاهر الضعف :

أ – فتوى بعض فقهاء الأقاليم بجواز بناء القباب على القبور إذا كان الميت فاضلاً ، واحتجوا بقولهم : إن بعض السلف استحسن ذلك(٢).

ب – ما ذكره "محمد كرد علي" عن الحالة العلمية في بلاد الشام حيث أسندت الخطابة والإمامة والتدريس وغير ذلك من منابر التعليم إلى الجهلة بدعوى أن آباءهم كانوا علماء ، وهم أولى أن يرثوا وظائفهم ومناصبهم كما ورثوا حوانيتهم وعقاراتهم وفرشهم وكتبهم ، بل بلغ بالعثمانيين أن ولّوا جهاز القضاء للأميّين ، وكم من أمّيٍّ غدا في (دمشق) و(حلب) و(القدس) و(بيروت) قاضي القضاة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، والله المستعان(٣).

ج – تجافي العلماء وبعدهم عن الأحداث السياسية والوقائع الاجتماعية حتى صاروا مطيّة لكثير من الساسة في تنفيذ أغراضهم ، فكانوا لا يقرأون جريدة ولا مجلة ، ولا يعلمون بقوانين السياسة ، وإن وجدت هناك محاولات فإنها لم تكن على مستوى الأحداث ، بل آل الأمر ببعض أولي العلم والحكمة أن يخلد إلى الأرض ، ويرضى بالدنيا الفانية عن الآخرة الباقية ، فكان منهم من يتنازع مع العجوز في فدّان ونصف عدد سنين ، وما فتأ ينازعها حتى ماتت ، ومنهم من يتعدّى على حدّ جاره ويدخله في بنائه ، ومنهم من يأخذ من مياسر الناس دراهم على سبيل القرض الذي لا يردّ ، إلى آخر تلك الأمثلة التي يترفع عنها العامّة فضلاً عن العلماء(٤).

=

(١) **القومية** : حركة سياسية فكرية جاهلية ،نشأت أواخر القرن التاسع عشر بسرّية عن طريق الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة ، ثم أعلنت عن نفسها بعد مؤتمر (باريس) (١٩١٢م – ١٣٣٠هـ) ، تقوم على رابطة اللغة والدم والتاريخ والأرض وتلغي رابطة الدين من الوجود .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (٤٤٤/١)

(٢) علي بن بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، عشر، مرجع سابق ، (٢٧٢/١)

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (٧٠/٣)

(٤) علي بخيت الزهراني ، الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، مرجع سابق ، (٥٩٦/١ - ٦٠٢)

ثامنًا : أنه من الملاحظ على الجمعيات القديمة والحديثة أنها تحاول إبراز نفسها كلما وجدت فراغًا سياسيًا أو موادً دستورية تتيح لها العمل تحت غطاء السلطة ، وتستغل أحيانًا توجهات من بأيديهم مقاليد الأمور من الساسة والوزراء نحو إحداث الإصلاحات الداخلية ، فتصل من خلال ذلك إلى أهدافها . والعكس يقال أيضًا ، فإنها تخبو وتخنس كلما أحسّت باليقظة ، وأيقنت بالخطر .

وفي عهد السلطان "عبد الحميد الثاني" صدر القانون الأساسي الذي كان عطّله مدة ثلاثين سنة ، وكان يعتقد ألا مخرج للدولة من الثورات المتلاحقة إلا بإعادة القانون الأساسي ، فاستغله رجال الأتراك المتشبعون بمبادئ الحرية ، والذين هجروا بلادهم وأقاموا بـ(باريس) ، وصاروا ينشرون نشرات ينتقدون فيها (الحكم الحميدي) ، وكان السلطان يجتهد في إرضائهم بتقليدهم مناصب عالية ، أو بإغداق النعم عليهم ، وكان ذلك سببًا لتعاظم الجمعيات والحركات الثورية في أقاليم الخلافة[١] .

وكم أخضعت هذه الإصلاحات العثمانيين ، ومنحت الدول الاستعمارية التدخل في شؤونهم الخاصة ، وأعطتهم امتيازات تحولت إلى حقوق شرعية لا يمكن التراجع أو التنازل عنها ، بل إنها تعدت ذلك إلى أن أصبحت تطال أقليات داخل السلطنة كانت تعتبر أصلاً من رعايا السلطان كاعتبار فرنسا مثلاً أن لها حق حماية "الكاثوليك" الأوروبيين والعثمانيين والإرساليات الأوروبية العاملة بينهم[٢] .

تاسعًا : أن هذه الجمعيات القديمة والحديثة تحرص على أن يكون أعضاؤها من ذوي المكانة العالية اجتماعيًا وسياسيًا وعلميًا ، وممن يعرفون بالحدّة والذكاء والنفوذ في مجتمعاتهم وهذه السمات هي في الحقيقة معايير اختيار أعضاء "الماسونية"[٣] في العالم ، وسيأتي مزيد بيان قريبًا عند الحديث عن دعاة الانحراف الفكري في بلاد الشام .

وأما كون الدور الذي لعبته الجمعيات القديمة والحديثة غير غريب فلأن الفتوحات الإسلامية لم يكن لسرعتها وانتشارها مثيل في تاريخ العالم ، حيث دخلت في

---

(١) شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٣٢٦)

(٢) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الاسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري ، مرجع سابق ، (٢٢٣/١ - ٢٢٤)

(٣) **الماسونية** : هي منظمة يهودية سرية ، محكمة التنظيم ، هدفها سيطرة اليهود على العالم وتتستر تحت شعارت (الحرية – الإخاء - المساواة) ، يسمى معتنقوها بـ(البناؤون الأحرار)

يُنظَر : أحمد عبد العزيز الحصين ، الماسونية ذلك المحفل الشيطاني الخفي ، دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الثالثة (١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م)

الإسلام شعوب بأكملها ، وبشر لا عداد لهم ،خصوصًا عهد بني أمية الذي سجل حركة الانسياح الإسلامي في الأرض .

وكان لليهود دور في محاولات إيقاف المد الإسلامي من بداية عهد النبوة عبر وسائل ، منها : التلاعب بالدين ، والتحريف في تفسير النصوص . قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ آل عمران: ٧٢ ، ومنها : العمل على إثارة الفتن باستمرار لإشغال الأمة عن التطلع إلى ذروة المجد ، قال تعالى :﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ﴾البقرة: ٢١٧ ، وتدبير محاولات الاغتيال كما فعلوا مع النبي ﷺ ، وإثارة الفتن السياسية كما فعلوا مع عثمان -رضي الله عنه-[١] وهنا بدأت خطوط التحالف اليهودي الرافضي ، ولم تكد تخبو الفتنة حتى ظهر اليهودي المنافق "ميمون القدَّاح"[٢] الذي أظهر إسلامه والتف عليه جماعة ، ودعا الناس إلى تمجيد الأسرة العلوية ، وبظهوره أخذت الحركة اليهودية المقنعة أسلوبًا جديدًا يتسم بسمات المنظمات السرية، حيث أخذ يجعل لكل آية تفسيرًا ، ولكل حديث تأويلاً ، وصار يزعم للعامة أن هذه التفسيرات والتأويلات هي المعاني الباطنة لهذه النصوص ،ولكنّ علماء الظاهر يتعلقون بالقشور ويتركون اللب . فنشأت في تلك الفترة : "الباطنية" وظهر منها "الزنادقة"[٣].

وبدأ تنامي الحقد المجوسي الشيعي المبطَّن في بلاد فارس ، بعد أن خضعت لسلطان الإسلام ، إذ كانوا قبل ذلك يعتبرون أنفسهم أعلى شرفًا وأكثر علمًا وحضارةً

(١) عبد الرحمن الميداني ، مكايد يهودية عبر التاريخ ، طبعة دار القلم - (دمشق) - الطبعة السابعة ، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ، (ص١٤٦) بتصرف.

(٢) **هو** : ميمون بن ديصان أو غيلان . رأس الفرقة (الميمونية) من الإسماعيلية ،كان يظهر التشيع ويبطن الزندقة ، كان بصيرًا بالفلسفة اليونانية ، ولد بمكة ، وانتقل إلى الأهواز وتوفي سنة (١٧٠هـ - ٧٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٤١/٧)

(٣) **الزنادقة** : لفظ أعجمي معربٌ ، أطلق أولاً على من يؤمن بكتاب المجوس (الزندا فست) ثم توسعوا في استعماله على كل إنسان يتشكك في الدين أو يهزأ به ، أو يجحد شيئًا منه ، نشأت في العهد العباسي ، وكان لها آثار سيئة على الأمة كما فعلت القرامطة والإسماعيلية وغلاة الشيعة .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (١٠٦٥/٢)

من العرب ، وكان بعض عرب الجزيرة خاضعين لنفوذهم العسكري والسياسي ، فكبُر ذلك عليهموأسرُّوا الحقد في قلوبهم[١].

وأما في القرن الرابع عشر الهجري فقد حاك المستعمرون الدسائس من أجل إسقاط الإسلام ، وإيقاف زحفه الذي طرق أبواب أوروبا ، بل ولج بعض عواصمها ، فكانوا يلجأون إلى إثارة الفتن داخل البلاد ،مرّة في البلقان ،وطورًا في بلاد الشام ، وأخرى في مصر وبلاد المغرب العربي إلى أن أفقرتها الحروب ، وحالت دونترقّيها في العلوم والصناعات ، وأخذ السيف حصة القلم ، وتمكنت أوروبا بعد صراع ستة قرون من استرجاع كثير من ممالكها.

تنافست دول أوروبا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي على احتلال الشعوب الإسلامية :

فاستعمرت **بريطانيا** من : ماليزيا ، وسواحل الخليج العربي ، والجنوب العربي ، ومصر ، والسودان ، وأوغندة ،وجزءًا من الصومال ، وأريتريا ، وتنزانيا ، ونيجيريا ، وقبرص ، وغانا . كما استعمرت بعد الحرب العالمية الأولى : العراق ، وشرقي الأردن ، وفلسطين .

وأما **فرنسا** فاستعمرت الهند الصينية ، ومالي ، وتشاد ، والنيجر ، والسنغال ، ومدغشقر (مالاغاش) ، وموريتانيا ، والمغرب ، والجزائر ، وتونس ، وغينيا ، وجيبوتي . وبعد الحرب العالمية الأولى استعمرت سوريا ،ولبنان .

وأما **إيطاليا** فاستعمرت ليبيا ،وجزءًا من الصومال ، وأريتريا .

وأما **روسيا** فاستعمرت سيبيريا ، وتركستان الغربية ، والأراضي الإسلامية في آرال ، وشبه جزيرة القرم ، وبلاد القوقاز .

وأما **أسبانيا** فاستعمرت الريف المراكشي ، وإقليم أفني ، والصحراء المغربية .

وأما **هولندا** فاستعمرت جزر الهند الشرقية (أندونيسيا).

وفي الوقت الذي بدأ فيه الاستعمار الأوروبي يكيل فيه الضربات للعالم الإسلامي كانت الدولة العثمانية تخوض صراعات مع الدولة الفارسية المؤيدة من بريطانيا ، ووقفت تصارع هذه القوى إلى أن انهارت وتمزقت من الداخل[٢].

(١) محمد قطب ، كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص١٤٨)

(٢) جميل المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص٩١ - ٩٢) بتصرف.

لقد كان خط الانحراف الفكري -في بلاد الشام- خلال القرون السابقة خطيرًا ، ليس على بلاد الشام وحدها بل على بلدان المشرق الإسلامي كله ، لكنه في هذا القرن الرابع عشر الهجري أصبح أكثر عمقًا وخطورة لكثرة وسائله وأدواته من جهة ، وللتعبئة غير المحدودة من القوى والمنظمات العالمية التي اجتمعت اليوم للقضاء على الإسلام في داره ، أضف إلى هذا ضعف أهل الإسلام المادي والمعنوي ، وعدم قدرتهم على صناعة أنموذج البناء البشري ، بل ولا على مواجهة الصراع الحضاري .

المبحث الأول

دعاة الانحراف الفكري في بلاد الشام

تمهيد :

ظهرت أول بداية للانحراف الفكري في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي متمثلة في الحركات السرية التي تألفت من أجلها الجمعيات والخلايا في عاصمة الخلافة ، ثم في حركات علنية عبْر جمعيات أدبية اتخذت من (دمشق) و(بيروت) مقرًّا لها ، ثم في حركات سياسية واضحة المعالم في المؤتمر العربي الأول الذي عقد بـ(باريس) سنة (١٩١٢م – ١٣٣٠هـ)[١]

المطلب الأول : الجمعيات التي دعت إلى الانحراف الفكري في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري

وفيما يلي أبرز هذه الجمعيات حسب تسلسلها الزمني :

١) الجمعية السورية لاكتساب العلوم والفنون[٢]:

في (١٢/شباط/١٨٤٨م) بعث المرسل الأمريكي "أيلي سميث" رسالة إلى مجلة (الاستشراق) الألمانية (**ZDMG**) يخبر فيها عن تأسيس جمعية في (بيروت) ، حدّد القانون الثاني من دستورها أن مقاصد الجمعية هي :

(أ) استفادة أعضائها العلوم والفنون بواسطة مفاوضات ورسائل وخطابات

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة، مرجع سابق ، (٤٤٤/١)

(٢) هكذا سماها أمير البيان "شكيب أرسلان" ،وسمّاها "جورج أنطونيوس" (جمعية الآداب والعلوم) وتبعه خالد الدبيان .

وأخبار.

(ب) جمع كتب وصحف سواء كانتطباعةً أوخطًّا ، وعلى الخصوص ما كان منه باللغة العربيةموافقًا لمنفعة الجمعية.

(ج) استنهاض الرغبةعمومًا لاكتساب العلوم مجردة عن المسائل الخلافية في الأديان والأحكام لعدم تعلق الجمعية بها.

ارتبطت هذه الجمعية بالبعثة التبشيرية الأمريكية التي وافقت على الاقتراح الذي كتبه "ناصيف اليازجي"[١] ، و"بطرس البستاني"[٢] والمتضمن تأسيس جمعية تهدف إلى بذل الجهد لمسايرة انتشار التعليم في المدارس وظهور العناية الحديثة بالعلوم[٣].

ضم مجلس الجمعيةأعضاءً أمريكيين أبرزهم : "إيلي سميث" المتقدم ذكره و"كرينليوس فنديك" ، ورجل انجليزي اسمه "كولونيل تشرشل" ،كانيمدّ الجمعية بماله بصورة مساعدات مقدمة من بريطانيا . إضافة إلى "بطرس البستاني" ، و"ناصيف اليازجي" وآخرين من نصارى سوريا المقيمين في (بيروت) [٤].

لم يمض على تأسيس الجمعية عامان حتى بلغ أعضاؤها خمسينعضوًا ، لم يكن فيهم عضو مسلم ، أو "درزي" ، وأصبح لها مكتبة صغيرة لكنها عظيمة النفع - كما يقول "جورج أنطونيوس" - ،وعُيّن "ناصيف اليازجي"قيّمًا عليها ، وكان "بطرس البستاني"سكرتيرًا للجمعية ، وكانت الاجتماعات أول مرة كل أسبوعين ، ثم صارت تقل مع الزمن ، وكان يلقي أحد الأعضاءبحثًا في كل اجتماع ، واستمرت

---

(١) **هو** : ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط الشهير باليازجي . أصله من (حمص) ومولده في (كفر شيما) بلبنان ، شاعر وأديب نصراني ، من أوائل المؤسسين للجمعيات القومية حتى قيل عنه: إنه عميد بيت اليازجي وركن من أركان النهضة العلمية في سوريا ، توفي سنة (١٢٨٧هـ - ١٨٧١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧/ ٣٥٠)

(٢) **هو**: بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني . ولد في بلدة (الدِّبيِّة) من لبنان ،وتعلّم بها وبـ(بيروت) آداب العربية واللغات الأجنبية ، وكاننصرانيًّا، نبغ وهو صبي ، ذكر عنه أصحابه القوميون أنه نال شرف الأولية ، فكان أول من أسس مدرسة وطنية عالية ، وأول من ألف قاموسًالعربيًّمطولاً ، وأول من ابتدأ مشروع دائرة المعارف باللغة العربية ، وأول من أنشأ مجلة علمية وجريدة سياسية ، توفي سنة (١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٥٨/٢)

(٣) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (١/ ٦٠ - ٦١)

(٤) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١١٧) بتصرف .

الجمعية مدة خمس سنوات ، وأصدرت في عامها الأخير كتابًا حرره "بطرس البستاني"[١] ونشره سنة (١٨٥٢م – ١٢٦٨هـ)[٢]

ومن خلال ملاحظة خط سير الجمعية يتضح حرص أعضائها على تسهيل مهمة "المستشرقين" الذين قدموا إلى بلاد الشام إبّان هذه الفترة ، وانخراطهم في منظومة عمل الجمعية ، وتمكّنهم من التأثير عليها ، والتوجيه لها ، من خلال الدعم المادي والثقافي المباشر ، وغير المباشر .كما يتجلّى الجهد الكبير الذي كان يبذله أعضاؤها في خداع الشعوب ، وإشغالها عن حركة الاستشراق والتغريب ، تحت ذريعة اكتساب العلم والفن .

كانت هذه الجمعية حلقة من مسلسل دعم الإرساليات الأجنبية لرموز الحركة الفكرية والقومية ، خصوصًا نصارى الشام ؛ كـ"ناصيف اليازجي" الذي توافرت فيه صفاتٌ أهّلته لأن يكون مرشّحًا – بلا منازع – للقيام بدور التغريب في بلاد الشام . ومن ذلك بما عُرف عنه من تشبُّعه الديني ، وتتلمُذِه منذ نعومة أظفاره على أحد "القسّيسين"[٣] ، حتى حمله ذلك على البحث والمعرفة ، واللجوء إلى المخطوطات في مكتبات الأديرة .

وحين ذاعت شهرته اتجه إليه الأمريكان ، وسخّروه لخدمة مدارس البعثة التبشيرية الأمريكية ، وألّف عددًا من الكتب التي انتشرت بين المعلمين والطلاب ، وصيّر بيتَه في (بيروت)مثابةً يتردّد عليها جمهوره .

أما ذكاؤه وحنكته الإدارية فهما ما جعلاه مرشّحًا لإدارة هذه الجمعية ؛ إذ عمل سكرتيرًا لكثير من رجال الدين النصارى ، وأخرى في ديوان الأمير "بشير الشهابي" –حاكم لبنان[٤]- .

---

(١) المصدر نفسه ، (ص١١٧)

(٢) شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، مرجع سابق ، (ص٣٣)

(٣) **القسيس**: كلمة تعني شيخ ، وهي عند النصارى تطلق على المفتي في الدين والعلم ومقيم الصلوات، ومرتبتها بين الأسقف والشمّاس، وردت في موضع واحد من القرآن .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق (١١١٥/٢)

(٤)يُنظَر: الزركلي، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٥٠/٧) ، جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق (ص١٠٩-١١١) ، جورجي زيدان، تراجم مشاهير القرن التاسع عشر، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان، (١٦/٢) ، د/ خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق، (٣٧٨/١) ، عيسى ميخائيل سابا ، الشيخ ناصيف اليازجي ، دار المعارف ، (القاهرة) ، (١٩٦٥م – ١٣٨٤هـ)

ومِثل "ناصيف اليازجي" : صديقه "بطرس البستاني" الذي أُسندت إليه "سكرتارية"الجمعية ؛ حيث وجدت فيه هذه الإرساليّاتُ الأجنبية إمكانية توظيفه – من خلال الجمعية – أداةً للتغريب ، حتى قام بترجمة (التوراة) بالتعاون مع "إيلي سميث" ، وصيّر نفسه ترجمانًا للقنصلية الأمريكية في (بيروت) ، واستعان به "المرسلون الأمريكان" في إدارة الأعمال في مطبعتهم[1].

تُعتَبر هذه الجمعية من أوائل الجمعيات القومية ، كما اعتُبر أعضاؤها من أول من أسّسوا للفكر القومي في البلاد العربية .

٢) الجمعية الشرقية :

أنشئت هذه الجمعية الفرنسية على أيدي اليسوعيين ، الذين احتذو حذو الأمريكيين ، فأسسوا على غرار جمعيتهم "الجمعية الشرقية" سنة (١٨٥٠م – ١٢٦٦هـ) ، وكان المحرك لها رجل اسمه "دبرونيير" ، وكانت نسخة مكررة للجمعية السابقة ، ولذا انفرط عقد الجمعيتين في وقت واحد ، أو أن هذه الجمعيةحُلَّت بعد الأولى بقليل[2] .

٣) الجمعية العلمية السورية :

أنشئت الجمعية بعد أنحُلَّت الجمعيتان السابقتان ، وتختلف عنهما في أمرين :

أولهما : أن جميع أعضائها من العرب .

ثانيهما : أن المسلمين و"الدروز" اشتركوا فيها مع "النصارى" ، وكان تأسيسها سنة (١٨٥٧م – ١٢٧٣هـ) وكان أعضاؤها (١٥٠) عضوًا من عقائد شتى استطاعت أن تعمل لتحقق أهدافها المشتركة ، ولم يسبق أن حدث مثل هذا في تاريخ الدولة العثمانية في بلاد الشام ، والأمر العجاب بادئ قيام الجمعية حماسة "ناصيف اليازجي" و"بطرس البستاني" ، ودعوتهم للعرب أن يتحدوا لخدمة لغتهم ، فوافق حينها المسلمون و"الدروز" على الاشتراك في الجمعية بشرط ألا يكونللمبشِّرين أي

---

(١) يُنظَر في ترجمته :
١-الزركلي، الأعلام، مرجع سابق، (٥٨/٢)
٢-جورج أنطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، (ص١١٢-١١٦)
٣-خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق، (٣٥٧/١)
٤-يوسف قزما خوري ، المعلم بطرس البستاني ، بيسان للنشر ، بيروت ، بدون رقم .

(٢) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١١٨)

أثر فيها[١] ، وكان من أعضاء مجلس إدارتها "حسين بيهم"[٢] ، و"إبراهيم ناصيف اليازجي"[٣] ، ونصارى من جميع الطوائف ، وحين وقعت مذابح سنة (١٨٦٠م – ١٢٧٦هـ) أعيق عملها ، ولكن سرعان ما أعيد تأليفها على أسس أوسع ، ونالت اعتراف الحكومة سنة (١٨٦٨م – ١٢٨٥هـ) وفسحت المجال للاشتراك فيها حتى ضمّت أعضاء كثيرين بارزين يقطنون خارج البلاد ، وخاصة في (القسطنطينية) و(القاهرة)[٤] .

كانت هذه الجمعية - كما يعدّها القوميون أنفسهم - أوّل ظهور لحركة العرب القومية[٥] .

أهداف الجمعية :

كانت أهداف الجمعية مركبة من أهداف الجمعيتين السابقتين ويمكن إيجازها في الآتي :

الهدف الأول : إبراز فكرة القومية العربية في إطار عام أساسه أن للعرب عامة – مسيحيين ومسلمين – تراثاً مشتركاً ، وحضارة تمتدُّ جذورها

(١) كانت العداوات الدينية فترة قيام الجمعيتين الأوليين سائدة ، ولذا وقف المسلمون و"الدروز" بمعزل عنها ، وكانت رعاية المبشرين للجمعيتين عاملاً مهماً في نفور المسلمين من جهة ، و"الدروز" الذين دارت بينهم وبين "النصارى" الحروب من جهة أخرى.

(٢) **هو** : حسين بن عمر بن حسين العيتاني بيهم البيروتي . ولد بـ(بيروت) ، وله ديوان شعري ، وكان من وجهاء (بيروت) ، تولى رئاسة الجمعية العلمية السورية ، توفي سنة (١٢٩٨هـ - ١٨٨١م)

يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٥٠/٢)

(٣) **هو** :إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط .وُلد ونشأ في (بيروت) ، وكان يقرأ الأدب على أبيه ، تولى تحرير جريدة (النجاح) سنة (١٨٧٢م – ١٢٨٩هـ) ، وكان يشتغل في إصلاح ترجمة الأسفار المقدسة للمرسلين اليسوعيين حوالي تسعة أعوام ، وتولى كتابة مجلة (الطبيب) ، وسافر إلى أوروبا ، واستقر في مصر، فأصدر مجلة (البيان) ثم أصدر مجلة (الضياء) الشهرية فعاشت ثمانية أعوام . كان من الطراز الأول من كتاب عصره ، وعضواً امبرزاً في (الجمعية العلمية السورية) مات في (القاهرة) ،ونُقل رفاته إلى (بيروت) ، ودفن بها .
يُنظَر في ترجمته : الزركلي، الأعلام ، مرجع سابق (٧٦/١) ، جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (١٤- ١٥، ١١١)

(٤) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١١٨-١١٩)

(٥) المصدر نفسه (ص١٢٠)

إلى ما قبل الإسلام كما يقول "اليازجي" و"البستاني" [١] .

الهدف الثاني : الدعوة إلى إلغاء رابطة الدين ، وبناء الولاءات علىأساسٍ وطني قومي يصل بالجميع إلى التفاهم والوحدة من أجل خير الوطن[٢].

الهدف الثالث :التمرُّد على الخلافة والتنديد بفساد الحكم فيها ، مما يهيئ الدعوة مستقبلاً إلى إيجاد وطن قومي للعرب .

وسائلها في تحقيق أهدافها :

(أ) أصدر "بطرس البستاني" بـ(بيروت) صحيفة أسبوعية سياسية ،سمّاها : (نفير سوريا) ، دعت إلى الوحدة بين العرب ، وكانت مؤلفة من صفحة واحدة يبث فيها آراءه وأفكاره ، وهي أول صحيفة أتيح لها الصدور في البلاد بعد مذبحة (١٨٦٠م – ١٢٧٢هـ) وثورة الحقد الطائفي بين المسلمين و"النصارى" و"الدروز"[٣] .

(ب) في سنة (١٨٧٠م – ١٢٨٦هـ) - أي بعد ثلاث سنوات تقريبًا من إنشاء الصحيفة السابقة - أنشأ صحيفة سياسية أدبية نصف شهرية سمّاها (الجنان) وكانت غايتها كالسابقة ، وجعل شعارها (حب الوطن من الإيمان) وحرص على إبراز هذا الشعار على الصفحة الأولى مع العنوان في كل عدد ، وشارك في الكتابة فيها عدد من كتاب البلاد العربية المجاورة ومن بلاد الشام نفسها ، وكانت منتظمة طوال عمر صاحبها[٤] ، إلى أن توفي سنة (١٣٠٠هـ- ١٨٨٣م)

(ج) أنشأ "بطرس البستاني" أيضًا صحيفتين أخريين سوى الأوليين : الأولى اسمها صحيفة (الجنَّة) والثانية صحيفة (الجُنينة)[٥]

(د) أنشأ مدرسة سمّاها (المدرسة الوطنية) تدعو إلى التسامح الديني والقيم

---

(١)يُنظَر : عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب ، تاريخ العرب الحديث – طبعة دار القلم ، دبي ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م) ، (ص٣٥٥) بتصرف .

(٢) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١١٩)

(٣) المصدر نفسه ، (ص١١٤)

(٤) المصدر نفسه ، (ص١١٥)

(٥) الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٥٨/٢)

الوطنية بين مختلف العقائد ، وعين "ناصيف اليازجي" مدرسًا للغة العربية فيها.

(هـ) العمل السري المحكم والهادئ لنشر أفكار الجمعية ، سواءٌ من خلال اجتماعاتهم الخاصة في بيوت بعض الأعضاء ، أو من خلال المواطنين الذين أيقظتهم عاطفة الخطاب.

وأخيرًا ؛ هل كان لهذه الجمعية علاقة بأعداء الإسلام الصليبيين ؟

نعم ، كانت هذه الجمعية أساسًا من تصميم الحملات التنصيرية[١] التي لم تجد وسيلة لتنفيذ أهدافها إلا أن تَدَثّر بغطاء علمي أو طبي....إلخ ، وتستغل بذلك عقول العرب[٢] .

(٤) الجمعية العربيةالسرّية (الجمعية السرية)[٣]

ولدت هذه الجمعية قبل تولي "السلطان عبد الحميد" العرش بسنتين ، وتحديدًا في عام (١٨٧٥م – ١٢٩٢هـ)

نشأتها :

نشأت الجمعية على يد خمسة شبان من نصارى العرب ، درسوا في الكلية البروتستنتية السورية بـ(بيروت) ، وشعروا حينها بقيمة انضمام المسلمين و"الدروز" إليهم، فاستطاعوا ضم اثنين وعشرين شخصًا من صفوة العلماء والأدباء المستنيرين

---

(١) نشطت حركة البعثات التبشيرية في بلاد الشام خلال فترة حكم "إبراهيم باشا" (١٢٤٨هـ - ١٨٣٣م) وكانت كاثوليكية ، ومعظمها فرنسية ، وتنتسب إلى اليسوعيين أو الكبوشيين أو الكرمليين ، وكان من العسير أن تعمل خارج نطاقها ، فاضطرت أن تحصر جهودها في رعاية الطوائف المسيحية الموالية لكنيسة روما ، حتى قام "إبراهيم إبراهيم باشا" بإحداث تغييرات مكنتها من النفوذ والاتساع .

يُنظَر : جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص٩٧ – ٩٩)

(٢) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٦٧/١)

(٣)سمّاها "جورج أنطونيوس"الجمعيةالسرّية" ، وهي في الموسوعة الميسرة "الجمعية العربية السرّية"وسمّاها "خالد الدبيان" "جمعية بيروت السرية" "الجمعية السرية"

يُنظَر : جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٤٩) ، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (٤٤٥/١) و خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٦٨/١)

في البلاد ينتمون لمختلف الطوائف الدينية ، وكان أكثرهم من تلامذة "اليازجي" و "البستاني" وجميعهم من مريديهما[١] .

مركزها :

اتخذت الجمعية من (بيروت) مقرًا رئيسًا لها ، وأنشأت لها فروعًا في (دمشق) و(طرابلس) و(صيدا)[٢]

أهدافها :

لا تختلف أهداف هذه الجمعية عن أهداف الجمعيات السابقة ، وإن كانت هنا أكثر وضوحًا وصراحة وهو ما شكّل تحولاً في حشد الوسائل الممكنة لتوسيع نطاقها ، وأبرزها :

(أ) الثورة على الحكم التركي ، والمطالبة بالانفصال عنه .

(ب) منح بلاد الشام حكمًا ذاتيًا ، أو الاستقلال عن الأتراك ، مع صياغة برنامج ذي أهداف وطنية[٣] .

وسائلها في تحقيق أهدافها :

(أ) استمالة المحافل "الماسونية" في بلاد الشام وإشراكها عن طريق أعضاء الجمعية الذين انضموا إليها.

(ب) عقد الاجتماعات السرية ومناقشة الخطط والآراء[٤] .

(ج) نشر أفكار الجمعية بكل وسيلة ؛ كالاتصالات الشخصية ، وكتابة المنشورات[٥] .

---

(١) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٤٩- ١٥٠)

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة ، مرجع سابق ، (٤٤٥/١)

(٣) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٥٠-١٥١)

(٤) المصدر نفسه ، (ص١٤٩ - ١٥٠)

(٥) قضى أعضاء الجمعية ثلاث أو أربع سنوات وهم يجتمعون سرًا دون جدوى ، فعزموا على ←=

نهاية الجمعية :

لم يكتب لهذه الجمعية البقاء ، فأوقفت عام (١٨٧٨م–١٢٩٩هـ) وذلك للأسباب التالية :

(أ) يذهب بعض القوميين كـ "جورج أنطونيوس" إلى أن أهداف الجمعية كانت سابقة لأوانها ، إذ صيغت وكأن البلاد بلغت من تقدم الوعي القومي منزلةً ، ولم تكن بلغتها في الحقيقة[١].

(ب) الثورة الصريحة والهجوم الناري على الخلافة ، معقوّة السلطان وشدّة وطأته[٢].

(ج) عدم وجود برنامج عملي كامل وواضح ، إذ كان السرُّ مطويًّا حتى النهاية[٣].

=

لصق المنشورات في الشوارع كوسيلة لتوسعة نطاقهم ، فكان أمرهم عجبًا ، فما برح أحدهم يكتب صيغةنداءٍ إلا قضوا الليالي الطويلة وهم يكتبونسخًا كثيرة منه ، فإذا ما انتهوا في هدأة الليل تسلل صغار الأعضاء وفي جيوبهم زجاجات الغراء يلصقون على جدران المدينة ما يسمح به الوقت ، وفي الصباح يحتشد الناس حوله ، ويقرأه أحدهم بصوت مسموع حتى يأتي رجال الشرطة فيمزقوه ، ويقبضوا على الأبرياء ، وقبل أن تهدأ ضجة المنشور في (بيروت) ترد الأنباء عن ظهور منشورات أخرى في (دمشق) أو (طرابلس) أو (صيدا) ، فيصبح المنشور حديث المجالس الخاصة ، ولم يقف الأمر هنا بل يأخذ أعضاء الجمعية أنفسهم ويطوفون على أصدقائهم ومن يعرفون ويشتركون معهم في الحديث ، وينتبهون لآراء الناس وتعليقاتهم خفية ، ويصوغون نداءهم الجديدوفقًا لما خلفه النداء السابق من أثر ، وبلغ من إتقانهم في الخفاء أنهم كانوا يكتبون النداء بأساليب مختلفة ، وصياغة أدبية متفاوتة ، ويتعمدون الوقوع في الأخطاء النحوية ، وتغيير الخطوط ، زيادة في التشكيك وطردًا للاشتباه .

يُنظَر : جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٥٠ - ١٥١)

(١) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٥٦)

(٢) المصدر نفسه (ص١٥٩)

(٣) أصيب الولاة العثمانيون في (القسطنطينية) وفي بلاد الشام بالحيرة مما يجري في بلاد الشام ، فأرسل "السلطان عبد الحميد" جواسيسهخفيةً إلى (بيروت) ، ففتشت المنازل ، واعتقل بعض من اشتبه فيهم ، وسرت إشاعة أن والي الشام "مدحت باشا" (الصدر الأعظم السابق)مطّلع علىسرّ الجمعية ، وأنه إن لم يكن المؤسس الحقيقي فإنه يسبغ عليها حمايته ، ونسب إليه أنه يقصد الاضطراب في بلاد الشام ليفصلها عن حكم العثمانيين ، ويؤسس مملكة يتوارثها أبناؤه كما فعل "محمد علي باشا" في مصر ، لكن الأدلة لم تكن كافية لتأييد الاتهام ، ومع ذلك تم =

(٥) جمعية رابطة الوطن العربي :

ساد الهدوء ، وتوقفت حركة القوميين العرب ، بعد أن فرض "السلطان عبد الحميد" الرقابة ، ونشر الجواسيس ، وطارد رجالها حتى اضطرهم إلى الهجرة والمنفى ، غير أنه ظهر رجل عربي نصراني اسمه "نجيب عازوري"[١] وقام بجولة في مدن الشام لمدة شهرين ، دعى فيها إلى القومية العربية ، لكنه لم يجد أنصارًا لما ذكرآنفًا من الأسباب ، فهاجر إلى (باريس) وأسس هناك (جمعية رابطة الوطن العربي" ، سنة (١٩٠٤م – ١٣٢٢هـ)[٢]

أهداف الجمعية :

لا تختلف أهداف الجمعية عن أهداف الجمعيات السابقة ، إذ كان هدفها المعلن:

(أ) تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية ، وإقامة إمبراطورية عربية ذات سلطتين مدنية ودينية[٣].

(ب) التعريف بالبلاد العربية ، وتجييش الرأي العام للاهتمام بها[٤].

وسائلها في تحقيق أهدافها :

(أ) قامت الجمعية بإصدار نداءات و منشورات تدعو العرب إلى الثورة.

=

استدعاء "مدحت باشا" من قبل السلطان ، والثابت أنه كان بريئًا ، وظلت الجمعية ثلاثًا أو أربع سنوات بعد استدعائه ، حتى رأى "السلطان عبد الحميد" أن الحكمة تقضي بإيقاف أعمالها ، فأتلف الأعضاء ما كان لديهم من سجلات وهاجر بعض الأعضاء من ذوي النشاط إلى مصر ، ولم تعرف الحكومة ولا الجمهور أشخاص المتآمرين قط.

(١) **نجيب عازوري** : سياسي ، لبناني ، ممن جاهر بالدعوة للانفصال عن العثمانيين ، نزح إلى مصر ومنها إلى (باريس) . توفي سنة (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام، مرجع سابق، (١٢/٨)

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية للطباعة، مرجع سابق ، (ص٤٤٥)

(٣) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٧٢) ، و خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٧٨/١)

(٤) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب، مرجع سابق ، (ص١٧٢) بتصرف .

(ب) أصدر "نجيب عازوري" كتابًا باللغة الفرنسية وسمّاه (يقظة الأمّة العربية)[١] وقد ترجم للغة العربية ،وعرّف فيه بمبادئ الجمعية[٢].

(ج) أصدر أيضًا مع جماعة من الكتاب الفرنسيين مجلة شهرية بعنوان (الاستقلال العربي) ، ظهر العدد الأول في إبريل سنة (١٩٠٧م – ١٣٢٥هـ)[٣] ، لكنها لم تعش أكثر من سنة ؛ إذ أوقفت بعد إعلان الدستور العثماني في (يوليو) سنة (١٩٠٨م – ١٣٢٦هـ) ، وكانت تدعو إلى الهدف الثاني المشار إليه[٤].

نهاية الجمعية :

مع ما حققته هذه الجمعية من نتائج إلا أن أثرها في الحركة العربية – كما يقول بعض القوميين – كانضعيفًا وذلك لأمور :

أولها : صدورها في عاصمة أجنبية لم يمكنها من الاتصال بالوسط العربي[٥].

ثانيها : صدورها بلغة أجنبية[٦].

ثالثها : الأهداف التي قامت من أجلها كانت سابقة لأوانها ومتقدمة على حركة الوعي العربي[٧].

رابعها : لم تحظ الجمعية بدعم القوميين ، بلوجّه بعضهم النقد لمؤسسها[٨].

ويمكن أن يكون أبرز نتائجها أنها أثارتشيئًا من الاهتمام بقضايا العرب[١].

---

(١) المصدر نفسه ، (ص١٧٢)

(٢) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٧٦/١)

(٣) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٧٢)

(٤) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٧٧/١)

(٥) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٧٣)

(٦) المصدر نفسه ، (ص١٧٣)

(٧) المصدر نفسه ، (ص١٧٣) و خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٧٦/١)

(٨) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٧٣)

(٦) جمعية الإخاء العربي العثماني :

تأسست هذه الجمعية بعد إعلان الدستور العثماني[٢] سنة (١٩٠٨م – ١٣٢٦هـ)، وافتتحت رسميًّا في اجتماع كبير حضرته الجالية العربية في (القسطنطينية) وأعضاء من "جمعية الاتحاد والترقي" ، وأنشأت ناديًخاصًّا بها[٣].

وكان من الأعضاء المؤسسين لها كبار موظفي العرب في (العهد الحميدي) ، الذين استطاعوا التأثير على بعض الشبان العرب للعمل المباشر في الجمعية ،خوفًا من فقْد مناصبهم ، منهم : "شفيق المؤيد العظم" ، و"صادق المؤيد العظم"[٤] ، و"شكري الأيوبي"[٥] وهؤلاء من (دمشق) ، وهناك أعضاء آخرون . وتمكنت الجمعية من فتح

=

(١) المصدر نفسه (ص١٧٣)

(٢) سبقت الإشارة إلى الدستور ، ولكن الذي أنوه بذكره هنا أن هذا الدستور ألغاه "السلطان عبد الحميد" سنة (١٨٧٦م – ١٢٩٣هـ) ، ووضعه آنذاك "مدحت باشا" الذيسمّي فيما بعد (أبو الدستور) وكان ينص في بعض مواده على إقامة حكومة على أساس انصهار الأجناس كلها وهكذا انتخاب أعضاء (مجلس المبعوثان) ومجلس الأعيان (الشيوخ) ، ونص الدستور أيضًا على السماح المطلق بفتح الأندية والجمعيات ، الأمر الذي ساعد على التحرك والظهور ، وأطلق جميع المساجين السياسيين ، وسرح جيشه المؤلف من (٣٠٠٠٠) جاسوس ، ورفعت القيود المفروضة على المنفيين .

يُنظَر : جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٧٦) و خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٨٢/١)

(٣) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٧٧)

(٤) **هو** : صادق بن صالح المؤيد العظم . قائد عسكري ، ولد ونشأ في (دمشق) ، أرسله السلطان "عبد الحميد" مندوبًا عنه إلى "منليك الثاني" ملك الحبشة سنة (١٨٩٦م – ١٣١٣هـ) ، صنف على إثرها (الرحلة إلى صحراء إفريقية الكبرى) كما انتدب لمهمات أخرى ، توفي سنة (١٣٢٩هـ -١٩١١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٨٥/٣)

(٥) **هو** : شكري الأيوبي . ولد بـ(دمشق) ، وتخرج في الكلية الحربية في (إسلامبول) ، واتهم في الحرب العالمية الأولى بالخروج على سياسة الدولة العثمانية ، واتصل بأعضاء الجمعيات القومية ، توفي سنة (١٣٤٠هـ - ١٩٢٢م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٧١/٣)

فروعٍ لها في سوريا ، والعراق[١].

أهداف الجمعية :

(أ) المحافظة على أحكام القانون الأساسي (الدستور)

(ب) توحيد الكلمة وجمع العثمانيين على الولاء للسلطان دون تفريق بين الجنس والمذهب.

(ج) الدعوة إلى القومية العربية وإبرازها.

(د) تحسين أوضاع العرب والعمل على تعليمهم ، وصيانة حقوقهم على أساس المساواة مع الأجناس الأخرى في الدولة[٢].

وسائلها في تحقيق أهدافها :

(أ) أصدرت الجمعية مجلة باسمها ، وتولى أحد مؤسسيها إصدارها ، سميت بـ(الإخاء العثماني)

(ب) التزمت الجمعية في (الآستانة)مهمّة استقبال النواب العرب الذين يقدمون إليها أول مرة ، فكانت تعد لهم الحفلات ، ويستقبلهم أعضاؤها والطلاب العرب في احتفاء يبرز الدور القومي العربي.

(ج) كانت الإعانات تتوارد للجمعية من أنحاء شتى ، من عرب المهجر ، ومن فروع الجمعية ، حتىحُكِي أن أحد نصارى العرب في أمريكا بعث مكتوبًا (بريدًا) يذكر فيه أنه سيرسل ألف دولار عونًا للجمعية[٣].

كانت هذه الجمعية تشكّل عند القوميين عصر الانفتاح ، والحرية الفكرية ؛ إذْ كان أعضاؤُها مقرّبين من السلطان "عبد الحميد الثاني"، وبعضُهم نوّابًا في المجلس العثماني . وهم مع ذلك يملكون قدرًا من المراوغة والدهاء في توجيه الجمعية من طرْفٍ خفيٍّ ، وعلى درجةٍ كبيرةٍ من التواصل مع السفارة الفرنسية في ولاية الشام ،

(١) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٨٢/١)

(٢) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٧٧)

(٣) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٨٤/١ -٨٦)

إضافةً إلى ما عُرِف عن بعض الأعضاء فيها من قوة الشكيمة ؛ مثل : "شفيق مؤيد العظم" ؛ فإنّه لمّا سيق للتحقيق اعترف بكل ذلك ، وقال : كل ذلك صحيح ، وكما هو مكتوبٌ بين أيديكم ، وأزيدكم علمًا بما لا تعلمونه .وأخذ يقص أفكاره السياسية السرّية التي لم تُكتب في وثيقة التحقيق[١].

نهاية الجمعية :

لم تلبث الجمعية أن أغلقت سنة (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ) على أيدي الاتحاديين ، بعد سنة من قيامها ، بدعوى وقوع ما لا يناسب في سورية ، وظهور الأفكار الرجعية في تشكيلاتها وأعضائها[٢]، ويرجع بعض القوميين ذلك إلى فقد التجانس بين الأعضاء ، واختلاف التفكير ، وتفاوت الولاءات الوطنية فيما بينهم.

(٧) جمعية المنتدى الأدبي :

نشأت الجمعية في سنة (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ) على أنقاض (جمعية الإخاء العربي" السابقة[٣]، ونالت اعترافًا رسميًّا من قبل السلطة الاتحادية ، وكانت خليطًا من الموظفين ، والنواب ، والأدباء ، والطلاب[٤] المنتمين إلى "الشيعة" ؛ كـ"عبد الكريم قاسم خليل"[٥] الذي تولى رئاسة الجمعية إلى إغلاقها سنة (١٩١٥م – ١٣٣٣هـ) ، وإلى أهل السنة و"الدروز" ونصارى العرب ؛ منهم : "أحمد عزت الأعظمي"[٦]، و"رفيق سلوم"[١] ، و"أسعد داغر" . وبلغ عدد

(١) يُنظر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٦٨/٣)

(٢) المصدر نفسه ، (٨٩/١)

(٣) بعد حلّ الاتحاديين لـ"جمعية الاخاء العربي" بدأت نذر الانقسام في الظهور بين الأتراك والعرب ، ومن هنا ولدت فكرة الجمعيات السرية العربية ، إذ صار العرب ينشرون مبادئهم في ميدانين : علني مجاله النوادي والجمعيات الرسمية ، وسري تعمل فيه المنظمات والجمعيات السرية في الخفاء . وكان ذلك خلال الفترة من (١٩٠٩م – ١٩١٤م =١٣٢٧هـ - ١٣٣٢هـ)

(٤) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٨٤)

(٥) **هو** : عبد الكريم بن قاسم الخليل . من أهل (برج البراجنة) من ضواحي (بيروت) ، تعلم الحقوق في (الآستانة) . وأصبح محاميًا محترفًا ، انتخب رئيسًا للمنتدى الأدبي ، توفي سنة (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٥٤/٤)

(٦) كاتب عراقي، ولد ونشأ بـ(بغداد) ،وتوجّه لـ(الآستانة) وتخرج في مدرسة الحقوق فيها ، وهناك انضم إلى "جمعية المنتدى الأدبي" وأصدر مجلة ناطقة باسمها ، ثم مجلة (لسان =

أعضائـــها ألوفًا أكثـــرهم من الطلاب[٢] ، وكان مقرها في (القسطنطينية) ، وأُنشِئت لها فروعٌ في الشام ، والعراق[٣].

أهداف الجمعية :

(أ) تعظيم القومية وبعثها.

(ب) الاهتمام بالتكوين القومي (فكريًا - اجتماعيًا - إداريًا - سياسيًا...)[٤]

وسائلها في تحقيق أهدافها :

(أ)زوِّد مقر المنتدى بمكتبة ، وخصص قسم منه للنّوم والضيافة[٥].

(ب) القيام بتهيئة مقرات يجتمع فيها العرب من جميع أنحاء الدولة[٦].

(ج) إقامة الأنشطة المختلفة لبعث القومية (نقاشات وحوارات دورية –

=

العرب) فكانتا ترجمان اليقظة العربية في العاصمة العثمانية ، وكان عضوًا في "جمعية العربية الفتاة السرية" ، توفي سنة (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٧٠/١)

(١) **هو** : رفيق بن موسى رزق سلوم . شاعر أديب . ولد بـ(حمص) ، وتعلم بالمدرسة الروسية ، ثم بالمدرسة (الإكليركية) بدير (البلمند) وترهّب مدة ، ودخل الكلية الأمريكية بـ(بيروت) فأقام سنة ، ورحل إلى (الآستانة) ، فتعلم الحقوق فصار حقوقيًا . كان عضوًا في تأسيس (المنتدى الأدبي) في (الآستانة) ،وعضوًا في "جمعية العربية الفتاة السرية" نشر مقالات في العديد من المجلات والصحف . اعتقله الأتراك خلال الحرب العالمية الأولى، وعذب عذابًا شديدًا ، وأعدم شنقًا في بيروت .
يُنظَر في ترجمته : الزركلي، الأعلام، مرجع سابق (٣٠/٣)

(٢) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٨٥)

(٣) المصدر نفسه ، (ص١٨٥)

(٤) سيأتي قريبًا أن عناية الجمعية بهذا الهدف أفرزت شخصيات قامت على جماجمهم النهضة العربية.

(٥) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٨٤)

(٦) المصدر نفسه ، (ص١٨٥)

محاضرات – تمثيل - مناظرات)[١]

(د) المشاركة الفاعلة في صياغة برامج تتعلق بإصلاح المدارس الابتدائية في الدوائر العربية عن طريق النواب.

(هـ) شارك الأعضاء بأقلامهم في الصحف العربية الصادرة في (الآستانة) كجريدة الحضارة ، أو تلك التي تصدر في (سوريا) و(القاهرة)[٢].

(و) أصدرت الجمعية مجلة ناطقة باسمها ، أشرف عليها "أحمد عزت الأعظمي" وكان لها جمهور كبير من الكتاب العرب والمطالعين[٣].

(ز) التكامل بين الجمعيات العلنية والسرية ، بحيث تؤدي كل واحدة ما تعجز عنه الأخرى[٤].

(ح) الاكتفاء بتوضيح الأفكار وتصفيتها لا في صنعها وخلقها ،ضمانًا لدفع أي رد فعل سياسي[٥].

تعتبر هذه الجمعية من مكونات طلائع اليقظة العربية القومية ، كما ارتبط أعضاؤها بدعاة التيار العلماني ورموزه في البلاد العربية ، من أمثال : "عبد الحميد الزهراوي"؟[٦].

نهاية الجمعية :

مع ما كانت تحرص عليه جمعية "المنتدى الأدبي" من الحيطة والحذر ، إلا أنه كشف المستور ،واطّلعت جمعية "الاتحاد والترقي" على النشاط السرّي للجمعية ، فمن ذلك عثورها على منشورات تحرض العرب على الاستقلال ، وكانت ترد ضمن

(١) المصدر نفسه ، (ص١٨٥)

(٢) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٩٢/١)

(٣) المصدر نفسه ، (٩٣/١)

(٤) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٨٤)

(٥) المصدر نفسه ، (ص١٨٤) بتصرف .

(٦) **هو** : عبد الحميد بن محمد شاكر بن إبراهيم الزهراوي . ولد بـ(حمص) وتعلم فيها ، قاوم سياسة الأتراك قبل إعلان الدستور العثماني ، توفي سنة (١٣٣٤هـ -١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣/ ٢٨٨)

الجرائد التي ترسل إلى مدير مجلة المنتدىومحرّرها ، ووجد في المنتدى رسائل تثبت تورطه في نشاط مع شباب في الخارج[١] ، وأصدر الاتحاديون بيانًا في الجمعية وأعضائها[٢] ، فأغلقت سنة (١٩١٥م – ١٣٣٣هـ) ،وتفرّق أعضاؤها أيدي سبأ.

(٨) الجمعية القحطانية :

أنشئت الجمعيةسرًا أواخر سنة (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ) في (إسلامبول) وكان مؤسسوها من ذوي الجرأة كـ "عبد الحميد الزهراوي" و "عزيز علي المصري بكباشي"[٣] - أركان حرب - ، و"سليم الجزائري بكباشي"[٤] -أركان حربٍ أيضًا- ، و"عزة الجندي" [٥] ، و "عبد الكريم الخليل" والأميرين : "أمين"[٦] ، و"عادل أرسلان"[٧] واثنين من مؤسسي (جمعية المنتدى الأدبي" السابقة ،

---

(١) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٩٥/١)

(٢) المصدر نفسه ، (٩٥/١)

(٣) قائد عسكري ، أصل أسرته من (البصرة) ، تعرف بآل عرفات ، ولد بمصر وتعلم في (القاهرة) ثم بالمدرسة الحربية في (إسلامبول) ، ثم مدرسة أركان الحرب ، وتخرج فيها سنة (١٩٠٤م – ١٣٢٢هـ) ، دخل عضوًا في (جمعية تركيا الفتاة) ، توفي سنة (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)

يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٤ / ٢٣١)

(٤) هو سليم بن محمد بن سعيد الحسني الجزائري . أصله من الجزائر ، ومولده بـ(دمشق) ، توفي توفي سنة (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١١٩/٣)

(٥) **هو** : عزة بن محمد بن سليمان الجندي العباسي . ولد بـ(حمص)وتعلّم بها وبـ(دمشق) ، وأسرته مشهورة في مدينة (حمص) عمل طبيبًا ، توفي سنة (١٣٣٤هـ - ١٩١٦م)

يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٤/ ٢٣٠)

(٦) **هو** : أمين بن مجيد بنمُلجم بن حيدر أرسلان . من الأسرة الأرسلانية ، ولد في (الشويفات) في لبنان ،وتعلّم عند اليسوعيين في (بيروت) ، ورحل إلى (باريس) ، توفي سنة (١٣٦٢هـ- ١٩٤٣م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٩/٢)

(٧) **هو** : عادل بن حمود بن حسن بن يونس . من آل ارسلان ، أمير ، شاعر ،ينعت أمير السيف والقلم ، من (بيروت) ، شقيق الأميرين "شكيب"و"نسيب"، كان من أعضاء مجلس المبعوثان العثماني ، توفي سنة (١٣٧٣هـ-١٩٥٤م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٤٣/٣)

السابقة ، وأسست لها فروع في خمسة مراكز أخرى[١].

أهداف الجمعية :

(أ) الدعوة لتأليف مملكة عربية بين الولايات لها برلمان وحكومة محلية خاصة ، تصبح جزءًا من إمبراطورية تركية عربية[٢].

(ب) غزو المؤسسات العسكرية العثمانية بفكرة القومية العربية ، والمطالبة بحقوق العرب.

(ج) جمع الكلمة وتوحيد الصف تحت ظلال الوطنية.

وسائلهم في تحقيق أهدافهم :

(أ) اختيار أعضاء من ذوي الإرادة ، ويتم ترشيحهم بعناية ودقة[٣].

(ب) بذل المحاولات الجادة لضم الضباط العرب في الجيش التركي.

(ج) العمل السرِّي المحكم.

وقد حرصت الجمعية على العمل بسرِّية تامة ، وبذلت مزيدًا من الاحتياطات من أبرزها :

(١) لم تكن تسمح لأحد بالانتماء إليها ، إلا أن تكون وطنيته فوق مستوى الشبهات[٤].

(٢) أن يكون ممن يوثق بكتمانه للسر.

(٣) مارست الجمعية نشاطها السياسي طوال الفترة بصورة شفهية ، ولذا لم

---

(١) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٩٦/١ - ٩٧) ، وكذلك جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، الهامش (ص١٨٧)

(٢) هذه الفكرة القومية مأخوذة من فكرة (المملكة النمساوية المجرية) حيث كان الإمبراطور "آل هابسبورغ" يضع على رأسه تاجي (النمسا والمجر) ومن هنا نادى العرب بتحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين : تركي ، وعربي .

(٣) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٨٦)

(٤) المصدر نفسه ، (ص١٨٦)

يكن لها وثائق مكتوبة[١].

(٤) كان للجمعية كلمة سر وشفرة لإثبات شخصية العضو ؛ فمن ذلك : أن يضغط المصافِح على أحد أصابع يد المصافَح ثم يضع السبَّابة والوسطى على الذراع الأيسر ويضم بقية الأصابع ، ويتهجى كل منهما كلمة (هلال) عند المحادثة ، فإذا قال الأول (هاء) قال الثاني (لام) فيقول الأول (ألف) فيقول الثاني (لام)[٢]

نهاية الجمعية :

نشطت الجمعية في سنتها الأولىنشاطً اكبيرً ا ، حتى اكتشف أن أحد أعضائها سرّب معلومات يمكن من خلالها توجيه تهمة الخيانة للأعضاء ، ولم يصدر قرار من الأعضاء بحلّ الجمعية ، لكن المؤسسين رأوا من المستحيل الاستمرار فيها وبينهم خائن ، فماتت الجمعية من يومئذ وكان ذلك سنة (١٩١٣م – ١٣٣١هـ)[٣]

(٩) جمعية العربية الفتاة السرية :

اختلف في تاريخ نشأة الجمعية بناءً على السرية العالية - كما سيأتي - ، ولذا تعددت الآراء في تحديدها :

الرأي الأول : أنها نشأت في (١٩٠٨م – ١٣٢٦هـ) ، كما يقوله عضوا الجمعية : "أحمد قدري"[٤] ، و"عوني عبد الهادي"[٥].

---

(١) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق ، (٩٧/١)

(٢) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، مرجع سابق (٩٨/١)

(٣) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٨٧)

(٤) **هو** : أحمد عبد القادر (قدري) بن يحي الترجمان . طبيب ، كان من مؤسسي (جمعية العربية الفتاة) ولد بـ(دمشق) ، وتوفي بها ، وتعلم أول حياته فيها ، ثم انتقل إلى (الآستانة) ثم إلى (باريس) ، توفي سنة (١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٥٤/١)

(٥) **هو** : عوني بن عبد الهادي . من آل عبد الهادي ، كان محاميًا ، تعلم بـ(بيروت) و(الآستانة) ، وأنهى دراسة الحقوق بـ(باريس)،كان من المؤسسين لـ"جمعية العربية الفتاة" سنة (١٩١١م – ١٣٢٩هـ) ، توفي سنة (١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٩٨/٥)

الرأي الثاني : أنها نشأت في (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ)

الرأي الثالث : أنها نشأت في (١٩١١م – ١٣٢٩هـ)

الرأي الرابع : أنها نشأت في (١٩١٣م – ١٣٣١هـ)

ومستند الآراء الأربعة منسوبة إلى بعض الأعضاء المؤسسين للجمعية ، والذي يترجح أن الخلاف فقط خلاف في الظاهر ، ويمكن الجمع بينها بأن أصل الفكرة ومنشأها كان في سنة (١٩٠٨م – ١٣٢٦هـ) في (الآستانة) ،ثم تطورت تخطيطاً وتطبيقاً في سنة (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ) وارتقت إلى جمعية ذات مجلس إداري وأعضاء في عام (١٩١١م – ١٣٢٩هـ) في (باريس) ، ولما أنهى مؤسسوها دراستهم ورجعوا إلى بلادهم انتقلت الجمعية لـ(بيروت) سنة (١٩١٣م – ١٣٣١هـ)[١] ثم نقلت في السنة التالية إلى (دمشق) ، وزاد أعضاؤها على المائتين.

تألفت الجمعية بادئ الأمر على يد سبعة شبان عرب[٢]، جميعهم مسلمون ، كانوا يدرسون في (باريس) ، وأطلقوا عليها "جمعية الناطقين بالضاد" ثم انتقل المسمى إلى "العربية الفتاة" .

أهداف الجمعية :

بالرغم من كل المحاولات التي واجه بها الاتحاديون الجمعيات العربية لم يكن لأي جمعية قومية مثل ما كان لهذه الجمعية من أثر فاعل ، وتحول كبير في تاريخ

---

(١) يذهب إلى هذا القول خالد الدبيان .يُنظَر : الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام والمسلمين منها ، مرجع سابق ، (١٩٣/١)

(٢) هم :

١- عوني عبد الهادي (من جنين) طالب كلية الحقوق في (باريس).

٢- جميل مردم بك (من (دمشق) طالب كلية الحقوق في (باريس).

٣- محمد المحمصاني ، (من بيروت) خريج كلية الحقوق في (باريس).

٤- عبد الغني العريسي (من بيروت) خريج مدرسة الصحافة وكلية علوم السياسة الدولية في (باريس).

٥- رستم حيدر (من بعلبك)

٦- توفيق الناطور (من بيروت)

٧- رفيق التميمي (من نابلس)

يُنظَر :جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مصدر سابق ، (ص١٨٧)

الحركة القومية ، وذلك لتميز أهدافها ووسائلها ، ودقة تنظيمها ، وتلون الهدف والوسيلة والمنهج وفق ما تقتضيه طبيعة المرحلة .ويمكن ذكر الأهداف العامَّة دون الخوض في الأهداف المرحلية المشار إليها ، وأهمها :

أولاً : السعي لاستقلال البلاد العربية وتحريرها من النّير التركي ، أو أي احتلال أجنبي.

ثانيا : النهوض بالأمة العربية اجتماعيّا واقتصاديّا وسياسيّا .

ثالثًا : تقوية الشعور العربي بين طبقات الأمة كافة[1].

وسائلها في تحقيق أهدافها :

نظرًا للتكتم الشديد الذي نصَّ عليه نظام الجمعية لم أقف على شيء من الوسائل ،ولم أجد أحدًا من الباحثين في تاريخ الجمعيات القومية في القرن الماضي أشار إلى شيء من ذلك ، ولأن نظام الجمعية وأهدافها يتغيران بحسب الظروف والمراحل ، فنشأتها في فترة حكم الاتحاديين تختلف عنها في وقت إقامة الدولة العربية ، أو بعد حرب (ميسلون) وتشتت القوميين واحتلال المستعمر لبلاد الشام[2].

ولعلي في السطور الآتية أكشف شيئًا من خفيّ أسرارها التي لم تذع إلا بعد استقلال البلاد العربية عن الحكم العثماني بعد الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ)[3] ومن ذلك :

١- كانت الجمعية لا تضم إليها إلا من عرف بانتمائه العربي ، وحسن الخلق ، والأمانة ، والكتمان ، والجرأة .

٢- لم يكن لها مقرٌّ معلوم، بل كانت تعقد اجتماعاتها في بيوت أحد الأعضاء،

(١) يلاحظ فيما تقدم جوهر الفرق بينها وبين الجمعيات السابقة، إذ إن الجمعية الآن تنادي باستقلال كامل وانفصال نهائي، بخلاف الجمعيات السابقة التي كانت ترمي إلى الحكم الذاتي مع بقائها في نطاق الخلافة ، أو ما يطلق عليه بعض القوميين (مملكة ذات تاجين)

(٢) د. خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام منها ، مرجع سابق (١٤٠/١)

(٣) مما يجدر ذكره : أن أسماء الجمعيات السرية السابقة، وأسماء أعضائها كشفتها تحقيقات الديوان الحربي الذي أنشأه "جمال باشا السفاح" ، ولم يمكن كشف أي معلومة عن جمعية "العربية الفتاة" ، على الرغم من كل الممارسات ضد الأعضاء.

ولا يتم الإعلان عنها إلا قبل مدّة وجيزة.

٣- كانمن شروط الدخول في الجمعية أن يقسم العضو يمين الإخلاص تحقيقًا لمبدأ السريَّة، ونص القسم: أقسم بالله، وبشرفي[١]، أنني أسعى في تأييد غاية الجمعية، وهي الاستقلال العربي التام ، والسعي في جعل الأمة العربية في مصافّ الأمم الحية.

ثم يقول أيضًا: أقسم بالله وبشرفي أن أحافظ على أسرار الجمعية ، وأفضل مصلحتها ومصلحة إخواني فيها على كل مصلحة .

٤- أن المنتسب إليها لا يعرف من أعضائها إلا اثنين فقط، وهما ينتدبان لإدخاله وتحليفه اليمين ، ولا يتم ذلك إلا بعد اختيار المرشح لعضويتها بوسائل شتى ، ولفترة من الزمن .

٥- كانت تستعمل رموزًا وشفرات معينة في رسائلها، كالتي استعملتها أثناء فترة انعقاد المؤتمر العربي الأول في باريس (١٩١٣م – ١٣٣١هـ) وهي :

بزغ فجر وطنك

مت لعضد شخصي

أحي ثقة ظسذ

فالباء تقابل العدد (١) والزاي تقابل العدد (٢) فكانت تعبِّر عن الألفاظ العربية بالأرقام التي تقابلها[٢].

إلى غير ذلك من ألغاز هذه الجمعية ، التي لم يكشف إلا عن القليل منها . ومما يصلح مثالاً لكتمان القوميين سرَّها : ما ذكره "خير الدين الزركلي" - وكان من أعضائها - : أن "شكري القوتلي"[٣] -أمين سر الجمعية- لما قبض عليه الاتحاديون وأودعوه السجن، ونالته هو وآخرون ألوان التعذيب خشي أن يبدُر منه حال الإغماء ما يقضي عليه وعلى إخوانه فأعدّ قلمًا وقرطاسا وتمدَّد على سريره الخشبي ، وقطع

(١) من المعلوم أنه لا يجوز القسم بالشرف ؛ لأن القسم خاص بالله عز وجل.

(٢) خالد الدبيان، الجمعيات القومية، مرجع سابق (١٤١/١)

(٣) **هو** : شكري بن محمود بن عبد الغني القوتلي ، دمشقي المولد والأسرة ، دخل في جمعية العربية الفتاة السرية وتولى أمانة سرها ، توفي سنة (١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م)

يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣/ ١٧٢)

شريان يده اليسرى ، وكتب رسالة بدمه وجهها إلى "جمال باشا السفاح" يحذره من الظلم ، ثم غاب عن وعيه، ورأى حارس السجن دمًا تحت الباب ، فأسرع لإخبار رئيسه ، وكان الطبيب المناوب في تلك الساعة "أحمد قدري" -أحد مؤسسي الجمعية - فحُمل "القوتلي" إلى حيث عولج[١] .

والسؤال الذي يطرح نفسه. هل انتهى دور الجمعية هنا ؟

والجواب: أن هذه الجمعية مرت بعهدين:

العهد الأول : كان عهد الاتحاديين الذين ظهرت نقمتهم على العنصر العربي، وعينوا من أجل ذلك "جمال باشا السفاح" فأحل بهم ألوان العذاب سجنًا وبطشًا، ونفيًا وإعدامًا، وكان هذا الصنيع آخر تحول في المنطقة العربية في أوائل القرن العشرين، فلم يعد العرب عثمانيين، وإنما عادت النزعات القومية التي قضت على ما بقي من رابطة الإسلام[٢]، وكان أعظم ما فعله "جمال باشا السفاح" إعدام أبرز مؤسسي جمعية "العربية الفتاة" ليمنع قيام أي ثورة في سوريا ، خصوصًا أن (إسلامبول) كانت تتعرض لهجوم بحري من أساطيل إنجلترا وفرنسا[٣].

فأعدمهم شنقًا على دفعتين : الدفعة الأولى في (٢١/آب/ ١٩١٥م) الموافق (١٣٣٣/١٠/١١هـ) وكانوا ثلاثة عشر رجلاً ، نفذ الحكم على أحد عشر رجلاً منهم في (ميدان بيروت الكبير) الذي سمي فيما بعد (ميدان الحرية) وكان منهم : "عبد الكريم خليل" ، و"صالح حيدر"[٤] و"محمد المحمصاني"[٥].

كما حكمت المحكمة العسكرية على أكثر من سبعين شخصًا من سوريا ،

---

(١) الزركلي، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٧٢/٣)

(٢) محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، مرجع سابق، (ص١١٤)

(٣) مذكرات أحمد جمال باشا، ترجمة علي أحمد شكري، مصر (١٩٢٣م) ، (ص٣٨)

(٤) **هو** : صالح بن أسعد حيدر . من أهالي (بعلبك) ، كان رئيس بلديتها ، أيد الحركة القومية فقتل شنقًا في بيروت سنة (١٣٣٤هـ-١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق، (١٨٩/٣)

(٥) **هو** : محمد بن مصباح المحمصاني . من أهالي (بيروت) ، تعلم فيها في الكلية العثمانية ، وحصل على الدكتوراة في الحقوق من (باريس) سنة١٩١٣م، ولما عاد إلى (بيروت) اشتغل محاميًا ، ودخل عضوا في "الجمعية الإصلاحية البيروتية" ، توفي سنة (١٣٣٣هـ - ١٩١٥م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧ /٩٨)

ولبنان ، وفلسطين ، كان معظمهم مقيمين في مصر[١] ؛ منهم : "محمد رشيد رضا".

وأما الدفعة الثانية المتهمة بالاتصال بالقنصل الفرنسي ، والتآمر ضد الدولة العثمانية لفصل سوريا عنها فأعدموا في (٦/آيار/ ١٩١٦م – ١٣٣٤/٧/٤هـ) وكان عددهم واحدًا وعشرين، واستيقظت (دمشق) و(بيروت) على أعواد المشانق في ساحة (البرج) في (بيروت) و(المرجة) في (دمشق) ، وسميت الساحتان بساحتي (الشهداء) ، كان من (دمشق) : "عبد الحميد الزهراوي" ، و "شفيق المؤيد" ، و"شكري العسلي"، و"رشدي الشمعة" و"رفيق رزق سلوم".

ومن (بيروت) أعدم العقيد "سليم الجزائري"، و"عبد الغني العريسي"[٢] ، والأمير "عارف الشهابي"[٣] ، وآخرون.

وكان هذا العهد بداية انحسار مسمّى "جمعية العربية الفتاة"

والعهد الثاني : ما بعد الحرب العالمية الأولى ؛ حيث تشكلت حكومات دستورية مستقلة ، كالحكومة السورية بقيادة الأمير "فيصل بن الحسين" .

ومن منطلق التطوير والتنظيم فقد نصت المادة (١٧) من الفصل الرابع في أعمال الهيئة المركزية العامة على أن (يكون للجمعية حزب سياسي علني واسع، تدار بواسطته حركة الانتخابات العمومية وتطبيق سياستها)

وكان هدف الهيئة المركزية للجمعية التوفيق بين سرية الجمعية والتطورات الحديثة، وأهم تلك التطورات القيام بمهام الحكومة العربية الأولى، وحتى يتسع الحزب في الوقت نفسه لضم أشخاص لا يحسنّ يكونوا في نطاق التشكيلة السّريّة، ولكنْ

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٢٧)

(٢) **هو** : عبد الغني بن محمد العريسي . من أهالي (بيروت) ، صحفي ، شارك مع "فؤاد حنتس" في إصدار جريدة (المفيد) اليومية وكانت أسبق الصحف في نشر الفكر القومي في بلاد الشام ، كان من المؤسسين للجمعيات القومية كجمعية (العربية الفتاة) و(المنتدى الأدبي) و(حزب اللامركزية الإدارية العثماني) ، توفي سنة (١٣٣٤هـ--١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي، الأعلام ،مرجع سابق،(٣٤/٤)

(٣) **هو** : عارف بن محمد سعيد بن جهجاه بن حسين . من أمراء الأسرة الشهابية ، ولد في (حاصبيا) جنوب لبنان ، وتعلم في (دمشق) و(الآستانة) ، تطوع لبث المبادئ القومية ، قتل شنقًا سنة (١٣٣٤هـ- ١٩١٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق، (٢٤٦/٣)

يحسن التعاون معهم ويدخلون في دائرة توجيهاته[١].

وفعلاً أنشأت الجمعية حزب (الاستقلال العربي) وصاغت له لوائح وأنظمة ووضعت له برنامجًا قوميًّا، وانتسب إليه جميع أعضائها، وكانت له لجنة إدارية تتولى أعماله ، وجعل مقره في (دمشق) ، وفتحت له فروعًا بقدر ما تسمح به الظروف المرحلية.

وبهذا أصبح حزب "الاستقلال العربي"ممثلاً رسميًّا للجمعية حتى لم يعد يفترق عنها فكانت نهاية المسمّى[٢].

(١٠) حزب اللامركزية الإدارية العثماني[٣] :

أنشئ هذا الحزب في مدينة (القاهرة) أواخر سنة (١٩١٢م – ١٣٣٠هـ) ، على يد جماعة من السوريين ، واللبنانيين ، والفلسطينيين ، بمعرفة الاتحاديين[٤]، منهم :

"رفيق العظم"[٥] من (دمشق) وكان رئيسًا له ، و"إسكندر عمون"[٦] -مسيحي من لبنان- نائبًا ، "ورشيد رضا"[٧] -

(١) خالد الدبيان، الجمعيات القومية، مرجع سابق، (١/١٥-١٥١)

(٢) خالد الدبيان، الجمعيات القومية، مرجع سابق، (١/١٥١-١٥٢) بتصرف .

(٣) ويسميه بعضهم (الجمعية اللامركزية)

(٤) جورج انطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، (ص١٠٠)

(٥) **هو** : رفيق بن محمود بن خليل العظم . ولد في (دمشق) ، ونشأ محبًّا لكتب التاريخ والأدب ، زار مصر وهو صبيٌّ ، واستقر فيها سنة (١٣١٦هـ - ١٨٩٨م) . تولى رئاسة (حزب اللامركزية الإدارية العثماني) ونشر بحوثًا في أكبر الصحف والمجلات ، توفي بـ(القاهرة) سنة (١٣٤٣هـ-١٩٢٥م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣/٣٠)

(٦) **هو** : إسكندر بن أنطون بن يوسف عمون . ولد في (دير القمر) في لبنان ، وسكن مصر ، تقلب في المناصب ، وولي وكالة المملكة الأهلية ، ثم انصرف إلى المحاماة ، كان من المؤسسين لـ(حزب اللامركزية الإدارية العثماني) و تولى منصب نائب الحزب ، توفي سنة (١٣٣٨هـ-١٩٢٠م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام، مرجع سابق ، (١/٣٠٢)

(٧) **والذي يهم في هذا الموضع** : أن أبين أنه كان من أبرز المصلحين في هذه الفترة ، وكان مرجعًا للفتيا بين أقرانه مع دراية بأوضاع عصره ، وقاوم الاستعمار بكل أشكاله - الإنجليزي ، والإيطالي ، والفرنسي- ، غير أن الشيخ مع هذا كله وقع منه ما ينبغي بيانه هنا ، ومن ذلك : تأثره بشيخه "محمد عبده" وآرائه الإصلاحية ومنهج المدرسة العقلية وموقفها في تأويل الآيات والأحاديث وخصوصًا فيما يتعلق بالمعجزات ، وكذا موقفه وسعيه لاستقلال العرب =

=

عن الدولة العثمانية ، ودخوله بعد ذلك في حكومة "فيصل بن الحسين" في سوريا مع معرفته لانتماءات السياسيين - القائمين عليها - المشبوهة ، وانخداعه بجمعية الاتحاد والترقي ، وتوليه سكرتارية " حزب الاتحاد السوري "الذي كان خليطًا من مسلمين ونصارى سنة (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ) ، وكان النصراني "ميشيل لطف الله " رئيسًا له ،وبالرغم من ذلك فقد اشترك فيه ، كما أخذ على الشيخ "رشيد رضا" عضويته في (حزب اللامركزية العثماني) الذي ألفه سياسيون سوريون في مصر منهم مسلمون ونصارى ودروز ، وكان هذه الحزب نواة للدعوة للقومية والعلمانية معًا ،و لا ننسى أيضًا دفاع الشيخ "رشيد رضا" عن "جمال الدين الأفغاني " وشيخه "محمد عبده" وتبرير أعمالهما التي ذكرها في كتابه (تاريخ الإمام) مع علمه بانتسابهما للمحفل الماسوني ، واتصال "محمد عبده" باليهود واشتراكه معهم في مفاوضات توحيد الأديان والتقريب بين الإسلام والنصرانية ، ورغم معرفة الشيخ "رشيد رضا" بصلة شيخه "محمد عبده" بـ"اللورد كرومر" والإنجليز إلا أنه كان يكثر من الثناء عليه .

هذا أبرز ما يذكره العلماء عن هذا الشيخ الكريم ، ولعلي أجيب عن بعض ما ذكرت من أقوالهم من خلال ما وقعت عليه مما كتب عنه ومن ذلك :

١- أن الرجل كان قد تأثر بشيخه "محمد عبده" خلال الفترة التي هاجر فيها من الشام إلى مصر خلال أعوام (١٣١٥- ١٣٢٣) هـ (١٨٩٧- ١٩٠٥) م ، ولكن الشيخ بدا أنه سلك طريقة السلف في الأسماء والصفات ، لكنه خالف ما عارض العقل في مسائل كتأويل معجزة انشقاق القمر رغم أنها في الصحيحين ،وتضعيفه كثيرًا من الأحاديث التي لا تتفق مع آراء المدرسة الإصلاحية التي تزعمها "محمد عبده" .

٢- اهتم الشيخ "رشيد رضا" -رحمه الله- بطباعة كتب أئمة أهل السنة والجماعة كشيخ الإسلام "ابن تيمية" والعلامة "ابن القيم" والشيخ "محمد بن عبد الوهاب" ، بعد التزامه طريقتهم في الأسماء والصفات .

٣- وأما دخوله في الجمعيات والأحزاب القومية فلان القومية آنذاك في دعوتها لم تكن تعنى التمرد على الدين والقيم وثوابت الشريعة كما آلت إليه بعد ذلك ، ولكنها كانت تعني المطالبة بحقوق العرب التي صادرتها حكومة الاتحاديين مما ولد ردود فعل غاضبة في الولايات العربية .

٤- أن الشيخ تنبه بعد ذلك لخطر "جمعية الاتحاد والترقي" وصلاتها المشبوهة بالإصلاحيين العرب الذين ألفوا جمعيات وأحزابًا ، وحذر من خبثهم وفسادهم بعد أن خدع بهم ، وكشف حقيقة الاتحاديين ، ولكن بعد فوات الأوان وسقوط قلعة الإسلام .

والخلاصة : أنه على الرغم من كل ذلك فإن الشيخ "رشيد رضا"يبقى عالمًا وداعيًا إصلاحيًّا كبيرًا من أهل السنة والجماعة ، وقد أثنى عليه جمع من علماء الإسلام منهم الشيخ "محمد بهجت البيطار" الذي أسندت إليه رئاسة تحرير (المنار) بعد وفاة صاحبها ، والشيخ "ناصر الدين الألباني" -رحمهم الله تعالى- .

ينظر في ترجمته : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٦/ ١٢٦)

مـــــن (طـــرابـــلس) الشـــــام- ، و"شميـــل"[١]-مـــن لبنـــان- ، و"مـــحب الديـــن الخطيب"[٢] -مـــن (دمشـــق)- ، و"حقي العظم"[٣] -من (دمشق)- ، و"فؤاد الخطيب"[٤] -من لبنان- ، و"عبد الحميد الزهراوي".

---

(١) **هو** : شبلي بن إبراهيم شميل . مسيحي لبناني ، كان طبيبًاباحثًا ، ولد في قرية (كفر شيما) من بيروت لبنان ، وتعلم في الجامعة الأمريكية بـ(بيروت) ، وقضى سنة في أوربا ، وسكن مصر ، أقام في (الإسكندرية) ثم (طنطا) ثم (القاهرة) ، تولى نائب رئيس (حزب اللامركزية الإدارية العثماني) ، توفي سنة (١٣٣٥هـ-١٩١٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٥٥/٣)

(٢) **هو** : من أسرة مشهورة في (دمشق) ، توفيت أمه وهو لا يزال في حجرها ، فترعرع في بيت والده الذي شمله بالرعاية حتى توفي فأصبح يتيم الأبوين ،فقيض الله الشيخ "طاهر الجزائري" فكان أبا روحيًّا له ، فأخذه وعمل بين يديه في دار الكتب الظاهرية ، درس في المدارس الأميرية للدولة العثمانية ثم المدرسة الثانوية المسماة بـ(مكتب عنبر) ولم يكمل دراسته الثانوية حتى انتقل لـ(بيروت) فأكملها في ثانوية (بيروت) ،كان له جهود في تأسيس الجمعيات القومية العربية ومساهمات في أنشطتها كـ"جمعية النهضة العربية" التي أسسها أثناء دراسته في جامعة (إسلامبول)ولما سافر إلى اليمن مترجمًا في القنصلية التركية في مدينة (الحديدة) أسس فرعًا لـ (جمعية الشورى العثمانية) وأعلن هناك أنها فرع لـ(جمعية الاتحاد والترقي) ولما عاد إلى (دمشق) وتبين له موقف الاتحاديين من العرب اضطر إلى مغادرة (دمشق) مسافرًا إلى (إسلامبول) لإكمال سنته الثالثة بمعهد الحقوق ، وعاد إلى (دمشق) فباع منزله وتوجه إلى مصـــر ، وهناك أسس بثمنه المكتبة السلفية ، واشتغل في تحرير جريدة (المؤيد) ، ومنها تعاون مع الأحزاب القومية والجمعيات التي تأسست في هذه الفترة ، وكان "محب الدين الخطيب"ممثلاً لهذه الجمعية في مصر ، وتولى التنسيق والتحضير للمؤتمر العربي الأول في (باريس) سنة (١٩١٣م – ١٣٣١هـ) وجمع أعمال المؤتمر في كتاب نشره في (القاهرة) سنة (١٩١٣م – ١٣٣١هـ) استعان به "الشريف حسين" بعد إعلان الثورة وكان يستشيره في أمور حكومة الحجاز وعلاقاتها بالأطراف الخارجية ، ولما دخل الجيش العربي (دمشق) استأذن "الشريف" للعودة إليها فأذن له ، وكان من أعضاء اللجنة المركزية في "جمعية العربية الفتاة السرية" التي تدير الحكومة الفيصلية ، ويشير بعض الباحثين إلى أن "محب الدين الخطيب" تراجع عما كان عليه ، وأصيب بخيبة أمل من الشريف "الحسين" وأبنائه ومن الاتحاديين ،واستقر أخيرًا في مصر ، وشارك في تأسيس وتحرير بعض المجلات، وله تآليف عديدة .

يُنظَر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٥ /٢٨٢) ، ومحمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ص (٩٩)

(٣) **هو** : حقي بن عبد القادر المؤيد العظم . من أبناء (دمشق)ولادةً وتعليمًا ، أجاد مع العربية التركية والفرنسية ، عين في بعض الوظائف بـ(دمشق) و(الآستانة) ، توفي سنة (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٦٥/٢)

(٤) **هو** : فؤاد بن حسن بن يوسف الخطيب . ولد في قرية (شحيم) قرب (بيروت) ، واستكمل =

وفُتحت للحزب فروع في جميع مدن سوريا وفلسطين، وفي أنحاء كثيرة من العراق[١]، ووكالات صغيرة في أماكن أخرى[٢].

مفهوم الحكم اللامركزي[٣]:

عبارة عن : منح السلطة الإدارية في الولايات العربية صلاحيات النظر في قضاياها الداخلية كإدارة الولاية وإيراداتها، والمصالح المحلية، ونحو ذلك مما يتيح لها الاهتمام بمصلحة شؤونها الخاصة مع الاعتراف بالسيادة التركية اعترافًكاملاً .

الظروف التي نشأ فيها الحزب :

١- قام هذا الحزب في فترة الحرب بين العثمانيين وبلغاريا والصرب والجبل الأسود الذين طالبوا باستقلال بلادهم عن السلطة، وقامت اليونان هي الأخرى بالمطالبة بجزر (الأرخبيل) وكان ذلك في (٢٧/أكتوبر/ ١٩١٢م = ١٣٣٠/١١/١٦هـ) وانتهت تلكم الحروب بضياع ست ولايات أوروبية، وانسحب (٥٥) نائبًا كانوا يمثلونها في مجلس (المبعوثان)

شعر العرب بأن الدولة أفلست من كل شيء ، ولم يبق لها إلا الولايات المتحدة العربية والولايات التركية ، مع أقليات من الأكراد والأرمن ، وبناءً على هذا ولدت فكرة الحزب [٤].

٢- كانت حالة التوتر شديدة بين الترك والعرب، مما حدا بالعرب بعد ذلك إلى

=

دراسته في الجامعة الأمريكية سنة (١٩٠٤م) ، وسافر إلى (يافا) فكان مدرسًا للعربية في الكلية الأرثوذكسية ، كان عضوًا من أعضاء المجمع العلمي العربي في (دمشق) ، لما قامت الثورة في الحجاز سنة ١٩١٦م نظم فيها عددًا من القصائد ، فسمي شاعر الثورة ، توفي سنة (١٣٧٦هـ -١٩٥٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٦٠/٥)

(١) جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٦٤)

(٢) المصدر نفسه ، (ص١٨٥)

(٣) لم أعثر على تعريف جامع مانع لهذا المفهوم غير أنني عرَّفته تعريفًا خاصًّا بعد القراءة في تكوين الحزب .

(٤) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية ، مرجع سابق ، (٥٦/١) ، وشكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٥٦٦)

المطالبة بالاستقلال الكامل عن الأتراك.

٣- استغلال ظروف انشغال الدولة بالحروب الداخلية كورقة ضغط للموافقة على إنشاء الحزب.

أهداف الحزب :

١- بيان أهمية الإدارة اللامركزية في الدولة.

٢- تعبئة الرأي العام العربي لتأييد اللامركزية [١].

وسائلهم في تحقيق أهدافهم :

١- صياغة نظام أساسي للجمعية يكفل قيام جهاز حزبي محكم.

٢- الموافقةعلى تكوين لجنة من عشرين عضوًا يقيمون في مصر للإشراف على الحزب.

٣- تكوين هيئة إدارية من ستة أعضاء[٢].

٤- الانضمام في بداية الأمر تحت مظلة جمعية "الحرية والائتلاف التركية" الحاصلة على تصريح رسمي ، وفتح فروع للجمعية باسمها[٣].

٥- تبني جريدة (المنار) الدفاع عن مبادئ الحزب ونشر مبدأ اللامركزية [٤].

٦- شارك الحزب في مؤتمر باريس (المؤتمر العربي الأول) في(يونيو ١٩١٣م – ١٣٣١هـ) بعد تلقيه دعوة من اللجنة التحضيرية للمؤتمر، وحضر نائب الحزب "إسكندر عمون" ، ورافقه "عبد الحميد الزهراوي" الذي رأس اللجنة الإدارية للمؤتمر [٥].

٧- التواصل الوثيق بين فروع الجمعية وبين الجمعيات الأخرى الموجودة في الشام والعراق [٦].

---

(١) جورج انطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، (ص٨٥)

(٢) المصدر نفسه ، (١٨٥)

(٣) خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام ، مرجع سابق (١٠٧/١)

(٤) محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، مرجع سابق، (ص١٧٤)

(٥) المصدر نفسه، (ص١٧٤-١٧٥)

(٦) جورج انطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، (ص١٧٥)

كانت هذه الجمعية خليطًا من مسلمين ونصارى ، وكان بعض أعضائها من الدعاة لتطبيق العلمانية في العالم العربي ؛ كـ"عبد الحميد الزهراوي" الذي تولى رئاسة (المؤتمر العربي الأول) في باريس ، و "شبلي شميل" - المسيحي- الذي تولى نائب رئيس الجمعية ، وهو معدود من دعاة نظرية "دارون" المعروفة بـ(نظرية النشوء والتطور) في العالم العربي . وهو الذي قال : (إن أوروبا أصبحت قوية عندما حطّم الإصلاح الديني والثورة الفرنسية سيطرة رجال الدين على المجتمع) [١]

نهاية الجمعية :

كانت هناك مؤشرات لنهاية الجمعية عجلت بالقضاء عليها، ومنها:

١- عثور (جمعية الاتحاد والترقي) على وثائق تدين أعضاء الحزب بالتخطيط لانقلاب مشترك مع (جمعية الحرية والائتلاف التركية)

٢- المراقبة الشديدة من قبل الاتحاديين لأعضاء الجمعية وأنشطتهم.

٣- الاتصالات المشبوهة بالمستعمر، والتي ثبت ارتباطها به فيما بعد[٢].

٤- وجود أعضاء من النصارى واليهود ساهموا في انفراط عقد الجمعية وانحراف مسارها الفكري.

٥- إعدام الاتحاديين بعض أعضاء "الجمعية اللامركزية" سنة (١٩١٥م-١٣٣٣هـ)

وفي عام (١٩١٦م – ١٣٣٤هـ) انفرط عقد الجمعية، وعدَّت من الأحزاب الثائرة على الدولة[٣].

(١١) الجمعية الإصلاحية :

ظهر هذا المسمَّى بعد سقوط حكومة الاتحاديين على يد المعارض "أحمد مختار

(١) يُنظَر : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق، (١٥٥/٣)

(٢) **من ذلك :** رسائل الإنجليز لقادة الحزب، وهم : رئيسه "رفيق العظم" ، و"رشيد رضا" وكيل الحزب، و"محب الدين الخطيب" مساعد الأمين العام، ورغبتهم أن تقوم الجمعية باستطلاع مواقف زعماء العرب وتوضيح الخطة التي يسيرون عليها.

يُنظَر: خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام ، مرجع سابق (١١٢/١)

(٣) خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام ، مرجع سابق ، (١١٣/١)

باشا"[١] -زعيم حكومة الائتلافيين-[٢] أواخر سنة (١٩١٢م – ١٣٣٠هـ) ، في كل من : (بيروت) ، و(دمشق) ، و(حلب) ، و(بغداد) ، و(البصرة) ، و(الموصل)[٣].

أسباب نشأة الجمعية الإصلاحية :

١- يعزو بعض الكتاب السبب في نشأتها إلى أن (والي بيروت)رفع تقريرًا إلى الحكومة الجديدة وضمّنه ما يدور عل ألسنة الناس والصحف من الدعوة إلى الإصلاحات العاجلة واللامركزية ، فأصدرت الحكومة الجديدة أمرًا لولاة البلاد العربية بتقديم لوائح بالإصلاحات المطلوبة.

٢- ويعزو البعض الآخر السبب إلى البرقية التي رفعها الوالي العثماني إلى "الباب العالي" على لسان أعيان (بيروت) وكبارها ونوابها من المسلمين بضرورة إجراء إصلاحات تمنع من احتلال فرنسا للبلاد تحت ذريعة العطف على "الموارنة" ، فأجابهم إلى ذلك[٤].

أهداف الجمعية الإصلاحية :

لا تختلف أهدافها عن أهداف اللامركزية الإدارية العثماني ، وأبرزها :

١- المطالبة بحكم لا مركزي في الولايات العربية.

٢- التمهيد للانفصال العربي الكامل عن الخلافة[٥].

وسائلهم في تحقيق أهدافهم :

---

(١) **هو** : أحمد مختار (باشا) يلقب بـ(الغازي) لحسن بلائه في الحرب التركية الروسية، تعلم في (إسلامبول) وكان من أعضاء مجلس الأعيان ، توفي سنة (١٩٠٨م – ١٣٢٦هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (٢٥٥/١)

(٢) خالد الدبيان، الجمعيات القومية، مرجع سابق، (١٢٦/١)

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، (ص٤٤٥)

(٤) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام منها ، مرجع سابق، (١٢٦/١-١٢٧)

(٥) جورج انطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، (ص١٨٩) بتصرف.

١- صياغة نظام أساسي للجمعية.

٢- التعاون الوثيق مع "حزب اللامركزية الإدارية العثماني" ، و"جمعية العربية الفتاة"

٣- وضع برنامج إصلاحي يراعي مصالح الولاية ويحفظ سيادة الخلافة.

٤- تأليف هيئة إشرافية من جميع العقائد لمتابعة سير الجمعية[١] .

آثار الجمعية على الولايات العربية :

لم يكن للجمعية الإصلاحية أيُّ أثر على الساحة العربية، بما في ذلك "جمعية بيروت" التي كانت تعقد اجتماعات تأسيسية وتضع الخطوات النهائية لإعلان اللوائح الخاصة بها[٢]، إلا أن عودة الاتحاديين لسُدَّة الحكم ، وإطاحتهم بحكومة الائتلاف ، وتمسكهم بالحكم المركزي قضى على كل الآمال والجهود ،وعجل بحلّ الجمعية واعتقال زعمائها في (٨/أبريل/١٩١٣م = ٢/٥/١٣٣١هـ)[٣]

(١٢) جمعية العهد :

نشأت الجمعية في (٢٨/ تشرين الأول/ ١٩١٣م = ٨/١١/١٣٣١هـ)[٤] -في فترة التوتر الشديدة بين العرب والاتحاديين- على يد القائد العسكري "عزيز علي المصري"، الذي أسس من قبل الجمعية "القحطانية" ، وكانت جمعية سرية خاصة بالضباط العرب في الجيش العثماني، ولم يقبل من المدنيين أحدًا إلا اثنين وثق بنزاهتهما الوطنية ، أحدهما الأمير "عادل أرسلان" ، ولم أعرف الآخر[٥].

(١) خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام منها ، مرجع سابق (١٢٨/١) ، جورج انطونيوس، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٩٠) بتصرف.

(٢) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام منها ، مرجع سابق (١٣٢/١) ، جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٩٠) بتصرف (١٣٢/١)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، مرجع سابق، (ص١٦٥)

(٤) في الموسوعة الميسرة : أن تأسيسها سنة (١٩١٢م – ١٣٣٠هـ) والمرجح عندي ما ذكرت، لأن الجمعية لم تؤسس إلا بعد بطء تنفيذ قرارات مؤتمر (باريس) المنعقد في (يونيو ١٩١٣م – ١٣٣١هـ) ، وأبعد "جورج انطونيوس" فوقتها بسنة (١٩١٤م – ١٣٣٢هـ) ولعله أراد بداية برنامجها العملي.

(٥) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١٩٧)

تشكلت الجمعية سرًّا في (الآستانة) ، وفُتِحت لها فروع في (بغداد) و(الموصل)، وكان مقر الحزب العام في (دمشق)[١]، وتولى أمانة سرّها "رشدي بن صالح ملحس"[٢].

وأدّى أعضاء الجمعية دورًا في السياسة العربية ، منهم: "خالد الحكيم" من (دمشق) و"علي رضا"[٣] من (دمشق)، ومن العراق : "نوري السعيد"[٤] ، و"طه الهاشمي"[٥] و"ياسين الهاشمي"[٦].

أسباب نشأتها :

١- تباطؤ الاتحاديين في تنفيذ الإصلاحات التي قدّمها أعضاء الجمعيات العمومية للمؤتمر العربي الأول بـ(باريس)

٢- عدم رضا الشبان والضباط العرب عن البرنامج الإصلاحي المقدم من

---

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى ، مرجع سابق، (ص١٧٠)

(٢) **هو** : رشدي بن صالح ملحس . من مواليد (نابلس) ، أديب ، محقق ، جغرافي ، تولى أمانة سر جمعية (العهد) ، دعاه "يوسف ياسين" ليحل محله في جريدة (أم القرى) بمكة ، ثم جعله نائبًا عنه في رئاسة الشعبة السياسية بالديوان الملكي بالرياض ، توفي سنة (١٣٧٨هـ-١٩٥٩م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢١/٣)

(٣) **هو** : علي رضا باشا بن محمود بن أحمد الركابي . دمشقي المولد والوفاة ، تولى وظائف عسكرية ، ودخل في جمعيتي "العربية الفتاة السرية" و "العهد" ، توفي سنة (١٣٦١هـ-١٩٤٢م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٨٨/٤)

(٤) **هو** : نوري بن سعيد بن صالح بن الملا طه . سياسي، عسكري ، فيه دهاء وعنف ، من (بغداد) ، شارك في اعتناق فكرة القومية ، قتل على يد أهل (بغداد) سنة (١٣٧٧هـ-١٩٥٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي، الأعلام ، مرجع سابق، (٥٣/٨)

(٥) **هو** : طه بن سليمان الهاشمي . من مواليد (بغداد) ، قائد عسكري ، كان القائد العام للجيش العربي في حرب فلسطين (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، توفي في تركيا ودفن في (بغداد) سنة (١٣٨٠هـ-١٩٦١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام،مرجع سابق، (٢٣٢/٣)

(٦) **هو** : ياسين حلمي باشا بن سلمان الهاشمي. زعيم عراقي ،من مواليد (بغداد) ،عمل عسكريًّا، عسكريًّا، وتنقل في وظيفته ، تولى مناصب سياسية عديدة ، توفي بـ(بيروت) ، ودفن في (دمشق) سنة (١٣٥٥هـ-١٩٣٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٢٨/٨)

"حزب اللامركزية" ورغبتهم أن يكون الإصلاح فوريًّا دون تدرج[١].

٣- تسرّب أنباء عن إصدار أوامر اتحادية بنقل الضباط العرب المقيمين في العاصمة إلى حاميات الولايات المتحدة الدّائية.

٤- انتشار الفوضى والفساد في وزارة الحربية[٢].

أهداف الجمعية :

هي نفس الأهداف التي قامت عليها (الجمعية القحطانية"[٣] ، وزادت عليها : السعي لاستقلال العرب عن الأتراك.

وسائلهم في تحقيق الأهداف :

١- الاتصال الوثيق بأعضاء "الجمعية اللامركزية" و"جمعية العربية الفتاة"

٢- وضع برنامج يتناسب مع أعضائها العسكريين.

٣- ممارسة النشاط بكل سرية، ووضع آليات لاختيار الأعضاء.

٤- الإبقاء على العلاقات الحميمة ببعض الاتحاديين للاستفادة منها في درء الخطر عن الأعضاء أو تحقيق مصلحة للجمعية[٤].

---

(١) خالد الدبيان الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام منها ، مرجع سابق، (١١٦/١)

(٢) جورج انطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، (ص١٩٦)

(٣) تعتبر "جمعية العهد" بديلة عن "الجمعية القحطانية" التي اكتشف أن أحد أعضائها قد خان الثقة ورأى الأعضاء من المستحيل الاستمرار بها فاتجهوا للذوبان في الجمعيات الأخرى، مع ثبات الأهداف والبرنامج.

(٤) **من ذلك** : أنه حين اعتقل "عزيز علي المصري" - مؤسس الجمعية - تعاطف معه بعض أعضاء "جمعية الاتحاد والترقي" كـ"مصطفى كمال بك أتاتورك" و"فتحي بك" - سكرتير الجمعية - ، وكانا صديقين له في (طرابلس) الغرب، ويقال إنهما بعثا إلى "أتاتورك" برقيتي احتجاج على اعتقاله. وبعد وفاة الملك" فيصل بن الشريف حسين" ، تم اجتماع بين "كمال أتاتورك" و"نوري السعيد"، وأبلغ الأخير بأنه حان الوقت أن يتفقوا على زعامة "ياسين الهاشمي"الذي كان زميلاً "لأتاتورك" على مقاعد الدراسة، فوافق السعيد وتشكلت وزارة الهاشمي سنة (١٩٣٥م-١٣٥٣هـ)

يُنظَر : خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام منها ، مرجع سابق، (١٢٠/١)

أثر الجمعية على البلاد العربية :

١- استطاعت الجمعية عقد لقاء سري بين أبرز مؤسسيها، وبين "فيصل بن الشريف حسين " أعلنت فيه الجمعية استعدادها للثورة ضد العثمانيين ، وأنها ترغب في زعامة والده "الشريف حسين" لذلك ، كما أعلن "الشريف فيصل" انضمامه للجمعية وحلف اليمين ، وقدمت كل من جمعيتي "العهد" و"الفتاة"خطةً عمل وميثاقًا يتضمن الشروط التي يطالب الزعماء العرب بتحقيقها لكي يؤازروا بريطانيا على تركيا، وطلبوا من فيصل حملها لوالده، وأن يتبين والده من الحكومة البريطانية هل تقبل بهذه الشروط أساسًا للعمل المشترك أم لا؟[١].

٢- أنه كان لأعضاء الجمعية دور كبير في تنظير السياسة العسكرية في بعض البلاد العربية ،ويخصُّ منهم الضباط العرب العراقيون وعلى رأسهم الفريق "جعفر العسكري"[٢] الذي عين قائدًاعامًّا لجيش الحجاز، وكذلك "ياسين الهاشمي" الذي شغل منصب رئيس هيئة أركان الجيش العربي في حكومة الملك "فيصل بن الحسين".

٣- ومن أبرز آثار الجمعية والجمعيات الأخرى : " أنها استطاعت أن تصل ببعض أعضائها إلى كرسي الرئاسة في بعض الدول العربية ، أمثال : "فيصل بن الحسين" ، و"نوري السعيد" ، و"توفيق السويدي"[٣] ، و"هاشم الأتاسي"[٤] ، و"شكري القوتلي" .

نهاية الجمعية :

(١) جورج انطونيوس، يقظة العرب، مرجع سابق، (ص٢٤١-٢٤٣)

(٢) **هو** : جعفر باشا بن مصطفى بن عبد الرحمن العسكري . من مواليد (بغداد) ،قائد عسكري ، شارك في حرب (البلقان) و(القصيم) وغيرهما، تولى مناصب وزارية وعسكرية .ولمّا ثار بكر صدقي قصَده لإطفاء الفتنة ، وقبل وصوله إلى مقر الثورة قتله بضعة ضبّاط رميًا بالرصاص في مكان يسمّى (التلول) سنة (١٣٥٥هـ - ١٩٦٣م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي،الأعلام،مرجع سابق، (١٢٩/٢)

(٣) **هو** : توفيق بن يوسف بن نعمان السويدي . من مواليد (بغداد) ، تعلم بها،تولى عمادة كلية الحقوق فمديرًا للعدلية فوزيرًا للمعارف فرئيسًا للوزراء، توفي سنة (١٣٨٨هـ-١٩٦٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ،الأعلام،مرجع سابق، (٩٣/٢)

(٤) **هو** : هاشم بن خالد بن محمد بن عبد الستار الأتاسي . مولده ووفاته بـ(حمص) ، تولى رئاسة الجمهورية ثلاث مرات، توفي سنة(١٣٨٠هـ-١٩٦٠م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق، (٦٥/٨)

شعرت الحكومة الاتحادية بتنامي تكتل عربي في صفوف الضباط ، فعقدت اجتماعًا خاصًا في وزارة الحربية حضره "الصدر الأعظم" ،وقرّروا ما يلي:

١- إقصاء الضباط العرب المقيمين في (الآستانة) إلى المناطق التركية كالأناضول ، حتى لا يعود بإمكانهم القيام بأي عمل، وعددهم (٤٩٠) ضابطًا، ينتمي (٣١٥) منهم إلى الجمعية.

٢- أن يتولى قيادة الجيوش في البلاد العربية ضباط أتراك، مع إقصاء الضباط العرب، والاستغناء عن خدمتهم قدر الإمكان.

٣- الإسراع في سياسة تتريك العناصر[١].

وبالفعل صدرت الأوامر العليا ضد أعضاء الجمعية، ومن وصلت إليه يد الاتحاديين أعدم في عهد "جمال باشا" سنة (١٩١٦م – ١٣٣٤هـ) وانحل ما بقي من عرى الجمعية بعد زوال الحكومة العربية سنة (١٩٢٠م – ١٣٣٩هـ)

١٣- حزب البعث العربي الاشتراكي :

تأسس هذا الحزب في عام (١٩٤٣م-١٣٦٢هـ)، وأعلن عنه رسميًا في (دمشق) في (٧/نيسان/١٩٤٧م) تولى قيادته "ميشيل عفلق"[٢] و"صلاح البيطار"[٣] بعد عودتهما من (باريس) ؛ حيث أنهيا دراستهما الجامعية هناك.

هدف الحزب :

(إحياء القومية العربية وجعلها الرابط الوحيد الذي يكفل للأمة العربية الانسجام بين أفرادها، وإلغاء رابطة الدين وأنه مصدر تهديد لتقدم وانطلاقة العرب)

---

(١) أمين السعيد، الثورة العربية الكبرى، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر (٤٧/١)

(٢) مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي ، أتم دراسة الحقوق والتاريخ في فرنسا ، توفي سنة (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٧٦/٢)

(٣) من مواليد (دمشق) ، تعلم فيها ،ثم في (باريس) ، سياسي ، حزبي ، استهوته الأفكار الاشتراكية والعلمانية ، توفي سنة (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام، مرجع سابق ، (٢٥٠/١)

وسائل البعثيين في تحقيق أهدافهم :

١- التعريف بالحزب وأهدافه قبل إعلانه رسميًّا سنة (١٩٤٧م – ١٣٦٦هـ) حيث صدرت نشرة تحمل توقيع "ميشيل عفلق" و"صلاح البيطار" بعنوان (القومية العربية وموقفها من الشيوعية) اشتملت على رؤية الحزب ورسالته ومشروعه[١].

٢- الاستفادة من المناخات التي يمكن أن يوصل الحزب رسالته من خلالها مثل:

أ- المناخ السياسي : وبذل الحزب جهده في هذا المناخ بأن :

- سعى الحزب للحصول على ترخيص بإصدار صحيفة خاصة إبان فترة الانتداب الفرنسي سنة (١٩٤٣م – ١٣٦٢هـ) حيث تقدمت مجموعة أطلقت على نفسها (شباب البعث العربي) من أبرزهم "ميشيل عفلق" و"صلاح البيطار" ولكنها لم توفق[٢].
- قام الحزب بإصدار منشورات تندّد بجثوم الاحتلال في الشام، والمطالبة بالاستقلال الكامل[٣].
- نافس الحزب الأحزاب السياسية القائمة آنذاك على الساحة العربية كالكتل الوطنية العربية ، والأحزاب الشيوعية من أجل النفوذ في المجتمع عبر الوصول لسدة الحكم[٤].
- حين تمكن الحزب من النفوذ في بعض البلاد العربية أفصح عن جملة قرارات تنظيمية وسياسية دسَّ فيها مبادئ المشروع وأهدافه، وصاغ القوانين المشرِّعة لذلك[٥] .

---

(١) منير محمد نجيب، الحركات القومية في ميزان الإسلام، مكتبة الحرمين، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ) ، (ص٣٣)

(٢) مصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، الطبعة الأولى ، (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ) ، (ص٣٤)

(٣) المصدر نفسه ، (ص٣٤)

(٤) مجلة نضال البعث، منشورات دار الطليعة، بيروت ، (١٩٦٣ – ١٣٨٣هـ) ، (١٨٧/٤)

(٥) هاني الحوراني، الأحزاب السياسية في الأردن، إصدار مركز الأردن للدراسات، عمان، الطبعة الأولى (١٩٩٣م – ١٤١٤هـ) ، (ص٨٧)

ب- المناخ الاجتماعي : وتحت هذا المناخ :

- دعا الحزب إلى رسالته من خلال المناقشات المفتوحة ، والاجتماعات الصغيرة العدد ، والدعوة للمشروع في أوساط المجتمع.
- عمل الحزب بشكل منفتح وعلني لا على مستوى القيادة ولا على مستوى نظام الحزب، فلم يكن هناك من السرية التي قامت عليها الجمعيات القومية السابقة(١)، بل حتى عضوية الحزب لم تكن صعبة المنال كما كانت ، مما أتاح للناس التعرف من قرب على المشروع العربي الجديد(٢) .

ج- المناخ التعليمي :

تأثر زعيما (حزب البعث) بالمناخ التعليمي الفرنسي الذي قامت فيه الثورات الفرنسية الاشتراكية التي نادت بضرورة الإصلاح الديني في أوروبا ، خصوصًا الثورة الاشتراكية(٣) سنة (١٩١٧م-١٣٣٥هـ) التي طرحت قضايا الشعوب ، والأمم المجزأة المضطهدة والجماهير المسحوقة(٤).

وكان مما قاما به أنهما نشرا مبادئ الحزب من خلال تدريسهما لأبناء العائلات الكبيرة وأعيان البلاد في مدرسة (التجهيز) حيث كان الطلاب يَفِدُ مون إليها من مختلف المناطق السورية ، وكان "عفلق"أستاذًا للتاريخ ، و"صلاح البيطار"أستاذًا للعلوم الطبيعية والفيزياء ، وكانا يطعمّان موادهما ببث الفكر البعثي ، حتى استطاعا -وخصوصًا "ميشيل عفلق" - أن يسحرا عقولهم بلغتهما الساحرة وكلامهماالأخّاذ .

عبَّر أحد طلابه فقال: كنا نتغنّى بأفكاره سكارى على اختلاف أديانناوطوائفنا

---

(١) مصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، مرجع سابق، (ص٣٤)

(٢) خالد الدبيان، الجمعيات القومية العربية وموقف الإسلام منها ، مرجع سابق، (ص١٦٠/١)

(٣) **الاشتراكية** : مذهب اقتصادي وسياسي نادى به " ماركس " في القرن التاسع عشر الميلادي ، بناه على تفاعل قوانين سمَّاها بالحتمية التي لا قبل للأفراد بالوقوف في سبيلها أو معارضتها ، وهي أنواع ؛ منها : "الاشتراكية العلمية" ، و"الاشتراكية التطورية" أو "الديمقراطية" ، و"الاشتراكية النقابية" ، و"المسيحية" .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ، مرجع سابق ، (٩٥٨/٢)

(٤) إلياس فرح، تطور الأيدلوجية العربية الثورية، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة السابعة ، (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ) ، (ص٣٥)

حيث لا فرق بيننا، ولا يضعفنا أننا قلة ونحن وحدنا... لقد كان تفاؤل أستاذنا يغمرنا، لقد أطلقنا عليه "محمد ميشيل".

ويقول آخر: (نحن في العراق كنّا كلنا عفلقيين قلبًا وقالبًا، حين نجلس أمامه نشعر أننا في حضرة المسيح، يأخذنا بكلامه ولغته الساحرة وأسلوبه الصوفي) [1]

فماظنك إذًا بالهمِّ الذي حمله تلاميذهم ومريدوهم لينشروا أفكار الأستاذ عند عودتهم لمناطقهم أو دخولهم في الميادين والقطاعات المدنية والعسكرية أو الحكومية والأهلية (معلمين، أطباء، ضباط،...)

آثار الحزب على واقع البلاد العربية :

كان أعضاء الحزب قد تمكنوا من القبض على سدّة الحكم في بعض البلاد العربية كالعراق وسوريا، واستطاعوا تأطير الفكر البعثي سياسيًّا وتوحيد منظومة القوى الوزارية للعمل وفق خطة الحكومة المستنسخة من مبادئ ورؤية (البعث العربي)، إلا أن الظروف التي عاشها الحزب في بداية النصف الثاني من القرن العشرين وأخصُّها الانقلابات السياسية[2] قلّصت من كونه مشروعًا لأمة عربية واحدة، ذات رسالة خالدة إلى كونه مشروعًا إقليميًّا، واستطاعت الباطنية قلب طاولة البعثيين في الستينيات من القرن العشرين الميلادي بعد ركوبهم موجة (حزب البعث العربي الاشتراكي)[3]

من خلال ما سبق يظهر الأثر الكبير الذي لعبته هذه الجمعيات والأحزاب في تغيير الهوية الإسلامية والجنوح بها عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، وبدا أنها مختلفة الأدوار لكنها مؤتلفة في الوصول للغايات والنتائج .

ولعلي أبين وجوه العلاقة بين هذه الجمعيات ودورها في الانحراف الفكري في بلاد الشام :

١- ارتباط كثير منها بالإرساليات التبشيرية التنصيرية في أمريكا وفرنسا وبريطانيا.

٢- كان من بين أعضائها أمريكيون وبريطانيون وفرنسيون يوجهونها ، ويشرفون على أنشطتها ،ويوفرون لها دعمًا سخيًّا ، كما فعلت "الجمعية

(١) هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة تجربتي من حزب البعث العراقي، دار الريّس، (لندن)، الطبعة الأولى ، (١٩٩٣م – ١٤١٤هـ) ، (ص٧٨)

(٢) سيأتي الحديث عن أثر الانقلابات السياسية على المدافعة عند ذكر "العائق السياسي".

(٣) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي، مرجع سابق (٢٧٠/١)

السورية" و"الشرقية" .

٣- التف حول هذه الجمعيات والأحزاب نصارى عرب ، وانتسب إليها عدد من أهل الإسلام ، غالبيتهم حملوا الدعوة إلى القومية العربية العلمانية ، وتبنّوا مذاهب إلحادية (شيوعيّة –ليبراليّة)

٤- حاربت هذه الجمعيات فكرة الخلافة الإسلامية ، ودعت إلى الانفصال ، وأعلنت تأييدها لدول أوروبا في القضاء عليها .

٥- نفذت إلى هذه الجمعيات قوى "الماسونية" واليهودية، عبر دخول بعض أعضاء المحافل في قوائم الجمعيات .

المبحث الثاني

دعاوى الانحراف الفكري في بلاد الشام

تمهيد :

لم يكن الانحراف الفكري في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر وليد الصدفة ، ولم يكن تغيير ثقافة الشعوب المسلمةسهلاً على الأعداء ، إذ إن الناس كانوا على الفطرة التي خلقوا عليها ، وكان الشعور بالولاء للخلافة هو السائد بالرغم من العوامل التي عملت على إضعاف كل ذلك ، لكن نَفَس العدو الطويل ، ومحاولاته المستميتة ، ودعاواه البراقة ، استمالت قلوب الأغرار والدهماء من الناس . وهكذا استطاع الأعداء في الداخل والخارج أن يُضعفوا بنية الأمة من حيث زعموا الإصلاح لها ، وصدق الله تعالى إذ قال : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ البقرة: ١١ .

وسوف أذكر الدعاوى التي تذرع بها دعاة الانحراف في المطالب التالية - على وجه الاختصار -وأدع وسائلهم مفصلة في الفصل القادم - إن شاء الله تعالى - .

المطلب الأول : السعي لاستقلال العرب وبناء المملكة العربية الكبرى :

لم يكن هذا الأمر مجرد دعوى بل كان هدفًا رئيسًا عند أول تكوين للجمعيات القومية العربية ، وإن اتخذ في بعض فتراته مراحل تمهيدية[1] ، لكن النتيجة الحاسمة هي إعلان الاستقلال .

وقد صرح أعضاء الجمعية القومية بذلك ، فهذا "محمد عزة دروزة"[2] يقول عن الجمعيات القومية :

(كانت تهدف إلى قيام كيان عربي قومي يضم جميع بلاد العرب ، ويكون له استقلال ذاتي تحت تاج السلطان العثماني المشترك ، ثم تطورت إلى الانفصال عن الدولة العثمانية ، وإنشاء مملكة عربية كبرى تشتمل على أقطارهم المتعددة... وكانت هذه المطالب نتيجة للاتصالات التي جرت بين الشريف وأولاده من ناحية ، والجمعيات العربية السرية التي تطورت أهدافها ، وغدت مركزة في الوحدة العربية الشاملة من

(١) بالاندماج أولاً مع "جمعية الاتحاد والترقي" والمحافظة على الدستور العثماني ، ثم المطالبة بالحكم الذاتي أو اللامركزي، ثم إعلان الانفصال وقيام الثورة العربية.

(٢) **هو** : محمد عزة بن عبد الهادي دروزة . من أهالي (نابلس) فلسطين ، ولد سنة (١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م) من أسرة عربية ، كشف مخططات "جمعية الاتحاد والترقي" ضد العرب ،وكان عضوًا فيها ، ثم انتقل إلى "حزب الائتلاف والحرية" المعارض ، وأسس "الجمعية العلمية العربية" ثم انضم إلى "العربية الفتاة السرية" توفي سنة (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)

يُنظَر في ترجمته : حسين حماده ، محمد عزة دروزة صفحات من حياته وجهاده ومؤلفاته ، طبعة دار قتيبة ، سوريا – (دمشق) ، الطبعة الثانية سنة (١٩٨٣م – ١٤٠٣هـ)

ناحية أخرى)[١]

وتعالت أصوات العرب ، وتفجر غضبهم بعد قيام "جمعية الاتحاد والترقي" بتقسيم الدوائر الانتخابية ، وفرض عدد أعضاء مجلس النواب بتخطيط لضمان الأكثرية للعنصر التركي ، كما حرصوا أن يكون نواب البلاد العربية من أصول تركية[٢] ، وكان لهذه الإجراءات وغيرها أثر عظيم في تمهيد الشعور العربي بضرورة الانفصال .

وطفق زعماء الحركة القومية العربية ينادون بإنشاء مملكة عربية تنتظم أقطارها المستقلة في اتحاد يرأسه زعيمٌ ديني كبير ، وكان شريف مكة وقتذاك أكثر زعماء العرب طموحًا إلى هذه الزعامة الدينية[٣].

وكان من مبررات الفصل عند القوميين العرب التشكيك في صحة اعتبار العثمانيين خلفاء للمسلمين ، مع ورود السنة الصحيحة باشتراط القرشية في ولاية الإمامة الكبرى ، فاستغل بعض الأعضاء هذا الأمر من مبدأ قومي ، وقد قرروا أن العرب أولى بالخلافة ، وأن حكام الدولة العثمانية سطوا على لقب الخلافة ، وأصبح الأتراك الأغراب القادمون من بلاد التتر خلفاء للنبي العربي القرشي عليه الصلاة والسلام[٤] وألف "عبد الرحمن الكواكبي"[٥] كتابيه (طبائع الاستبداد) و(أم القرى) دعا فيهما إلى الخلافة العربية وأن يكون الخليفة عربيًّا قرشيًّا في مكة مستجمعًا للشروط .

الجدير ذكره : أن اتجاهات القوميين العرب أنفسهم تعددت عند تكوين الجمعيات ، فكان منهم الإصلاحيون الذين رضوا بالبقاء ضمن الرابطة العثمانية مع المطالبة بـ (الحكم اللامركزي) كـ"محمد رشيد رضا " .

ومنهم دعاة الاستقلال والعصبية العربية بعيدًا عن الرابطة الإسلامية ؛

---

(١) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية ، مرجع سابق ، (٣٠٧/١)

(٢) محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، منشور المكتبة العربية ، صيدا – بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ -١٩٧٢م) – (ص٢٩٨)

(٣) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، (ص١٠٠)

(٤) خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية ، مرجع سابق ، (٣١٢/١)

(٥) **هو** : عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي . رحالة ، من الكتاب الأدباء ،ولد وتعلم في (حلب) ، وأنشأ جريدتي (الشهباء) و(الاعتدال) فأقفلتا ، استقر في (القاهرة) حتى توفي سنة(١٣٢٠هـ-١٩٠٢م)

يُنظَر في ترجمته : محمد كرد علي ، المعاصرون ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) (٢٧٩)

كـ"عبد الحميد الزهراوي" ، و "عبد الرحمن الكواكبي" . ومن النصارى : "بطرس البستاني" ، و"ناصيف اليازجي" ، وابنه "إبراهيم"، و" جرجي زيدان "[١] ، و"فارس نمر"[٢].

ومنهم دعاة الوطنية والإقليمية الضيقة ؛ كـ"شكري غانم"[٣] الذي دعا صراحة لإنشاء دولة سورية تحت الحماية الفرنسية ، وأسس مع نفر من أصحابه "الجمعية السورية المركزية" في (باريس)

وكـ "أنطون سعادة"[٤] الذي دعا إلى وحدة سوريا الكبرى فقط ، من خلال "الحزب القومي السوري"

أو كدعوة نصارى لبنان إلى وحدة لبنان الكبير الذيمثّ له "أنطون الجميّل"[٥]

(١) **هو** : جرجي بن حبيب زيدان . ولد وتعلم بـ(بيروت) ، أنشأ مجلة (الهلال) بمصر ، له تصانيف كثيرة ، توفي بـ(القاهرة) سنة (١٣٣٢هـ-١٩١٤م)

يُنظَر في ترجمته : محمد كرد علي ، المعاصرون ، طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق ، (١٤٠١هـ - ١٩٨٠م) (ص١٤٣)

(٢) **هو** : فارس "باشا" بن نمر بن فارس أبي ناعسة . ولد في (حاصبيا) بلبنان ، كاتب ، من السابقين في العمل الصحفي ، وممن أنشأ مجلة (المقتطف) الشهرية بـ(بيروت) قبل أن تنتقل معه للقاهرة ، وجريدة (المقطم) اليومية . توفي سنة (١٣٧١هـ- ١٩٥١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٢٧/٥)

(٣) **هو** : شكري بن إبراهيم غانم . متفرنس لبناني، ولد في (بيروت) ، وتعلم في (عين طورا) عمل ترجمانًا بتونس . توفي بقرية (انتيب) في فرنسا سنة (١٣٥١هـ- ١٩٣٢م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٧١/٣)

(٤) **هو** : أنطون بن خليل سعادة مجاعص . زعيم "الحزب القومي السوري" ، من أهل (الشوير) بقضاء (المتن) في لبنان ، هاجر مع أبيه إلى البرازيل، ثم عاد إلى (بيروت) ، وأنشأ حزبه السري، فسجن عدة مرات ، قبض عليه الأمن اللبناني ، وقررت المحكمة العسكرية إعدامه بعد ساعتين ، وقتل رميًا بالرصاص سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٧/٢)

(٥) **هو** : أنطون بن جميل بن أنطون . ماروني ، لبناني ، من أهل (الشوير) بقضاء (المتن) في لبنان ، من مواليد (بيروت) ، حرر عددًا من الجرائد والمجلات ، ورأس تحرير (الأهرام) المصرية حتى توفي سنة (١٣٦٧هـ- ١٩٤٨م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٧/٢)

الذي أسس حزبًا سماه حزب "الاتحاد اللبناني" سنة (١٩٠٩م) في مصر[١] .

المطلب الثاني : ضرورة الفصل بين الدين والحياة :

كانت التجربة الأوروبية المغلوطة مع الدينظلامًا على شعوبهاوانحرافًا عن عمارة الأرض ،وتمردًا على العلم والعقل والحياة ، وبدأ من هنا خط الانحراف بعد أن وقر في حس أوروبا أن ما أصابها إنما هو راجع إلى الدين ، فنادت بفصل الدين عن الدولة ، وانتهت إلى نبذ الدين جملة ، ومحاربته حربًا لا هوادة فيها[٢]، ولقد تسربت "العلمانية" إلى ديار المسلمين أواخر عهد الدولة العثمانية عن طريق ما يسمى بالإصلاحات العسكرية والإدارية ، وعن طريق المدارس التنصيرية والبعثات العلمية والعسكرية إلى فرنسا خاصة ، وأوروبا عامة[٣].

وكان بداية الإعلان عنها على يد "كمال أتاتورك"[٤] ، الذي أعلن إلغاء الخلافة

(١) محمد محمد حسين ، أزمة العصر ، دار عكاظ ، جدة ، (١٩٧٨م – ١٣٩٨هـ) ، (ص٤٣) ويُنظَر: زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ، دار النهار ، بيروت ، (١٩٦٨م – ١٣٨٧هـ) ، (ص٦١) ويُنظَر : محمد الخالدي ، المؤامرة الكبرى في بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٥٨ – ١٥٩)

(٢) يُنظَر : سفر الحوالي ، العلمانية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق.

(٣) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق (ص١٥- ١٦)

(٤) من مواليد (سالونيك) التركية سنة (١٨٨١م – ١٢٩٨هـ) ، ومؤسس تركيا الحديثة ، تنقل في الرتب العسكرية بعد طرده من المدرسة ، قام بإلغاء الخلافة الإسلامية سنة (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) ، وأعلن علمانية الدولة ، توفي سنة (١٩٣٨م – ١٣٥٧هـ)

يُنظَر في ترجمته : علي شعيب ، كمال اتاتورك ، دار الفكر اللبناني ، (بيروت) ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٢م – ١٤١٢هـ)

=

وتحويل تركيا إلى دولة علمانية سنة (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) ، وتزامن مع هذا الإعلان تزايد تيار التغريب لدى المثقفين في بلاد الشام ، فكثرت المدارس الأجنبية ، وأنشطة المستشرقين ، وقدمت طلائع الغزو الفكري بعد الاحتلال العسكري في بلاد الشام ، وجاءت معها شعارات "الاشتراكية" ، و"القومية" ، و"الوطنية" ، و"الديمقراطية" ، التي كان لها الأثر في غرس "العلمانية" في المجتمع الشامي المسلم(١).

وكان للمحافل "الماسونية" وحركة الترجمة دور كبير في نقل الفكر الغربي إلى العالم الإسلامي ،وخصوصًا بلاد الشام كما سيأتي .

وحين كانت الشام رهينة الاحتلال الأجنبي نشطت الأفكار "العلمانية" ، واشتد أوار النَّزعة القومية ، ورفع شعار (الدين لله والوطن للجميع) ونودي بأن (العرب هم عرب ، قبل موسى وعيسى ومحمد)(٢)

وساد الدستور الوضعي كلاً من سوريا ولبنان ، وألغيت مجلة (الأحكام العدلية) التي انبثقت عن الفقه الإسلامي ، والتي كانت منتشرة في العالم العربي فترة الخلافة العثمانية (٣).

وكذلك كانت بريطانيا تطبق قوانينها في شرقي الأردن وفلسطين ، ولم يخرج الاحتلال الفرنسي والبريطاني من بلاد الشام حتى ترك عملاء من المثقفين من أبناء البلاد - كأعضاء الكتلة الوطنية ، والأحزاب العلمانية - الذين حملوا مبادئهم ، ونشروا دعوتهم . ولا ننسى تركة الفرنسيين من الجيش الوطني الذي كان له الأثر الكبير في الإسراع نحو "العلمانية" باسم التحديث والإصلاح ، وسن القوانين المدنية ،خصوصًا في عهد الانقلابيين ، الذين غيروا دساتير البلاد ، ودعوا صراحة إلى تبني "العلمانية" .

=

وينظر أيضًا : ضابط تركي سابق، الرجل الصنم ،ترجمة عبد الله عبد الرحمن ، بدون معلومات .

(١) ينظر : سفر الحوالي ، العلمانية نشاتها وتطورها وآثارها ، مرجع سابق . (ص٩)

(٢) تكررت هذه المقولة كثيرًا على لسان الأمير "فيصل بن الحسين" ومن ذلك خطابه في مدينة (حلب) في (١٩١٨/١١/١١م = ١٣٣٧/٢/٧هـ) وتكررت على لسان أخيه "عبد الله بن الحسين" حين قال في منشور للشعب الأردني : (لو كانت لي سبعون نفسًا ومنحتها كلها في سبيل القومية والوطن ، لما رأيتني قمت بالواجب)

يُنظَر : الملك عبد الله بن الحسين ، الآثار الكاملة ، الدار المتحدة للنشر ، بيروت الطبعة الثانية (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ) ، (ص١٦٨)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٢١)

المطلب الثالث : المساواة في الحقوق والواجبات :

كانت هذه الدعوى من أبرز الدعاوى التي استمالت الشعوب العربية ، وخدعت الدهماء منهم بل وتأثر بها بعض رجال الفكر والإصلاح الذين لم يشاركوا في تكوين الجمعيات أول مرة لوجود المبشرين الذين كانت لهم جهود كبيرة آنذاك ، فلما استبعدوا تحت إلحاح المسلمين ، التقى الإسلام والقومية تحت غطاء القومية العربية ، وذريعة التراث المشترك ، والحضارات القديمة ، والدفاع عن حقوق الأمة العربية ، وغير ذلك مما كان سببًا لانقشاع ضباب العداوة ، وتحطيم السدود والفوارق[١].

ومن هنا استطاعت المثل العليا المشتركة - كما يسميها بعض القوميين - أن تجمع بين العقائد المتناحرة لتحقيق أهداف مشتركة ، وتحت رابطةموحَّدةٍ لم يسبق لها مثيل في تاريخ بلاد الشام كلها .

ولم تقف المساواة في الحقوق والواجبات بين سائر الملل والنحل فحسب ، بل حتى بين الرجل والمرأة ، كما في قانون الأحوال الشخصية[٢]

وازداد الأمر سوءًا - كما يقول "محمد الخالدي" - في عهد الاستقلال وعهد الحكومات الثورية حين سمح لمجموعة كبيرة من الفتيات الجميلات بالالتحاق بمعسكرات الجندية والاختلاط بالجند العزاب فيها[٣] ، حتى هتكت الأستار ، وحل الفساد ، وخربت البلاد . ونحو قانون (الأحوال الشخصية) تلك الاتفاقيات التي نادت بالقضاء على التمييزضدّ المرأة ، وتأكيدها على الحقوق ذاتها التي يتمتع بها الرجل ، ووصل الأمر إلى أن تطاول كثير من دعاة المساواة بين الرجل والمرأة على النصوص الشرعية ، وطالبوا بإعادة النظر في بعض آيات القرآن وأحاديث السنة ، وفهمها بطريقة تأخذ في الحسبان ما وصلت إليه المرأة المعاصرة . وبلغت الوقاحة في هنلحدّ ا

(١) يُنظَر : جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص١١٩)

(٢) لم يكن مصطلح (الأحوال الشخصية) معروفًا عند الفقهاء الأوائل ، بل هو من المصطلحات القانونية المعاصرة ، ويقصد به مجموعة الأوضاع والأوصاف الاجتماعية التي تميز الأفراد بعضهم عن بعض في المجتمع الذي يعيشون فيه ، كونهم مواطنين أو أجانب ، راشدين أو قاصرين ، عزابًا أو متزوجين ، مطلقاتٍ أو أرامل .

يُنظَر : بشير البيلاني ، قوانين الأحوال الشخصية في لبنان ، معهد البحوث والدراسات العربية . (١٩٧١م – ١٣٩١هـ) ، (ص١١)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٩٢)

بعيداً[1].

المطلب الرابع : العمل على تحرير المرأة :

كانت المرأة المسلمة في بلاد الشام -خلال بدايات القرن الرابع عشر الهجري- مستمسكة بحجابها وملاءتها ، حتى أولئك النساء النصرانيات اللاتي كن يلبسن الملاءة ولا يبدو منهن إلا الوجه ، بل كان من النصارى من يأمر زوجته بارتداء الحجاب الشرعي الكامل، وتجري عندهم مراسم الزواج كما تجري عند المسلمين[2].

استمر الحال على ذلك في الشام إلى أن قامت بوادر دعوة تحرير المرأة سنة (١٩٢٨م – ١٣٤٦هـ) حين خلعت "عنبرة سلام" حجابها بعد عودتها من (لندن) ، ودعوتها إلى ذلك في الأماكن العامة والملتقيات الثقافية التي كانت تعقد في لبنان خلال

(١) نهى عدنان القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٣١٤)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥/ ٢٩١)

الفترة[١].

وكان للنصارى في الشام وخصوصًا لبنان دور كبير في الدعوة إلى (تحرير المرأة) والتأثر بقيم التحرر الغربية، وشارك منهم رجال ونساء في تحريك القضية ، ونقلها إلى الواجهة . كما سخر الإعلام وسائله وإمكاناته لهذه الدعوة عبر حركة الصحف وخاصة النسائية ، وكان المستعمر وعملاؤه من ورائه يدفعون دعاة التحرر من جهة أخرى[٢].

وسوف يأتي مزيد بيان عند دراستي لوسائل الانحراف في الميدان الاجتماعي.

المطلب الخامس : ممارسة حرية الاعتقاد والاجتماع تحت ظلال القومية :

حرص دعاة الانحراف - خلال القرن الرابع عشر الهجري - على إقصاء الدين من الحياة السياسية والاجتماعية ، وصوروا العودة إليه رجعية وتخلفًا، والدعوة إلى العصبة القومية تمدّنًا وتقدّمًا، ورابطًا مشتركًا بين جميع الديانات، ففي إحدى محاضرات جمعية "المنتدى الأدبي" نودي : (إننا عرب قبل كل شي ، المسلم عربي، والمسيحي عربي قبل أن يكون مسيحيًّا، وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجوامع والكنائس)[٣]

ويقول "نجيب عازوري" : (إن قاطني هذه البلدان الغربية الشاسعة لا يتميز بعضهم عن البعض الآخر إلا بالأديان والطوائف والمذاهب التي لا تحصى، أرجوك أن تحصي: مسلمون سنّيون، مسلمون شيعة، ونصيريون، ودروز، وموارنة، وكاثوليك . إنها حقيقة شائنة ، التعصب الديني ليس إلا تطور في المصلحة الشخصية، إن التعصب القومي شعور عفوي وفطري تقريبًا، كمثل الشعور العائلي الذي يأخذه بعين

(١) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٨٨)

(٢) نهى قاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص١٨)

(٣) توفيق برو، العرب والترك ، دار طلاس ، (دمشق) ، الطبعة الأولى (١٩٩١م – ١٤١١هـ) ، (ص٢٦٥)

الاعتبار كل سياسي ، والذي يوجب إبعاد كل قضية دينية)[١]

ومن هنا بدأت دعوات الجاهلية الأولى ، ورفعت شعارات الوطنية ، والقومية ، والعروبة ، واللغة ، والعرق ،لتحلّ محل العقيدة والشريعة . وسوف يأتي مزيد بيان عن هذا الموضوع عند دراستي للفصل الثاني من هذا البحث .

المطلب السادس : تحسين الأوضاع الاقتصادية على مستوى الفرد والمجتمع :

كانت الشام ولا تزال معروفة بأنهارها الجارية ومزارعها الممتدة في طول البلاد وعرضها ، وكان الناس يقتاتون مما يخرج لهم من الأرض ، ومما عملته أيديهم من أنواع الصناعات اليدوية كما سياتي.

ولم تكن الشام أحسنحالاً من بقية الولايات العثمانية، غير أن حالتها الاقتصادية كانت حسنة ومرضيّة.

ولمّا ضعفت الخلافة وبدتْ تُذُر الحرب العالمية الأولى تدهورت البلاد وانهار الوضع الاقتصادي ، وتبدلت أحوال الناس حتى نزل بهم البلاء واللأواء ، واستمر بهم الحال حتى نهاية الحرب الأولى .

وحين دخل المستعمر الفرنسي والبريطاني بلاد الشام (سوريا الكبرى) عمل على إضعاف الاقتصاد الوطني، وهيمن عليه من أجل مصالحه الخاصة ، وذهبت أموال الشعب إلى خزينة الفرنسيين والبريطانيين ،وظلّ الاقتصاد الوطني طيلة فترة الانتدابمنهاراً، واكتوى الشعب بنيران التجويع والفقر.

ولم يكن الأمر بعد الاستقلال أحسن من سابقه ، فمع وعود الانتعاش الاقتصادي ، والتصريحات بتحسين أوضاع الشعب المقهور لم يتحقق لأهالي الشام إلا فساد العيش ، وانتشار البطالة ، ومصادرة الأملاك الخاصة ، تحت خديعة الاشتراكية وظلم التأميم[٢].

(١) نجيب عازوري ، الأمة العربية، ترجمة أحمد أبو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان ، (ص١٧٦)

(٢) **التأميم** : لفظة مشتقة من كلمة (أمّة)وتعني عملية نقل الملكية والإدارة المتعلقة ببعض أو كلّ وسائل الإنتاج على ملكية ، وإدارة الأمة بمجموعها . وتستعمل عادة للإشارة إلى الملكية =

وسوف أذكر مزيدًا مما يتعلق بهذا الموضوع عند دراستي لعوائق المدافعة في الميدان الاقتصادي - إن شاء الله تعالى - .

=

العامة كمفهوم معاكس للملكية الفردية .

يُنظَر: المحامي عبد المحسن أبو ميزر، ماهية التأميم ، مجلة الرائد العربي، العدد (١٢) ، اكتوبر (١٩٦١م – ١٣٨١هـ)

الفصل الثالث

وسائل الانحراف الفكري في بلاد الشام
في القرن الرابع عشر الهجري

وتحته خمسة مباحث :

- المبحث الأول : وسائلهم في الميدان السياسي .
- المبحث الثاني : وسائلهم في الميدان الاجتماعي .
- المبحث الثالث : وسائلهم في الميدان الاقتصادي .
- المبحث الرابع : وسائلهم في الميدان التعليمي .
- المبحث الخامس : وسائلهم في الميدان الإعلامي .

المبحث الأول

وسائلهم في الميدان السياسي

Y :

كان للانحراف الفكري في بلاد الشام وسائل كثيرة لها أدواتها المختلفة ، ومن
رز هذه الوسائل ما كان متصلاً بالميدان السياسي الذي يعد الميدان الأبرز لفرض
عملية التغيير والتغريب التي طالت بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري ، وقد

استغل دعاة الانحراف الفكري الفراغ السياسي الذي عاشته بلاد الشام في بعض مراحل القرن الماضي ، واستطاعوا أن يقودوا حملات التغريب المسعورة من خلال وسائل كثيرة ، منها :

أولاً : الدعوة إلى علمانية الدولة :

كانواقع بلاد الشام مرتبطاً بما يدور في دار الخلافة بسبب ارتباطها المركزي قبل أن يأفل نجمها وتغرب شمسها سنة (١٩٢٤م – ١٣٤٣هـ) ، وكانت في هذه الفترة تبرز على الساحة أحداث وتحولات ، منها ما يكون بعلم الخلافة ومنها الكثير الذي لا تعلم عنه ، أو تعلمه بعد فوات أوانه ، فهؤلاء (يهود الدونمة) كانوا وراء الحركة القومية التركية التي تنكرت للإسلام والعرب ، وأفرزوا "جمعية الاتحاد والترقي" وحركة "تركيا الفتاة" وسعوا لتكوين الجمعيات السرية التي انتشرت في بداية القرن العشرين و خاصة في (سالونيك) باسم الوطن والحرية حتى تمكنت جميعها من إسقاط السلطان "عبد الحميد" سنة (١٣٢٧هـ - ١٩٠٩م)[١]

وساعد في تغلغل "العلمانية" في مؤسسات الدولة ما سمي بالإصلاحات العسكرية والإدارية ، إضافة إلى دور المدارس التبشيرية في أرجاء الخلافة ، والبعثات العلمية والعسكرية إلى فرنسا خاصة وأوروبا عامة.

وكان للحركات القومية – عربية وتركية – والمحافل "الماسونية" وطلائع الفكر العلماني من أمثال : "عبد الحميد الزهراوي" ، و "عبد الرحمن الكواكبي" ونصارى الشام من "آل البستاني" و "آل اليازجي" ، و"جورجي زيدان " و غيرهم دورٌ كبير في تصدير "العلمانية" إلى الشعوب العربية ، وتحويل الوجهة إلى أوروبا[٢].

فهذا "نجيب عازوري" مؤسس "جمعية رابطة الوطن العربي" يقرر في كتابه (يقظة الأمة العربية) أن الأمبراطورية العربية المنفصلة عن العثمانيين[٣]يجب الفصل فيها بين السلطة المدنية والسلطة الدينيةتعلّلاً ذلك بما يلي :

١) أن سيادة خليفة الإسلام علىكافة مسلمي الأرض في دولة واحدة يبدو مستحيلاً .

٢) أن من أسباب سقوط الامبراطورية العربية العظيمة الجمع بين السلطتين المدنية

(١) جميل المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص١١٨) بتصرف

(٢) محمد الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، دور الحركات القومية عند العرب ، مرجع سابق ، (ص١٤٩)

(٣) حدود الامبراطورية المزعومة تمتد من الفرات ودجلة إلى خليج السويس، ومن البحرالمتوسط حتى بحر عمان.

والروحية في يد واحدة.

٣) أن خليفة نبي الله يجب أن يتمتع بنفوذٍ أو هيبة روحية بلا منازع ، ويجب أن يبقى محترمًا لا ينتقد طوال حياته ، ولا يُرتقى إلى سلطته ، ويجب أن تبقى عظمته مستقلة[١].

هذا ما كان قبل الحرب العالمية الأولى ، أما بعد الحرب وفي عهد الانتداب الفرنسي والبريطاني لبلاد الشام فنشطت الأفكار "العلمانية" ،ونفّذ الغزاة خطتهم الخبيثة لإبعاد هيمنة الإسلام على مجالات الحياة كلها ، إذ لم يوجد حزب سياسي يقوم على أساس التوجّه الديني ، بل كان الأمير "فيصل الهاشمي "يستغلّ كل مناسبة للتأكيد على التيار القومي العلماني ويقول: (إن العرب هم عرب ، قبل موسى وعيسى ومحمد) ويتغنى بشعار القوميين العلمانيين (الدين لله والوطن للجميع) ، وكانت النزعة القومية العلمانية تسود خطابات أخيه الملك "عبد الله بن الحسين" -ملك شرق الأردن- الذي قال لشعبه : (لو كانت لي سبعون نفسًا وضحيتها كلها في سبيل القومية والوطن لما رأيتني قمت بالواجب)[٢]

وفرض الانتداب خلال ربع قرن في بلاد الشام دساتيره وقوانينه الوضعية التي لا تزال سائدة حتى اليوم، وكانت نزعتها "العلمانية" اللادينية صفة لازمة لها ، سواء الأمر في سوريا ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن إلى أن خرج المستعمر من بلاد الشام[٣].

وأما خلال عهد الاستقلال الوطني فكانت الكتلة الوطنية والأحزاب "العلمانية" ، والانقلابات العسكرية التي هدفت إلى تفريغ الجيش العربي الإسلامي من كل العناصر الشريفة بالتسريح أو الطرد أو السجن أو الإعدام لكونه القلعة الحصينة في طريق المخطط "الامبريالي" (الاستعماري)الصّليبي الصهيوني[٤].

---

(١) نجيب عازوري ، يقظة الأمة العربية ، مرجع سابق ، (ص٢٢٠)

(٢) يذكر "الزركلي "أن عمّان اكتظت بآلاف من الوطنيين والقوميين السوريين الذين فروا من نقمة الفرنسيين ، وأصبح "عبد الله بن الحسين" حينها حامل لواء القومية بعد نهاية ملك أبيه ونفيه، ورحيل "فيصل" إلى المنفى وعودته إلى العراق ، وانزواء أخيه "علي".

يُظَر :الزركلي ، عامان في عمان ، مرجع سابق ، (ص٩) ، ومحمد الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٢٠-٢١)

(٣) يُظَر : سفر الحوالي ، العلمانية ، مرجع سابق ، (ص٥٤٢-٥٩٦)

(٤) علي جريشة ، حاضر العالم الإسلامي ، مكتبة وهبة ، (القاهرة) ، الطبعة السادسة ،(١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) ، (ص١٩٥) بتصرف .

وقد اجتمعت كل هذه العناصر على تبني "العلمانية" ، والترحيب بالتيارات اللادينية في مجالات الحياة كلها.

ولا غرابة في أن تضرب "العلمانية" أطنابها في هذا العهد ، فقد كان معظم رجالاتها من المثقفين الذين ربّاهم الاحتلال ، وصنعهم على عينه ، وآمنوا بمبادئ "الماسونية" و"العلمانية" الغربية[١].

فهذا مؤسس حزب "البعث العربي الاشتراكي" "ميشيل عفلق" الذي تولى وزارة التربية فترة رئاسة "هاشم الأتاسي" سنة (١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م) وسعى للوصول بحزبه إلى سدّة الحكم يقول : (إن علمانية البعث هي التي تحرّر الدين من ظروف السياسة وملابساتها ، وتسمح له بالتالي أن يتحرر وينطلق في حياة الأفراد والمجتمع)[٢]

ومن توصيات المؤتمر القومي الرابع لـ"حزب البعث" : (اعتبار الرجعية الدينية إحدى المخاطر الأساسية التي تهدّد الانطلاقة التقدمية في المرحلة الحاضرة ، ولذلك نوصي القيادة القومية بالتركيز في النشاط الثقافي والعلمي على مايلي:

أ- علمانية الحزب ، خاصة في الأقطار التي تشوه فيها الطائفية العمل السياسي.

ب- إبراز التناقضات بين مصالح الفئات الرجعية المتاجرة بالدين وبين مصالح الجماهير الشعبية ، وتعميق هذه التناقضات بتبني المطالب الشعبية وتشجيع الجماهير على النضال ...الخ)[٣]

ويذكر "جورج جبور" أن هذه المرحلة تميّزت بتطور المفاهيم السياسية ، إذ كان التوجه نحو العلمانية سريعًا ، وقويت النزعة العلمانية لدى القيادات السياسية للبلاد ، بحجة مخاطبة فرنسا وعصبة الأمم بلغة حديثة ، واتضحت هذه النزعة لدى عدد من المفكرين أمثال "عبد الرحمن الشّهبندر" ، و"زكي الأرسوزي"[٤] ، و"أنطون سعادة"

---

(١) البشير فنصة ، النكبات والمغامرات ، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع – (دمشق) ، (١٩٩٦م) ، (ص٦٠-٦٨)

(٢) ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الخامسة ، (١٩٧١م - ١٣٩١هـ) ، (ص١٤٤)

(٣) مجلة نضال البعث ، مرجع سابق ، (١٧٢/١ – ١٨١)

(٤) **هو** : زكي بن نجيب بن إبراهيم الأرسوزي . من مواليد (اللاذقية) ، درس في (قونيه) العثمانية العثمانية ، وأتقن اللغة التركية ، ثم انتقل لـ(بيروت) وأسس جريدة (العروبة) ، من مؤسسي "حزب العث العربي الاشتراكي" ، توفي سنة (١٩٦٨م – ١٣٨٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

=

زعيم (الحزب القومي السوري) ، وقادة (حزب البعث العربي الاشتراكي) "ميشيل عفلق" و"صلاح البيطار " في الأربعينيات من القرن العشرين ، وكذلك قادة الكتلة الوطنية، وإن كانت تستخدم الدين وسيلة ضغط على سلطات الانتداب[١].

وكان لتركيبة الجيش الوطني – الذي شكل من بقايا الجيش المختلط الذي كان تحت إمرة الفرنسيين مباشرة وأصبح فيما بعد نواة القوات المسلّحة في سوريا ولبنان دور كبير في الإسراع نحو (العلمانية) باسم التحديث والإصلاح وسن القوانين المدنية[٢].

وقد قام بعض ضباط الجيش العلمانيين بثلاثة انقلابات عسكرية متتالية[٣] في غضون عامين من (١٩٤٩م – ١٩٥١م = ١٣٦٨هـ - ١٣٧٠هـ) غيَّرت وجه الحياة السياسيــة والاجتماعية في سوريا ، وتمكنوا من السيطرة على السلطة ، وإحداث إصلاحات وتغييرات في دستورها اقتبست من أوروبا.

ففي عهد "حسني الزعيم" صدر القانون المدني الجديد ، ومنحت المرأة حق التصويت ، وألغي التفريق بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ، كما شجع "الزعيم" السفور ، وعمل على اقتباس القوانين المدنية الحديثة حتى حنق عليه المحافظون،وندّد "الإخوان المسلمون"[٤] به وبإصلاحاته العلمانية[٥].

كما أعطيت المرأة في عهد الانقلاب الثاني عهد "سامي الحناوي"[٦] حق

=

Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(١) جـورج جبـور ، الفكـر السياسـي المعاصـر فـي سـوريا ، دار المنـارة ، بيـروت و(دمشـق) ، (١٩٩٣م – ١٤١٤هـ) ، (ص٥١)

(٢) محمد الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (٢٦)

(٣) سيأتي فيما بعد ذكر هذه الانقلابات وأثرها على المدافعة في بلاد الشام.

(٤) **الإخوان المسلمون** : حركة إسلامية معاصرة ، أسسها الشيخ "حسن البنـا" رحمـه الله فـي مصـر في (الإسماعيلية) ، ثم نقلت لـ(القاهرة) ، ومنها إلى القرى المصـرية ثـم إلـى الأقطـار العربيـة ، ولها أنصار في أنحاء العالم اليوم .

يُنظر : الموسوعة الميسرة ، إصدار دار الندوة ، مرجع سابق ، (١٩٨/١)

(٥) بشـير فنصـة ، النكبـات والمغـامرات ، مرجـع سـابق ، (ص١١٣,١١٥,١٤٠) ، محمـود حسـن منســـي ، الهلال الخصيب ، (ص٢٣٢)

(٦) **هـو** : محمـد سـامي حلمـي الحنـاوي . حلبـي المولـد ، زعـيم ثـوري ، تعلـم بـ(دمشـق) ، ودخـل المدرسة العسكرية في (إسلامبول) وخاض معـارك خـلال الحـرب العالميـة الأولـى ، وتنقل فـي =

التصويت في قانون الانتخابات الجديد.

وأثناء فترة حكم "أديب الشيشكلي"[١] في عهد الانقلاب الثالث تم إنجاز وضع دستور جديد نشر عام (١٩٥٠م – ١٣٦٩هـ) ، وكان أبرز مبادئه : أن دين رئيس الدولة الإسلام ، وأن الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع ، وان حرية الاعتقاد مصونة ، وان الدولة تحترم جميع الأديان السماوية[٢].

ثمَّ تنادت الأحزاب "العلمانية" بتطبيق مبادئ العلمانية والقومية ، كـ"عصبة العمل القومي" و "الحزب القومي السوري" و "الحزب الشيوعي السوري" و "حزب البعث العربي الاشتراكي" وغيرها[٣].

ثانيًا : الحكم بالقوانين الوضعية الأوروبية :

كان أمر استيراد النظريات والمبادئ من أعداء الإسلام سيئًا وخطيرًا من كل وجهٍ ،كما يقول "محمد قطب"[٤].

=

الرتب العسكرية حتى أصبح قائد اللواء الأول فترة رئاسة "حسني الزعيم" ، قبل أن يطيح بالأخير مع رئيس وزرائه ويقتلهم رميًا بالرصاص ، ويتولى رئاسة الجمهورية بعده ، انقلب عليه "أديب الشيشكلي" وسجنه ثم أطلقه مات مقتولاً بالرصاص في (بيروت) ، ودفن في (دمشق) سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٣٥/٦)

(١) **هو** : أديب بن حسن الشيشكلي . من أهل (حماة) ، شارك في معركة التحرر من الفرنسيين سنة (١٩٤٥م – ١٣٦٤هـ) ، وفي فلسطين سنة (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، اختلف مع "حسني الزعيم" فأقاله الأخير من منصبه ، ثم عاد قائد لواء (عقيد) في عهد "الحناوي" ثم انقلب مع زملاء على "الحناوي" ، وتولى رئاسة الجمهورية ، وتنازل عنها بعد علمه بتدبير انقلاب عليه ، وهرب إلى السعودية ثم إلى فرنسا ثم البرازيل ، واعتزل العمل السياسي ، ومات فيها مقتولاً بالرصاص سنة (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) ، انظر الترجمة : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٨٥/١)

(٢) بشير فنصة ، النكبات والمغامرات ، مرجع سابق ، (ص٢٢٢, ٢٨٠)

(٣) سعيد بن ناصر الغامدي ، حزب البعث ، تاريخه وعقائده ، دار الوطن ، الرياض ، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ، (ص٩, ١٢, ١٤)

(٤) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، الطبعة الثالثة (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) ، (ص٣٤١)

كانت المرة الأولى التي استوردت فيها الأمة المبادئ والنظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية من خارج الإسلام يوم احتاجت من قبل إلى تنظيمات إدارية ، وأشكال من أشكال الحضارة الماديَّة ، لم تكن في رصيدها السابق من قبل ، وكانت محتاجة إليها لتقيم الدولة على مستوى الكفاءة اللازم لدولةٍ متنامية القوة تتّسع رقعتها بسرعة خيالية ، فأخذت تلك التنظيمات والأشكال من (فارس) و(بيزنطة) ، ولم تجد في نفسها حرجًا من ذلك ،ولكن تّم الأمر على قاعدتين مهمَّتين :

الأولى : أن الأمة لم تشعر بالصغار والانكسار وهي تأخذ ما تحتاجه من (حضارة) اعدائها ،بل كانت تحسّ بالاستعلاء الناشئ من الإيمان ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ آل عمران: ١٣٩ فالمؤمن هو الأعلى بإيمانه أيًّا كانت حالته المادية أو العسكرية ، فهم يشترون البضاعة الحضارية ممن يملكها دون أيّ خضوعٍ روحي أو إكبارٍ له مادام معرضًا عن الله .

الثانية :أنّ الأمة - في حركة الأخذ هذه -لم تأخذ إلاّ ما كانت في حاجةٍ إليه ، فلم تأخذ كل ما عند أعدائها من التّنظيمات والأشكال المادية من الحضارة ، وأهم من ذلك أنها حين استوردتها لم تأخذ معها قط المبادئ والنظم التي كانت لاصقةً بها ؛ لأنها قامت على عقائد وتصورات جاهلية لا تستقيم مع شريعة الإسلام ، أما في حركة الأخذ الثانية فقد انهارت الحواجز ،ولم يعد المسلمون يفرّقون بين ما ينبغي أخذه وما ينبغي تركه من البضاعة الحضارية الموجودة عند الغرب[١] .

لقد اتجهوا إلى ما ينفعهم ولكن بجهدٍ متقاعس متخاذل متعثر الخطوات ، وأما الفساد فسارعوا إليه فاستوعبوه كله ، وأما (النظم)[٢] فقد سعوا إلى استيرادها وتقليدها ضاربين صفحًا تامًا عمّا أنزل الله تعالى، لقد ظنوا أن قوانين البشر أقدر على إصلاح

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٣٤٣)

(٢) الفرق بين لتَّنظيمات والنُّظم - كما يقول محمد قطب - : أنه حين يكون في الدولة وزراء وللوزراء وكلاء ، ثم مديرو عموم ، ثم موظفون مختلفو المناصب يختص كل منهم بعمل ، فهذا تنظيم إداري يخدم أيّ نظام يستخدمه ، ولا يفرض على النظام تصورًا معينًا ولا فكرة معيَّنة ،ومن ثمّ يستخدمه الكل على السواء ،أما النظم فأمرها مختلف لأنها تتصل بالتَّشريع.

يُنظَر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (٣٤٣)

المجتمعات من شريعة السماء[١].

ومن الأمثلة على هذا : القانون المدني الذي أصدرته حكومة الانتداب الفرنسية سنة (١٣٥٧هـ-١٩٣٨م) القاضي بتنظيم أحكام الأحوال الشخصية ، حيث تضمن السماح للمرأة المسلمة بأن تتزوج النصراني أو اليهودي أو الوثني ، كما احتوى نصه على مواد خالفت أحكام الشريعة فيما يتعلق بالطلاق والميراث، مما أثار غضب العلماء -كما سيأتي في الفصل الخامس -.

ثالثًا : استغلال النفوذ في السلطة :

أ- في سوريا :

إنّ المتتبع لحركة التغريب في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري يلحظ حرص دعاة التغريب على الوصول للسلطة ، والتأثير على الشعوب المستضعفة أصلاً من خلال المركز السياسي ، وتحت الغطاءات الرسمية التي لا تملك الشعوب حيالها إلاّ الاستسلام ، ممايعطي دعاة التَّغريب حرية الحركة ،وحصَانة المشروع.

وقد كان كثير من رموز الانحراف الفكري التغريبي يعملون تحت غطاء البعثات التبشيرية الأجنبية[٢] التي يرجع وجودها في بلاد الشام إلى مطلع القرن السابع عشر الميلادي ، ومع كون مجال وجودها كان محدودًا آنذاك إلا أن سياسة "إبراهيم باشا" في القرن التاسع عشر أحدثت كثيرًا من التغييرات ، وفتحت لهم بابًا انطلقوا منه إلى جميع أنحاء الشام ،بدءًا بـ(بيروت) حيث أنشأوا المراكز والمدارس والكليات التي تخرّج فيها أكثر البارزين القوميين الذين ظهروا في النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي[٣].

ووصل الأمر "بإبراهيم باشا" إلى الحرص الشَّديد على غرس بذور الوعي القومي العربي ليخدم أهدافه السياسية ومطالبه العسكرية ، حتى فاق حرص أبيه على ذلك في مصر ،واستقدم حربيًّا افرنسيًّا امن أجل أن يقدّم له النصح فيما يتخذ من أساليب ،وكل ذلك مكّن لدعاة التغريب والتبشير[٤] من الفرنسيين و الأمريكيين العمل تحت

---

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (٣٤٤)

(٢) من هؤلاء : "أيلي سميث" المبشر البروتستانتي وزوجته التي أسست أول مدرسة للبنات ، و"كوزنيليوس فان دايك" .

(٣) منهم بطرس البستاني وناصيف اليازجي.

(٤) **التبشير**: تعبير أطلقه رجال الكنيسة النصرانية على الأعمال التي يقومون بها لتنصير الشعوب غير النصرانية ، ولا سيّما المسلمون . انظر: عبد الرحمن الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، =

غطائه[1] .

ونظير هذا حركة التغريب في المجتمع المصري حيث تمَّ تنفيذ المخطط الصليبي عبر دور كبير قام علي يد "محمد علي باشا" وأسرته حتى قال حفيده "الخديوي إسماعيل" قولته الشهيرة : (أريد أن أجعل مصر قطعة من أوروبا) حتى انتهت مصر للاستعمار الإنجليزي سنة (١٨٨٢م – ١٢٩٩هـ) ، وعين "اللورد كرومر" أول معتمد بريطاني في مصر وَوُلّى "المستر دنلوب" –القسيس- منصب مستشار لوزارة المعارف.

وتتابع دعاة الانحراف على ذلك وتواصوا به ، فهذه الخلافة الإسلامية سقطت بعد وصول الاتحاديين إلى سدّة الحكم ، وإكراههم السلطان "عبد الحميد الثاني"على إعلان القانون الأساسي الذي يمكنهم من السيطرة على مجريات الأمور في الخلافة ، وذلك سنة (١٩٠٩م – ١٣٢٦هـ)[2] ، ولما ارتقى "كمال أتاتورك" عرش تركيا سنة (١٩٢٣م – ١٣٤١هـ) أعلن إلغاء الخلافة وعلمانية الدَّولة ، وعهد بوزارة الأوقاف إلى وزارة المعارف ، وأغلق المساجـــد ، وقضى على كل شعار للإسلام إلى غير ذلك مما حفظه التاريخ ولن ينساه[3].

وكان للمستعمِرتين (بريطانيا وفرنسا) أثر كبير في تهيئة مناخات سياسية ملائمة لتوظيف أدوار لدعاة الانحراف الفكري في بلاد الشام ،خصوصًا خلال فترة الانتداب بعد الحرب العالمية ومن ذلك :

١) أنهم كانوا يبحثون عن زعامات عربية قومية خالية من النزعة الدينية ،كما صرّح بذلك "لورانس"[4] حين كان يتنقل بين معسكرات "الشريف حسين" لا لأجل شيءٍ إلا لهذه المهمة ، فقال : (وأخذت طول الطريق أفكر في سوريا ... وفي الحج ، وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة

=

طبعة دار القلم ، (دمشق) ، الطبعة الثامنة (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، (ص٥٣)

(١) يُنظَر : جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، مرجع سابق (٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٤) ، بتصرف.

(٢) شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٣٢٨، ٣٢٩)

(٣) جميل المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص١٢٨ ، ١٢٩)

(٤) **هو** : توماس إدوارد لورانس . ولد في مقاطعة (كارنافون) في ويلز بإنجلترا عام (١٨٨٨م – ١٣٠٥هـ) ، جاسوس يهودي ، كان مهندس ثورة الشريف "حسين" ،ومن قيادات الجيش العربي ، مات سنة (١٩٣٥م -) انظر : صبحي العمري ، لورانس الحقيقة والأكذوبة ، طبعة رياض الريس ، (لندن) ، الطبعة الأولى (١٩٩١م – ١٤١١هـ)

الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني ؟

وبمعنى أوضح : هل تَحِلُّ المشاكل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام ، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني ؟ هذا ما كان يجول بخاطري طول الطريق)[١]، حتى كان "الشريف فيصل" هو الزعيم الذي ينشده الإنجليز أو هو (نبي الوطنية)كما سمَّاه "لورانس" .

٢) أن دعاة الانحراف الفكري حرصوا على الزج بأبناء الساسة والزعماء وانخراطهم في عضوية الجمعيات العربية السريّة بغية تمكنهم مستقبلاً من التربع في مراكز السلطة .

ومن ذلك أن "فيصل بن الشريف الحسين" زار (دمشق) في سنة (١٩١٦م – ١٣٣٤هـ) قبل ثورة أبيه ، فأقسم يمين الإخلاص لجمعية "العربية الفتاة السرية"[٢] واجتمع ببعض أعضاء جمعية (العهد)[٣]

وحين تشكلت في (دمشق) الجمعية الدستورية العربية تحت إمرة القائد العام "الجنرال اللنبي" وإدارة قائد القوات العربية الشريف "فيصل" نشطت الأحزاب الوطنية العلمانية ،وتمتعت بنفوذٍ ضخم خصوصًا أن الهيئة المركزية العامة التي تشرف على عمل الحكومة ضمَّت أعضاء كانوا دعاة للانحراف الفكري في البلاد[٤].

بل إن الجمعيات السرية اتجهت لتكوين أحزاب علنية واسعة النطاق ، كجمعية "العربية الفتاة السرية" ؛ فإنها أنشأت في عام (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) حزبًا سميًّا سمي (حزب الاستقلال العربي) من أجل التوفيق بين سرية الجمعية والتطورات السياسية في العهد الجديد[٥].

وألّفَ (النادي العربي) في (دمشق) ، واقتصرت عضويته على العضوية المثقّفة، ومع كون مؤسسيه أعلنوا أن أهدافهم اجتماعية علمية إلا أنه سرعان ما غدا

(١) لورانس ،الثورة العربية ، طبعة الأهلية للنشر ،عمّان ، الطبعة الثانية (٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ) ، (ص١٦)

(٢) الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٦٥/٥)

(٣) جورج انطونيوس ،يقظة العرب ، مرجع سابق ، (ص٢٣٧)

(٤) ينظر أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، مرجع سابق ، (ص١٠٧)

(٥)محمد عزة دروزة ، حول الحركة العربية الحديثة ، مرجع سابق ، (٨٧/١)

ناديًا قوميًا سياسيًا ثقافيًا ، وسيطر فيما بعد على الحياة العامة كلها[١].

ومن الأحزاب التي نشأت في العهد الجديد (الحزب الوطني السوري) ، ومن أعضائه : "الشريف ناصر بن علي"[٢] ، والشيخ "تاج الدين الحسني"[٣] ، و "محمد كرد علي " ، وغيرهم .

واشتهر أعضاؤه بالولاء للفرنسيين ولين الجانب معهم.

إلى غير ذلك من الأحزاب التي زاد عددها عن ثمانية أحزاب[٤].

الجدير بالذكر : أن نصارى الشام كانوا موضوع عناية الأمة الفرنسية ، وأصحابَ النفوذ الواسع زمن الانتداب ، وبداية عهد الاستقلال فمنهم كبار المسئولين والخبراء وقادة الأحزاب والحركات القومية والوطنية التي رفعت شعار "العلمانية" في هذه الفترة[٥] .

وفي أوائل الستينات ركب "النصيريون" موجة "حزب البعث العربي الاشتراكي" ، وتحول القوميون السوريون من أبناء الطائفة إلى أعضاء عاملين في الحزب ، وقويت شوكتهم، وبعد انقلاب الثامن من آذار سنة (١٩٦٣م – ١٣٨٢هـ) لعب "النصيريون" دورًا بارزًا في كشف أسرار التنظيم الناصري من خلال انضمام بعضهم إلى هذا التنظيم ظاهريًا ، وبعد سحق الناصريين اشترك "النصارى"

---

(١) ينظر : خيرية قاسمية ، الحكومة العربية ، مرجع سابق ، (ص٦٩-٧٠) ، وأسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، مرجع سابق ، (ص١٠٧)

(٢) **هو** : ناصر بن علي بن حسين بن فهد بن راضي . من أشراف (المدينة) ، زار (دمشق) أوائل ١٩١٦م مع الأمير "فيصل بن الحسين" ،وتعرف سرًا إلى بعض حملة الفكرة العربية ، ولما كانت ثورة الشريف كان أول من نادى بها في (المدينة) ، وخاض القتال مع العثمانيين ، ودخل (دمشق) قبل "فيصل" ، كان يقال له : (فاتح حلب) توفي سنة (١٩٣٤م – ١٣٥٣هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٤٩/٧)

(٣) **هو** : محمد (تاج الدين) بن محمد (بدر الدين) بن يوسف الحسني . المراكشي الأصل ، الدمشقي المولد والوفاة ، عين مدرسا للدين في المدرسة السلطانية بـ(دمشق) سنة (١٩١٢م – ١٣٣٠هـ) ، وتنقل في عدد من المناصب ، وتولى رئاسة الوزراء في عهد الفرنسيين مرتين ، وتولى رئاسة الجمهورية سنة (١٩٤١م - ١٣٥٩هـ) تعيينًا من الفرنسيين إلى أن توفي في سنة (١٩٤٣م – ١٣٦٢هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٨٢/٧)

(٤) عبد العزيز العظمة ، مرآة الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٥)

(٥) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٥٧/١)

و"النصيريون" و"الدروز" في حكم سورية ، بيد أن "النصيريين" كانوا الأكثرية الساحقة في الحكم ، وطرد في منتصف الستينيات "ميشيل عفلق" وآخرون ، وفي نهاية الستينيات كان الحكم في سورية خالصًا[1] لـ"النصيريين" ولا يزال الأمر كذلك إلى اليوم.

ب – في لبنان :

وأمّا لبنان فلم يكن أحسن حالاً من سوريا فقد تجلى فيه السباق على السلطة والتنافس على الحقائب الوزارية مع حرص الاستعمار على إقصاء الإسلام من جميع شئون الدولة.

تمكن النصارى من النفوذ الواسع في لبنان أواخر الخلافة العثمانية ، فكان منهم قادة الأحزاب والحركات القومية الوطنية وكبار المسئولين وخصوصًا "الموارنة" وكان منهم الأدباء والمفكرون والمدرسون والصحفيون ، بل نجحوا في استقطاب الطبقة المثقفة من أبناء المسلمين الذين تتلمذوا في جامعات ومعاهد الفرنجة ، بل تجرءوا على نقد الرابطة الإسلامية ودعوا إلى وحدةٍ عربيةٍ لا تفرق بين دينٍ ودين ، حتى صدّق أنصاف المثقفين من المسلمين بذلك.

وكان لفرنسا دورٌ كبير في التحولات السياسية التي مرّت بلبنان خلال القرن الرابع عشر الهجري ، إذ قبل "الباب العالي" أن تكون فرنسا صاحبة الحل والعقد في بلاد المسلمين ، بل كان يقدم أمرها على أمره وهو لا يحرك ساكنًا[2].

وظهرت التكتلات الطائفية في لبنان فترة الانتداب الفرنسي على بلاد الشام ، إذ أظهرت فرنسا عطفها على نصارى سوريا ولبنان ، وكانت لا تتخذ قراراً داخليّاً إلا بعد دراسته مع المواطنين النصارى ، وبعد أن يقوم هؤلاء بتقديم العرائض للمندوب الفرنسي زاعمين أن في صدوره مصالح كثيرة ، ويدفع هؤلاء زعماء الطوائف الأخرى وضعاف النفوس من أبناء المسلمين إلى تقديم عرائض مماثلة ، ويأتي القرار الفرنسي استجابة لرغبات الشعب كما يزعمون[3].

إن تاريخ الحروب الصليبية يؤكد لنا التحالف الوثيق بين نصارى الشام والغزاة الصليبيين ضد بني أوطانهم في مختلف القرون والعصور[4].

---

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١/٢٦٩-١٧٠)

(٢) المصدر نفسه ، (١/١٥٧) بتصرف.

(٣) المصدر نفسه (١/١٥٩)

(٤) ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٠هـ ١٩٧٩م) (٨/٢٣٥، ٩/١٤)

والعجيب انه مع كون نصارى لبنان هم الذين رفعوا لواء القومية العربية في الشام وكانوا أصدقاء "فيصل بن الحسين" وكبار مستشاريه حتى قال "ساطع الحصري" : (وكان في الحكومة نسبة كبيرة من النصارى منهم مدير العدلية العام، ومدير الأمن العام، ومستشار المالية العام)[١] إلا أنهم أول من تنكروا للعروبة وأعلنوا تأييدهم لفرنسا[٢] ، فماذا بقي للمسلمين إذا كانت وزارات الداخلية والعدل والاقتصاد بيد النصارى؟ [٣]

وأما بعد زوال حكم "فيصل" فبقي النفوذ للنصارى في الشام بالرغم من الرفض العام من المسلمين لقرار التقسيم والفصل بين سوريا و لبنان[٤] والذي أصدره المفوض السامي الفرنسي "غورو" سنة (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) ، ولقي ترحيبًا من قبل سكان الجبل (الدروز والموارنة)[٥] وكانت أبعاد هذا القرار تهدف إلى إقصاء المسلمين سياسيًّا واجتماعيًّا وثقافيًّا عن مراكز القوى والقرار ، فاستمر المسلمون في المناداة بالوحدة مع سوريا ورفضوا المشاركة في الحصول على الحقائب والمناصب الإدارية والسياسية حتى عام (١٩٢٥م – ١٣٤٣هـ) إذ وصل مفوض جديد يدعى "هنري دي جوفينيل"، وازدادت في عهده النداءات بإعادة الوحدة وتصعدت الاحتجاجات على إقصاء المسلمين من سكان الساحل والأقضية الأربعة وعدم التجاوب مع مطالبهم ، وإكراههم على ضمهم لمتصرفية جبل لبنان من غير مشاورة لهم ، وكان من أول ما أمر به تشكيل لجنة لوضع دستور للبلاد ، إلا أن أعيان المسلمين وعلماءهم في عموم لبنان رفضوا الاشتراك في صياغة الدستور لرفض الفكرة أصلاً ،إضافةً إلى أنه لا يتفق مع مصلحة البلاد وعقدوا مؤتمرًا عام (١٩٢٦م – ١٣٤٤هـ) قرروا فيه رفضهم ، وطالبوا بالالتحاق بالوحدة السورية على أساس اللامركزية[٦]، ومع كل ذلك فقد أقر دستور لبنان في المجلس النيابي ، وكرس الانتداب الفرنسي ، بل وجعل العلم الفرنسي علمًا للبنان ، وأكد على وحدة لبنان الكبير، وجعل اللغة الفرنسية لغة الجمهورية الرسمية إلى جانب اللغة العربية[٧].

---

(١) ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، مرجع سابق ، (ص٩١)

(٢)محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٦٣/١) بتصرف يسير.

(٣) المصدر نفسه ، (١٦٥/١)

(٤) سيأتي الحديث عن التقسيم عند الحديث عن العائق السياسي.

(٥) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، (ص١٤٧-١٥٤)

(٦) المصدر نفسه ، (١٤٧- ١٥٤ و ١٤٠ – ١٤٢)

(٧) المصدر نفسه ، (ص١٥٠ ، ١٢٠)

لم ينصَّ الدستور على دين رئيس الجمهورية أو طائفته ، غير أن فرنسا حرصت على تولية الرئاسة لنصراني ، وأسندت هذا المنصب إلى "شارل دباس"[١] وكان أرثوذكسيًّا[٢]، وأسندت رئاسة مجلس الوزراء خلال فترة حكم "شارل دباس" إلى مارونيَّين تناوبا على رئاستها وهما : "أميل إدّه"[٣] ، و "بشارة الخوري"[٤].

وحاول دعاة التغريب في لبنان القضاء على كل ما يتصل بالدين ، ومن ذلك محاولة "حبيب باشا السعد"[٥] في أواخر كانون الأول (١٩٢٨م – ١٣٤٦هـ) القضاء

(١) **هو** : شارل دبّاس . ولد بـ(بيروت) ،وتعلَّم بها في (اليسوعية) ، وتخرج بفرنسا في الحقوق ، أول رئيس للجمهورية اللبنانية ، انتخب عام (١٩٢٦م – ١٣٤٤هـ) لفترة ثلاث سنوات ، وجدّد له بعدها مرتين إلى (١٩٣٤م – ١٣٥٣هـ) ، عزل عن الرئاسة ثم مرض فسافر إلى (باريس) ومات بها ، ونقل لـ(بيروت) سنة (١٩٣٥م – ١٣٥٤هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٥١/٣)

(٢) هي إحدى الكنائس الرئيسية الثلاث في النصرانية ، انفصلت عن الكاثوليكيةالغربية نهائيًّا سنة (١٠٥٤م – ٤٤٥هـ) ، ولا تعترف بسيادة بابا روما عليها ، ويقال لها أرثوذوكسية بمعنى مستقيمة المعتقد ، ويتركز أتباعها في المشرق ، ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان و المذاهب ، إصدار الندوة العالمية ، مرجع سابق ، (٥٣٨/٢)

(٣) **هو** : لبناني ماروني ، عمل محاميًا ، شارك في الثورة على العثمانيين إبان الحرب الأولى ، وحكم عليه بالإعدام ، فالتجأ إلى فرنسا حتى (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ) ، ثم عاد لـ(بيروت) ، وعين وزيرًا للداخلية ثم رئاسة مجلس الوزراء ثم رأس الجمهورية سنة (١٩٢٦م – ١٣٤٤هـ) ، أبعد عن العمل الحكومي بعد جلاء الفرنسيين عن لبنان سنة ١٩٤٣م ، مات في "صوفر" ودفن بـ(بيروت) سنة (١٩٤٩م – ١٣٦٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٤/٢) ، ومحمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٧٦/١)

(٤) **هو** : بشارة بن عبد الله الخوري . مولده ووفاته في بيروت ، درس في جامعة (القديس يوسف يوسف اليسوعية) بـ(بيروت) ، وتخرج محاميًا ، تولى وزارة الداخلية سنة (١٩٢٦م – ١٣٤٤هـ) ، ثم رئاسة مجلس الوزراء ، وانتخب سنة ١٩٤٣م رئيسًا لجمهورية لبنان بعد إعلان الاستقلال ، واعتقل من قبل الفرنسيين مع مجموعة من وزرائه حين حاول إلغاء مواد الدستور التي تتناقض مع الاستقلال ، توفي سنة (١٩٦٨م – ١٣٨٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٥٣/٢) ، ومحمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٦٩/١)

(٥) **هو** : حبيب باشا السعد . تولى رئاسة مجلس النواب ، ورأس لبنان خلال فترة الانتداب الفرنسي، استمر رئيسًا لمدة سنتين (١٩٣٤-١٩٣٦م)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .
Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

على اللغة العربية عن طريق جعل (اللغة العامية) لغة رسمية يمكن لطالب الثانوية العامة أن يتقدم بها في امتحاناته[١].

وفي (١٩٢٩/١١/٩م = ١٣٤٨/٦/٧هـ) عقد المسلمون اجتماعًا ضخمًا في دار مفتي "بيروت" بحضور النواب المسلمين لمناقشة قرار رئيس الوزراء الجديد "أميل إده" القاضي بإلغاء المدارس الحكومية التي يستفيد منها أبناء المسلمين بصورة أساسية ،وندّدوا بالقرار وأن غايته إحلال الحروف اللاتينية مكان اللغة العربية ، وتشريد أبناء المسلمين[٢].

ومن أمثلة الإقصاء الذي مارسه الاستعمار ودعاته على المسلمين : العرف السياسي الذي استمر في لبنان منذ الاستقلال إلى اليوم ، ومع أن نتائج إعلان الإحصاء أظهرت أن المسلمين نصف سكان لبنان ، إلا أن فرنسا حالت دون تولي المسلم لرئاسة الجمهورية حتى لو كان صديقًا لها ، فهذا الشيخ "محمد الجسر"[٣] تولى رئاسة مجلس النواب ، ولما حاول ترشيح نفسه لرئاسة الجمهورية عام (١٩٣١م – ١٣٥٠هـ) نصحه أصدقاؤه من الفرنسيين واللبنانيين ، وكان من جملتهم المفوض السامي الفرنسي "هنري بونسو" بصرف النظر عن ذلك لأن سياسة فرنسا تقتضي إقصاء المسلمين عن رئاســـة الجمهورية .

لم يلتفت لذلك فحمل معه نسخة من دستور لبنان إلى السَّراي الحكومي[٤] ليقابل (نائب المفوض الفرنسي السامي) ويؤكد له أن الدستور لا يحول دون وصول مسلم لرئاسة الجمهورية ، ففاجأه النائب بقرار تعليق الدستور ، وحل المجلس النيابي والوزارة أيضًا ، مع إبقاء "شارل دبّاس" لأجل غير مسمى يعاونه مجلس إداري[٥][٦].

إداري[٥][٦].

(١) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، مرجع سابق ، (ص١٢٢ – ١٢٣)

(٢) المصدر نفسه ، (ص١٢٣)

(٣) **محمد الجسر** : محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ العارف بالله محمد الجسر الطرابلسي الصيَّادي الحسيني ، ترأس مجلس النواب اللبناني خمس سنوات ، توفي سنة (١٩٣٤م – ١٣٥٣هـ)

يُنظَر : الموسوعة الحرة عبر الشبكة العنكبوتية .Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٤) **هو** : قصر الحكم .

(٥) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، مرجع سابق ، ص١٣٠.

(٦) أشير هنا إلى أن فرنسا منحت المندوب (المفوّض) السامي في لبنان صلاحية تعطيل قرارات المجلس الوزاري والنيابي ، بل وحلّها متى شاء ، ومثله تعليق الدستور وإمضاؤه.

كان المفوض السامي "بونسو" أكد لدولته أن إمكانية وصول الشيخ "الجسر" إلى الرئاسة كبير جدًّا بسبب تماسك الكتلة السياسية الإسلامية ، ولذلك فنجاح "الجسر" سيضع فرنسا في مواجهة سياسية صعبة جدًّا ، لأن نفوذ فرنسا إلى المشرق يرتكز أساسًا على المسيحيين اللبنانيين ، فلذا عمدتفرنسا إلى إبعاده مع كونه لبنانيًّا يؤمن بدولة لبنانالكبير ، ومعارضًا لضم أي جزء منه إلى سوريا ،بل تولّى رئاسة المجلس النيابي، وكان صديقًا للمفوض السامي ، وكل ذلك لم يوصله للرئاسة لأنه مسلم(١).

وفي الفترة من (١٩٣٦-١٩٤١م) تولى "أميل إده" رئاسة الجمهورية ، وعهد برئاسة الوزراء إلى "خير الدين الأحدب"(٢)، وهي المرة الأولى التي يتولى فيها مسلم رئاسة الوزراء ، وكان "أميل إدّه" يعتقد أن التقارب من أهل السنّة قد يؤدي إلى قبولهم واعترافهم بـ (الكيان اللبناني) ويخفف من المطالبة بالوحدة السورية .

لكنهذا التقارب سرعان ما تحوّل إلى صراعٍ بسبب تطرف "أميل إدّه" في آرائه الخاصة إذ كان يهدف إلى صبغ لبنان باللون المسيحي ، وخشيته أن يرى اليوم الذي يصبح فيهالمسلمون أكثريةً في لبنان -نظرًا لتناسلهم السريع - وذلك لن يكون في صالح مسيحية لبنان(٣).

ومن أقواله الصريحة : (إذا لم ير المسلمون قبول الوضع الراهن في لبنان ، فما عليهم إلاّ الرحيل إلى الحجاز) وقال أيضًا : (إننا والسوريون أمّتان مختلفتان كل الاختلاف.. إننا الجزيرة المسيحية الوحيدة في البحر الإسلامي)

كما صرح لأحد الصحفيين بأنه (لا علاقة له ولا صلة بالشرق أو العروبة ، وأنه وجميع الموارنة في تفكيرهم ولغتهم غربيون)(٤)

وفي هذا يقول "محمد جميل بيهم"(٥) في حوار مع جريدة (لسان الحال) : (لقد

---

(١) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، مرجع سابق ، (ص١٣٢- ١٣٦) بتصرف .

(٢) **هو :** من رجالات الصحافة في لبنان ، رأس وزارة الحكومة خلال فترة الانتداب الفرنسي .
يُنظَر :الموسوعة الحرّة عبر الشبكة العنكبوتية .Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٣) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٧٧/١)

(٤) المصدر نفسه ، (١٧٧/١)

(٥) **هو** : محمد جميل بن محمد مصطفى بن حسين بيهم . باحث ، مؤرخ ، من أهل (بيروت) ، تعلم بها ، وحصل على العالمية من (باريس) ، انتمى للمحافل الماسونية ثم انسحب منها ، رأس وفودًا عربية إلى بلدان العالم ، وكان من أكبر دعاة تحرير المرأة في الشام ، توفي سنة (١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م)

=

تعوَّدنا أن نسمع تصريحات عدة بأن من لا يعجبه حال لبنان فليهاجر منه وليرحل عنه ، على حين أن هذه البلاد بأموالها وأملاكها وبحق السكن فيها ، هي للمسلمين كما هي لغيرهم)[١]

وسادت التكتلات الطائفية إذ ذاك ، وكانت تظهر بين فترة وأخرى تكتلات قومية ، منها : (المؤتمر الوطني) الذي ضمّ قوىً إسلامية ومسيحية ، ويعزو بعض الكتاب مشاركة النصارى مع المسلمين من باب توزيع الأدوار لتكون بديلاً للاستعمار في عهد ما يسمّى بالاستقلال[٢].

وتوصَّل القوميون إلى تأسيس "الحركة العربية السرية" التي انتهت إلى إصدار كتابٍ سري عرف بـ (الكتاب الأحمر) أو كتاب (القومية العربية) ومما جاء فيه :

(إن الدولة العربية دولة قومية ، لا دولة دينية ، والأديان فيها هي سبيل المرء إلى خالقه في العبادات ، فهي مصونة ومحترمة ، أمّا الشئون الدنيوية الخالصة كالإدارة والأحكام المدنية والعقوبات والتجارة والمعارففلا دخل للدين أصلاً فيها ، والوازع فيها عرف مدني يجري عليه الناس ، أو قانون تسنُّه الدولة ، ويخضع له جميع العرب)[٣]

وفي أثناء الفترة تحول الصراع الطائفي إلى صراع داخل مؤسسات الدولة بما فيها المجلس النيابي ، وإلى داخل الكتل الطائفية نفسها ،خصوصًا بعد الحرب العالمية الثانية ، فالموارنةشكّلوا كتلتين سياسيتين :

الأولى : تؤيد فرنسا بزعامة "أميل إده".

والثانية : تؤيد بريطانيا بزعامة "بشارة الخوري".

وبدأ الضغط الكنسي على الحكومة منذ عام (١٩٤٣م – ١٣٦٢هـ) ، ومارست القوى "المارونية" دورًا كبيرًا على "رئيس الجمهورية" لإقالة "رئيس الوزراء" المسلم "سامي الصالح"[٤] فأرسلت الكتلة الإسلامية مذكرة إلى "رئيس الجمهورية"

=

يُنظَر في ترجمته : "نزار أباظة" و"محمد المالح" ،إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٣٤٨)

(١) جريدة لسان الحال البيروتية في (١٩٣٣/٢/٣م = ١٣٥١/١٠/٨هـ)

(٢) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٦٨/١)

(٣) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، مرجع سابق ، (ص١٥٦)

(٤) **هو** : سامي بن عبد الرحيم الصالح . ولد في (عكا) ، من أسرة صيداوية ، تخرج في كلية =

آنذاك "الفرد نقاش"[١] أعربت فيها عن احتجاجها على نبأ رغبة البطريرك الماروني إقالة "رئيس الحكومة" المسلم[٢].

وبسبب الانتخابات النيابية المرتقبة أصدر الجنرال "كاترو" قرارًا في (١٩٤٣/٣/١٨م = ١٣٦٢/٣/١٢هـ) طلب فيه من "رئيس الجمهورية" و"رئيس الوزراء" تقديم استقالتيهما ثم عين النَّائب "أيوب ثابت"[٣] رئيسًا للجمهورية لفترة انتقالية ، وكان (مسيحيًّا بروتستانتيًّا متطرفًا) وكانت قراراته أثارت الطوائف الإسلامية ، وأحدثت احتجاجات صارخة ، وتحرك الإسلاميون ، وتدخلت وساطات كثيرة كان لمصر وسوريا والعراق وبريطانيا دور فيها ، وانتهت بوضع الميثاق الوطني اللبناني ، وتسوية أزمة تخصيص المقاعد بمجلس النواب[٤] ، ومن أبرز بنودهما :

١) أن لبنان جمهورية مستقلة استقلالاً تامًّا ، ولا يرتبط بأي دولة أجنبية ، ومن الواجب على النصارى الامتناع عن طلب الحماية الأجنبية وخاصة فرنسا ، كما أنه على المسلمين ألا يحاولوا توحيد لبنان مع سوريا .

=

الحقوق في (إسلامبول) و (باريس) . انتقل إلى (بيروت) سنة (١٩٢١م – ١٣٣٩هـ) فعمل في القضاء بلبنان (٢٢) سنة ، وتولى رئاسة الوزراء سبع مرات ، توفي سنة (١٩٦٨م – ١٣٨٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧٤/٣)

(١) **الفرد جورج نقاش** : تولى رئاسة لبنان خلال فترة الانتداب الفرنسي ، كما عمل رئيسًا للوزراء بعد استقالة " إميل إده " .

يُنظَر : الموسوعة الحرّة عبر الشبكة العنكبوتية .Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٢) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، مرجع سابق ، (ص١٩١- ١٩٨)

(٣) أصدر في شهور رئاسته الأولى مرسومين تشريعيين:

الأول: حدَّد عدد النواب إلى(٥٤)نائبًا خصّص للنصارى منها (٣٢) وللمسلمين (٢٢)

الثاني: إدراج المهاجرين في السجلات الرسمية ، وبالطبع هم نصارى . ولا يخفى ما وراء ذلك .

و **أيوب ثابت :** تولى الرئاسة بعد " الفرد جورج النقاش " ، وكان "بروتستانتيًّا " غير أنه تعصب للكاثوليك ، وتثقف ثقافة لاتينية . أقاله الفرنسيون بعد أن ثار على تصرفاته الرأي العام ، ولم تستمر فترته عامًا .

يُنظَر : الموسوعة الحرّة عبر الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٤) محمد جميل بيهم ، النزاعات السياسية في لبنان ، بيروت ، (١٩٧٧م – ١٣٩٧هـ) ، (ص٧٠- ٧٣)

٢) أن لبنان جزء من الوطن العربي ، ولغته هي العربية ، ومع ذلك ستظل علاقته الثقافية والروحية بالحضارة الغربية .

٣) على لبنان أن يتعاون مع جميع الدول العربية شريطة أن تعترف تلك الدول باستقلاله وسيادته داخل حدوده الحالية .

٤) توزيع الوظائف كلها بالتساوي بين جميع الطوائف ، فالوظائف الفنية تكون الأولوية فيها للكفاءات الفنية ، أما المناصب الرئاسية فيكون "رئيس الجمهورية"مارونيًّا ، و"رئيس الوزراء"مسلمًا سنيًّا ، و"رئيس مجلس النواب"شيعيًّا[١] .

وعلى الرغم من أن بعض بنود الميثاق لم تكن عادلة عند أهل السنة كتوزيع المناصب بين الطوائف بنسب متساوية[٢] ، ومنح الدستور لـ"رئيس الجمهورية" صلاحيات وسلطات تفوق سلطات "رئيس الوزراء" و"رئيس مجلس النواب" إلا أنه ساعد في إضفاء الاستقرار العام في لبنان ، وقضى على جذور مشكلات مستعصية منها:

أ- تراجعت سوريا عن المطالبة بالأقضية الأربعة ، وعن إقليم (طرابلس) ، وهذا الثمن الذي دفعته سوريا لجذب لبنان إلى حظيرة الجامعة العربية.

ب - وجد كثير من المسلمين أن انضمام الأقضية الأربعة لسوريا يعني بقاء (جبل لبنان) جزيرة طائفية مستقلة ، وتحت حماية الأجنبي ، ولذلك تبنو فكرة وحدة لبنان وعدم تقسيمه[٣] .

وأما أزمة مقاعد المجلس النيابي فانتهت بالتسوية بعد أن لعب الملك "فاروق"[٤] ورئيس وزرائه "مصطفى النحاس باشا"[١] دور الوسيط ، وأقنعا الطوائف

---

(١) محمود حسان منسي ، الهلال الخصيب ، مرجع سابق ، (ص٢٩١ – ٢٩٣)

(٢) تشير الوثائق الرسمية في عام (١٩٤٣م – ١٣٦٢هـ) إلى أن أهل الإسلام في لبنان ، يشكلون نصف سكانه بالرغم من أن تعداد هذه السنة الذي قامت عليه النسب انطوى على مغالطتين :

الأولى: احتساب المهاجرين مواطنين لبنانين.

الثانية : حساب الأرمن ضمن النصارى اللبنانين مع انهم وافدون ، ولا يشعرون بالانتماء الوطني إلى لبنان .

يُنظَر : محمود حسان منسي ، الهلال الخصيب ، مرجع سابق ، (ص٢٩٣)

(٣)محمود حسان منسي ، الهلال الخصيب ، مرجع سابق ، (ص٢٩٣)

(٤) **هو** : فاروق (الملك) بن أحمد فؤاد (الملك) بن إسماعيل (الخديوي) بن إبراهيم بن محمد علي. =

الإسلامية وقبلت ما لحقها بعد ذلك من ظلم ، إذ صار للمسلمين (٢٥) مقعدًا وللنصارى[٢](٣٠) مقعدًا أي بنسبة (٦:٥) واستمر لبنانيسير طبقًا لهذه النسبة حتى اضطرت حكومة لبنان تحت ضغط الحرب الأهلية إلى قبول مبدأ المناصفة في اتفاق شباط (١٩٧٦م – ١٣٩٦هـ)

وبهذا يظهر أن الهدف من الميثاق هو عدم وقوع لبنان تحت التبعية الأجنبية عند بعض السياسيين ، وعدم وقوعه في أحضان الوحدة العربية عند آخرين[٣].

الجدير بالذكر أن الدارس للتيارات السياسية والطائفية في لبنان خلال الفترة من (١٩٣٤م-١٩٥٢م) أي في عهد الرئيس "بشارة الخوري" يجد أن الميثاق لم ينفذ على كافة الأصعدة[٤] ، فهاهم النصارى سيطروا على كافة مرافق الدولة ومؤسساتها :

(التجارة والصناعة والصحة والتعليم وقطاع السياحة والمصارف وغيرها) بحجة أنهم يتفوقون على المسلمين بالتقنية والعلم والتطور في المعاملة ، بل إن الميثاق الوطني لم يكن مكتوبًا حتى يقال إن "رئاسة الجمهورية" حق لـ"النصارى" ، إلا أنه مع ذلك تمكن "بشارة الخوري" من حل هذه المشكلة لمصلحة طائفته قبل اعتزاله الرئاسة، فبعد انتهاء فترته الأولى في الرئاسة أراد أن يجدد فترة رئاسته ست سنوات

=

آخر حكام مصر من أسرة محمد علي ، من مواليد (القاهرة) ، وتعلم فيها وفي فرنسا وإنجلترا ، تولى ملك مصر بعد أبيه سنة (١٩٣٦م – ١٣٥٤هـ) ، وأرغمته ثورة سنة (١٩٥٢م – ١٣٧١هـ) على خلع نفسه ففعل ، وأقام بعدها في (روما) ، وتوفي بها سنة (١٩٦٥م – ١٣٨٤هـ)

انظر ترجمته : الزركلي ، الاعلام ، مرجع سابق ، (١٢٨/٥)

(١) **هو** : مصطفى النحاس "باشا" . من مواليد (سمنود) تعلم فيها وفي (القاهرة) ، عمل قاضيًا ومحاميًا وانتسب إلى حزب (الوفد) المصري بزعامة "سعد زغلول" سنة (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ) وكان من طلائع شباب الثورة المطالبة بالاستقلال سنة (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) واعتقل مع سعد ، وتولى وزارة المواصلات في عهد حكومته،وانتخب وكيلاً فرنسيًا لمجلس النواب ، وخليفة لـ"سعد" بعد وفاته (١٩٢٧م – ١٣٤٥هـ) ، تولى رئاسة الوزراء خمس مرات ، وأكره على لزوم بيته بعد ثورة (١٩٥٢م – ١٣٧١هـ) ، وتوفي بـ(القاهرة) سنة (١٩٦٥م – ١٣٨٤هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٤٦/٧)

(٢) محمود حسان منسي ، الهلال الخصيب ، مرجع سابق ، (ص٢٨٦ – ٢٩١)

(٣) محمد الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٤٢٠)

(٤) المصدر نفسه ، (ص٤٢٠)

أخرى ، بالرغم من أن الدستور يعارض مثل هذا التجديد ، فكان أن أجرى انتخابات سنة (١٩٤٧م – ١٣٦٦هـ) عدل خلالها الدستور بصورة استثنائية ، وأعاد مجلس النواب انتخابه ، وبعد انتخابه للمرة الثانية تعارف الناس في لبنان على أن تكون رئاسة الجمهورية لـ"النصارى" ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، وإنما نجح "بشارة الخوري" في توسيع صلاحيات "رئيس الجمهورية" حتى صار منصب "رئيس الوزراء" (المسلم) ليس أكثر من رئيس كتبة في ديوان "رئاسة الجمهورية"[١].

أضف إلى هذا أن وعود "بشارة الخوري" التي أعلنها بعد توليه للرئاسة - ومنها وعده لرئيس وزرائه "رياض الصلح"[٢] برفع الغبن والظلم عن المسلمين ، وإقامة العدل والمساواة بين جميع اللبنانيين - لم يتحقق منها شيء ، ولم ير "الخوري " ضرورة الالتزام بها[٣].

ويعزو بعض الباحثين في تاريخ هذه الفترة كثرة الصراعات السياسية والنزاعات الطائفية التي ظهرت في لبنان واستمرت إلى اليوم إلى الغموض الذي اكتنف الميثاق والثغرات التي أحاطت به[٤].

ج – الأردن وفلسطين :

وأما الأردن وفلسطين فكانت يد الانحراف الفكري مبسوطة فيهما ، ومهيمنة علىكافة الصعد سياسيًّا واثقافيًّا واجتماعيًّا واقتصاديًّا ، فبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ودخول الحلفاء لبلاد الشام كانت منطقة شرقي الأردن وفلسطين تحت الانتداب البريطاني ، وقررت حكومة بريطانيا تأسيس إدارة بريطانية في شرقي الأردن وأخرى في فلسطين يرأسهما المندوب البريطاني في فلسطين "هربرت صمويل" اليهودي ، وأسس مجلسًا لإدارة كل منهما شمل عددا من الضباط البريطانيين ، وعندما اجتاحت فرنسا (دمشق) وأمرت بإخراج الشريف "فيصل" ونفيه منها احتوت بريطانيا غضبة الشريف "حسين"الذي أرسل جيشًا بقيادة ابنه "عبد الله" للثأر من الفرنسيين ، فعينته أميرًا على (شرقي الأردن) بالرغم من اعتراضات "هربرت صمويل"[٥]، وشكلت

---

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٧٢/١ – ١٧٣)

(٢) **هو** : سياسي، لبناني ، ولد في (صيدا) ، ودرس الحقوق في (إسلامبول) أول رئيس للبنان بعد الاستقلال ، اغتيل في مطار (عمان) على يد أعضاء "الحزب القومي السوري"انتقامًا لإعدام زعيمهم "أنطون سعادة" سنة (١٩٤٩م – ١٣٦٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٥٢)

(٣) حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، مرجع سابق ، (١٣٤ – ٢٣٨)

(٤) محمد الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (٤٢١)

(٥) محمود حسن منسي ، الهلال الخصيب ، مرجع سابق ، (ص٣٠٥ – ٣٠٧)

حكومة أردنية في (١١/ نيسان/١٩٢١م = ١٣٣٩/٨/٤هـ) ضمت مستشارين بريطانيين ، ولم تخل هذه الحكومة من التمثيل القومي العلماني ، إذ كان معظم أعضائها من زعماء حزب (الاستقلال) الذي ورث "جمعية العربية الفتاة" والذين غادروا سوريا بعد احتلال فرنسا ، ومارسوا النشاط السياسي في (عمّان)[١]،واستمر الانتداب قرابة ثلث قرن من الزمان ابتداءً من (١٩١٧-١٩٤٨م = ١٣٣٥-١٣٦٧هـ) ونالت الأردن استقلالها ، وأصبحت الأمارة تحمل اسم (المملكة الأردنية الهاشمية) ووقعت معاهدة بين بريطانيا والأردن في (١٥/ ١٩٤٨/٣م = ١٣٦٧/٥/٥هـ)[٢]

وأمافلسطين فكانت تشكل جزءًا من الإمبراطورية العثمانية ، وكان يطلق عليها (سورية الجنوبية) حينذاك نظرًا لموقعها الجغرافي ووضعها الإداري[٣] ، وقد تمتعت الطوائف المسيحية واليهودية بفلسطين بحق الحكم الذاتي فيما يتعلق بقضايا الزواج والطلاق والإرث وممارسة الشعائر الدينية بموجب نظام الملة الذي نص عليه الدستور العثماني الصادر عام (١٨٧٦م – ١٢٩٣هـ)

وكان معظم عرب فلسطين من أهل السنة ، ويعيش غالبيتهم في القرى ، ويمارسون الزراعة ، وأما سكان المدن فهم يمارسون أعمال التجارة ، والصناعات اليدوية في حين التحق فريق منهم بالوظائف الحكومية .

أما اليهود فكانوا أقلية دينية في فلسطين تعيش على نظام الصدقات اليهودية وسماحة المسلمين ، وعمل بعضهم مهنيين وفنيين ، وبرعوا في الصباغة والحدادة والخياطة وإصلاح الساعات وتجليد الكتب ، واحتكروا الأعمال الصيرفية والمصرفية[٤].

وكان أول فوج يهودي قدم فلسطين عام (١٨٢٣م -١٢٣٨هـ) ، وأنشأوا بعض المستوطنات في مدن (القدس وطبريا وصفد والخليل) وعندما اطَّلع السلطان العثماني على مخططاتهم وضع العراقيل في طريق هجرتهم ، ففي عام (١٨٨٧م – ١٣٠٤هـ) فرضت الحكومة العثمانية قيودًا على هجرة اليهود الذين كانوا يدخلون البلاد كسياح بحيث لم يعد يسمح لهم بالإقامة أكثر من ثلاثة أشهر في البلاد ، وذلك بموجب جوازٍ

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (٣/٢٢٦-٢٢٧)

(٢) محمود حسن منسي ، الهلال الخصيب ، مرجع سابق ، (ص٣١٨ – ٣٢٠)

(٣) تقدم أن فلسطين اشتملت على سنجق (متصرفية) (القدس) المستقل ، وسنجقي (عكا) و(نابلس) التابعين لولاية الشام ، إلى أن ألحقا بولاية (بيروت) بعد إعادة تنظيم ولاية الشام عام (١٨٨٣م – ١٣٠٠هـ)

يُنظَر : عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، مرجع سابق ، (ص٣٧)

(٤)عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، مرجع سابق ، (ص٣٨)

أحمر عوضًا عن جوازهم الأصلي عند دخول البلاد ، حتى جاء الفوج الثاني من سنة (١٩٠٣-١٩١٤م = ١٣٢٠-١٣٣٢هـ) وكان عددهم بين (٣٥٠٠٠-٤٥٠٠٠) مهاجرٍ ، وكانوا يتميزون بشدة تعصبهم ، وكان قدوم أكثرهم من روسيا التي اضطهدتهم وشردت الآلاف منهم بعد مقتل قيصرها عام (١٨٨٢م – ١٢٩٩هـ) ، واتهامها لهم بتدبير مؤامرة قتله .

وفي فترة الانتداب البريطاني ارتفعت حصيلة اليهود المهاجرين من بولندا وألمانيا ورومانيا واليمن والولايات المتحدة وغيرها .

وتميز هؤلاء المهاجرون بأنهم كانوا أصحاب أموال ، ومنهم عمّال مهرة ساعدوا على تحسين وضع اليهود الاقتصادي في البلاد[١] .

وشكلت دائرة[٢] الهجرة في فلسطين ، وأسندت رئاستها إلى يهودي صهيوني هو "ألبرت حايمون" .

وقد عملت الدائرة على استقدام المهاجرين الجدد بكل الطرق سواء باسم المعارض التجارية أو السياحية أو الزواج الصوري أو التحايل على القوانين المعمول بها آنذاك[٣] .

وحين عين "هربرت صموئيل" مندوبًا ساميًا على فلسطين في تموز سنة (١٩٢٠م - ١٣٣٨هـ) شكل مجلس إدارة فلسطينية بريطانية يهودية ، فقام بتعيين "ويند هام ديدس" سكرتيرًا أول للحكومة و"نورمان بنتويتش" سكرتيرًا قانونيًّا وكلاهما من المعروفين بميولهما الصهيونية المتطرفة ،أمّا "بنتويتش" فكان يهوديًّا صهيونيًّا ومغلاً في الصهيونية ، وعين نائبًا عامًّا وعهد إليه بسنّ القوانين ، وكان موضع نقمة العرب واحتجاجهم الدائم[٤] .

(١) إبراهيم رضوان الجندي ، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية ، منشورات دار كامل – عمّان ، (١٩٨٦م – ١٤٠٦هـ) ، (ص٦١ – ٧١)

(٢) يعني : الوزارة .

(٣) إبراهيم رضوان الجندي ، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية ، مرجع سابق ، (ص٧٠ – ٧١)

(٤) عبد الوهاب الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، مرجع سابق ، (١٣٦)

المبحث الثاني

وسائلهم في الميدان الاجتماعي

سبق الكلام عن الحالة الاجتماعية في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري في التمهيد ، وتحدثت هناك عن النسيج الاجتماعي الذي عرفت به الشام على وجه الخصوص ، وأن الغالب في عقود القرن الأولى سلامة المجتمع من الانحرافات الأخلاقية ، وتمسُّك أفراده بقيم المجتمع المسلم وإن لم تكن هذه الصورة من بعض زواياها تخلو من ملامح انحراف عقدي وفكري لكنها تعكس حرص المجتمع على بقاء روح الإسلام وشريعته الغرّاء .

ولم تكن هذه الروح الاجتماعية الإسلامية ترضي أعداء الإسلام ودول الاستعمار ، ولا تلبي الحدّ الأدنى من أهدافهم الصليبية ، ولا تمكنهم من العيش على نهب ثرواته وخيراته ، فاستحدثوا وسائل يقضون بها على البقية الباقية من آثار الإسلام، وفيما يلي أتحدث عن أبرز وسائل الانحراف الفكري في هذا الميدان .

أولاً : الغزو بالنظريات الغربية :

استطاعت اليهودية العالمية تحطيم ما كان قد بقي من عقائد (الأميين الأوروبيين) وأنشأت هنالك مجتمعا جديدًا بلا دين ولا أخلاق بل ولا تقاليد ، بعد أن روّجت للنظريات الداروينية[1] والفرويدية[2] ،

---

(١) نسبة إلى : تشارلس داروين . ولد في بريطانيا سنة (١٨٠٨م – ١٢٢٣هـ) ، بدأ بدراسة الطب ولم يكملها ، ثم انتقل لدراسة (اللاهوت) وتعلق بالبحث في عالم الأحياء ، حتى ألف كتابه الشهير (أصل الأنواع) وضمنه (نظرية النشوء والتطور) القائلة بأن الكائنات الحية تسير في تطورها مرتقية من أدنى الأحياء إلى الأعلى فالأعلى ، وأن الإنسان هو قمة تطورها ، وأن الطبيعة تخلق كل شيء، ولا حدّ لقدرتها على الخلق ، وأنها تخبط خبط عشواء . هلك سنة (١٨٨٢م – ١٢٩٩هـ)

يُنظَر في ترجمته : محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، بيروت – (القاهرة) ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، (ص٩٣) ، وعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، كواشف زيوف ، طبعة دار القلم ، (دمشق) ، الطبعة الثالثة ، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) ، (ص٣١٧)

(٢)نسبةً إلى : سيجموند فرويد . يهودي من أبوين يهوديين ، نمساوي ، عمل طبيبًا ثم تخصص ⇐ =

ونظرية (دور كايم)[1] الشهيرة في علم الاجتماع ، ونظرية (مكيافيللي)[2] القائلة بأن (الغاية تبرر الوسيلة)، وانتهزت الأحداث والثغرات التي مكّنتها من النفوذ إلى أوروبا ، بعد أن خابت مساعيهم عدة قرون سواء في العالم الإسلامي أو العالم المسيحي . ولهذه الأسباب وغيرها تسلّم اليهود قيادة المجتمع الأوروبي بعد أن أفسدوه وجرّدوه من عقيدته وأخلاقه .

والذي يهمنا هنا هو : كيف استطاعت هذه النظريات أن تكون أحد ذراعي كماشة هائلة -كما يسمّيها "محمد قطب" - عصرت مجتمع أوروباعصرًا ، وفتتت كيانه وحوّلته ممسوخًا امشوّهًا ؟

هنا نتذكر ما قاله اليهود في بروتوكولاتهم : (لقد رتّبنا نجاح "نيتشه"[3]

=

في معالجة الأمراض العصبية والنفسية ، وأنشأ عيادة خاصة ، مؤسس مدرسة التحليل النفسي ، ألف أكثر من ثلاثين كتابًا دارت حول نظرياته القائمة على الإلحاد والجنس ، حيث يزعم أن كل سلوك للإنسان يرجع إلى دافع وحيد في كيانه من ميلاده إلى موته ألا وهو الدافع الجنسي، كان ممن عمّر حيث ولد سنة (١٨٥٦م – ١٢٧٢هـ) وهلك سنة (١٩٣٨م – ١٣٥٧هـ)

يُنظر في ترجمته : محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، (ص١٠٧) ، وعبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، (ص٢٨٩)

(١) **هو** : "إميل دوركايم" أو " دورك هايم " أو " دورك حاييم " يهودي فرنسي ، ولد عام (١٨٥٨م – ١٢٧٤هـ) ، تخصص في علم الاجتماع ، وله فيه كتب كثيرة ، عزا إلى العقل (العقل الجمعي) أنه هو من يقوم ويحكم عالم الحيوان ، ويسيره دون وعي فيه ولا إرادة ، فهو المكون للأفكار والمذاهب والأخلاق والدين .

يُنظَر في ترجمته : محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، (١١٤) ، وعبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، (٢٣٥)

(٢) **هو** : نيقولا مكيافيللي . إيطالي ولد في (فلورنسا) سنة (١٤٦٩م – ٨٧٣هـ)، وتقلّب في عدة وظائف ، تفرغ للتأليف آخر عمره ، وكانت له معارضة سياسية لأسرة (مديتشي) الحاكمة في إيطاليا التي استولت على حكومة (فلورنسا) والتي كان (مكيافيللي)مستشارًا ثانيًا فيها ، وانتهى أخيرًا إلى رأي في السياسة يتلخص في أن (الغاية تبرر الوسيلة) مهما كانت الوسيلة منافية للدين والخلق . هلك سنة (١٥٢٧م – ٩٣٣هـ)

يُنظَر في ترجمته : عبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، (٣٧٩)

(٣) **هو** : فريدريك نيتشه . فيلسوف ، ألماني ، ملحد ، تخرج في جامعة (بون)وعين أستاذًا بجامعة (بال) بسويسرا ثم استقال وتفرغ للتأليف ، وكان يعاني من جنون العظمة حتى ظن أنه الإله "ديوزينوس " ،اعتزل الناس أخيرًا حتى أصيب بالجنون الحقيقي ، اعتبر العقل عاجزًا عن إدراك حقيقة الوجود ، وأن العقل في الإنسان لا حاجة إليه ، وأن معظم ما في الحياة يسير بلا عقل ، عاش ما بين (١٨٤٤- ١٩٠٠م = ١٢٦٠ -١٣١٧هـ)

=

و"ماركس" [1] و"دارون " وإن تأثير أفكارهما على عقائد الأمميين واضح لنا بكل تأكيد)

استغل اليهود هذه (النظريات) لتحطيم عقائد الأمميين ، فعملوا على نشرها في الأرض وعلى نطاقٍ واسع خصوصًا في بلدان العالم الإسلامي كمصر والشام ، بعد أن ركبوا موجة (الثورة الفرنسية) التي اشتركواهم في توجيهها وجهة معينة قرّبت الهدف وأحدثت الثغرات التي يمكن أن ينفذوا من خلالها[2] .

والسؤال الذي يطرح نفسه : **ما هو واقع هذه النظريات في بلاد الإسلام اليوم ؟ وما آثارها التي خلّفتها في ديارهم ؟**

والمؤسف أنّ هذه النظريات تقررُ في كثير من مدارس بلادنا وجامعاتها تحت ما يسمّى بـ(علم النفس) أو (علم الاجتماع) أو (علم الاقتصاد) أو (علم السلوك) ولها حصص ومحاضرات ، ويلزم الدارس تجاوزها بنجاح للحصول على الشهادة .

لقد كانت هذه (النظريات) المقرّرة على أبناء المسلمين من أكبر عوامل هدم الدين والأخلاق في العقود المتأخرة .

إنَّ نظرة فاحصة في الحياة الاجتماعية تنبئك بتأثير هذه النظريات في البلاد العربية وخصوصًا في الشام ، كيف لا؟ ومعظم مناهج تعليمها مترجم بالنص أو بالمعنى من مناهج الغرب وثقافته التي تستبعد الدين والأخلاق ، وتنطلق من تصوراتٍ خاطئة .

ولا عجب حينئذٍ إذا ظهر من الكتّاب من يعلن اعتناقه لمذهب "داروين" ويدعو إلى السير على طريقته مثل : "جلال صادق العظم"[3] في كتابه (نقد الفكر الديني) ،

=

يُنظَر في ترجمته : عبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، (ص٤٦٦)

(١) **هو** : مؤسس الشيوعية المعاصرة أو ما يسمى بالاشتراكية العلمية ، وهو يهودي ألماني ، عاش عاش ما بين (١٨١٨ – ١٨٨٣م = ١٢٣٣-١٣٠٠هـ) لم يواصل دراسته الجامعية ، فعاش حياته على نفقة أبيه ثم أمّه ، ثم على ما كانت تعطيه أمه وأخته المريضة ، ثم على صديقه في تأسيس الشيوعية "إنجلز" ، من أساتذته الكبار الذين أثروا فيه "موسى هس" اليهودي ، ألف كتاب (المسألة اليهودية) وكتاب (رأس المال) وتعرض لهجوم اليهود والمسيحيين ، يقوم مذهبه على إنكار وجود الله ، وألا إله والحياة مادة .

يُنظَر في ترجمته : عبد الرحمن الميداني ، كواشف زيوف ، مرجع سابق ، (ص٤٦٣)

(٢) ينظر : محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، مرجع سابق ، (ص٩٧)

(٣) **جلال صادق العظم :** من مواليد (دمشق) . شيوعي من أصل تركي ، أكاديمي ، له كتب وآراء أثارت السّجال ، درس الفلسفة في الجامعة الأمريكية كما عمل أستاذًا جامعيًّا في أمريكا قبل أن يعود إلى جامعة (دمشق) .

=

و"محمد شحرور"[١] في كتابه (الكتاب والقرآن قراءة معاصرة)[٢]

ثانيًا : **الدعوة إلى الحرية المطلقة :**

لما كانت العقيدة درعًا واقيًا ضد الأفكار والمبادئ الدخيلة على الأمة ، وبناءً أساسيًّا يكفل للأمة البقاء على مر الزمان تناولتها يد التغيير والتبديل وجعلت من النيل منها فرصة لفرض حياة جديدة أكثر انفتاحًا وتحضرًا عبر (الفئة المثقفة) أو (العصرانيين) أو (التنويريين) الذين دعوا إلى سلخ العقيدة أو ذوبان بعض مفاهيمها[٣]، وإحلال العقائد المنحرفة بديلة عنها.

تقول مجلة (الجنان) التي أصدرها "بطرس البستاني" سنة (١٨٧٠م - ١٢٨٦هـ) (إن أمس الأمة العربية هو أمس أمة لم تفن كلَّ زمن حياتها ولذلك لابدّ لها من غدٍ تعوِض فيه ما خسرته من الحياة في الأمس ، وهذا إنما يتم بالاتحاد بواسطة العصبة الجنسية الموافقة للعصبة الوطنية ، ولا أمل لنا بالعصبة الدينية لأن زمان النبوة قد مضـــى ، وقد تركنا الدين)[٤]

وقالت أيضًا (لابد أن تكون - في معابدنا إسلامًا و أرمن ودروزًا وموارنة وروماً وكاثوليكًا ونصيرية وسريانًا ،و غير ذلك في ميادين الأعمال - لنا راية واحدة ، واستبدال الحال إنما يكون بالاجتماع حولها بالغيرة والحمية والصداقة)

ولقد رفع القوميون شعار (العروبة) ليكون قاسمًا مشتركًا يتفق عليه المسلم والنصراني ، و في هذا يقول "نجيب عازوري" : (إن قاطني هذه البلدان العربية الشاسعة لايتميزَّ بعضهم عن البعض الآخر إلا بالأديان والطوائف والمذاهب التي لا تحصى ، أرجوك أن تحصي : مسلمون سنيون ، مسلمون شيعة ، ونصيريون ،

=

يُنظَر : الموسوعة الحرة عبر الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(١) **محمد شحرور :** من مواليد (دمشق) ، أستاذ الهندسية المدنية في جامعة (دمشق) ، مؤلف ومنظّر لما أطلق عليه (القراءة المعاصرة) ، تعلم في (دمشق) ، وسافر إلى الاتحاد السوفيتي ، وهو اليوم يعمل في جامعة (دمشق) له مؤلفات منها : (الكتاب والقرآن) و (الدولة والمجتمع)

يُنظَر : الموسوعة الحرة عبر الشبكة العنكبويتة . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٢) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٨٦ – ٨٧)

(٣) كالتعبير بـ(الجهاد العربي) (الكفاح العربي) (شهيد العروبة) (فلسطين قضية العرب) (الولاء القومي)

(٤) مجلة الجنان (١٨٧٠م – ١٢٨٦هـ) ، (ص٦٧٣ – ٦٧٧)

ودروز ، وموارنة وكاثوليك إنها حقيقة شائنة..... التعصب الديني ليس إلا سوى تطور في المصلحة الشخصية... إن التعصب القومي شعور عفوي وفطري تقريبًا ، كمثل الشعور العائلي الذي يأخذه بعين الاعتبار كل سياسي ، والذي يوجب إبعاد كل قضية دينية)[١]

وجاء في إحدى محاضرات جمعية "المنتدى الأدبي" : (إننا عرب قبل كل شـــيء ، المسلم عربي ، والمسيحي عربي قبل أن يكونمسيحيًّا ، وقد تركنا مسألة الديانات والعبادات إلى الجوامع والكنائس)[٢]

لم يعد للدين دور في ضبط الناس عن شهواتهم بعد أن ألغي من الحياة السياسية والاجتماعية ، وانتشر السفور في المدن الشامية ، وهانت العلاقات المحرمة والإغراءات الهابطة في نظر كثير من الناس[٣]، فهذه أجهزة الإعلام تمجّد العريّ العاطفي والجسدي ، وتشيع الرذيلة ، وتثير الجنس ، وهذا الجيل المعاصر تغتاله النزوات المتهوّرة ، وتتجاذبه الشهوات والشبهات ، وذاع الاختلاط في التعليم والنوادي والشواطئ والإدارات الحكومية والمؤسسات ووسائل المواصلات ،فلا عجب بعد ذلك أن تنهار الأسر وتتقوض البيوت[٤].

لقد سمّوا الرقص تعبيرًا عن حالة السُّرور و الفرح، والمرأة لوحة حية تجسّد ذلك المعنى ، والتمسك بالقيم رجعيةوتخلفًا ، وتأثر الشرق العربي بعوامل الهدم حتى لم يوجد عصرٌ تبجّح فيه الناس بالإلحاد الصريح كهذا العصر ، فقد تأسست أحزاب علمانية تجافي الدين، وأخرى يسارية تحارب المعتقدات الدينية ، أو قومية تُجمع على إحياء الجاهليات القديمة ، ومحاربة تطبيق شرع الله في السياسة والأخلاق والاقتصاد ، بل وسائر شئون الحياة في الأسرة والمجتمع .

ثالثًا : دعوة تحرير المرأة :

سبقت الإشارة إلى الحالة الاجتماعية في بلاد الشام ، وما كانت تحظى به المرأة من مكانة رفيعة في المجتمع وشراكة حقيقية في المسئولية عن الأسرة ، وتمسك بقيم

(١) نجيب عازوري ، الأمة العربية ، مرجع سابق ، (ص١٧٦)

(٢) توفيق برو ، العرب و الترك، مرجع سابق ، (ص٢٦٥)

(٣) محمد الناصر وخولة درويش ، المرأة بين الجاهلية والإسلام ، طبعة دار الرسالة ، مكة المكرمة، (١٤١٣هـ) ، (ص٢٢٩)

(٤) ينظر : سفر الحوالي ، العلمانية ، مكتبة جامعة أم القرى ، (١٩٨٢م-١٤٠٢هـ) ، (ص٦٤٣ – ٦٤٤) بتصرف .

الإسلام التي كانت كسياج منيع حال دون وصول المتآمرين إليها.

لم يكن هذا شأن المرأة المسلمة فحسب ، بل كان شأن النصرانيات واليهوديات من أهل الشام قريبًا من ذلك ،فكنّ يلبسن قبل الحرب العالمية الأولى الملاءات الساترات كالمسلمات ، ولا يرى منهن إلا الوجه ، وكان من النصارى من يأمر زوجته أن ترتدي الحجاب الشرعي ، وكانت حفلات الزواج تجري عندهم على نهج الإسلام آنذاك[١].

ومن طريف ما يحكيه الشيخ "علي الطنطاوي" : (أن وكيلة لثانوية البنات جاءت سافرة يومًا إلى مقر المدرسة فأغلقت دمشق كلها حوانيتها ، وخرج أهلها محتجين متظاهرين ، حتى روعوا الحكومة فأمرتها بالحجاب ، وأوقعت عليها العقاب ، مع أنها لم تكشف إلا وجهها ، ومع أن أباها كان وزيرًا وعالمًا جليلاً)[٢]

من المهم هنا أن ألمح إلى أن تأثر المرأة بمجريات الأحداث في العالم الغربي لم يكن على مستوىً واحدٍ في كل الأقطار العربية ، فمع أن مصر وسورية ولبنان كانوا أسبق الأقطار إلى تبني الأفكار التحررية إلا أن هذا لم يمنع من وجود اختلاف في درجة التحرر بين المرأة المصرية من جهة والمرأة السورية واللبنانية من جهة أخرى ، إذ إن الدعوة إلى التحرر تأخرت في بلاد الشام واصطدمت بعراقيل كثيرة بالنسبة إلى مصـــر ، حتى إن "عنبرة سلام الخالدي" شبهت رحلة المرأة اللبنانية المحجبة إلى القاهرة سنة (١٩١٢م – ١٣٣٠هـ) بالرحلة إلى (باريس) و(لندن) ، ولم تظهر آثار التفرنج على المرأة الشامية المسلمة وخصوصًا اللبنانية إلا سنة (١٩٢٨م – ١٣٤٦هـ) مع خلع "عنبرة سلام" حجابها بعد رحلتها لمدة سنتين إلى (لندن) ، وإلقائها المحاضرات في الأماكن العامة[٣] لزامدًا مع ظهور كتاب (السفور والحجاب) الصادر بعد وفاة "قاسم أمين"[٤] بعشرين سنة الذي ألفته أو ألف باسم "نظيرة زين الدين"[١]

---

(١) علي الطنطاوي ذكريات ،مرجع سابق ، (٢٩١/٥)

(٢) المصدر نفسه (٢٩١/٥) ، (٣١١)

(٣) نهى عدنان القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، إصدار مجلة البيان ، الطبعة الأولى (١٤٢٨هـ -٢٠٠٧م) ، (ص١٧-١٩)

(٤) **هو** : قاسم بن محمد أمين المصري . كردي الأصل ، نشأ في أسرة محافظة كان ذكيًا ، ولد ببلدة (طره) بمصر ، ونشأ وتعلم بـ(الإسكندرية) ثم بـ(القاهرة) ، وأكمل دراسة الحقوق بفرنسا ، وعاد منها بفكر جديد دعا فيه إلى تحرير المرأة ،عين مستشارًا بمحكمة الاستئناف ، له كتاب (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وكان لصدورهما دوي . توفي بـ(القاهرة) سنة (١٣٢٦هـ - ١٩٠٨م)

يُنظَر في ترجمته : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق: (ص٢٥٠) ، والزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٨٤/٥)

ولعل مما يثير الانتباه أن الذي قرّظه الشيخ "علي عبد الرازق"[٢] صاحب كتاب (الإسلام وأصول الحكم) والذي حكم الأزهر بإحراقه ، وفصل صاحبه من مشيخة الأزهر .

ليس هذا فحسب ، بل إن الاختلاف والتفاوت في التأثر بقيم التحرر الغربية كان ظاهرًا في أوساط المرأة الشامية نفسها ، إذ كان هناك فرق واضح بين النساء النصرانيات والمسلمات ، فكانت الأولى أسرع تأثرًا وتحررًا ، مما تجسد في كون أوائل المتعلمات والعاملات في الصحف والمؤسسات للجمعيات النسائية من النصارى[٣].

وقد شارك في بروز حركة تحرير المرأة شخصيات ذكورية ونسائية فكرية واجتماعية عملت على تحريك القضية ونقلها إلى الواجهة ، إضافة إلى القفزة الثقافية الهائلة التي تمثلت في تأسيس المدارس المختلطة ، و مدارس تعليم البنات التي دعت مناهجها إلى التحرر والمساواة بالرجل فضلاً عن حركة الصحافة وخاصة النسائية منها، وتأسيس الجمعيات النسائية المحلية ، ومشاركتها في المؤتمرات العربية والعالمية[٤].

وكانت يدُ الاستعمار تؤُزّ دعاة التحرير ، وتجعل الساحة النسائية حلبة صراعٍ دائم بينهم وبين دعاة التمسك بالقيم والوطنية ، ولعبت فرنسا وبريطانيا ومؤخرًا الولايات المتحدة الأمريكية عبر إرسالياتها وجامعاتها دورًا في ترجيل المرأة وإفساد أنوثتها في ديار الشام كلها[٥].

=

(١) **نظيرة زين الدين :** كاتبة ، سياسية ، درزية ، لبنانية من مواليد (الآستانة) ، زاولت العمل الصحفي . توفيت سنة (١٩٧٦هـ - ١٣٩٦هـ) في (بيروت) .

يُنظَر : الموسوعة الحرة عبر الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki4/june/2011

(٢) **هو** : علي بن حسن بن أحمد عبد الرازق . من أعضاء مجمع اللغة العربية بمصر، ولد في (أبي جرج) في محافظة (المنيا) تعلم بالأزهر ثم في (أكسفورد) سحبت منه شهادة الأزهر ، فانصرف للمحاماة، فانتخب في مجلس النواب فمجلس الشيوخ ،حتى عين أخيرًا وزيرًا للأوقاف . توفي سنة (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٧٦/٤)

(٣) نهى عدنان القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، ص١٨

(٤) المصدر نفسه (ص٢٠)

(٥) محمد الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٩١) بتصرف.

فهذا الكاتب الفرنسي الشهير "ايتني لامي" يكشف الوجه الخفي لهذا السعار في دعوى تحرير المرأة فيمقالٍ له نشر في مجلة (العالمين) الفرنسية فيقول (إن ضريبة تربية أبناء المسلمين ، وإن كان لها من التأثير مابيذَّاه ، فإن تربية البنات في مدارس الراهبات أدعى لحصولنا على حقيقة القصد ، ووصولنا إلى الغاية نفسها التي وراءها نسعى ، بل أقول إن تربية البنات بهذه الكيفية هي الطريقة الوحيدة للقضاء على الإسلام بيد أهله) إلى أن قال : (إن التربية المسيحية أو تربية الراهبات لبنات المسلمين توجد للإسلام داخل حصنه المنيععدوًّ الدودًا لا يمكن للرجل قهره ، لأن المسلمة التي تربيها يد المسيحية تعرف كيف تتغلب على الرجل ، ومتى تغلبت سهل عليها أن تؤثر على إحساس زوجها وعقيدته وتبعده عن إسلامه ، وتربي أولادها على غير دين أبيهم ، وفي هذه الحالة نكون قد وصلنا إلى غايتنا في أن تكون المرأة نفسها هي هادمة الإسلام)[1]

وسوف يأتي مزيد حديث عن هذا الموضوع عند دراستي لوسائل الانحراف الفكري في التعليم والاعلام –إن شاء الله تعالى- .

المبحث الثالث

(١) محمد فهمي عبد الوهاب ، الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ، دار الاعتصام ، بدون رقم وتاريخ ، (ص٧-٨)

وسائلهم في الميدان الاقتصادي

سبق الحديث عن الحالة الاقتصادية في بلاد الشام بما يغني عن الإعادة هنا ، ولكنّي أذكر هنا ما آلت إليه بلاد الشامخصوصًا في عهدي الانتداب والاستقلال ، وما صاحبهما من تغيرات تتعلق بالاقتصاد القومي ، ووعود خداعة بزيادة دخل الفرد ، وتنمية الموارد الاقتصادية للبلاد ونحو ذلك مما أوقع البلاد تحت نار الظلم والفقر ، فمن ذلك :

(١) إضعاف الاقتصاد الوطني (السوري واللبناني) وتطويعه لخدمة المستعمر :

كانت السياسة الاقتصادية في عهد الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان تعمل لمصالح فرنسا مما أضعف الاقتصاد الوطني ، وكان من أبرز ما قامت عليه هذه السياسة ما يلي :

١- ربط النقد السوري بالنقد الفرنسي .

٢-كانت السلطات الفرنسية تستغل سلطتها لمساعدة الشركات الفرنسية .

٣- إضعاف الصناعات السورية المحلية وغزوها بالمصنوعات الأوروبية وخصوصًا الفرنسية ، مما أدى إلى انتشار البطالة وتدهور الاقتصاد ، حيث كانت أوروبا خلال القرن التاسع عشر الميلادي تعيش ثورة صناعية كبرى - وخاصة في مجال صناعة النسيج - أغرقت أسواق العالم ببضائعها التي تميزت بالجودة ، والرخص ، وكان ذلك ضربة قوية للصناعات الحرفية المحلية في الشام ، التي لم تقو على الوقوف في وجهها .

وقاست الصناعة الحرفية من منافسة البضائع الأوروبية ، فضعفت وافتقر أصحابها وتضرر الاقتصاد المحلي بصورة عامة ، وكسدت المنتجات ، وأدى تدفق البضائع الأوروبية إلى بلاد الشام إلى قيام دكاكين متخصصة ببيعها ، وتعرض العاملون للإفلاس والفقر ، وعمدت السلطة القضائية إلى جرد ثروة المفلس وتوزيعها على الدائنين ، وشاع تهرب الحرفيين من دفع الضرائب ، ولجأ بعضهم إلى طلب حماية القناصل الأجانب ، والحصول على براءة من قبلهم لتحاشي الضرائب ، وأدت حركة البضائع المتدفقة من أوروبا إلى إنشاء موانئ تتسع لاستقبال السفن الكبيرة كميناء (بيروت) ، واقتضى ذلك إنشاء طريق (بيروت - دمشق) لتصريف البضائع في الداخل ، كما جرى التنسيق مع قبائل البدو المسيطرة على طرق المواصلات في بادية الشام لتسهيل انتقال القوافل التجارية بين (دمشق - بغداد) لنقل البضائع إليها من

(بيروت)[١].

كل هذا كان سببًا في حدوث أزمات اقتصادية في بلاد الشام ، وتزايد سعارها حين أنشئت شركات الملاحة الأوروبية في البحر المتوسط في القرن التاسع عشر ، وأدى ذلك إلى استخدام عدد كبير من الحجاج الأتراك طريق البحر للسفر إلى الحجاز ، وخاصة بعد افتتاح (قناة السويس) عام (١٨٦٩م – ١٢٨٥هـ) ، مما أنقص عدد الحجاج المارين بـ(دمشق) ، وحرمت (دمشق) وبلاد الشام عامة من كثير من النشاط التجاري الذي كان يرافق قافلة الحج .

وعلى الرغم من تلك التأثيرات المدمرة للاقتصاد الأوروبي على الاقتصاد المحلي إلا أن بعض الطوائف الحرفية تكيفت وحاولت التأقلم مع هذا التحدي ، وظهرت صناعات محلية تجمع بين المحلي والمستورد من ناحية المادة والزيّ ، ولمجابهة رأس المال الأوروبي المتفوق عمد التجار المحليون إلى التحول تدريجيًّا من الفردية التجارية إلى الشراكة لمواجهة التحدي ، ولكن ذلك لم يكفِ لدفع عجلة الاقتصاد المحلي ، وظل يدور في فلك الاقتصاد الأوروبي ، وحدثت تحولات اقتصادية واجتماعية عميقة في بلاد الشام[٢].

٤- إكراه الدويلات السورية الأربع وإجبارها على المساهمة في ميزانية قوات الشرق الفرنسية حتى وصلت عام (١٩٢٧م – ١٣٤٥هـ) إلى (٩٣,٠٠٠,٠٠٠) فرنك أي بنسبة ٢٤% من ميزانية القوات المسلحة[٣].

(٢) النظام المالي الاشتراكي في سوريا :

لم يكن الأمر بعد الاستقلال أحسن حالاً من سابقه ، فهذه الحركات والأحزاب القومية اليسارية - التي آمنت بمبادئ (النازية) ولغة الشيوعية الستالينية دون إدراك سليم للمرحلة التي تمر بها المنطقة العربية في نضالها ضد الاستعمار ومخالفاته - لم تحقق لأهالي الشام ولا شعوب البلدان العربية الأخرى إلا الفقر والبطالة وفساد العيش .

من سوء الاشتراكيين أنهم كثيرًا ما يختلفون ويلعن بعضهم بعضًا ، وفي هذا فرصة لكشف المهازل المستورة عن أعين الناس ، وهاهم ينددون بسوء الوضع

(١) محمد فهمي عبد الوهاب ، الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ، مرجع سابق ، (ص٥٢ – ٥٣)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٥٥ – ٥٦)

(٣) محمود حسن منسي ، الهلال الخصيب ، جامعة الأزهر ، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥هـ) ، (ص١٥٦-١٥٤) بتصرف .

الاقتصادي في سوريا البعث .

يقول "خالد الحكيم" و"نذير النابلسي" في بيان لهما : (إن الوضع الاقتصادي في سوريا وضع خانق لانعدام الاستقرار وبسبب نزوح الكفاءات والخبرات الفنية، وتهريب رؤوس الأموال ، ونزوح عدد كبير من العمال السوريين إلى الأردن ولبنان والدول العربية الأخرىبحثً ا عن العمل ، وهربًا من الاضطهاد والتعذيب)[١]

بل اعترف البعثيون أنفسهم أنه لم تقم في سوريا منذ عام (١٩٥٨م – ١٣٧٧هـ) أية مصانع ذات قيمة كبيرة أو أهمية ملموسة ، لأن المصانع التي أممت لم يقبض أصحابها الثمن ، ولهذا فإن أي متمول سوري مهما كانت ماليته يمتنع الآن عن المساهمة في أي مشروع قادم[٢].

كانت معظم المعامل في عهد الجمهورية العربية المتحدةمدينةً للدولة بأكثر من رأس مالها ، وصار الإصلاح الزراعي أعجوبة القرن العشرين ، إذ خضعت الملكية لأهواء موظف الإصلاح الزراعي وقيادة الحزب المحلية ولا سلطة لأحد عليهم[٣] ووقعت سوريا تحت حصار اقتصادي مروع إذ أصبح ٤٨% من الشعب السوري تحت خط الفقر ، وكثرت البطالةبشكلٍ مخيف ، وباتت كثير من الأسر مهددة بمجاعة بعد ثلث قرن من التجارب الاشتراكية[٤]، وبلغت الديون الخارجية اثنين وعشرين مليار دولار ، وكانت ١٨% من الأيدي العاملةعاطلةً في البلاد .

أوردت مجلة المجتمعمقالاً للكاتب "خالد الأحمد" تحدث فيه عن التدهور الاقتصادي في سوريا الاشتراكية فقال : (إن سوريا بلد زراعي غني بالخيرات ، وتتنوع فيه المزروعات ، وفيه من البترول والمعادن الخير الوفير...) إلى أن قال :(وكان الشعب السوري مكتفيًا يؤمن حاجته الأساسية والكمالية بسهولة ويسر ،ابتداءً من العامل البسيطوانتهاءً بالمدرس والموظف وخريج الجامعة ، إذ كان المدرس في المرحلة الثانويةمثلاً يوفر من راتبه فيتزوج بعد سنتين أو ثلاث من عمله ، ويشتري بيتًا ، وقد يشتري سيارة ، وبعد العهد الاشتراكي ماذا دهى العباد والبلاد؟)

ثم يقول : (بعد السبعينيات وبداية الثمانينيات صار كل موظف أو مدرس يعمل عملاً آخر بعد الدوام ليسد حاجته الضرورية ، وفي التسعينيات أصبح للموظف راتب

---

(١) يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، مكتبة وهبة ، (القاهرة) ، الطبعة السادسة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م) ، (ص٢٢٩)

(٢) يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، مرجع سابق ، (ص٢٣٠)

(٣) سامي الجندي ، البعث ، مرجع سابق ، (ص١٥٢)

(٤) محمد الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (١٥٩)

شهري يكفيه من سبعة إلى عشرة أيام في أحسن الأحوال، وعلى الموظف أن يبحث عن ثلاثة أضعاف راتبه من الرشوة إن تمكن ، أو من السرقة إن وجد ، أو عاش يستدين إن وجد من يدينه ، وبذلك سحقت طبقة المعلمين التي لا تجد رشوة ولا سرقة ، وصاروا يعملون في أعمال شاقة بعد دوامهم كحفر الأقنية وحمل الطوب من العمارات التي تبنى، وانهار التعليم ومسخت المدارس وصار البحث عن اللقمة هو الشغل الشاغل لملايين السوريين ،وقد هبطت مكانة الموظف الاجتماعية وارتفعت مكانة العامل الحرفي ، مما أدى إلى عزوف الشباب عن التعليم وخاصة التعليم العالي ، وانتشرت الرشوة بشكل لم تعهده سوريا من قبل وكانت النتيجة ارتفاع الأسعار بشكل جنوني ، وهبوط قيمة الليرة السورية ، أما الأسعار لبعض المواد الغذائية فقد كان سعر الكيلو من الخبز عام (١٩٨٠م – ١٤٠٠هـ) = ٨٫٥ل.س ليصبح في عام (١٩٩٥م – ١٤١٥هـ) = ٨ ل.س ، أما السكر فقد كان يساوي ١٫٥٠ل.س وها هو في عام (١٩٩٥م – ١٤١٥هـ) =٢٥ ل.س ، أما الّلحم فقد كان سعر الكيلو منه = ١٧ ل.س ليصبح ٢٠٠ل.س .

لقد أصبحت لقمة الخبز بعيدة المنال ، وفي مثل هذه المجاعة تتمكن المخابرات والأجهزة القمعية من تجنيد أكبر عددٍ تريده من أبناء الشعب)[١]

لقد شهد على سوء الوضع الاقتصادي في سوريا كبار البعثيين الذين ندّدوا بما وصل إليه البلد صاحب الخيرات الوفيرة ، فهذا "صلاح البيطار" يقول: (لقد أصبح الاقتصاد السوري على شفا الهاوية)[٢]

وها هو "سامي الجندي" -أحد مؤسسي حزب البعث ، وأحد أركان ثورة الثامن من آذار عام (١٩٦٣م -١٣٨٢هـ) - يتبرأ من حزبه ، ويصاب بالإحباط نتيجة سلوك قادته ، ويعدُّ الانتساب للحزب تهمةوعارًا يقول : (من كان منا يحسب أن تصبح كلمة بعثي تهمة يدفعها بعضنا عنهبسخرٍ مُرّ .. ؟ شبابنا الذي بعثرناه على دروب الشعب ، أحلامنا وإيماننا ، كل ذلك كانإذً اعبثً ا)

ويقول : (ظلّت بذور فكرة البعث فيأرضٍ يباب ، لا تعهدهايدٌ أصيلة فتمرع وتخصب ،فوجّههاكلٌّ على هواه ، فما تعلم : ماركسية هي أم نازية ، كأنها أصبحت أحجيةً ..)[٣]

---

(١) خالد الأحمد ، مجلة المجتمع ، العدد (١٤٥٤) في (١٤٢٢/٣/١٧هـ - ٢٠٠١/٦/٩م) بتصرف .

(٢) يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشر (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ، (ص٢٢٩)

(٣) سامي الجندي ، البعث ، مرجع سابق ، (٩-١٠)

ويقول "منيف الرزاز" – الأمين العام لحزب البعث الذي طرد من القيادة القطرية في (دمشق) - : (إن يسار هذه الفئة يشبه إلى حد كبير اليسار "الستاليني" ، فهو يسار يحمل معه كل أخطاء (الستالينية) وانحرافاتها)[١]

ومنذ عام (١٩٦٣م – ١٣٨٢هـ) وحزب البعث يحكم سوريا بأجنحته المختلفة ، ولا يزال يدور في فراغ باحثًا عن شعارات للجماهير بعد أن فشلت شعاراته الثلاثة (وحدة – حرية – اشتراكية)[٢] ، وهاهو الشيخ "علي الطنطاوي" - رحمه الله - يقول : (كان شعارنا في تلك الأيام (وحدة) (حرية) (اشتراكية) ، وهو شعار الاتحاديين لما قاموا في تركيا قبيل الحرب العالمية الأولى : (حريّت ،أخوَّت ، مساوات) ، وهو نفسه شعار الثورة الفرنسية ، وهو من وضع اليهود ، وضعوه خداعًا للناس وصرفًا لهم ببريق هذه الألفاظ عن حقيقة معناها، لقد فقدنا حريتنا وشعارنا الحرية ، وصرنا محبوسين مقيدين ونحن منفردون في بيوتنا....الخ)[٣]

المبحث الرابع

وسائلهم في الميدان التعليمي

(١) المدارس والإرساليات الأجنبية :

أ-في لبنان :

يعود تاريخ تأسيس المدارس في لبنان إلى القرن السابع عشر الميلادي مع دخول الإرساليات الأجنبية ، فمع أن هذه الحركات التبشيرية لم يتعد عملها التبشير في الأوساط النصرانية إلا أنها نجحت -بدافع المنافسة الدينية بين البعثات الكاثوليكية والفرنسية وبين البعثات البروتستانتية الأمريكية- في تنشيط حركة الطباعة والصحافة والترجمة إلى العربية وافتتاح المدارس في أنحاء متعددة من البلاد[٤].

---

(١) منيف الرزاز ،التجربة المرَّة ، طبعة بيروت ، (١٩٦٧م – ١٣٨٦هـ) ، (ص٢٨٨)

(٢) سامي الجندي ، البعث ، مرجع سابق ، (ص١٥٢)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥٩/٦)

(٤) حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ، مرجع سابق =

استمر هذا التنافس طوال القرن التاسع عشر ، حيث انضم إلى هذه البعثات التبشيرية بعثات إنجليزية ، استغلت جميعها ضعف الدولة العثمانية في تحقيق مصالح رعاياها ، ومستفيدة من التنوع الطائفي الذي يعاني منه لبنان ، والذي سمح لهذه البعثات أن تخطب ود النصارى من أجل تمرير البرامج التي ترعاها هذه البعثات ، فدخلت في علاقات تجارية مع النصارى في جبل لبنان ، وأوفدت قناصلها التجاريين الذين تحولوا إلى قناصل سياسيين ، وتطورت العلاقة بدخول هذه البعثات في تناقضات التركيبة الطائفية والسياسية ودعمها لمنطق التمايز من خلال التعليم ، وخلق الكوادر المرتبطة ثقافيًّا وسياسيًّا بالدول الغربية ،مما جعل للإرساليات الأجنبية دورًا كبيرًا في جبل لبنان خلال القرن التاسع عشر [1].

ومن أهم الأمور التي أدت إلى زيادة عدد المدارس الإرسالية ما تقدم من سياسة "إبراهيم باشا" الانفتاحية في بلاد الشام التي سمحت للبعثات التبشيرية الأجنبية بافتتاح مدارس لها خاصة ، فما أن وافت سنة (١٨٦٠م – ١٢٧٦هـ) حتى كان الأمريكان قد أسسوا ثلاثًا وثلاثين مدرسة تضم نحو (١٠٠٠) تلميذ ، خمسهم تقريبًا من البنات ، هذا بالإضافة إلى انتشار المدارس اليسوعية التي لمتكن أقل نشاطًا من منافساتها من البعثات الأمريكية ، فانتشرت مع مرور الزمن بشكل يوازي انتشار الأخرى ، وما إن أقبلت سنة (١٩١٤م – ١٣٣٢هـ) إلا وكان لفرنسا في سوريةولبنان وفلسطين (٥٠٠) مدرسة تمثل عشرين مجتمعًا طائفيًّا تضم بين جدرانها (٥٠٠٠٠) طالبٍ وطالبة [2].

وتجدر الإشارة إلى أن إنشاء المدارس لم يقتصر على الذكور ،بل تبعه إنشاء مدارس للبنات ثم المدارس المختلطة فيما بعد [3].

أما على الصعيد الوطني فقد كان لانتشار المدارس التبشيرية أثره في دفع بعض الوطنيين اللبنانيين إلى تأسيس مدارسهم الخاصة ، ليس فقط للدفاع عن ديانتهم ولكن أيضًا خوفًا من التوجهات التغريبية التي يتلقاها أبناؤهم في تلك المدارس ، ومن أمثلتها

=

سابق ، (ص١٣)

(١) عبد الله محيي الدين ، الجمعيات الأهلية في لبنان النشأة والتحولات ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، (٢٠٠٠م – ١٤٢٠هـ) ، (ص٢٠-٢١)

(٢) عبد الله محي الدين ، الجمعيات الأهلية في لبنان ، النشأة والتحولات ، مرجع سابق ، (ص١٤)

(٣) المصدر نفسه ، (ص١٤)

"جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية" التي أنشأت لها مدارس للبنين والبنات [١].

تجدر الإشارة إلى أن تعليم المرأة في بلاد الشام كان قد بدأ على يد قلة من النساء اللواتي درسن في المؤسسات التعليمية الأجنبية ، وكانت أول فتاة بيروتية تدخل مدرسة البنات الأمريكية في (بيروت) "ابتهاج أديب قدورة"[٢] ، وتخرجت فيها عام (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ)

وقد بلغ عدد اللبنانيات اللواتي حصلن على الشهادات الجامعية في تلك الفترة عشر لبنانيات ، وتوزعن على الشكل التالي : ثلاث طبيبات ، صيدليتان ، محامية واحدة، دكتورة علوم واحدة ، طبيبة أسنان واحدة ، ممرضة مجازة واحدة ، أستاذة جامعية واحدة ، ويلاحظ أن هؤلاء النسوة باستثناء الممرضة فإنهن جميعًا خريجات جامعات من خارج لبنان ، وذلك بسبب عدم تقبل المجتمع آنذاك فكرة اختلاط النساء والرجال على مقاعد الجامعة ، وعد دخول المرأة الجامعة نوعًا من الاسترجال ، وهذا ما دفع الجامعات المحلية إلى عدم الترحيب بوجود الفتيات في رحابها ، وولد الخوف في نفوس الفتيات فتمنعن بدورهن عن الانتساب إليها[٣].

ب – سوريا :

وأما سوريا فكانت المدارس أصنافًا ثلاثة : المدارس الأهلية ، والمدارس الأميركية (الحكومية) والمدارس النصرانية .

أللمدارس الأهلية فكانت أقوم سبيلاً ، وأكثر عددًا ، وكان لا يملكها إلا آحادٌ من الناس ، ليس للحكومة دخل في مناهجها ولا إدارتها ولا في اختيار معلميها ، وكانت تحرص على تلقين الطلاب العلوم الإسلامية وفعل الواجبات وترك المحرمات ، لكنها كانت معروفة بالشدة والقسوة في أسلوبها التربوي والإداري[٤].

---

(١) حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ، مرجع سابق ، (ص١٦- ١٨)

(٢) **ابتهاج أديب قدورة :** لبنانية ، ناشطة في العمل النسائي الاجتماعي في لبنان والعالم العربي ، تولت رئاسة العديد من الهيئات والجمعيات النسائية .

يُنظَر : شبكة المعلومات السورية القومية الاجتماعية عبر الشبكة العنكبوتية .

(٣) حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ، مرجع سابق ، (ص١٣١) زاهية قدورة ، المرأة البيروتية تاريخ ومواقف ، المركز الإسلامي ، بيروت – لبنان ، (ص٢٩) نهى القاطرجي ، الحركة النسائية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٤٢)

(٤) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ٣٣٢- ٣٣٣)

وكانت هذه المدارس درجات أدناها (الخجة) وهي امرأة تعلم في بيتها ، يأتي إليها الأطفال لتحفظهم قصار السور أو تلقنهم حروف الهجاء ، وهي في الغالب أمية أو شبه أمية ، لكن عندها شيء من المعرفة والإدراك ، وأعلى درجة من (الخجة) ما يسمى بـ (الكُتَّاب) وكان يدرس بها الأطفال قبل التحاقهم بالمدارس النظامية .

أما المدارس النصرانية فكانت خاصة بالنصارى ، ولم يكن لأبناء المسلمين مكان فيها ، لكنها امتلأت على مر السنين بأبناء المسلمين بحجة تعلم اللغة الأجنبية ، وكان لذلك أثره السيء على البلاد[١].

وكانت هناك ثلاث ثانويات أهلية كبيرة ، وكان رؤساؤها أو مديروها من أعيان سوريا كأمثال الشيخ "كامل القصاب " الذي تولى إدارة المدرسة (الكاملية) ، وتخرج في هذه المدارس رجالات وشخصيات كان لها دور كبير في بلاد الشام بعد ذلك[٢]

(٢) تغريب المناهج وتغييرها في سوريا ولبنان :

لما جاء الفرنسيون كان أول ما صنعوه أن جمعوا العلوم الإسلامية كلها في كتاب واحد سموه كتاب الديانة ، ثم حولوا عنوانه إلى (التربية الدينية) في مقابل التربية الرياضية للجسم ، والتربية الفنية (الموسيقى والغناء والرسم) ، وزادوا على ذلك بأن جعلوا لها ساعة واحدة في الأسبوع مثل الذي يعطى للرسم والموسيقى والرياضة ، والسؤال هنا : **ما الذي يمكن أن يتلقّاه التلميذ في ساعة واحدة من هذه العلوم الإسلامية : (التجويد والفقه والتوحيد والتفسير والحديث والمصطلح والأصول) ؟**[٣]
وزادت عدد الساعات الدراسية في المواد الطبيعية البحتة كالرياضيات بأقسامها وهي : (الحساب والجبر والمثلثات والهندسة والمسطحة والهندسة الفراغية والهندسة النسبية) وكالفيزياء بأنواعها ، والكيمياء بأقسامها ، والحيوان ، والنبات .

ثم أحدثوا نظامًا إلزاميًّا باطنه محاربة الإسلام وإضعافه في نفوس الأطفال وهو أن يتسلم معلم واحد الصف (الفصل) كله بمواده الدراسية كلها فيدرس (الدين والعربية والرياضيات والطبيعيات والرسم والموسيقى وكل ما يتلقاه الطلاب)علمًا أن من بين المدرسين ناس من النصارى وناس من المسلمين بالاسم البعيدين عن الإسلام عقيدة وسلوكًا ، وبعضهم شر من بعض النصارى ، فماذا كانت النتيجة ؟

كانت النتيجة أن يكلف تدريس القرآن من لا يؤمن به ، فيهمله ، وينفق الساعة في درس آخر غير القرآن .

---

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ٣٣٢)

(٢) المصدر نفسه ، (٣٣٥/٥)

(٣) كانت هذه المواد تدرس للطلاب في المدارس الأهلية التي أشرت إليها قبل قليل ، وكانت كل مادة تستقل عن الأخرى .يُنظَر : علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥/ ٣٣٨)

ثم تبع ذلك خطوة كانت أشد من الأولى وهي أنهم لم يدخلوا دروس الدين في الامتحان ، وأكثر الطلاب إنما يدخلون المدارس للشهادة ، ويحرصون على النجاح في الامتحان أكثر من حرصهم على العلم والفائدة ، فكانت النتيجة أن أهمل التلاميذ درس الدين ، ولماذا يدرسونه والعلم به لا ينفعهم والجهل به لا يضرهم لأن غايتهم النجاح والشهادة ؟ والثالثة أن الفرنسيين أضعفوا اللغة العربية بأن قرنوها بالفرنسية ، وجعلوا الطالب من حين دخوله المدرسة وعمره لا يتجاوز الست سنوات يبدأ بـ "ABC" الفرنسية مع " أ ب ت " العربية ، ورسموا هم والإنجليز للغاتهم خططًا ووضعوا لها أساليب تستهوي الأطفال لم تكن الشام يومئذ تملك مثلها أو جزءًا منها .

ومنعوا الكلام في الفسح القصيرة ودقائق الاستراحة زاعمين أنهم يقوموننا بذلك على تعلم اللغة الأجنبية حتى إنهم استحدثوا قطعة من الخشب أو المعدن تسمى (السينيال) ومعناه (العلامة) فكان حامل (السينيال) أحد أعضاء التدريس في المدرسة ، فإذا سمع من يتكلم العربية دفع (السينيال) إليه ، ومن حانت ساعة التدريس وهي معه ناله بسبب ذلك الجزاء ، وكان التلميذ الذي يحملها يريد التخلص منها ، وكان أحدنا يعرف من تاريخ فرنسا وتاريخ "نابليون" ومن جاء بعده من ملوك فرنسا ومن كان قبل الثورة ومن أخبار حكوماتها ما لا يعرفه عن تاريخ الإسلام[1].

(٣) الاختلاط بين الجنسين في سوريا ولبنان :

سبق الحديث عن أحوال المرأة في الشام وكيف كانت مصونة لا يستطيع أحد أن يتعرض لها بسوء ، فلا تخرج إلا بلباس طويل فضفاض ،وعلى وجهها ساترٌ سميك حتى النصرانيات واليهوديات من أهل الشام كنّ يلبسن "الملاءة" (العباءة) الساترة كالمسلمات ، لا فرق بينهن إلا أنهن يكشفن وجوههن فقط .

كان هذا هو السائد في مجتمع الشام في السوق أو الطريق حتى جاء المستعمر الفرنسي بلاد الشام وتربع على عرش الحكومة وشرع في التخطيط لحرب الإسلام والقضاء على كل شعار يتصل به عبر طريقين عظيمين : الشبهات والشهوات ، وهما بابان خطيران ، فأعداء الحجاب يقولون : إن تحرير المرأة واختلاطها بالرجال فيه تقوية لأواصر المجتمع وربطها برباطٍ متين ، ولن تنشأ عنه علاقات محرمة ، ولن ينتج عنه إلا الخير [2].

وقالوا إن الانحرافات الجنسية سببها حجاب النساء ، ولو مزقتم هذا الحجاب

---

(١) يراجع ما كتبه ، علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ٣٣٨ – ٣٤٣) بتصرف يسير .

(٢) محمد قطب ، واقعنا العصر ، مرجع سابق ، (٢٥٣)

لتخلصتم من كل ذلك . وخدع بذلك بعض المنتسبين للإسلام [١].

بدأ العدو في تنفيذ الخطوة الأولى للاختلاط ، ففرض الاختلاط في رياض الأطفال ، ولما جاءت الإذاعة انتقل الاختلاط إليها عبر برامج الأطفال ، فكانوا يجمعون الصغار من الصبيان والصبايا فيفصلٍ واحدٍ ، ثم سلموا التعليم في المدارس الأولية لمعلمات بدلاً من المعلمين ، وقاموا بإدخال المدرسين من الرجال على البنات بحجة فقد المدرسات القادرات ، وكانوا أول الأمر من المشايخ المعروفين في الشام ، وكان منهم شباب مستورون لا يعرف عنهم إقبال على المعصية ولا قوة في الدين ، ومنهم فاسق يخفي فسوقه ، ومنهم المجاهر به ، وتطور الأمر حتى احتجوا بضرورة إدخال (التربية الرياضية) فكشفت العورات واستبيحت المحرمات ، وكانت تقام حفلات مدرسية سنوية صنعوا فيها ما لا يجرؤون عليه في غيرها[٢].

صارت المدرسة تقيم حفلها بحضور الرجال الأجانب ، وتمثل فيه البنات ، ويرقصن بالثياب القصيرة الرقصة الرياضية ويدبكن (الدبكة الوطنية) وكلهن بالغات كبيرات متكشفات بأبهى زينة ويختمن الحفل بالتقاط الصور الملونة .

ثم اخترعوا نظام المرشدات (مثل نظام الكشافة للبنين) وصرن يذهبن في رحلات قصيرة في قرى (دمشق) ، ثم جاءت المصيبة التي أنست ما قبلها وهي نظام (الفتوة) أي لباس الجندية وتدريب المرأة على السلاح[٣] .

وصار الرقص لا الرقص الرياضي بل الرقص العادي مادة من المواد المقررة تجبر على تعلمه الطالبات ، وصارت فنون العري والإباحية المتمثلة في المسرح والسينما تدرس على أنها فن رفيع ، وصار الممثلون يتخرجون في جامعات متخصصة[٤] .

وحين ينوون إقامة معرض لأدوات تحضير الدروس التي صنعها المعلمون تترك مدارس البنين كلها بما فيها الثانوية المركزية للبنات ببنائها الضخم وأبهائها الواسعة ، ثم يفتح المعرض بدعوة الرجال لمشاهدة فرقة من البنات (الكشافات) يغنين على المسرح، ويأتين بحركات رياضية تبدي للأعين الفاسقة أكثر ما يخفى عادة من جسد الفتاة الجميلة التي اختيرت عمدًا أو مصادفة من بين الطالبات ، ثم امتد الشر حتى فتحوا ناديًا في قانونه أن العضو يجيء مع زوجته أو ابنته غير المتزوجة ، وكان الذي أقامه نفرٌ من الشيوعيين العرب الذين تسلموا فيما بعد شؤون المعارف ، وسنوا قوانين

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٥١/٥)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٣١/٥- ٣٣٤)

(٣) المصدر نفسه ، (٣٥٤/٥- ٣٥٥)

(٤) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص١٠٠)

إبليس حتى اغتالوا بها الفضيلة وهدموا بها معالم الإسلام .

يقول الشيخ "علي الطنطاوي" - رحمه الله - : (لقد بلغ من كيدهم أنهم ينقلون مدارس البنات من الأماكن المباني التي فيها الستر والبعد عن الرجال إلى الأحياء المكشوفة كما فعلوا في إحدى المدارس حين نقلوها من مكانها القديم المستور إلى أخرى (فيلا) جديدة في شارع محدث في ظاهر البلد مكشوفة من جهاتها الأربع ، لها شرفات دائرة بها ،وأسرِّة الطالبات تظهر من الطريق ، فإذا نهضن من النوم رآهن من يمشي في الشارع بثياب المنام ، ثم يدفعون خريجات دور المعلمات فيعملن حفلة خيرية فلا يجدن لها مكانًا في (دمشق) إلا مرقص العباسية ، ويطبعن البطاقة ويكتبن عليها: إنه سيغني فيها فلان - من فسقة المغنين - وترقص فلانة الراقصة المحترفة رقصًا بلديًّا)[1]

وهكذا سارت الأمور في عهد الانتداب وبعده ، إذ كان في كل مدرسة مستشار فرنسي هو الآمر والناهي ، ومدير المدرسة تمثال ، وفي كل وزارة مستشار هو الفاعل التارك ، والوزير صنم[2] .

ولما جاءت الوحدة مع مصر أنهدم السد وبلغ السيل الزبى ، وكادت تضيع العقيدة كلها في غمرة الدعوة إلى "الاشتراكية" ، وبقيت المعركة مستمرة ، وكانت سجالاً بين الحق والباطل إلى اليوم[3] .

لقد فرض الاختلاط في المدارس ،وفي مخيمات الفتوّة ، ونقل أكثر من ألف معلم من وزارة التربية إلى وزارات أخرى كالتمريض والمواصلات لأنهم من ذوي الاتجاه الإسلامي ، كما نقل معظم المعلمات ذوات اللباس الشرعـــي إلى تلك الوزارات ، ليمنعوا تأثير معلمي الدين ومعلماته على الأجيال الناشئة.

---

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٢٣/٥ – ٣٢٤)

(٢) المصدر نفسه ، (٥ / ٢٩٣) بتصرف .

(٣) المصدر نفسه (٣٦٤/٥ – ٣٦٥) بتصرف .

المبحث الخامس
وسائلهم في الميدان الإعلامي

أولاً : الصالونات الأدبية :

(الصالون) كما يقول "محمد قطب" : (مكان يُستقبل فيه الناس من عشاق لونٍ معين من ألوان الفن أو الفكر أو الثقافة .. الخ فيقضون فيه وقتًا للتعارف والتدارس ، و(التذوق) والتأثر ،فيكون بمثابة منتدىً لهم ،ولكنه منتدىً خاص ، لا يفتح لعامة الناس ، إلا من أذن له صاحب الصالون ورضي عنه ، وله تقاليده الخاصة التي ينبغي أن تراعى ، فهوأولاً و آخرًا بيت مملوك لصاحبه ، وصاحبه هو صاحب التصرف فيه)[١]، ويمكن ذكر أبرز الصالونات الأدبية خلال تلك الفترة وهي :

أ- الصالونات الأدبية السورية :

أولا : كان أول صالون أدبي عرف في الشرق العربي صالون "مريانا المراش"[٢] في سورية ، وكانت تثار فيه مناقشات عديدة في السياسة والأدب والاجتماع وبالأخص تلك المطارحات التي تناولت أخلاق الأوربيين وعاداتهم ونظرتهم إلى قضية التحرير ، وموضوع التربية والتعليم[٣].

وقد كان لسفر "مريانا هانم" إلى فرنسا أثره في نقل المبادئ الغربية إلى بنات جنسها وتشجيعهن على العلم اقتداءً بالمرأة الغربية [٤].

ثانيًا : صالون "زينب فواز"[٥] وكانت من أسرع المطالبات بحقوق النساء ،

---

(١) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٣٠٩)

(٢) **هي** : مريانا المراش بنت فتح الله بن نصر الله بن بطرس مرّاش . شاعرة وكاتبة ، مولدها ووفاتها في (حلب) نشرت مقالات في مجلة (الجنان) وجريدة (لسان الحال) كان لها علم بالموسيقى، قيل : إنها أول سيدة عربية سورية أنشأت مقالة في مجلة أو جريدة ، أصيبت بمرض آخر عمرها وتوفيت سنة (١٩١٩م – ١٣٣٧هـ)

يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧/ ٢١٠)

(٣) جورج كلاّس ، الحركة الفكرية النسوية في عصر النهضة (١٨٤٩- ١٩٢٨م = ١٢٦٥- ١٣٤٦هـ) دار الجيل ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م) ، (ص٤٨)

(٤) نهى القاطرجي ، الحركة الفكرية النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٤٨)

(٥) **هي** : زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم بن محمد بن يوسف فواز العاملي . ولدت في (تبنين) من قرى (جبل عامل) ببلاد الشام ، وتعلمت بـ(الإسكندرية) ، وانتقلت إلى (القاهرة) ، وزارت (دمشق) ، فتزوجت بـ"أديب نظمي الدمشقي" ، وافترقا بعد قليل ، وعادت لـ(القاهرة) ، وتوفيت بها سنة (١٩١٤م-١٣٣٢هـ)

=

فألّفت كتابًا دعته : (الرسائل الزينبية) شددت فيه على المطالبة بحقوق المرأة ورفع مكانتها الاجتماعية ، حتى حذت في بعض مقالاتها حذو نساء الغرب المتطرفات في القضية النسائية فطالبت بمنح المرأة كل ما يتعاطاه الرجل من الأعمال الاقتصادية والسياسية والإدارية وغيرها . ولها كتاب آخر هو: (الدر المنثور في طبقات الخدور) ترجمت فيه لأشهر النساء في العالم على اختلاف أجناسهن ومللهن[١].

وكانت الأديبة تعقد المجالس الأدبية الأسبوعية في دار زوجها "أديب نظمي" ويحضره عدد من مفكري الشام ، والغريب في هذا الصالون الأدبي ، أن صاحبته لم تكن ترى الرجال ولا يرونها ، وإنما تخاطبهم من وراء حجاب وكان زوجها رسولاً بينها وبين ضيوفها ، وكانت تطرح في هذه المجالس القضايا التي تتعلق بالمرأة ، وبخاصة ما يتعلق بوجوب تعليمها ، واتخاذ رأيها في مسألة الزواج ، وكثيرًا ما ناظرت الكتاب والأدباء في هذا الموضوع ، رغبة في تعزيز شأن المرأة الشرقية وتمهيد سبل تقدمها[٢].

ب – الصالونات الأدبية اللبنانية :

١- صالون "جوليا طعمة دمشقية"[٣] :

وكانت قد مارست التعليم في كل من لبنان ومصر وفلسطين ، وزاوجت في تحركها النسوي بين التعليم والصحافة والعلم الاجتماعي والتحرري ، وأسست في لبنان سنة (١٩١٧م – ١٣٣٥هـ) ملتقى (السيدات) الذي ضم مجموعة من نساء المجتمع البيروتي اللائي كن يلتقين في منزلها للتداول في الشؤون النسائية العامة ، ثم تحولت

=

يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٦٣/٣)

(١) عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ، (٨٣/٢- ٩١)

(٢) جورج كلاس ، الحركة الفكرية النسوية في عصر النهضة (١٨٤٩- ١٩٢٨م) ، مرجع سابق ، (ص ٢٣٢) ونهى القاطرجي ، الحركة الفكرية النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٤٦- ٤٧)

(٣) **هي** : جوليا طعمة . من مواليد (المختارة) بلبنان ، تعلمت بـ(صيدا) ، وتنقلت مدرسة بين فلسطين ومصر ولبنان ، وأنشأت في (بيروت) المجلة الشهرية (المرأة الجديدة) سنة (١٩٢١م – ١٣٣٩هـ) ، وكتبت في كثير من المجلات النسائية وغيرها ، وترأست جمعيتي (تهذيب الفتاة) و (الاتحاد النسائي) ،وكانت زوجةً لـ"بدر دمشقية" ، فسميت "جوليا طعمة دمشقية " على عادة الغرب في إلحاق الزوجة بلقب الزوج .

يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٤٧/٢)

هذه اللقاءات من جلسات تبحث في أعمال جامعة (السيدات) إلى حلقة أدبية وفكرية تبحث مسائل الفكر وشؤون الأدب والوضع الاجتماعي والسياسي الذي خلفته الحرب العالمية الأولى ،مما جعل من منزلها صالوناً أدبياً منتظماً بشكلٍ دوري سنة (١٩١٩م – ١٣٣٧هـ) ، وذاعت شهرته حين أسست "جوليا طعمة دمشقية" مجلة (المرأة الجديدة) عام (١٩٢١م – ١٣٣٩هـ) وهي أول مجلة نسائية عربية بحثت في قضايا المرأة وانضمامها إلى الجمعيات[١].

ولقد ضم صالونها الأدبي كثيراً من الشعراء والأدباء منهم : "أحمد شوقي"، و"خليل مطران"[٢]، و"مي زيادة"[٣]، و"جميل الزهاوي"[٤] ، وغيرهم من الرجال والنساء من لبنان وسورية والعراق وفلسطين[٥].

٢- صالون "مي زيادة" [٦]:

كان لصاحبة الصالون أثر كبير في الحركة الأدبية والثقافية في مصر بعد انتقالها من (دمشق) ، حتى فتنت أدباء مصر جميعاً في وقتٍ من الأوقات بظرفها – كما قالوا – ولطف حديثها ، وحسن استقبالها للرجال ، وثقافتها ، ولباقتها[٧]

---

(١) جورج كلاس ، الحركة الفكرية النسوية في عصر النهضة (١٨٤٩-١٩٢٨م = ١٢٦٥-١٣٤٦هـ) ، مرجع سابق (ص٢٤٥)

(٢) **هو** : خليل بن عبده بن يوسف مطران . مولود في (بعلبك) بلبنان ، سكن مصر ، وتولى تحرير جريدة (الأهرام) ، وأنشأ عدداً من المجلات ، لقب بـ(شاعر القطرين) ، له عدة روايات ، من تأليف "شكسير " و"كورناي" و"وراسين" وغيرهم ، توفي سنة (١٩٤٩م – ١٣٦٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢/ ٣٢٠)

(٣) ستأتي ترجمتها بعد قليل عند الحديث عن صالونها .

(٤) **هو** : جميل صدقي بن محمد فيض الزهاوي . مولده ووفاته بـ(بغداد) ، كردي الأصل ، ونسبه الزهاوي نسبة إلى (زهاو) وهي اليوم من أعمال إيران ، تقلب في مناصب مختلفة ، وله منحىً فلسفي حمل الناس على اتهامه بالزندقة ، توفي سنة (١٩٣٦- ١٣٥٤هـ)يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢/ ١٣٧)

(٥) نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٤٩)

(٦) **هو** : اسم مستعار للأديبة الكاتبة "ماري بنت عبده يوسف العجمي" ويقال لها "ماري بنت إلياس" من طائفة الروم الأرثوذكس ، أصلها من سكان (حماة) ، أبوها من لبنان ، أقام في فلسطين حيث ولدت "مي" وأكملت دراستها في (دمشق) وتمكنت من العربية والفرنسية والإنجليزية والإيطالية والألمانية ، لها شعر ونثر ، توفيت سنة (١٩٦٦م – ١٣٨٥هـ)يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١/ ١٢٥)

(٧) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (٣٠٩- ٣١٠)

عُرفت "مي" بصالونها الأدبي الذي كان يعقد في دارها كل يوم ثلاثاء ، وكان الصالون يضم رجالاً ونساءً أوروبيين وعربًا ، من المقيمين في مصر ، خاصة "النصارى" منهم ، ولم ينعكس تأثير صالونها إلا على طبقة محصورة من الرجال والنساء الأوروبيين والمصريين ، دون أن ينعكس انعكاسًا مباشرًا على أغلبية نساء المجتمع المصري ، وإن ظل يؤرخ على أنه أحد العوامل المساعدة في سير الحركة النسائية نحو التحرر [١].

٣- صالون "سلمى جبران الصائغ "[٢]:

تعتبر "سلمى" من رموز الحركات النسائية في لبنان . إذ أسست جمعية "النهضة النسائية" ، وجمعية "مقاومة السل" ، وقامت بالتدريس في كلية البنات العلمانية الفرنسية في (بيروت) ،وترأست حينًا مجلة (صوت المرأة) قبل أن تهاجر إلى البرازيل وتعود ثانية إلى لبنان .

أقامت "سلمى" صالونها الأدبي في دارتها القائمة في (بيروت) ، في الأربعينيَّات والخمسينيَّات من القرن الماضي ، وكان من مرتاديه رواد في العمل النسوي من الرجال والنساء منهم "إميلي فارس إبراهيم" -ناشطة في العمل النسوي في لبنان- ، و"إفلين بسترس" -إحدى قائدات الحركات النسائية في لبنان-[٣] .

ثانيًا : **السينما والمسرح :**

كان الهدف من إقامة السينما والمسرح في البلاد الإسلامية وخصوصًا في مصر والشام خلال هذه الفترة هو تحطيم شريعة الإسلام التي تمنع الاختلاط وتنفر من الفاحشة والانحلال الخلقي ، إذ كانت هذه الشريعة - مع كونها في أضعف فتراتها- عقبة ضخمة في سبيل الإفساد الخلقي الهائل الذي تهدف الصليبية إلى إحداثه في المجتمع الإسلامي[٤].

وقد كان هناك تشجيع خفي لنشر هذا النوع من الفن ، سواء كان الذين ينقلون

---

(١) محمد إسماعيل المقدم ، عودة الحجاب ، مرجع سابق ، (١/ ١٢٥)

(٢) **هي** : سلمى بنت جبران الصائغ . من أهل (بيروت)مولدًا ووفاةً ، قرأت العربية على "إبراهيم منذر" و"حبيب اسطفان" واستكتبها الفرنسيون بعد احتلال لبنان ، أسست جمعيات نسائية صحفية ، توفيت سنة (١٩٥٣م – ١٣٧٣هـ)

يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣/ ١١٤)

(٣) نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٥٠)

(٤) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٢٣٥)

ويترجمون هذه القصص والمسرحيات واعينتمامًا للدور أو غير واعين[١].

يذكر الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- بدايات السينما في الشام ، وأنه لم تكن في البلد أوائل القرن العشرين إلا سينما أنشأها الأتراك للدعاية الحربية كان موقعها في أرض البرلمان اليوم ، وكانوا يعرضون فيها مشاهد عسكرية ومعارك مما خاضه العثمانيون في الحرب العالمية الأولى ، ثم احترقت وبقيت مهجورة مدة طويلة حتى خربت ، وسينما أخرى اسمها (زهرة دمشق)أُنشئت بعد ذلك ، وثالثة أخرى ، وكانت السينما صامتة مرتجفة ، ولم يكن يدخل السينما إلا بعض الشبان خلسة من وراء ظهور أهليهم ومعلميهم[٢].

وكان عامة الناس آنذاك فيهم عاطفة إسلامية ، وحمية ، وغيرة على الإسلام حتى إن جماعة من العامة وفيهم عدد من الطلاب هجموا مرة على سينما في وسط البلد ، وأوقفوا العرض ، ويذكر الشيخ "الطنطاوي" أن السينما في تلك الفترة كان عندها بقية من حياء ،فهي تخصص أيامًا للنساء وأيامًا للرجال[٣].

ثالثا : **اللغة والأدب :**

ظهرت في هذه المرحلة التي نتحدث عنها محاولات الفصل بين (الأجيال الحديثة) وبين تراثها الفكري والأدبي المستمد من الإسلام ، ووصلت هذه المحاولات إلى النيل من لغة القرآن الكريم واستبدالها بالحروف اللاتينية كما فعل "أتاتورك" ، وحاول آخرون أن يدعوا لكتابة الأدب باللغة العامية لعل هذه اللغة أن تنمو حين تصير لغة الفكر والأدب فتقتل اللغة العربية كما قتلت الفرنسية والإيطالية وغيرهما اللغة اللاتينية التي تفرعت عنها في صورة لغات عامية في أول الأمر ، ثم تحولت إلى لغات حية وقتلت اللغة الأم[٤].

ولقد باءت محاولاتهم بالفشل ، وكان هذا من أغيظ الأمور على دعاة التغريب وما يزال ، ولكنهم حين فشلوا في القضاء الكامل على اللغة العربية -رغم محاولات تشويه صورتها في أذهان (الأجيال الحديثة) بالحديث عن صعوبتها ، وجمودها ، وعجزها عن الوفاء بما يراد منها سواء في مجال الأدب والفكر أوالعلم والفن- فقد

---

(١)المصدر نفسه ، (ص٢٣٦)

(٢) علي الطنطاوي ، (دمشق) صور من جمالها وعبر من نضالها ، مرجع سابق ، (١٧٠)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق (٣١١/٥)

(٤) انظر محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٢٩٥)

سعوا إلى قطع الصلة بها أو توهينها عن طريق بث فكرة (التطور)[١] سواء في المجال العلمي أو المجالات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية ، التي تأثرت بها أوروبا بفعل اليهودية العالمية [٢].

ولقد كان من وسائل العدو لمحاربة اللغة العربية محاولة صهر الشعوب الإسلامية المغلوبة بالشعوب الغالبة ، وذلك بفرض لغة الغازي على أفراد الشعب المغلوب ، كما تقدم من صنيع فرنسا في مناهج التعليم في الشام .

وقلُخذ فرض لغة الغازي أشكالاً وصورًا :

فمن ذلك : جعْل لغة الغازي لغة إجبارية في المدارس منذ المرحلة الابتدائية حتى المرحلة الجامعية فما فوق ذلك ، واعتبارها هي اللغة الأولى في البلاد مع إهمال اللغة العربية بدعوى أنها لغة وطنية لا تحتاج إلى تعليم واسع ، وهم يخلطون في هذا الكلام بين اللغة العامية المنتشرة وبين اللغة العربية لتنطلي الحيلة على أفراد الشعب ، فلا يمر على الشعب المغلوب عقود من السنين حتى ينشأ فيه جيل ينطق بلغة المستعمرين مثلما ينطق بها أهلها ، وأما لغته العربية الأساسية فتصبح لغة منسية حتى إذا أراد أن يتحدث بها أخذ يرطن كما ترطن الأعاجم[٣].

ثم يتبع ذلك صورة أخرى وهي الإلزام بأن تكون لغة المستعمر هي لغة دوائر الحكومة ودواوين الدولة ، ويرافق ذلك حرمان طالب العمل أو الوظيفة مما يطلبه ما لم يكن متقنًا للغة الغزاة إتقانًا جيدًا ، ونجم عن ذلك ابتعاد (الأجيال الحديثة) عن مصادر الشريعة حتى صار أحدهم وهو العربي الأصيل لا يحسن تلاوة سورة من القرآن الكريم ولا حديث من أحاديث رسول الله ﷺ ، أو حتى قصيدة من قصائد العرب ، أو كتاب خط باللغة العربية مهما كانت عباراته أو مفرداته سهلة[٤].

وظهرت الدعوة إلى العامية داخل البلاد العربية ، وكانت أول ما ظهرت في كتابات عدد من المستشرقين إذ وصفوا العامية باللين والسهولة ، والقدرة على تلبية

---

(١) فكرة التطور تعني : (أن كل حديث هو خير من كل قديم لمجرد أن هذا حديث وذاك قديم فقط ، بصرف النظر عن أي أسباب أخرى ،ولما كان الإسلام قديمًا قد مضى عليه أكثر من ثلاثة عشر قرنًا ، فالتطور يقتضي نبذه والأخذ بما جد بعده وهو الحضارة الغربية)

يُنظر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٢٩٦)

(٢) يُنظَر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٢٩٦)

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، دار القلم ، (دمشق) - سوريا ، الطبعة الثامنة (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، (ص٣٥٥)

(٤) المصدر نفسه ، (ص٣٥٥-٣٥٦)

رغبات جميع الأفراد في التعبير عما يخطر في نفوسهم ، وألبسوا العربية الفصحى صفات التعقيد والشدة ، وعدم قدرتها على تلبية رغبات جميع الأفراد في التعبير عن خلجات نفوسهم ، ودعوا إلى الكتابة بالعامية زاعمين أن ذلك سيخلق في الأفراد حوافز الاختراع والابتكار بعيدًا عن الضوابط والقواعد التي تشتمل عليها اللغة العربية[١].

وأول من حث على التحول من الكتابة باللغة العربية الفصحى إلى الكتابة بالعاميات الإقليمية داخل البلاد العربية هو المستشرق الألماني "ولهلم سبيتا" حيث وضع كتابًا سماه (قواعد اللغة العربية العامية في مصر) ، وأورد نبذة عن فتح العرب لمصر سنة (١٩هـ - ٦٤٠م) ، وأنهم قضوا على اللغة القبطية الأصلية التي لم يبق من أثارها سوى بعض المفردات ، وحاول أن يثير العنصرية العرقية المصرية ضد اللغة العربية ، ودعا في آخر كتابه إلى اتخاذ العامية المصرية لغة أدبية ، وأجاب على اعتراضات يمكن أن توجه ضد مشروعه الخطير ظن أنه يخدر بها عواطف المسلمين[٢].

وعلى الرغم من أن الدعوة لم يكتب لها النجاح في العالم العربي إلا أن الغزاة المقنَّعين لم ييأسوا من تحريك أجهزتهم وتكرير محاولاتهم ، ففي حزيران سنة (١٩٧٣م – ١٣٩٣هـ) انعقد مؤتمر في لبنان تقدمت فيه بعض الهيئات الأجنبية بمشروع (العربية السورية) اشتمل على عناصر هدم لمعالم اللغة العربية ، حتى إن شيخ الأزهر يومئذ "عبد الحليم محمود"[٣] استنكر وحذر من مآلاته ، وأورد "عمر فروخ"تقريرًا عن المؤتمر كشف فيه بعض خيوط المكيدة فقال : (وفي أثناء الجلسات الرسمية للمؤتمر ، وفي الفترات المتعددة بين الجلسات جرت بحوث واقتراحات وملاحظات ، جعلتني أوجس خيفة شديدة من المشروع ، إن كل ما دار في مؤتمر (برمانا)[٤]كان يولِّد فيَّ شعورًا بأن الغاية الأولى والأخيرة من المؤتمر الاهتمام بالعامية ، لقد حضر هذا المؤتمر عدد قليل من اللبنانيين ونفر من العرب غير اللبنانيين

---

(١)عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، مرجع سابق ، (ص٣٥٨)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٣٥٩-٣٦١)

(٣) **هو** : عبد الحليم محمود . ولد في إحدى قرى (محافظة الشرقية) بمصر ،كان صوفيًّا ، شاذلي الطريقة ، درس في عدد من كليات الأزهر ، وتولى عمادة كلية أصول الدين ،فأمينًا عامًّا لمجمع البحوث الإسلامية فوكيلاً للأزهر فوزيرًا للأوقاف فشيخًا للأزهر، توفي سنة (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٢٢٢)

(٤) اسم المكان الذي عقد فيه المؤتمر .

، وكثرة من الأجانب لفت نظري أن جلهم من الرهبان اليسوعيين ...)[1]

هذا بالنسبة للغة ، أما الأدب فقد كانت له مجالات واسعة رحبة ، كان لها أثر كبير في إفساد المجتمع فكرًا وثقافة ، واتسعت دائرة الإفساد لتغزو البلاد العربية وتقضي على ما بقي من معالم الشريعة .

فمن ذلك قيام ما عرف بالروابط الأدبية التي أسسها معظم نصارى الشام وأهل المهجر الذين دعوا إلى الثورة على التراث العربي والإسلامي ، ونادوا بمصطلح (التجديد) والاطلاع على أدب الغرب وفلسفته لتحقيق النهضة العربية .

وكان من أبرز هذه الروابط والمدارس الأدبية :

١- الرابطة القلمية :

ظهرت هذه الرابطة أول تكوينها في مدينة (نيويورك) سنة (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) على يد شعراء مهجريين نصارى ؛ كـ "أمين الريحاني "[2] ، و "جبران خليل جبران"[3] ، كما اشترك في تأسيسها نفر آخرون من نصارى لبنان ؛ مثل : "إيليا أبو ماضي"[4] و"نسيب عريضة"[1] وآخرين[2].

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، مرجع سابق ، (ص٣٦٨ – ٣٧٠)

(٢) **هو** : أمين بن فارس بن أنطون بن يوسف البجاني . المعروف بالريحاني ، ولد في لبنان وتعلم أول عمره بها ، ثم رحل إلى أميركا ، أولع بالتمثيل والتحق بإحدى فرقه ، وتردد بين بلاد الشاموأمريكا ثماني مرات في خمسين عامًا ، وزار نجدًا والحجاز واليمن والعراق وغيرها ، انتخب عضوًا مراسلاً للمجمع العلمي العربي سنة (١٩٢١م – ١٣٣٩هـ) ، مات سنة (١٩٤٠م - ١٣٥٩هـ)

يُنظَر في ترجمته : جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، بيروت – لبنان (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) ، (ص٢٢٠)

(٣) **هو** : جبران بن خليل بن مخائيل بن سعد . من شعراء المهجر ، أصله من (دمشق) ، ولد في قرية (بشري) بلبنان ، وتعلم بـ(بيروت) ،ورحل إلى (باريس) وأمريكا ، وتوفي بها سنة (١٣٤٩هـ-١٩٣١م)

يُنظَر في ترجمته : جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، بيروت – لبنان (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) ، (ص٢٢٦)

(٤) **هو** : إيليا بن متاهر أبو ماضي . من شعراء المهجر ، ولد في قرية (المحيدثة) بلبنان ، واشتغل ببيع السجائر في (الإسكندرية) ، هاجر إلى أمريكا ، وأصدر جريدة (السمير) الأسبوعية ثم اليومية، له عدة دواوين ، توفي سنة (١٩٥٧م - ١٣٧٧هـ)

يُنظَر في ترجمته : جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، بيروت – لبنان (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) ، (ص٢٥٣)

كانت هذه الرابطة ذات اتصال مشبوه ، وانتماء لبعض المنظمات السرية التي تخدم مخططات الصهيونية على المستوى الاجتماعي ، وعلى رأس هذه المنظمات السرية (المحافل الماسونية) ، ولقد كان الثالوث المهجري "الريحاني" و"جبران" و"ميخائيل نعيمة"[٣] أعضاء نشطين في المحافل "الماسونية" الأمريكية ، وكان "الريحاني" أخطر الثلاثة في هذا المجال ،حتى إن اتصالاته المشبوهة تعدت صراحةً الجانب الأدبي إلى أبعاد أخرى بالغة الخطورة ، حتى إن صاحب كتاب (لعبة الأمم) قرر أنه لولا "الريحاني" لربما اختلفت خريطة الشرق الأوسط المعاصر[٤].

أما "ميخائيل نعيمة"فقد اعترف صراحةً بانتمائه لأحد المحافل "الماسونية" الأمريكية . وهذا "عبد الكريم الأشتر"[٥] يكشف لنا بأن المصدرين الذين أثرا في التكوين الفكري والأدبي لشعراء (الرابطة القلمية) هما : (الثقافة المسيحية) وما انتهت إليه من فلسفات الشرق وأديانه ، و(الثقافة الأجنبية) وما اطلعوا عليه من آداب الغرب

=

(١) **هو** : نسيب أسعد عريضة . من مواليد (حمص) ، تعلم بها وهاجر إلى أميركا ، وأقام في (نيويورك) ، وأنشأ مجلة (الفنون) ، وتولى عددًا من الجرائد ، توفي سنة (١٩٤٦م - ١٣٦٥هـ)

يُنظَر في ترجمته : جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، مرجع سابق ، (ص٢٧٢)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقائدية ، مرجع سابق ، (ص٣٠٩)

(٣) **هو** : ميخائيل بن يوسف نعيمة . من أشهر أدباء المهجر الشمالي ، ولد في (بسكنتا) في لبنان ، انتسب إلى جامعة (واشنطن) وبقي بها حتى منح العالمية في الآداب والحقوق ، تولى أمانة سر (الرابطة القلمية) ، توفي سنة (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت ب.كامبل ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (١٣٣٧/٢)

(٤) جمال سلطان ، أدب الردة (قصة الشعر العربي الحديث) مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام - بريطانيا ، (١٤١٢ هـ - ١٩٩١م) ، (ص١٣٩ – ١٤٠) ، مجلة الحوادث اللبنانية بعنوان : "أمين الريحاني هل كان عميلاً للأميركيين ؟ في (٣ /نيسان /١٩٧٠م = ١٣٩٠/١/٢٧هـ)

(٥) **عبد الكريم الأشتر :** ولد في (حلب) سنة (١٩٢٩م – ١٣٤٧هـ) ، وتعلم في مدارسها ، واشتغل بالتدريس في مدارسها ،عمل في عددٍ من الجامعات العربية ، أحيل للتقاعد من جامعة (دمشق) سنة (١٩٨٨م – ١٤٠٨هـ)

يُنظَر : تراجم أعضاء اتحاد الكتاب العرب في سورية والوطن العربي عبر الشبكة العنكبوتية . www-qwu-dam.org/dalil5/june/2011

وفلسفاته [١].

ويصف "إسماعيل أدهم" -أحد نقاد الأدب المعاصرين- بأن هذا الأدب لم يكن فيه من العربية سوى الاسم ، وإلا فهو غربي الروح ، أوروبي الأخيلة[٢] .

بل صرح أحد مؤسسي الرابطة وهو "عبد المسيح حداد"[٣] بأنهم كانوا ينظرون إلى الأدب العربي على أنه الوجه الآخر للعقيدة الإسلامية ،وأن ذلك الأمر كان اعتقادًا اجتمع عليه عدد من أعضاء الرابطة[٤].

٢- جماعة " أبولّو " :

تنسب هذه الجماعة إلى "أبولّو" -أحد آلهة الفينيقيين الوثنية- ، ونشأت هذه الجماعة في مصر أوائل العقد الرابع من القرن العشرين ، على يد "أحمد زكي أبو شادي"[٥] سنة (١٩٣٢م – ١٣٥٠هـ) ، وكان غربي النشأة ، والتكوين النفسي والمزاج والمزاج فقد عاش أكثر حياته هناك ، ومع العمر القصير لهذه المدرسة كحركة فكرية وأدبية حيث لم يمتد عمرها أكثر من سنتين إلا أنها استطاعت أن تلد من رحمها - على الساحة الأدبية والشعرية خاصة جيلاً يمكن تسميته بالمدرسة الشعرية التي انتقلت إلى البلاد العربية الأخرى ، وبقيت فيها عدة عقود ، واعتبرت رائدة الحركة الرومانسية في الشعر الأدبي .

وكانت هذه الجماعة هي الأخرى على صلة بالمنظمات اليهودية السرية ؛ إذ كان "أبو شادي" نفسه أحد رجال "الماسونية" الكبار في مصر وقد وضع مؤلفات دعى فيها إلى "الماسونية" ومن هذه الكتب : (روح الماسونية والبناية الحرة) ، وقد كون في مهجره خلية ماسونية تدعى (رابطة منيرفا) وألتف حوله نفر من الشرقيين ، وكان من

---

(١) عبد الكريم الأشتر ، النثر المهجري ، دار المكتبة الفكر ، طرابلس الغرب و الطبعة الثالثة ، (١٩٧٠م) (ص٢٤)

(٢) المصدر نفسه ، (ص١٩٤)

(٣) **هو :** عبد المسيح حداد . صحفي مهجري ، ولد بـ(حمص) وتعلم بها ، هاجر إلى (نيويورك) ، وأصدر جريدة (السائح) ، وكان من مؤسسي (الرابطة القلمية) ، توفي سنة (١٣٨٢هـ-١٩٦٣م)

يُنظَر في ترجمته : جورج صيدح ، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية ، مرجع سابق ، (ص٢٨٥)

(٤)عبد الكريم الأشتر ، النثر المهجري ، مرجع سابق (ص٣٠)

(٥) **هو** : أحمد زكي بن محمد بن مصطفى أبي شادي . طبيب ، أديب ،نحّال ، ولد بـ(القاهرة) ، وتعلم بها وبجامعة (لندن) ، وعمل في وزارة الصحة بمصر ، ضاقت به مصر فهاجر إلى (نيويورك) ، توفي فجأة سنة (١٣٧٤هـ-١٩٥٥م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٢٧/١)

بينهم الشاعر "يوسف الخال"[١] الذي أسس فيما بعد حركة شعرية جديدة في لبنان ، وكانت هذه الخلية تعقد ندوات أدبية كل شهر[٢].

تبنتهذه الجماعة اتجاها تغريبيًّا بالشعر العربي من خلال مجلتها الأدبية التي تصدر باسمها ، وأبرزت من خلالها أشعار المومسات والراقصات ، ووصل الأمر إلى نشر الصور العارية إلى جوار قصائد المؤسس "أحمد زكي أبو شادي" كقصيدتيه (في الحمام) و (حمام الشمس) ، وقلده في صنيعه بعض تلامذته ، وكان هذا الصنيع في الوقت الذي كان الاستعمار يخنق حرية الشعب وكرامته ، ويروج لمثل هذه الدعوات[٣].

وحين اطلع على مجلة الجماعة "محمد خير رمضان يوسف"[٤] قال : (ألفيت كل صورها ورسوماتها على عري رجالاً ونساءً ، هذا في الشكل ، والله المستعان على ما في المضمون)[٥]

هل عجزت هذه الجماعة عن أن تجد في قاموس العربية وتاريخ العرب الطويل اسمًا عربيًّا يصلح كلافتة على رأس تجمعها العربي حتى تلجأ إلى أساطير الإغريق لتأخذ اسم أبو للّو) لترفعه فوق رأسها العربي؟[٦]

٣- مدرسة الحداثة :

---

(١) **يوسف الخال** : من مواليد قرية (عمار الحصن) بسورية الوسطى لوالد قسيس ، وانتقل معه إلى (طرابلس) ، تخرج في الجامعة الأمريكية بـ(بيروت)متخصصًا في الفلسفة ، وسافر لأمريكا ، ثم عاد ليعمل في نفس الجامعة ، أسس في لبنان مجلات منها (أدب) و(آفاق) و(شعر) وهي التي حملت لواء الحداثة ، له عدة مؤلفات منها (الحداثة في الشعر) ، توفي سنة (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٥٢٥/١)

(٢) جمال سلطان ، أدب الردة (قصة الشعر العربي الحديث) ، مرجع سابق ، (ص١٤١ – ١٤٢)

(٣) المصدر نفسه ، (ص١٣٥ – ١٣٦)

(٤) **محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف** : كاتب ، مؤرخ سوري ، له عدة مؤلفات وتصانيف في فنون عدة ، ولد في قرية (كري بري) في محافظة (الحسكة) بسوريا ، وتنقل في أعمال عديدة .

يُنظَر في ترجمته : سيرته الذاتية بقلمه في الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki5/june/2011

(٥) محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، دار بن حزم ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) هامش (ص١١٥)

(٦) جمال سلطان ، أدب الردة ، مرجع سابق ، (ص١٢٢)

الحداثة : مذهب فكري أدبي علماني ، بُني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل "الماركسية" و"الوجودية" و"الفرويدية" و"الداروينية" ، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل "السريالية" و"الرمزية" وغيرهما[١].

وتهدف الحداثة إلى إلغاء مصادر الدين وما صدر عنها من عقيدة وشريعة بحجة أنها قديمة بالية ، وهي خلاصة مذاهب خطيرة ظهرت في أوروبا منذ القرن التاسع عشر الميلادي على يد كثير من الأدباء "السرياليين" و"الماركسيين" و"البعثيين" الذين كانوا في باريس ، ولقيت ترحيبًا لدى الأدباء الماديين والعلمانيين والملحـــدين في الشرق والغرب ، حتى وصلت إلى شرقنا العربي والإسلامي[٢].

ومن أبرز رموز مذهب "الحداثة" من الغربيين "شارل بودلير" ، ويعد مؤسس الحداثة في العالم الغربي ، وأستاذ الحداثيين في العصر الحديث ، وقد نادى بالفوضى والانحلال ، حتى إن فرنسا على ما فيها من انحلال وانحراف منعت نشر بعض قصائده عندما طبع ديوانه في باريس سنة (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ)[٣]

ومع ذلك فقد سودت الصحف العربية صفحاتها في الحديث عنه والإشادة بقصائده[٤]، وكان "بودلير" قد أفاد من أفكار الأمريكي "إدغار" الذي كان يدعو إلى التمرد على العقيدة والأخلاق ،ومن رموزهم أيضًا : "مالا راميه" و "ما يكو فسكي".

ثم وصلت الحداثة في الغرب شكلها النهائي على يد اليهودي الأمريكي "عزرا باوند" والإنجليزي "إليوت" ، وتأثرت بهم الموجات الأولى من الحداثيين العرب تأثرًا كبيرًا [٥].

وقامت مؤسسات دولية مشبوهة سياسية أو ثقافية بدعم إنتاج رموز "الحداثة" من مجلات شهيرة أو إصدارات بالرغم من ضحالة الأسلوب وانحراف التصور وسطحية المحتوى ، ففي لبنان انتقلت حيوية الحركة الشعرية إليه خلال العقدين السادس والسابع من القرن العشرين الميلادي بفعل ثلاث بؤر أدبية ناشطة تحلقت حول ثلاث مجلات وهي على التوالي (الآداب ومجلة شعر ومجلة حوار) ، وكان الخط النفسي والفكري متقاربًا إلى حد بعيد بين البؤر الثلاث في الدعوة إلى (أيديولوجية)

(١) المصدر نفسه (٨٦٧/٢)

(٢) المصدر نفسه (٨٦٧/٢)

(٣) عوض محمد القرني ، الحداثة في ميزان الإسلام ، طبعة دار هجر (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ، (ص(٢٢-٢٣)

(٤) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٣١٤)

(٥)محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٣١٥)

وجودية مبدؤها العدم ، والفتيات ، وحرية الوجود الفردي .

وكانت هذه المجلات الثلاث تتبنى في صراحة ووضوح عملية تغريب الشعر العربي تغريبًا تامًّا ، حتى أصبح شعر روادها كأنه ترجمة للشعر الأجنبي .

بيد أن مجلة (شعر) قد برز تيارها في مجال الشعر بفعل التخصص ، وبفعل حيوية "يوسف الخال" ، و"شوقي أبي شقرا"(١) ، و "علي أحمد سعيد" (أدونيس)(٢) و"نذير العظمة"(٣).

وكان هذا الثالوث اللبناني محط شبهات عديدة حتى صرح نفر من الباحثين بارتباط مجلتي (شعر) و(حوار) ببعض أجهزة الاستخبارات الدولية .

أما مجلة (حوار)فقد أصبحت صلِاتها مسلَّمًا بها بعد اعترافات رئيس تحريرها "توفيق صائغ"(٤) بذلك(٥).

وكشفت تقارير عن دور المخابرات الأمريكية عبر المجلس الثقافي الحر في

---

(١) **شوقي أبي شقرا** : من مواليد (بيروت) ، تخرج في معهد الحكمة بـ(بيروت) ، عمل في الصحافة. وهو المسؤول الثقافي في جريدة (النهار) له عدة دواوين .

يُنظَر في ترجمته : روبرت ب.كامبل ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٢١٨/١)

(٢) نصيري ، سوري . يعد المروج الأول لمذهب الحداثة في البلاد العربية ، هاجم التاريخ الإسلامي والدين والأخلاق ، سمى نفسه (أدونيس) لما يتضمن الاسم من دلالات ورموز على مستوى المنطقة .قدم رسالة جامعية لنيل درجة الدكتوراه بعنوان (الثابت والمتحول) صارت إنجيلاً للحداثيين ، صرح فيها بإعجابه بمحاربة الله تعالى ،كان عضوًا في الحزب القومي السوري .

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٢٤١/١)

(٣) **نذير العظمة :** شاعر ، أديب ، ولد بـ(دمشق) لعائلة تركمانية سورية ، حصل على الدكتوراه في الأدب من الولايات المتحدة ،وعمل أستاذًا في جامعاتها ،ثم أصبح أستاذًا للأدب الحديث في جامعة الملك سعود ، شارك في تأسيس مجلة (شعر)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki5/june/2011

(٤) **هو** : توفيق بن عبد الله الصائغ . ولد في قرية (خربا) من أعمال (حوران) ، انتقل مع والديه إلى فلسطين ،عمل صحفيًّا ، أصدر مجلة (حوار) ، توفي فجأة سنة (١٣٩٠هـ- ١٩٧١م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٨٠٢/٢)

(٥)يُنظَر : محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (٣٢٤ – ٣٢٥) وجمال سلطان ، أدب الردة مرجع سابق ، (ص٣٦ – ٣٧)

تأسيس وتمويل عشرات المراكز الثقافية والمجلات الأدبية ومنها مجلة (انكاونتر) البريطانية الشهيرة ومجلة (حوار) الصادرة في المنطقة العربية ، وغيرهما من المجلات .

وذهبت إحدى الكاتبات البريطانيات واسمها "فرانسيس سوندرز" في كتابها : (من يدفع التكاليف ؟) إلى أن المخابرات الأمريكية هي التي ساعدت على نشوء أدب الحداثة وما بعد الحداثة ،وروّجت لهما ، وسوقتهما على المستوى العالمي ، وسردت أسماء عشرات الشركات والمؤسسات المنتشرة في كل أنحاء العالم والتي كانت تقوم بهذا الدور .

كما أظهرت معلومات تفيد أن (سي . أي . إيه) مولت عددًا من المجلات الأدبية داخل الولايات المتحدة كمجلة (بارتيسان ريفيو)التي كانت ترسل نسخًا مجانية لآلاف المشتركين خارج الولايات المتحدة ، وكذلك (كينيون ريفيوا) و(هروسون ريفيو) ومجلة (شعر) ومجلة (تاريخ الأفكار) ، وبلغت تكاليف الصرف على هذه المجلات في الستينيات ما يزيد على ستين ألف دولار أمريكي[1]، وقد كثرت المشروعات والمؤتمرات التي تدعم هذا الانحراف الفكري بكل اتجاهاته ، ويمثل مشروع (كتاب في جريدة) الذي اختتم مؤتمره الثالث في (بيروت) في (٣/٢٥ /٢٠٠١م = ١٤٢٢/١/١هـ) محاولة طموحة لنشر بعض النصوص الأدبية على أوسع نطاق ، ويهدف المشروع إلى طباعة ملايين النسخ شهريًّا من كل كتاب ،وتوزيعه مجانًا مع الصحف العربية الأكثر انتشارًا ، وقد أنجز هذا المشروع حتى تاريخ عقد المؤتمر واحدًا وأربعين كتابًا بمعدل ثلاثة ملايين نسخة للكتاب الواحد[2].

وكان مما يعزز القول بصلاتها المشبوهة أن مجلة (شعر) نشأت بإمكانات مادية غير طبيعية ، وكان مؤسسها "يوسف الخال"معروفًا بانتمائه لتجمعات أمريكية أدبية مشبوهة ، والتف حوله عدد من زملائه الكتاب كـ "نذير العظمة" ، و"أدونيس" ، و"أنسي الحاج"[3] و"محمد الماغوط"[4] ، و"خالدة سعيد"[1]، وصدر العدد الأول منها

---

(١) فرانسيس سوندرز ، من يدفع التكاليف ، في تموز عام (١٩٩٩م – ١٤٢٠هـ) ، عن جريدة الشرق الأوسط في (٢٨/ ٣ /١٤٢٠هـ = ١٩٩٩/٧/١٢م) ، بقلم فاضل السلطاني .

(٢) عبد الكريم عودة ، جريدة الوطن في (٣/٢٥/ ٢٠٠١م = ١٤٢٢/١/١هـ)

(٣) **أنسي لويس الحاج :** شاعر لبناني ، معاصر ، عمل في الصحافة ، وساهم في تأسيس مجلة (شعر) ، له عدة دواوين .

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٤٤٤/١)

(٤) **محمد الماغوط :** محمد أحمد عيسى الماغوط . شاعر ، أديب ، ولد في (سلمية) بسوريا ، عمل في الصحافة . توفي في (دمشق) سنة (٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ)

=

منها عام (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) ويتحدث الباحث "سامي مهدي" عن علاقات "يوسف الخال" بالمنظمة العالمية لحرية الثقافة وهي منظمة مشبوهة تمول مجلات وتروج لفكر معين ، كما تحدث عن الدور الذي تقوم به مجلة (شعر) في ترويج ما تنشره مؤسسة (فرانكلين) الأميركية[٢].

وحول انتماء المجلة يقول "نذير العظمة" : (إن بعض مؤسسيها كانوا منتمين للحركة القومية الاجتماعية ، أي الحزب القومي السوري ، وما زال أكثرهم كذلك ، وقد ذكر ذلك "يوسف الخال" في كتابه (أسئلة الشعر) (ص١٥٧)[٣]

وأشارت دراسة حول (مجلة شعر ودورها في حاضر الشعر العربي) جاء فيها : (حملت مجلة (شعر) منذ تأسيسها اتجاهين فكريين :

أولهما : اتجاه قومي حزبي ، وينتمي إليه "يوسف الخال" ، و"أدونيس" و"نذير العظمة" و"محمد الماغوط" وآخرون .

ثانيهما : اتجاه إقليمي انعزالي لبناني ، وهو الاتجاه الذي غلب عليها في المرحلة الأخيرة ، وينتمي لهذا الاتجاه كل من : "أنسي الحاج" و"شوقي أبي شقرا" وآخرين.

ويتفق الاتجاهان على معاداة فكرة العروبة ، وكل ما يمت إليها من أهداف وشعارات ويتفقان في نزوعهما الشديد إلى تيار التغريب)[٤]

في مقال للكاتبة "سهيلة زين العابدين" كشفت فيه أهداف الحداثيين العرب

=

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki5/june/2011

(١) **خالدة سعيد :** كاتبة ، ناقدة ، سورية المولد ، لها مجموعة من الأعمال الأدبية ، تقيم في فرنسا ، وهي زوجة " أدونيس " .

يُنظَر في ترجمتها : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki5/june/2011

(٢) وليد الطويرقي ، مجلة البيان ، العدد (١٨) شهر شوال (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)

(٣) المصدر نفسه .

(٤) الدراسة أعدها الشاعر العراقي سامي مهدي ، نشر مقتطفات منها "جهاد فاضل" في مجلة (آفاق عربية) العدد (٦) عام (١٩٨٧م – ١٤٠٧هـ) ، ونشرت جريدة الرياض مقتطفات منها في العدد (٧١١٥)

والمراحل التي مر بها هذا المذهب في البلاد العربية وخصوصًا في الشام ومصر خلال القرن الرابع عشر الهجري فتقول :

"الحداثة" في شعرنا العربي المعاصر نجدها للأسف الشديد قد حققت ما تهدف إليه "الماسونية" و"بروتوكولات حكماء صهيون" ، إلى أن حققتها جميعها في مرحلتها الحالية الأدونيسية ، فالحداثة مرت بالمراحل التالية :

المرحلة الأولى : بدأت سنة (١٩٣٢م – ١٣٥٠هـ) على يد جماعة "أبولّو" التي أسسها "أحمد زكي أبو شادي" وقد تبنت مذهب الفن للفن ، وهو مذهب علماني يهدف إلى إقصاء الدين ، وإبعاده عن كل جوانب الحياة .

المرحلة الثانية : المرحلة اللا أخلاقية ، وقد ظهرت في شعر "نزار القباني"[(١)]، وفيه تمرد على التاريخ ، ودعوة إلى الأدب المكشوف .

المرحلة الثالثة : بدأت سنة (١٩٤٧م – ١٣٦٦هـ) عندما نشرت أول قصيدة كتبت بالشعر الحر لـ "نازك الملائكة"[(٢)]، ويمثل هذه المرحلة "عبد الوهاب البياتي"[(٣)] ، و"صلاح عبد الصبور"[(٤)] ، و"السياب"[(٥)].

---

(١) **نزار قبّاني** : من مواليد (دمشق) سنة (١٩٢٣م – ١٣٤١هـ) كان متمثلاً مسرحيًّا ، وعاش مترفًا في عائلة اشتغلت بالتجارة ، كرس شعره للمرأة والجنس ، ووصف المومسات ، والاعتداء على مقام الألوهية .

يُنظَر في ترجمته : روبرت ب.كامبل ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (١٠٨٤/٢)

(٢) **نازك صادق الملائكة** : شاعرة ،من كتّاب الشعر الحر ، من أهالي (بغداد) ، عاشت في (القاهرة) في عزلة اختيارية ، وتوفيت بها سنة (٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ)

يُنظَر في ترجمتها : روبرت ب.كامبل ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (١٢٤٧/٢)

(٣) **هو** : عبد الوهاب بن أحمد البياتي . ولد في (بغداد) وتعلم فيها ، من رموز الحداثة في البلاد العربية ، تنقل في عدة وظائف وفصل منها ، وتنقل في عدة دول ، توفي سنة (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٣٨٨/١)

(٤) **هو** : صلاح الدين عبد الصبور . ولد في (الزقازيق) في مصر ، وتعلم بها ،عمل معلمًا للغة العربية ، وتنقل في عدد من الأعمال الإدارية والثقافية، تعمق في قراءة الأدب الغربي ، بدأ حياته الشعرية اشتراكيًّا ،ثم اتجه للوجود والتصوف فغلب على شعره الرمز . توفي سنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت ب.كامبل ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٨٧٦/٢)

(٥) بدر شاكر السيّاب : شاعر عراقي ، ولد في قرية (جيكور) جنوب (البصرة) لأسرة شيعية ، =

المرحلة الرابعة : يمثلها "أدونيس" وهذه المرحلة من أخطر مراحل الحداثة ، دعا فيها "أدونيس" إلى نبذ التراث وكل ماله صلة بالماضي ، ودعا إلى الثورة على كل شيء ، وهو يزعم أنه من دعاة الإبداع والابتكار ، مع أن ما يردده ليس بجديد ، فهذه دعوة "الماركسية" و"الصهيونية" ، ألبسها لباس الثورة والتجديد لتحقيق الإبداع الذي يدعيه)[١]

وبرز خلال هذه المرحلة أدباء يساريون شيوعيون حفلت الصحف العربية بإنتاجهم ولا زالت إلى اليوم ، رغم ما ملأت به أدبياتهم من انحرافات وتهكمات منهم: الشاعر الشيوعي اليساري "محمود درويش "[٢] ، و"سميح القاسم"[٣] ، و"توفيق زياد"[٤] ، والشاعر النصراني "معين بسيسو"[٥] وكلهم من فلسطين وقد أُسبِغت

=

تقلب في عدة وظائف ، انتمى للحزب الشيوعي العراقي ، وشارك في مؤتمر (روما) الذي أشرف عليه اليهود والمخابرات الأمريكية ، أصيب بالشلل، ومكث يستجدي أصحابه فلم يجيبوه ؛ حتى مات في الكويت سنة (١٣٨٣هـ-١٩٤٦م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت ب.كامبل ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٧٥١/٢)

(١) سهيلة زين العابدين ، جريدة الندوة في عددها (٨٤٢٤)

(٢) **هو** : من أبرز شعراء الحداثة في فلسطين خلال هذه الفترة ، عمل في جريدة (الاتحاد) ، ومجلة (الجديد) ، وهما من صحف الحزب الشيوعي في إسرائيل نال عضوية الحزب الشيوعي الإسرائيلي (حزب راكاح) عام (١٩٦١م – ١٣٨٠هـ) توفي سنة (٢٠٠٨ - ١٤٢٨هـ)

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٥٩٤/١)

(٣) **سميح القاسم :** شاعر فلسطيني ، ولد في قرية (الرامة) من قضاء (عكا) بفلسطين ، انتسب إلى الحزب الشيوعي ، ثم تفرغ بعده لعمله الأدبي .

يُنظَر في ترجمته : روبرت ب.كامبل ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (١٠٦٧/٢)

(٤) **هو** : توفيق بن أمين زياد . من مواليد (الناصرة) في فلسطين ، تعلم فيها ، وتولى رئاسة بلديتها ، انضم إلى الحزب الشيوعي ،وعين عضوًا في الكنيست سنة (١٩٧٤م -١٣٩٤هـ) ، توفي سنة (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٦٧٩/١)

(٥) **هو** : معين بسيسو . ولد بـ(غزة) فلسطين ،وتخرج في الجامعة الأمريكية بـ(القاهرة) ، عمل صحفيًا ومعلمًا ، سجن عدة مرات ، عين مشتارًا ثقافيًا لرئيس منظمة التحرير ، له مؤلفات ، توفي بـ(لندن) إثر نوبة قلبية، ودفن في (القاهرة) سنة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٣٣٣/١)

عليهم ألفاظ المناضلين والثوريين ، مع علاقتهم الحميمة بالحزب الشيوعي اليهودي[١].

رابعًا : الكتب والروايات :

للكتاب قيمة ومكانة عند الباحثين عنه والراغبين فيه ، ولا تخفى إسهامات الكتاب في إثراء الساحة العلمية والثقافية ، وخلق الحراك الثقافي إضافة إلى البناء الثقافي الذي يسهم في نهوض الأمم والشعوب ، وينفذ إلى تقدمها وتطورها ، فإذا بلغت ذلك استطاعت أن تحقق معنى الاستخلاف في الأرض إن استوفت مقومات دينها وعقيدتها قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥.

وخلال بدايات القرن الرابع عشر الهجري لم تكن حركة التأليف والتصانيف كالتي ختمت بها نهايات هذا القرن ، وكان الدور الأبرز في بداية الأمر هو قيام حركة الترجمة للكتب الأجنبية لتي بدأت في أول (عهد النهضة) ثم أعقبتها حركة التأليف وإن كان خط الترجمة قد ظل موجودًا على الدوام[٢].

وكما قال "محمد قطب" : (ومن الأمور الطبيعية في مثل الحال التي كان المسلمون قد وصلوا إليها أن يبدأ الأمر بالترجمة لغياب عنصر التأليف ، وفراغ الجو الإسلامي كله من الفكر الحي المتدفق المتألق المواكب لخط الحياة)[٣]

كان من المفترض - مثلما حدث في حركة الترجمة الأولى[٤]- أن تترجم أول

(١) ينظر : مجلة البيان ، العدد (٥٢) ذو الحجة (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)

(٢) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع (ص٢٣٥)

(٣) المصدر نفسه ، (ص٢٣٥)

(٤) الإشارة هنا إلى حركة الترجمة التي اشتغل بها بعض المسلمين في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) من ترجمة العلوم اليونانية والهندية للغة العربية ، ثم انحرف هذا الاتجاه إلى الفلسفة الإلهية الإغريقية ، وكان القسم الأكبر من هؤلاء النقلة من السريان والأقل من اليهود ، فنقلوا ما نقلوا وفق أهواء خاصة ، وفي هذا أرسل "المأمون" إلى "حاكم صقلية" النصراني يطلب منه أن يبادر بإرسال مكتبة صقلية الشهيرة الغنية بكتب الفلسفة ، وتردد في إرسالها واستشار رجال دولته فأشار عليه المطران الأكبر بقوله : أرسلها إليه ، فو الله ما دخلت هذه العلوم في أمة إلا أفسدتها .

نقلاً عن كتاب د / جميل عبدالله المصري : حاضر العالم الإسلامي ، مرجع سابق ، (ص٤٣)

الأمر الكتب العلمية إذ إن الفقر العلمي ، والتخلف في ميادين الأمة صناعيًّا وزراعيًّا وصحيًّا وتقنيًّا -كان يضرب أطنابه في أرجائها ، وكان التقهقر والانحطاط أبرز ما أحس به المسلمون حين صحوا على الهزيمة أمام جحافل الصليبيين[١] ، ومع أن بعض الكتب العلمية قد ترجم في تلك الفترة ، إلا أن الجانب الأعظم من حركة الترجمة سار في قنوات أخرى بعيدة كل البعد عن المطلوب أو عن الأمر الواجب في ذلك الحين .

فإلى جانب الكتب العلمية القليلة التي ترجمت ، ترجمت مئات من القصص ، والروايات ، والمسرحيات ، والكتب التي تحمل الفكر العلماني الغربي مع عناية خاصة بالنظريات الغربية ،ومن هنا كانت تلك الحركة لا تقل خطرًا إن لم تكن أخطر وسيلة للغزو الفكري الصليبي.

لقد كان الفن الذي يترجم هو الفن الذي تخلص من القيم الدينية ، وراح يدعو إلى مجتمع طليق من القيم يهبط تدريجيًّا حتى يصبح مجتمعًا حيوانيًّا في النهاية .

لقد كان الهدف من ترجمة الكتب الغربية ما وقع في نفوس أصحابها من أنه مهما انتشر تعلم اللغات الأجنبية فستظل الجمهرة الكبرى من الشعب عاجزة عن قراءة هذه الأفكار في لغاتها الأصلية ، فينشرها لتلك الأفكار باللغة تنساح تلك الحواجز ويمكن حينئذ إحداث الدمار المطلوب[٢].

وأما العناية الخاصة بالنظريات الغربية فيكفينا فيها قول "البروتكولات" : (لقد رتبنا نجاح "دارون" و"ماركس" و"نيتشه"[٣] ، وإن تأثير أفكارهم على عقائد الأميين واضح لنا بكل تأكيد)[٤]

كان مما يميز حركتي التأليف والترجمة في بدايات هذا القرن ارتباطها الوثيق بجهود البعثات التبشيرية وحركة الاستشراق التي غزت العالم الإسلامي ، إضافة إلى أنها تحولت أداة لصرف عقول المسلمين عن الإسلام ، ووسيلة للغزو الفكري الصليبي .

خامسا : **إنشاء الصحف والمجلات :**

كان للإرساليات الأجنبية والمدارس التبشيرية التي طالت بلاد الشام وخصوصًا لبنان –ابتداءً من القرن السابع عشر الميلادي – دور بارز في تأسيس العمل الصحفي لا في بلاد الشام فحسب ، بل حتى في مصر ، غير أن الأجواء السياسية التي سادت

(١) ينظر : محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع (ص٢٣٥)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٢٣٨) بتصرف .

(٣) سبقت ترجمتهم عند مبحث (وسائل الانحراف في الميدان الاجتماعي)

(٤) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع (ص٢٣٨٥)

الشام وتحديدًا لبنان لم تكن مشجعة لنهوض الحركة الصحفية آنذاك[١].

ويبرز دور الصحافة كوسيلة مؤثرة من كونها زادًا شاملاً ، يشمل المثقفين وأنصاف المثقفين ، كما يشمل العامة حتى الذين لا يقرؤون منهم ، إذ هناك من يتحلق منهم حول من يقرأ لهم الصحيفة حتى في أعماق الريف[٢].

كان للأجواء التشجيعية في مصر في عهد "الخديوي إسماعيل" أثرها في جذب العديد من اللبنانيين واللبنانيات إلى مصر ، وكانوا من الطائفة "المارونية" ، المسيحية ، وهل جاؤوا بتوجيه وتخطيط من الصليبية العالمية ؟ أم بدافع من صليبيتهم الذاتية ؟

يعزو "محمد قطب" إلى أن الدافع هو اتفاق صليبيي عالمي لكثرة الدلائل والقرائن المحتفة به في هذه الفترة[٣].

أنشأ الشاميون في مصر ثلاث دور صحفية كبيرة : (دار الأهرام) لـ "آل تقلا" ، و(دار الهلال) لـ "آل زيدان" ، و(دار المقطم) لـ "آل صروف" ،وكان لها دورٌ خطير في حياة المسلمين في مصر على خطين رئيسيين : تقليص دور الإسلام ، ولي الأعناق ليًّا إلى أوروبا بحيث تصبح تدريجيًّا هي الوجهة لا من الإسلام[٤] .

لكنه بعد نشوب (الثورة العرابية) عام (١٨٨٢م – ١٢٩٩هـ) وبداية عهد الاحتلال الإنجليزي لمصر تغير وضع الصحف في مصر ، وخاصة تلك التي تحمل ميولاً فرنسية أو عثمانية ، وبدأت تطرح مسألة انخراط اللبنانيين ، وبالتحديد المسيحيين منهم في مصر ، ومدى علاقة التربية التي تلقوها في الإرساليات الأجنبية بمواقفهم ، ومسألة التنافس الذي أخذ يزداد بينهم وبين المصريين ...الخ [٥].

وكان من آثار تغير الأوضاع في مصر نفي الثوريين واعتقالهم ، وانتقال كثير من اللبنانيين إلى لبنان ، وعملوا هناك على تأسيس الصحف[٦].

---

(١) تقدم أن الحروب الطائفية والمذابح الأهلية شغلت الساحة اللبنانية خلال منتصف القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين عندما تعقب السلطان "عبد الحميد" فلول الحركات الثورية .

(٢) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٢٣٩)

(٣) المصدر نفسه (ص٢٣٩)

(٤) ينظر بتوسع : المصدر نفسه من (ص٢٣٨- ٢٥٠)

(٥) نهى عدنان القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (٢٦)

(٦) محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ، مرجع سابق ، (١/ ١٦٠) و نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (٢٦)

ويمكن تعيين الفترة التي ظهرت فيها الصحافة في الشام ابتداءً من سنة (١٨٦٧م – ١٢٨٣هـ) من القرن التاسع عشر الميلادي ، حين أصدر "بطرس البستاني" صحيفة أسبوعية سماها (نفير سوريا) وكانت من صفحة واحدة ، ينشر فيها آراءه وأفكاره القومية الثورية ، وبعدها بثلاث سنوات في عام (١٨٧٠م – ١٢٨٦هـ) تقريبًا أنشأ صحيفة سياسية أدبية نصف شهرية سماها (الجنان) وجعل شعارها (حب الوطن من الإيمان) وحرص على إبراز هذا الشعار مع العنوان في كل عدد ، وكان يشارك في الكتابة فيها كتاب من البلاد العربية ومن الشام نفسها ، وقد انتظمت أعدادها طيلة حياة صاحبها إلى أن توفي سنة (١٣٠٠هـ - ١٨٨٣م) ،وكان له أيضًا صحيفتان أخريان الأولى سماها (الجنة) والثانية سماها (الجنينة)[١]

وكانت هناك مجلات تصدر في المهجر ويصل صداها إلى بلاد الشام ، كمجلة (الاستقلال العربي) الشهرية التي أصدرها "نجيب عازوري" في فرنسا وشاركه فيها كتاب فرنسيون ، صدر العدد الأول منها في إبريل سنة (١٩٠٧م – ١٣٢٥هـ) لكنها لم تعش أكثر من سنة إذ أوقفت بعد إعلان الدستور العثماني في سنة (١٩٠٨م – ١٣٢٦هـ) ، وكانت تدعو إلى الانفصال والثورة .

إلى غير ذلك من الصحف والمجلات التي تأثرت بالصراعات الدائرة بين الحكومة الاتحادية والعرب[٢].

لم تكن الصحافة خاصة بالرجال فحسب ، بل كانت هناك حركة صحفية نسوية أكثر تنافسًاوحضورًا ، بالرغم من أن الصحافة النسوية في الشام اصطدمت بالأجواء السياسية التي سادت الشام في فترة ما بين (١٨٦٠م – ١٩٠٨م = ١٢٧٦-١٣٢٦هـ) ولم تنجح خريجات الإرساليات والمدارس الأجنبية في تأسيس صحفهن داخل لبنان ، واقتصرن على نشر مقالاتهن على أنها ترجمات أو بأسماء مستعارة .

وفي ظل هذه الأجواء انتقل كثير من الشاميين إلى مصر وانخرطوا رجالاً ونساءً في مجالات العمل كافة ، وكانت الصحافة النسائية إحدى هذه المجلات التي فتحت أمام اللبنانيات فكانت مصر بذلك أول بلد شرقي صدرت فيه مجلة نسائية عربية، بأقلام صحفيات لبنانيات ،وتفردت به زهاء سبعة عشر عامًا .

ومن أوائل المجلات النسائية اللبنانية (مجلة الفتاة) لصاحبتها "هند نوفل"[٣]

---

(١) الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢/ ٥٨)

(٢) يراجع ما كتبه "خالد الدبيان" في كتابه " الجمعيات القومية العربية " مرجع سابق .

(٣) **هند نوفل :** أديبة لبنانية ، هاجرت مع أبيها إلى (الإسكندرية) ، أصدرت مجلة عربية باسم (الفتاة) ،عُرِفت بلقب (أم الصحفيات وعميدتهن)

=

وكانت شهرية ظهرت سنة (١٨٩٢م – ١٣٠٩هـ) في (الإسكندرية) ، ودعيت مؤسستها بأم الصحافيات وعميدتهن ، وكانت صفحاتها (٤٨) صفحة ، ووصفت الجريدة نفسها بأنها جريدة علمية تاريخية أدبية فكاهية مصورة[١].

وفي سنة (١٨٩٨م – ١٣١٥هـ) صدرت مجلة (أنيس الجليس) للشاعرة "إلكساندرة أفرينو"[٢] ثم صدرت مجلة (فتاة الشرق) التي أسستها "لبيبة هاشم"[٣] سنة (١٩٠٦م – ١٣٢٤هـ) في القاهرة ، وكان يشاركها في الكتابة فيها كثير من الأدباء العرب المدافعين عن قضية تحرير المرأة منهم "وردة اليازجي"[٤]، و"شبلي شميل" ، و"جرجي باز"[٥] ، و"خليل مطران" ، و"مصطفى صادق الرافعي"[٦] ،و"عفيفة

=

يُنظَر في ترجمتها : مجلة أمواج الإسكندرية ، العدد الثالث والثلاثون (٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ) ، الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(١) حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي (١٨٠٠-١٩٧٥م) طبعة دار الحداثة ،(بيروت) ، لبنان ، الطبعة الأولى ، (١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ) (ص٩٠)

(٢) **ألكساندرة أفرينوه :** صحافية لبنانية ، ولدت في بيروت ، وانتقلت مع والدها لـ(الإسكندرية) ، أصدرت أول مجلة نسائية بلغة أجنبية ، وهي أول من أنشأ من السيدات جريدة يومية سياسية أدبية .

يُنظَر في ترجمتها : محمد عبد العباسي مقال : (خمسة صحافة : سيدات صحفيات) على الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٣) **هي** : لبيبة بنت ناصيف ماضي . زوجة عبده هاشم ،من مواليد (كفر شيما) في لبنان ،كاتبة ، أديبة ، باحثة ، توفيت سنة (١٣٦٦هـ-١٩٤٧م)

يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٤٠/٥)

(٤) **هي** : وردة بنت ناصيف اليازجي . من أهل (كفر شيما) بلبنان ، تعلمت في مدرسة البنات الأميركية بـ(بيروت) ، وقرأت الأدب على أبيها ، ونظمت الشعر ، لها ديوان (حديقة الورد) توفيت سنة (١٩٢٤م - ١٣٤٢هـ)

يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٨ / ١١٤)

(٥) **هو** : جرجي بن نقولا من عائلة اليازجي . اشتهر بأبحاثه النسائية حتى لقب بنصير المرأة ، من مواليد (بيروت) ، أصدر مجلة (الحسناء) الشهرية ثلاث سنوات (١٩٠٩م – ١٩١٢م) له أبحاث متنوعة ، توفي سنة (١٩٥٩م - ١٣٧٩هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١١٨/٢)

(٦) **هو** : مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي . شاعر أديب كاتب ، من (طرابلس) الشام ، أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به ، له ديوان شعر ، وعدد من المؤلفات ، توفي =

كرم"[1] ، وغيرهم .

ثم بعد ذلك ازداد عدد المجلات حتى بلغ في تلك الفترة (٣٣) مجلة ، منها (٣) مجلات أصدرها رجال ، والباقية أصدرتها النساء توزعت بينهن كما يلي : (٢٢) مجلة أصدرتها نساء لبنانيات ، و (٧) لمصريات و (١) لفرنسية[2] .

وحين انتقل اللبنانيون إلى ديارهم عملوا على تأسيس الصحف ، وظهرت أول صحيفة لبنانية سنة (١٩٠٩م – ١٣٢٧هـ) باسم (الحسناء) على يد الصحفي "جرجي باز" بمساعدة بعض الكاتبات[3] .

في هذه الفترة كان في الناس بقايا الإسلام وفطرته سواء في لبنان أو في مصر ، فلم يكن يتصور أن تبدأ الصحافة اللبنانية المسيحية المارونية عملها بمهاجمة الإسلام فقد كانت غضبة الجماهير كفيلة بتحطيم دور الصحافة على رؤوس أصحابها من أول طريق[4] .

كان من أبرز الانتقادات التي وجهت للصحف والمجلات آنذاك أنها ذات طابع خطابي ، ومقالاتها نظرية بحتة ، وشاع فيها التقول على الأشخاص ونسبة المقال لغير كاتبه لغرض أو لغير غرض ، فمعظم الكاتبات المشهورات اللواتي لمعت أسماؤهن لا يكنُّنَ وإنما يُكتَب بأسمائهن كما فعل "سليم سركيس"[5] حين أصدر في أول تشرين

=

بـ(طنطا) مصر سنة (١٩٣٧م – ١٣٤٢هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧/ ٢٣٥)

(١) **هي** : عفيفة بنت يوسف كرم . من مواليد (عمشيت) بلبنان ، تعلمت عند الراهبات وأولعت بكتابة المقالات ، لها مجلة اسمها (العالم الجديد) وعدد من الروايات ، توفيت سنة (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ)

يُنظَر في ترجمتها : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (٤/ ٢٣٩)

(٢) نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٢٥)

(٣) المصدر نفسه ، (ص٢٦)

(٤) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٢٤٠)

(٥) **هو** : سليم بن شاهين سركيس . من أهل (بيروت) ، اشتهر في مصر ، وكان له عدد من الصحف والمجلات منها (المشير ، مرآة الحسناء ، البستان ، الراوي) عاش متنقلاً فرارًا من عسف بعض الحكام . توفي سنة (١٩٢٦م – ١٣٤٤هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣/ ١١٨)

الثاني (١٨٩٦م – ١٣١٣هـ) مجلة باسم (مرآة الحسناء)في مصر متنكرًا في إصدارها باسم (مريم مزهر) ، ثم عاد فكشف الحقيقة في مجلته في آذار سنة (١٩٠٧م – ١٣٢٥هـ)[١]

ويمكن تقسيم مراحل تطور العمل الصحفي إلى :

المرحلة الأولى : (١٨٧٠- ١٩٢٠م = ١٢٨٦-١٣٣٨هـ) وهي مرحلة التوازن والاعتدال بين ما يطرح فيها وبين ما يعيشه الناس من ولاء للسلطان ، وعاطفة للإسلام حتى إن الغافل ليخدع حين يطلع على بعض أعدادها فيحسبها لأول وهلة أنها صحف إسلامية .

فهي تمتدح الإسلام ورسوله العظيم ﷺ وتخصص صفحة تتحدث عن السلطان ولقاءاته ، ولكن من يتأمل يجد أشياء من هنا وهناك تنم عن مقاصد مختلفة .

فالإسلام يُتحدث عنه بما يرضي عواطف المسلمين ، ولكن لا يتحدث عنه كنظام حياة وشريعة حكم ،إضافة إلى أن الحديث عنه حديث مناسبات معينة لا حديثًا يوميًّا يطالع القارئ .

وبالمقابل هناك ذكر يومي لأوروبا ونهضتها وقوتها وحضارتها في صفحة الأخبار يومئ بأن أوروبا هي العالم و ألا وجود لشيء غير أوروبا في هذا الوجود[٢].

ولم تخل الصحافة النسائية أيضًا من ذلك فقد حرصت أول الأمر على الدعوة إلى رفع المستوى التعليمي للمرأة مع العمل على الحد من موجة التفرنج التي زحفت على الشام وخصوصًا لبنان بشكل كبير .

والذي يظهر أن الحامل لكل ذلك هو الخوف من رفض الوسط الاجتماعي ، والرغبة في تمرير القدر القليل من الحضارة الغربية مع ضمان بقاء الفرصة مستقبلاً .

ومع كل ذلك فقد أبرزت صحف ومجلات في الفترة الأولى من التأسيس الدور المنوط بالمرأة في الحفاظ على تماسك الأسرة ، فكانت تذكر المرأة بأن بيتها هو مملكتها ، وأن الزواج وتأسيس الأسرة يجب أن يحظيا بالأولوية في حياة المرأة ، ورفعت بعض الصحف والمجلات شعارات تؤكد هذه الحقيقة ومنها شعار مجلة (العائلة) الذي حمل عنوان (إصلاح الهيئة الاجتماعية متوقف على إصلاح النساء) ،

---

(١) حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ، مرجع سابق (ص٩٣-٩٤)

(٢) محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مرجع سابق ، (ص٤٠- ٤٢) ، بتصرف .

وأيضًا شعار مجلة (السيدات والبنات) الذي حمل عنوان (ملاك الأم يحرس ويرشد الجنس البشري) ، كما أعلنت مجلة (فتاة الشرق) أن الزواج تضحية تقدم فيه المرأة نفسها قربانًا ، والتي لا تؤمن بذلك أفضل لها أن تبقى عذراء كي لا يتضرر الزوج والأولاد[١].

وطالبت مجلة (المرأة الجديدة) بالسعي إلى ترقية شؤون المرأة بالتعلم الإجباري، وتخصيص ميزانية لذلك ، والاهتمام بتوحيدمناهج تعليمها لتكون أمًّا وطنية، لافتة النظر إلى ضرورة عدم إغفال مسألة تعليم الفتاة و الارتقاء بهاعلميًّا وأكاديميًّا[٢] .

<u>المرحلة الثانية</u> : الصحافة في عهد الانتداب .

عملت الصحافة في هذه المرحلة على العمل المشترك والتفاعل التام مع المستعمر ، فهو صاحب المآثر والأعمال الخيرية ، والموفر لكل وسائل الصحة والتعليم والحضارة ، ووجد المستعمرون من أبناء الشام من ما لأهم ومال معهم أو سايرهم وداراهم ، وباع دينهعرضٍ من الدنيا قليل : بمنصبٍ أو بوجاهة أو بمال ، فأعانهم بمنصبه أو بقلمه أو بلسانه[٣].

يصف الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- الصحافة في هذا العهد بأنها كانت حرة لا يقيدها إلا القانون ، فكان أصحاب الأقلام يكتبون ما يشاءون ، وينتقدون ويعترضون على ما يشاءون[٤].

وكانت الصحف حينها تختلف شهرة وذيوعًاوتناولاً في أيدي الناس بحسب موضوعاتها وكّابها ، حتى كان في (دمشق) يومئذ سنة (١٩٣٠م – ١٣٤٨هـ) أربع جرائد : (المقتبس) و(ألف باء) و(الشعب) و(فتى العرب) وجرائد أخرى ليست في منزلة هذه الجرائد ، ولا هي مطرودة الصدور مثلها[٥].

---

(١) نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٢٩)

(٢) حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي ، مرجع سابق ، (ص٢٥)

(٣) ينظر : علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٧٩/١)

(٤) المصدر نفسه ، (٣٨٠/١)

(٥) يُنظر : المصدر نفسه ، (٣٧٣/١)

ولم يكن لأكثر الجرائد يومئذ مراسلون[١] ، وكان الرؤساء يدعون أصحاب الصحف ، فيوزعون عليهم مبالغ من المال ليكتبوا لهم ما يريدون أو يريد أسيادهم المنتدبون[٢] .

وهاهو الشيخ "مصطفى السباعي"[٣] –رحمه الله – يقول : (كان شأني كشأن إخواني من طلبة العلم لا نعلم عن الإسلام إلا أنه دين لايتبعه المسلمون اليوم ،ولا نعلم عن المسلمين إلا أنهم في ذلة واستكانة ، ولا نقرأ من الصحف إلا الصحف السياسية ذات الغايات المختلفة ،أما الصحف الإسلامية فما كانت أيدينا تصل إلى شيءٍ منها إذ لم تكن قد خلقت بعد ، فكنا في عزلة تآمة عن العالم الإسلامي ، لا نعلم من حوادثه إلا ما تتكرم به علينا صحفنا السياسية بعد أن تلوّن تلك الحوادث باللون الذي تشاؤه ، وحسبك أننا كنا نعدّ أعمال الكماليين إصلاحًا ونهوضًا ...)[٤]

المرحلة الثالثة : (عهد الاستقلال) :

وركزت الصحافة في هذه المرحلة على النيل من الاستعمار ، ومصادرته للحقوق والحريات ، وتعميقه للهوة بين أفراد الشعب الواحد مع الإبقاء على حسناته والاستفادة من قوانينه وحضارته .

تعد هذه المرحلة أخطر المراحل إذ تسابقت إلى زوايا الصحف أقلام مسمومة ، واتجهت موجة التغريب تملأ صفحات الجرائد تدعو إلى الانحلال والتحرر من القيم ، وتقليد الغرب وتحرير المرأة ، وكانت تنشر مقالات مساندة لـ "قاسم أمين" ، و"الطاهر الحداد"[٥] كما نشرت أخبار الجمعيات النسائية في الغرب وإيران ، وتركيا

---

(١) ينظر : المصدر نفسه (٣٧٤/١)

(٢) يُنظر : المصدر نفسه ، (٣٧٥/١)

(٣) **هو** : مصطفى بن حسني السباعي . أبو حسان ، العالم الداعية المجاهد ، من مواليد (حمص) تعلم بها ، ثم التحق بالأزهر ونال منها الدكتوراة ، كان على رأس كتيبة الأخوان المسلمين المدافعة عن (القدس) سنة (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، تولى منصب المراقب العام للحركة الأسلامية في سوريا، توفي سنة (١٣٨٤هـ-١٩٦٧م)

يُنظَر في ترجمته : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (٣٥٧/١)

(٤) مجلة الفتح ، في (١٣٥٨/٣/٨هـ) الموافق (١٩٣٩/٤/٢٧م) ، العدد (٦٥١)

(٥) **هو** : الطاهر الحداد التونسي . ولد بها وتعلم في (الزيتونة) ، له مؤلفات منها : (المرأة في الشريعة والمجتمع) ، توفي سنة (١٩٣٤م – ١٣٥٣هـ)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣ / ٢٢٠)

التي وصل منها مواقف "كمال أتاتورك" حول المرأة [١] .

ولم تشهد المرحلة الأخيرة وجود صحافة ولو نسائية تعنى بشؤون المرأة والأسرة وتحمل قضاياها ، وتعمل على رفع مستواها ، لكنها شهدت ولادة صحف نسائية هي في شكلها ومضمونها على تماس مباشر مع المرأة كجسد ، مع الإشارة إلى أن معظمها تصدر بالتعاون مع مجلات أجنبية[٢] أضف إلى ذلك ما كانت تقوم به بعض المجلات في سوريا ولبنان من تقليد نظيراتها في مصر فتنشر صور العرايا فيقبل عليها الشباب لا رغبة في القراءة فليس فيها ما يستحق القراءة و إنما لأجل الصور[٣] .

ومن هنا أخلص إلى أن التغريب في بلاد الشام اتخذ وسائل مختلفة وميادين متعددة لم تختلف في منطلقاتها ولا في غاياتها ، وإن اختلفت وسائلها ،مما شكل عائقً ا وتحديًا كبيرً ا أمام جهود المدافعة الفكرية في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري.

(١) نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص٣٠)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٣٣)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، (٣٢٢/٥)

الفصل الرابع

عوائق المدافعة في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري وكيفية التعامل معها

ويشتمل على أربعة مباحث :

- المبحث الأول : العائق السياسي .
- المبحث الثاني : العائق الإعلامي .
- المبحث الثالث : العائق الاقتصادي .
- المبحث الرابع : العائق التربوي .

:W

خلال بدايات القرن الرابع عشر الهجري كان هناك فراغ كبير عاشه العمل الإسلامي في بلاد الشام ، وما كانت جهود الإسلاميين لتملأ تلك المساحة الكبيرة ويرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل منها ما هو متعلق بذات العمل الإسلامي من

حيث تكوينه وفاعليته لمواجهة ظروف وتحديات القرن ، ومنها ما هو متعلق بموانع خارجية فرضتها تحولات المرحلة التي أتحدث عنها .

ولعلي أتحدث عن أبرز عوائق المدافعة من خلال مباحث هذا الفصل ، راجيًا من الله العون والتوفيق .

المبحث الأول

العائق السياسي

مرت بلاد الشام بتحولات سياسية خلال القرن الرابع عشر الهجري كان لها أثر كبير في إضعاف العمل الإسلامي ، وضعضعة عامل البناء والمدافعة فيه وأوجدت فيه حالة من المد والجزر . تقل تارة وتزيد أخرى ، بحسب قوة العائق السياسي وضعفه ، ومن هنا يظهر مدى علاقة وتلازم الاستقرار النفسي والاجتماعي والسياسي بإنتاجية ونجاحات العمل الإسلامي ، وأن كل واحد منهما مؤثر في الآخر[1].

ومن أبرز العوائق السياسية للمدافعة في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري :

(١) شواهد الحال على ذلك كثيرة كما في الجزائر وتونس اليوم ، وكما في العراق وفلسطين .

أولاً : الحروب الطائفية في سوريا ولبنان :

كانت الدولة العثمانية قبل سقوطها عجزت وفشلت في اتخاذ موقف حازم من الثارات الطائفية التي اكتوت بنارها بلاد الشام كما تقدم ، وكان ذلك الفشل والتراجع بسبب الضغوط التي مارسها الانجليز والفرنسيون على السلطنة ،وتحديدًا على "الباب العالي" حتى إن الأوامر السلطانية كانت تصدر بحل المسألة سلميًا[١].

يتجلى ذلك في الحروب التي دارت في جبل (حوران) بين طائفة "الدروز" من جهة ،وبين أهل السنة والنصارى من جهة أخرى ، قبل أن يستقل "الدروز" بالجبل استقلالاً تامًا .

وكان الإنجليز يتشيعون لـ"الدروز" ، وأما فرنسا فكانت تحمي "الموارنة الكاثوليك" وكان هذا من باب السياسات التي تريد بها هاتان الدولتان توسيع نفوذهما في سوريا .

ويذكر "مدحت باشا"[٢] في مذكراته سنة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) أن السلطة العثمانية عزمت على تأديب "الدروز" لكن سفير بريطانية في (الآستانة) اشتكى من ذلك ، وأخذ يتردد على قصر السلطان "عبد الحميد الثاني" تارة و"الباب العالي" تارة أخرى[٣].

وكان أول هذه الحروب ما وقع في عام (١٨٦٠م – ١٢٧٦هـ) ، وسبق الحديث عنها عند ذكر الحالة السياسية في بلاد الشام فلا حاجة هنا لتكراره ، وفي عام (١٢٩٦هـ - ١٨٧٩م) هجم "الدروز" على أهل (بسر الحرير) في جبل (حوران) وقتلوا منهم ثمانية أو عشرة ، وفي عام (١٢٩٨هـ) هاجموا قريتي (الكرك) و(أم ولد) وذبحوا سكانهما عن بكرة أبيهم ولم يبقوا حتى على الأطفال الرضع[٤].

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى - وتحديدًا بعد معركة (ميسلون) في (٧/٢٥ /١٩٢٠م = ١٣٣٨/١١/٩هـ) ، وتعيين الجنرال "غورو" مفوضًا سياسيًا وقائدًا عامًا لجيوش فرنسا في الشرق - قويت علاقات "الدروز" مع الفرنسيين وجرت اتصالات

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، (٣ /١٠١ – ١٠٢)

(٢) **مدحت باشا :** سياسي ، عثماني ، تولى مناصب عديدة منها الصدارة العظمى (رئاسة الوزراء) وكان قبلها واليًا على (بغداد) و (سالونيك)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، سابق ، (٣ /١٠١ – ١٠٢) بتصرف

(٤) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٣٠/١)

ومراسلات من أجل استقلال الجبل عن سوريا ، ووضع "الدروز" برنامجًا مقترحًا للاستقلال وأرفقوه بأحد بلاغاتهم ، وذيلوه توسلاتهم بالتصديق عليه من قبل حكومة الجمهورية الفرنسية المعظمة ، وكان الذي تولى الإمضاء على البلاغ رؤساء "الدروز" الروحيون ومشايخ الجبل [١].

ومن هنا ننظر كيف سعى الحلف الإنجليزي الفرنسي في إذكاء النار الملتهبة وإيجاد صراعات طائفية داخل بلاد الشام تحت سياسية (فرق تسد) ، ويؤكد "محمد عبد الغني النواوي" أن الإنجليز كانوا أكثر دهاءً وحنكةً من الفرنسيين في هذا الشأن ، وليس هذا قليلاً من دور الفرنسيين وجرائمهم في البلاد[٢].

فطائفة "الدروز" كانت تستغل كل فرصة لإقامة دولة لها ، ولذا تسللت إلى جبل (حوران) الذي لم يكن فيه درزي قبل عام (١١٢٢هـ - ١٧١٠م) ، واعتدوا على أهله ، واضطروهم إلى مغادرته كقبائل "آل السويداني" نسبة إلى (السويداء) ، و"الصلاخدة" نسبة إلى (صلخد) ، و"الكفري" نسبة إلى (الكفر) ، ومما لا شك فيه أن هجرتهم ووصولهم إلى (جبل حوران) لم يكن عبثًا ، ويرجع بعض الباحثين اختيار "الدروز" لهذه المنطقة الجبلية إلى :

أ – بعدها عن سيطرة عمّال العثمانيين .

ب - صلاحية الجبل ليكون موقعًا حصينًا وآمنًا .

ج - أن منطقة الجبل مترامية الأطراف وقربها من البادية سيمكنهم من الخروج على أي نظام .

د - أنهم بهذا الارتباط المكاني والروحي سيمكنهم تنظيم أنفسهم عسكريًّا ، والسير على شكل هرمي متقن فشيوخ العقل يلقنون الأجاويد ، وأجاويدهم يلقنون عقالهم ، وعقالهم يلقنون عامتهم كل ما ينفعهم ويخدم مصالحهم[٣].

---

(١) ذوقان قرقوط ، تطور الحركة الوطنية في سوريا ، مرجع سابق ، (ص٦٥ - ٦٦)

(٢) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق (١/ ١١ – ١٢)

(٣) الطائفة الدرزية ثلاث طبقات :

العقلاء : وهم من بأيديهم أسرار الطائفة ويسمى رئيسهم شيخ العقل .

الأجاويد : وهم الذين اطلعوا على تعاليم الدين والتزموا بها .

الجهال : وهم عامة الناس .

انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، إصدار الندوة العالمية ، مرجع =

ثانيًا : **التقسيم السياسي الطائفي فترة الانتداب :**

كان من سياسة الاستعمار الفرنسي لبلاد الشام أن تقسم البلاد إلى دويلات طائفية تتمزق بها وحدة البلاد الشامية ، وتذهب من خلالها وشائج الوطنية ، وتزيد من عوامل الانقسام بين أهله .

قسمت الشام إلى مناطق نفوذ مختلفة تحت سلطة الانتداب ، ففي السنوات الخمس الأولى قسمت سوريا الجديدة إلى عدة دويلات هي : (حلب) و (دمشق) ودولتي "العلويين" و"الدروز" و"سنجق اسكندرون" . ففي عام (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) أقيمت دولتا (دمشق) و(حلب) وكان يحكمهما منهما حاكم محلي يساعده عدد من المستشارين الفرنسيين .

وفي عام (١٩٢٢م – ١٣٤٠هـ) أعلن جبل "الدروز" وحدة مستقلة إداريًا ، وكان تحت الحماية الفرنسية ، ثم أعلن بعد ذلك (دولة العلويين) وجعلوا لها نظامًا إداريًا خاصًا ، وعين لها حاكم فرنسي[1] ، ثم حل اتحاد هذه الدول عام (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) ، وحلت محله دولة سوريا التي شملت دويلات (حلب ودمشق وسنجق الاسكندرونة) واستبعد منها دولة (العلويين)

وأقيمت دولة لبنان الكبير الذي شمل (جبل لبنان) ومدن (طرابلس) و(صيدا) و(صور) بأقاليمها إضافة إلى (بيروت) و(سهل البقاع الخصيب) ، وكان ذلك خطوة فرنسية نحو تحقيق نفوذ ومستقبل سياسي للموارنة النصارى بالرغم من الأغلبية المسلمة التي تسكن فيه .

زاد هذا التقسيم النزاعات الطائفية ، وأثار النعرات داخل الدويلات الشامية ، ونجحت سياسة المحتل في لبنان أكثر من سوريا .

يقول "محمد فاروق الخالدي" : (كان الهدف من تكوين لبنان الكبير هو إتاحة الفرصة كي يتمتع النصارى بمركز ممتاز في مجالات الاقتصاد والإدارة ، وحظي "الموارنة" خاصة بمعاملة تفضيلية قياسًا إلى طوائف لبنان الأخرى) ، وطبيعي أن أهل السنة كانوا يرفضون فكرة الكيان اللبناني أصلاً ويتطلعون للاتحاد مع سوريا ،

=

سابق ، (٣٩٨/١ – ٣٩٩)

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص٣٣٧) ، وجورج جبور ، الفكر السياسي المعاصر في سورية ، دار المنار ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية (١٩٩٣م – ١٤١٤هـ) ، (ص٤٧)

وخاصة أهل (طرابلس) الذين كانت مصالحهم الاقتصادية ترتبط بسوريا ، أما "الشيعة" فقد كان موقفهم غامضًا ، فبعضهم أيد الدولة العربية في (دمشق) ، بينما كان البعض الآخر يرى أنه من الأفضل بقاؤهم ضمن دولة صغيرة متعددة الطوائف ، كيلا يذوبوا وسط أغلبية سنية متفوقة عليهم كثيرًا من الناحية العددية ، أما "الدروز" فقد كانوا مرتبطين تاريخيًا بلبنان لدرجة أن الشخصية اللبنانية كانت مستمدة من تعايش طائفتي "الدروز" و"الموارنة" رغم قيام المعارك الطاحنة بينهما)[١]

ثالثًا : **الاستبداد السياسي :**

أ- الاستبداد السياسي فترة حكم الاتحاديين :

ظل الاستبداد السياسي عائقًا أمام جهود المدافعة في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري منذ أواخر الخلافة العثمانية إلى اليوم .

ولئن كان السلطان "عبد الحميد الثاني" أخذ زعماء الحركات القومية العربية بشيء من العنف حين اشتد نشاطهم أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وحملهم بسياسته على الفرار من بلاد الشام فإن لذلك ما يبرره إذ كان يحاول اجتذاب العرب وإلانة الجانب لهم بالرغم من مواقفهم ، وسعى جاهدًا في إعادتهم إلى حظيرة الخلافة ، وحين تبين له محاولاتهم الانفصالية ، وتعاونهم مع الإنجليز والفرنسيين الذين رحبوا بهذه الخطوة لم يكن له بد من تتبع آثارهم وتهجير زعمائهم حتى فر منهم جماعة إلى فرنسا ، وآخرون أووا إلى مصر حيث الاستعمار الإنجليزي .

كان لهذا القرار السياسي أثره على جهود المدافعة في بلاد الشام إذ هاجرت شخصيات إسلامية تأثرت بدعوة القوميين العرب إلى حيث تأمن بطشها كالشيخ "محمد رشيد رضا" و"محب الدين الخطيب" الذين أقاما في مصر بقية حياتهما .

وازداد الأمر سوءًا بعد وصول الاتحاديين إلى سدة الحكم في الخلافة ، حين قضوا على كل الاتفاقيات التي كانت بينهم وبين العرب والتي عبر عنها الشيخ "رشيد رضا" بقوله : (ظل طلاب الإصلاح من العرب والترك يتعاونون ، والصلات بين جمعياتهم لا تنقطع ، لا سيما "جمعية الاتحاد والترقي" إلى أن ظفروا باستعادة الدستور، فظن العرب كما ظن غيرهم من الأجناس أنهم فازوا بما جاهدوا في سبيله إلى أن قلب لهم المتغلبون على "جمعية الاتحاد والترقي" وعلى الدولة ظهر المجن ، وأوقعوهم في هوة اليأس من الدولة)[٢]

---

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (٣٩١ - ٣٩٢)

(٢) مجلة المنار ، (٣٠ يوليو ١٩١٧م = ١٣٣٥/١٠/١١هـ) ، (ص٤٠)

ويجدر التنبيه هنا إلى أن هذا الخداع تكرر مثله حين تنكر نصارى العرب القوميون لقوميتهم لمّا دخلت قوات الفرنسيين بلاد الشام وأعلنوا الولاء لهم ، وكما فعل "النصيريون" مع شركائهم في "حزب البعث" سنة (١٩٦٦م – ١٣٨٥هـ) ثم كان الأمر الذي ذهب بالبقية الباقية من إخلاص العرب للترك حين عين الاتحاديون "جمال باشا السفاح" حاكمًا عسكريًّا على سوريا في (٥/كانون الأول ١٩١٤م = ١٣٣٣/١١/١٧هـ) ، ولمدة ثلاث سنوات ، وظهرت في عهده نقمة السلطة التركية على العنصر العربي[١].

ويذكر "محمد فاروق الخالدي" أن "جمال باشا" اتبع سياسة البطش والإرهاب والمصادرة والاعتقالات وإبعاد الضباط العرب إلى أماكن نائية[٢].

كان "جمال باشا" في أعين المتابعين له معروفًا بشدته وقوة شكيمته حتى عند أصدقائه المقربين منه ، ويظهر أن الرجل تعهد للاتحاديين بأن يقضي على الروح العربية في سورية[٣]، وها هو ينفذ حكم الإعدام في دعاة القومية العربية دون تصديق من السلطان العثماني ولا من رئيس الوزراء "سعيد حليم باشا"[٤] حتى كان السلطان "محمد رشاد"[٥] يردد قائلاً : (أنا بريء من دم الذين قتلهم "جمال باشا" في سورية)[٦]

كان "جمال باشا" متآمرًا مع "أنور باشا" إذ وردت إليه برقية من (إسلامبول) تقضي باتخاذ جميع الوسائل لتشتيت تيار العرب القومي ، وتمزيق شملهم ، وحين سمع بها ضباط العرب فروا من وحداتهم في الجيش العثماني قبل أن يفتك بهم "جمال باشا"[٧].

استطاع "جمال باشا" أن يشرد الآلاف من العرب ، وشكل المحكمة العسكرية

---

(١) يوسف الحكيم ، المذكرات ، طبعة بيروت ، (١٩٦٦م – ١٣٨٦هـ) ، (ص١٥٩)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١١٤)

(٣) هكذا وصفه الأمير شكيب أرسلان ، انظر كتابه : سيرة ذاتية ، مرجع سابق ، (ص١٥٥)

(٤) **سعيد حليم باشا :** تولى منصب الوزير الأعظم في الخلافة في الفترة من (١٩١٣– ١٩١٧م = ١٣٣١-١٣٣٥هـ) وتوفي سنة (١٩٢١م – ١٣٣٩هـ)

يُنظَر في ترجمته : تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة عبر الشبكة العنكبوتية .

(٥) محمد رشاد : يعرف بـ"محمد الخامس" . تولى الخلافة بعد خلع أخيه "عبد الحميد الثاني" ، كانت خلافته تسع سنين .

يُنظَر : شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، مرجع سابق ، (ص٣٣٨)

(٦) محمد كرد علي ، المذكرات الخاصة ، مرجع سابق ، (١٧١/١)

(٧) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص١٢٤)

العرفية ، وعين لها أعضاء يأتمرون بأمره ، ويحدد لهم مقابل كل اسم الحكم الذي يتوجب على المحكمة إصداره ، وهدد أعضاء المحكمة بالقتل إن لم يفعلوا ذلك .

ونصبت المشانق وسيق القوميون العرب إلى ساحة (البرج) في (بيروت) ، و(المرجة) في سوريا ، وأعدم منهم جالاً ، وقضى بالنفي على (٣٠٠) أسرة سورية وأجلى النابهين من العرب إلى أرض الترك ، ليستعيض عنهم بأناس من شذاذ الآفاق ، وحكم على آخرين بالسجن مددًا مختلفة [١].

أما ما كان يلقاه المحكومون بالسجن فيكفي ما قاله أحد السجناء وهو "فائز الغصين" : (كان الضرب أخف أنواع التعذيب ، كانوا ينخزون المتهم بالإبر ، ولا يدعون المتهمين ينامون ثلاث ليال ، كما كانوا يضغطون الرأس بين الصدغين بآلة حتى يكاد يخرج المخ من العينين ، وكانت الثياب تلتصق بالأجسام من الضرب والدماء ...)[٢]

وهكذا استمرت سياسة "الاتحاديين" مع العرب لعشر سنوات حتى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ)

ب- الاستبداد السياسي فترة الانتداب والاستقلال :

وأما في فترة الانتداب من (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) إلى (١٩٤٦م – ١٣٦٥هـ) فلم يكن الحال مختلفًا عما كان عليه قبل ذلك إذ مارست فرنسا المستعمرة وسائلها الحديثة والمتطورة في قمع الثائرين والمعارضين للاحتلال ، ومزقت الأمة الواحدة إلى أمم عبر تقسيمها البلاد إلى دويلات طائفية كما تقدم ، وأوقدت نار الحرب بين أفرادها حتى أكلت الأخضر واليابس ويحكي سفر الحوالي أن الفرنسيين تمكنوا من القضاء على الحركات الجهادية في العالم الإسلامي وشاركهم في هذا الحقد المستعمر الإنجليزي ، كما أنهم ألغوا المحاكم الشرعية وأحلوا محلها القوانين الوضعية حتى كان نصيب الشريعة الإسلامية لا يتجاوز الأحوال الشخصية إلا قليلاً [٣]، وتمكنت دولتا فرنسا و الإنجليز من القضاء على التعليم الإسلامي والأوقاف الإسلامية [٤].

إن نظرة واحدة إلى طبائع المستعمر الاستبدادية في مواجهة الثورات تكفى للدلالة على سياسته التعسفية ووحشيته الانتقامية ومن ذلك قمعها للحركات الثورية في قرى (حوران) و (دمشق) و (وحماة) وأنحاء من سوريا ؛ حيث قصفت بطائراتها ومدافعها الأحياء والأسواق والبيوت أيامًا وشهورًا خلال سنة (١٩٢٥م – ١٣٤٤هـ) ،

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (١٣٨/٣ – ١٣٩)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص١٢٥)

(٣) سفر الحوالي ، العلمانية ، مرجع سابق ، (ص٥٣٨ ، ٥٣٩)

(٤) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٣٤٠)

وهذه الصحفية الفرنسية "أليس بولوا" تتحدث عن وحشية بني قومها فتقول : (كيف يمكن أن أفهم أصدقائي الدمشقيين بأن سوريا قد وقعت في قبضة نفر من أبناء الحانات الوصوليين ؟ أعتقد أننا أفرغنا في سوريا قمامة بلدنا الفرنسي ، والحقيقة أن أكثر مواطنيّ هنا هم مخجلون إلى حد كبير ، وجاهلون إلى درجة يرثى لها ، فكل ما يعرفونه عن الشرف لا يتعدى معرفتهم لبعض الأمكنة العامة التي تتحدث عنها الصحف)[1]

وأما في عهد الاستقلال فقد تجلى الاستبداد السياسي في ظل حكم الأقلية والطائفية على الشعب المسلم السني الغالب ، فمنذ استقلال لبنان وسوريا سنة (١٩٤٦م) لم يمكن سني واحد من الوصول لرئاسة الجمهورية ، وإن رشح بعض من ينسب لأهل السنة في منصب دون ذلك لكنه بقي دمية لا يملك من الأمر شيئًا .

وكان من نتائج هذا الاستبداد عزل الإسلام عن الحياة السياسية والدعوة إلى علمانية البلاد ، والاحتكام إلى القوانين الوضعية بدلاً عن الإسلام ، كما همش دور الإسلاميين في مؤسسات الدولة .

لم يكن ذلك غريبًا إذ إن مقاليد الحكم في الشام كانت بأيدي ضباط عسكريين تسللوا لقيادة الأحزاب الجاهلية الحائدة عن منهج الله تعالى وشريعته الغراء ، ولما آلت السلطة إلى "النصيرية" الباطنية منذ عام (١٩٦٦م – ١٣٨٦هـ) مورست كافة أشكال الاضطهاد والاستبداد في البلاد ، وشنت حملات واسعة ضد الإسلام والمسلمين ومنها:

١- في حزيران (١٩٦٧م – ١٣٨٧هـ) دبروا مؤامرة (القنيطرة) وسلموا (الجولان) لإسرائيل .

٢- في سنة (١٩٧٣م – ١٣٩٣هـ) سلموا أكثر من تسع وثلاثين قرية لإسرائيل ، ووصلت القوات الإسرائيلية إلى مشارف (دمشق) فيما سمي حرب التحرير .

٣- في نهاية (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ) دخلت القوات السورية لبنان وارتكبت مذابح عظيمة ومجازر شملت جميع المسلمين في لبنان ومنها مذبحة (تل الزعتر)

٤- منذ سنة (١٩٧٨م – ١٣٩٨هـ) تزايدت جرائمهم داخل سورية ومن أشهرها مجزرة سجن (تدمر) الذي ذهب ضحيته ما يقارب ألف شاب بين طبيب ومهندس ومعلم دفن بعضهم أحياء ، وكذلك مجازر (حلب) و (إدلب) و (جسر الشغور) و (المعرة) و(الرقة)

---

(١) " أليس بولو " (دمشق) تحت القنابل ، ترجمة محمد نمر المدني ، دار دانية للنشر ، (دمشق) ، (١٩٦٦م – ١٣٨٦هـ) (ص٤٣)

٥- في سنة (١٩٨٢م) دبر النظام مذبحة (حماة) التي ذهب ضحيتها ما يقارب ثلاثين ألفًا ، وهدمت معظم مساجد (حماة) وأحيائها ، وقصفت بالطائرات والمدافع -ولا حول ولا قوة إلا بالله- .

وهذا "محمد عبد الغني النواوي" يؤكد أن خسائر المسلمين خلال فترة الحكم الطائفي النصيري في سوريا بلغت (٢٥٠.٠٠٠) مائتين وخمسين ألفًا بين قتيل وجريح[١].

٦- أقدم البعثيون على تسريح دورة كاملة من ضباط الاحتياط لأنهم مسلمون مصلون رغم أنهم في سلك التجنيد الإلزامي ، وتبعهم آلاف الضباط العاملين من الإسلاميين ، ومن أهل (دمشق) بالذات ، وأضعاف هذا العدد من صف الضباط والجنود .

٧- قتل النصيريون "مروان حديد" -أحد دعاة سوريا- ، حين اعتصم بأحد المساجد ، وقاوم الباطنيين الذين اقتحموا المسجد ، وتمكنوا من اعتقاله ، ونقص وزنه في السجن من (٨٠) كيلو إلى (٣٦) كيلو ، وأعطي حقنة سامة وفاضت روحه لباريها في سنة (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

٨- اصطنع الباطنيون حادث مدرسة (المدفعية) بـ(حلب) ، حيث قام ضابط يدعى "إبراهيم يوسف" بقتل مجموعة من الطلاب النصيريين الباطنيين ، وألصقت التهم بحركة "الإخوان المسلمين" ليتم القبض على مئات بل آلاف من أعضائها وعلق منهم على أعواد المشانق (١٨) شابًا.

٩- في ميدان التربية والتعليم : تم نقل وتحويل (٥٠٠) من المعلمين والمعلمات المعروفين بغيرتهم على الإسلام إلى وظائف كتابية وإدارية بعيدًا عن تخصصهم.

١٠- في الجيش : منعت إقامة الصلوات وصفّيت العناصر الإسلامية على يدي مجموعات من القيادات العسكرية الباطنية ، ووصل التنكيل بشعائر الله والسخرية منها إلى حد صبّ الخمر على المصلي وتجريده من ثيابه أثناء الصلاة .

١١- في المجال الاقتصادي : هبطت قيمة الليرة السورية نتيجة التخريب المتعمد في اقتصاد البلاد ، وحولت عوائد البترول إلى أرصدة السلطة ولم تنزل في الميزانية[٢].

---

(١) محمد عبد الغني ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٣٦٨/١ – ٣٦٩)

(٢) علي جريشة ، حاضر العالم الإسلامي ،مكتبة وهبة ،(القاهرة) .الطبعة السادسة (١٤٢٨هـ - =

رابعًا : **المؤامرات الخارجية على سوريا ولبنان خصوصًا :**

كانت أعين المستعمرين ترقب الولايات العربية التابعة للخلافة العثمانية منذ زمن طويل وكانت تفتعل الأحداث داخل الخلافة لتسوغ لنفسها التدخل في شئون العثمانيين وكان لـ(فرنسا والإنجليز وأمريكا وإيطاليا والنمسا) دور كبير على بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري [١].

وخلال بدايات القرن حرص الفرنسيون على حماية طائفة (الموارنة الكاثوليك) في الشام كما أظهر الإنجليز تشيعهم لـ"الدروز" ، وكل هذا من السياسات التي كانت تريد بها هاتان الدولتان توسيع نفوذهما في سورية .

فمتى بدأت هذه التآمرات ؟ وكيف كانت ؟

أما "الموارنة" في الشام فمنذ دخول الصليبيين إليها أواخر القرن الخامس الهجري أخذوا يبدون ترحيبهم بهم ويعرضون لهم خدماتهم ومساعداتهم وقدموا لهم أدلاء يرشدونهم إلى طريق (القدس) سنة (٤٩٢هـ - ١٠١٩م) ، وشاركوا معهم في بعض المواقع التي جرت آنذاك .

ومن أبرز من كتب عن تاريخ "الموارنة" وفضائحهم منذ القرون السابقة وحتى المرحلة التاريخية المعاصرة "عمر عبد السلام تدمري"[٢]؛ حيث تحدث عن موقفهم من الإسلام ، والمسلمين ، وموقفهم من "الظاهر بيبرس"[٣]وتعاونهم مع "التتر" ، وتحالفهم مع "الدروز" و"الروافض" ، وهذا "محمد جميل بيهم" يقول عن علاقاتهم بفرنسا : (والواقع فإن علاقات "الموارنة" بفرنسا هي أقدم من ذلك الوقت لأن بعض

=

٢٠٠٧م) ، (ص٢٠٣ – ٢٠٤)

(١) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق (ص٥٨)

(٢) **عمر عبد السلام تدمري :** من مواليد (طرابلس) لبنان ، وتعلم فيها وانتقل إلى مصر فحصل على الدكتوراه من الأزهر ، تولى تدريس التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية ، له نشاطات علمية واجتماعية ، ومشاركات محلية ودولية .
يُنظَر في ترجمته : مجلة مركز ودود للمخطوطات عبر الشبكة العنكبوتية ، ورقة تعريفية بالدكتور عمر .

(٣) **هو** : بيبرس العلائي البندقداري الصالحي . ركن الدين ، الملك الظاهر ، صاحب الفتوحات ، قاتل التتار في فلسطين مع الملك "المظفر قطز" ،كان شجاعًا ، توفي في (دمشق) ، سنة (٦٧٦هـ - ١٢٧٧م)
يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧٩/٢)

المؤرخين يرون أن "بوديكور" وجد سنة (١٢٥٠م – ٦٤٨هـ) في خزانة البطريركية المارونية كتاب من "لويس التاسع" في (عكا) يشكرهم فيه خلال الحروب الصليبية على إرسالهم خمسة وعشرين ألف مقاتل بقيادة "سمعان")

وقال أيضًا : (إن هذه الطائفة التي تنسب إلى القديس "مارون" هي جزء من الأمة الفرنسية ..)[١]

أما "الدروز" فكانوا أحرص من "الموارنة" على استغلال كل فرصة من أجل إقامة الدولة الدرزية ، ويبذلون وسعهم لبناء علاقات مع أعداء الإسلام يهودًا أو نصارى أو سواهم وسواء كانوا فرنسيين أو إنجليز ، ولهذا كانوا يتوزعون الأدوار فيما بينهم ، ويتلونون في مواقفهم من الفرنسيين والإنجليز بحسب ما يتحقق لهم من المصالح .

وخلاصة القول : إن "الموارنة" و"الدروز" كانوا أعوانًا للفرنسيين على أهل الإسلام منذ القرنين الماضيين .

ومن المتآمرين على الإسلام وأهله : (النصيريون) الذين تحالفوا مع اليهود والحلفاء الإنجليز والفرنسيين ، وكان من آثار هذا التحالف إسقاط الخلافة الإسلامية ، وكانت لهم صلات مع "مصطفى كمال أتاتورك" –اليهودي- ، وعقدوا معه اتفاقية بواسطة زعيمهم "صالح العلي"[٢] حين ثار على الفرنسيين أواخر سنة (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ)[٣]

---

(١) محمد عبد الغني ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (ص١٣٥)

(٢) **هو** : صالح بن علي العلوي . مولده ووفاته في بلدة (المريقب) ، زعيم العلويين في زمانه ، كانت له ثورة مشهورة ، انتهت باستسلامه ، واعتزل الحياة العامة بعد ذلك ، توفي سنة (١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٩٣/٣)

(٣) ساهم النصيريون في هدم الخلافة الإسلامية عندما قاموا بقطع الطريق التي تصل (طرسوس) بـ(حماة) ، فكانت خسائر الأتراك كبيرة ، وفي أواخر سنة (١٩١٨م) أعلن "صالح العلي" ثورة على الفرنسيين استمرت إلى نهاية سنة (١٩٢١م = ١٣٣٩هـ) ، وعقد حينها معاهدته مع "مصطفى كمال" في (١٩٢٠/٩/٧م = ١٣٣٨/١٢/٢٤هـ) على أن يزوده بالرجال والسلاح ، واشتد المستعمرون في قتاله حتى نفذ ما عنده من السلاح ، واستولوا على ما بقي من معاقله ، واستسلم أنصاره فأدركه اليأس ، فأوى لبعض الكهوف ، وأعلن الفرنسيون حكم الإعدام عليه ولم يهتدوا إليه فأعلنوا له الأمان فظهر مستسلمًا ، واعتزل الحياة السياسية ، وسلم زمام المرحلة لأبناء طائفته ، وظل متابعا في عزلته حتى شهد عهد الاستقلال في البلاد ، ووافاه الأجل سنة (١٣٧٩هـ - ١٩٥٠م)

هذه طائفة من تآمرات "الدروز" و"الموارنة" و"النصيرية" على بلاد الشام خلال الحكم العثماني والسؤال الذي يطرحه الإسلاميون اليوم : كيف كانت علاقتهم بدول الاستعمار واليهود خلال القرن الرابع عشر الهجري ؟ ، وما أثر ذلك على بلاد الشام ؟

أدرك الحلفاء الغرب أن الحروب الصليبية ضد الإسلام لم تزدهم إلا رهقًا وخسارًا فهذه أرواح مقاتليهم قد زهقت ، وعتادهم من السلاح والمال أصبح غنيمة لأهل الإسلام ، مع ما رأوه من ضراوة وبأس المجاهدين الصامدين الذين لم تزدهم النكبات إلا إصرارًا وثباتًا ، فعرفوا أن محاولاتهم العسكرية محكوم عليها بالفشل وأنه لا بد من سلوك طريق آخر يسهل السيطرة على بلاد الشام وبيت المقدس ، ويحقق الغايات بلا خسائر كثيرة أو مفاجآت غير محسوبة .

لما استوى السلطان العثماني "عبد الحميد"على العرش بعد حملة "محمد علي باشا" لم يردَّ ا من الخضوع والاستسلام لتوجيهات الدول التي أنقذته منها ، فبادر إلى الإصلاحات التي كانت تطلبها ، وأعلن ما سمي بالتنظيمات، ولكن كل ذلك لم يحدَّ من مطامع هذه الدول في السلطة العثمانية .

كانت هذه الدول في صراعها حول الخلافة تعد العدة لاستيلاء كل منها على القطر الذي تطمع به مستعينة بقناصلها وإرسالياتها الدينية والثقافية .

وكان من عواقب ذلك كما يقول "محمد جميل بيهم" أن الأقليات من سكان ولاية (بيروت) و(متصرفية لبنان) الممتازة أصبحت موزعة على الدول الطامعة بهذه المنطقة، فـ"الموارنة والكاثوليك" لفرنسا ، و"الروم الأرثوذكس" لروسيا ، و"الدروز" و"البروتستانت" لإنجلترا ، وكان قناصل الدول ذات الكلمة المسموعة يحمون أتباعهم فيما كانوا يسعون للحفاظ على ولائهم كما يسعون لاكتساب غيرهم[1].

ومن المؤسف حقًّا أن العثمانيين كانوا قد منحوا هذه الدول امتيازات أجنبية[2] لم تمنح للعثمانيين أنفسهم ، منها إعفاء هؤلاء الأجانب من الضرائب المباشرة ومن جزء كبير من رسوم الجمارك ، وقامت بمنحهم حصانة خاصة حتى إن السلطات العثمانية لم تكن تستطيع ولوج بيت رجل أجنبي مهما كان السبب حتى لو أنَّ جريمة ارتكبت في هذا البيت ما كان للسلطة العثمانية أن تتدخل للتحقيق ، بل كان الذي يقوم بالتحقيق والمحاكمة والفصل قنصل الرجل الذي يسكن البيت .

---

(١) محمد جميل ، عروبة لبنان ، تطورها في القديم والحديث ، مرجع سابق (ص١٨٦)

(٢) **الامتيازات الأجنبية** : حقوق تمنحها السلطة لرعايا الدول الأجنبية النازلين في الإمبراطورية العثمانية أو السائحين فيها أو المارين بها مرورًا .

وكان لكل أجنبي أن يتجول في البلاد العثمانية كما يشاء ، فإذا اتفق أن ناله سوء - ولو قضاءوقدرًا - فإن حكومته تطالب بديتهأضعافًا مضاعفة ، وقد تشددأحيانًا حتى تنال امتيازات سياسية وتجارية جديدة لم تحصل عليها من قبل ، وكانت القوانين العثمانية لا تطبق على الأجانب النازلين في الإمبراطورية العثمانية[١].

استغلت فرنسا وإنجلترا هذه الامتيازات فسعتا إلى :

أ – الاعتماد على نصارى المشرق .

بـ التغلغل في المشرق عن طريق استخدام التبشير وإقامة المؤسسات العلمية والمستشفيات والمراكز الاجتماعية .

فأما فرنسا فمع مرور الزمن أصبحت صاحبة الحق في حماية الطوائف "الكاثوليكية" و"الموارنة" ، وكان سفراؤها وقناصلها في (إسلامبول) يتدخلون عند "الباب العالي" دفاعًا عن "الموارنة" ، وقامت فرنسا أكثر من مرة بتعيين قناصل موارنة لها في (بيروت)دعمًا لهم ، ورغبة منها في زيادة نفوذهم .

وكان "بطريرك الموارنة" يكتب للسلطات الفرنسية وهي تتولى تنفيذ رغباته لدى "الباب العالي" في (إسلامبول) وبشكل أخص كانت فرنسا شريكة للدولة العثمانية في حكم بلاد الشام في كل ما يخص "الكاثوليك" و"الموارنة" ، وركزت فرنسا على النشاط التبشيريخصوصًا في لبنان[٢].

وأما الإنجليز فكان نفوذهم في الدرجة الثانية بعد فرنسا ، وقد نالوا حماية (الإرساليات البروتستانتية) سواء كانت أميركية أو إنجليزية أو ألمانية ، ومن الطريف أن كثيرين في لبنان تظاهروا باعتناق (البروتستنتية) لينالوا حماية أوالاً من دولة الإنجليز التي كانت مرهوبة الجانب ، وكان قنصلها في (حلب) يباشر بنفسه مهام وصلاحيات المبشرين ، وقد عمل عام (١٨٦٠م – ١٢٧٧هـ) على تحضير البدو[٣] في

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٣٧ – ١٣٨)

(٢) التبشير عند فرنسا وسائر العرب لا يعنى تحديدًا الدعوة إلى النصرانية بقدر ما يعني تحقيق مكاسب سياسية واستغلال كل ظرف طارئ من أجل أن تكون لبنانوساحل الشام أرضًا فرنسية، ومن هذا المنطلق كانت فرنسا تبني علاقاتها مع العثمانيين ، فإذا سهلت الأخيرة سبل التبشير لرسل فرنسا تحسنت العلاقة بين البلدين ،وإذا اتخذت إجراء صارمًا ضد المبشرين لجأت فرنسا إلى ممارسة الضغوط وتحريك العملاء داخل الولايات العثمانية .

انظر : عمر فروخ وصلاح الخالدي ، التبشير والاستعمار ، مرجع سابق ، (١٣٣)

ومحمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي (١/ ١٣٧- ١٤٠)

(٣) أي تقديم الخدمات العلمية والصحية وتطويرهم ليتحولوا عما هم فيه .

بادية الشام ليتوصل من هذه السبيل إلى اجتذاب أبناءهم إلى النصرانية[١].

إضافة إلى حماية (الإرساليات البروتستانتية) فقد تمكن الانجليز من استمالة "الدروز" بعد أن فشلوا أول مرة في استمالة "الموارنة" وصار الانجليز يستخدمونهم ضد كل من يهدد مصالحهم في بلاد الشام ، إذ كانوا قلقين من تزايد نفوذ الفرنسيين في لبنان ، وكان توتر علاقة الإنجليز مع فرنسا يعنى توتر علاقات "الدروز" مع "الموارنة"[٢].

فهذا القنصل البريطاني في (بيروت) "الكولونيل روز"[٣] يقول : (إن "الموارنة" استسلموا لفرنسا فلم يبق لإنجلترا حق الخيار ، بل أضحت ملزمة بتعضيد "الدروز")[٤]

كانت آمال المبشرين النصارى في بلاد الشام عريضة ففي عام (١٨٩٠م – ١٣٠٧هـ) فكروا في استغلال اليهود لنشر النصرانية بينهم فشجعوهم على الهجرة إلى فلسطين ، وأسس الإنجليز في هذا العام "الجمعية اللندنية لنشر النصرانية بين اليهود" وكان الهدف من ذلك مقاومة العرب والمسلمين في بلاد الشام ، ومع مرور الزمن تغيرت الصورة وتفوق التخطيط اليهودي على نظيره الصليبي واستطاع "حكماء صهيون" شراء كثير من الجمعيات التبشيرية وتسخيرها لخدمة النشاط اليهودي في فلسطين ، وبرز تعاون تلك الجمعيات التبشيرية مع دوائر الاستخبارات البريطانية ومع الدائرة السياسية للوكالة اليهودية[٥].

وحين سقطت الخلافة العثمانية بعد أن أكلها المرض ، لم يكن السقوط حدثًا مفاجئًا عند من كان يراقب أحداثها السياسية وما آل إليه الوضع الداخلي في ولاياتها وخصوصًا بلاد الشام ، فقد قبل "الباب العالي" أن تكون فرنسا صاحبة الحل والعقد في بلاد المسلمين ، وكان يقدم أمرها على أمره ، بل إن عاملها في لبنان كان أشبه

(١) عمر فروخ وصلاح الخالدي ، التبشير والاستعمار ، مرجع سابق (١١٩) ، ومحمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٤١/١)

(٢) من أبسط الشواهد على هذا مذابح سنة (١٨٦٠م – ١٢٧٦هـ) التي وقعت بين "الدروز" و"الموارنة" وقد سبق الحديث عنها في أول البحث .

(٣) أي : (عقيد)

(٤) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٤٨/١)

(٥)لم يزل النصارى إلى اليوم خدمًا لسياسة اليهود فهذا البابا "بولس السادس" عندما نصب أعلن تبرئة اليهود من دم المسيح ، وكذب عقيدة قومه الذين آمنوا بها منذ قرون طويلة ، وعندما زار القدس عام (١٩٦٤م – ١٣٨٣هـ) قال مخاطبًا اليهود : (إن الصراع الدامي بين النصارى واليهود قد انتهى)

بالضيـف ، وجاءت نتائج الحرب العالمية الأولى لتقرر واقعًاقائمً ا ، فمن نصارى بلاد الشام كان كبار المسئولين والخبراء والفنيين وخاصة "الموارنة" ومنهم قادة الأحزاب والحركات القومية والوطنية التي رفعت شعار "العلمانية" ونادت بالانفصال عن الخلافـــة ، واتخذ هؤلاء مراكز لهم في (باريس) ، ثم نقلوا أنشطتهم إلى (بيروت) و(دمشق) و(القاهرة) ، ومنهم أدباء ومدرسون ومفكرون وصحفيون ، بل إن معظم الصحف والمجلات في بلاد الشام ومصر تعود ملكيتها إلى "النصارى" .

ولم تقف جهودهم هنا ، بل استطاعوا استقطاب الطبقة المثقفة من أبناء المسلمين وألحقوهم بجامعات ومعاهد الفرنجة ، وصدق أنصاف المثقفين المسلمين أكاذيب النصارى وحيلهم حتى دعوا معهم إلى وحدة عربية لا تفرق بين مسلم ونصراني بل يجتمعون على وطنية الأرض وقومية اللغة .

ولما دخلت فرنسا إلى سوريا ولبنان وأعلنت انتدابها عليهما - مقابل انتداب الإنجليز على فلسطين والأردن والعراق - كان أول من رحب بالاحتلال نصارى سوريةولبنان ، وكتبوا إليهم العرائض المذيلة بإمضاءاتهم والمتضمنة رضاهم الكامل بالوصاية الفرنسية عليهم [١]، وتنكروا لقوميتهم العربية التي كانوا هم أول من دعا إليها .

وأما "الدروز" فيكفي أن قائدهم "سلطان الأطرش" كان في طليعة مستقبلي جيش اليهودي "لورنس" عند دخوله إلى سوريا ، وها هو يعرب في إحدى رسائله لابن عمه "سليم باشا الأطرش" - قائد الجيش التركي في الجبل - أنه مؤيد للإنجليز ضد الدولة العثمانية ، ويعرب عن سروره لسقوط (نابلس) و(الناصرة) و(طبريا) بيـد الإنجليز العظـام ، وأنه ماض على خطى آبائه وأجداده الذين أبقوا علاقاتهم بالإنجليز ، وحافظوا على شرف "الدروز" ومستقبلهم[٢].

وسبق ذكر موقف "الدروز" حين دخل الفرنسيون (دمشق) في (١٩٢٠/٧/٢٥م = ١٣٣٨/١١/٩هـ) حيث رحبوا بهم وقدموا لهم كل دعم ومساعدة حتى إن المفوض السامي والقائد العام لجيوش فرنسا في سوريا الجنرال "غورو" اختار حرسه الخاص منهم ، وخص الجبل بأكثر من ثلاثة آلاف صورة من صوره وهو في زيه العسكري يحيط به الحرس "الدروز" بثيابهم العربية المزركشة وسيوفهم المتوهجة .

قويت علاقات "الدروز" بالفرنسيين كما هي مع الإنجليز ، وجرت اتصالات

(١) يراجع كتاب : محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٥٩/١) فقد ضمن حديثه وثائق من وزارة الخارجية الفرنسية .

(٢)نشرت جريدة تلغراف اللبنانية خبرًا سنة (١٩٥٠م -١٣٦٩هـ) يفيد بأن رئيس بلدية حيفا الإسرائيلي أرسل سيفًا كهدية رمزية للزعيم الدرزي "سلطان الأطرش"

بين الطرفين بواسطة الزعماء الروحيين والرؤساء ومشايخ الجبل من أجل استقلال (دولة الدروز) المقترحة عن سوريا[1].

وذاق المسلمون من "الدروز" الذين تطوعوا في جيش فرنسا وأجهزة أمنها الويلات ، فكانت قلوبهم لا تعرف الرحمة ونفوسهم تجنح دومًا إلى إلحاق الأذى والضرر بالمسلمين[2].

وأما "النصيريون" فكانوا سببًا في هدم الخلافة العثمانية كما تقدم ، وكافأهم الفرنسيون بعد دخولهم سوريا ، ومنحوهم دولة لها نظام خاص استمرت إلى جلاء الفرنسيين سنة (١٩٤٦م)[3] وفي سجلات وزارة الخارجية الفرنسية وثيقة تحت رقم (٣٥٤٧) بتاريخ (١٩٣٦/٦/١٥م =١٣٥٥/٣/٢٥هـ) ، وتتضمن الوثيقة عريضة رفعها زعماء الطائفة "النصيرية" في سورية يطلبون فيها عدم إنهاء الانتداب الفرنسي لسورية ، وأنهم شعب يختلف في معتقداته الدينية وعاداته وتاريخه عن الشعب المسلم السني ، ولم يحدث في يوم من الأيام أن خضع لسلطة من الداخل .

تقول العريضة : (إننا نلمس اليوم كيف أن مواطني (دمشق) يرغمون اليهود القاطنين بين ظهرانيهم على عدم إرسال المواد الغذائية لإخوانهم اليهود الطيبين الذين لجأوا إلى العرب المسلمين بالحضارة والسلام ، ونشروا على أرض فلسطين الذهب والرفاه ولم يوقعوا الأذى بأحد ولم يأخذوا شيئًا بالقوة ، ومع ذلك أعلن المسلمون

---

(١) لم يكن هذا التعاون والاتصال يصطدم بالمصالح الإنجليزية ، وكان يحتكم غالبًا إلى مدى العلاقة بين فرنسا و الإنجليز التي تسوء أحيانًا وتنفرج أخرى .

(٢) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٦٢/١)

(٣) كان رئيس دولة "العلويين" خلال فترة الانتداب "سلمان مرشد يونس" إله العلويين الملقب بالرب ، سمى نفسه (رئيس الشعب العلوي الحيدري الغساني) عين سنة (١٩٣٨م – ١٣٥٧هـ) قضاة وفدائيين ، وفرض الضرائب على القرى التابعة له ،وأصدر قرارًا جاء فيه ،نظرًا للتعديات من الحكومة الوطنية والشعب السني على أفراد شعبي ، فقد شكلت لدفع هذا الاعتداءجيشًا يقوم به الفدائيون والقواد ، وجعل للفدائيين ألبسة عسكرية خاصة ، وكان في خلال ذلك يزور (دمشق) نائبًا عن العلويين في المجلس النيابي السوري ، فلما جلا الفرنسيون عن سوريا تركوا له أسلحة أغرته بالعصيان ، فجردت حكومة سوريا قوة فتكت ببعض أتباعه واعتقلته مع آخرين وقتلته شنقًا في (دمشق) .

ومن الطريف : أن المستشار الفرنسي كان وراء هذه الألوهية المزيفة ، فكان "سلمان مرشد" يلبس ثيابًا فيها أزرار كهربائية ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار ، فإذا أوصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار فيخر له أنصاره ساجدين ، ويخر المستشار معهم ، ويخاطب سلمان بقوله : (يا إلهي) وقد اتخذ "سلمان مرشدرسولاً له اسمه "سلمان الميده" كان يشتغل جمالاً عند أحد المزارعين في (حمص) ، ومن الطريف أن "سلمان مرشد" مدعي الألوهية كان راعيًا للبقر . أهكذا يكون الإله راعيًا والرسول جمالاً ؟!

ضدهم الحرب المقدسة بالرغم من وجود انجلترا في فلسطين وفرنسا في سوريا .

إننا نقدر لكم نبل الشعور الذي يحملكم على الدفاع عن الشعب السوري ورغبته في تحقيق استقلاله ولكن سورية لا تزال بعيدة عن هذا الهدف الشريف خاضعة لروح الإقطاعية الدينية للمسلمين ، ونحن الشعب العلوي الذي مثله الموقعون على هذه المذكرة نستصرخ حكومة فرنسا ضمانًا لحريته واستقلاله ويضع بين يديها مصيره ومستقبله وهو واثق أنه لا بد واجد لديهم سندًا قويًّا لشعب علوي صديق ، قدم لفرنسا خدمات عظيمة)[1]

أما المؤامرات في عهد الاستقلال إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري لا تسعها صفحات هذا البحث غير أني سألمح إلماحات مختصرة وإشارات موجزة ، فأقول مستعينًا بالله تعالى- :

أما "الدروز" في هذا العهد فقد عرفوا بخيانتهم وتجسسهم لحساب اليهود ولعل الأمثلة التالية أصدق شاهد :

١- في سنة (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) قام "أمين عام الجامعة العربية" بزيارة إلى سوريا في الأيام التي سبقت الحرب ، فأرسل "الدروز" وفدًا يطالب بأن تسمح لهم الأنظمة العربية بالاستيطان في الأراضي التي يتم تحريرها ، وبشكل أكثر صراحة أن تسمح لهم الحكومات العربية بإقامة وطن خاص بهم .

فأجاب الساسة السوريون بقولهم لـ"الأمين العام" : "الدروز" عندنا لا يقلون خطرًا عن اليهود .

يتساءل "محمد عبد الغني النواوي" : إن كان "الدروز" مسلمين عربًا - كما يزعمون - فلماذا لا يحاربون مع إخوانهم ؟ ولماذا لا تكون حربهم لوجه الله ؟ وهل هم مرتزقة حتى يأخذوا أجرًا ؟[2]

٢- أدلى "سليمان فلاح" الذي عينته السلطات الإسرائيلية مفتشًا في وزارة المعارف بتصريح إلى صحيفة (معاريف) في (١٩٦٦/٦/٩م = ١٣٨٦/٢/٢٠هـ) قال فيه: (إن حركة القومية العربية فشلت في تجنيد "الدروز" في الحرب ضد اليهود وضد قيام دولتهم ، ولم يشتركوا في

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٢٦٧/١)

(٢) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٨١/١)

الهجمات العربية ضد المستوطنات اليهودية ، ومع قيام حرب الاستقلال[١] عقد في (دالية الكرمل) مقابلة سرية بين قادة (الهاغاناه) وبين قادة الطائفة في البلاد ورسل من جبل "الدروز" وفي هذه المقابلة وافق الجميع على تحفظ "الدروز" من الحرب اليهودية العربية ، وبسبب هذا طرد "أديب الشيشكلي" من قرية (بيت جن) الدرزية أيام (جيش الإنقاذ)[٢]، وقد منعت هذه الاتفاقيات العرب من أن يتخذوا قواعد لهم في المناطق الدرزية ، وعلى ضوء هذه الاتفاقية يتضح أيضًا سبب تجميد الكتيبة التي أتت من سوريا وتمركزت في (شفا عمرو) عام (١٩٤٧م – ١٣٦٦هـ)[٣]

٣- مشروع إقامة الدولة الدرزية المتفق بين اليهود و "الدروز" في الجولان وفلسطين المحتلة ، وارتباط القيادة الدرزية في الأرض المحتلة بالنظام الصهيوني ساهم في حصولها على عضوية في مجلس الكنيسة الإسرائيلي .

٤- في عام (١٩٧١م – ١٣٩١هـ) عينت إسرائيل الدرزي "جبر معدي" نائبًا لوزير المواصلات ، وهو منصب حساس لا يسند إلا إلى من يثقون به ، وكان "جبر معدي" في حرب (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) قافصيلاً درزيًّا قاتل مع اليهودالجيوشَ العربية ، وطعنها في أحلك ظروفها .

٥- أن شخصيات درزية عملت في أجهزة النظام الإسرائيلي ، وفي وظائف وأعمال تدل على ثقة اليهود بهم ، منهم :

- "سليمان فلاح" مفتش في وزارة المعارف على المدارس العربية ، ومن أبرز الذين ينظرون سياسة الاحتلال في مناهج التعليم[٤].

---

(١) بهذا يسمي اليهود حرب (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، وأما العرب فيسمونها النكبة . انظر : عبدالعزيز مصطفى كامل ، العلمانيون وفلسطين ستون عامًا من الفشل وماذا بعد ، إصدار مجلة البيان ، (ص١٥)

(٢) الجيش العربي الذي نظمته الجامعة العربية بقيادة "جلوب"اليهودي .

(٣) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (ص١/ ١٠٠)

(٤) يتولى "الدروز" رسم سياسة التعليم في المناهج العربية في إسرائيل ، وقلبوا حقائق التاريخ ، فهذا كتاب الجغرافيا للصف الخامس يتحدث مؤلفه (الدرزي) فيقول : (تحصن "الدروز" في قراهم لكثرة أعدائهم مما اضطرهم إلى الدفاع عن أنفسهم ضد هجمات الأعداء) ويتحدث عن لبنان فيقول : (أما لبنان فبلد متقدم زراعيًّا وتجاريًّوسر تقدمه يعود للنصارى أولاً وأخيرًا لأنهم يشكلون الأكثرية فيه)

وفي منهاج اللغة والأدب يدعم "الدروز" مخططات اليهود و"الدروز" ويبررون هجرتهم إلى فلسطين بسبب الظلم والاضطهاد الذين لحقا بهم في سوريا ولبنان .

- "زيدان عطشه" -كاتب- ، ويعمل فنصلاً للإعلام في السفارة الإسرائيلية في (نيويورك)

- وهناك عدد كبير يعمل في الإذاعة والصحافة وفي أجهزة الأمن والمخابرات[1]

٦- في يوم (٩/حزيران/١٩٦٧م = ١٣٨٧/٣/٢هـ) نشرت إذاعة إسرائيل وصحفها ووكالات الأنباء العالمية برقية التهنئة التي أرسلها "شيخ عقل الدروز" في فلسطين "أمين الطري" إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي بمناسبة عودة (القدس) إليهم .

٧- أن إسرائيل في سنة (١٩٥٥م – ١٣٧٤هـ) طبقت قانون التجنيد الإلزامي على أبناء الطائفة الدرزية بينما أعفي أبناء بقية الطوائف العرب من الخدمة الإجبارية لاعتبارات أمنية .

ولولا أن إسرائيل أمنت غدرهم واطمأنت إلى حسن ولائهم لما أذنت بتجنيدهم في جهاز يعتبر القوة الضاربة لضمان سلامتها وأمنها .

٨- في (١٩٨٢/٦/٥م =١٤٠٢/٨/١٣هـ) اجتاح اليهود (جنوب لبنان) ، وهب المسلمون يدافعون عن أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، أما "الدروز" في منطقة (الشوف) فلم يطلقوا رصاصة واحدة وكأن الأمر لا يعنيهم ، مع أن زعيمهم "وليد جنبلاط" كان رئيس الحركة الوطنية والمقاومة في هذه الحرب، إلا أنه لم يقدم للمقاومة شيئًا واجتمع في قريته (المختارة) بالزعماء الدينيين والأعيان ورؤساء البلديات والمسئولين عن منطقة (الشوف) من طائفة "الدروز" واتفق الجميع على عدم استطاعتهم مواجهة الغزو الإسرائيلي ، وتخلف الزعيم عن اجتماع الحركة الوطنية وفصائل المقاومة في (بيروت الغربية)

تُرى لماذا لم تقدم إسرائيل على اعتقال "وليد جنبلاط" بصفته رئيسًا للحركة الوطنية عدوة إسرائيل في لبنان لأنها تقف مع المقاومة الفلسطينية ؟

وهل الأولى لـ "وليد جنبلاط" في مثل هذه الظروف الحرجة أن يكون مقر إقامته قصر (المختارة) أم غرفة العمليات في بيروت ؟

وكيف رضيت الحركة الوطنية في لبنان والمقاومة أن يكون "وليد جنبلاط"

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١٠٣/١ – ١٠٨)

رئيسًا لها ، مع علمهم بموقف "الدروز" السلبي في حرب (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ) ؟[١]

أما (النصارى) في عهد الاستقلال وخصوصًا في لبنان فقد كانت مؤامراتهم على الإسلام وأهله أكثر وأدق خطورة من غيرهم ، فهاهم يسيطرون على المراكز العليا في السلطةسياسيًّا وثقافيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا وإداريًّا منذ استقلال البلاد إلى اليوم .

فكيف استطاعوا مزاحمة المسلمين ومغالبتهم حتى تمكنوا من تثبيت أنفسهم وإقصاء من حولهم ؟

لعل إيراد هذه الوثيقة يكون جوابًاواضحًا يكشف عمق العلاقة بين (المارونيين النصارى) وبين أمهم الحنون (فرنسا) ،ويعرّي المؤتمرات التي حيكت أو تحاك على بلاد الشام .

خلال حرب لبنان سنة (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ) اقتحم المجاهدون الفلسطينيون أديرة وكنائس كانت ملجأ للمقاتلين النصارى وغرفة لعملياتهم ، وأثناء التفتيش عثر الفلسطينيون على منشور مكتوب باللغة الفرنسية يعود تاريخه إلى سنة (١٩٤٣م – ١٣٦٢هـ) نشرته الصحف اللبنانية سنة (١٩٧٦م – ١٣٩٦هـ) يقول : (يا أبناء يسوع المسيح ، يا من صبرتم على الذل والهوان عبر القرون دفاعًا عن عقيدتكم ، أيها الشرفاء الأطهار لا تنسوا هذه الوصايا العشر :

١- أن هذا الوطن لم يخلق إلا لكم حتى تجمعوا شملكم فيه ، وتباشروا حريتكم بعد الحروب التاريخية فاعلموا جيدًا أن كلمة لبناني معناها مسيحي ، أما العرب الذين جاؤوا من الصحراء فيجب أن يعودوا إليها .

٢- إننا قد رتبنا لكم أهم الأشياء التي تضمن لكم معيشة حسنة على هذه المنطقة ، مثل تمليك الأراضي والتوكيلات الأجنبية ، وقد وضعنا ذلك كله في أيديكم ، ويبقى عليكم أن تحافظوا على هذه المكاسب وتزويدها مع الأيام .

٣- جاهدوا للسيطرة على المصايف وأمور السياحة وامتلاك ساحل البحر وأخرجوهم من قراكم كلما أصبحتم غالبية أو أغلبية ، ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطي في مدينة غير (بيروت) لا يكون فيها مسلمون وذلك عندما تسنح الفرصة .

٤- عليكم بأسباب القوة من لياقة بدنية وتنظيمات للشباب ، واهتموا بالجيش وعليكم

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١١٦/١ ، ١٢٥-١٢٦)

بكتمان أموركم والوثوق من سلامة صفوفكم ؛ لأن المعركة مع الأعداء مستمرة وطويلة ، وهم يطوقونكم من كل جانب .

٥- احرصوا على الزعامة الأدبية كنشر الكتب والسيطرة على النقابات والاتحادات ، ولا تعترفوا أن تراث لغتكم وتاريخكم ملك للمسلمين وحدهم ، وحاربوا بلا هوادة الأفكار والأشخاص الذين يعاكسون أفكاركم .

٦- أن الاختلافات المذهبية بينكم يجب ألا تخرج عن النظرية والسطحية ؛ لأن حياتكم مرهونة باتحادكم أمام العدو الكافر ، ولكنكم أبناء يسوع الذي علمنا المحبة .

٧- ادرسوادائمًا مخططات الآخرين ، وتداخلوا معهم لتعرفوا ما عندهم ، ولا مانع للبعض من التظاهر بتأييدهم عند الضرورة ، ولكن كل واحد يبقىمرتبطًا برؤسائه وكنسيته ، ولا يعصي أوامر الآباء المخلصين لكم .

٨- ارفعوا رؤوسكم وشعائركم في مكان مرتفع على الطرقات العامة ، وعلى رؤوس التلال ، وفي المدارس ومراكز البعثات ، واعلموا أن كل القوة الجبارة في العالم الحر تساعدكم وتقف إلى جانبكم في أسرع وقت ، ولكن عليكم أن تتصرفوا كأنكم لا تعرفون ذلك .

٩- اجتهدوا في التقرب من ملوك العرب ورؤسائهم بالخدمات الطبية والخدمات الشخصية وهذا شيء سهلجدًّا ، ولكنه يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ويدر عليكم أموالاً طائلةونفوذًا اكبيرًا حتى في البلاد المستعصية عليكم .

١٠- إن معركة الجنسية اللبنانية شديدة الأهمية ودققوا كثيرًا في ذلك ، واهتموا بإخوانكم المغتربين والذين نزلوا عليكم في البلدان الأخرى لتحتفظوا بحقوق الأكثرية المقررة لكم وإلا ضاعت كل الجهود)[1]

بات من الواضح أن "النصارى" في لبنان نفذوا هذه الوصايا منذ بداية الاحتلال الفرنسي إلى اليوم .

فأما من حيث توفر فرص التعليم والثقافة والمعرفة فإن الإرساليات والمؤسسات التبشيرية لا تكاد تحصى جهودها في إنشاء المدارس والجامعات والمراكز التربوية والنفسية والمعاهد والمطابع والمكتبات والمستوطنات والمستشفيات والمنح والبعثات الطلابية ، وتحظى هذه الجهود بدعم من دول أوروبا وأمريكا وروسيا ، كما يقدم (الفاتيكان) مساعدات لمائتي مؤسسة وثانوية وجامعة من جهة ، ومن جهة أخرى يقدم

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (١/ ١٨٧ – ١٨٨)

(الفاتيكان) مساعدة لجميع الراهبات اللبنانيات ومؤسساته النصرانية كما يغطي نفقات التعليم المجاني والأعمال التبشيرية في جميع أنحاء لبنانوخصوصًا (الجبل)[1].

وأما من حيث الموارد الاقتصادية فتمكن "النصارى" من السيطرة عليها ، فمصايف النصارى جنة من الجنان ، وعناية الدولة بها فاقت كل حد ، بينما نجد المصايف الإسلامية خاوية المصطافين ، ليس فيها طرق ، ولا يتوفر فيها أمن ، أما عن امتلاك ساحل البحر ، وتجهيز ميناء احتياطي فهذا ميناء (جونيه) ملكه النصارى ، وعجز (رئيس الوزراء)[2] نفسه أن يصادر شحنة أسلحة نقلت إليه .

أما المضاربات والأعمال العقارية فقد مكنتهم من الانتشار في مختلف المناطق اللبنانية وليس الجبل وحده ، ونظموا خطة التسلل إلى قرى ومناطق رئيسية فصاروا الأكثرية فيها وطردوا المسلمين منها .

ويمكن القول إن تخطيطهم الاقتصادي دفعهم إلى السيطرة على المؤسسات الرسمية التي توجه وتدير عجلة الاقتصاد في البلاد كوزارة المالية والأشغال العامة .

أما من حيث النفوذ العسكري فقد سيطر النصارى على أجهزة الأمن وقيادة الجيش منذ وقت مبكر ، ففي جلسة الثقة النيابية التي عقدت في (١٩٧٣/٧/٢٦م = ١٣٩٣/٦/٢٦هـ) في عهد حكومة "تقي الدين الصلح"[3] أذاع رئيس لجنة الدفاع في المجلس النيابي النائب العقيد السابق في الجيش "فؤاد لحود" -وكانمسيحيًّا مارونيًّا- إحصائية خطيرة بشكل تساؤل تشير بوضوح إلى حرمان المسلمين من قيادات الجيش والقوى العسكرية الأخرىقائلاً : (هل يجوز أن يكون القادة في الوحدات العسكرية ٨٥% من الطوائف المسيحية و ١٥% من الطوائف المحمدية ؟ إنني أعارض هذا التوزيع)

واليوم هم يهيمنون على مراكز ومناصب السلطة عن طريق الوراثة الطائفية ولا يمكن أن يتنازلوا لحظة عن شيء منها ، ومن ذلك :

١- رئيس الجمهورية .

---

(١) يُنظر المصدر نفسه ، مرجع سابق ، (١٩١/١ – ١٩٦)

(٢) هو رئيس الوزراء ووزير الدفاع آنذاك "رشيد كرامي" وهو منسوب إلى أهل السنة .

(٣) **هو** : تقي الدين الصلح . ولد بـ(بيروت) ، وتعلم في الجامعة اليسوعية والأمريكية ، كان مستشارًا سياسيًّا في الجامعة العربية ،انتخب نقيبًا للصحفيين ،ونائبًا في البرلمان ، اختير وزيرًا للداخلية، ثم رئيسًا للوزارة.

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٨٧)

٢- مدير عام رئاسة الجمهورية .

٣- قائد الجيش .

٤- ثلاثون مركزً قياديًّا في الجيش من أصل اثنين وأربعين مركزًا .

٥- أربعة وخمسون مقعدًا في مجلس النواب مقابل خمسة وأربعين للمسلمين .

٦- قائد الدرك (الشرطة)

٧- مدير عام الأمن العام .

٨- أمين عام وزارة الخارجية والمغتربين .

٩- النائب العام التمييزي .

١٠- رئيس محكمة التمييز العليا .

١١- رئيس مجلس القضاء الأعلى .

١٢- رئيس هيئة التشريع والاستشارات القانونية .

١٣- رئيس الجامعة اللبنانية .

١٤- حاكم مصرف لبنان المركزي .

١٥- رئيس مجلس الخدمة المدنية .

١٦- محافظ مدينة بيروت (العاصمة)

١٧- مدير عام وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة .

١٨- مدير عام وزارة المال .

١٩- مدير عام وزارة الإعلام .

٢٠- مدير عام الأحوال الشخصية .

٢١- مندوب لبنان في هيئة الأمم المتحدة .

أما (النصيريون) في عهد الاستقلال فركبوا موجة حزب البعث العربي الاشتراكي في أوائل الستينيات ، وبعد انقلاب الثامن من آذار سنة (١٩٦٢م – ١٣٨٢هـ) لعبوا دورًا بارزًا في كشف أسرار التنظيم الناصري من خلال انضمام

بعضهم إلى هذا التنظيم ظاهريًّا ، بعد سحق الناصريين اشترك "النصارى" و"النصيريون" و"الدروز" في حكم سوريا ، وفي نهاية الستينيات كان الحكم في سوريا خالصًا للنصيريين[١].

كان "النصيريون" يعملون بهدوء يضمن لهم سلامة الوصول للهرم ، ويحبكون مؤامراتهم في اجتماعات سرية منظمة ، ففي عام (١٩٦٠م – ١٣٨٠هـ) تنادى مشايخهم سرًّا لعقد أول مؤتمر للنصيريين في قرية (القرداحة) حضره كبار ضباط "النصيرية" ، وكان الهدف من الاجتماع التداول والاتفاق على كيفية انخراط الضباط النصيريين في صفوف حزب (البعث العربي) لاستغلاله وجعله سلمًا للوصول إلى الحكم ، واتخذت فيه عدة قرارات منها :

- التغرير بالضباط "الدروز" و"الإسماعيلية" والتعاون معهم .

- تكليف المشايخ دعوة أبناء الطائفة للتضامن والتعاون والتشجيع على الانخراط في الجيش .

وفي (١٨/تموز/١٩٦٣م = ١٣٨٣/٢/٢٧هـ) عقدوا مؤتمرهم الثاني في مدينة (حمص) وضم هذا المؤتمر عددًا أكبر من الضباط ، وناقشوا فيه بعض مشاريعهم الإضافية ، وفي نهاية المؤتمر صدرت القرارات التالية :

- التخطيط البعيد لتأسيس الدولة "النصيرية" وجعل عاصمتها (حمص)

- مواصلة نزوح "النصيرية" من كافة قرى الريف إلى المدن وخاصة إلى (حمص) و (اللاذقية) و (طرسوس)

- السعي لاستئصال العناصر (الدرزية) ، و (الإسماعيلية) الموجودين في صفوف الجيش ، والعمل على إحلال العناصر (النصيرية) محلهم[٢].

هذه أبرز توصيات المؤتمر ذكرتها باختصار[٣]، وقد قيل : (يكفي من القلادة ما

---

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٢٦٩/١)

(٢) كان بعض ضباط الجيش من هذه (الطائفة) خلال أوائل الستينيات يرون أن إعلان الدولة النصيرية في هذه الفترة سيذهب ريحها ولن يستطيع أنصارها الصمود ،وحرصًا على كيان الطائفة يبقى الحكم في الظاهر بعثيًّا عربيًّا ، وفي الباطن نصيري علوي ، مع ضرورة الاهتمام بالمراكز الحيوية في الجيش وكافة مرافق السلطة وعدم إسنادها إلا لمن يكون منهم .

يُنظَر : محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٢٨١/١-٢٨٢)

(٣) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٢٨٠/١ -٢٨٢)

أحاط بالعنق)

أما أبرز مؤامرات هذه الطائفة على المسلمين في بلاد الشام - سوى ما ذكرته في بعض المواضع من البحث- فهو احتلال لبنان في (١٩٧٦/١/١٩م = ١٣٩٦/١/١٧هـ) ، وكان من تداعيات هذا الاحتلال أن النظام النصيري أحس من الداخل بأن ردود فعل غاضبة باتت تهدد مستقبل الطائفة ، وأن دائرة الغضب اتسعت لتشمل البلدان المجاورة لسوريا وخصوصًا لبنان ، فالتيار الإسلامي داخل سوريا تشتعل الحرب معه ، ولا يزال يرفض الانصياع لأوامر السلطة "النصيرية" ، وهناك عداوة شديدة يرفع شعارها الحزب البعثي العفلقي في العراق الذي يسعى للعودة إلى الحكم في (دمشق) والإطاحة بالنظام النصيري ، ويعتبر بعثً لصيريًّ لمرتدًّ ا ، ناهيك عن الكابوس الذي ظل يقلق الطائفة المستبدة وهو حرية الأحزاب والإعلام في لبنان التي كانت وراء تدبير معظم الانقلابات في سوريا[1]، إضافة إلى أن في لبنان وسوريا والأردن والعراق عددًا من الفلسطينيين اندمجوا في هذه الدول ، وكانوا يجمعون على رفض الموقف النصيري تجاه قضية فلسطين ، كل تلك كانت عواصف شديدة تهب على النظام الطائفي من جهة لبنان ، ولا تمكنه من توقيع وثيقة الاستسلام النهائية لإسرائيل .

ما كانت إسرائيل لتسمح لسوريا باحتلال شبر واحد من الأراضي اللبنانية إذا كان هذا الاحتلال يهدد مصالحها أو مصالح حلفائها "الموارنة" ، وقد صرح "شمعون بيريز" - وزير دفاع إسرائيل- لصحيفة (معاريف) يوم (١٩٧٦/١/٨م = ١٣٩٦/١/٦هـ) بأن إسرائيل لن تبقى مكتوفة الأيدي في حال حدوث أي تدخل سوري في لبنان .

وكان هذا التصريح قبل دخول القوات السورية إلى لبنان بعشرة أيام ، وخلال هذه الأيام جاء دور الوساطة الأمريكية ، ولا سيما بعد أن قنع الرئيس الأمريكي "فورد" بحسن نوايا سوريا ، ففي (١٩٧٦/١/٢١م = ١٣٩٦/١/١٩هـ) نقلت وكالات الأنباء عن ناطق رسمي باسم (البيت الأبيض) ما يلي : (إن الرئيس "فورد" تخلى عن معارضته لتدخل عسكري خارجي في لبنان ، وإن الولايات المتحدة كان من الضروري عليها أن تأخذ بعين الاعتبار طبيعة مآرب سورية ونواياها) ، وفي (١٩٧٦/١/٢٩م = ١٣٩٦/١/٢٧هـ) نقلت وكالات الأنباء - منها وكالة الأنباء الفرنسية - عن متحدث رسمي باسم وزارة الخارجية الأميركية قوله : (إن الولايات المتحدة تعترف بأهمية الدور الذي تقوم به سوريا بالنسبة لتسوية الأزمة اللبنانية)

نقلت وكالة (اليونايتد برس) من (واشنطن) في (١٩٧٦/١/٢٧م =

(١) كانت فنادق لبنان ومقاهيها المشهورة مقرات لتنسيق هذه الانقلابات .

١٣٩٦/١/٢٥هـ) أن وزارة الخارجية الأمريكية أكدت بأنها تقوم بنقل الرسائل من الكيان الصهيوني إلى سوريا حول الوضع في الجنوب اللبناني .

واعترفت صحف إسرائيلية بأن اتصالات من هذا النوع قد جرت ، وأوضحت أن سوريا أكدت لمسئولين أمريكيين أن وجود قواتها في الجنوب إنما يستهدف المقاومة واليساريين اللبنانيين .

إنْ : علمت الولايات المتحدة وإسرائيل و"الموارنة" طبيعة مآرب سوريا ونواياها، كما علمت أن التدخل السوري هو ضد المقاومة والحركة الوطنية وليس ضد إسرائيل و"الموارنة" ، ولهذا تخلى الأمريكيون واليهود عن معارضتهم ووقفوا إلى جانب التدخل السوري في لبنان[١] .

بقي أن أشير إشارتين مهمتين :

الأولى : أن سوريا كانت خلال هذه الفترة تدعم مشروع (وحدة الهلال الخصيب) أو ما عرف بسوريا الكبرى حيث نشرت صحيفة (الفايننشال تايمز) البريطانية تحت عنوان (خطوة دمشق نحو سوريا الكبرى) ما يلي : (تفيد الأنباء الواردة من (واشنطن) أن (دمشق) تقترح إقامة اتحاد سوريا الكبرى كحل محتمل للنزاع الدائر حاليًّا في الشرق الأوسط ، وقد أكب المسئولون في (واشنطن) على دراسة هذه التقارير رغم اقتناعهم بأن ردود الفعل إزاء هذه الاقتراحات لن تجد فرصة كبيرة للظهور ، وتقول التقارير المذكورة : إن سوريا وضعت في اعتبارها إقامة اتحاد تتزعمه بنفسها ويضم كلاً من سوريا والأردن والدولة الفلسطينية)

الثانية : أن الاحتلال السوري تزامن مع وقوع الحرب الأهلية اللبنانية سنة (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ) التي كان طرفاها "الموارنة" النصارى في لبنان وتمثلهم الحكومة وبين المسلمين الذين هبوا للقتال تحت إطار "منظمة التحرير" و"الحركة الوطنية" و"جيش لبنان" العربي بعد المجازر البشعة التي وقعت في المخيمات الفلسطينية[٢] ،وخصوصًا مجزرة (الكرنتينا) وتمكنوا من احتلال : (شتورا) و (زحلة)

---

(١) قبل دخول القوات النصيرية إلى لبنان حصل "حافظ الأسد" على تفويض من دول جامعة الدول العربية أن يفعل بلبنان ما يشاء ، وتعهدت الدول العربية بتقديم المساعدات العسكرية والمالية التي تمكنه من الانتصار في المعركة .

يُنظَر : محمد سرور زين العابدين ، مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان ، طبعة دار الجابية ، (لندن) ، (٢٤١/١)

(٢) يقيم أكثر من نصف اللاجئين الفلسطينيين في اثني عشر مخيمًا معترفًا به لدى منظمة (الأنروا) وهي : نهر البارد ، البداوي ، عين الحلوة ، وبرج البراجنة ، ضبية ، مارالياس ، الرشيدية ، برج الشمالي ، البص ، شاتيلا ، ويفل (الجليل) ، المية مية .

=

و (زغرتا) و (الدامور) و(السعديات) ودارت الدائرة على "الموارنة" وسائر الصليبيين ، وأخذت مدفعيات جيش لبنان العربي تدك قصر (بعبدا) حتى هرب رئيس الجمهورية "سليمان فرنجية"[١] من القصر إلى مسقط رأسه (زغرتا) وسيطر الجيش العربي على معظم لبنان بقيادة الضابط "أحمد الخطيب"[٢]، وبات مؤكدًا أن الوضع في لبنان سينتهي لمصلحة الحركة الوطنية والمقاومة الفلسطينية[٣] .

في هذا الظرف الحرج على (المارونية) في لبنان تحرك (النصيريون) لينفذوا أوامر ساداتهم في (تل أبيب) و (واشنطن)

كان "حزب البعث الاشتراكي"شريكًا في المقاومة الفلسطينية ، فأمر منظمته - صاعقة - بالتخلي عن "منظمة التحرير" ففعلت ، ووجه معظم أفراد المنظمة بنادقهم إلى نحور إخوانهم الفلسطينيين في المخيمات وغيرها ، ومن المعلوم أن هذه المنظمة - صاعقة - جزء من الجيش البعثي الاشتراكي[٤] .

وكان "حزب البعث الاشتراكي"عضوًا في الحركة الوطنية فأمر منظمته التي يتزعمها الشيعي "عاصم قانصوه"[٥] بالانفصال عن الحركة ، وبذلك تمكن "النصيريون" من شق المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية ، كما تمكنوا من شراء ضعاف النفوس من الشخصيات والهيئات الفلسطينية واللبنانية[٦] .

=

يُنظَر : محمد سرور زين العابدين ، مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان ، مرجع سابق ، (١٨/١)

(١) **هو** : سليمان قبلان فرنجية . ولد في (زغرتا) لأسرة مارونية ، انتخب نائبًا في البرلمان باستمرار ، وشغل مناصب وزاريةفي حكومات عديدة حتى انتخب لرئاسة الجمهورية . توفي سنة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص١٧٧)

(٢) لم أجد له ترجمة .

(٣) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٤٨٢/١-٤٨٣)

(٤) المصدر نفسه ، (٤٨٣/١)

(٥) سياسي لبناني ، ولد في (بعلبك) لعائلة شيعية ، شغل فترة طويلة منصب الأمين القطري لحزب البعث في لبنان ،حصّل إجازة هندسة في اختصاص المناجم والآبار من جامعة (زغرب)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٦) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٤٨٣/١)

كان هناك فصيل شيعي من الضباط يقاتل تحت إطار الجيش العربي اللبناني يقوده "موسى الصدر"[1] فصدرت الأوامر الصدرية للفصيل بالتخلي عن الجيش ففعلوا وكان في مقدمتهم الضابط "إبراهيم بشارة" الذي كان مساعدًا لقائد الجيش العربي "أحمد الخطيب" ، و أمر "موسى الصدر" "منظمة أمل" فتخلت عن "الحركة الوطنية" وأعلنت انضمامها ووقوفها إلى جانب "الجيش البعثي العربي الاشتراكي"[2].

ولقد أسفر "موسى الصدر" عن وجهه الباطني فراح يهاجم الفلسطينيين ، ويدعو الأنظمة العربية للحذر منهم ، وهو الذي كان يتظاهر بتأييدهم ودعم قضيتهم ، وسارع في التوقيع على ميثاق وطني من أهم بنوده تكريس رئاسة الجمهورية لـ"الموارنة"[3].

إذًا : من المستهدف من هذه المعركة ؟

لم يكن المستهدف من هذه المعركة إلا المسلمون الفلسطينيون وكل من يقف ضد "النصيرية" ومستقبلها ، فـ"الدروز" و "اليساريون" لم يكونوا طرفًا في هذه المعركة ، وتركوا المسلمين وحدهم في ساحات القتال ، بل منع "جنبلاط" السلاح عن "الحركة الوطنية" بعد أن سيطر على مستودعات الجيش في (حمانا) مع كونه رئيسها ، واكتفت قوي اليسار الشيوعية بإصدار البيانات والتصريحات التي تندد بالحرب[4].

وانتصرت قوات الجيش البعثي العربي الاشتراكي انتصارًا ساحقًا على القوات المشتركة من المقاومة و"الحركة الوطنية" و"الجيش العربي" ولجأت إلى فرض حصار بري وبحري وجوي ، ومنعت المؤن والأسلحة من الوصول إلى أيدي المسلمين ، واستولت على مواد غذائية كانت في طريقها للمجاهدين ، ونهبت المصارف في (بيروت) ، وسرقت مخازن ومستودعات السجاد والفرش ، وأعدمت من بقي حيًّا في المخيمات الفلسطينية ، وهتكت أعراض المسلمات وبقرت بطون

(١) **هو** : موسى الصدر . من دعاة الشيعة وعلمائهم ، ولد في (قم) بإيران ، وانتقل إلى لبنان عام (١٩٦٠م – ١٣٧٩هـ) ، فجعل إقامته مدينة (صور) ، وكان له مكتب في (بيروت) ، وتولى رئاسة الشيعة في لبنان عبر تنظيمه الخاص ، وأسس حركة (أمل) عام (١٩٧٦م – ١٣٩٦هـ) ، اختفى من عام (١٩٧٦م – ١٣٩٦هـ) ، ولم يعلم عنه إلى اليوم .

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٤٤٧

(٢) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مجرع سابق ، (٤٨٤/١)

(٣) المصدر نفسه ، (٤٨٤/١)

(٤) المصدر نفسه ، (٤٨٤/١)

الحوامل من النساءخصوصـًا في مخيم (تل الزعتر)[1]

خامسـًا : الانقسام نحو العمل السياسي بين الإسلاميين :

من الواضح عند تتبع خط الانحراف الذي أصاب الأمة -في قرونها الماضية وخصوصـًا فيما بعد سقوط الدولة الأموية سنة (١٣٢هـ - ٧٤٩هـ) - أن هناك عزلة عن المشاركة في صناعة القرارات السياسية ،وانصرافـًا عن مراكز القيادة والتغيير ، وغاب أهل العلم والرأي عن مشهد الحياة السياسي إماالتزامـًا ببعض النصوص والأدلة الشرعية التي حذرت من ولوج الولايات ونهت عن طلب الإمارة ، وإما بتأويل له حظ من النظر وهو أن دخول هذا الباب لا يخلو من فتنة قد تذهب الدين وتعرض صاحبها للسؤال أمام رب العالمين ، وغربة الإسلام ، وعزة[2]الأمين ، فإيثار السلامة عند هؤلاء لا يعدله شيء ولو كان ملء الأرض ذهبًا ، وفريق ثالث يرى أن الانطلاقة المبكرة نحو العمل السياسي ليس هو البوابة الحقيقة لإصلاح واقع المجتمعات ، ولا هو طريق التغيير الضامن لخضوع العالم لشريعة السماء ما لم يكن الإصلاحأولاً عن طريق إعداد النفوس لتتحمل فيما بعد تبعة الرسالة ، وتهيئتها بالتزكية الروحية وتربيتها على أخذ الدين بقوة ، لتكون هي القاعدة الصلبة التي تضمن الانطلاقة الحقيقة نحو التغيير والإصلاح .

أما الانقسام بين الإسلاميين نحو المشاركة السياسية في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري فيمكن القول : إنه لم يكن هناك رفض مطلق للتوجه نحو العمل الإسلامي السياسي ، والبحث عن الوصول لمراكز صناعة القرار ، وتبوء المقاعد التي تكفل بقاء حكم الإسلام وشريعته الغراء في بلاد الشام ، بل كانت هناك جهود حثيثة قامت بها "رابطة علماء المسلمين" بقيادة الشيخ "حسن حبنكة الميداني"[3] وجهود الجمعيات الإسلامية آنذاك ومنها (الجمعية الغراء) ، وذكر من قبل ما قامت به "رابطة علماء المسلمين" والجمعيات الإسلامية أثناء أول انتخابات جرت بعد استقلال سوريا في يوليو (١٩٤٧م) الموافق (١٣٦٦/٨/١٨هـ) من دعم مرشحين من حركة "الإخوان

---

(١) محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، مرجع سابق ، (٤٨٩/١)

(٢) من عز يعز : إذا ندر أو قل .

(٣) **هو** : حسن بن مرزوق حبنكة الميداني . مجاهد ، خطيب ،مُربٍّ ، من أعلام العلماء ، ولد بـ(دمشق) ، أسهم في تأسيس رابطة العلماء بـ(دمشق) ، كما أسس عددًا من الجمعيات ، توفي سنة (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص١١٩)

المسلمين" وشخصيات إسلامية أخرى من خارج الحركة ، وكان جامع (تنكز) مركز الحملات الانتخابية ، وانطلقت منه الخطب والمشاركات الشعبية الواسعة التي أظهرت مدى التأييد الجماهيري للمرشحين بل "الوجه الديني" لـ(دمشق) ، ولولا ما كان من تزوير نتائج الانتخابات لاكتسحها مرشحوا الجمعيات بفارق ساحق بينهم وبين أقرب منافسيهم[١] .

وحين أجريت انتخابات المجلس التأسيسي المكلف بوضع دستور الدولة فاز الإسلاميون ورشح الشيخ "مصطفى السباعي" و"عارف الطرقجي"[٢] و"محمد المبارك"[٣] لدخول المجلس بعد فوز كبير ونجاح غير مسبوق في سوريا .

كان العامل الكبير الذي لعب دوراً أساسيّاً في فوز الإسلاميين آنذاك تلكم الجهود التي بذلها العلماء والمشايخ في الجمعيات الإسلامية ورابطة العلماء التي تقدم الحديث عنها .

ومع ما كان من جهود وتحركات يبذلها أهل العلم والدعوة إلا أنه احتف بهذه الفترة أمور منها :

١- أنه ظل بعض العلماء في عزلة عن الحراك السياسي الذي شهدته بلاد الشام وقبع في بيته أو زاوية مسجده وتخلى عن مسئولياته ، وقد كتب الشيخ "مصطفى السباعي" عدة مقالات منها مقالة (نكبة الدين في أخلاق علمائه) ومقالان عنوانه : (نكبة الدين في انحراف علمائه) ،وأخيراً كتب مقالاً سماه (العلماء والسياسة) نشر الأول والثاني في (١٣٥٣/١١/١١هـ = ١٩٣٥/٢/١٤م) و (١٣٥٦/١١/٢٥هـ = ١٩٣٨/١/٢٦م) والثالث في (١٣٥٦/٢/٣هـ = ١٩٣٧/٤/١٤م) وكان مما قاله في المقالة الأولى : (إذا أراد

---

(١) أبو الحسن الندوي ، مذكرات سائح في الشرق العربي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، (ص٣٢١)

(٢) **هو** : عارف بن صدقي الطرقجي . طبيب ، عالم ، حقوقي ، سياسي، من مواليد (حلب) ، درس في كليتي الطب والحقوق في جامعة (دمشق) ، أسهم في تأسيس جمعية "الأنصار" مع ابنه عام (١٩٥١م) ، و"جمعية الشبان المسلمين" ، توفي سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام،مرجع سابق ، (ص٢١٥)

(٣) محمد بن عبد القادر المبارك . من موالد (دمشق) ، أصل أسرته من الجزائر ، تابع الدراسة النظامية في (دمشق) ، وحصل على الليسانس في الآداب من فرنسا ، توفي سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)

انظر : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (٢١٩/١)

الباحث في تاريخ الإسلام والمسلمين أن يكشف الستار عن الداء الذي كان مبعث تشتت المسلمين وخذلان أمرهم في العصور الأخيرة فسيبدوا له أن لعلماء المسلمين النصيب الأوفر في ذلك ، ونحن نقول هذا بعد تتبع لوقائع التاريخ ، غير آبهين بما سيلمزنا به بعضهم من تحامل أو تجاهل ، فما كنا لنقول غير الحق ، وما كنا لندعو إلا إليه ، ولئن كان في الجهر بالحق بعض الألم فإن في السكوت عليه كل الألم وكل البلاء ، وما نحسب أحدًا يرضى من الشيء بأكثره وهو كاره لأقله، أو يتحمل من العناء أشده وهو متبرم ليسيره ، غير مكترثين بنفرة المريض من الدواء ، ولا بحزن أهله من تفاقم الداء ، وإلا كانوا غاشين نادمين) (١)

ويقول : (وأما القادة وأعني بهم العلماء فقد تخلوا عن المسئولية ، وقبعوا في البيوت والمعابد ، ومكنوا الفوضى والإباحية أن تجوس خلال الديار ، ولم يكن منهم إلا قول في مسجد لا يتجاوز الآذان ،وأنَّهٌ في درس لا يسمعها إلا العجزة والشيوخ ، وحوقلة واسترجاع هما عدة العاجز وتكأة المهزوم) (٢)

وتابعقائلاً : (قد يكون هذا الحكم قاسيًا ولكنه الواقع ، وقد يكونمؤلمًا ولكن الألم في السكوت عنه أشد ، وكيف لا يذوب القلبأسىً حين يرى أشد الناس صلة بالدين ، وأحقهم بالدفاع عن عقائد المسلمين ينزوي كل واحد منهم في وظيفة أو مسجد أو بيت ، بينما تشاد معاهد التبشير ، وتؤسس بيوت الدعاية الأجنبية ، وتحارب أحكام الله عمدًايومًا بعد يوم من قبل الحاكمين على شئون البلاد ، ولا يرتفع للعلماء صوت ولا يرى لهم أثر ، ولا يحس لهم بوجود ؟ وإذا لقيت أحدهم فذكرت له ما يعانيه المسلمون اعتذر لك بفساد الزمان وضعف الدين ، وأنبأك أن هذا من علامات قرب الساعة ، والسعيد من لزم بيته وحفظ لسانه) (٣)

٢- ظهرت بوادر انقسام بين الإسلاميين أنفسهم نحو الانخراط في العمل السياسي ابتداءً من سنة (١٩٤٩م – ١٣٦٨هـ) وتحديدًا بعد تربع المرشحين الإسلاميين الثلاثة في المجلس التأسيسي للدولة .

كانت الجمعية التأسيسية (المجلس) انتخبت لجنة من تسعة أعضاء سميت لجنة (الدستور) عهدت إليها الجمعية بوضع مشروع الدستور تمهيدًا لمناقشته وإقراره من

(١) مجلة الفتح / العدد (٥٨٤) بتاريخ (١٣٥٦/١١/١١هـ) الموافق (١٩٣٨/١/١٢م)

(٢) المصدر نفسه .

(٣) مجلة الفتح / العدد (٥٨٤) في (١٣٥٦/١١/١١هـ) الموافق (١٩٣٨/١/١٢م)

قبل الجمعية التي رأسها "سهيل فارس الخوري"[١] -نائب دمشق- ، ومقررها "عبد الوهاب حومد"[٢] -نائب حلب- ، وكان الشيخ "مصطفى السباعي" عضوًا فيها ، وسعى الشيخ -رحمه الله- في إصدار وثيقة باسم اللجنة تطالب بالنص في الدستور على أن دين الدولة الإسلام ، ولماذا يجب أن يكون دين الدولة كذلك ؟ فأبان الشيخ عن ديمقراطية هذا النص ، وعن المصلحة الداخلية والقومية والسياسية التي تدعو إليه ، وناقش اعتراضات الطوائف المسيحية في البلاد واعتراضات القوميين والعلمانيين وبعض الحقوقيين[٣] وصيغت الوثيقة بلغة علمية رفيعة وبأسلوب بعيد عن الإثارة والنعرة الطائفية[٤].

وفي أول جلسة لمناقشة مشروع الدستور عقدها المجلس في (٢٤ /يوليو/١٩٥٠م = ١٣٦٩/١٠/٩هـ) وقبل أن تبدأ اللجنة بالحديث عن مشروع الدستور بصورة عامة بادر الشيخ "مصطفى السباعي" فبدأ بالمدافعة في هذه القضية ، وما انتهت إليه اللجنة المكلفة بوضع الدستور من توصيات وهي :

أ- الإسلام دين الدولة .

ب- الأديان السماوية محترمة ومقدسة .

ج- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية .

د- المواطنون متساوون في الحقوق لا يحال بين المواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة [٥].

---

(١) **هو** : سهيل بن فارس الخوري . ولد بـ(دمشق) ، وتعلم بها ،حصل على الدكتوراة من معهد الحقوق الفرنسي بـ(بيروت) ،تولى مناصب حكومية ، توفي سنة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص١٧٩)

(٢) **هو** : عبد الوهاب بن محمود حومد . سياسي، قانوني ، حقوقي ، ولد بـ(حلب) وتعلم فيها ، شارك في تأسيس حزب الشعب مع "رشدي الكيخيا" ضد الكتلة الوطنية ،توفي سنة (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، علماء الشام وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق ، (ص٤٤٧)

(٣) سيأتي حديث مفصل عن هذه العريضة عند الحديث عن جهود المدافعة في الميدان السياسي .

(٤) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، الداعية المجاهد والفقيه المجدد ، مرجع سابق ، (ص٢٦٨)

(٥) المصدر نفسه ، (ص٢٦٩ -٢٧٠)

أثار قرار اللجنة بعض أعضاء الجمعية التأسيسية ، كما أن ضغط الشارع والرأي العام المطالب بإقرار توصيات اللجنة كان كبيرًا ، ومع ذلك انتهى الأمر في الجمعية إلى تعديل توصية اللجنة لتكون على النحو التالي :

١- دين رئيس الجمهورية الإسلامبدلاً من (دين الدولة الإسلام)

٢- الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيسي للتشريع .

٣- حرية الاعتقاد مصونة ، والدولة تحترم جميع الأديان السماوية ، وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها على ألا يخل ذلك بالنظام العام .

٤- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية[١].

كان لرأي العلماء في سوريا وخصوصًا رأي الشيخ "حسن حبنكة الميداني" -الذي كان له الفضل بعد الله تعالى في فوز الإسلاميين بانتخابات الجمعية التأسيسية وترشيح الأعضاء الثلاثة- أن يقدم المشايخ استقالاتهم من المجلس أو من الجمعية التأسيسية إذا رفضت المادة المذكورة كتمهيد لتحرك شعبي واسع يجبر المجلس على تبني هذه المادة ، وأنهم أو أن الشيخ "حسن حبنكة الميداني" كفيل بهذا التحرك وتحقيق هذه النتيجة ، ولكن النواب الثلاثة لم يقدموا استقالاتهم ، بل قبلوا بالنصوص الدستورية الأخرى التي أقرتها الجمعية ، ومن هنا بدأت شرارة الانقسام بين المشايخ من جهة وبين النواب الثلاثةوخصوصًا الشيخ "مصطفى السباعي"[٢].

وجد المشايخ وجمهور من المتدينين على رأسهم "رابطة علماء المسلمين" وبعض أنصار الشيخ من حركة "الإخوان المسلمون" على الشيخ "مصطفى السباعي" ولاموه على ما قام به من اجتهاد كان جديرًا أن يجمع له العلماء وأهل الحل والعقد الذين أوصلوه إلى مقعد الجمعية ، وتحول الأمر من كونهخلافًا في الاجتهاد ووجهات النظر إلى ضرب من الانتقاد الحاد الذي وصل في بعض الأحوال الشاذة إلى لون من ألوان الاتهام والتشهير[٣].

وحين استوضح "عدنان زرزور"[٤]سائلاً الشيخ "مصطفى السباعي" ذات يوم

---

(١) يوهانس رايسنر ، الحركات الإسلامية في سوريا من الأربعينيات وحتى نهاية عهد الشيشكلي ، رياض الرئيس للكتب والنشر ، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ) ، (ص٣٨٩ – ٣٩٠)

(٢) يُنظر : عدنان زرزور و مصطفى السباعي ، الداعية المجاهد والفقيه المجدد ، مرجع سابق ، (٢٧٣)

(٣) المصدر نفسه ، (ص٢٧٤)

(٤) **هو** : من مواليد (دمشق) ، ولد سنة (١٩٣٩م - ١٣٥٨هـ) تلقى تعليمه في مدارس "الجمعية =

عن مدى التعاون الذي كان بينهم - أعضاء المجلس الثلاثة - وبين العلماء والمشايخ ظهر أثر الامتعاض على وجه الشيخ وقال : كان التعاونقائمًا ، وكنا نطلعهم على ما كان يدور في المجلس ، فقال له : و الشيخ "حسن حبنكة" ؟

فقال : كان من أبرز العلماء المهتمين بهذه القضية ، ولقد ذهبنا لزيارته مرة أنا و"محمد المبارك" ففوجئنا بأن الاجتماع كان أقرب إلى المساءلة والمحاكمة ، ولم يقل أكثر من ذلك(١).

لم يكن الحسم في المعركة الدستورية مرضيًا داخل صفوف الإسلاميين بغض النظر عن انتماءاتهم الحركية أو الحزبية ، سواء كانوا من "الإخوان المسلمين" أم من العلماء والمشايخ وتلاميذهم وطلابهم أم من سائر المتعلمين والمثقفين ، ولم يكن بالمستوى الذي يرقى إلى طموحاتهم وتطلعاتهم ، ومن هنا بدأت بعض الأسئلة تطرح جدوى المشاركة البرلمانية بل السياسية ، ومفهوم الحكم الإسلامي ، وتناقش الأساليب المتبعة في عمل الإسلاميين ومدى تحقيقها لأهدافها ، خصوصًا وقد اعتمد أسلوب التربية الفردية الخلقية والإيمانية وهذا الأسلوب يحتاج لوقت طويل ، ويقابله أسلوب الخطابة والدعوة العامة الجماهيرية ، لكنه مع كثرة الجمهور واضطراب المقاييس فيه ليس مضمون النتائج(٢).

وهناك أمر آخر ساعد في توسيع الفجوة بين العلماء والمشايخ وبين الشيخ "مصطفى السباعي" وأثار ردود أفعال في أوساط الإسلاميين ، ذلك أن الشيخ "مصطفى السباعي" دخل ومن معه باسم (الجبهة الاشتراكية الإسلامية) ولما نجح هو ومن معه في الانتخابات أخذ يعمل مع الاشتراكيين داخل الجمعية التأسيسية ، مع أن التمثيل الإسلامي داخل الجمعية التأسيسية اشترك في تأليفه ثلاث جمعيات إسلامية وهي : (حركة الإخوان المسلمين) ، و (الجمعية الغراء) ، و(جمعية الأنصار) . ولم يقف الشيخ عند هذا الاجتهاد فحسب ، بل أخذ يلقي عشرات المحاضرات في المدن السورية عن علاقة الاشتراكية بالإسلام ، ويؤكد "عدنان زرزور" أن الشيخ "مصطفى

=

الغراء" وتخرج في كلية الشريعة بـ(دمشق) سنة (١٩٦٠م – ١٣٨٠هـ) عمل في التعليم الجامعي في جامعة (دمشق) والأردن ، ثم في جامعة قطر والإمارات ،ويعمل الآن أستاذًا بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية في كلية الآداب بجامعة البحرين .

تُنظَر سيرته الذاتية في : ذيل مؤلفه عن الشيخ السباعي الداعية المجاهد والفقيه المجدد ، (ص٥٦٩)

(١) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (ص٢٧٤)

(٢) يُنظر للاستزادة حول الصراع على الدستور : يوهانس رايسنر ، الحركات الاسلامية في سوريا ، مرجع سابق ، (ص٣٧٩ – ٣٩١)

السباعي" عني بموضوع (اشتراكية الإسلام) من سنوات طوال سبقت انتخابه في الجمعية ، حتى كانت محاضرته الحاشدة التي ألقاها على مدرج جامعة (دمشق) بعنوان (اشتراكية الإسلام) وقوبل يومئذ بعواصف من الهتاف والتصفيق وذلك في (١٣٧٨/٩/٢١هـ) الموافق (٣٠/مارس /١٩٥٩م) وأخذ الشيخ ينظر فيما يمكن أن تجتمع عليه الاشتراكية والإسلام من بعض الوجوه لتكون قوانينوأحكامًا ينص عليها الدستور ، ولم يكن يخفى على الشيخ وقع هذه التسمية على إخوانه وأنصاره كما لم يخف عليه منذ وقت طويل أنكثيرًا منهم ينكر أن تكون في الإسلام نزعة اشتراكية[١] .

يقول الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه اللهرادًّا على الشيخ "السباعي" في القول باشتراكية الإسلام :

(ثم كانت فتنة "الاشتراكية" ، وخدع ناس من أفاضلنا فقالوا (اشتراكية الإسلام) ، ألف في ذلك صديقنا الداعية إلى الله الرجل الصالح الشيخ "مصطفى السباعي" - رحمه الله- ولقد حضرت محاضرته في الجامعة السورية عن هذه الاشتراكية التي سماها إسلامية ، وكان إلى جنبي في الصف الأول أخي ورفيقي في كلية الحقوق وأحد أصدقاء عمري الشيخ "مصطفى الزرقا"[٢] فكنت أعترض أخانا الشيخ "السباعي" كلما ذكرقولاً فقهيًّا ضعيفًا يراه أقرب إلى الاشتراكية وأقاطعه وأنا في مكاني ، وكان بيني وبينه مناقشة بعد ذلك في الصحف قلت له فيها وقال لي ، وأنا أشهد له أنه ما أراد بما كتب إلا الخير وأن يقرب الاشتراكيين إلى الإسلام ، والشيخ "السباعي" أمتن دينًا وأكثر علمًا من أن يكتب أو يقول ما يخالف الإسلام ، ولكن الاشتراكيين كانوا أوسع حيلة وأقوى أداة وأكثر وسائل ، فاتخذوا كتابه ذريعة لتقريب المسلمين من "الاشتراكية"[٣] ، وما أراد إلا أن يقرب الاشتراكيين إلى الإسلام[١].

---

(١) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (ص٣٨٤)

(٢) **هو** : مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقاء . من أهالي (حلب) ،عالم ، حقوقي ، سياسي ، من أسرة حنفية ذات علم وفضل ، تعلم في المسجد ، والتحق بالمدارس النظامية ، والتحق بجامعة (دمشق) في كليتي الآداب والحقوق ، توفي سنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

انظر : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، مرجع سابق ، (٣٤٣/٢)

(٣) مراد الشيخ "الطنطاوي" -رحمه الله - : ما حصل عليه الشيخ "السباعي" من الفوز بجائزة الدولة المصرية التشجيعية بعد ترشيح كتابه من قبل المجلس الأعلى للعلوم والفنون والآداب عام (١٩٦٠م – ١٣٨٠هـ) ، وقامت مصر بطبعه ، ووظفه الناصريون للترويج للاشتراكية حين بدأ تطبيقها في سوريا أيام الوحدة سنة (١٩٦١م – ١٣٨١هـ) ، وحينها قامت إذاعتا (القاهرة) و (صوت العرب) بقراءة فصول من الكتاب لإفهام الرأي العام أن قرارات التأميم والمصادرة التي قامت بها (الجمهورية العربية المتحدة) يؤيدها الإسلام .

=

سادسًا : **الانقلابات السياسية :**

حفلت بلاد الشام وخصوصًا سوريا بانقلابات سياسية غير مسبوقة في البلاد العربية ، لعبت فيها التركيبة السياسية والانتماءات الحزبية دورًا كبيرًا في إذكاء الصراع ، وسأذكر هنا متتبعًا الانقلابات المتوالية التي مرت بها البلاد من أوائل استقلالها فهذا "شكري القوتلي" -من الزعماء الوطنيين ، عضو في "جمعية العربية الفتاة السِّرية" ، وكان أمين سرها- انتخب في (١٩٤٣/٨/١٧م = ١٣٦٢/٨/١٦هـ) رئيسًا للجمهورية السورية ، وكان على عهده جلاء الفرنسيين عن سوريا سنة (١٩٤٦م – ١٣٦٥هـ) ، وازدهرت البلاد في أيامه ، كان يشغل رئاسة أركان الحرب في عهده القائد العسكري "حسني الزعيم" الذي أطاح به متفقًا مع بعض الضباط ، واعتقله مع رئيس وزرائه وبعض رجالاتهم وكان هذا أول انقلاب في تاريخ سوريا في (١٣٦٨/٥/٢٩هـ) الموافق (٣٠/مارس/١٩٤٩م) ، أجبر بعدها "شكري القوتلي" على تقديم استقالته[٢]، وتولى الرئاسة بعده "حسني الزعيم" حيث خافه الناس فانتخبوه في آخر شعبان سنة (١٣٦٨هـ) الموافق (٢٦/يونيو/١٩٤٩م) ، وفض البرلمان ، لكنه لم يستمر في الحكم أكثر من (١٣٦)يومًا حتى قام مجموعة من الضباط في فجر يوم الأحد (١٣٦٨/١٠/١٩هـ) الموافق (١٤/أغسطس/ ١٩٤٩م) بتطويق داره بسياراتهم المصفحة فحاصروه ، ونزل منها ضابط كبير يتبعه عدد من صغار الضباط والجنود واشتبكوا مع حرس القصر ، وتبادلوا إطلاق النار فيما بينهم ، واقتحم الضابط القصر حتى وصل إلى غرفة الرئيس ، وطلب إليه أن يتبعه فقاومه ثم انقاد إلى خارج القصر وأركبوه إحدى سياراتهم ، وساروا به إلى قلعة (المزة) ، وتألف مجلس عسكري برئاسة العقيد "سامي الحناوي" وحوكم الرئيس بتهمة الخيانة ، وقرر المجلس في أقل من ساعة إعدامه رميًا بالرصاص ، ونفذ القرار في الحال[٣] .

أقيمت في سورية حكومة مدنية يشرف على سياستها العسكريون وفي مقدمتهم "محمد سامي الحناوي" وفي أواخر سنة (١٩٤٩م – ١٣٦٨هـ) قام "أديب الشيشكلي" مع بعض الضباط بانقلاب على "محمد سامي الحناوي" واستولوا على مقاليد الحكم ، وتولى "الشيشكلي" رئاسة الأركان العامة سنة (١٩٥١م – ١٣٧٠هـ) ثم تولى رئاسة الجمهورية السورية سنة (١٩٥٣م ١٣٧٢هـ) ، ولم يلبث حكمه سنة حتى شعر بأن

=

يُنظَر : عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (٣٨٨)

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات مرجع سابق ، (١٢٥/٨ – ١٢٦)

(٢) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣ /١٧٢)

(٣) المصدر نفسه (٢٢٨/٢)

انقلابًا يدبر عليه في حلب ، فسلم نائبه في رئاسة حركة التحرير كتاب استقالته من رئاسة الجمهورية وطلب منه إذاعة النبأ بعد أن يتم خروجه من سوريا ، وركب سيارة إلى (بيروت) في (٢٥/فبراير /١٩٥٤م = ١٣٧٣/٦/٢٢هـ) ناجيًا بنفسه إلى المملكة العربية السعودية[١]، وتولى الرئاسة "هاشم الأتاسي" ولبث في الحكم شهورًا ثم عادت الرئاسة مرة أخرى إلى "شكري القوتلي" في أغسطس (١٩٥٥م – ١٣٧٤هـ) ، واستمرت رئاسته حتى قام بزيارة إلى مصر على رأس وفد سوري ، فاتفق مع رئيسها "جمال عبد الناصر" على توحيد القطرين وتسميتهما (الجمهورية العربية المتحدة) وتنازل "شكري" مختارًا عن الرئاسة سنة (١٩٥٨م – ١٣٧٧هـ) وكان "جمال عبد الناصر" رئيسًا للجمهورية العربية المتحدة ، لمدة ثلاث سنوات ، حتى وقع الانقلاب على الوحدة في ربيع الثاني (١٣٨١هـ) الموافق (٢٨سبتمبر ١٩٦١م) بقيادة المقدم "عبد الكريم النحلاوي" الذي قاد حركة الانفصال عن مصر المسماة بـ(القيادة الثورية العربية العليا للقوات المسلحة) وأعلنت قيادته تكليف "مأمون الكزبري"[٢] رئيسًا لمجلس الوزراء ، وأسندت إليه إدارة شئون البلاد ، وتشكيل الوزارة وإصدار المراسيم الخاصة وتسمية وزرائها[٣].

وفي (١٩٦٢/٣/٢٨م = ١٣٨١/١٠/٢٢هـ) وقع انقلاب عسكري فاشل في سوريا اشترك فيه بعثيون وناصريون وصدر بلاغ من مجلس القيادة الثورية العربية العليا للقوات المسلحة باعتقال رئيس الجمهورية حينها "ناظم القدسي"[٤] ورئيس

(١) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١/ ٢٨٥)

(٢) **هو** : مأمون بن شفيق الكزبري . قانوني ، سياسي ، ولد في (دمشق) من أسرة علمية ، نال شهادة الحقوق من الجامعة اليسوعية في (بيروت) ، والدكتوراه من جامعة (ليون) بفرنسا ،تنقل في مناصب الدولة ، توفي سنة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ،علماء (دمشق) وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق، (ص٣٥١)

(٣) أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص١٥٤ ، ١٥٥)

(٤) **هو** : ناظم القدسي . سياسي ، حقوقي ، رئيس سابق للجمهورية السورية ، ولد في (حلب) وتعلم بها ، أسهم في تأسيس حزب الشعب ، تولى مناصب سياسية عديدة ، فرضت عليه الإقامة الجبرية بعد حكمه ، ثم سمح له بمغادرة البلاد فرحل إلى لبنان فأوروبا ،واستقر أخيرًا في الأردن بعيدًا عن السياسة حتى توفي سنة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، علماء (دمشق) وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق، (ص٣٥٩)

المجلس النيابي ووزراء الحكومة ، وأجبر "ناظم القدسي" على الاستقالة[١].

أثارت قرارات (القيادة الثورية العربية العليا) بعض ضباط الجيش المناوئين لها فقاموا بعد ثلاثة أيام من إصدار القرار بعصيان مسلح عسكري في مدن (حمص) و (اللاذقية) و (حلب) في (١٩٦٢/٣/٣١م = ١٣٨١/١٠/٢٥هـ) وسموا أنفسهم (قيادة الضباط الأحرار) وحاولوا العودة إلى الوحدة[٢] مع مصر لكنهم فشلوا ، وفي (٨/آذار/١٩٦٣م = ١٣٨٢/١٠/١٣هـ) دبر البعثيون والناصريون انقلابًا على النظام الانفصالي قاده بعض الضباط ، وأعيد تنظيم (حزب البعث العربي الاشتراكي) وشكل (المجلس الوطني لقيادة الثورة) برئاسة "لؤي الأتاسي"[٣] [٤].

واستمر دور الحزب خلال الستينيات رغم ما وقع من الانقسام في أوساطه خلال هذا العقد حتى قام وزير الدفاع آنذاك "حافظ الأسد" بالحركة التصحيحية في (١٩٧٠/١١/١٦م = ١٣٩٠/٩/١٧هـ) حيث فرض الإقامة الجبرية على رئيس الدولة "نور الدين الأتاسي"[٥] واعتقل الأمين العام المساعد لحزب البعث (الجناح المدني) اللواء "صلاح جديد" بينما فر الآخرون إلى لبنان ، وتشكلت حكومة ائتلافية وطنية في سوريا برئاسة "حافظ الأسد" ولم يأت يوم (١٩٧١/٢/٢٢م = ١٣٩٠/١٢/٢٧هـ) حتى أصبح "حافظ الأسد" متمتعًا بصلاحيات رئيس الجمهورية العربية السورية بموجب الدستور ، وحددت المادة (٩٣) منه اختصاصه بحيث أصبح النظام رئاسيًّا[٦].

---

(١) أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (١٥٤ - ١٥٥)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٦٠)

(٣) **هو** : لؤي بن أحمد سامي بن إبراهيم الأتاسي ، رئيس سوري سابق ، من مواليد (حمص) وقائد عسكري ، توفي سنة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . Ar.wikipedia.org/wiki5/june/2011

(٤) أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق، (ص٢٧٤)

(٥) **هو** : نور الدين الأتاسي . سياسي ، بعثي ، طبيب، من أهالي (حمص) ، أسرته مشهورة بالعلم والوجاهة ، تولى وزارة الداخلية ، ثم نائبًا للحاكم العرفي ،فعضوًا في مجلس الرئاسة فنائبًا لرئيس الوزراء ، اختير رئيسًا للجمهورية ، ولم يلبث أن عزل ، توفي سنة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته :نزار أباظه ، علماء (دمشق) وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق ، (ص٢٤٩)

(٦)أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، =

كان لهذه الانقلابات والاضطرابات أثر كبير على جهود المدافعة إذ عاشت بلاد الشام حينها حالة من الركود على الساحة الإسلامية بسبب سوء الأحوال الداخلية ، وطالت رموز الدعوة حينها حملة اعتقالات وتهجير ، وحلت الحركة الإسلامية آنذاك ، ومع ذلك برزت بعض الجهود التي حافظت على البقية الباقية من ثقافة الأمة -كما سيأتي إن شاء الله- .

المبحث الثاني

العائق الإعلامي

لا يختلف اثنان في أهمية الدور الذي يلعبه الإعلام في حشد الدعم الاجتماعي وتوصيل رسالة أي مشروع مّا من خلال وسائله المختلفةمقروءةًومسموعةً ومرئيةً ، بل إن أعظم من ذلك قدرته على بلورة ثقافات الشعوب وتغييرها سلبًا أو إيجابًا ، وصناعة ثقافات جديدة تتخطى الحدود والأقاليم ، ولذا كان له تأثير فاعل في الحراك الثقافي في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري ، وبالرغم من قناعة الإسلاميين بأهمية الاضطلاع بالوسيلة الإعلامية إلا أن مدى استفادتهم منها كان ضعيفًا في أغلب أحيانه ، ولعل ذلك يعود إلى بعض العوائق التي فرضتها تلك المرحلة ، أو تلك المتعلقة بالإسلاميين أنفسهم ، ومن أهمها :

١ - عدم وجود مؤسسات إسلامية إعلامية متخصصة :

فخلال هذا القرن الرابع عشر الهجري غاب عن الإعلام الإسلامي العمل المؤسسي ، وكانت أبرز جهود الإسلاميين في الإعلام مجرد اجتهادات فردية ، ومشاركات ومبادرات شخصية تعبر عن آراء أصحابها ، دون أن يكون منطلقها العمل الإسلامي المؤسسي في ميادين الإعلام المختلفة .

ويمكن هنا الإشارة بأنجزءًاكبيرًا من هذا الدور الإعلامي لم يكن يمارس وفق رؤية أو مشروع إعلامي حادث ، بل تقوم به بعض الجمعيات الإسلامية آنذاك كجمعيتي (التمدّن) ، و (الهداية) . وكانت غايته كتابة المنشورات وتوعية المجتمع

=

(ص٢٧٧)

حول القضايا الداخلية في البلاد وموقف أهل العلم منها ، أو إعلان تأييد أو مناصرة لمواقف بعض المشايخ والعلماء .

بينما كان وجه الإعلام الآخر يحظى بمؤسساته الإعلامية المتعددة ، وجهده القومي الدؤوب منذ خمسينيات القرن التاسع عشر الميلادي ، وهذه مجلاتهم وصحفهم ودورياتهم شاهد حال على ذلك .

٢ - ضعف الإمكانات :

كان هذا العائق من أبرز عوائق المدافعة في هذا الميدان إذ لم تكن تلتفت يمنة أو يسرة لتبحث عن إعلام إسلامي إلا وجدت صحفًا هزيلة وأركانًا في الإذاعات مهملة أو منسية ، فهذه جريدة أو مجلة تحتل مبنىً مهالكًا ، لا مطابع لها ، ولا إمكانات لديها تقف في مصاف الإعلام الشيوعي والقومي فضلاً عن الإعلام العالمي ، وكانت كثير منها تقف على أكتاف أفراد معدودين يعوزهم التخصص أحيانًا ويحول بينهم وبين الوفاء بالدور الإعلامي المأمول فقر في الإمكانات الفنية والعلمية والمادية .

فلا غروإذًا أن نجد الهوة واسعة ، والبون شاسعًا إذا قارنا مقارنة سريعة بين الإعلام الإسلامي وبين الإعلام العام الآخر[١].

لما كتب الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- أول رسالة له في الملل والنحل ، وجعل عنوانها (سيف الإسلام) كتب على غلافها (طبعت على نفقة فلان)

وحين توالت هذه الرسائل تولى جمع المال لطبعها أحد إخوانه وكان يتولى نشرها مع جمعية (الهداية الإسلامية)[٢] وهذه (رسائل الإصلاح) التي نشرت له سنة (١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م) تولى نشرها وطباعتها "محمد زاهد الكوثري"[٣] ، وكان التجار وأهل الخير في البلاد يتبرعون بتكاليف الطباعة ، وتوزيع المنشور مجانًا بين الناس حتى يتمكنوا من قراءته ويتداولونه فيما بينهم[٤] ، وكان الكتّاب في الشام قلة ، وكانت أكثر المجلات والكتب ترد من مصر وإن كانت قليلة هي الأخرى ، أما الجرائد فكانت

(١) محمد إبراهيم نصر ، الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها ، طبعة دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م) ، (ص٧) بتصرف .

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١١/٢)

(٣) **هو** : محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري . فقيه ، حنفي ، له اشتغال بالأدب والسير ، جركسي الأصل ، ولد ونشأ في قرية من أعمال (دوزجة) شرقي (الآستانة) ، تناوله بعض الفضلاء بالنقد لبعض أفكاره ومواقفه ، وتوفي بـ(القاهرة) سنة (١٣٧١هـ-١٩٥٢م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٢٩/٦)

(٤) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١٢/٢)

أربعًا ، كل واحدة بأربع صفحات منها صفحة للمقالات ، والجائلون فيها قليل ، وكانت تصدر بعد الظهر[١] وهي (المقتبس) و(ألف باء) و(الشعب) و(فتى العرب) ، وكانت هذه المجلات والجرائد الشامية تفتقر إلى مقر متكامل ، وتجهيزات إعلامية ، وموظفين يسوِّقون للجريدة أو المجلة وعمالاً مهرة ، ومراسلين مهنيين ، فهذه إحدى الجرائد وهي (فتى العرب) كانت إدارتها في عمارة صغيرة تشتمل على دكانين فوقهما بهو واسع، وكانت هيئة تحريرها مؤلفة من رجلين في دكان ، والإدارة والتوزيع في دكان يشرف عليهما موظف واحد ، وكان فوقه المطبعة وعمالها . وكانت الجرائد تكتب بخط اليد ، وفي بعض الأحيان يشق على القراء قراءة بعض مقالاتها وأخبارها خصوصًا من يطالعها أول مرة ، ولم يكن لأكثرها يومئذ مراسلون ، وربما صيغت الأخبار المكذوبة والقصص الموضوعة لتملأ بها أرباع الأعمدة الفارغة أو أنصافها أو كلها[٢].

ويذكر الشيخ "على الطنطاوي" أنه في عام (١٩٤١م – ١٣٦٠هـ) لم يكن للإذاعةمبنىً خاص تستطيع من خلاله ممارسة دورها والقيام بمهامها ، بل كانت في غرفة من مبنى الهاتف الآلي آنذاك ، ولم يكن في (دمشق) كلها إلا راد (راديو) واحد جاء به "محمد علي بك العابد" ثم جاء الأمير "سعيد الجزائري" براد (راديو)ثانٍ [٣].

ومن المعلوم أن العمل الإعلامي وخصوصًا الإسلامي- لا يستطيع الصمود في الميدان إلا برأس مال ضخم يسهم في الوصول به إلى مصاف الإعلام العالمي ، فهو محتاج إلى الآلات غالية الثمن ، معقدة التركيب ، ويستهلك أطنانًا من الورق ومئات البراميل من الحبر ، وفوق ذلك تقديمه لقرائه وجبات فكرية وثقافية مميزة تكون عندهم رأيًاسليمًاواتفاعلاً إيجابيًا للتعاطي مع قضايا الأمة وظروفها.

٣ - المواقف المتباينة للإسلاميين حول المشاركة في الإعلام :

مع ما كان يعيشه الإعلام الإسلامي من ضعف على كافة الأصعدة وبالرغم من مخاطر المرحلة التي أتحدث عنها وهيمنة الفكر الشيوعي والقومي على وسائل الإعلام ، إلا أن الصوت الإسلامي كان خافتًا ، والرجال الذين أسندت إليهم هذه الرسالة الإعلامية كان منهم من دون مستوى الشرف الرفيع الذي أنيط به ، ولم يكونوا على مستوى التحدي الذي يقابلون به .

(١) المصدر نفسه ، (٢٨٤/٣ – ٢٨٩)

(٢) المصدر نفسه ، (٣٧٣/١ – ٣٧٤)

(٣) المصدر نفسه ، (٣٧٣/١) و (٢١٨/٣)

حقًا ، لم تكن هناك تعبئة إسلامية كافية للاستفادة من هذا الميدان ، ولا جهود متضافرة على النحو الذي يلقاه الإعلام العام ، وكان لموقف بعض العلماء من المشاركة في الإعلام دور كبير في خسارة الجولة ، فبعضهم كان يرى أن المشاركة في الإعلامخصوصًا (الإعلام المرئي) ذريعة لاقتناء الناس هذه الوسيلة ، إضافة إلى أن فيه تزكية ومباركة لدعاة الفساد والانحلال القائمين عليها ، إلى غير ذلك مما كان يبديه هؤلاء العلماء أو يحيك في نفوسهم .

وكان من آثار هذا الجفاء أن اختزنت المبادئ والقيم في صدور أصحابها ، ولم تتهيأ الفرصة لها للنشر والإذاعة ، وعادتآثارًا محنطة ،وأفكارًا مهملة لا ينتفع الناس بها ، ولا يكشف لهم عن جوهرها ، ولا يستفيدون من النماذج التي تهديهم إليها ، وأعظم من ذلك كله أن ترك المكانفارغًا ليتبوأه من ليس من أهله[1].

ولذا ولج فيه من لا رأي لهم ولا عقائد ، واندس فيه ضعاف القلوب من منافقة المسلمين ، والمبشرون والشيوعيون ، فروجوا لأفكارهم وعاداتهم حتى حملوا شباب الإسلام على تبني أفكار مادية جعلته يقيم للمادة الاعتبار والوزن في تفكيره وسلوكه ، بينما أصبحت عباداته وسلوكياته الإسلاميةشكلاً لا روح فيه.

٤ - سيطرة الولاءات الاستعمارية :

كانت أكثر الجرائد والصحف تمشى مع المستعمر الفرنسي وتعارض الوطنية ، وكانت بمثابة لسان الحكومة ، ولذا وفرت لها الحكومةدعمًا كبيرًا ، وحين عرض وزير المالية "الشعباني" - صاحب جريدة (الأهالي) التي تصدر من مدينة (حلب) وكان الوطنيون يكرهونها لموافقتها للمستعمر ومعارضتها إرادة الشعب - على الشيخ "علي الطنطاوي" أن يتولى تحريرها وعده أن يعطيه مرتبًاكبيرًلجدًّا حتى إن الشيخ "علي الطنطاوي" لم يصدق سمعه لكن صرف الله تعالى الشيخ عن الاستجابة للوزير[2].

أما في عهد الاستقلال فلم يختلف الحال ، بلسُخِّرت بعض المجلات التي كانت تصدر باسم الجيش البعثي -كمجلة (جيش الشعب)- للنيل من الإسلام ودعاتهطمعًا في خلق معركة غير متكافئة بينهم وبين السلطة ، ومن ذلك ما كتبه "إبراهيم خلاص" في أحد أعدادها ؛ حيث أعلن : (ضرورة خلق الإنسان العربي الجديد الكافر بكل القيم القديمة التقليدية التي أصبحت بالية) وذكر فيها : (أن الله والدين والقيم يجب أن توضع

(١) ينظر : محمد إبراهيم نصر ، الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها ، مرجع سابق ، (ص١٠ -١٨)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٢٠٤/٣)

في متحف التاريخ)[١]

بل كان الرؤساء يدعون أصحاب الصحف ، فيوزعون عليهم مبالغ من المال ليكتبوا لهم ما يريدون أو يريد أسيادهم الفرنسيون ، فيبيعون ضمائرهم في سوق النفاق[٢] .

وكانت هذه سياسة الفرنسيين قبلهم إذ كانوا يقطعون بالوظائف الألسنة ، ويكفون عنهم بها الأقلام ، فإن أبى أصحابها بادروا بمنع صدورها كما فعلوا مع جريدة (الأيام) التي كانت لسان الشعب والمعبر عن آماله وآلامه ، ولما حصلوا على ترخيص بإصدار جريدة أخرى باسم جريدة (اليوم) واستمروا في السير بها على نهج (الأيام) منعوها بتاتًا ، وختموا بابها بالشمع الأحمر ، وأخذوا رئيس تحريرها [٣]

وقد حرص (السلطويون) على ضرورة كون الإعلام تابعًا لنظمهم السياسية ، فإذا دعا النظام السياسي إلى "الاشتراكية" كانت وسائل الإعلام أول من يصفق لها ويدعو إليها ، وإذا اتجه إلى "الرأسمالية" راحت جميع الوسائل فيه تختلق المبررات لذلك ، وتقنع قراءها بأن الإسلام لا يناقض "الرأسمالية" . ومن المؤسف أن بعض الإسلاميين يقعون فريسة ، ويُظَّ فون كأداة لمثل هذه التيارات بقصد أو بغير قصد [٤].

٥ ـ الحرية الإعلامية المطلقة :

كانت الصحف طليقة لا يقيدها إلا قيد القانون ولا يسيطر عليها إلا قضاء القاضي ، وكانت الأقلام حرة تجول وتصول حيث تشاء كما تشاء حتى تجرأت بعض المجلات في (دمشق) فانطلقت هائمة تقلد نظيراتها في مصر فتنشر صور العرايا ، فيشتريها الشباب لهذه الصور لأنه ليس فيها ما يقرأ فتشترى من أجله[٥]

وفي لبنان أفرزت الحرية المطلقة في الإعلام صحفًا كأنها سفارات أجنبية ، وأقلامًا أصبحت معاول هدم[٦].

(١) عبدالرحمن الميداني ، الوالد الداعية حسن حبنكة ، مرجع سابق ، (ص٢٧٤)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٧٥/١)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٢/ ٨٧)

(٤) ينظر : محمد إبراهيم نصر ، الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية ، مرجع سابق ، (ص٢٣)

(٥) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٠٣/٥ ، ٣٢٢)

(٦) المصدر نفسه ، (٣٨١/١)

٦ - كان الغالب على الإعلام الإسلامي على مختلف صعده تأثره بظروف المرحلة :

ولذا كانت لغة خطابه حادة وساخنة ،وكثيرًا ما تعبأ بعبارات التنديد والتحريض الوطني والشعبي .

ومع ما في هذا الدور من أثر إيجابي كبير إلا أن ميدان الإعلام ظلمشتغلاً به عن أداء دوره البنائي من عرض قضايا الفتاة المسلمة ومشكلاتها ، والشباب المسلم وقضاياه واهتماماته ، ومخاطبة شرائح المجتمع الأخرى (الطفل - المرأة - كبار السن) وبناء القاعدة الأساسية للإصلاح والتغيير ، ونشر الوعي العام الإسلامي الذي يعلو على الإقليمية والقومية .

إن الإعلام الناجحأيًّا كان هو ما كان مستجيبًا لمتطلبات جمهوره ، ولم يكن الدور الإسلامي في هذا الميدانكفيلاً باستجابة الملايين من المسلمين ، ولم يكن على مستوى الكفاية ،فما يقدمه لا يُقرأ ، ولا يرقى لهموم القارئ العربي المسلم ، فحال الصحف والمجلات متخلف عن الصحف والمجلات الأخرى - شيوعية أو اشتراكية أو رأسمالية -تخلفًا فريدًا في الإخراج والكتابة وتناول الموضوعات وحسن العرض والترتيب .

٧ - غياب المنظومة الإعلامية التكاملية :

فإن المتأمل في الساحة الإعلامية خلال هذه المرحلة يظهر له مدى غياب التنسيق والتكامل بين الإسلاميين من خلال مقالاتهم في الصحف ، أو تلك التي تتولى نشرها بعض الجمعيات الإسلامية ، فلم يكن هناك رؤية مشتركة أو آراء متبادلة بين هذه الجهات ، أو بادرة لقيام مجلس مشترك يجتمع من حين لآخر للتنسيق ، ووضع محاور وقضايا يتفق الجميع على التعاون من أجلها .

المبحث الثالث

العائق الاقتصادي

عُرف في بلاد الشام تنظيم للطوائف الحرفية خلال الحكم العثماني ، ولعبت الطوائفدورًالمهمًّا في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والإدارية ، حيث انتظم فيها

قسم كبير من السكان وخاصة في المدن سواء في مجال الإنتاج أم الخدمات أم التسويق ، وقد تميز التنظيم الحرفي في بلاد الشام - عن بقية الولايات العثمانية - بالتخصص وتوزيع العمل[١].

وقد ذكرت سجلات المحاكم الشرعية خلال القرون (السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر) ما يقارب مائةوثلاثًا وستين طائفة ، وهناك طوائف لم تشملها سجلات المحاكم الشرعية إذ إن الوثائق والسجلات الشرعية ذكرت فقط الطوائف التي لجأت للمحاكم لتنصيب شيخ لها أو عزله ، أو لتسوية منازعات داخل الطائفة ، أو بينها وبين طائفة أخرى ، أو بينها وبين السلطة أو السكان .

ومن ذلك طوائف : (بائعي البن - بائعي العبايات - بائعي لحم الجاموس - بائعي النّعال -البغّالة[٢] -البقّارين -البقّالين ، البياطرة ،الجمّالين ، الحبّالين ، الحدّادين - الحريريين -الحلاّقين - الحلوانية - الحمامية - الخبّازين - الخشّابين - الدبّاغين -الشلاّحين [٣] - الصابونية - الطبّاخين -العطّارين - العصّارين[٤].. الخ[٥] .

وبعض هذه الطوائف قد انقرض ، وبعضها تضاءل شأنها ، وبعضها لا تزال قائمة، ومما يلاحظ على هذه الطوائف غياب أسماء النساء بين أعضائها ، وكذلك غياب طوائف خاصة بالنساء ، ومن الطبيعي أن النساء سواء في المدن أو الأرياف قمن بأعمال حرفية كغزل القطن وحبك حبال القش لصنع الحصير ، ولكن لا أعلم إذا انتظمن في طوائف خاصة بهن ولم يتيسر الإعلان عنهانظرًا للحياة المغلقة التي كن يعشنها [٦].

طبَّقت الطوائف الحرفية مبدأ توزيع العمل والتخصص الدقيق ، فعلى سبيل المثال في مجال (الصّباغة) وجد صباغون متخصصون بالصباغ الأحمر ، وآخرون بالأزرق الغامق (الكحلي أو النيلي) وآخرون ببقية الألوان ،كما وجدت طوائف خاصة

---

(١) عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، مرجع سابق ، (ص٣٠)

(٢) بائعو البغال .

(٣) بائعو المشالح .

(٤) من يعصر السمسم والزيتون ، ونحوهما .

(٥) عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، ، مرجع سابق ، (ص٣١ – ٣٢)

(٦) المصدر نفسه ، (ص٣٤)

بالمسلمين والمسيحيين وأخرى مشتركة بينهم .

وحافظت الطوائف في المجال الاجتماعي على بعض المميزات السائدة في المجتمع ، كما أنها بتنظيماتها وأخلاقيتها المهنية ساعدت على تطوير مستوى الأخلاق بعامة ، بل لعبت دورًا كبيرًا فاق دور (المحتسب)[١] الذي غاب في أكثر الأحيان عن الوجود[٢] .

فشيخ الطائفة اشترط فيه - إلى جانب معرفته بأمور الحرفة وقدرته على أداء واجبات المشيخة - أن يكون متحليًا بالعفة والاستقامة والتدين ، كما اشترطت الصفات نفسها في مساعديه ، وإذاأخلّوا أوأخلّ أحدهمحُق لأفراد الطائفة عزلهم عند القاضي إذا صحت الدعوى عنده [٣].

انعكس هذا الالتزام بالأخلاقية المهنية على اهتمام الحرفيين وبالتالي الشعب ، ووطد دعائم الأخلاق بين أهل الشام .

أمّا ما آلت إليه الحالة الاقتصادية في بلاد الشام حين دقّت نواقيس الحرب العالمية الأولى فقد سبق الحديث عنها ، ويجدر هنا أن أذكر ما أصاب أهل الشام من الهلع والخوف - كما يحكي ذلك "محمد كرد علي" - ، وزاد من قلقهم الإجراءات الاحترازية الشديدة التي أمر بها "جمال باشا"خوفًا من هروب الجنود من ساحات القتال وعدم الانقياد للأوامر فأمر بإعدام بعضالفارّين ، وداهم البيوت وأخرج أبناءها بالقوة ، كمافوّض الضبّاط الأتراك بتنفيذ الإعدام بسبب الفرار من الجنديّة فيواحدٍ من عشرة[٤] .

يقول "محمد كرد علي" : (ولو أردنا تفصيل ما وقع من الجيش ولأجل الجيش وأهمه استباحة الأعراض المصونة ، والعبثبالمقدّساتوالمشخّصات لاقتضى ذلك مجلّدًا برأسه)[٥]

ويقولأيضًامصورًا حال البلاد : (فقد فسدت الأخلاق ، ونضبت موارد البلاد ،

---

(١) رجال الحسبة .

(٢) عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، مرجع سابق ، (ص٤٢ ، ٤٨)

(٣) عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، مرجع سابق ، (ص٤٩)

(٤) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (١٤٥/٣ - ١٤٦)

(٥) المصدر نفسه (١٤٥/٣ - ١٤٦)

وقلّ الفحم الحجري ، وقطعت الأشجار كحطب بدلاً منه) إلى أن قال : (وقد طالت فترة الحرب وغلت مراجل الأحقاد ، وساءت الأخلاق ، ولم يجسر أحدٌ على انتقاد الدولة خوفاً من العذاب الشديد ، وقد جمع "أنور باشا" مليوناً ونصف المليون من الجنود الأتراك ، وترك أسرهم بلا معيل ، وكان يعطي لكل جندي ربع ريال شهرياً)[١]

وكانت هذه الحرب وبالاً على بلاد الشام ، وكانت من أشأم الحروب ، إذ اجتمعت فيها المصادرات وفقد المواد الغذائية والمجاعة ، إضافة إلى ما خربته الحرب مع انتشار التيفوس والطاعون[٢] ، ونتيجة لسياسة المصادرة ، وسوق جميع الرجال للحرب ، واختفاء الذهب ، وفقد النقود ، أغلقت المصارف أبوابها ، وأغلقت المعامل وتعطلت المصانع ، وبيعت الحاجات الخاصة بأسعار قليلة ، وتعطلت مواسم الحصاد بسبب قلة الرجال ، وأخذت المواد الغذائية في الاختفاء حتى انقطعت نهائياً كالسكر ، والأدوية ، والكاز ، والأقمشة[٣].

يذكر الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- في كتابه (دمشق) ما كان يراه من حال الناس فيقول :

(رأينا القتال في أسواق دمشق يدور كل صباح من أجل رغيفٍ من الخبز ، والفرن مغلق ما فيه إلا كوَّة واحدة مفتوحة يقوم عليها الخبّاز والجندي إلى جانبه ، يدعو واحداً بعد واحد من هؤلاء الناس الذين سدّوا الشوارع بكثرتهم ، لا يطلبون صدقةً ولا إحساناً ، وإنما يطلبون الخبز بالذهب فلا يجدونه ، وماشحّت السماء بالقطر وما أجدبت الأرض ، ولكن (حلفاءنا) الألمان استأثروا بأطايب القمح ، وتركوا لناشرّ الحنطة وأخبث الشعير ، ثم يا ليت أنا وجدناه)[٤]

ويقول متابعًا حديثه : (رأينا الناس في طريقنا إلى المدرسة ينبشون أكوام القمامة لعلهم يجدون فيها بقايا طعام ،وعزّ السكر حتى صارت الأوقية (مائتي غرام) بريال مجيدي ، وقد كان المجيدي قبل الحرب يكفي لوليمة ضخمة .وقلّ "الكاز" - البترول- وفقدت أشياء كثيرة ممّا كنّا نستورده ، وما كان عند التجار قبضوا عليه أيديهم وأخفوه في مستودعاتهم ، وكانت أياماً شداداً)[٥]

---

(١) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (١٤٥/٣ - ١٤٦)

(٢) كامل الغزي ، نهر الذهب في تاريخ (حلب) ، مرجع سابق ، (٥٦٣/٣)

(٣) علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق ، (ص٣٤٧ - ٣٥١)

(٤) علي الطنطاوي ، (دمشق) صور من جمالها وعبر من نضالها ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الخامسة (٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ) ، (ص٦٦)

(٥) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥٧/١ - ٥٨)

وكان من أعظم ما نزل ببلاد الشام خلال فترة الحرب العالمية الأولى انتشار وباء (التيفوس) و(الكوليرا) وقد بلغت ضحايا التيفوس في (حلب) أواخر (١٩١٤م – ١٣٣٢هـ) الآلاف ، فكان يموت يوميًّا (٢٠٠ – ٣٠٠) شخص ، وانتشر المرض في (بيروت) فأصاب ٢٥% من سكانها ، وهكذا بقية المدن والأقاليم ، وانتشرت (الكوليرا) في البلاد وخاصة بين الجنود وعامة الجيش ، وطغت المجاعة على كل المصائب ، وكان لها سببان :

الأول : موجات الجراد الوافدة من الصحراء ولم تشهد البلاد لها مثيلاً منذ أربعين سنة ، كما أن غزارة الأمطار وكثرة الثلوج في جبال لبنان منعت وصول الحبوب إليه من داخل سوريا.

الثاني : أن الحكومة صادرت معظم الرجال والحيوانات منذ بدء الحرب[١]

لقد باع الناس شبابيك بيوتهم وسقوفها ، وصاروا يهجرون قراهم وخاصة في لبنان ويتجهون نحو سوريا ، كانوا يأكلون الأعشاب ، وكان الأطفال والصبية يتسولون في الشوارع والأسواق ، بل بعضهم يخطف كل ما يرى من الباعة أو الناس من الغذاء ، حتى إن الجنود الجياع كانوا ينقضّون على الباعة فيخطفون ما معهم ، وكان الباعة يهربون منهم عند رؤيتهم من بعيد[٢] .

ويذكر "محمد كرد علي" أن سوريا فقدت عشر سكانها ، أي (٣٠٠) ألف من جراء الحرب والجوع والمرض[٣].

وأما في عهد الاستقلال - وما صاحبه من تغيرات تتعلق بالاقتصاد القومي ، ووعود خداعة بزيادة دخل الفرد وتنمية الموارد الاقتصادية للبلاد ونحو ذلك - فلم يتغير الحال بالنسبة لأهل الشام . إذ كانت السياسة الاقتصادية في عهد الانتداب الفرنسي على سوريا ولبنان تعمل لمصالح فرنسا وتضعف الاقتصاد الوطني حيث ربطت النقد السوري بالنقد الفرنسي ، وكانت السلطات الفرنسية تستغل سلطتها لمساعدة الشركات الفرنسية إضافة إلى إضعاف الصناعات السورية بسبب انتشار المصنوعات الأوروبية وخصوصًا الفرنسية ، مما أدى إلى انتشار البطالة وتدهور الاقتصاد ، كما أن الدويلات السورية الأربع كانت تجبر على المساهمة في ميزانية قوات الشرق الفرنسية حتى وصلت عام (١٩٢٧م – ١٣٤٥هـ) إلى (٩٣,٠٠٠,٠٠٠)

(١) علي سلطان ، تاريخ سوريا : نهاية الحكم التركي ، مرجع سابق ، (ص٣٤٧ - ٣٥١)

(٢) محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، مرجع سابق ، (ص١٤٢ - ١٤٣)

(٣) محمد كرد علي ، خطط الشام ، مرجع سابق ، (١٦١/٣)

فرنك أي بنسبة ٢٤% من ميزانية القوات المسلحة[١].

لم يكن الأمر بعد الاستقلال أحسن حالاً من سابقه ، فهذه الحركات والأحزاب القومية اليسارية - التي آمنت بمبادئ "النازية" ولغة "الشيوعية الستالينية" دون إدراك سليم للمرحلة التي تمر بها المنطقة العربية في نضالها ضد الاستعمار ومخالفاته - لم تحقق لأهالي الشام ولا شعوب البلدان العربية الأخرى إلا الفقر والبطالة وفساد العيش .

فسوريا مثلاً خلال العهد الاشتراكي في فترة الجمهورية العربية المتحدة كانت معظم المعامل فيها مدينةً للدولة بأكثر من رأس مالها ، وصار الإصلاح الزراعي أعجوبة القرن العشرين ، إذ خضعت الملكية لأهواء موظف الإصلاح الزراعي وقيادة الحزب المحلية ولا سلطة لأحد عليهم[٢]، ووقعت سوريا تحت حصار اقتصادي مروع إذ أصبح ٤٨% من الشعب السوري تحت خط الفقر ، وكثرت البطالة بشكلٍ مخيف ، وباتت كثير من الأسر مهددة بمجاعة بعد ثلث قرن من التجارب الاشتراكية[٣].

وبلغت الديون الخارجية اثنين وعشرين مليار دولار ، وكانت ١٨% من الأيدي العاملة عاطلةً في البلاد .

أوردت (مجلة المجتمع) مقالاً للكاتب "خالد الأحمد" تحدث فيه عن التدهور الاقتصادي في سوريا الاشتراكية فقال: (إن سوريا بلد زراعي غني بالخيرات ، وتتنوع فيه المزروعات ، وفيه من البترول والمعادن الخير الوفير...) إلى أن قال : (وكان الشعب السوري مكتفيًا يؤمن حاجته الأساسية والكمالية بسهولة ويسر ابتداءً من العامل البسيط وانتهاءً بالمدرس والموظف وخريج الجامعة ،إذ كان المدرس في المرحلة الثانوية مثلاً يوفر من راتبه فيتزوج بعد سنتين أو ثلاث من عمله ، ويشتري بيتًا ، وقد يشتري سيارة ، وبعد العهد الاشتراكي ماذا دهى العباد والبلاد؟

بعد السبعينيات وبداية الثمانينيات صار كل موظف أو مدرس يعمل عملاً آخر بعد الدوام ليسد حاجته الضرورية ، وفي التسعينيات أصبح للموظف راتب شهري يكفيه من سبعة إلى عشرة أيام في أحسن الأحوال، وعلى الموظف أن يبحث عن ثلاثة أضعاف راتبه من الرشوة إن تمكن ، أو من السرقة إن وجد ، أو عاش يستدين إن وجد

---

(١) محمود حسن منسي ، الهلال الخصيب ، جامعة الأزهر ، (١٤١٦ هـ) (ص١٥٦-١٥٤) بتصرف .

(٢) سامي الجندي ، البعث ، مرجع سابق ، (ص١٥٢)

(٣) محمد الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية، مرجع سابق ، (ص١٥٩)

من يدينه .

وبذلك سحقت طبقة المعلمين التي لا تجد رشوة ولا سرقة ، وصاروا يعملون في أعمال شاقة بعد دوامهم كحفر الأقنية وحمل الطوب من العمارات التي تبنى، وانهار التعليم ومسخت المدارس وصار البحث عن اللقمة هو الشغل الشاغل لملايين السوريين .

وقد هبطت مكانة الموظف الاجتماعية وارتفعت مكانة العامل الحرفي ، مما أدى إلى عزوف الشباب عن التعليم وخاصة التعليم العالي ، وانتشرت الرشوة بشكل لم تعهده سوريا من قبل ، وكانت النتيجة ارتفاع الأسعار بشكل جنوني ، وهبوط قيمة الليرة السورية ، أما الأسعار لبعض المواد الغذائية فقد كان سعر الكيلو من الخبز عام (١٩٨٠م – ١٤٠٠هـ) = ١,٨٥ل.س ليصبح في عام (١٩٩٥م – ١٤١٥هـ) = ٨ ل.س ، أما السكر فقد كان يساوي ١,٥٠ل.س وها هو في عام (١٩٩٥ – ١٤١٥هـ) =٢٥ ل.س ، أماالّلحم فقد كان سعر الكيلو منه = ١٧ ل.س ليصبح ٢٠٠ل.س .

لقد أصبحت لقمة الخبز بعيدة المنال ، وفي مثل هذه المجاعة تتمكن المخابرات والأجهزة القمعية من تجنيد أكبر عددٍ تريده من أبناء الشعب[١]

لقد شهد على سوء الوضع الاقتصادي في سوريا كبار البعثيين الذين ندّدوا بما وصل إليه البلد صاحب الخيرات الوفيرة ، فهذا "صلاح البيطار" يقول: (لقد أصبح الاقتصاد السوري على شفا الهاوية)[٢]

وها هو "سامي الجندي" - أحد مؤسسي حزب البعث ، وأحد أركان ثورة الثامن من آذار عام (١٩٦٣م – ١٣٨٢هـ) - يتبرأ من حزبه ، ويصاب بالإحباط نتيجة سلوك قادته ،ويعدُّ الانتساب للحزب تهمةوعارًا يقول: (من كان منا يحسب أن تصبح كلمة بعثي تهمة يدفعها بعضنا عنهبسخرٍمُرّ.. ؟ شبابنا الذي بعثرناه على دروب الشعب ، أحلامنا وإيماننا ، كل ذلك كانإذً اعبثً ا)

ويقول : (ظلّت بذور فكرة البعث فيأرضٍ يباب ، لا تعهدهايدٌ أصيلة فتمرع وتخصب ،فوجّههاكلٌّ على هواه ، فما تعلم : ماركسية هي أم نازية ، كأنها أصبحت

(١) خالد الأحمد ، مجلة المجتمع ، العدد (١٤٥٤) في (١٤٢٢/٣/١٧هـ = ٢٠٠١/٦/٩م) ، بتصرف.

(٢) يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشر (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ، (ص٢٢٩)

أحجيةً ..)[1]

ويقول "منيف الرزاز" – الأمين العام لحزب البعث الذي طرد من القيادة القطرية في (دمشق)- :

(إن يسار هذه الفئة يشبه إلى حد كبير اليسار "الستاليني" ، فهو يسار يحمل معه كل أخطاء "الستالينية" وانحرافاتها)[2]

وخلاصة الأمر أن العائق الاقتصادي كان يشكل تحديًا لجهود المدافعة الفكرية إذ انصرف هم بعض المخلصين إلى جمع الحطام وتأمين لقمة العيش له ولأسرته ، كما تعطلت بعض المحاضن الطلابية كالمدارس الشرعية ، وصار بعض العلماء ينفق على جمعيته مما تخرجه أرضه من الغلة السنوية ، ومما يرد إليه من تبرعات المحسنين وأهل الحي .

المبحث الرابع

العائق التربوي

أولاً : الانقسام الداخلي في الصفوف الإسلامية في سوريا :

بعد الإفراج عن الشيخ "مصطفى السباعي" في لبنان وانتهاء فترة الإقامة الجبرية التي استمرت في عهد "أديب الشيشكلي" عاد إلى سوريا وقد برزت خلافات وانشقاقات داخل صفوف حركة "الإخوان المسلمون" بلغت أوجها في عام (١٩٥٤م – ١٣٧٣هـ) ، وتعرض القائد العام للحركة نفسها الشيخ "مصطفى السباعي" إلى حملة

(١) سامي الجندي ، البعث ، مرجع سابق ، (٩-١٠)

(٢) منيف الرزاز ،التجربة المرَّة ، طبعة بيروت ، (١٩٦٧م – ١٣٨٦هـ) ، (ص٢٨٨)

تشويه ، ولم يسلم من الأذى الشخصي من أقرب الناس إليه في الحركة ، ويشير بعض الباحثين وأنصار الحركة بأن تلك الحملات المسعورة على الشيخ كانتعاملاً من العوامل التي انتهت به إلى الشلل[١].

لم تطب الحياة للرئيس "أديب الشيشكلي" أن يبقى الشيخ "مصطفى السباعي" في سوريا ، بعد مواقفه وآرائه التي عارض بها سياسة (الرئيس) فأمر بعزله عن العمل الجامعي وإيقاف مرتبه ، وطرده من سوريا ، فما كان من الشيخ "مصطفى السباعي" إلا أن خرج منها ليستقر في لبنان خلال فترة عهد "الشيشكلي" ومكث فيها ثلاث سنين ، ولم يعد إلا بعد أن زال العهد سنة (١٩٥٤م – ١٣٧٣هـ)

حين رجع الشيخ "مصطفى السباعي" إلى سوريا واجه سلسلة من التدابير التي حيكت ضد الحركة ، وهي أشبه ما تكون بمحاولات انقلاب تستهدف القضاء عليها وخلق انشقاقات داخل الحركة نفسها .

ومن ذلك ما ذكره "محمد المجذوب"[٢] من أن بعض أنصار الحركة الإسلامية كانوا يتهمون الشيخ "مصطفى السباعي" بالاستيلاء على بعض الهبات التي تخص الحركة ولا يعلم مصيرها ، وارتاب بعضهم في نفقاته مدة إقامته في لبنان كيف كانت ؟ ومن أين؟[٣]

ثانيًا :التيارات الفكرية في الأردن وسوريا :

في أوائل النصف الثاني من القرن العشرين الميلادي وخلال أزمات الشام السياسية ، وأجواء الجدل الواسعة التي كانت حديث الإسلاميين بمختلف تنظيماتهم وأحزابهم قامت بعض الجماعات والأحزاب التي أثارتجدلاً ونقاشًا حادًّا في صفوف الإسلاميين منها :

١- **(حـــزب التحـــرير)**[٤] : أسسه الشيـــخ "محمـــد تقـــي الـــــدين

(١) محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، مرجع سابق ، (٣٦٦/١)

(٢) **هو** : محمد بن مصطفى المجذوب . داعية ، أديب ، شاعر ،ولد في (طرسوس) السورية لأسرة متدينة تعمل بالتجارة ، عمل في وظائف التعليم في سوريا والمدينة النبوية إلى جانب الدعوة له نحو خمسين كتابًا ، توفي سنة (١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٤١١)

(٣) محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، مرجع سابق ، (٣٦٧/١ – ٣٦٨)

(٤) **هو** : حزب سياسي إسلامي يدعو إلى تبني مفاهيم الإسلام وأنظمته ، وإقامة الخلافة الإسلامية معتمدًا الفكر أداة رئيسية في التغيير ، تأسس في عام (١٩٥٢م – ١٣٧١هـ) على يد الشيخ "محمد تقي الدين النبهاني" صدرت عن قيادة الحزب اجتهادات في قضايا شرعية كانت محل =

النبهاني"[1] ؛ حيث حضر من أنصار الحزب إلى (دمشق) ناشطون من الأردن ، وقاموا بحملة واسعة في الدعوة إلى مفاهيم الحزب الفكرية والسياسية ، وكانوا يجذبون أنظار المجتمع بمتابعتهم للشأن السياسي العربي والدولي على نحو غير معهود في صفوف الإسلاميين في سوريا ، ونشروا بيانات لهم - ميزوها بلون غلافها الأبيض وعناوينها الحمراء - في صفوف "حركة الإخوان" ومدارس الدعوة والتربية الأخرى ، حتى تحمس لأفكارهم بعض عناصرها .

لم يكن هؤلاء الشباب الذين اتصلوا بأنصار حزب (التحرير) يتمتعون بالقدرة على الجدل التي أوتيها أولئك النفر القليل من أنصار الحزب ، ولذا أثارت هذه الأفكار الدخيلة جدلاً ونقاشاً حاداً في الصف الإسلامي بوجه عام ، وبينهم وبين أنصار حركة "الإخوان المسلمين" على وجه الخصوص .

كان بعض أنصار الحركة الإسلامية استهواهم أسلوب الجدل والنقاش الذي كان

=

نقد عند علماء المسلمين ، كإنكارهم لعذاب القبر وخروج المسيح الدجال ، وإغفال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتخليه منهما ، وانشغال أنصاره بالجدل ، وتقديس العقل خصوصاً في جانب العقيدة ،وإصدارها أحكاماً فقهية غريبة كمصافحة الأجنبية وتقبيلها ، وجواز ولاية القائد الكافر ، ودفع الجزية من المسلم للكافر ، وحرمة كنز المال ولو أخرجت زكاته ، يركز الحزب على الدعوة للإسلام عن طريق العمل الثقافي بأن يتقدم الحزب للجمهور ويعرض أفكاره عليهم عبر الحوار والمناقشة حتى يظفر بتأييدهم ، ويهتم بالعمل السياسي ويرصد الحوادث والوقائع السياسية فنشأت أفكار الحزب أولاً في الأردن وسورياولبنان وامتد نشاطه ليشمل البلدان الإسلامية حتى وصل أخيراً إلى أوربا وخاصة النمسا وألمانيا ، يسمى الحزب البلدان التي يعمل فيها بالولايات ويقود التنظيم في كل ولاية لجنة خاصة تسمى لجنة الولاية وتتشكل من (٣ - ١٠) أعضاء ، وتخضع لجان الولايات لمجلس القيادة السري .

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، مرجع سابق ، (١/ ٣٤١)

(١) **هو** : محمد تقي الدين النبهاني . عاش في الفترة بين (١٣٢٦ - ١٣٩٧هـ = ١٩٠٨ - ١٩٧٧م) من فلسطين من مواليد قرية (أجزم) من أعمال (حيفا) بفلسطين ، تلقى تعليمه الابتدائي في قريته، وتخرج في الأزهر ثم دار العلوم بـ(القاهرة)ثم عاد وعمل مدرسًا ثم قاضيًا شرعيًا في عدد من مدن فلسطين ، غادر وطنه بعد نكبة (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) إلى (بيروت) وعين بعد ذلك عضوًا في محكمة الاستئناف في (بيت المقدس) ، ثم عين مدرسًا في الكلية الإسلامية في (عمَّان) ، وفي عام (١٩٥٢م – ١٣٧١هـ) أنشأ حزبه وتفرغ للعمل من أجله كتابة ونشرًا ، تنقل بين مدن الشام حتى كانت وفاته في (بيروت) ودفن فيها .

يُنظَر في ترجمته : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (١٨٣/١)

يستمر لساعات في بعض الأحيان ، فبدؤوا ينتقدون الشيخ "مصطفى السباعي" ويتهمونه بالاستبداد بالرأي والتفرد في قيادة الحركة ، ودخل آخرون من الحركة في مهاترات مع هؤلاء لم يكن وراءها طائل سوى إثارة القلاقل داخل الحركة ، وتحول بعض أنصارها للانضمام لـ(حزب التحرير) [١].

وساد اعتقاد على نطاق واسع أن نشاط الحزب يراد به شق صفوف "الإخوان المسلمين" وإن كان بعض قادة الحركة ينفون ذلك ، وفي الوقت نفسه لا يستبعدون توظيفًا ما لهذا الحزب لضرب العمل الإسلامي وقادته بعضهم ببعض ، وأن أعضاء الحزب ندبوا إلى ذلك .

حين نجح الحزب في ربط بعض العناصر من (حركة الإخوان) بهسرًّا بدأ هؤلاء محاولاتهم المكثفة لاستقطاب عدد آخر وربطهم بالحزب وإقصائهم في الوقت ذاته عن الشيخ "مصطفى السباعي" الذي كان يقيم في بيته إقامة جبرية ، وبعد طرد الشيخ من سوريا وإقامته في المنفى بـ(بيروت) ازداد نشاط الحزب ، وأشيع في أوساط الحركة أنها أصبحت مرتبطة بمصر مباشرة ، وأن الشيخ لم يعد مراقبًاعامًّا للحركة ، واضطرت الحركة إلى تشكيل مكتب لها في (دمشق) يتصل مباشرة بالشيخ في لبنان لتسيير عمل الحركة ،وطُلب من الشيخ العودة سريعًا إلى (دمشق) ولو أدى ذلك إلى دخوله السجن فعاد الشيخ إلى (دمشق) أواخر سنة (١٩٥٣م – ١٣٧٢هـ)[٢]

كان رجوع الشيخ "السباعي" إلى سوريا عقب إصدار الرئيس "أديب الشيشكلي"عفوًاعامًّا بمناسبة انتخابه رئيسًا للجمهورية شمل السجناء السياسيين وذلك في (١٩٥٣/٧/١٠م = ١٣٧٢/١٠/٢٨هـ)[٣] ، ومع عودة الشيخ خرج الصراع إلى العلن وأصدر مكتب الحركة في سوريا قرارًا بفصل العناصر التي ارتبطت بالحزب وأطلقت عليهم مسمى (المنشقين) وتحقق أنصار الحركة من أن كل ما أرجف به ضد الشيخ "مصطفى السباعي" باطل .

أصر (المنشقون) على أن يحملوا اسم الحركة وإن لم يكونوا أعضاء منتسبين إليها فتقدموا في الخفاء بطلب ترخيص من أمانة العاصمة باسم "جمعية الإخوان المسلمين" ، فأذنت لهم فتسلموا مركز باب (الجابية)رسميًّا -وكان أحد مركزين للإخوان في (دمشق) - وبلغ بهم الأمر أن هددوا بقتل الشيخ "مصطفى السباعي"

---

(١) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (ص٣٠٧)

(٢) المصدر نفسه ، (٣٠٧ – ٣١٠)

(٣) تؤكد بعض الشخصيات في الحركة الإسلامية أن الشيخ "مصطفى السباعي" تردد على سورية سرًّا أكثر من مرة ، قبل أن يعود إليها بشكل نهائي عقب القرار المذكور ، انظر : عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (ص٣١٠)

ووقف الشيخ موقفاً حازماً ، وذهب إلى رئيس الوزراء السيد "صبري العسلي"[1] وكان أيضاً وزيراً للداخلية -وتقدم بطلب ترخيص باسم "الحزب الوطني" الذي ينتمي إليه "العسلي" و"حزب الشعب" قائلاً : نريد فتح مراكز باسم هذين الحزبين كما سمحتم بفتح مركز لغيرنا باسم "الإخوان المسلمين" ، فاضطر رئيس الوزراء لسحب ترخيص المنشقين وتم فتح مركز عام باسم (المكتب التنفيذي للإخوان المسلمين في سوريا)- وأغلق مركز (باب الجابية) فقام المنشقون برفع دعوى قضائية أمـام المحكمة العليا ضد الحكومة لأنها سحبت الترخيص ، فحكمت برد الدعوى[2].

كان سحب الحكومة للتصريح قد أوهم أن الحكومة السورية أوقفت نشاط الحركة الإسلامية الأمر الذي استغلته بعض الجهات خصوصاً الخارجية بإيهام العالم الخارجي بأن الحكومة السورية أوقفت نشاط الترخيص الممنوح لها في الوقت الذي كانت خلاله مراكز الحركة تقوم بأنشطتها في جميع أنحاء سوريا .

شكلت هيئة تشريعية ، وانتَخَبَت مكتبًاتنفيذيًّا يمثل (حركة الإخوان) ، وأنذرت أعضاء مكتب (دمشق) السابق بوجوب تنفيذ قرارها الذي نفذ في جميع مراكز المحافظات السورية القاضي بتجديد الانتساب ، وأداء القسم المنصوص عليه في النظام الأساسي للحركة ، ولما رفض أعضاء مكتب (دمشق) الخضوع لقرار الهيئة التشريعية اعتبر مكتبهمحلاً ، واعتبر أعضاؤه مفصولين عن الحركة ، وباشر المكتب التنفيذي أعمال مكتب (دمشق) إلى أن جرت انتخابات جديدة انبثق عنها مكتب جديد لمركز (دمشق) في (١٣٧٤/١٠/١٩هـ) الموافق (٩/يونية/١٩٥٥م)[3]

لم يرق ذلك لأعضاء المكتب القديم المنحل فتقدموا بطلب رخصة باسم "الإخوان المسلمون" إلى محافظة (دمشق) الممتازة ، وجعلوا من عداد المؤسسين بعض الأعضاء الذين فصلتهم الحركة من قبل ، وظن موظفو المحافظة أن الأمر يتعلق بحركة "الإخوان المسلمون" حقيقة ، فمنحتهم رخصة دون أن تقترن بموافقة وزارة الداخلية والمحافظة الممتازة ، فقام أعضاء من المكتب التنفيذي للحركة بزيارة المحافظة والحديث مع مسئوليها ، وأبانوا لهم أن كيان الحركة قائم شأنه بقية الأحزاب والهيئات التي لم تخضع لقانون "أديب الشيشكلي" وأنهم لا يخولون أحداً مهما كانت

---

(١) **هو** : صبري العسلي . رئيس الوزراء السوري ، ولد بـ(دمشق) ، انضم إلى الكتلة الوطنية ، وشارك في تأسيس الحزب القومي ، اعتزل الحياة السياسية آخر أمره ، توفي سنة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ،مرجع سابق ، (ص١٩٩)

(٢) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (ص٣١٠ – ٣١١)

(٣)عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (ص٣١٢)

صلته بالحركة من قبل باستغلال مسمى الحركة والحصول على ترخيص أو التحدث باسم "الإخوان المسلمون" ، فاقتنع المسؤولون ببطلان الرخصة وصدر القرار بإلغائها وأبلغ أصحابها بذلك ومنعوا أن يتحدثوا باسم الحركة[١] .

٢- جماعة الأحباش :

وهي جماعة تنسب إلى رجل يدعى "عبد الله الحبشي الهرري"[٢] ظهرت في لبنان منذ عام (١٩٦٠م – ١٣٨٠هـ) وقد جاء من الحبشة بعد أن قام بفتنة في (هرر) ألحقت أذىكثيرًا بأهل السنة القائمين على (الجمعية الوطنية الإسلامية) ، فغادرها إلى سوريا ، وتوجه إلى مدينة (دمشق) سنة (١٩٥٠م – ١٣٦٩هـ) وسكن في (جامع القطاط) في محلة (القميرية)

ولميناد ِ حينها بشعارات أو أهداف معينة أو تجمع ديني أو سياسي ، وكان دوره محصورًا في ارتياد بعض طلبة العلم لغرفته والجلوس معه ، وكان يظهر الزهد والورع وبعض المخالفات التي أنكرها عليه علماء (دمشق) ، وأبرزهم الشيخ "ناصر الدين الألباني"[٣] . وخلال هذه الفترة كان يلتقي ببعض الطلبة من لبنان فرغبوا أن يقيم بها بدعوى اشتداد الجهل على أهل الإسلام ، فقام بزيارة متكررة لـ(بيروت) و(البقاع)

---

(١) المصدر نفسه ، (ص٣١٢)

(٢) **هو** : عبد الله بن يوسف الهرري . ولد في مدينة (هرر) سنة (١٣٣٩هـ - ١٩٢٠م) ، صاحب الاعتقادات الفاسدة والفتاوى الشاذة ، نقم على أئمة السلف من الصحابة ﷺ والتابعين ، حتى نال من شيخ الإسلام "بن تيمية" والشيخ "محمد بن عبد الوهاب" ، وقف بالمرصاد ضد أهل السنة في الحبشة حتى ألب عليهم الحكومة وكانت فتنة أغلقت على إثرها (الجمعية الوطنية الإسلامية) وصودرت مدارسها وممتلكاتها ، واعتقل أعضاؤها ، وعم الضرر أهالي المدينة حتى سرقت أموالهم ونهبت بيوتهم ، اعتقلته الحكومة بعد إثارته القلاقل فيها ، واشترطت لإطلاق سراحه أن يغادرها ، فغادر إلى سوريا سنة (١٩٥٠م – ١٣٦٩هـ) ، ووقف له هناك علماؤها وعلى رأسهم الشيخ "الألباني" ، فاضطر إلى مغادرتها إلى لبنان فنزع إليها بعد أن زين له بعض أتباعه الإقامة بها فاستقر فيها سنة (١٩٦٠م – ١٣٨٠هـ) في (بيروت) في منطقة (برج أبي حيدر) معقل الأحباش في لبنان إلى اليوم .

للاستزادةيُنظَر : سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، نشأتها ، عقائدها - آثارها ، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ، (٢٧/١ – ٦١)

(٣) **هو** : محمد ناصر الدين بن نوح الألباني .نسبةً إلى أصله ، محدث مشهور ، ولد في (أشقودره) عاصمة (ألبانيا)لوالدٍ كان مرجعًا في أمور الدين ، فرت أسرته بدينها - من حكم الملك "أحمد زوغو"- إلى (دمشق)، وتعلم فيها ، وأخذ العلم عن شيوخها ، وعكف على دراسة الحديث حتى برع فيه، عمل بالجامعة الإسلامية ، له أكثر من مائة كتاب ،توفي سنة (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

يُنظَر في ترجمته : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (٢٧٧/١)

، وبعد أن كشف أمره في (دمشق) ، اتخذ من لبنانمقرًّا جديدًا منذ سنة (١٩٦٠م – ١٣٨٠هـ)[١] وللأحباش في لبنان جمعية سميت "جمعية المشاريع الخيرية" ومجلة شهرية تسمى (منار الهدى) تصدر في لبنان[٢].

وجد "عبدالله الحبشي الهرري" الشام وخصوصًا لبنان أرضًا خصبة لترويج أفكاره الضالة حيث لقيقبولاً عند بعض مشايخ الطرق الصوفية ، وأهل الخرافة ، وطلاب الانحلال الأخلاقي ، إذ يجدون حاجتهم عنده لتساهله في كثير من أصول الإسلام وفروعه[٣].

ولقد كفانا : "سعد الشهراني" الحديث عن منهج هذه الفرقة العقدي ، وما خالفت فيه عقيدة السلف أهل السنة والجماعة ، غير أن الذي يجدر ذكره هنا هو واقع هذه الجماعة اليوم ، ومدى تأثيرها على الساحة الإسلامية في بلاد الشام وفي غيرها .

لم تظهر في بادئ الأمر أي دعوة لتجمع ديني أو سياسي بل كان "الحبشي" يشتغل في (بيروت) بالتدريس ، مع ظهور تدريجي لشخصيته في أوساط التيار العام حيث كان يستفتى في مسائل الشريعة والعقيدة ، إلا أنه كانت هناك اتصالات منذ وقت مبكر لإحياء إحدى الجمعيات الإسلامية التي حصلت على تصريح قانوني سنة (١٩٣٠م – ١٣٤٩هـ) لكنها ركدت لعدم وفرة الإمكانيات ، ولم تتمكن من منافسة الجمعيات الإسلامية الأخرى و هي : "جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية"[٤]

كان المجال المفتوح للعمل الرسمي المصرح به هو العمل من خلال (جمعية) الأمر الذي دعا "الحبشي" للسيطرة عليها والعمل من خلالها ، وفي عام (١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ) اجتمع حول الحبشي في الجمعية نحو (١٥٠) في (بيروت) وحدها[٥].

وحين دقت طبول الحرب الأهلية في لبنان في الفترة من (١٩٧٥ -١٩٨٢م = ١٣٩٥- ١٤٠٢هـ) تشرذمت الطائفة وترك بعض أتباعها "الحبشي" ، والتحقوا بالتنظيمات المسلحة التي اجتاحت لبنان في تلك الفترة ، ولم يبق إلا قليل ممن تأثروا

(١) سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، نشأتها ، عقائدها ، آثارها ، مرجع سابق ، (٥٩/١ – ٦٠)

(٢) محمد الشيخ عثمان ، مجلة البيان ، العدد (٦٢) شوال سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) ، مقال بعنوان (الأحباش دعوة أم فتنة) (ص١١٠- ١١١)

(٣) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (ص٣٧٢)

(٤) سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، نشأتها ، عقائدها ، آثارها ، مرجع سابق ، (٨٦/١)

(٥) سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، نشأتها ، عقائدها ، آثارها ، مرجع سابق ، (٨٧/١)

به[1]

وعندما اجتاح العدو الإسرائيلي لبنان عام (١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ) لم يعرف عن الأحباش أنهم شاركوا ضد العدو الغاشم ، حتى إن معقلهم في (برج أبي حيدر) في (بيروت) لم ينله القصف الإسرائيلي كما تؤكد ذلك كثير من الجمعيات الإسلامية في لبنان ، والتقرير الصادر من "جمعية الهداية والإحسان السلفية" . وبعد خروج اليهود من لبنان سنة (١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ) عاد الأحباش للظهور بقوة بعد أن تمكن "نزار الحلبي"[2] من رئاسة (جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية) سنة (١٩٨٣م – ١٤٠٣هـ) وبعد سنوات قليلة استطاعت الجمعية إنشاء مدارس ، وإقامة مراكز أبحاث ودراسات إسلامية ،ومركزًا للمهارات النسائية ، وأنشأت إذاعة وأندية رياضية ، وجمعيات كشفية إلى غير ذلك من الأنشطة الكثيرة[3].

فمن مدارسهم في بلاد الشام (مدارس الثقافة) في كل من (بيروت) و (طرابلس) و (بعلبك) التي ينتسب إليها مئات الطلاب في شتى المراحل ، وتقام فيها دورات صيفية وشتوية[4] .

وفي الآونة الأخيرة انتشرت مدارسهم في بقاع لبنان كلها ، وملأت حافلاتهم شوارع المدن ، وفاقت أبنية مدارسهم سعة مدارس الحكومة [5].

وأما نشاطهم الإعلامي فقد عنوا به منذ وقت مبكر ، ويمكن ذكر أبرز أنشطتهم ، فمنها :

١- إصدارهم مجلة (منار الهدى) وهي مجلة شهرية تهتم بأخبارهم وتنشر عقائدهم وتدافع عنهم ، وأصدروا مؤخرًا ملحقًا بها سمى (منبر الشباب)

---

(١) المصدر نفسه ، (٨٧/١)

(٢) **هو** : نزار رشيد حسن الحلبي . من مواليد (بيروت) عام (١٩٥٢م - ١٣٧٢هـ) ، درس على "عبد الله الحبشي" وهو صغير ، وقرأ عليه كتبه ، وتعلم في (بيروت) ثم دخل أزهرها ، ورحل إلى مصر ليدرس في (الأزهر) ، وتخرج في كلية الشريعة والقانون ،وعاد إمامًا وخطيبًا في مسجد (برج أبي حيدر) تولى رئاسة "جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية" ، واستمر على ذلك حتى قتل عام (١٩٩٥م – ١٤١٥هـ)

يُنظَر في ترجمته : سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، مرجع سابق ، (١٢٧/١) نقلاً عن تعريف بالجمعية ورجالها صادر عن الأحباش .

(٣) ينظر : سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، مرجع سابق ، (١ /٩١- ٩٣) بتصرف يسير .

(٤) عبد الرحمن الحجاج ، مجلة البيان ، العدد (١١) ، (ص٩٣)

(٥) المصدر نفسه ، (ص٩٣)

٢- إنشاء (دار المشاريع للطباعة والنشر والتوزيع) تتولى طبع كتبهم ، وتشارك في المعارض الدولية للكتاب في لبنان وخارج لبنان .

٣- إنشاء إذاعة سموها (إذاعة نداء الإيمان) تبث في لبنان وخارج لبنان وخاصة دول أوروبا وأمريكا .

٤- المشاركة في بعض المؤتمرات العالمية والتجمعات الكبيرة ، فقد شارك عناصرهم القدامى في مؤتمرات عقدت في البلاد العربية والهند وباكستان وبنغلاديش وتركيا وأمريكا وبعض دول إفريقيا وأوروبا ، ولهم صلات وثيقة ببعض الطرق الصوفية المنتشرة في العالم ، ويشاركونهم مؤتمراتهم ويندون معهم بالدعوة السلفية .

٥- إصدار بعض البرامج التلفزيونية وهي برامج تعليمية ودينية مثل برنامج (حكم الدين) وبرنامج (رالي في مسابقات ثقافية) وبرنامج (ليالينا) وبرنامج (نادي الطلاب)

٦- إنشاء فرق للإنشاد الديني للمشاركة في الاحتفالات الدينية والوطنية والمسيرات الجماعية داخل لبنان وخارجه .

٧- إنشاء موقع ضخم على الشبكة العنكبوتية بعنوان (**org-aicp**) وبعدة لغات عالمية إضافة للعربية[١] .

وامتد نشاطهم إلى خارج لبنان ، واستطاعوا فتح فروع في كل من الولايات المتحدة وكندا وفرنسا وألمانيا وسويسرا والسويد والدنمارك وبريطانيا وأوكروانيا والأردن ، وكل فرع له هيئة إدارية خاصة به ، وله مساجده ومدارسه ومراكزه التي يشرف عليها .

كما أن لهم أنشطة في غير هذه الفروع كالشيشان[٢] وداغستان والهند ، وروسيا ، واستراليا وغيرها من الدول [٣] .

---

(١) سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، مرجع سابق ، (١/ ١٠٢ -١٠٥)

(٢) نشرت صحيفة (الحياة) في عددها (٥٦ - ١١) في (٢١/ مايو / ١٩٩٣م = ١٤١٣/١١/٣٠هـ) نبأ زيارة وفد من الشيشان يترأسه رئيس الجمهورية السابق "جوهر دود ايف" ومعه وزراء بلاده للحبشي وجمعية المشاريع في ظروف غامضة ، وكان عنوان الخبر : (موسكو تستغرب ، والخارجية اللبنانية لم تطلب إعطاء الوفد تأشيرات ، كيف دخل رئيس الشيشان إلى لبنان ؟)

(٣) سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، مرجع سابق ، (١٠٧/١ ، ١٠٨)

كما اهتمت هذه الفرقة بفتح الأندية الرياضية مثل نادي الفوز الرياضي في (طرابلس) ومجمع ناجي الرياضي في (طرابلس) أيضًا . وهي أندية مختلطة ، تمارس فيها أنواع الرياضات ؛ ككرة القدم ، والسلة ، والكاراتيه[١] .

وهناك كثير من المساجد يفتعلون فيها المشكلات ويرفعون فيها السلاح ، وأطلقوا مرة النار على المصلين كما فعلوا في مساجد (حمد وصيدا وزقاق البلاط) وحادثة مسجد (الجامعة العربية) حين دخلوا المسجد وطعنوا ما يزيد على ثلاثة عشر مصليًا ، وكان أحدهم يستصرخ أصحابه عند باب المسجد ويقول مناديًا (حي على الجهاد)

وحاولوا غير مرة تدبير مكيدة لكثير من الدعاة والجماعات الإسلامية طالت بعض رموزها حتى أودع بعضهم السجن ، وآخرون حكم عليهم بالنفي والهجرة ، ومنهم من قتل ظلمًا[٢].

وهاهم اليوم يمتلكون أكبر مركز للمخطوطات وأكبر أجهزة للأبحاث ، ومنها : (مركز الأبحاث والخدمات) ، و(جمعية المشاريع الإسلامية للخدمات) ، ويقوم بالإشراف على التحقيق والمخطوطات كل من : "كمال الحوت" ، و"عماد الدين حيدر" و"عبد الله البارودي" . ويسلكون مسالك أهل البدع في طريقة التحقيق ، ويحيلون لأسماء غريبة ليست معروفة عند أهل العلم [٣].

والغريب في أمر هذه الفرقة أنه ليس لها نشاط مصرح به في إطار قانوني إلا في دولتين عربيتين هما : لبنان وهي المعقل الرئيس ، و (الأردن)[٤] عبر وزارة الأوقاف الأردنية ، التي قامت بتعيين أنصار الفرقة أئمة وخطباء في مساجد الأردن ، وعبر (جمعية الثقافة العربية الإسلامية) ؛ حيث تم الترخيص في عام (١٩٩٥م – ١٤١٥هـ) ، ويعد الأحباش العدة لخوض الانتخابات البرلمانية في كل مرحلة من

---

(١) محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية ، مرجع سابق ، (٤٣٩)

(٢) عبد الرحمن دمشقية ، الحبشي شذوذه وأخطاؤه ، الطبعة الثالثة ، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، (ص٣٢ ، ١٢٢ – ١٢٥)

(٣) المصدر نفسه ، (ص٤١)

(٤) أما سوريا فللأحباش فيها نشاطات قائمة ، وتقام مهرجانات صداقة سنوية تحت غطاء رئاسة الاتحاد الكشفي العربي ، وهي منظمة بعثية حبشية لبنانية يتولى رئاستها "عدنان طرابلسي" - النائب اللبناني - وهو من فرقة (الأحباش) ،وهو حاليًا نائب رئيس "جمعية المشاريع الخيرية الإسلامية" التابعة للفرقة ، ويجتمع آلاف الطلاب والطالبات للمشاركة من سوريا ولبنان ، وتقام لهم حفلات الرقص والغناء ،وينقلها التلفاز السوري يوميًا خلال فترة المهرجان .

مراحل الترشيح . وكان وجود الأحباش في الأردن بدأ منذ منتصف الثمانينيات الميلادي بعد وفود عدد منهم من لبنان ، وبرز نشاطهم في التسعينيات حيث انتشروا في عدد من مساجد العاصمة (عمّان) ، وانتقل نشاطهم إلى بقية المدن ، وحصلوا على ترخيص من وزارة الأوقاف رغم ما عندهم من انحرافات عقدية وفقهية خطيرة ، وتهجم على الصحابة وعلماء السنة ودعاتها[١] .

ثالثًا : **الجهود الفردية وغياب العمل الجماعي في عموم بلاد الشام :**

يقول الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- : (لما رجعت في الصيف إلى دمشق دعوت إلى داري[٢] العاملين في مجال الدعوة إلى الإسلام من أصحاب الصوفية إلى أرباب السلفية ، لم أغادر منهم أحدًا ، ومن فقهاء المذاهب الأربعة إلى الوعاظ والخطباء ، ومن رجال جمعية "الهداية الإسلامية" ورجال جمعية "التمدن" وباقي الجمعيات ، فحدثتهم عما رأيته في العراق ، وحذرتهم مثل ذلك المآل ، وقلت لهم بعد كلام طويل : أنا لا أريد أن يبدل أحد منكم طريقته ولا أن يغير مشربه ، ولكن أريد شيئًا واحدًا ، هو أن هذا الباب المغلق إن دفعته يد واحدة لم ينفتح ، فإن اجتمعت عليه الأيدي الكثيرة فتحته ، والذي أريده هو أن نتعاون لا أن يعمل كلٌّ وحده ، واقتراحي هو أن تنتخب لجنة فيها ثلاثة منكم يراقبون الأحداث ، فإن رأوا ما يمس الإسلام كان عملهم أن يبلغوكم به فقط ، هذا هو وحده عملهم ، فمن اقتنع منكم بوجوب العمل عمل على طريقته وأسلوبه : الخطيب يذكر ذلك في خطبته يوم الجمعة ، والمدرس يعرض له في حلقته ، والمعلم يذكره لتلاميذه في مدرسته ، وكل واحد ينبه إليه أصحابه، ومن كان ذا قلم أو كانت له صلة بأرباب الأقلام وأصحاب الصحف عمل على الكتابة فيها أو دفع إلى ذلك أصحابها ، ومن استطاع أن يراجع الوزير الذي يقدر على إزالة هذا المنكر ذهب إليه وحده أو مع وفد يختاره فشرح له الأمر وطلب منه إنكار المنكر .

وانتخبت اللجنة ، وكان فيها ثلاثة ، وهم "محمد كمال الخطيب"[٣] والشيخ

---

(١) أسامة عبد الرحمن ، مجلة المجتمع ، العدد (١٤٤٠) في (٤ /١٤٢١/١٢هـ = ٢٠٠١/٢/٢٧م) ومجلة البيان ، العدد (١١٠) (ص٦٩)

(٢) كانت هذه الدعوة بعد عودة الشيخ من العراق سنة (١٩٣٧م – ١٣٥٦هـ)

(٣) **هو** : محمد بن كمال بن أحمد الخطيب الحسني . داعية ، سلفي المذهب ، محامي ، ولد بـ(دمشق) لأسرة علم نشأ يتيمًا عصاميًّا ،ساهم في تأسيس عدد من الجمعيات الإسلامية ، عين مديرًا للتعليم الخاص في وزارة المعارف السورية ، رحل إلى السعودية مرتين ، واستقر بها قبل وفاته بسنوات ، توفي سنة (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)

=

"ياسين عرفة"[١] و"علي الطنطاوي"[٢].

وفي سنة (١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ) اجتمع العلماء والمشايخ في منزل الشيخ "علي الطنطاوي" مرة أخرى ، برغبة من الشيخين "أمجد الزهاوي"[٣] و"محمد محمود الصواف"[٤] الذين قدما من العراق ، وتناقشا مع الشيخ "علي الطنطاوي" في الدعوة في سوريا وأسباب ضعفها ، واتفقوا على دعوة العلماء والمشايخ ، واتصل بهم الشيخ واحدًا بعد واحد ، من أقصى جماعة السلفية إلى أقصى جماعة الصوفية ، ودعاهم إلى الاجتماع في دار الحديث الأشرفية بعد العشاء ، فما تخلف منهم أحد ، وتكلم الشيخ "الطنطاوي" مقدمًا إليهم الشيخ "أمجد الزهاوي" ، ثم تكلم الشيخ "محمد الصواف" باندفاع وحماس حتى توهم المجتمعون أن نار الحماس قد أضرمت بين جوانحهم وأنهم صاروا مستعدين للعمل ، وكرر الشيخ "الطنطاوي" عبارته التي قالها في اجتماعه السابق بالعلماء والمشايخ ، ووقع الحاضرون جميعًا على ميثاق إسلامي يعملون فيه للإسلام ولدفع الشبهات وتخليص المجتمع من الوقوع فيها ، وكان الأمر كما قال "الطنطاوي" -رحمه الله- : (وافترقنا بعدما وقعنا الميثاق ، وكانت هذه الجلسة هي الأولى ، وكانت هي الأخيرة)[٥]

=

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٤٠٤)

(١) **هو** : ياسين بن محمد عيد بن حامد بن محمد عرفة . عالم ، داعية ، ولد بـ(دمشق) وتعلم بها ، مرض أواخر حياته في عموده الفقري ، توفي سنة (١٤١٢هـ-١٩٩١م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، علماء (دمشق) وأعيانها ، مرجع سابق ، (ص(٢٢٨)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٤ /١٣)

(٣) **هو** : من علماء العراق ، تولى القضاء فيها ، كانت له إصلاحات منها رئاسة جمعيات (الآداب الإسلامية) و"الإخوان المسلمون" و(التربية الإسلامية) و(إنقاذ فلسطين) ، أصلح مدارس الأوقاف ، وافتتح المدارس الأهلية .

يُنظَر في ترجمته : علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، مرجع سابق ، (ص٥٤٤)

(٤) **هو** : من مواليد (الموصل) ، عالم ، داعية ، مجاهد، التحق بالأزهر ، واستطاع أن يختصر دراسته في ثلاث سنوات بدلاً من ست ، وحصل على العالمية في سنتين ، وعلى التخصص في سنة ، انتسب إلى "الإخوان المسلمين" ونفع الله به أهل العراق ، توفي سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (٢٩٥/٣)

(٥) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥ /٣٨٧ – ٣٨٨)

رابعًا : **الانقسام بين المدارس الشرعية خصوصًا في سوريا :**

لم تكن الساحة الشرعية خالية من الانقسام الفقهي والفكري بل والعقدي الذي شكل بدوره عائقًا من عوائق المدافعة في هذا الميدان إن لم يكن أشدها .

فهذا الانقسام الفقهي بين أتباع المذاهب الأربعة والذي وصل إلى حد التعصب والانتصار لقول المذهب إلا القليل النادر ، ولئن قيل به فإنه لا يجرؤ على إعلان ذلك على الملأ وإنما يكون حديث الخاصة .

فهذه بلاد الشام كان فيها أربعة مفتين للمذاهب الأربعة ، أكبرهم المفتي الحنفي الذي يدعى (مفتي الجمهورية) ، وإذا انقرضت طبقة حلت محلها طبقة أخرى[١] .

وشاع التعصب المذهبي حتى قامت بسببه الفتنة أو كادت ، وكانت آثاره تقديم الرأي على الدليل ، والتحايل على الدين ، وإغلاق باب الاجتهاد .

وقد تقدم كيف أن المشايخ في الشام اختلفوا في صلاة الاستسقاء هل تكون معها خطبة ؟ وهل الخطبة قبلها أم بعدها ؟ وهل يخرج إليها النساء ؟ وكان كل منهم يريد أن يفتي الناس بمذهبه ، وكانت صلاة الاستسقاء قد نسيت في الشام من عهد بعيد . بل إن الشيخ "أبا اليسر عابدين" المفتي العام الحنفي لم يوافق على خروج الناس لها خشية أن يستسقوا فلا يسقوا فيشمت بهم الأعداء . وحين أفتى العلماء في المذاهب بالخروج لصلاة الاستسقاء ، وفرغوا من جدالهم العلمي وتعصبهم المذهبي اختير سفح جبل (قاسيون) لإقامة الصلاة فيه ، فاحتج جماعة من المشايخ الصوفية ومعهم مريدوهم ينكرون إقامة الصلاة فيه بزعمهم أن هذا المكان يقيم فيه الوهابية صلاة العيد ،ولجَّ هؤلاء في معارضتهم واجتمعوا في دار الشيخ "أبي الخير الميداني" -رئيس رابطة العلماء- وكان حاضرًا هذه الجلسة جماعة منهم ، وكان ممن حضرها الشيخ "علي الطنطاوي" والشيخ "مصطفى الزرقا" فحاولا معهم وأقاما الأدلة ولكن لم يستجيبوا فثار عليهم الشيخ "مصطفى الزرقا" وغضب غضبًا شديدًا فسكتوا ، ثم حلت المسألة بأن تكون الدعوة إلى الصلاة باسم الشيخ "أبي اليسر الميداني" ونائبه الشيخ "مكي الكتاني" وهما صوفيان لا يجرؤ أحد من الناس على اتهامهما بالوهابية[٢] .

وهذا الشيخ "علي الطنطاوي" يقول : (لما وحد الملك "عبد العزيز آل

---

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق (٨ /٢٨)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٦ /٢٨ -٣٠)

سعود"[1] الجزيرة أنشأت المملكة (معتمدية)[2] في (دمشق) ، فأقامت (المعتمدية) حفلاً شاركتُ فيه بخطبة فعتب عليَّ مشايخي الصوفية ، ولاموني لومًا شديدًا إذ كانوا يتهمون كل من اتصل بـ (المعتمدية) بالوهابية)[3]

وفي موضع آخر يقول : (وكانت الوهابية تهمة مخيفة ، ولقد عوقبت مرة في المدرسة لأنهم أمسكوني بالجرم المشهود في حلقة الشيخ "عبد القادر بدران"[4] صاحب المدخل)[5]

ومن صور الانقسام بين الإسلاميين أنفسهم الانقسام الثقافي ، ففي الوقت الذي كان يشتغل فيه المشايخ بالعكوف على كتب السلف تعليقًا وشرحًا ، يوضحون مقاصدها ، ويفكون عباراتها ، كان البعض ينتقد طريقتهم في التعليم ، وأسلوبهم في التأليف فيقول : (كانت أكثر الكتب التي يعكفون عليها بعيدة عن البيان بعد الأرض عن السماء ، معقدة العبارة ، أعجمية السبك وإن كانت عربية الكلمات ، فيأتي من يوضح غامض المتن فيدخل جملة من عنده بين كل جملتين منه ، كما يرقعون اليوم الجلد المحروق من الإنسان بقطعة من جلده السليم ، فينجح الرتق أو يظهر أثر الفتق ، وهذا هو الشرح ، ويأتي من يضع لهذا الشرح حواشي ذيولاً ، يطوله فيها فيجمله أو يقبحه ويعطله ، وهذه هي الحاشية)[6]

ترك هذا النقد اللاذع آثاره السلبية على الحركة العلمية فهب الخطباء في المساجد بإيعاز من مديرية الأوقاف ، والمدارس الشرعية بمشايخها وطلابها يردون على المتطاولين والمنتقدين ، وطال السجال والاشتغال بالخلافات الشخصية والمجادلات التي لا طائل من ورائها .

---

(١) **هو** : عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن فيصل آل سعود . من آل مقرن ، ولد في (الرياض) ، واستقر في أول شبابه مع أبيه في الكويت ، موحد المملكة ، توفي بـ(الطائف) ، ودفن في (الرياض) ، سنة (١٣٧٣هـ - ١٩٥٣م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق (١٩/٤)

(٢) تسمى اليوم (سفارة)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣ /٣٠) بتصرف .

(٤) **هو** : عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران . فقيه ، أصولي ، حنبلي، عارف بالأدب والتاريخ ، عاش وتوفي في (دمشق) ، كان سلفي العقيدة ، له تصانيف ، توفي سنة (١٣٤٦هـ-١٩٢٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٧/٤)

(٥) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١٠٦/١)

(٦) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (١٣١/٨) و (٦/٢)

ومن صور الانقسام بين الإسلاميين النقد الصادر من بعض إخوانهم حول طريقة الدعوة وأسلوبها الذي تزامن مع عهد الاحتلال الفرنسي وفرض الوصاية على البلاد ، إذ كان الأولى توحيد وتذليل العقبات في سبيل الدعوة ، وودع الصدامات والخلافات التي تفرق ولا تجمع ، وتعوق ولا تدفع .

كان للشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- موقف من حركة المشايخ أو ما سمي بـ (نهضة المشايخ) التي قامت على أيدي العالمين الجليلين "هاشم الخطيب"[١] و"علي الدقر"[٢] قبل أن يستقلا بمدارسهما كما سيأتي حيث قال :

(كان يؤمل من هذه الحركة أن يكون لها آثار أعمق وأبقى ، ولكنها كانت قاصرة على كثير من المظهر وراءه قليل من الجوهر ، وكانت معنية بأمور من فروع الفروع ، لا بتدعيم الأسس وتثبيت الأصول كما أمر الشرع وصنع الرسول عليه الصلاة والسلام ، لقد أثمرت خيرًا وخرجت علماء ودعاة وأحيا بها الله أرض (حوران) و(البلقـــــاء) -(الأردن)- ولكن كان أكثرهمٍّ متبعيها ومن مشى تحت لوائها إعفاء اللحى وتكوير العمائم ، وأن تتخذ النساء الأزر البيض بدل الملاءات السود ، استفاد من ذلك تجار الشاش وباعة القماش ، وخسر الحلاقون لما نأت عنهم الذقون ، كأن هذا هو الدين وهذه أركانه ...)[٣]

ومع ما في هذا النقل عن الشيخ من إصابة لبعض الحق إلا أن جهود المشايخ وآثارهم شهدت لها تلك الحال التي آلت إليها مناطق (حوران) و (البلقاء) من نهضة دعوية وعلمية ، وكان الأجدى بالشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- أن يقف معهم بعلمه وفكره وقلمه ولسانه ، وهل الاعتصام بالشرع إلا بإصلاح الظاهر والباطن ؟

خامسًا : **ضعف الدعم المادي لمدارس المشايخ غير الحكومية :**

اتجه بعض المشايخ في بلاد الشام إلى فتح مدارس للأبناء والبنات على غرار

---

(١) **هو** : مؤسس الجمعية الغراء ، ولد عام (١٨٩٠م – ١٣٠٧هـ) ، تلقى تعليمه على أيدي العلماء ، عمل أستاذًا للغة والدين في مكتب عنبر والمسجد الأموي ، وأخيرًا في كلية الشريعة بـ(دمشق).

انظر : يوهانس رايسنر ، الحركات الإسلامية في سورية ، مرجع سابق ، (ص٤٦٥)

(٢) **هو** : محمد علي الدقر . مؤسس الجمعية الغراء ، من أهالي (دمشق) ، عالم حنفي ، نحوي ، له آثار عظيمة في العلم والدعوة ،عمد إلى القرى فدعى أولادها وعلمهم القرآن والفقه .

يُنظَر في ترجمته : محمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٢٥)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٢٤٠/١ – ٢٤١)

المدارس الحكوميةحفاظً ا على هوية الشعب الدينية ، وذلك بعد المحاولات اليائسة التي قاموا بها لإصلاح التعليم في المدارس الحكومية ، ووجدوا أن أفضل سبيل هو إقامة مدارس يشرف عليها الشيخان "هاشم الخطيب" و"علي الدقر" يمكن أن تؤدي إلى مقاطعة المدارس الحكومية وإخراج الأولاد منها(١).

وسمى هذا الاتجاه يومئذ بـ (نهضة المشايخ) وخرج يومئذ مئات من الأولاد من مدارس الحكومة ، ولكن لم تتم مقاطعة المدارس الحكومية ، إذ لم تستوعبهم مدارس المشايخ ، وعاد الأولاد مضطرين إلى المدارس الرسمية وبقي منهم عدد قليل .

كانت المدارس الحكومية تحظى بدعم رسمي وشعبي إذ كان الشعب المسلم هو الذي ينفق عليها ، وهو الذي يخرب بيته بيده مغلوبًا على أمره ، فالفرنسيون المستعمرون يشرعون الفساد في التعليم ، والشعب هو من يدفع ثمن ذلك(٢)

أما مدارس المشايخ فلم يكن لها دعم رسمي أو شعبي يضمن لها البقاء والاستمرارفضلاً عن أن يوفر لها عوامل جذب تستقطب من خلالها أفراد الشعب أو تمكنها من الوصول إلى مستوى المدارس الحكومية ومضاهاتها .

ولذا ظلت جمعيات العلماء والمشايخ ، ومدارسهم قائمة على أموالهم الخاصة ، وتبرعات التجار وصدقاتهم وهباتهم ، وذوي الجاه والمكانة في البلد ، وكان المشايخ في مدارسهم يشكلون لجانًا لجمع المال والزكاة ، وكفالة طلاب العلم الفقراء ، وتأمين السكن والغذاء لهم ، ويسعون جاهدين للتنسيق مع مديرية الأوقاف للحصول على نصيب من الأوقاف المخصصة في صكوك الوقف لطلاب العلم .

وكانت مديرية الأوقاف التابعة للحكومة تشح بأوقافها على المدارس والجمعيات الشرعيةخصوصًا إذا كان مشايخها يقفون ضد النظام السلطوي ، وينتصرون للدين عبر المنابر والمحاضرات والدروس(٣)، وكانت تقطع عنهم الإعانةأحيانًا ، فيضطر المشايخ مع كل هذا أن يزاولوا بأنفسهم ومعهم تلامذتهم وبعض أهل المهن من النجارين والبنائين والطيانين - المتبرعين بكل أجورهم أو ببعض أجورهم - بناء غرف إسكان الطلاب من أنقاض البيوت القديمة رخيصة الثمن ، وكان منهم من ندب المحسنين لرعايتهم وكفالتهمغذاءً ودواءً ولباسًا(٤) .

---

(١) يُنظر : يوهانس رايسنر ، الحركات الإسلامية في سورية ، مرجع سابق ، (ص١١٨)

(٢) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٥٩/٥)

(٣) عبد الرحمن الميداني ، الشيخ حسن حبنكة ، مرجع سابق ، (ص١٠٢)

(٤) المصدر نفسه ، (ص٩٢ – ٩٣)

سادسًا : إقصاء الإسلام والإسلاميين عن عملية الإصلاح والتربية :

ظلت جهود العلماء والمشايخ في هذا الميدان مستمرة من خلال مواقعهم الرسمية في البلاد ، سواء في الجامعات أو المدارس ، أو من خلال المنابر والخطب ، أو الدروس والمحاضرات ، أو من خلال الجمعيات ومدارسها الخيرية التي كان يتولاها ويشرف عليها بعض مشيخة بلاد الشام .

وفي ظل هذه الجهود المشكورة ، وأمام دعوات الإصلاح ومطالبات العلماء بالعودة بالبلاد إلى دينها وقفت هنالك عوائق أمام حركة التغيير زادت من حدة المواجهة والصراع ، ومع ذلك لم تستطع في أحيان كثيرة أن تحول بين العلماء والدعاة بمختلف مواقعهم وبين جهودهم الإصلاحية في هذا الميدان .

وأذكر هنا بعض العوائق المتعلقة بهذا المبحث منها :

١ ـ تجفيف منابع التعليم من الإسلام والإسلاميين :

آل التعليم خلال فترة الانتداب الفرنسي إلى الفرنسيين المحتلين ، وعين في كل وزارة مستشار فرنسي يتصرف في الوزارات كيف يشاء الفرنسيون ، وكان هو الوزير حقيقة والوزير الآخر صورة ، واستطاع بهذا أن يرسخ قدمه ليحدث تغييرات وتحولات ليس في نظام التعليم وخططه واستراتيجياته ، بل حتى في مناهجه ومواده والمعلمين والطلاب .

ولما خرج الاحتلال لم يتغير الحال لأن الفرنسيين أبقوا لهم هيولاً كانت تربت في (باريس) تولت عرش التعليم كما تولت غيره من الوزارات .

وكانت الوزارة أيام الاحتلال الفرنسي لا يتجاوز عدد الموظفين فيها أحد عشر

موظفًا ، منهم خمسة أو أربعة يعملون عند المستشار (الوزير حقيقة) وكلهم من "النصارى"[١]، ولم يكن هناك رغبة أو التفاتة لتوظيف أو ترشيح شخصيات وطنية نزيهة أو عناصر إسلامية مؤثرة إلا ما أشرب من هوى الفرنسيين ، ولذا ظلت مقاليد الوزارة بأيديهم فترة الانتداب ، وبهذا استطاعوا إقصاء الإسلاميين عن العمل في الوزارة .

٢ـ ممارسة الضغوط عليهم وتطبيق الجزاءات الرادعة لهم :

يذكر الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- أنه لما كانأستاذًا امعاونًا في مدرسة التجهيز (الثانوية الرسمية) أقيم في المدرسة احتفال بذكرى المولد النبوي ، ودعي طلاب الصفوف العليا إلى حضور الاحتفال ، وكان من زملاء الشيخ -رحمه الله- "ميشيل عفلق" قبل أن يدعو بدعوته ، و"نظيم الموصلي"[٢] وكتب "ميشيل عفلق" خطبة بهذه المناسبة ألقاها "نظيم الموصلي" أثارت غضب المشايخ فما كان من الشيخ "علي الطنطاوي" إلا أن رقي المسرح وأخذ بعنق ثوب الخطيب فجذبه ورمى به من فوق المسرح ، فوقع على من في الصف الأول والتقط مكبر الصوت ،وردَّ على "ميشيل عفلق" .. الخ .

نقلعقوبةً على إثر ذلك الشيخ "علي الطنطاوي" إلى محافظة (دير الزور) التي كانت أيام الفرنسيين منفى لكل مغضوب عليه من الموظفين[٣].

وفي عهد الرئيس "أمين حافظ"[٤] حينما استدعت الحكومة -عن طريق مدير المخابرات الضابط المقدم "أحمد سويدان"- عددًا من العلماء منهم الشيخ "حسن حبنكة الميداني" والشيخ "محمد أمين المصري"[٥] للتحقيق معهم دار حوار بين الشيخ "محمد

---

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٣٧/٥)

(٢) **هو** : نظيم بن إبراهيم بن نعمان بن يوسف الموصلي . ولد في (حمص) ونشأ بها ،حصل من (جنيف) و(ليون) على أربع شهادات في التاريخ والجغرافيا، وحاز دكتوراه الدولة في الآداب ، توفي سنة (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، علماء (دمشق) وأعيانها ، مرجع سابق ، (ص٨١)

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٤ /١٨٧ ، ١٩٣)

(٤) **هو** : محمد أمين حافظ ، رئيس سوري سابق ، قائد عسكري ، شغل عدة مناصب سياسية ، شهد عهده توجهًا اشتراكيًّا للاقتصاد ، نفاه أقرانه إلى العراق بعد مؤامرة انقلاب ، وعاد إلى بلاده بعد الغزو الأمريكي للعراق سنة (٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٥) **هو** : محمد أمين المصري . من مواليد (دمشق) ،مربّفاضل ، وعالم وداعية ، تخرج في دار المعلمين بـ(دمشق) ،كان مؤثرًا في طلابه،رحل إلى مصر ثم إلى السعودية،ورأس قسم =

أمين المصري" والمقدم "أحمد سويدان" على النحو التالي : فقال الشيخ "محمد أمين المصري" : "عبد الرحمن الباني" يحمل (ليسانس) في الفلسفة والتربية وأصول الدين ، وقد مر عليه زهاء عشر سنين وهو يعمل مفتشًا للتربية الدينية في وزارة التربية والتعليم ، وكان مثال الموظف المستقيم ، فما هي الأسباب التي أدت إلى نقله من عمله إلى العمل في المدارس الخاصة ؟

فأجاب المقدم "أحمد سويدان" : أحب يا دكتور أن أكون صريحًا في الجواب ، وقد فهمت الأسباب من مدير التربية والتعليم "عبد الرحمن بدر الدين" .

نحن نختلف مع "عبد الرحمن الباني" في القاعدة ، هو يرى أن الدولة إنما تبنى على أساس إسلامي ونحن نرى أن الدولة إنما تبنى على أساس قومي عربي ، و"الباني" بناءً على ذلك يختار لدار المعلمين ولدار المعلمات أساتذة يعلمون الطلاب أن الدولة إنما تبنى على أساس إسلامي ، وكما تعلمون سيكون هؤلاء الطلاب والطالبات أساتذة بعد سنة دراسية واحدة ، وسيحملون هذه الأفكار إلى طلابهم ، وفي هذا ما فيه ، ولذلك صرنا إلى نقله من هذا العمل حتى لا نصل إلى هذه النتيجة ، وفي رأينا أن الإسلام لا ينظم الدولة ، إنما تنظمها القومية فقط[1].

٣ ـ عدم الالتفات والاكتراث لمطالبهم :

كان العلماء والمشايخ يقومون بواجبهم تجاه ما يتعلق بمنكرات التعليم التي ضج بها البلد[2]، وابتدروا يطالبون عبر المنابر ، ويرفعون بلاغاتهم ورسائلهم يناشدون الحكومة ووزارة المعارف إعادة النظر فيما أحدثوه من القرارات والأنظمة التي تخالف شريعة الإسلام وتدعو للرذيلة وتهون الفضيلة ، ودعوهم إلى احترام إرادة الشعب المسلم ، لكن كل تلك النداءات لم تجد من يسمعها أو يفهم عنها ثم يجتمعون فيتشاكون ويتبادلون ثم لا يجدون إلا أن يجمعوا صفوفهم فيراجعوا الرئيس أو الوزير فلا تنفعهم

=

الدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة أم القرى ،ثم بالجامعة الإسلامية، توفي في (سويسرا) إثر عملية جراحية ، ودفن بمكة المكرمة سنة (١٣٩٧هـ ١٩٧٧م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٣٤٠)

(١) عبد الرحمن الميداني ، الشيخ حسن حبنكة الوالد الداعية ، مرجع سابق ، (٢٥٠ ـ ٢٥١)

(٢) يُنظَر : بتوسع (جهود المدافعة في الميدان التعليمي) من هذا البحث .

المراجعةشيئًا [1].

٤- حجبهم عن الوصول إلى أصحاب القرار :

كان الإسلاميون محجوبين عن لقاء المسئولين في التعليم ، بل كان المستشارون عند الوزير يمنعون وصول برقياتهم لمكتب الوزير ، وكم مرة بعثوا إليه بكتابات ورسائل لكن تعذر وصولها وانسد دونها الطريق ، فلا طريق المقابلة ولا طريق المراسلة ، وما قصة الوفد - الذي سافر من الشام إلى مصر في عهد الوحدة ، وضم رئيس رابطة العلماء ونائبه واثنين من أعضاء مجلس الأمة[2] والشيخ "علي الطنطاوي" وأحد أساتذة جامعة دمشق - عنا ببعيد ، إذ كانوا يرغبون لقاء وزير المعارف وقرعوا بابه عشرة أيام ولم يحظوا بلقائه[3].

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥/ ٣٣٨ ، ٣٥٦)

(٢) هكذا سمى عبد الناصر مجلس البرلمان .

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٦ / ٦٩) (وقد ذكرت قصة الوفد في جهود المدافعة في الميدان التعليمي ، فلتراجع)

الفصل الخامس

الجهود الفكرية للمدافعة في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري ، ووسائلها

ويشتمل على عدة مطالب :

- المطلب الأول : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان السياسي ووسائلها .
- المطلب الثاني : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الاجتماعي ووسائلها .
- المطلب الثالث : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان التعليمي ووسائلها.
- المطلب الرابع : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الإعلامي ووسائلها.
- المطلب الخامس : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الدعوي والتربوي ووسائلها .

المطلب الأول : جهود المدافعة في الميدان السياسي ووسائلها :

مع ما كانت تمر به بلاد الشام خلال القران الرابع عشر الهجري من صراعات وانقلابات وخصوصًا في ظل الاستبداد السياسي والإقصائية لأهل الإسلام ، إلا أن جهود المدافعة عن حياض الدين لم تكن بعيدة عن تناول جانب الإصلاح ومحاولة التأثير في مراكز السيادة ، وانطلقت محاولات من هنا وهناك شارك فيها علماء ورجالاتفكرٍ ،ودعاةٌ ، استطاعوا من خلالها في بعض المراحل والعقود أن يكونوا عناصر مؤثرة في صناعة وصياغة بعض القرارات السياسية ، كما أن تلاحم العلماء ودعاة الإسلام وأهله أفشل جهود الحاقدين على مستقبل الدعوة في بلاد الشام ، ورد مكرهم عليهم لم ينالوا خيرًا .

أولاً : جهود المدافعة في سوريا :

برز في هذا الميدان رجال وعلماء من بلاد الشام أبرزهم الشيخ "حسن حبنكة الميداني" والشيخ "مصطفى السباعي" وسوف أستعرض جهودهما المباركة في هذا الميدان بالذات :

أ- أقامت مديرية الأوقاف في جامع الشيخ "محي الدين" بالصالحيةحتفالاً دعت إليه "رئيس الجمهورية" آنذاك "شكري القوّتلي" ومعه بعض أركان حكومته ، وغرضها تكريم الرئيس والتمجيد به ضمن الاحتفال ، وألقى أحد موظفي المديرية كلمة مديرية الأوقاف وهو السيد "غالب عابدون" وألقى كلمة فيها بعض كلام عن الرسول ﷺ ، وفيها تمجيد "لرئيس الجمهورية ".

وكان من بين الحاضرين الشيخ "حسن حبنّكة الميداني" - الأمين العام لرابطة علماء المسلمين" - ، فدعي لإلقاء كلمة توجيهية ، فقام واستهل كلمته بعد حمد الله تعالى والصلاة والسلام على رسوله ﷺ بقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨؛ تعريضًا بأنه ما كان ينبغي أن نجعل المسجد مكانًا لتعظيم الرؤساء مهما كان شأنهم ،وضمّن كلمته نصائح ورسائل صريحة تتعلق بالحاكم والمحكوم ، وانتقد أوضاعًا قائمة في البلد ، وتناقل الناس في (دمشق) نبأ الاحتفال وأكبروا موقف الشيخ وأنه لم يفعل كما يفعل بعض الخطباء أمام الرؤساء والملوك من الإطراء والمدح والتعظيم ، ولم يخش على مدرسته الشرعية الخاصة التي تتلقى بعض مساعدات من دائرة الأوقاف ، وكان يطالب بزيادتها لأنها ما كانتتسدّ من النفقة الحقيقية عشرَ ها[1] .

(١) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة الميداني ، مرجع سابق ، (ص٢٢٢- ٢٢٣)

ب ـ كان من عادة "رئيس الجمهورية" السيد "شكري القوّتلي" أن يقصد صلاة الجمعة في جامع (منجك) وهو الجامع الذي يؤمه الرؤساء والوجهاء ، فلما علم بمقدمه الشيخ "حسن حبنّكة" أعد خطبة ذكر فيها أمجاد الأمة المسلمة ، وبين فيها وظائف الحاكم المسلم ومهماته وواجباته في حماية الدين ورعاية من تحته من الرعية بما يرضي الله تعالى ، وسرد قصة "عمر" – ﷺ -المشهورة مع المرأة في ظاهر المدينة حين خرج ليلاً ينظر أحوال رعيته ، ولم يتعرض في خطبته المستفيضة للرئيس بكلمة ثناء أو إطراء ، ولم يشر إلى حضوره ، ولما فرغ من الخطبة والصلاة قام إليه الرئيس مسلمًا عند محراب الجامع ،وانصرف خارجًا ولم يمش الشيخ معه إلى باب المسجد ، بل بقي في محرابه . وتكررت زيارات الرئيس "شكري القوتلي" للجامع ، واستمر الشيخ على طريقته لم يغير منها شيئًا[1] .

ج ـ المدافعة الشرعية حول تعيين دين أول حكومة عربية :

دخل الأمير "فيصل بن الحسين" (دمشق) في (٣ /١١/١٩١٨م = ١٣٣٧/١/٢٩هـ) ـ كما تقدم ـ ، وأعلن عن ميلاد الحكومة العربية السورية بعد نهاية الحرب العالمية الأولى سنة (١٩١٨م – ١٣٣٧هـ) ، وأمر بتشكيل لجنة تأسيسية تنتخب عن طريق مراكز الانتخابات في مناطق سوريا الداخلية (دمشق وحلب وحماة وحمص) وعن طريق الترشيح والتسمية من قبل التجمعات المحلية في المناطق الأخرى ـ لبنان و(فلسطين) ـ وذلك في أيار (مايو) (١٩١٩م – ١٣٣٧هـ) ، وتم انتخاب أعضائها ، وفي دورة المجلس الأولى شكل المجلس لجنة داخلية تم انتخابها من قبل الأعضاء في (١٩١٩/٧/١٩م = ١٣٣٧/١٠/٢١هـ)كُلِّفت بوضع دستور للبلاد ، رأسها السيد "هاشم الأتاسي"[2] ، وكان المقرر لها "محمد عزة دروزة"[3] -من

---

(١) المصدر نفسه ، (ص٢٢١)

(٢) **هو** : هاشم بن خالد بن محمد بن عبد الستار الأتاسي . تولى رئاسة سوريا ثلاث مرات ، مولده ووفاته في (حمص) ، من أعضاء جمعية (العربية الفتاة) ثم (الكتلة الوطنية) ، تنقل في مناصب سياسية عديدة ،واعتزل في آخر حياته حتى توفي سنة (١٣٨٠هـ-١٩٦٠م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ،الأعلام ،مرجع سابق ، (٦٥/٨)

(٣) **هو** : محمد عزة دروزة . باحث ، مؤرخ ، من مواليد (نابلس) ، عمل بعد تعلمه في دائرة البرق والبريد العثمانية سنة (١٩٠٣م – ١٣٢١هـ) ، ويسرت له الوظيفة الاطلاع على الدوريات المصرية مثل (المؤيد والمقتطف والهلال والمقطم) ، له العديد من المؤلفات أبرزها مذكراته عن الحركة العربية الحديثة ، توفي سنة (١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٩٦/٢)

فلسطين-وقد طالب الأعضاء في اللجنة التأسيسية من غير المسلمين وبعض المسلمين بأن ينص في الدستور على أن حكومة سوريا حكومة لا دينية ، في حين طالب الأعضاء الآخرون بضرورة النص على أنها حكومة إسلامية عربية ، وأن دينها الرسمي هو الإسلام ، واحتدم الخلاف ، واقترح الشيخ "محمد رشيد رضا" -نائب (طرابلس)- السكوت عن هذه المسألة لأنه إذا أعلنت حكومة لا دينية يفهم عنها جميع المسلمين أنها حكومة كفر وتعطيل لا تتقيد بحلال وحرام ، ومن لوازم ذلك أنها غير شرعية بل يجب إسقاطها عند الإمكان ، ووافقت غالبية الأعضاء على هذا الاقتراح ، وعلى الاكتفاء باشتراط أن يكون دين ملكها هو الإسلام ، وهكذا جاء نص المادة الأولى من الدستور : (حكومة المملكة السورية العربية حكومة مدنية نيابية ، عاصمتها دمشق الشام ، ودين ملكها الإسلام)[١]

د- التفَّ مجموعة من العلماء وقادة الكفاح والدفاع عن الإسلام في (دمشق) حول الشيخ "حسن حبنّكة الميداني" كونه الرجل الشجاع الذي يواجه السلطة بنزاهة وتجرد ، مع قوة بيانه ، وكثرة محبيه وأنصاره ، وكان من هؤلاء الشيخ "ملا رمضان البوطي"[٢] والشيخ "أحمد بن علي الدقر"[٣] - الذي خلف والده في رئاسة (الجمعية الغراء)- ، و "محمد أمين المصري"، والشيخ "عبد الكريم الرفاعي"[٤].

---

(١) يوسف الحكيم ، سورية والعهد الفيصلي ، دار النهار للنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٩٦٨م) (ص٩٤)

(٢) **هو** : ملا رمضان البوطي . الفقيه الشافعي ،كردي من شمال سوريا ، من (بوطان) ،هاجر إلى (دمشق) ، وسكن في حارة الأكراد في حي الشيخ "محيي الدين " . توفي سنة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، علماء (دمشق) وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق، (ص١٩٨)

(٣) **هو** : أحمد بن علي بن عبدالغني الدقر . من مواليد (دمشق) ، نشا في رعاية والده العلامة ،وعهد إليه أبوه بالتدريس ، وشارك في تأسيس "الجمعية الغراء" ،وانتهت إليه رئاستها ، انتخب عضوًا في (مجلس أوقاف (دمشق) و(المجلس الإسلامي الأعلى) و(مجلس الإفتاء) أصيب بالفالج ، وتوفي سنة (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمدالمالح ، إتمام الأعلام ، دار الفكر ، (دمشق) ، الطبعة الثانية ، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م) ، (ص٤٥)

(٤) **هو** : عبدالكريم الرفاعي . من أهالي (دمشق) ، وتلميذ الشيخ "حسن حبنكة الميداني" ، كانت له حركة دعوية بارزة ، طار صيتها في أنحاء البلاد حتى اجتمع حوله الشباب الإسلامي والفتيات المسلمات ، وآزرها أهالي (دمشق) .كان له أثر كبير على طلابه تربيةً ودعوةً وعلمًا ، أصيب بالشلل آخر عمره ، وتوفي سنة (١٩٧٣م – ١٣٩٣هـ)

=>

وقد اتفقوا على أن يعقدوا اجتماعًا دوريًّا في دار الشيخ "حسن حبنكة الميداني" يقرؤون فيه كتابًا من كتب العلم الكبرى ، ويناقشون أحوال المسلمين العامة ، وما يطرأ على الساحة السورية من أحداث ، وتوالت هذه الاجتماعات الدورية[1].

هـ - اندفع جماعة من الشبَّان الغيورين على الإسلام لتكوين جماعةٍ سُمّيتْ فيما بعد (كتائب محمد) . وقد ظهرت بعض آثارها في محافظات سوريا ، دون علم الناس بأنها جماعةٌ فعليًّا .

وكانت هذه التجمعات تلتف حول الداعية "محمد أمين المصري" من خلال دروسه في السيرة ، وشرحه غزوات الرسول ﷺ ومنها غزوة بدر ، وتفسير سورة الأنفال التي نزلت بيانًا لأحداثها .

واشتد عنف السلطة البعثية الحاكمة في التطبيقات "الاشتراكية" و"العلمانية" ، وكان ذلك في عهد رئاسة الضابط البعثي الحلبي "أبو عبدو أمين الحافظ" .

اندفعت هذه الجموع ومعظمهم من (دمشق) تستثير جماهير المسلمين ضد الحكم البعثي ، وتحرك علماء المسلمين ، وخطباء المنابر ، والمدرسين ، لاستثارة من تحت أيديهم ، وكانت السلطة البعثية الحاكمة تدس في "كتائب محمد" من يكونون عيونًا لها ، ومن يوجهون الجموع ويستدرجونهم إلى مذابح ترهب كل من يفكر مستقبلاً بعمل إسلامي ، وفي هذه الأثناء كان يتوافد على الشيخ "حسن حبنكة" وفود كثيرة من مختلف طبقات الشعب ، من علماء وخطباء وتجار ومحامين وسياسيين ومثقفين وشباب يشكون من الوضع القائم ، ومن سوء السلطة وطغيانها وتصرفاتها ضد مصالح شعبها ، وضد تعاليم الدين وفي هذه الأثناء زار الشيخ في داره بعض أعضاء تجمع (كتائب محمد) ، وعرضوا عليه ضرورة إيجاد تنظيم مسلح لإسقاط الحكم القائم، وألمحوا باستعدادهم لأن يجندوا أنفسهم في هذا التنظيم .

لم يكترث الشيخ لهذا العرض لعلمه بأن ضرره على مستقبل الإسلام ضرر محقق ، والإمكانات الشعبية وظروف الحكم القائم والظروف الدولية العامة لا تسمح بتورط من هذا القبيل يعود على العمل الإسلامي في البلاد بما لا تحمد عقباه .

وفي أحد الأيام أشيع في (دمشق) أن مجموعات من الشباب يطوفون على مساجد المدينة ، ويدعون الناس إلى الاجتماع ضحىً في اليوم الثاني في مسجد (بني

=

يُنظَر في ترجمته : عبدالرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٥٩)

(١) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٢٣١)

أمية) للخروج بمظاهرة احتجاج ضد تصرفات السلطة بقيادة علماء الدين في (دمشق) .

واستدرج إلى هذا التجمع عدة آلاف من الناس ، وفي مقدمتهم جماعة (كتائب محمد) ، ثم ظهر فيما بعد بأن عناصر من مخابرات الدولة هي من حرضت جماهير المسلمين على حضور هذا الاجتماع .

وفي صباح اليوم التالي ، وعقب انفضاض الدرس الصباحي الذي يعقده الشيخ بعد الفجر جاءه أحد الدعاة وأبلغه بالاجتماع واستشاره بشأنه ، فقال -رحمه الله- : (ليس هذا هو الطريق)، وضرب له مثلاً عامياً معروفاً : (الحجر بمطرحه قنطار) يعني : فإذا فارق مكانه خف وزنه ، وسهل التصرف به .

وفي الساعة التاسعة صباحاً حضر إلى دار الشيخ قادة العمل الإسلامي يومئذ الشيخ "ملا رمضان البوطي" والشيخ "عبد الكريم الرفاعي" والشيخ "أحمد الدقر" والشيخ "محمد أمين المصري" بعزم الذهاب إلى الجامع الأموي بعد أن زين لهم بعض الغيورين المتحمسين ضرورة الحضور .

وتوالت الاتصالات الهاتفية من الجامع الأموي بالشيخ ومن معه من العلماء تستحثهم للحضور ،وكان الذي يستحثهم رجل متعمِّم محسوب من طلاب العلم وهو في الحقيقة من مخابرات الدولة .

ورفض الشيخ المشاركة رفضاً باتاً ، وكان الشيخ "محمد أمين المصري" ومعظم القادة يرجحون المشاركة فقال لهم الشيخ في حزم : هل أنتم الذين دبرتم هذا الأمر وأعددتم له عدته ؟ هل أنتم الذين بعثتم طلابكم ومريديكم للدعوة إليه ؟

قالوا : لا ، فقال لهم : وما يدريكم أنه فخ صنع لكم ، حتى تقتلوا ، أو تأخذكم الدولة بجرم القيام بثورة مسلحة ، أنتم بين خيارين ، إما أن أحبسكم عندي هنا في البيت ، وإما أن تنصرفوا إلى بيوتكم ولا أسمح لأحد منكم بالمشاركة في هذا الأمر ، إن المسلمين بحاجة إليكم فلا تمكنوا أعداءكم منكم .

انصرف القادة إلى بيوتهم ، وتحققت فراسة الشيخ ، وتبين أن الأمر مدبّر من قبل السلطة ، واشتركت بعض أجهزتها السرية في الدعوة إليه ، وكان بمثابة فخ تحصد فيه قيادات إسلامية بتهمة القيام بثورة مسلحة ، وأنهم سقطوا ضمن المقاومة ، فلا مسؤولية على الدولة في مقتلهم .

وكانتكتيبة عسكرية مدجّجة بالأسلحة النارية سريعة الطلقات ، جاءت ومعها أسلحة مدرعة لتطويق جامع بني أمية ، والانقضاض على من فيه بالأسلحة ، وحصدهم تحت ذريعة القيام بثورة ضد الدولة دون تمييز بين مشارك في المظاهرة ، ومصلّوشيخٍ عجوزٍ عاكفٍ في المسجد .

وفي الساعة التي ظن فيها مدبروا المكيدة أن النصاب المقصود قد اكتمل هجم الجنود بأسلحتهم وتقدمت دبابة فكسرت باب المسجد ، ودخل الجنود بغارة وحشية قتل فيها خلق كثير ، وكانت مذبحة شنيعة لم يكن لها نظير في كل عهود الاستعمار الغربي .

واستاق الجنود من بقي حيًّا إلى شاحنات السيارات العسكرية تحت ضربات البنادق والتعذيب الوحشي ومنها إلى السجون ، وأنجى الله قادة العمل الإسلامي من هذه المكيدة بعنايته وحفظه[1] .

و- بعد حادثة (كتائب محمد) حمل ساعي البريد في أحد الأيام بريدًا من المحكمة العسكرية للشيخ "حسن حبنكة الميداني" ، دُعي فيه الشيخ إلى الحضور لمقر المحكمة العسكرية لأداء الشهادة في الساعة الثامنة صباحًا من اليوم المحدد .

وكانت الشهادة تدور حول حركة الشبان الذين سموا أنفسهم (كتائب محمد) وقبض عليهم في الجامع ، وآخرين ألقي القبض عليهم في بيوتهم .

وكان قد دعي للشهادة أيضًا الشيخ "محمد أمين المصري" فحضر الشيخان ، وقال الشيخ "حبنكة" : هاتوا ما عندكم ، لماذا دعوتمونا ؟

فبدأوا حديثهم عما بأيديهم من تقارير المخابرات عن الخطابات والدروس التي فيها انتقاد للسلطة من قبل الشيخ ، فأجاب الشيخ "محمد أمين المصري" بقوله : وما آفة الأخبار إلا رواتها ، فما كل ما ينقله لكم موظفوا مخابراتكم صحيحًا ، فقد يكون فهمهم ناقصًا ، أو يفسرون من عندهم ، وكثير منهم محدود الثقافة لا يفهم مرامي الكلام .

فقطع الشيخ حديثه وقال : هل جئتم بنا للشهادة أم للمحاكمة ؟ إن كان للمحاكمة فكل ما في تقاريركم هذه صحيح و أكثر منه ، وإذا شئتم حاكمونا على أقوالنا، ودافعوا عن تصرفاتكم وتصرفات الدولة بمقتضى الأحكام الدستورية والقانونية ، وبموجب الحق والعدل و الشرع ، و أخذ يناقش مسألة الاستيلاءات الاشتراكية الظالمة على الأراضي فيما سمى بـ (الإصلاح الزراعي) ، وآثار ذلك على اقتصاد البلاد ، وما نجم عنه من فساد أحوال المصانع التي جرى تأميمها ، وتحولت الجلسة من استجوابات للشيخ وصاحبه إلى محاكمة السلطة على تصرفاتها .

وكان مما قال لهم بكم بريءٍ قتلتم ظلمًا ؟ وكم إنسانٍ حكمتم عليه بالإعدام بغير حق ؟

(١) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٢٢٩- ٢٣٥)

وكان التلفزيون والراديو السوريان ينقلان هذه الشهادة ، فكان ذلك زيادةً في رفع قدر الشيخ وإجلاله لدى جمهور الشعب السوري .

ووجد الناقمون من أولي السلطة أن هذه الحادثة كانت سببًا في تعريف الناس بهذا الرجل وتمجيدهم له من حيث لم يحتسبوا ، كما أنها أبرزت للشعب فساد السلطة وطغيانها[١] .

ز- أجريت في سوريا بعد الاستقلال في يوم الاثنين (١٣٦٦/١٠/١٨هـ) الموافق (٧ تموز – يوليو ١٩٤٧م) أول انتخابات ، وشارك فيها قيادات من الحركات الإسلامية والأحزاب القومية والوطنية .

وشاركت في هذه الانتخابات حركة "الإخوان المسلمين" وبعض الشخصيات الإسلامية من غير أنصار الحركة وكانت تقف وراءهم "رابطة علماء المسلمين" و(الجمعية الغراء" اللتان كان لهما دور واسع في دعم المرشحين ، حيث كان لكل حزب أو جماعة أو مرشح كبير مركز انتخابي وكان أكبر مركز انتخابي هو الذي أقامته "رابطة العلماء" في جامع (تنكز) ، وكان رئيسها الشيخ "أبو الخير الميداني"[٢] ، ونائبه السيد "مكي الكتاني" والتي قادت الناس يوم الانتخاب ، حتى صار الوطنيون يقدمون أنفسهم للعامة بلقب (المشيخة) لأن الزمن كان زمن

وقد عكست المشاركة الشعبية الواسعة في هذه الحفلات الانتخابية مدى التأييد الجماهيري للمرشحين الإسلاميين خصوصًا في (دمشق) ، حتى إن "شكري القوّتلي" -رئيس الجمهورية- حضر لـ"الجمعية الغراء" وأعلن بنفسه أسماء المرشحين[٤]، وأصدرت "رابطة العلماء" قائمة مرشحيها ، ولولا تدخل الجيش في هذه الانتخابات لمصلحة "شكري القوتلي" ضد "الإخوان المسلمين"- كما ذكر ذلك "سامي الجندي"[٥] - لفاز الإسلاميون في الانتخابات ؛ حيث زورت الانتخابات ،وبدّلت الصناديق فجيء

---

(١) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٢٣٦-٢٤٢)

(٢) **هو** : محمد بن محمد بن حسين بن بكري الميداني . يكنى بأبي الخير ، من مواليد حي (الميدان) بـ(دمشق) ، كان مهابًا متواضعًا ورعًا ،وفيًّا لأقاربه ورحمه ، وطلابه .

يُنظَر في ترجمته : دار الحديث النبوي على الشبكة العنكبوتية .

(٣) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٧ /١٣٨- ١٣٩)

(٤) أبو الحسن الندوي ، مذكرات سائح في الشرق العربي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) ، (ص ٣٢١)

(٥) سامي الجندي ، البعث ، طبعة دار النهار للنشر ، بيروت ، (١٩٦٩م – ١٣٨٩هـ) ، (ص ٥٠)

بغير التي ألقى الناس فيها أوراقهم ،ومُلِئت قبل أن يصلوا بها إلى مراكز الانتخاب[١].

ح _ بعد صدور قرار عزل الشيخ "حسن حبنكة الميداني" من مديرية أوقاف (دمشق) تعطل (جامع منجك) الذي كان يخطب فيه عن صلاة الجمعة ستة أشهر ،تأييدًا للشيخ "حسن حبنكة" فكانوا يصلون الجمعة في غيره من مساجد الحي .

ثم عقد في المسجد اجتماع حافل تتابع الخطباء في النصح والتوجيه ، وأبدوا الحسرة على خلو منبره من الشيخ ، واستثار الخطباء حماسة المحتفلين للمطالبة بعودة الشيخ حتى التفت بعضهم إلى المنبر ، وقال له : ألم تحن إلى خطب الشيخ ومواعظه ؟

فاندفع الشيخ "حسن حبنكة" وقام خطيبًا في الناس ،وتكلم كلامًا مؤثرًا ، حرك القلوب ، ووعد أن يكون خطيبًا على منبره يوم الجمعة القادم متحديًا قرار الحكومة البعثية ، ونفذ ما وعد ، وآثرت الدولة حينئذ أن تتغاضى لئلا تثير عواطف جماهير المسلمين[٢].

ط - في سنة (١٣٨٦هـ-١٩٦٦م) في فترة رئاسة "نور الدين الأتاسي" ورئيس الوزراء "يوسف زعين"[٣] حج الشيخ "حسن حبنكة الميداني" ومعه عدد من إخوانه ، وجرى في تلك الحجة لقاء واحد خاص بينه وبين الملك "فيصل" بحضور مستشاره "رشاد فرعون"[٤] وكانااللقاء وديًّا تطرق الشيخ لمشكلات المسلمين وما يتعرض له الإسلام من كيد عالمي ، وضرورة جمع كلمة المسلمين ونصرة قضاياهم إلى غير ذلك .

ولما سمع أهل (دمشق) بأن الشيخ يستعد للعودة إلى سوريا أعدوا أنفسهم لاستقباله في حشد شعبي كبير ، وتم ترتيب أمر السفر بالطائرة في صباح أحد الأيام ، إلا أن بعض المبلغين –وربما كان ذلك مكرًا – أشاع في (دمشق) أن الشيخ قادم قبل موعد السفر بيوم ، فخرجت الجماهير الحاشدة لاستقباله في المطار ، ووقفوا ساعات

---

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٧/ ١٤٢)

(٢) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٢٦٩)

(٣) رئيس وزراء سوري سابق ، تولى رئاسة الوزراء مرتين .

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٤) **هو** : طبيب ، سياسي، من مواليد (دمشق) ، تعلم بها ، مارس الطب في الجيش السوري ، عين وزيرًا للصحة في عهد الملك "عبدالعزيز" ، وكان طبيبه الخاص ،كما تولى سفيرًا للمملكة في فرنسا ،ثم أعيد وزيرًا فسفيرًا ، توفي في مكة سنة (١٤١١هـ-١٩٩٠م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظه ، علماء (دمشق) وأعيانها ، مرجع سابق ، (ص٢٠٣)

ينتظرون قدوم الطائرة ، ولما يئسوا رجعوا .

ولما علموا بالموعد الحقيقي في اليوم التالي تنادوا بسرعة ، وخرجوا لاستقبال الشيخ ومن معه ، وكان جمعًا كبيرًا لكن جمع الأمس كان أعظم .

وكانت الزينات والأضواء ومظاهر الاحتفال بعودة الشيخ وإخوانه قد امتدت في حي الميدان من (دمشق) ، وتوافدت مواكب المسلمين عليه من كل أحياء (دمشق) والقرى وسائر المدن السورية .

واستمرت الوفود ثلاثة أيام تتوارد دون انقطاع ، في احتفاء ما شهدته (دمشق) لرئيس منتخب ولا لسلطان مرتقب ، إلا ما كان للرئيس "جمال عبد الناصر" حين زار سوريا أيام الوحدة .

واغتاظت حكومة البعث من هذه الحفاوة ، ولم يكن في وسعها قمع هذه المظاهرة الكبيرة إلا أن توحي لشقيقه "محمد حبنكة الميداني"[1] بضرورة تقويض الزينات وإزالة حبال الأضواء الكهربائية ، وكان وفد حكومي يومئذ برئاسة "رئيس الوزراء" "يوسف زعين" في زيارة عمل للاتحاد السوفييتي ، وقامت حكومة الاتحاد السوفييتي بإطلاع الوفد على صور الاستقبال الحاشد ، وحذرته من مغبة مثل هذا الاستقبال وخطورته على حزب البعث وعلى التطبيقات الاشتراكية .

وتربصت بعد ذلك الحكومة بقية عام (١٩٦٦م – ١٣٨٦هـ) وأوائل عام (١٩٦٧م – ١٣٨٦هـ) ، ثم تحركت مستخدمة مكيدة الإثارة ووضع الكمائن للشيخ ومن معه فدفعت رجلاً نكرة من الملاحدة يدعى "إبراهيم خلاص" فكتب مقالة في مجلة (جيش الشعب) التي تصدر باسم الجيش - باسم الدولة - أعلن فيها ضرورة خلق الإنسان العربي الجديد الكافر بكل القيم القديمة التقليدية التي أصبحت بالية ، وذكر فيها أن الله والدين والقيم يجب أن توضع في متحف التاريخ .

وأمام هذه المكيدة المدبرة وجد قادة العمل الإسلامي وعلى رأسهم الشيخ أنهم أمام ثلاثة طرق :

١- أن يسكتوا ويتغابوا خشية أن يستجروا إلى معركة مع الدولة غير متكافئة .

٢- أن يدخلوا مع الدولة في معركة حقيقية أكثر من النضال البياني الفكري مهما كانت التضحيات والنتائج .

---

(١) **هو** : محمد خير بن حسن حبنكة الميداني . الابن الثالث لأبويه ، ناصر أخاه الشيخ "حسن" ، وكان محبًا للفتوة هيالاً لوسائل البطولة ، كانت له تجارات مختلفة .

يُنظَر في ترجمته : عبدالرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٤٢)

٣- أن يقولوا كلمة الحق بصراحة وحكمة ، ويقفوا عند حدود الكلمة ، ومناشدة الدولة محاسبة كاتب المقال ، والمشرفين على المجلة ، وإعلان شجبها لهذه الاتجاه الإلحادي .

وبعد المشاورة والتفكير رأى القادة أن السكوت على الأمر سيعطي الدولة فرصة التمادي إلى ما هو أشد في الإعلانات والتطبيقات ، وأن الدخول معها في معركة حقيقية تورط يعطي السلطة الحاكمة فرصة التدخل بقوتها العسكرية لقمع القيادة الدينية ، وفرض الاتجاه الإلحادي بصراحة وقوة ، وظهر لهم أن أهون الأمور الثلاثة هو إعلان كلمة الحق ، ومناشدة الحكومة الأخذ على أيدي أصحاب الفتنة ، وهذه مهمة العلماء التي لا يجوز لمثلهم التخلي عنها في أشد الظروف وأقساها وأكثرها اضطهادًا .

وبناءً على هذا القرار الحكيم انبرى العلماء والخطباء يبينون للناس بالحكمة والعقل الحق فيما سطره الكاتب ، ويناشدون السلطة تعديل الموقف الذي نجم عن محاربة الدين وإعلان الإلحاد الصريح ، والبراءة صراحة مما جرى تسويد صفحات المجلة به ، وفوَّتوا على مدبري المكيدة هدف استدراج الدعاة والخطباء والعلماء والجماهير إلى معركة عسكرية مسلحة ، حتى ضاقت الحكومة ذرعًا بهذه الحكمة وذلك العقل مع ضبط اللسان ومناقشة القضية بالبرهان والمنطق .

إلا أن كل ذلك لم يشفع للقادة العلماء أن تسكت الحكومة عنهم ، ففي أواخر شهر نيسان من سنة (١٩٦٧م – ١٣٨٦هـ) دبرت مكيدة للقبض على الشيخ "حسن حبنكة الميداني" بعد صلاة الجمعة بذريعة تهم ملفقة ومؤامرة استعمارية مكذوبة نسجت لقمع الاتجاه الإسلامي المناضل في الشام .

وكان الشيخ بلغه نبأ القبض عليه بعد الجمعة فصعد المنبر وألقى خطبته كعادته ،وكان حافظً ا لسانه ،مالكً ا أعصابه ، وتابع الحديث عن التصريحات بإعلان الإلحاد ومحاربة الدين في مجلة الجيش ، وقال : (السلطات تقول : إنها تمارس مهنتها تحت رقابة الشعب ، إلا أن التصريح الذي قرأناه أخيرً ا في آخر عدد من المجلة التي تسمى (مجلة جيش الشعب) يتحدى عقيدة الشعب وإرادته ، فأين رقابة الشعب ؟ وما فائدة الرقيب إذا لم يفصح عما في ضميره ، ولم يبد رأيه ، ولم يعط تقريره ؟ ليس من المعقول مطلقً أن يتحدى عقيدةَ هذه الشعب وإرادتَه فردٌ أو عصابةٌ أو جماعةٌ .

إن هذا الشعب يصاب في كل يوم بكثير من المصائب ، لكن المصائب تهون وترخص أمام المصيبة في الدين .

من المؤسف والمحزن أنه كلما قامت صيحة دينية صادقة قالوا : هذه من دوافع الاستعمار والدولار والذهب .

أما الذين يلحدون بالله وينكرونه ويجحدونه فلا يقال في شأنهم شيء ، بل هم

قوم مرضي عنهم مفسوح لهم المجال في كل شيء .

هذا متكلم يقدّم للمحاكمة لأنه قال الحق ، وذاك مدرس يضرب لأنه قال كلمة الحق ، وهذا معلم يقتل أو يسرح لأنه قال بالحق ، وهذا يسحب إلى المخابرات والآخر إلى المباحث ، هذا في السر ، وذاك في العلن .

الذي يتكلم باسم الدين عميل ومأجور يتكلم بدوافع ذاتية ؟ والذي ينكر الرب الخالق ، ويدعو إلى الرذيلة شريف يتكلم باسم الشعب ؟

ثم تحدث الشيخ عن كلمة "إبراهيم خلاص" التي نشرتها المجلة ، وأبان أن هذا الرجل مدسوس ، وأنه إن كان الغرض من دسِّه استثارة غضب الشعب لاستدراجه إلى ثورة دموية تسفك فيها الدماء فما جاء وقت ذلك ، ولكل أجل كتاب ، وإن كان غرض مَن دسَّ نبضَ الأمة ؛ ليعرف مقدار ما فيها من حماس وغيرة على دينها فليعلم أن الشعب لا يزال مؤمنًا بالله حتى غير المسلمين منه .

ثم قال الشيخ : (أيخجل الذين بأيديهم السلطة أن يصرحوا بأنهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويكتبوا في ذلك مفصلات من الكلام ليثبتوا عقيدتهم وعقيدة شعبهم ، وليكون الناس على حسن ظن بهم ، لماذا لا نرى في الجرائد والمجلات كلمة واحدة يذكر فيها الله ؟)

وكان بعض عناصر المخابرات مندسين بين الجمهور في الجامع ، وكانوا يفتعلون شعارات وأصوات تندد بالدولة أثناء سكتات الشيخ ، وكان الشيخ على معرفة بحالهم فكان الشيخ إذا سمع أَحَدَهم يقول للحاضرين : (لا تلتفتوا إلى أي صيحة ، فالصيحات كثيرة ، أعطوني قلوبكم) ، وقال لما سمع آخر : (استمعوا إلي ولا تلتفتوا إلى الصيحات مهما كان شأنها ، أمسكوا أعصابكم ، وثبتوا قلوبكم ، واطلبوا النصر من ربكم)

وكانت السلطة رتبت نفسها للقبض على الشيخ ، فمشى عناصرها إلى داره وأخبروه بدعوة وزير الداخلية لمقابلته ، وقد عرف الشيخ أنها حيلة ولم يوافق أولاً على الذهاب ، وقال لهم : بيتي مفتوح للجميع ، وكل من كان يريد مقابلتي من وزراء وغيرهم كانوا يأتوني في بيتي ، ثم علم أنهم سيستعملون القوة ، فحقن الدماء ووافق ، وذهب بسيارته ومعه شقيقه وولده "محمد" ، ولم تكن في الحقيقة دعوة للقاء وإنما سَوقٌ إلى السجن .

فأُخِذَ الشيخ وولده إلى سجن القلعة ، وكانت الغرفة التي أودع فيها هي التي سجن فيها شيخ الإسلام "ابن تيمية"، وأما شقيقه فسيق إلى أحد مراكز الدولة في (الحلبوني) ، وصودرت السيارة .

وفي صباح اليوم التالي صدرت مراسيم إلغاء (جمعية التوجيه الإسلامي) التي

يشرف عليها الشيخ ، وصودرت مدارسه ومبانيها – (معهد التوجيه الإسلامي - فرع الذكور) ، و (معهد التوجيه الإسلامي - فرع الإناث) - ، وحجزت (دار القرآن) في جامع (منجك) ، وصودرت ممتلكات الجمعية وسلمت لوزارة الأوقاف ، كما صدرت مراسيم حجز أموال الشيخ الخاصة ، مع صدور مرسوم تسريح ولده" عبد الرحمن حبنكة " من الوظيفة في وزارة التربية[1].

ي - المدافعة الشرعية حول تعيين الدين للدولة .

في سنة (١٩٥٠م – ١٣٦٩هـ) قامت معركة كبيرة داخل أروقة البرلمان وخارجه ، شغلت الرأي العام السوري ،وقُدّمت على إثرها آلاف العرائض والبرقيات ، وبقي الشعبمشغولاً بها سبعة أشهر ، ألا وهي المادة الدستورية المتعلقة بـ(دين الدولة)

كانت الجمعية التأسيسية التي أشرت إليها قبل قليل انتخبت لجنة من تسعة أعضاء سميت لجنة الدستور ، عهد إليها بوضع مشروع الدستور تمهيدًا لمناقشته وإقراره من قبل الجمعية ، كانت اللجنة برئاسة "سهيل فارس الخوري" -نائب دمشق-ومقرر الجمعية "عبد الوهاب حومد" -نائب حلب- ، والشيخ "مصطفى السباعي" .

أحدثت هذه المادة مساجلات طويلة بين ضغط الشارع الإسلامي الذي يرى أن عدم النص على هذه المادة يعني التخلي عن الإسلام ، أو أن هوية الأمة والشعب قد جرى عليها العدوان من جهة ، وبين الطوائف المسيحية والقوميين والعلمانيين وبعض الحقوقيين من جهة أخرى .

أعد الشيخ "مصطفى السباعي"مرافعةً (وثيقة) عرضها في جلسة الجمعية التي انعقدت في (٢٤/ تموز (يوليو) عام ١٩٥٠م = ١٣٦٩/١٠/٩هـق) ،جلّى فيها الأسباب التي تدعو إلى النص بأن دستور الدولة هو الإسلام ، ولماذا يجب أن يكون كذلك ؟ وأن هذا النص فيه تطبيق للديمقراطية، ومصالح داخلية وقومية وسياسية ، وأن هذا الرأي هو ما انتهت إليه لجنة الدستور .

كان قرار لجنة الدستور المشكلة قد انتهى إلى النحو الآتي :

١- أن الإسلام هو دين الدولة .

٢- الأديان السماوية محترمة ومقدسة .

(١) عبدالرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٢٨٨)

٣- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية .

٤- المواطنون متساوون في الحقوق لا يحال بين المواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الدين أو الجنس أو اللغة .

دافع الشيخ "مصطفى السباعي" عن الوثيقة من خلال بيانه التاريخي الشهير ، وظهر من خلال هذا البيان الذي نشره الشيخ "مصطفى السباعي" - للرأي العام - محاولاته المستميتة لإقرار هذه المادة التي أطلق عليها في بعض اللقاءات مادة الكلمات الثلاث ، فماذا كانت النتائج ؟

لقد انتهت معركة الدستور التي لم تفلح فيها جهود الشيخ "مصطفى السباعي" إلى :

(تعديل نص المادة (دين الدولة الإسلام) بنص المادة الثالثة في الدستور المقر من قبل المجلس التأسيسي التي تنص على أن :

١- دين رئيس الجمهورية الإسلام .

٢- الفقه الإسلامي هو المصدر الرئيس للتشريع .

٣- حرية الاعتقاد مصونة ، والدولة تحترم جميع الأديان السماوية ،وتكفل حرية القيام بجميع شعائرها ، على ألا يخل ذلك بالنظام العام .

٤- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية .

ك - أراد مجلس الشعب في إحدى دورات حكم الرئيس "حافظ الأسد" وضع دستور للدولة ،وكان الاتجاه في الدولة أن يكون دستوراً علمانيّا ، فنهض جمع من العلماء ورجال الحركات الإسلامية يطالبون أن يوضع في الدستور مادة (دين الدولة الإسلام) ، وكتبوا في ذلك عرائض وقعها كثيرون ، ووجهوا البرقيات لرئيس الدولة ولرئيس مجلس الشعب ، وحضر جمع من العلماء إلى الشيخ "حسن حبنكة" الذي كان قد وقع على العريضة ، فطلبوا منه القيام بالأمر فاتصل بقصر الرئاسة ،وطلب موعدًا للاجتماع بالرئيس ، فحدد الموعد ، وزور الرئيس في نفسه أن الغرض من الاجتماع المطالبة بوضع مادة (دين الدولة الإسلام) في الدستور ، فأعدَّ بعض الأجوبة التي عرضها عليه مستشاروه القانونيون من قيادات "حزب البعث" .

لما اجتمعا طالب الشيخ الرئيس بوضع مادة (دين الدولة الإسلام) في الدستور، وبين له أن هذا مطلب علماء المسلمين والجماهير العريضة من الشعب .

فأجابه الرئيس بإجابات -تعتمد على المغالطات- منها : أن الدولة إنما هي أرض ومباني وإدارات ومؤسسات إدارية وعسكرية ، وهذه أمور لا تتعلق بدين أو بغير دين ، فلا معنى لذكر مثل هذه المادة في الدستور .

فأجابه الشيخ : إن القانونيين الذين أفهموك هذا يتجاهلون الحق ، ويبينون لك خلافه .

فقال الرئيس : وكيف ذلك ؟

فقال الشيخ : إن الدولة جهاز من أفراد الشعب ، وهم نائبون عن الشعب في تحقيق مطالبه ، ويمثلونه في التعبير عن إرادته ، وللشعب الذي تمثله الدولة في الإدارة أرض ومؤسسات وممتلكات .

ولوكان الأمر كما زعموا لك لما كان معنىً لأن تقولوا : نحن دولة اشتراكية ، ولا أن تعلن كل الدول في دساتيرها المبدأ الاعتقادي الذي تؤمن به ، وتعمل بموجبه (علماني – ماركسي – يهودي- اشتراكي..) ، أفكل هؤلاء الناس لا يفهمون القانون ؟ فهم عن جهل يضعون في دساتيرهم ما لا يتلاءم منطقيًّا مع مفهوم الدولة ؟

فقال الرئيس : مرت على البلاد حكومات كان فيها جماعة من علماء المسلمين ممثلين عن الشعب ،وكان فيهم عددٌ من "الإخوان المسلمين" ،ووضعوا دستورًا ولم يضعوا فيه مادة (دين الدولة الإسلام) ، واقتصروا على أن يكون الفقه الإسلامي المصدر الرئيس للتشريع ، فكيف تطالبوننا بما لم تفعلوه أنتم ؟

فأجاب الشيخ : وهل سكت علماء المسلمين ، وهل سكتت جماهير المسلمين يؤمئذ ؟ لقد ثاروا ، وملؤوا الدنيا صياحًا من أجل وضع هذه المادة .

وانتهى الحوار وكانت الحجة والإقناع للشيخ ، وكانت القوة الغالبة لسلطان الدولة والحزب الحاكم [1].

ل - جاء أحد القادة اللبنانيين من شيوخ السنة إلى الشيخ "حسن حبنكة الميداني" -رحمه الله- يقنعه بمناصرة الرئيس "حافظ الأسد" علنًا ، وتحريك جماهير المسلمين السنة لتأييده ، فبين له الشيخ أن هؤلاء القوم لا مأمن لهم ، فهم يخادعون في الظاهر ،ويبطنون مكرًا ، لذلك فهو يداريهم لاتقاء شرهم ، ولا ينصرهم ولا يتعاون معهم بحال من الأحوال ، وظن الشيخ بهذا القائد خيرًا فأرسل لسانه بهذا الكلام أمامه .

(١) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (٣٠٤-٣٠٦)

ووصل نبأ ما جرى في هذه الزيارة إلى الرئيس ، فاجتمع بالشيخ بعد ذلك لأمر عام من أمور البلاد ، فقال له الرئيس : أنت قلت كذا وكذا للإمام "موسى الصدر" حينما زارك في دارك – وكانت غلطة من الرئيس في تعيين الشخص وكانت للشيخ مخرجًا من الموقف – فقال له الشيخ : "موسى الصدر"لم يزرني مطلقًا في أيٍّ يوم من الأيام ، وأنا لم أزره ، وباستطاعتي مواجهته وتحديه ، حتى إنني لا أعرف وجهه ، ولو أنني رأيته في مجلس بين جمع لم أعرفه إلا أن يقال لي : هذا هو الإمام ، فتعجب الرئيس من الأمر وسكت [١].

م ـ قال الرئيس "حافظ الأسد"مرة في لقاءٍ بحضور الشيخ "حسن حبنكة" :

إن "حزب البعث" حزب كبير لا يستهان به ، فأعداد المنتسبين إليه يصلون إلى نحو مئة ألف عضو .

فقال له الشيخ : وما قيمة مئة ألف من أصل عشرة ملايين هم من الشعب ؟

من الأقوى لك أن تعمل بما يرضي الكثرة الكاثرة من الشعب حتى يؤيدك وينصرك الشعب كله ، لا أن تعمل بما يرضي أفراد الحزب ، وهم بالنسبة إلى الشعب عدد قليل جدًّا [٢].

نـ أصدرت الحكومة البعثية برئاسة الفريق "أبو عبدو أمين حافظ" في سنة (١٩٦٥م – ١٣٨٥هـ) قرارات اشتراكيةأمّمت فيها (١٠٨) شركة صناعية ، وأعلنت تهديداتها لكل من يعارض هذه القرارات .

وتلا ذلك الإصدار بيانات للعلماء والخطباء في (دمشق) وسائر المدن السورية ، يحذرون فيها من النظم الاشتراكية والرأسمالية ، وأنه لا يحفظ حق الفرد والجماعة معًا دون جور أو انحياز إلا الإسلام .

وساالحكمَ البعثيَّ هذه الحملةُ التي أنطلقت من المنابر ودروس المساجد ، وأفواه العلماء والدعاة في الحفلات والمجامع العامة والخاصة ، وكان الناس في موسم الصيام في شهر رمضان (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م) ، وهو موسم تكثر فيه الدروس ، ويقبل الناس فيه على ربهم ، وما كان للحكومة إلا أن أرسلت عناصرها من رجال المخابرات لاستدعاء ستة من رواد العمل الإسلامي الذين كان لهم دور في هذه الحملة على رأسهم الشيخ "حسن حبنكة" والشيخ الداعية "محمد أمين المصري" و الداعية المحامي "محمد كمال الخطيب" وثلاثة سواهم ، وقامت الحكومة بالتحقيق معهم في

(١) المصدر نفسه ، (٣٠٧ – ٣٠٨)

(٢) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٣٠٨)

سراي الحكومة برئاسة الفريق "أبو عبدو أمين حافظ" وانتهى التحقيق إلى عزل الشيخ "حسن حبنكة" وعدد من إخوانه من وظائفهم في الخطابة[١].

وبرز خلال التحقيق الدور الكبير الذي كان يبذله هؤلاء العلماء لخدمة الأمة ، والعمل لأجل إعلاء كلمة الله في الأرض[٢].

س - في النصف الأول من العقد السادس من القرن العشرين من (١٩٦٢-١٩٦٥م = ١٣٨١-١٣٨٤هـ) تمكن "حزب البعث العربي الاشتراكي" من السيطرة على أجهزة الحكم في سورية بانقلاباته العسكرية ، وبعد إعلان الحزب لبرنامجه السياسي العلماني الاشتراكي نهضت احتجاجات متعددة من علماء المسلمين وجماهيرهم تندد بـ"العلمانية" و"الاشتراكية" وتعلن الحرب عليهما كونهما تخالفان أحكام الإسلام وعقيدته وشريعته ، ورافقت هذه الاحتجاجات احتجاجات أخرى من أصحاب المصالح (الرأسمالية) وسرها أن تتحرك الجماهير الإسلامية لتتخذ منها ترسًا تترّس به ، مع أن أصحاب المصالح (الرأسمالية) لا يهمهم شأن الإسلام إلا بمقدار ما يحمي مصالحهم (الرأسمالية) .

أخذت التطبيقات (الاشتراكية) تحارب الإسلام وأنظمته وشرائعه وتتجه إلى العنف من قبل أجهزة الحكم ، ومع ذلك ظل العلماء صامدين على موقفهم ، وكان منهم الشيخ "حسن حبنّكة الميداني" الذي أخذ يعلن بجرأة وحكمة كلمة الحق ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويواجه جبابرة الحكام لا يخاف في الله لومة لائم ، وكان يتابع الأحداث السياسية الدولية والداخلية التي تمس الإسلام عقيدة وشريعة ، ويبين موقف الإسلام منها وحكمه فيها ، وكان يعلن بجرأة وحماسة عدم رضى جماهير المسلمين وهم الأكثرية عن أي نظام أو تطبيق أو إعلان فيه حرب للإسلام أو مخالفة لمنهاجه ، أو إبعاد للمسلمين عنه وعن تعليمه . وكان الناس يتناقلون خطبه ودروسه ، ويتأثرون بآرائه ويدعون بدعوته[٣].

ع - التمثيل الإسلامي في البرلمان :

---

(١) المصدر نفسه ، (ص٢٤٣)

(٢) التحقيق أورده كاملاً الشيخ عبد الرحمن الميداني في كتابه (الوالد الداعية المربي) مرجع سابق ، (ص٢٤٣-٢٦٨)

(٣) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (ص٢٢٨)

حدد تاريخ (١٩٤٩/١٠/١٥م = ١٣٦٨/١٢/٢٣هـ) موعدًا لإجراء انتخابات الجمعية التأسيسية أو المجلس التأسيسي الذي سيعهد إليه وضع دستور شامل للبلاد ، وكان الشيخ "مصطفى السباعي" قد عاد من مصر ، فرشح نفسه مع نفر من إخوانه عن مدينة (دمشق) منهم : "محمد المبارك" و"عارف الطرقجي" وحققوا فيها نجاحًا ساحقًا من بداية الدورة الأولى للانتخابات ، وقد عبر السيد "ناظم القدسي" عن دهشته من هذا النجاح ،ورأى فيه دليلاً على قوة الحركة الإسلامية في بلاد الشام[١].

وأشير هنا إلى أن هذه الفترة شهدت تزايدًا للتيار الإسلامي ونموًا مطردًا له في محافظات البلاد وخصوصًا (دمشق) بغض النظر عن وجود تكوين لـ"حركة الإخوان" في الشام التي تأخر ميلادها حتى أواخر العقد الرابع من القرن الميلادي الماضي .

ف ـ في فترة رئاسة "حافظ الأسد " لسوريا ، كانت أسر الإسلاميين من حركة "الإخوان المسلمين" الأسارى في سجون الدولة تناشد الشيخ "حسن حبنكة الميداني" أن يشفع لأبنائها عند السلطة ، ويسعى للإفراج عنهم ، فكان الشيخ يدعو الحكومة لإصلاح أوضاعهم ، وإطلاقهم من المعتقلات حتى لا يكون ذلك محرضًا للشعب والثورة .

وكانت السلطة تستجيب للشيخ أحيانًا ، وفي ذات مرة جاءت أسرة الشيخ "سعيد حوا"[٢] -وكان من قادة "الإخوان المسلمين" في مدينة (حماة) - إلى الشيخ ، وطلبوا منه أن يسعى للإفراج عنه عند الرئيس فاتصل الشيخ هاتفيًا على مكتب الرئيس وأخذ موعدًا لمقابلته ، فلما لقيه الشيخ قال له : هذا الرجل عالم وعاقل ، ويدعوا إلى دين الله بحكمة وعقل ، ولا نعلم عنه إلا ما هو خير ،ولا نعلم عنه تورطًا في تدبير أية مؤامرة مسلحة أو نحوها .

فقال الرئيس : هل تضمنه يا شيخ "حسن" ؟

فقال الشيخ : نعم ، أضمنه منذ ولادته إلى هذه الساعة ، أما بعد ذلك فلا أضمنه ، كما لا أضمن أخي وابني وأقرب المقربين مني ،وأنت أيضًا لا تستطيع أن تضمن أحدًا من جماعتك في المستقبل ، فقد تجد ما لا يسرك من أشد الناس مناصرة لك

---

(١) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي الداعية المجاهد ، والفقيه المجدد ، دار القلم ، (دمشق) ، الطبعة الثانية ، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)

(٢) **هو** : سعيد بن محمد بن ديب حوى . من مواليد (حماة) ،نشأ يتيمًا، فكفلته جدته ،درس على عدد من علماء سورية ، كان من قيادات الإخوان المسلمين في سوريا ، اعتزل العمل بسبب إصابته بالأمراض كالشلل الجزئي والسكر والضغط والكلى ، توفي سنة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ،مرجع سابق ، (٢٠٧/١)

اليوم .

ووعد الرئيس بالإفراج عنه وأنجز ما قاله حالاً ، دون أن يعلم الشيخ بالأمر ، وخرج الشيخ "سعيد حوا" من السجن ، وحضر لزيارة الشيخ والسلام عليه فلم يجده ، لأنه لم يكن عاد إلى داره من مقابلة الرئيس[١] .

ص ـ ومن صور المدافعة السياسية :

أنه لما عينت وزارة المعارف "ميشيل عفلق" مدرسًا للتاريخ الإسلامي في مدرسة التجهيز بـ(دمشق) ثار الرأي العام عليه بعد تطاوله على الإسلام وأئمته ، ورفعت لجنة التربية والتعليم في "جمعية الشبان المسلمين" بـ(دمشق) خطابًا إلى وزير المعارف بعنوان :(ميشيل عفلق يحارب المسلمين في دينهم) ، وضمنته طعنه في القرآن الكريم ، وجرحه للأحاديث النبوية الصحيحة ، وإخراجها عن صفتها المقدسة إلى صفة وضعية ، وطالبت بإقالته وإحالته للمحكمة ، وأجبرت الحكومة على إعفائه من التدريس[٢]، وعينتبدلاً منه "عارف العارف"[٣] الذي لم يكن يختلف عنه أيضًا فاضطرت وزارة المعارف للتدخل مرة أخرى فأبعدته وجعلت مكانه أحد أساتذة دار الأرقم[٤] .

ق ـ لما نشبت الأزمة السياسية في سوريا بين قائد الانقلاب الثالث "أديب الشيشكلي" ، وبين "معروف الدواليبي" ومن وراءه (حزب الشعب) والبرلمان التي انتهت بحل البرلمان في (١٩٥١/١٢/٢م = ١٣٧١/٣/٣هـ) ، وكان "أديب الشيشكلي" قد حذر "الدواليبي" بأن القائمة الوزارية التي قدمها ليست مقبولة وستضطره إلى أن يحل المجلس النيابي ، ولكن "الدواليبي" لم يرض بأي تسوية ، فأمر "الشيشكلي" بحل البرلمان والقبض على "رئيس الوزراء" و"أعضاء الحكومة" و"الأمين العام لحزب الشعب" وآخرين من السياسيين ، كما أمر بحل "جماعة الإخوان المسلمين" ، وأغلقت مكاتبهم ومدارسهم في جميع أنحاء القطر بدعوى اشتغال "الإخوان المسلمين" بالسياسة

---

(١) عبد الرحمن الميداني ، الوالد الداعية المربي ، مرجع سابق ، (٣٠١-٣٠٢)

(٢) انظر : مقال مصطفى السباعي ، شباب محمد جمعياتهم ومؤتمرهم الأول ، مجلة الفتح ، العدد (٦٣٩) تاريخ (١٣/ ١٣٥٧/١٢هـ = ١٩٣٩/٢/٢م)

(٣) **هو** : عارف بن عارف المقدسي . مؤرخ ، من رجال الإدارة والسياسة ، ولد وتعلم بـ(القدس) ، ، كان من أعضاء (المنتدى الأدبي) ، أقام آخر عمره في (رام الله) ، توفي سنة (١٣٩٣هـ-١٩٧٣م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٤٥/٣)

(٤) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (ص٩٥)

وهم في الأصل هيئة دينية صرفة ،وطُرد عدد من أساتذة المدارس والجامعات لأنهم رفضوا أن يقسموا يمين الولاء للحكم ، وكان منهم الشيخ "مصطفى السباعي" الذي نفي إلى (بيروت) ، ومنع من دخول سوريا عدة سنوات ، وحاول الشيخ السباعي قبل أن يصطدم بـ"الشيشكلي" حل هذه الأزمة وإعادة الحياة البرلمانية إلى البلاد ، والإفراج عن "الدواليبي" وتردَّد أيامًا بينهما إلا أنه لم يوفق ، وانتهى الأمر باعتقال الشيخ "مصطفى السباعي" وضمه إلى صديقه "معروف الدوليبي" وبقي "السباعي" في السجن أربعة أشهر ثم أفرج عنه ودعاه "أديب الشيشكلي" لمقابلته ، وقال له : (يؤسفني يا أستاذ أن تصدر عني إساءة نحوك ، وأنا الذي أقدر جهادك وأثق بإخلاصك ومن معك ... وقد كان الأحرى بنا أن نأتلف بدلاً من أن نختصم ونختلف ، ومع ذلك فإن المجال لا يزال أمامنا متسعًا لذلك فلننس الماضي ولنتعاون)

فقال "السباعي" : ولكن الذي وجدته منك أكد لي ألا سبيل إلى التلاقي .

قال "الشيشكلي" : ولم لا ؟ إنك تدعو إلى الإسلام ، وأنا والله مسلم ، يملأ قلبي الإيمان بالله ورسوله وكتابه ، فكيف لا يتم تلاقينا ؟

قال "السباعي" : لعلك تفهم الإسلام عبادة وعقيدة ، أما نحن فالإسلام في مفهومنا نظام يشمل الحياة ، ويقدر لكل شيء حسابه ، ومعنى ذلك أننا لا نستطيع القبول بالواقع الذي تفرضه القوة ، ولا بد لنا من النضال بكل الوسائل المشروعة حتى نعيد إلى هذه الديار نظامها الإسلامي الذي به دخلت أمتنا التاريخ ، وبه تسنمت مركز القيادة العالمية من أوروبا إلى أقصى الصين .

فقال "الشيشكلي" معلنًا أسفه لإصرار "السباعي" على معارضته : (إذًا فنحن معذورون باتخاذ كل ما نراه ضروريًّا لحماية أهدافنا ، ولكني آمل ألا نيأس من إمكان التلاقي في وقت آخر عندما تتضح لكم حقيقة أغراضي يا دكتور)[1]

علق "محمد المجذوب" على هذا الحوار قائلاً : (وكان طبيعيًّا أن يفرض الحصار على تنقلات الفقيد ، وعلى داره التي أخذت تزدحم بالزائرين من مختلف أنحاء (دمشق) وغيرها ، ثم رأى "الشيشكلي" أن (دمشق) لا تتسع له وللفقيد فأخرجه إلى لبنان ، حيث بقي في منفاه هذا إلى نهاية ذلك العهد)[2]

ر- المشاركات والتمثيل السياسي على مستوى الدولة .

(١)عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، الداعية المجاهد ، والفقيه المجدد ، مرجع سابق ، (٢٩٨-٣٠١)

(٢) محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ،جع سابق ، (٤٠٠/١)

ويبدو هذه الأمر واضحًا في مشاركات الشيخ "مصطفى السباعي" -رحمه الله- في عدد من المؤتمرات العالمية ، ومنها ترأسه وفد سوريا عام (١٩٥١م – ١٣٧٠هـ) للمؤتمر الإسلامي العالمي في باكستان ، وكان أبرز شخصيات المؤتمر وأكثرها إنتاجًا وتأثيرًا .

وفي عام (١٩٥٤م – ١٣٧٣هـ) رأس وفد سوريا إلى المؤتمر الإسلامي المسيحي المنعقد في (بحمدون) في لبنان ، وألقى هناك خطابه الشهير عن (الإسلام والشيوعية) ، فكان له ومن معه الفضل في إحباط المناورات الاستعمارية الغربية التي كانت تتستر وراء المؤتمر .

وأعرب جميع أعضاء الوفود العربية والإسلامية عن إعجابهم الشديد بهذا الخطاب الجامع ، الذي اتصف بالجرأة والدقة العلمية والتاريخية والسياسة مع البيان الرفيع[١] .

وفي عام (١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ) أوفدته الجامعة السورية لزيارة الجامعات الغربية والاطلاع على مناهج الدراسات الإسلامية فيها فزار : إيطاليا وبريطانيا وبلجيكا وهولندا والسويد وألمانيا وفرنسوادولاً أخرى .

واجتمع خلال زياراته بالمستشرقين من أساتذة الدراسات الإسلامية والشرقية ، وناقشهم في مؤلفاتهم عن الإسلام ، وكشف لهم الأخطاء العلمية والتاريخية التي وقعوا فيها ، وبين لهم حقيقة الإسلام بأسلوب علمي ، فأدهشهم بقوة البرهان وغزارة العلم ومرونة الأسلوب .

وفي أثناء إقامته هناك ألقى المحاضرات في المساجد والجامعات ، وشارك في ندوات دافع فيها عن حقوق العرب في (فلسطين والجزائر) ، وقضايا المسلمين عامة[٢]

وفي عام (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) سافر إلى (موسكو) ، مع عمداء كليات الجامعة بدعوة من (جامعة موسكو) زار خلالها معظم الجامعات الروسية في مختلف الأقاليم ، والتقى خلال الزيارة بأساتذة الدراسات الشرقية والتاريخية والاجتماعية وناقشهم في آرائهم في الإسلام ، كما ناقش عددًا من الشخصيات السوفياتية وكشف لهم أخطاءهم ، ووضح لهم رأيه الصريح وموقفه من الشيوعية في البلاد العربية ، كما كشف لهم مواقف الشيوعيين في بلادنا العربية الإسلامية من القضايا الوطنية والاجتماعية ،

(١) محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، مرجع سابق ، (٤٠٣/١) ، ومحمد بسام الأسطواني ، مصطفى السباعي صفحات من جهاد متواصل ، مرجع سابق ، (ص٤٥ – ٤٦)

(٢) عبدالله العقيل ، من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة ، مرجع سابق ، (ص٥٤١ – ٥٤٢)

وفضح أخلاقهم وأساليبهم[١].

ش ـ لما التقى الشيخ "محمد كامل القصاب" بالشيخ "عز الدين القسام"[٢] في (حيفا) -بعد أن حكم عليهما بالإعدام من الفرنسيين في سوريا- تعاونا في الإعداد للجهاد في فلسطين ، ولم يصرفهما هذا الأمر عن واجب الدعوة إلى الله تعالى وإنكار المنكرات ومحاربة البدع والشرك .

ومن الأمثلة على ذلك تصديهما للبدع المنتشرة في فلسطين آنذاك ، حتى اتهم الشيخان بالوهابية السلفية ، وألف بعض المشايخ كتابًا بعنوان : (فصل الخطاب في الرد على القسام والقصاب) فردا عليه بكتيب عنوانه : (النقد والبيان في رد أوامر الخزيران)[٣] تضمن أدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف الأئمة[٤].

ت ـ وهذا الشيخ "جمال الدين القاسمي" الذي لم يكن قبله في بلاد الشام أثر للدعوة السلفية بعد وفاة شيخ الإسلام "ابن تيمية" وتلميذه "ابن القيم" ، فجاء الشيخ ودعا الناس إليها حتى خشيت السلطة أن تكون كسائر دعوات المصلحين قبله كالشيخ "محمد بن عبد الوهاب" -رحمه الله- ، فأخذت السلطات تتعقبه ، ورغم ذلك فقد كان أثر دعوته كبيرًا على (دمشق) وما حولها ، وكان قد تأثر كثيرًا بشيخ الإسلام في فكره وعلمه وجهاده للمخالفين لأهل السنة والجماعة ، ويناقش العلماء في ذلك ؛ ولذا كان ينبذ التعصب والجمود ويرى فتح باب الاجتهاد لمن يقدر عليه ، وكان متصلاً بجميع الناس مما أكسبه تأثيرًا وقبولاً عندهم[٥].

ث ـ كان للشيخ "جمال الدين القاسمي" أيضًا حلقة فكرية وعلمية ، حيث كان له

---

(١) محمد بسام الأسطواني . مصطفى السباعي صفحات من جهاد متواصل ، مرجع سابق ، (ص٤٧ – ٤٩) ، ومحمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٤٤٩ –٤٥٠)

(٢) **هو** : من مواليد بلدة (جبلة) التابعة لقضاء مدينة (اللاذقية) ، أسرته ريفية فقيرة الحال عرفت بالعلم والتقوى ، تعلم في الكتاب ،درس في الأزهر ، وقاوم الاحتلال البريطاني والصهيوني ، أنشأ منظمة القسام المجاهدة ، توفي سنة (١٩٣٦م – ١٣٥٥هـ)

يُنظَر في ترجمته : حسني أدهم جرار ، الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد قضية ، دار الضياء، الأردن ـ عمان ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ-١٩٨٩م)

(٣) المراد بهما : الشيخ "محمد صبحي خزيران" رئيس المحكمة الشرعية في (عكا) ، والشيخ "عبدالله الجزار" مفتي (عكا)

(٤) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧ /١٣)

(٥) نزار أباظة ، جمال الدين القاسمي ، ، أحد علماء الإصلاح الحديث في الشام ، دار القلم ، (دمشق) ، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م) ، (ص٣٤٧)

أصدقاء صحبهم على طريق العلم ، وشرع هو وإياهم يطالعون المصنفات ويتدارسون العلم بينهم ، إلا أن اجتماع الشيخ "جمال الدين القاسمي" بأصحابه في الحلقة العلمية سبب له محنة عرفت بـ (حادثة المجتهدين) عام (١٣١٣هـ-١٨٩٥م) وذلك أن علماء (دمشق) كانوا يجتمعون للمذاكرة في حلقة تضم عددًا محدودًا ، انتهت إلى عشرة منهم ، جمعهم العلم والبحث والحرية في الفكر والاجتهاد ، وحدث أن حسادًا اندسوا بينهم واختلقوا عليهم أكاذيب ، وزعموا أن المشايخ شكلوا "جمعية المجتهدين" وأن للشيخ "جمال الدين القاسمي" مذهبًا خطيًا يسمى (المذهب الجمالي) ووصل الأمر للوالي ، فتذاكر هو والمفتي ذلك الأمر ، وشكلت لهم محكمة شرعية برئاسة المفتي فخلي سبيلهم ، وكان قد ضم إليهم الشيخ "بدر الدين الحسني"[١] الذي شن حملة على المحاكم التي تحتال على الربا ، وأما الباقون فاتُّهموا بأنهم يعدون أنفسهم مجتهدين ، ويزعمون أن الخلافة صارت ملكًا عضوضًا . وقد رد الشيخ "جمال الدين القاسمي" على الوشاة فقال :

زعم الناس بأني مذهبي يدعى الجمالي
لا ، وعمرو الحق إني سلفي الانتحال
مذهبي ما في كتاب الـ ـربِ المتعال
ثم ما صح من الأخـ ـبار لا قيل وقال
أقتضي الحق ولا أر ضى بآراء الرجال

وكانت السلطة العثمانية خشيت ما يؤول إليه أمر "القاسمي" وأصحابه خاصة بعد أن ذاعت شهرته وما عرف عنه من دعوته إلى التجديد ونبذ الجمود ، ولذا كان يتعرض للتحقيقات في أغلب أحواله[٢].

ثانيًا : جهود المدافعة في لبنان :

خ- كان للعلماء دور كبير في حل أزمات بلاد الشام وخصوصًا أحداث لبنان ، ومن هؤلاء مفتي لبنان الشيخ "حسن خالد"[٣] الذي قام بزيارات إلى (دمشق) من أجل

---

(١) **هو** : محمد بن يوسف بن عبدالرحمن المغربي المراكشي ، بدرالدين الحسني . محدث الشام في عصره، ولد في (دمشق) ، كان ورعًا صوامًا، ذا مكانة عند الحكام وأهل الشام ،توفي سنة (١٣٥٤هـ -١٩٣٥م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٥٦/٧)

(٢) نزار أباظة ، جمال الدين القاسمي ، مرجع سابق ، (ص٢٠١) ، وظافر القاسمي ، جمال الدين القاسمي وعصره ، مكتبة أطلس ، (دمشق) (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م) (ص٩٣)

(٣) **هو** : من مواليد (بيروت) ،دَرَس في مدارس المقاصد الإسلامية ، والثانوية في الكلية الشرعية الشرعية بـ(بيروت) ، والدراسات العليا بمصرفعين أستاذًا في الكلية الشرعية بـ(بيروت) ، ثم ←=

البحث في الوضع السياسي اللبناني ، كما زار زعماء وقادة المسلمين في بلدانهم كـ(الإمارات والسعودية ومصر والمغرب والجزائر والأردن) ، ودول إسلامية أخرى كـ(باكستان وأندونيسيا) ، ودول أجنبية كـ(روسيا وكندا وفرنسا) .

ولما توالت على لبنان الأحداث السياسية التي تهم الشأن الإسلامي بوجه عام واللبناني بوجه خاص كانت دارهمقرًّا لاجتماعات دورية يعقدها الزعماء السياسيون المسلمون ، كما شهدت عدة لقاءات بين زعماء المسلمين والنصارى ، وكان الشيخ حريصًا على بقاء دور لأهل السنة والجماعة في لبنان في ظل أجواء الميليشيات والطوائف التي أطبقت على البلاد[1].

ثالثًا : جهود المدافعة في فلسطين :

ذ- وهذا الشيخ "سعد الدين العلمي"[2] مفتي (القدس) يترأس عددًا من الجمعيات والهيئات الإسلامية كرئاسة (الهيئة العليا لجامعة القدس) ، و (الهيئة الإسلامية العليا) ، و (رئاسة مجلس الأوقاف) ، و (جمعية العلوم والثقافة الإسلامية) . وقام خلال فترة توليه بدور كبير في حماية المقدسات ضد الاعتداءات الإنجليزية اليهودية ، كما رأس (لجنة القدس) ، التي كان من أبرز مهامها المحافظة على المقدسات ، وأسهم الشيخ أيضًا في المشاركة في الأنشطة الإسلامية التي أقامتها (رابطة العالم الإسلامي) ؛ حيث كان عضوًا في المجلس التأسيسي ، وكان في طليعة المتظاهرين ضد المستوطنين في القدس القديمة حتى حمل على الأكتاف للمستشفى بعد تعرضه للغاز المسيل للدموع ، وحاول اليهود اغتياله غير مرة ، وأغروه بالمال ليرضخ لمطالبهم فأبى ، وفي ذلك يقول هو : (أرسلإليَّ بعض الصهاينة الكثير من التهديدات والإنذارات ، وخيَّروني في أحد إنذاراتهممرَّة بين أمرين : أن أقبل منهم مليون دينار أردنيسرًّا مقابل السماح لهم بدخول ساحات المسجد الأقصى والصلاة فيه ، أو اغتيالي عند رفض ذلك)

قال : (وقد عقدت في حينهامؤتمرًا شعبيًّا في الأرض المحتلة ،وقلتُ بالحرف

=

عين في محكمتها الشرعية ، واستمر عمله في القضاء ، اختير مفتيًا للبنان في (١٩٦٦م – ١٣٨٥هـ) ، توفي إثر انفجار سيارة ملغومة مع اثنين من حرسه وعدد من أصدقائه سنة (١٤٠٩هـ -١٩٨٩م)

ينظَر في ترجمته : محمد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٥٥)

(١) مجلة البيان ، العدد (١٩) ذو الحجة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)

(٢) **هو** : سعد الدين العلمي . مفتي القدس ، من المجاهدين ، ولد في (القدس) ، وتخرج في الأزهر ،كان عضوًا في المجلس الإسلامي الأعلى في بلده ، توفي سنة (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (ص١٦٤)

الواحد : ليكن معلومًا لإسرائيل وللدنيا كلها أن ملء الأرض ذهبًا لا يساوي عند المسلم ذرة من تراب المسجد الأقصى المبارك ، وحينما هددوا باغتيالي أقدموفعلاً على هذا العمل القبيح وذلك بأن وضعوا قنبلة في مكتبي في شارع "صلاح الدين الأيوبي" في (القدس) قبل أن ينقل إلى (المسجد الأقصى المبارك) وكانت القنبلة كافية لنسف حي بأكمله ، غير أن رحمة الله تعالى سبقت ، إذ اكتشفت هذه القنبلة قبيل انفجارها ، وليس هذا فقط ، بل أقدموا على إحراق بيتي وسيارتي ظانِّين أن مثل هذه الممارسات من شأنها أن ترهبنا أو تغير من موقفنا ، وهو وَهْمٌ وظَنٌّ يجافي الحقيقة والواقع ، فإصرارنا شديد ، وتصميمنا قوي على الدفاع عن مقدساتنا مهما كلفنا ذلك)[١]

ض- ومن جهود المدافعة في بلاد الشام عمومًا : ما حدّث به "محمد المبارك" عن الشيخ المحدث "بدر الدين الحسني" - رحمهما الله تعالى- فقال : (كان أكثر دهره صائمًا ، قلما يتكلم إلا بعلم أو ذكر ، يمنع الناس من القيام له ومن تقبيل يده ، ويغضب لذلك ، وكان يعلن في دروسه فرضية الجهاد لإخراج الكافر المستعمر ، وكان على صلة مستمرة مع الثائرين على فرنسا في سورية)[٢]

ظ- كانت في (دمشق) على عهد المماليك مدرسة بناها نائب الشام في ذلك العهد الأمير "تنكز"[٣] ، وكانت الدولة العثمانية قد جعلت منها مدرسة حربية ، ولما استعمر الفرنسيون الشام ورثوها وجعلوها ثكنة عسكرية ، وكان الشيخ "علي الدقر" يريدها مقرًّا للمعهد العلمي للكبار ، فجاء إلى شيخه الشيخ " بدر الدين الحسني "مستعينًا به في ذلك ، فاستجاب له وقال له : امش يابا – بالعامية - ، فمشى معه الشيخ "علي الدقر" وتلاميذه من ورائه حتى دخل الشيخ المدرسة ، فأسرع إليه مديرها - وكان ضابطًا فرنسيًّا كبيرًا - يستقبله ويكرمه ويسأله عما يأمر به ، فقال له بحضور ترجمانه : هذه مدرسة دينية ، وفيها مسجد ، وأنتم مالكم فيها حق ، فأعطوها للشيخ "علي الدقر" يجعلها معهدًا علميًّا .

فقال له الضابط : كما تأمر ، لكنا نحتاج إلى مهلة حتى نفتش عن محل ننتقل إليه ، وننقل إليه متاعنا .

قال الشيخ : طيب يابا ، ولم يمر شهر حتى استلمت (الجمعية الغراء) المدرسة الواسعة الرقعة ، وشرعت الجمعية بتجديد البناء ، وجمعت الأموال من أعضائها ، واشتغلت في ذلك سنين حتى عادت كما كانت أول مرة[٤] .

---

(١) محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (١ / ٢٠٣)

(٢) محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، مرجع سابق ، (١ /٢٣٩)

(٣) يرادف المؤرخون بين اسم تنكز وجنكيز ولعله هنا كذلك .

(٤) علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، مرجع سابق ، (٤٥٣ – ٤٥٤)

غ- وتولى العلامة المجاهد "محمد أبو اليسر عابدين"[1] منصب المفتي في سوريا بعد انتخاب المجلس الإسلامي الأعلى له بالإجماع سنة (١٩٥٤م – ١٣٧٣هـ) ، وعندما أراد بعض الزعماء سنة (١٩٦٣م – ١٣٨٢هـ) شراء ضميره ليفتي لهم بما يشتهون ولو خالف شريعة الله قام وترك المنصب ، وكان قد شارك قبل ذلك في الثورات السورية ضد الفرنسيين .

(١) **هو** : محمد أبو اليسر بن محمد أبي الخير عابدين . العالم ، العلامة ، المجاهد ، الأديب ، مفتي سوريا ، ترك منصبه لما أراد بعض الزعماء شراء ضميره ، من مواليد (دمشق) ، درس الطب ونال شهادته ، ودرس الحقوق ، وأتقن الفرنسية والتركية والفارسية ، توفي سنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ورياض المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٤٥٦/٣)

المطلب الثاني : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الاجتماعي ووسائلها :

لم تكن المدافعة الفكرية في بلاد الشام تقتصر على ميدان واحد فحسب ، ولا على ساحة صغيرة محدودة بل شملت جانب الحياة الاجتماعي ، والبيئة التي يتلقى فيها الناس كمًّا كثيرًا من الأفكار والعقائد والمعلومات صحيحة كانت أم خاطئة ، وكانت الجهود في الميدان الاجتماعي أكثر تحديًا من سواها لما يتعلق بها من تصحيح تصورات خاطئة ، وصراع أفكار ومعتقدات ترسبت عبر قرون أو عقود ، ولأن ما يتطلبه هذا الميدان من عملية التغيير والمدافعة بالعلم والحكمة والتخطيط والتضحية والابتلاء أكبر بكثير مما يحتاجه غيره .

ولقد حظي هذا الميدان بجهود كبيرة على مستوى العلماء وطلبة العلم ورجال الأدب والفكر وكانت هنالك ثمار قطفتها الأمة خلال قرنها الماضي عبر تلك الجهود ، ومن أبرز جهود المدافعة في الميدان الاجتماعي :

أولاً : في سوريا :

أ - (ملتقى العاملين في الحقل الإسلامي) :

وهو ملتقى يضم العلماء والدعاة من خطباء المساجد ورواد المدارس العلمية في سوريا وفقهاء المذاهب الأربعة وزعماء الجمعيات الإسلامية كـ (جمعية الهداية) و(جمعية التمدن) وباقي الجمعيات ، وأصحاب الأقلام والكتاب ، من جميع المشارب من الصوفية والسلفية .

وكان أول من بدأ نواة هذا الملتقى الشيخ "علي الطنطاوي" - رحمه الله - حين عاد في صيف سنة (١٩٣٧م - ١٣٥٦هـ) من (العراق) إلى (دمشق) ، حيث دعاهم إلى داره فلم يغادر منهم أحدًا ، وكان مما قال لهم : (أنا لا أريد أن يبدل أحد منكم طريقته ، ولا أن يغير مشربه ولكن أريد شيئًا واحدًا ، هو أن هذا الباب المغلق إن دفعته يد واحدة لم ينفتح ، فإن اجتمعت عليه الأيدي الكثيرة فتحته ، والذي أريده هو أن نتعاون لا أن يعمل كل وحده ، واقتراحي هو أن تنتخب لجنة فيها ثلاثة منكم يراقبون الأحداث ، فإن رأوا ما يمس الإسلام كان عملهم أن يبلغوكم به فقط ، هذا وحده عملهم ، فمن اقتنع منكم بوجوب العمل عمل على طريقته وأسلوبه ، الخطيب يذكره في خطبته يوم الجمعة ، والمدرس يعرض له في حلقته ، والمعلم يذكره لتلاميذه في المدرسة ، وكل واحد ينبه عليه أصحابه ، ومن كان ذاقلمٍ أو كانت له صلة بأرباب الأقلام وأصحاب الصحف عمل على الكتابة فيها أو دفع إلى ذلك أصحابها ، ومن استطاع أن يراجع الوزير الذي يقدر على إزالة هذا المنكر ذهب إليه وحده أو معوفدٍ يختاره فشرح له الأمر وطلب منه إنكار المنكر) وانتخبت اللجنة وكونت من ثلاثة أعضاء وهم : "محمد الخطيب" والشيخ "ياسين عرفة " والشيخ "علي الطنطاوي" وكان هذا من

أول ملتقيات العلماء والعاملين في سوريا[1].

ب - (ملتقى العلماء في سنة ١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ) :

في هذا العام قام الشيخان "أمجد الزهاوي" و"محمد محمود الصواف" بزيارة لـ(دمشق) ، والتقيا فيها بالشيخ "علي الطنطاوي" بعد صلاة العصر في أحد الأيام ، فثار "أمجد الزهاوي" على الشيخ "الطنطاوي" في حماسة وغيرة على دين الله وقال – بلغته- : أفندي ، إنتو قاعدين ما تعملون شيء ، لماذا لا يجتمع العلماء ويصلحون ؟

فقال الشيخ : كم مرة اجتمعوا فكان اجتماعهم بأجسامهم وحدها وأرواحهم متفرقة ، فما أفاد الاجتماع ، فقال "الزهاوي" : أنت عليك أن تجمعهم والنجاح على الله ، فقال الشيخ : سأجمعهم لك الليلة إن شاء الله بعد العشاء .

وأخذ الشيخ "الطنطاوي" يتصل بهم واحدًا واحدًا من أقصى جماعة الصوفية إلى أقصى السلفية ودعاهم للاجتماع في دار الحديث (الأشرفية) بعد العشاء ، فما تخلف منهم أحد ، وتكلم الشيخ "الطنطاوي" يقدم إليهم الشيخ "أمجد الزهاوي" فتكلم الأخير كلامًا مؤثرًا لامس قلوبهم ، ثم تكلم الشيخ "محمد الصواف" بحماسته واندفاعه وجهارة صوته ، ثم تكلم الشيخ "الطنطاوي" بمثل ما قال في اجتماعهم السابق ، وفي ختام الاجتماع وقع الحاضرون جميعًا على ميثاق إسلامي يعملون فيه للإسلام ولدفع الشبهات ولتخليص أبنائه من الوقوع فيها ، بلا غرض سياسي ولا بحث عن رياسة أو كسب لعرض زائل ثم افترقوا[2].

ج - (مشروع الأسابيع الثقافية) :

اجتمع العلماء والدعاة من الشباب العاملين في الجمعيات الإسلامية مرة في بيت الشيخ "مكي الكتاني" وتناقش الجميع في دفع الفساد الذي حل بالبلد ، وكيف يمكنهم أن يحفظوا المجتمع من رياح التغريب والانحراف والإفساد .

فأشار عليهم الشيخ "الطنطاوي" بإقامة أسبوع ثقافي يتنقل كل مرة في أحد مساجد (دمشق) ويخطب فيه كل مرة ناس منا ، يعرِّفون المسلمين بدينهم ويبعدونهم عما يفسد عليهم عقائدهم ويقضي على أخلاقهم ، واتفق الجميع على الفكرة ، وأن تكون انطلاقتها من جامع (تنكز) لكونه جامعًا كبيرًا يقوم في وسط البلد وله مكبراته صوت تسمع من في أنحائه ، وأن يفتتح الأسبوع بكلمة المفتي الشيخ "أبو اليسر عابدين" ، وأن تكون المحاضرة بعدها عند الشيخ "الطنطاوي" ، ويختم الاجتماع الشيخ "مكي الكتاني" -نائب رئيس رابطة العلماء- .

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٤ / ١٣-١٤ ، ٥/ ٣٨٨)

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ٣٨٧- ٣٨٨)

وفي جامع (تنكز) خطب الشيخ "الطنطاوي" خطبة اهتزت لها (دمشق) ، وكانت عميقة الأثر في الناس ، بدأ بالحديث عن الفساد الذي حل بالبلاد ، وما جره المستعمر من غزو لعقول الشباب والفتيات ، وما يدور في وزارة المعارف ومدارس التعليم من إقصاء لتعاليم الإسلام وقيمه ، وما يستحدث من مواد تدعو إلى الرذيلة وتحارب الفضيلة من فترة ما بعد الاستعمار إلى الجلاء والاستقلال ثم الوحدة العربية .

ولم يكد يمضي يوم الخطبة حتى كانت حديث الناس في بيوتهم ومجالسهم ، وعتب بعض المشايخ وغضبوا على الشيخ لأنه لم يخبرهم بما ينوي قوله في الاجتماع إذ كان الاتفاق أن يلقي الشيخ محاضرته من جنس ما كان يقوله في الإذاعة في برنامج (نور من القرآن) في عشية رمضان .

وبعد ذلك دعي الشيخ "محمد أبو زهرة"[1] ليلقي محاضرة الأسبوع على أن تكون محاضرة فيها بيان للحق لكنها بعيدة عن الإثارة ، خفيفة الحرارة .

وفي حي قديم في طرف (دمشق) يدعى (حي العقيبة) ألقى الشيخ "محمد أبو زهرة" محاضرته في حشدٍ كبير لم يرَ مثله -كما حكى هو ذلك- ، فالمسجد بصحنه وحرمه والطرق المؤدية إليه والسقوف المشرفة عليه والساحات القريبة منه ، كلها مزدحمة بالناس ليس فيها موطئ قدمٍ لماشٍ ، ولا مكان يقعد فيه قاعد ، وقد مدت إليها الأسلاك ونصبت فيها مكبرات الصوت ووضعت فيها المصابيح في الأمكنة التي لا تكفي فيها أضواء الشارع .

أدت هذه الأجواء دورًا كبيرًا في التهاب مشاعر الشيخ الذي سرعان ما تحول أسلوبه الهادئ إلى حماس هز عاطفة الحضور وكانت الخطبة على غير ما كان يقدر لها.

كان المخبرون بالمئات قد اختلطوا بالحاضرين ، فلما رأوا ما صنعوه قطعوا التيار الكهربائي في وسط الخطبة عن الحي كله ، فخفت صوت الخطيب وعمت الظلمة المسجد وما حوله ، وكانت المفاجأة أنها لم تمض دقيقتان حتى عادت الأضواء ورجعت الأصوات عالية تجلجل في الحي ، إذ إن الشباب -الذين رتبوا هذه الخطبة- أعدوا مسبقًا لكل مفاجأة متوقعة عدتها ، وهيئوا محركات لوصل ما يمكن أن ينقطع من التيار ، ونجحت نجاحًا عجيبًا .

---

(١) **هو** : محمد أبو زهرة . علامة ، مفكر ، مشهور ، ولد بمدينة (المحلة الكبرى)، تعلم في الأزهر ، وتولى مناصب علمية داخل الأزهر وخارجه ، تولى التدريس في عدد من الجامعات ، توفي سنة (١٤٠٠هـ -١٩٧٩م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظه ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (٣٦٢)

وفي الأسبوع الثالث أقيم البرنامج الثقافي في (جامع زيد بن ثابت) ، وهو في الطرف الثاني من أطراف (دمشق) وكان فيه مدرسة شرعية يقوم عليها الشيخ "عبد الكريم الرفاعي" ، وكانت الخطبة في هذا الأسبوع عند الشيخ "الطنطاوي" .

واهتمت الحكومة بهذه الأسابيع الثقافية ، وما كان يلقى فيها من الخطب ، وتساءلوا كسائر الناس :

ما الذي دفع المشايخ إلى إقامة هذه الأسابيع ؟

ماذا يريد المشايخ ؟

هل يريد المشايخ أن يحدثوا في البلد ثورة ؟

والحق أن الذي دفعهم غيرتهم على دينهم والعهد الذي أخذه الله على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتمونه(١) .

د ـ لما مات "فيصل بن الشريف الحسين" كانت في الشام رنّة حزن لموته عبر عنها الشاعر بشعره ، والأديب البليغ بقلمه وحبره ، وأراد أناس أن يخلدوا ذكراه بينهم كما فعل أهل العراق حينما نصبوا لفيصل تمثالاً ، وكما يفعل الإفرنج برؤسائهم ، فسعوا إلى إقامة تمثال له في (دمشق) التي لم تعرف التماثيل منذ دخول الإسلام(٢) .

حينئذ قام الشيخ "الطنطاوي" بكتابة منشور عنوانه (لا تماثيل في الإسلام) وقامت بطباعته وتوزيعه "جمعية الهداية الإسلامية" بإمضاء "الطنطاوي" في (١٣٥٢/٦/١هـ = ١٩٣٣/٩/٢٠م) ومما قال فيه : (هل يعوز فيصلاً الخلود حتى تخلدوه بهذه الأحجار الصم وهذه الصخور الباردة ؟ أليس باقيًا في القلوب وفي التاريخ ؟

ألم يخلد من قبله عمر وصلاح الدين ولا صور لهم ولا تماثيل ؟

فلا تحيدوا عن منهج سلفكم الصالح ، ولا تحسبوا أن هذه البلاد العربية المسلمة ترضى أن يبنى فيها ما بعث محمد ﷺ لتهديمه ، وأن يأتي في آخر الدهر من يطفئ النور الذي أضاءه محمد ﷺ في أوله ، لا والله لا يكون ذلك أبدًا ، ثم هل ضاقت بكم مذاهب التكريم ولم تجدوا مأثرة تخلدون بها ذكرى "فيصل" وتنفعون بها هذه الأمة ؟

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ٣٨٩) (٦/ ١٣-١٥)

(٢) حكاية هذه الحال عن (دمشق) إنما كانت خلال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري ، وإن ذكر "الطنطاوي" ـرحمه الله ـ أنه نصب فيها تمثالان أقيما في ليلة مظلمة نام فيها العلماء الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، ولا أظن أن ليس فيها اليوم إلا تمثالان .

ألا تفتحون مدرسة تبث الصالح من مبادئه وتخلد ذكراه ؟

ألا تشيدون باسمه مستشفى ؟ ألا تنشئون باسمه ملجأ أو مصنعًا ؟ أغفلتم عن ذلك كله ولم تجدوا إلا هذه الأحجار الصم تمحقون بها مالكم وتؤذون بها المسلمين في دينهم ؟

ألا إن نصب التماثيل حرام في دين محمد ﷺ ، ثابت بقرآنه وبهدي نبيه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى ، فيا أيها الملأ أقلعوا عن هذه الفكرة ، وإذا لم يكن بدٌّ من تقليد الغربيين واتباعهم فليكن ذلك مع غير "فيصل" المسلم ، وفي غير (دمشق) حصن الإسلام والسلام)[١]

هـ - وضع قانون الأحوال الشخصية :

يعتبر هذا القانون أول قانون في البلاد العربية كلها شامل لأحكامها جامع لمسائلها[٢]من أحكام (الزواج والطلاق والمخالعة والتفريق والعدة والنفقات والنسب والحضانة والرضاعة وأحكام الأولياء والأوصياء وأحكام الوصايا والمواريث .. الخ)

كان هذا القانون موضوعًا في أواخر القرن الماضي على يد لجنة من كبار علماء الدولة العثمانية ، وأدرجته ضمن المجلة التي عرفت آنذاك بـ (مجلة الأحكام العدلية) والتي صارت هي القانون المدني في البلاد .

وكانت المجلة جامعة لأبواب الفقه ، وفيها باب في أصول المحاكمات ، وكانت لها مقدمة في مئة مادة تتضمن القواعد العامة في الفقه كقولهم (الأصل براءة الذمة) وكقولهم (القديم يبقى على قدمه) ، وفيها ألف وثمان مئة مادة قانونية ، وإن كان العثمانيون نسفوا أكثرها بعد ذلك .

كان ضمن مواد هذا القانون أيام العثمانيين ما عرف باسم (قرار حقوق العائلة) ، وكان يستمد مواده -كما يقول الطنطاوي- من المذاهب الأربعة ، وفيه مواد تخالف المذاهب الأربعة كلها ، بل تخالف الكتاب والسنة[٣] ، حتى حمل عليها الشيخ "الطنطاوي" -رحمه الله- في إبطالها وإلغائها ، ووفقه الله لذلك لما وضع مشروع (قانون الأحوال الشخصية) الذي يطبق اليوم في سوريا[٤].

---

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٤ / ٣٩-٤٠)

(٢) المصدر نفسه ، (٥/ ٣٥٨)

(٣) كمسألة : بطلان زواج البنت التي دون التاسعة حيث نصت إحدى مواد المجلة على أن الزواج باطل ولا يعتد به .

(٤) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق (٤/ ٢٠٨ ، ٢١٠)

صدر هذا القانون في سوريا سنة (١٣٧٢هـ-١٩٥٣م) باسم (قانون الأحوال الشخصية) وكانت وزارة العدل كلفت الشيخ "علي الطنطاوي" بوضع مشروع هذا القانون بكتابتها رقم (١٢٢٩٩) وتاريخ (٢٢/ ١٠/ ١٩٤٥م = ١٣٦٤/١١/١٦هـ) ، فقبل الشيخ ذلك واتخذ لأجله الخطوات التالية :

١- النظر والتأمل في النصوص الواردة في (قرار حقوق العائلة) العثماني ، والذي كان يطبق في سوريا قبل مشروع (قانون الأحوال الشخصية) ، فإن وجد النصمخالفًا للمذهب رجع إلى مطولات المذهب ، ثم نظر في كتب المذاهب الأخرى وسأل علماءها .

٢- استفاد الشيخ من المكتبات التي كانت تحفل بأكثر كتب الفقه والحديث المطبوعة كمكتبة جده وأبيه .

٣- استفاد الشيخكثيرًا من مجلة (المنار) للسيد "رشيد رضا" والتي كانت تحويها مكتبة شيخه "محمد بهجت البيطار"[١] .

٤- اقترح الشيخ على وزارة العدل السورية إيفاده إلى مصر ، وزيارة (الأزهر) وعلمائه ، ودراسة المشروع مع القضاة هناك ، إذ كانوا أكثر اطلاعًا على المباحث القانونية والكتب الحقوقية ، وصدر قرار الوزارة برقم (٥١٦) وتاريخ (٢/ ١٢/ ١٩٤٦م = ١٣٦٦/١/٨هـ) بإيفاد الشيخ لمدة سنة واحدة على أن يتوجب عليه دراسة بعض القضايا المتعلقة بالقضاء كتشكيلات المحاكم الشرعية وأصول المرافعات ودراسة نظام الإشهاد وحفظ الوثائق والسجلات إلى غير ذلك ، وكان رفيق الشيخ في هذه الرحلة أهله وبناته ، والتقى هناك في مصر رفيقه "نهاد القاسم"[٢]، وكان الشيخ يتردد بين ثلاث : إدارة التشريع في وزارة العدل حيث فيها عمله ، و (دارالرسالة) و (المطبعة السلفية)

٥- أن الشيخ لما فرغ من وضع المشروع أبى إلا أن يعرضه العرضة الأخيرة على

---

(١)محمد بهجت البيطار : محمد بهجت بن بهاء الدين البيطار ، عالم ، فاضل ، ولد بـ(دمشق) لأسرة أصلها من الجزائر ، توفي سنة (١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م) ، انظر ترجمته : نزار أباظة ورياض المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق (ص٢٢٤)

(٢) ولد في (نابلس) بفلسطين ، ثم استوطن (دمشق) ، اشتغل بالقضاء ، وتدرج في مناصبه حتى أصبح رئيسًا لهيئة تفتيش الدولة ، وتقلد منصب وزير العدل . توفي في (دمشق) سنة (١٩٧٠م – ١٣٩٠هـ)

يُنظَر في ترجمته : موقع العائلات النابلسية على الشبكة العنكبوتية .

العلماء ، فجمعهم جميعًا في دار الشيخ "عبد القادر العاني"[١] . ومع إقرار العلماء لما في هذا القانون إلا أن بعضهم كان قد اختلف مع الشيخ في بعض نصوصه[٢].

و- دور القضاة والعلماء :

كان للعلماء والقضاة دور كبير في أطر الناس على شعائر الدين ، وحثهم على الاعتصام به ، من ذلك أنه كان في أيام العثمانيين قانون جزائي بقي في سوريا إلى أن جاء عهد "حسني الزعيم" بعد انقلابه المشهور فألغى هذا القانون وأبدله بقانون جديد مترجم عن القوانين الأجنبية الوضعية .

كان القانون العثماني ينص على أن من أفطر في شهر رمضان علنًا حبس إلى نهاية الشهر ، وكان هذا القانون يحمل الناس على احترام وتعظيم هذا الركن من أركان الإسلام ، ولو كانوا غير مسلمين ، ومر في أحد أيام رمضان الشيخ "علي الطنطاوي" - وكان قاضيًا - ورأى رجلاً يدخن علنًا وهو قاعد في مقهى لا يبالي بشعور الناس ولا يحفل باعتراضهم وكاد عمله يجر إلى فتنة ، فأمر الشيخ بحبسه إلى نهاية شهر رمضان .

اتفق أن هذا الرجل لم يكن مسلمًا فتحركت أقلام المأجورين والمتزلفين ، وانطلقت ألسنة الحاقدين ، ووصل الأمر إلى وزارة العدل فسألت الشيخ ، وكان جوابه أن منع الإفطار علنًا في شهر رمضان ليس خاصًا بالمسلمين ولكنه عام لجميع السكان ، لأنه من نوع الإخلال بالآداب العامة .

وحين تولى "حسني الزعيم" الرئاسة ألغى قانون الجزاء فتجرأ الناس على الفطر في رمضان ، وظنوا ألا عقوبة عليهم ، فاتخذت محكمة النقض في الشام (محكمة التمييز) -بهيئتها العامة- قرارًا باعتبار هذا الإفطار العلني مخلاً بالآداب العامة ، ومزعجًا للهيئة الاجتماعية ومستحقًا للعقوبة ، ومع كون قرار الهيئة العامة لمحكمة التمييز ليست له قوة قانونية ولكن له أثر في حكم القضاة[٣].

---

(١) **هو** : عبد القادر بن أحمد العاني . عالم ، فاضل ، شارك في تأسيس جمعية "الهداية الإسلامية" مع رئيسها الشيخ "محمود ياسين"، وكان جريئًا لاتأخذه في الله لومة لائم ، توفي سنة (١٣٩٨هـ -١٩٧٨م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (١/ ٣٠٩)

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٧ / ٩٨- ١٠٠، ١٢٤)

(٣) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٤/ ٢٢٨ – ٢٢٩)

ز- مواقف الشيوخ والعلماء :

هذا موقف آخر يحكيه الشيخ "علي الطنطاوي" -وقع له في المحكمة- يقول :

جاءنا على عهد "أديب الشيشكلي" ضابط كبيـــر يريد أن يتزوج امرأة من (دمشق) ، فلما نظرت في أوراقه تبين لي أنه درزي ، فحاولت أن أصرفه بما أقدر عليه من اللطف واللين وهو يصر ، ثم رفع صوته وقال : نحن نفدي الوطن بأرواحنا وندافع عنه بحياتنا فهل نحن مسلمون أم لا ؟ فلم يبق مجال للمجاملة فقلت له : إذا لم تمح هذه الكلمة من أوراقك ، ولم يكتب مكانها كلمة (مسلم) فلا أستطيع أن أعتبرك مسلمًا وأن أزوجك بها .

فقال الرجل : ولكن القاضي الشيخ "مرشد عابدين"[1] يقول غير ذلك . فتنبهت أن القاضي أراد أن يهرب من الموقف فرماني أنا فيه ، فقلت للرجل : إن الذي قال بأن الدروز غير مسلمين هو جد الشيخ "مرشد عابدين" ، وهو الإمام "ابن عابدين"[2] في كتابه الذي يرجع إليه في الفتوى وهو الحاشية المعروفة ، فاذهب إلى الشيخ "مرشد" وقل له أن يمحو هذه الكلمة من كتاب جده ، أو أن يدبر هو الأمر[3].

ح - كانت المرأة السافرة تمنع من دخول المحاكم أو الجلوس على مقاعد المحكمة إلا أن تلبس حجابًا شرعيًّا ، أو ترفع الجلسة وتؤجل إلى يوم آخر .

ويحكي الشيخ "الطنطاوي" أنه لما كان قاضيًا وجديومًا على مقاعد المحامين امرأة سافرة مكشوفة الشعر بادية النحر وأعالي الصدر ، فقال لها : أما يكفيك أنك خالفت الشرع فتكشفت ،وأمْر المحكمة ألا تدخلي فدخلت ، ثم لم يسعك إلا أن قعدت في مقاعد المحامين ؟ قالت : إنني محامية ، وأبرزت بطاقتها ، وتبين أنها جاءت للوكالة عن أخت زميل قديم كان يدرس مع الشيخ في مدرسة واحدة .

افتتح الشيخ الجلسة وأثبت بالضبط حضورها بالنيابة عن المدعية ، وقرر الشيخ

---

(١) **هو** : مرشد بن محمد أبي الخير بن أحمد بن عبد الغني بن عمر بن عابدين ، أخذ العلم عن والده ، وأجازه إجازة عامة ، كما تعلم في المدارس الحكومية ، وانتسب إلى كلية الحقوق ، له عدة مؤلفات .

يُنظَر في ترجمته : ملتقى أهل الحديث على الشبكة العنكبوتية .

(٢) **هو** : محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي . مولده ووفاته في (دمشق) ، فقيه الديار الشامية ، وإمام الحنفية في عصره ، له:(رد المحتار على الدر المختار) المعروف بحاشية "ابن عابدين" ،توفي سنة (١٢٥٢هـ- ١٨٣٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٤٢/٦)

(٣) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٣٦١/٤)

القرار التالي :

لما كان للمحكمة حرمة ، وكان من الإخلال بحرمتها أن يأتيها المتقاضون أو وكلاؤهم بثياب ينكرها العرف ويراها منافية للآداب العامة تقرر رفع الجلسة وتأجيلها إلى يوم كذا ، فذهبت المرأة ولم تعد[1] .

ط - ممانعة إلغاء المحاكم الشرعية :

لما ألغيت المحاكم الشرعية في مصر فترة حكم "عبد الناصر" للجمهورية العربية المتحدة (سوريا ومصر) أوفد الرئيس موظفًا كبيرًا للاجتماع بأعضاء لجنة (قانون الأحوال الشخصية) منهم الشيخ "مصطفى الزرقا" والشيخ "الطنطاوي" ، وأراد الموظف أن يقنعهم بإلغاء المحاكم الشرعية في الشام وأن تحل محلها محاكم جديدة تدعى (محاكم الأحوال الشخصية) ، وناقشه المشايخ مناقشة طويلة ، وساقوا له الأدلة والبراهين ليقنعوه فأبى ، فضاق صدر الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- فقال للمشايخ : اسمحوا لي فسأتكلم باسمي أنا ، لا بأني عضو في اللجنة ، فسكتوا ،والتفت إليه الموظف فقال الشيخ :

إن المحاكم الشرعية لا يمكن أن تلغى في الشام ، وإذا لم تصدق هذا الذي أقوله فانزل إلى الشارع فاسأل عني ، هل أستطيع أن أفتح النافذة أمامك فأخطب فأستوقف الناس وأجمعهم وأخرجهم بمظاهرة تمشي إلى دار الحكومة لتطالب بإبقاء المحاكم الشرعية إذا أردتم إلغاءها أم أنني لا أستطيع ؟

فبهت الرجل ، ونال منه العجب حين سمع الشيخ ، ثم استرد أنفاسه فقال : هل هذا تهديد ؟

فقال الشيخ : نعم ، إنه تهديد ، لا بالمظاهرة ، ولا بإثارة الناس فهذا كله هين ، ولكنه تهديد لكم من الله بجهنم الحمراء التي يصلاها كل من أراد أن ينسخ حكمًا من أحكام الله أو أن يعدله أو أن يبطله .

فانتفض الرجل وخرج إلى غرفة الوزير ، وغاب مدة قصيرة ثم رجع بغير الوجه الذي ذهب به ، ذهب غاضبًا وعاد ليًّا راضيًا ، بل عاد يسترضي الشيخ ، ويحاول أن يزيل أثر ما كان ، وأدرك الشيخ "الطنطاوي" بالحدس أن الوزير قد قال له شيئًا لم يكن يعلمه ، وانتهى الاجتماع بالسلام والاتفاق ومحي أثر الشقاق .

ي - كانت وزارة الأوقاف - وكانت تسمى سابقًا مديرية الأوقاف العامة - تقيم

(١) المصدر نفسه ، (٦ /٣٦٠ ، ٣٦١)

احتفالاً بالمولد النبوي كل عام تقيمه في الجامع الأموي ، ويحضره كبار الفرنسيين المستعمرين[١] وعامة الشعب[٢]، وكان يتلى فيه كلام مكذوب على رسول الله ﷺ كقصة مولده وما احتفت بها من الخرافات والأكاذيب ، وكان الخاصة من الرجال يقرؤون (مولد البرزنجي) ، وخاصة النساء يقرأن (مولد العروس) ، وتنشد في تلك الموالد قصائد أيسر ما يقال فيها إنه غزل برسول الله ﷺ وجماله وذكر وصاله وأشياء كلها سوء أدب مع الرسول ﷺ وقلةحياءٍ لا يقال مثلها لشيخ الضيعة فما بالك بسيد البشر ؟[٣]

وفيها ما هو أشد من هذا وهو الشرك الظاهر من دعاء الرسول ﷺ وإطرائه حتى يصل الأمر إلى وصفه بما لا يجوز إلا لله تعالى ، ناهيك عن حالة الوقوف التي يزعمون أن رسول الله ﷺ يدخل عليهم فيصافحهم ثم ينصرف فينادى مناديهم أن اجلسوا ، ويوزع في الشام أثناء الاحتفال قراطيس الفستق وتسمى عندهم (الملبس) ، يتخاطفها الناس ويتزاحمون عليها في منظر وصفه "الطنطاوي" -رحمه الله- فقال : (منظر لا يستطيع أعدى عدو لنا أن يهجونا هجاءً بأكثر من وصفه)[٤]

أراد بعض المشايخ أن يلغي هذا الاحتفال وهذه البدعة في دين الله ولو على أقل تقدير أن يزاحم هذا الباطل بشيء من الحق ، فاقترح الشيخ "علي الطنطاوي" - رحمه الله- في سنة (١٩٤٣م – ١٣٦٢هـ) على مدير الأوقاف العام أن يَدَعُوا هذه الاحتفالات التي تقام في الجامع لما سبق ذكره من المخالفات التي تقع فيها ، وأخذ مرة صديقه "أنور العطار"[٥] إلى وزير الأوقاف وقال له الشيخ "الطنطاوي" : أتحب أن تعملعملاً يرضي الله عنك ويحمدك به الناس ؟ قال : نعم ، فقال الشيخ : تبطل هذا كله ، وتأتي بشيخ القراء يفتتح الاحتفال بآيات من القرآن الكريم ، ثم ألقي أنا كلمة ، وأخي "أنور العطار" قصيدة ، فيكون الاحتفال خاليًا من المنكرات ، ، فقال الوزير : إن

---

(١) كان المسؤولون الفرنسيون يصعدون السلم الدوار ويقعدون في السدة العليا من الجامع ويسمعون ويرون حال المسلمين في تلك الليلة .

(٢) إحياء هذه الليلة للأسف الشديد كان ولا يزال منتشرًا في بلدان إسلامية كثيرة ، وتجد الدعم الرسمي والحكومي . ولا يخفى ما وراء ذلك من الحكم .

(٣) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٣٤٧/١)

(٤) المصدر نفسه ، (٣٤٨/١)

(٥) **هو** : أديب ، شاعر ، من تلامذة "محمد كرد علي" ، تعلم في المدارس النظامية ، وتولى إدارة المدرسة الأولية في (منين)، ودرس في العراق،كان مبرزًا في الأدب .

يُنظَر في ترجمته : كامل سلمان الجبوري ، معجم الأدباء ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ) (٤٢٧/١)

الناس لا يرضون بغير قرار المولد ، وأنا أريد الإصلاح ولكن لا أريد أن أغضب الناس أو أثيرهم ، ولا أريد أن يغضب الرئيس .

فقال الشيخ "علي الطنطاوي" : فليقرأ أحد المشايخ التعطيرة الأخيرة من المولد المعتاد ، ثم ينشد السيد "توفيق المنجد"[1] قصيدة نختارها نحن له في مدح الرسول ﷺ لا يكون فيها شيء يخالف الإسلام[2].

وفي موضع آخر ذكر الشيخ لبعض من كانوا يحيون ليلة المولد مثل ما ذكره للوزير ، وقال تدلاً من تلاوة هذه القصص المكذوبة ، والمشاركة في الفرية على رسول الله ﷺ وإساءة الأدب معه أعدُّ أنا محاضرة ألقيها وتطبعها "جمعية الهداية الإسلامية" ، وتوزعها تدلاً من (الملبس) فقالوا: فكيف بالقيام عند ذكر الولادة ؟

فقال الشيخ : سبحان الله ، ومن قال إن هذا القيام من فرائض الإسلام ؟

إنه بدعة لا أصل له ، قالوا : كيف يكون مولد بلا قيام ؟ قال الشيخ : أنا أقيمهم لكم إن شئتم ، قالوا : كيف ؟ فقال : إن الخطيب المتمكن يحرك السامعين كما يريد بلسانه وبحركات يده ، ولو كان فيهم من هو أعلم منه وأجل وأكبر ، هذا سحر المنبر .

وألقى الشيخ محاضرته حتى جاء لحظة الوقوف عند ذكر المولد فقال الشيخ : قفوا ، طأطئوا الرؤوس شكراً لله الذي أرسله رحمة للعالمين .

وقرن كلمة (قفوا) بإشارة اليد الممدودة إلى القيام ، فنهضوا جميعًا ، ولما قال ﴿ صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥٦ قرءوا الصلاة الإبراهيمية على عادتهم في المولد ، لا على أنها واجبة هنا أو أنه لا بد من قراءتها [3]

ك - حضر الشيخ "علي الطنطاوي" مرة برفقة شيخه "محمد بهجت البيطار احتفالاً بالمولد النبوي اضطر إلى حضوره ، فسمع قارئًا يلحن فنبهه الشيخ بلطف وكان قريبًا منه ، فعاد إلى اللحن فعاد الشيخ إلى التنبيه ، فلما كثر ذلك منه ومن الشيخ قال : أنا من

---

(١) **هو** : توفيق بن أحمد فريد كركوتلي . يشتهر بالمنجد لاشتغاله بالتنجيد،مولده ووفاته بـ(دمشق) ، رئيس رابطة المنشدين فيها ، توفي سنة (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٨٨)

(٢) لم أعثر على بقية الحديث الذي دار بين الشيخ والوزير في أي موضع من كتبه .

(٣) لا يخفى ما في هذا من التكلف وقد اجتهد الشيخ في هذه المسألة اجتهادًا خاصًا به ، ولا يوافق عليه .

تُنظَر القصة في ذكريات علي الطنطاوي ، مرجع سابق ، (٣٤٧/١، ٣٨٦/٦)

صنف المائة ، أفتدفعون مئة ليرة في الليلة وتريدون من يقرأ لكم مثل الشيخ "محمد رفعت"[1].

وكان مرة في مولد برفقة الشيخ "محمد بهجت البيطار" أيضًا ، فقام منشدٌ حسن الصوت مطرب الأداء يغني أغنية غزلية مشهورة من الغزل المكشوف ، فلما انتهى منها قال : اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه - جعلها في رسول الله ﷺ - ، وكان الحاضرون مئات ، فصرخ به الشيخ "الطنطاوي" : اخرس ، أتجعل غزلاً في غلام مدحًا لسيد الأنـــام ؟ وفسد المولد ، وأغضب الشيخُ أهلَه[2].

ل - كان للشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- دور قيادي وعمل نضالي خلال القرن الرابع عشر الهجري كما تشهد بذلك سيرته ، وكان من أبرز جهوده في الدفاع عن الشريعة والمحافظة على القيم والأخلاق إنكاره هو وجمع من العلماء للمنكرات والانحرافات التي كانت إبَّان الوحدة بين مصر وسوريا ، ونصحهم للأمة وذوي السلطان أن يعودوا لشرع الله وتحكيمه فيما بينهم ، كما كان للعلماء دور اجتماعي كبير في الدفاع عن حقوق الشعب وحريّته وتحقيق مصالحه ، وتبني قضاياه في جميع المجالات ، ولعل خير شاهد على هذا خطبته التي أذيعت يوم الثلاثاء (١٩٦١/١٠/٣م = ١٣٨١/٤/٢٣هـ) بعد الانفصال بخمسة أيام ، وأنقل هنا أبرز ما فيها : (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: لقد عدت إليكم ، عدت إليكم بعدما ظننت وظن الذين منعوني أني لن أعود ، لقد قرروا ألا ألقاكم أبدًا .

وظنوا أنهم سمروا الفلك بمسمار فلا يدور ، ونسوا أن الفلك دوّار ، وأن الأيام دول ، وأنه لم يدم الملك لمن كان قبلهم حتى يدوم لهم .

وما منعوني لأني أجرمت جرمًا ، بل لأن الذي كنت أقوله لهم لم يكن يعجبهم ، لم يعجبهم أن أقول لهم : عودوا إلى الشرع ، فهو أقوى وأقوم من شرع "تيتو" ، لم يعجبهم أن أقول لهم : استروا العورات وامنعوا المحرمات .

لذلك أبعدوني وقالوا : لا تعدْ إلى الإذاعة أبدًا ، فأبعدهم الله وأعادني .

ويقول مخاطبًا "عبد الناصر" : (لا يا سيدي الرئيس ، نحن لم نكن قط ولن نكون أبدًا أعداء الوحدة ولا دعاة الانفصال ، ونحن الذين طلبوا الوحدة وأعلنوها في

---

(١) **هو** : محمد محمود رفعت . من مشاهير القراء في مصر ، مولده ووفاته في (القاهرة) كفّ بصره في السادسة ، سجلت له بعض الإذاعات العربية والعالمية ، توفي سنة (١٣٦٩هـ-١٩٥٠م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ورياض المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق (٢٤٦٠/٣)

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (١٣٧/٢)

مجلسهم في الشام قبل إعلانها في مصر)

ويقول : (اسمح لي أن أقول بكل احترام ، فما يجدر أن أسيء الأدب معك حين لم يبق لك علي سلطان ، أقول إنك أنت الذي خيب أمل الأمة في الوحدة ، إنك لم تفهم طباع هذا الشعب ولا أخلاقه ، إن الشعب في الشام أخو الشعب في مصر ، ولكن قد تختلف طباع الأخوين في الدار الواحدة ، وما يصلح في مصر لا يصلح في الشام ، والثوب الذي يفصل لمصر لا يستطيع أن يلبسه أهل الشام وأنت أردت أن تلبسنا ثوبًا لم يفصل علينا)

(ولقد حاولنا معشر العلماء أن نقابلك ، وطلبنا المواعيد مرارًا ، وسعينا لذلك سعيًا ، وسلكنا له كل سبيل ، فما استطعنا أن نظفر بلقائك ، مع أننا نراك في الرائي (التلفاز) تمضي ليلة كاملة من ليالي رمضان ، ليالي الطاعة والعبادة ترى الراقصات العاريات ، وتسمع المغنيات الفاسقات في حفلات (أضواء المدينة) فهل اتسع وقتك لهذا وضاق وقتك عن لقاء العلماء ؟)

تمن علينا بهذه التقدمية الفاسقة وبهذه القرارات الاشتراكية ؟

إنه ما أغضبنا إلا هذه التقدمية الفاسقة وهذه القرارات الاشتراكية)

ويقول أيضًا : (إن هذا البلد يا سيدي بلدٌ تاجرٌ ، أهله بارعون ، انظر ما حققناه في عشر سنين من المعامل والمشروعات ، فجئت بقراراتك التي سميتها (الاشتراكية) فلم يعد يأمن أحد على ماله ، لم يعد أحد يقيم مشروعًا إلا إذا كان مجنونًا ، هذا "الدبس"[1] جاء بالملايين من الخارج وعرض عليك فكرة إقامة المعمل فشجعته ، وسألك الضمان فضمنت له ، وجئت بنفسك فخطبت في يوم افتتاح معمله الذي أقامه بماله ، فبأي دين يا سيدي ، بأي قانون ، بأي منطق تأخذ منه معمله ؟

أنا والله لا أعرف هذا الرجل ولا صلة لي به ولا بغيره ، ولست ممن يرتشي ، ولا من الذين تفضلت فوصفتهم بأنهم أكلة لحوم الفراخ .

العلماء الناصحون أكلة فراخ ؟ أليس عيبًا يا سيدي الرئيس أن تهجو علماء بلدك أمام الأجانب بهذا الكلام ؟

وهل الذي ينكر عليك ، ويجرؤ على الوقوف في وجهك ، وأنت في سلطانك يكون ممن يبيع ذمته بأكلة الفراخ ؟

لا ، والله ، ولكن أكلة الفراخ هم الذين ينافقون لك ويتزلفون إليك من العلماء

(١) من كبار رجال المال في سوريا .

ومن غير العلماء ، الذين يقومون على منابر الجوامع فيقولون : إن مجددي الإسلام ثلاثة : "عمر بن عبد العزيز" ، و"صلاح الدين الأيوبي" ، و"جمال عبد الناصر" ، لقدذُبحنا أيام الوحدة ، لقد رأينا ما لم نر مثله أيام الانتداب ، إي والله العظيم ، لقد رأينا -من الفسوق والعصيان ومخالفة الشرع والاختلاط والتكشف والحكم بغير ما أنزل الله ، وخنق الحريات ، وكم الأفواه ، وعقل الأقلام ، وسجن الناس بلا ذنب ولا حكمحُكم به عليهم - ما لم نر مثله أيام الفرنسيين ، لا والله ولا أيام الثورة ، ولقد صبرنا حتىملَّ من صبرنا الصبر ، ولم نعد نحتمل الألم ، فقلنا : آه .

هذه الدنيا زائلة يا سيادة الرئيس ، زائل كل ما فيها ، فلا الملك يبقى ولا المال ولا السلطان ولو دامت لمن كان قبلك لما وصلت إليك ، فاتق الله ، اتق الله الذي تقف غدًا بين يديه وحدك ، ليس معك من يحف بك ، ولا من يهتف لك ، ولا من يحميك ، وسيسألك عن كل قانون مخالف للشرع أصدرته ، وعن كل قرش من أموال الأمة : من أين جمعته وأين أنفقته ؟ وعن كل عورة كشفتها أو رضيت بكشفها ، وعن كل منكر أقررته أو قدرت على منعه فلم تمنعه ... هنالك الامتحان ، فاستعد ليوم الامتحان)[1]

م - اهتمام العلماء بالحركة العلمية :

اهتم العلماء والمشايخ في الشام بالحركة العلمية في المناطق والمحافظات السورية خصوصًا ، وكان لذلك أثره العظيم في اقتداء الناس بهم ، وسيرهم وراءهم ودفاعهم عنهم ، وكم كان الناس يلتفون حول علمائهم ويصدرون عنهم في كل بلية أو حدث يلم .

لقد عرفت الشام بعلمائها حتى كادت تغص بهم جوامع الشام ومدارسها ، فكان فيها أربعة مفتين رسميين للمذاهب الأربعة ، أكبرهم المفتي الحنفي الذي يدعى (مفتي الجمهورية) إذ كان المذهب الحنفي المذهب الرسمي للدولة العثمانية .

وكان فيها جماعة من أهل الحديث كالشيخ "بدر الدين الحسني" –محدث الشام- والإمام "محمد بن جعفر الكتاني"[2] والشيخ "ناصر الدين الألباني" وسواهم من العلماء وطلبة العلم كثير لا يحصون ، فمن الأسر العلمية "آل العمادي" ، وقد استمر فيهم منصب الفتوى أمدًا طويلاً ، ومنها "آل الحمزاوي" - وهم من أقدم الأسر الشامية- و"آل الكزبري" و"آل الغزّي" . وكان إفتاء الشافعية غالبًا فيهم "وآل العطار" - وأصلهم من (حمص) - ، و"آل السيوطي" و"آل الخاني" و"آل البيطار" -ومنهم الشيخ

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٦ / ٦٤- ٧٨)

(٢) **هو** : محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني . مولده ووفاته بـ(فاس) ، محدث،مؤرخ ،لـه تصانيف ، سكن (دمشق) و(الحجاز) ، عاد إلى المغرب ،توفي سنة (١٣٤٥هـ- ١٩٢٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧٢/٦)

"محمد بهجت البيطار" - ، و"آل القاسمي" -وأعلمهم الشيخ "جمال الدين القاسمي" - عالم الشام - ، و"آل الأيوبي" - ومنهم الشيخ "توفيق الأيوبي"[١]- ، و"آل المحاسني" و"آل الأسطواني" ، و"آل الباني" نسبة إلى (قضيب البان) ، ومنها أيضًا "آل الحسيني" ، و"آل المنيني" ، و"آل المرادي" ، و"آل السفرجلاني" ، و"آل الجندي" ، و"آل المالكي" ، و"آل الحلبي" ، و"آل السويدي" ، و"آل المنجد" ، و"آل عابدين" ، وكثير لا يحصون[٢].

ن - البرامج الإذاعية :

كان للشيخ "علي الطنطاوي" حديث أسبوعي في الإذاعة ، يذاع بعد صلاة الجمعة ، وقد استمر هذا الحديث في الإذاعة حتى كاد ينهي سنته التاسعة عشرة[٣].

س - إحياء سنة صلاة الاستسقاء :

كانت الشام مع ما فيها من العلماء والمشايخ ، ومع ما مرت به الشام من جدب وقحط من أيام العثمانيين إلا أن صلاة الاستسقاء قد نسيت من مائة سنة أو تزيد ، وكان قد مر على أهل الشام الشتاء كله ولم ينزل المطر من السماء ، فحث الشيخ "الطنطاوي" الناس على التوبة والرجوع إلى الله وإحياء صلاة الاستسقاء كما فعل النبي ﷺ ، وفوجئ الناس بهذه الدعوة إلى الخروج لأن الصلاة قد تركت منذ عهد بعيد ، وكان ممن أبى الفكرة ، ولم يوافق عليها المفتي العام الشيخ "أبو اليسر عابدين" لا ردًّا للسنة ولا جهلاً بأحكامها ولكنه خاف أن يخرج المشايخ والعلماء وسائر الناس فيستسقون فلا يسقون ، فيشمت بهم الأعداء وتنطلق ألسنتهم للكلام عليهم .

فأجاب الشيخ "الطنطاوي" بأنه يخرج هو والأشياخ اتباعًا للسنة ، والله أمرهم بالدعاء وعلى الله الإجابة ، وليس يضرهم ألا يستجيب الله لهم فإن له حكمة هي أوسع من عقول الخلق كلهم ، وذهب الشيخ "الطنطاوي" وجاء بفتاوى من المفتين الأربعة في المذاهب الشيخ "أبو اليسر" (مفتي الحنفية) ، والشيخ "مكي الكتاني" مفتي (المالكية) ، والشيخ "حسن الشطي" (الحنبلي) ، والشيخ "صالح العقاد" الفقيه (الشافعي) ، وجماعة من أهل الحديث منهم الشيخ "ناصر الألباني" -رحم الله الجميع- .

---

(١) **هو** : توفيق بن محمد سعدي الأيوبي : من مواليد (دمشق) ، تعلم فيها ، وأتقن العربية والتركية وألمَّ بالفارسية . توفي سنة (١٩٣٢م – ١٣٥٠هـ)

يُنظَر في ترجمته : معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين (على الشبكة العنكبوتية)

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٨ / ٢٨ – ١/ ٢٦١-٢٦٧)

(٣) المصدر نفسه ، (٦ / ٢١)

وكانت المفاجأة أن جماعة من المشايخ الذين يميلون للصوفية ومعهم أتباعهم أنكروا على الشيخ "الطنطاوي" اختيار سفح (جبل قاسيون) ليكونمصلّى بدعوى أن هذا المكان يقيم فيه "الوهابية" صلاة العيد ،وصعَّدوا من معارضتهم ، فاجتمع العلماء في دار الشيخ "أبي الخير الميداني" "رئيس رابطة العلماء" ، وكان منهم الشيخ السيد "مكي الكتاني" والشيخ "الطنطاوي" والشيخ "مصطفى الزرقا" ، وحضرها جماعة منهم ، فحاول العلماء أن يأخذوهم بالحسنى ، وأن يقيموا لهم الحجج والبراهين فأبوا ، فثار عليهم الشيخ "مصطفى الزرقا" ثورة وغضب عليهم غضبًا شديدًا أسكتهم ، ثم حلت المشكلة بأن تكون الدعوة إلى الاجتماع باسم الشيخين "أبي الخير الميداني" ونائبه السيد "مكي الكتاني" ، وهما شيخان جليلان صوفيان لا يجرؤ أحد من الناس على اتهامهما بـ"الوهابية" ، أو أن يرد كلامهما ، ونشرت الدعوة ، وهذا نصها :

رابطة العلماء عملاً بالسنة المطهرة تدعو الناس إلى الخروج إلى صلاة الاستسقاء في سفح (جبل قاسيون) آخر خط المهاجرين ، صباح يوم الجمعة في (٨/جمادى الأولى/١٣٨٠هـ) الموافق (٢٨/تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٠م) وأن يخرج معهم أولادهم ، وأن يكون خروجهم بالتخشع والتذلّل والاستغفار والتضرع ، وذلك بعد التوبة الصادقة ، ورد المظالم ، وأداء الحقوق ، وصدق الرجوع إلى الله ، وتقام الصلاة في الساعة التاسعةتمامًا ، يصلي بالناس "الميداني" ، ويخطب "علي الطنطاوي" .

الإمضاء : "أبو الخير الميداني" رئيس رابطة العلماء /"مكي الكتاني" نائب الرئيس[1].

ع - مدافعة الفرق المخالفة للإسلام :

يحكي الشيخ "الطنطاوي" -رحمه الله- أنهم كانوا يجلسونيومًا في مكتبة الشيخ "ياسين عرفة" وكانت مكانًا يرتاده المثقفون ، إذ لم يكن في الشامنوادٍ أدبية ، وما كانت المناقشات والمجادلات تقوم إلا أمام هذه المكتبة ، وكم تليت عندها قصائد ومقالات ، فكانوايومًا أمام مكتبة الشيخ "ياسين عرفة" فجاء رجل لا يعرفه أحد منهم فاندس بينهم وحشر نفسه فيهم ، وجعل يتكلمكلامًا عجيبًا أدركوا معه أنه يدعو إلى نحلة من النحل الباطلة ، فتناوشوه بالرد القاسي والسخرية الموجعة ، فأشار الشيخ "الطنطاوي" إشارة إلى أصحابه لم يدركها الرجل : أن دعوه لي ،فكفُّوا عنه ، وجعل الشيخ يكلمه ويدور معه ويلف به ، حتى وصل الشيخ إلى إفهام الرجل أنه بدأ يقتنع بما يقول ، ولكن مثل هذه الدعوى لا بد فيها من حجة أبلغ من الكلام فاستبشر وقال : ما هي ؟ فحرك الشيخ الإبهام على السبابة ، إشارة إلى النقود ، قال الرجل : حاضر ، وأخرج ليرتين ذهبيتين -كانت الليرة الذهبيةشيئًاعظيمًا- ، ومد يده بهما فأخذهما أمام

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٦ / ٢١ ، ٢٨ – ٣٠)

الحاضرين جميعًا ، وانصرف الرجل بعد أن عرف اسمه ، فما كاد يبتعد حتى انفجرت الصدور بالضحك ، وأقبل أصحاب الشيخ عليه مازحين ، فمن قائل : شاركنا يا أخي ، وقائل : اعمل بهما وليمة أو نزهة في بستان ، فقال لهم الشيخ : سترون ما أنا صانع .

وذهب الشيخ وكتب رسالة تكلم فيها عن الملل والنحل والمذاهب الإلحادية وجعل عنوانها (سيف الإسلام) وكتب على غلافها (طبعت على نفقة فلان) -باسم الرجل الذي دفع الليرتين - .

قال الشيخ : بلغني أنه كاد يُجَنّ ، ولم يدر ماذا يفعل ، ولم يستطع أن ينكر أمرًا يشهد عليه سبعة من أدباء البلد ، وقد بلغني أن جماعته طردته بعد أن عاقبته [1].

ف - إنكار المنكر باليد :

جاء "شوقي" -أمير الشعراء- إلى (دمشق) مرة ، فذهب الشيخ "علي الطنطاوي" ومعه الشيخ " أنور العطار" - رحمهما الله - لزيارته ، وكان مقيمًا في فندق يسمى (خوام) فوجدا عنده جمعًا من أدباء الشام ومثقفيه منهم "بشارة الخوري"[2] و"شبلي الملاط "[3] و"شفيق جبري"[4] و"حليم دمّوس"[5] وأمامهم مائدة عليها أواني الخمر ، وكان مع الشيخ "الطنطاوي" عصا ،ومشدَّاها على وجه المائدة ،وحرّك كل

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ / ٩- ١١)

(٢) **هو** : بشارة بن عبدالله الخوري . عرف بـ(الأخطل الصغير) إذ كان يذيل قصائده به ، أشهر شعراء لبنان في العصر الحديث ، أنشأ جريدة (البرق) ، شارك في مهرجانات أدبية في دول عربية ، توفي سنة (١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (٢/ ٥٣)

(٣) **هو** : شبلي بن يواكيم بن منصور بن سليمان طانيوس إده . يلقب بـ(الملاط) ، شاعر لبناني ، من مواليد (بعبدا) عمل في التدريس ، وعين رئيسًا لكتاب القلم العربي في (جبل لبنان) وأصدر جريدتي (النصير) و(الوطن) ، توفي بـ(بيروت) ، سنة (١٣٨٠هـ -١٩٦١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٥٥/٣)

(٤) **هو** : شفيق درويش جبري . أديب ، كاتب ، من أهالي (دمشق) عين رئيسًا لديوان وزارة المعارف ، وتنقل بعدها في عدة مناصب ، توفي سنة (١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م)

يُنظَر في ترجمته : روبرت بكامْبِلّ ، أعلام الأدب العربي المعاصر ، مرجع سابق ، (٤٢١/١)

(٥) **هو** :حليم إبراهيم بن جرجس دمُّوس . أرثوذكسي ، من مواليد (زحلة) بلبنان ،سكن (دمشق) بعد الحرب الأولى ، توفي بلبنان سنة (١٣٧٧هـ -١٩٥٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢/ ٢٧٠)

ما كان عليها فكسرها[١] .

ص ـ اهتم أهل الشام باللغة العربية حين قعد بها أبناؤها في البلاد الإسلامية والعربية الأخرى ، فحين يعتز الإنجليز بلغتهم الشوهاء يظهر لنا من أبناء العرب من يدع لغته الفصحى وينطق بمرادفتها من الإنجليزية والفرنسية فلا يقول (خمار) ولا (وشاح) بل (إشارب) ولا يقول (معطف) بل يقول (مانطو) ولا يقول (تقانة) بل يقول (تكنولوجيا) وأمثال ذلك[٢] .

يرجع الاهتمام باللغة العربية في الشام إلى جهود العلماء وأساتذة العربية بمختلف ثقافاتهم الفكرية الإسلامية والقومية ، حيث كانوا يدفعون الفرنسيين إلى العناية بها ويخوفونهم من عواقب إهمالها ، وقد تقدم الكلام عن مدافعة العلماء وجهودهم في الذب عنها وإنكارهم على وزارة المعارف فيما يتعلق بها .

وكان الشيخ "سعيد الأفغاني"[٣] لما ولي تدريس اللغة العربية في جامعة (دمشق) لأكثر من ربع قرن يلزم الطلاب وفيهم غير المسلم دراسة القرآن الكريم باعتبار أنه كتاب بالعربية وهم يدرسون العربية ، وأنه النص الأول الذي يعتمد فيها عليه ويرجع إليه ، حتى جاءت طبقة من تلاميذه بلغت في العربية مرتبة لم ينلها إلا القليل .

كما أن (المجمع العلمي) بـ(دمشق) ـ الذي كان أبا المجامع كلها ـ كان له اهتمام كبير بالعربية ، وكان لرجاله من أمثال "محمد كرد علي" و"عارف النكدي"[٤] و"عز الدين التنوخي"[٥] ، ومن جاء بعدهم من المجمعيين دورٌ بارز في المدافعة عنها .

---

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (١/ ٣٧٧)

(٢) المصدر نفسه ، (٥ /٢٥٣)

(٣) **هو** : سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني . باحث ، نحوي ، ولد بـ(دمشق) لوالد جاء من (كشمير) (كشمير) ، وتعلم وعمل بها مدرّس في جامعة (دمشق)، وفي لبنان والسعودية والأردن وليبيا ، توفي سنة (١٤١٧هـ ـ١٩٩٧م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ،إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص١٧٠)

(٤) **هو** : عارف بن أمين بن سعيد النكدي . درزي ، لبناني المولد والوفاة ، من رجال القضاء والإدارة ،عضو المجمع العلمي العربي بـ(دمشق) ، توفي سنة (١٣٩٥هـ ١٩٧٥م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٢٤٥/٣)

(٥) **هو** : عز الدين بن أمين الدمشقي . مولده ووفاته في (دمشق) ، عالم بالأدب ، من أعضاء المجمع العلمي العربي المؤسسين له ، توفي سنة (١٣٨٦هـ ١٩٦٦م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ،مرجع سابق ، (٢٢٩/٤)

ومن أهم العوامل التي ساعدت على بقاء اللغة العربية جهود أساتذة المعهد الطبي (كلية الطب) الذين قاموا بما قعدت عنه الجامعات والمجامع فعرَّبوا على مدى نصف قرن جميع مصطلحات العلوم الطبية ، ومنذ ذلك الحين إلى اليوم ما درست علوم الطب كلها في الشام إلا بالعربية ، ومن هؤلاء الأساتذة : الأطباء في المعهد : "حسني سبح"[١] و"جميل الخاني"[٢] و"مرشد خـــــاطر"[٣] ، وغيرهم .

وتدرج اليوم كلمات على ألسنة الناس صارت ملكًا للجميع ، وعدت من اللغة العامة ، مثل كلمة (عبقرية) فإنها ترجمة لكلمة (جيني) الفرنسية ، وكلمة (فيزياء) وكلمة (برمائية) وكلمة (عفوي) وهي ترجمة للكلمة الفرنسية (سبونتانيه) ، وكلمة هاتف وضعت مقابلة لكلمة (تلفون) و(سيارة) و(دراجة) وضعت في أوائل النهضة العربية .

وكان أسبق البلاد إلى هذا التعريب الشام (سوريا) ثم العراق ، ثم حمل العبء الأكبر (مجمع اللغة العربية) في القاهرة .

ويذكر الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- أنه كانت في مجمع (دمشق) أوائل عهد الانتداب الفرنسي لجنة دائمة لتعريب المصطلحات والأسماء [٤].

ق - الوقوف ضد قانون الأحوال الشخصية :

في سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) أصدرت فرنسا المستعمرة قانونًا مدنيًّا ينظم أحكام الأحوال الشخصية على خلاف أحكام الشريعة الإسلامية الغراء ، وكان هذا القرار يتضمن السماح للمرأة المسلمة بأن تتزوج بنصراني أو يهودي أو وثني أو مشرك أو ملحد ، كما أنه يغير أحكام الله تعالى التي بينها في كتابه من الزواج والطلاق والميراث ونحو ذلك .

---

(١) **هو** : حسني بن يحي سبح . من (دمشق) مولدًا ووفاة ، من أشهر أطباء سوريا ، تولى رئاسة المعهد الطبي العربي ، والمجمع العلمي العربي فيها ، توفي سنة (١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة محمد المالح ، إتمام الأعلام ،مرجع سابق ، (ص١٢١)

(٢) **هو** : جميل بن محي الدين بن أحمد الخاني . ولد بـ(دمشق) وتوفي بها ، طبيب ، من أعضاء المجمع العلمي العربي ، تولى رئاسة نقابة أطباء سوريا ، توفي سنة (١٣٧١هـ- ١٩٥١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (١٣٨/٢)

(٣) **هو** : مرشد بن حنا ضاهر بن نجم خاطر . من قرية (بتاتر) بلبنان ، طبيب جراح ، عضو المجمع العلمي العربي ، توفي بـ(دمشق) سنة (١٣٨٠هـ- ١٩٦١م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ،مرجع سابق ، (٢٠٢/٧)

(٤) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ / ١٧٥- ١٧٦) ، (٥ / ٣٤٦ -٣٤٨)

أثار هذا القانون علماء الشام ومشايخها وخطباءها ، وكان الشيخ "حسن حبنكة الميداني" بطل الموقف ، إذ كان يدعو الجماهير للوقوف في وجه القرار الفرنسي ، والمطالبة الجماعية العامة بإلغائه ، وإلا قاموا بالثورة على فرنسا حماية لأحكام الشريعة.

وكان يوجه الخطباء للحديث عن هذا الموضوع في الجوامع في يوم الجمعة في حي الميدان من (دمشق) ، وإثر الخطب النارية توافد على الشيخ عدة وفود من السياسيين وذوي الحركات الوطنية منهم الشيخ السلفي العالم "كامل القصاب" ، وأراد السياسيون أن ينتهزوا الموقف للثورة ضد المستعمر الفرنسي ، والمطالبة بإنهاء الانتداب ، وأطلقوا أيامها عبارة (نريد إلغاء المقرِّر ولا نكتفي بإلغاء القرار)

وكان للشيخ رأي آخر وهو أن هذا المطلب يوسع الدائرة ، وقد يفسد القضية التي ثار الناس الآن من أجلها ، وليس في استطاعة الشعب السوري في ذلك الحين مقابلة الفرنسيين وإخراجهم من البلاد ، ولكن إذا انحصر المطلب في إلغاء هذا القرار فقد تتراجع فرنسا عن قرارها خوفًا من أن تتحول المظاهرة الاجتماعية إلى ثورة مسلحة لطرد الدولة المستعمرة .

وأصرّ الشيخ على موقفه وقال : لن أتجاوز الآن حدود المطالبة بإلغاء (قانون الطوائف) لأنه قانون يتنافى مع عقيدتنا وديننا ، فمن حق الشعوب دوليًّا أن تكون لهم حرياتهم الدينية ونحن نطالب بها .

وفي مساء أحد الأيام أعلن الشيخ في مدرسته الشرعية الخاصة بجامع (منجك) لطلابه المنقطعين لطلب العلم وغير المنقطعين له من طلبة الليل والنهار ضرورة حضورهم جميعًا صباح اليوم التالي في الدرس العام الذي كان يعقده يوميًّا بعد صلاة الفجر ليخرجوا عقب الدرس منادين أهالي حي (الميدان) من أقصاه إلى أقصاه ، ومحرضين لهم ليشاركوا في مظاهرة الاحتجاج ضد (قانون الطوائف)

في الصباح عقب الدرس قاد الشيخ مسيرة وخلفه طلابه ، وطافوا على حي (الميدان) وهم يهتفون : (ديننا لا نرضى بديلاً) وأرسل الشيخ إلى أحد أصدقائه ليجمع وجهاء وفتوات ورجال حي (الميدان الفوقاني) باعتبار أنه مركز نفوذه ، وأرسل إلى العالم الشيخ "محمد بهجت البيطار" باعتبار أنه العالم الخطيب المؤثر في جامع الدقاق في حي (الميدان الفوقاني) - وهو أكبر جوامع الحي - ، وأرسل إلى جميع أئمة وخطباء مساجد وجوامع (حي الميدان) كله لتحريض المسلمين على التظاهر والاجتماع .

لم تأت الساعة العاشرة صباحًا حتى اجتمع أهالي وشباب ورجالات (حي الميدان) في مظاهرات متلاحقات ضد هذا القانون ، وكان الشيخ كلما جاء بعض أنصار الأحزاب السياسية ينادون بهتافات سياسية وقف هو وتلاميذه في وجوههم

وأصروا على الهتاف الوحيد (ديننا لا نرضى عنه بديلاً) وليسقط قانون الطوائف .

وقرر الشيخ أن يكون التجمع الكبير بعد المظاهرة عند جامع (باب المصلى) - وهو الجامع الكبير في حي (الميدان التحتاني) - وسارت الجموع المتظاهرة تحمل أسلحة خفيفة (مسدسات - خناجر - سيوف - بعض القنابل اليدوية - بنادق) ، ومنع الشيخ إطلاق الرصاص مطلقاً ، وكان إذا أطلق أحد المتظاهرين الرصاص قام إليه بعض تلاميذ الشيخ فقال له : إن الشيخ "حسن حبنكة" منع إطلاق الرصاص مطلقاً .

واتفق أن المندوب السامي الفرنسي كان متجهًا للسفر إلى (حوران) في مهمة إدارية ذلك اليوم ، فمر في الساعة العاشرة والنصف تقريبًا بسيارته ، وشاهد هذه المظاهرات التي ملأت الشارع ، وسُمع بعض طلقات الرصاص تتوجه إلى الجو ، فكلف الشيخ الحاج "عثمان قويدر" - وكان أحد وجهاء حي (الميدان) - أن ينقل للمتظاهرين بأن الشيخ "حسن" يقول : لا يطلق أحد الرصاص مطلقاً ، وسرى الأمر بسرعة وتوقف إطلاق الرصاص .

قطع المندوب السامي مهمته وعاد من طريق آخر إلى مكتبه الرسمي في المدينة ليتابع الأمر ، إذ خشي من قيام ثورة مسلحة على فرنسا ، واجتمع العلماء والوجهاء في جامع باب المصلى الكبير ، وجرى الاتصال هاتفيًّا برئيس مجلس الوزراء لإبلاغه بالمظاهرة وأنها ستتابع مسيرتها إلى الحكومة ، فرجى منهم رئيس مجلس الوزراء السيد "لطفي الحفار"[1] أن يرسلوا وفدًا للمفاهمة ، وأمر الشيخ بإيقاف المظاهرة وعدم سيرها إلى سراي الحكومة في انتظار ما يعود به الوفد .

وذهب الوفد ، وكان الشيخ هو المتحدث عنهم ، فأعلن عن مطالب جماهير المسلمين في سورية ، وأنها لن تهدأ ثورتها ويسكن غضبها ما لم تلغ الحكومة الفرنسية قانون الطوائف .

وأعطى (رئيس مجلس الوزراء) الوفد وعدًا باتخاذ كل ما يجب للوصول إلى إلغاء قانون الطوائف ، وعاد الوفد إلى الجامع ، ودخل الشيخ ، وصعد إلى غرفته فيه ، ثم أشرف على الجماهير وبين لهم ما جرى ، وطلب منهم الانتظار وعدم العجلة ، وقَدْح محلاتهم التجارية التي أغلقت في ذلك اليوم ، فإذا لم تتراجع الحكومة الفرنسية عن قرارها ، ولم تلغ هذا القانون فإن المسلمين في سوريا مدعوون لإقامة ثورة

(١) **هو** : لطفي بن الحاج حسن الحفار . من مواليد (دمشق) سنة (١٨٨٥م – ١٣٠٢هـ) ، وتعلم بها بها الابتدائية والثانوية ، من مؤسسي جمعية (النهضة العربية السرية)، تنقل في مناصب الدولة ونال أعلاها (رئيس مجلس الوزراء)، توفي سنة (١٩٦٨م – ١٣٨٨هـ) بـ(دمشق) .

يُنظَر في ترجمته : أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٢٤١)

مسلحة على فرنسا .

وانفض الجمع ، وأصدر الشيخ بيانًا عامًّا بالأمر ، وطبع ووزع ، وربما نشر في الصحف ، ولم يكن للحكومة الفرنسية وقد رأت ذلك الغضب إلا أن قررت إيقاف العمل بقانون الطوائف[١] .

ر - كان الشيخ "حسن حبنكة الميداني" مرة في قصر الرئاسة بحضور "رئيس الجمهورية" "شكري القوتلي" لأمر يتعلق بقضية عامة للشعب ، فجاء محافظ مدينة (دمشق) ومعه رغيف أحضره من أحد الأفران ليظهر به اهتمام المحافظة بخبز الشعب ، ومراقبتها الشديدة للأفران حتى تصنع خبزًا جيدًا ، فنظر الرئيس إلى الرغيف واستحسنه ، ودار الرغيف الممتاز الصنع على حضور مجلس الرئيس ، فلما وصل إلى الشيخ ، وقيل له : كيف وجدته ؟

فقال : ممتازجدًّا ، ولكني أخشى أن يكون رغيف المحافظ ، أي : أما خبز سائر الشعب فليس كذلك [٢] .

ش - كان الناس إذا حزبهم أمر التفوا حول علمائهم ورجالاتهم ، والتمسوا توجيههم ورأيهم ، وكانوا يتداعون إلى صلاة الجمعة في الجامع الأموي ، فإذا انقضت الصلاة خطب الخطباء ثم خرجت المظاهرة ، وكان العلماء يضربون على وترين مهمين الأول : الدين الذي هو المحرك للناس إن كانوا مؤمنين ، والثاني : الاستقلال وهو إرادة كل الشعب إلا من مالت به نفسه ودنياه إلى تأييد الغاصبين المستعمرين ويحكي الشيخ "علي الطنطاوي" أنه كان على موعد لصلاة الجمعة في مسجد (القصب) في حيه الذي يسكن فيه ، فجاءه طلاب من الطب فقالوا له : إنا نفتش عنك فهيا فاذهب معنا ، قال : إلى أين؟ قالوا : إلى الجامع الأموي ، فقد احتشد فيه جمهور من غير الوطنيين[٣] واستعدوا له من أيام وأعدوا خطباءهم ، فرأينا أنهم لا يقاومهم غيرك .

فحاول الشيخ أن يعتذر فأبوا ، وقطعوا عليه الطريق حين قالوا : إن هذا قرار الكتلة ، فذهب ، فما هو إلا أن نادى : (إليّ إليّ عباد الله) حتى التفت الناس إليه ، وكان نداء غير مألوف ، ثم صار شعارًا له بعد ذلك ، وبدأ ببيت شوقي :

---

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني . الوالد الداعية المربي الشيخ حسن حبنكة ، قصة عالم مجاهد حكيم شجاع ، طبعة دار البشير ، جدة ، الطبعة الأولى – (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م) ، (ص٢١٣-٢١٨)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٢٢٤)

(٣)كان اسم الوطنيين في ذلك الوقت علمًا على معارضي الانتداب .

وإذا أتونا بالصفوف كثيرة جئنا بصفٍّ واحد لن يكسرا

وأشار إلى صفوفهم المرصوصة عند المسجد ، وإلى صفهم ، وكانت خطبة نسيها الناس إلا أثرها وأفسدت على غير الوطنيين أمرهم وصرفت الناس عنهم[1].

ت - الحفاظ على المظاهر الإسلامية :

في سنة (١٩٣١م – ١٣٤٩هـ) قامت حملة مسعورة في الشام لنبذ (الطربوش) واتخاذ (القبعة) وذلك بعد دخول الفرنسيين بعشر سنوات .

وكان لبس (الطربوش) آنذاك من مكارم المروءة ، كما أن تركها قادح في عدالة الرجل ومروءته ، فلا يجوز لهم أن يضعوها عن رؤوسهم ، إن دخل الطالب على أستاذه أو مدير مدرسته أو التقى من يجب عليه توقيره وهو حاسر الرأس فقد ارتكب ذنبًا يستوجب العقوبة أو يستحق عليه اللوم ، إلا أن الناس في مصر والشام شكوا مدة من (الطربوش) وفكروا في إبداله لكنهم اختلفوا في البديل ، وكان الاتجاه كثيرًا الى (القبعة) (البيزنطية) ، وبدأ ظهورها على الرؤوس في المصايف ، وبدأت خفيفة مصنوعة من شبه (القش) ثم أخذت تنتشر في المدارس ، وكان الناس يرون ذلك فيتألمون ولا يتكلمون ، وقد يتكلمون في مجالسهم الخاصة ، حتى مر بـ(دمشق) الزعيم الهندي "شوكت علي"[2] فخطب في أهلها خطبة تتفجر حماسًا حتى صفق له الحاضرون إعجابًاواستحسانًا ، وغضب ، وقال : لقد كان أولى بكم يا أهل (دمشق) ، أن تعدلوا عن هذه العادة الإفرنجية ، قالوا : وماذا نستبدل بها ؟ قال : ما استبدلته الهند المسلمة وفلسطين العربية بمسلميها ونصاراها ، قالوا : وما ذاك ؟

فصاح بملء شدقيه بصوت ارتج له المكان : الله أكبر ، الله أكبر . ولما رأى أهل الشام يرتدون الأزياء الأوروبية من الأقمشة المصنوعة في أوروبا قال : إن هذا استعمار لأجسادنا فوق استعمارهم لبلداننا ، ودعاهم إلى العودة إلى الأزياء الوطنية والحرص عليها .

وكتب الشيخ "الطنطاوي"مقالاً دعا فيه إلى نبذ (الطربوش) واتخاذ (العقال) بدلاً من (القبعة) وذهب إلى أحد تجار العقالات والعباءات واشترىعقالاً وكوفية وعباءة وخرج بها ، ودعا من حوله من الطلاب إلى العقال ، ومنع بعض المديرين الطلاب من لبسه ، منهم مدير أكبر مدرسة ابتدائية في (دمشق) ، فذهب إليه الشيخ

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ / ٣٦)

(٢) كان هو وأخوه "محمد علي" من أظهر قادة المسلمين في الهند في تلك الأيام .

ومعه نفر من كبار الطلاب ، فلما بلغه قدوم الشيخ ذعر ، ولكنه كان عاقلاً فبعث من يخبر المراقب أن يسمح لمن جاء بـ(العقال) أن يظهر به ، وكان قد منعهم منه فلفوه ووضعوه في حقائبهم، واستقبل الشيخ بالترحاب ودعاه ومن معه إلى الشاي في غرفته ، وجعل يروغ بالحديث عما أدرك أن الشيخ جاء من أجله حتى اطمأن إلى أن (العقالات) ظهرت في باحة المدرسة ، فقال : نعم ؟ آمر ؟ فقال الشيخ : أحببت أن أسأل : هل عندكم قانون يمنع التلاميذ من اتخاذ (العقال) وهو شعار العرب ، فقاطع الشيخ مظهرًا الدهشة وقال :ومَنْ مَنَعَهم ؟ أعوذ بالله ، أبدًا ما عندنا شيء من هذا ، وتفضل انظر .

وخرج بالشيخ إلى الباحة فرأى (العقالات) في كل زاوية من الزوايا وكل مكان من المدرسة ، وانتشر (العقال) حتى اتخذه بعض وجهاء البلد [1].

ث - محاربة البدع :

كان للعلماء والمشايخ دور كبير في مدافعة البدع في بلاد الشام ، وخصوصًا فيما يتعلق بطرق الصوفية وأورادها وطقوسها ، ومن ذلك دورهم في إبطال بدعة الموالد التي كان الناس هنالك يقيمون لها الاحتفالات برعاية رسمية ويلقون فيها الخطب والمواعظ ، وتوزع فيها قطع الحلوى والسكر (الملبس) وسبق ذكر أنموذج لعالم جليل وهو الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- حين أبطل مناسبة الاحتفال بالمولد في مسرح مدرسته (مكتب عنبر) حتى اضطربت الحفلة وماج الناس ، وحظي بتأييد واسع من العلماء والجمعيات الإسلامية كلها ، وكان عاقبة ذلك أنهم نقلوه إلى (دير الزور)[2]

ومن النماذج أيضًا موقف الشيخ "مصطفى السباعي" رحمه الله فيما كان يعرف بـ (خميس المشايخ) ، وهو مناسبة موسمية تقع في شهر نيسان (إبريل) من كل عام ، تخرج فيه مواكب مشايخ الطرق بطبولهم وأعلامهم ، ويقع فيها من المنكرات باسم الدين ما يخجل منه المسلم ، وكان الفرنسيون كعادتهم يحاولون توظيف الجهل لتبرير الاحتلال وتكريسه ، وعمدوا إلى التقاط الصور والأفلام لعرضها في أوروبا لتشويه سمعة الشعب السوري خاصة والمسلمين عامة ، وكانوا يدفعون مشايخ الطرق لإحياء مناسباتهم وإقامة الاحتفالات المحدثة في الدين ، حتى إن (المفوض السامي) ومن معه من الفرنسيين ورجالات الحكومة كانوا يشرِّفون هذه المناسبات ويرعونها رعاية رسمية من لدنهم .

كان الشيخ "السباعي" -رحمه الله- ينادي بإلغاء (خميس المشايخ) في خطبه

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ / ١٦٣ – ١٧١)

(٢) المصدر نفسه ، (٤/ ١٨٦ – ١٨٩)

حتى ثار عليه العامة ، وكاد بعضهم يسفك دمه تقربًا - في زعمه - إلى الله ، وبحجة أن الشيخ يريد القضاء على أمجاد الإسلام وهيبته ، وعند ذلك خشي عليه أبوقائلاً : يا بني إنك على الحق فيما تدعو إليه ، ولكنك كنتعنيفًا في محاربة هذه البدعة ، أتظن أن بدعة مضى عليها أكثر من خمسة قرون تستطيع أن تقضي عليهاهائيًّا في بعض خطب ومحاضرات تلقيها ؟أَشفقْ على نفسك ، وحسبك أنك نبهت الأذهان إلى أضرارها ، ولا بد أن يحدث ذلك أثره في المستقبل القريب ..) [1]

خ – مقاومة التنصير والتغريب :

في فترة الانتداب الفرنسي على سوريا أُنشئت مدارس التبشير الأجنبية بمساعدة وحماية السلطات الاستعمارية الفرنسية ، واستمرت تمارس دورها في التنصير وخصوصًا في مدينة (حمص) ، وحينئذ قام الشيخ "مصطفى السباعي" - رحمه الله- بتكوين جمعية سرية لمقاومة مدارس التبشير الأجنبية ، ضم إليها بعض أصدقائه كأعضاء في الجمعية ، وكان الشيخ "مصطفى السباعي" يتولى بنفسه كتابة المنشورات التي تحذر أولياء الأمور من الآباء وأفراد الأسر من هذه المدارس ، ويقوم بتوزيعها هو وأصدقاؤه أعضاء الجمعية ، كما أنه كان يبين مدى خطورة الأمر على أجيال المسلمين، ومدى تعويل الاستعمار الفرنسي على هذه المدارس .

واستمر الشيخ يقاوم حركة التبشير ، وكتب إلى "محب الدين الخطيب" يستأذنه في طبع كتاب (محاسن الإسلام) لتوزيعهمجانًا في (حمص) من أجل الوقوف في وجه المبشرين ورد أباطيلهم .

وكان مما قال في رسالته : (كان لعمل المبشرين في بلدتنا (حمص) أثر سيئ في نفوسنا - والله يعلم مبلغه - وداع كبير إلىالتّشمير عن ساعد الجد ، وتنبيه المسلمين من سوء نوايا هؤلاء المبشرين ، وتحذيرهم من عاقبة غفلتهم ورقدتهم ، لذلك عزمنا - نحن فئة من شباب (حمص) - على أن نرسل لحضرتكم هذا الكتاب ، نطلب فيه منكم بأن تسمحوا لنا بطبع (محاسن الإسلام) لكي نوزعهامجانًا في البلدة ، ونطلب الإذن أيضًا من مؤلفها الشيخ "مصطفى السباعي" ولا نخالكم إلا فاعلين -إن شاء الله- ، ومحققين أملنا لما نعهده فيكم من الغيرة على هذا الدين والتفاني في خدمته ، ولا نظن أيضًا إلا أن حضرتكم ستكونون مشجعين لنا على هذا العمل النافع ...)

وهذا "عدنان زرزور" يؤكد أن أمر هذه المدارس - وخاصة في ظل الاحتلال ومرحلة المقاومة - بقي يقض مضجعه فكتب عنها في مجلة (الفتح) بعد أن ذهب إلى مصر ، بل كانت كتابته عنها من أوائل ما كتب في هذه المجلة عام (١٣٥٤هـ -

(١) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي الداعية والفقيه المجدد ، مرجع سابق ، (ص١١٥ ، ١١٦)

١٩٣٥م)، حتى لكأن هذه الكتابة استمرار لكتاباته السابقة في (حمص) وربما دفعه إلى ذلك ما رآه من انتشار هذه المدارس في مصر ، وعلى أية حال فقد أتبع الشيخ "مصطفى السباعي" تلك المنشورات في مدينة (حمص) - وفي ظل الاحتلال والأحكام العرفية - بمنشورات وصفت بالنارية ضد سياسة الفرنسيين في المغرب ، فألقي القبض عليه لأول مرة في سنة (١٩٣١م – ١٣٤٩هـ) وهو ابن ستة عشر عامًا ، وبعد أن تم الإفراج عنه تابع ثورته عبر منبره الناري وعلى رؤوس المظاهرات الصاخبة التي كان يقودها بعد صلاة الجمعة في معظم الأحيان [١].

كان للشيخ "مصطفى السباعي" -رحمه الله- دور كبير في محاربة أشكال الظلم الاجتماعي في بلاد الشام حيث عمل على القضاء على البطالة وإصلاح الخلل في المجتمع ، ومعالجة مشكلات الغلاء في الأسعار ، وسائر أشكال التخلف في الريف والأحياء الفقيرة في المدن وأنشأ عدة لجان لذلك كاللجنة الثقافية ، ولجنة مكافحة الأمية، واللجنة العمالية واللجنة الطلابية ، واللجنة الطبية والجمعيات الخيرية[٢].

وأبرز معالم الدور الاجتماعي الذي قام به -رحمه الله- :

١- **تبني حركة العمال** : فقد حمل -رحمه الله- عبء الدفاع عن حقوق العمال ، والمطالبة برفع مستواهم المادي والاجتماعي والأخلاقي ، وتبنى -مع أصدقائه من نواب (الكتلة الإسلامية الاشتراكية)- مطالبهم في المجلس النيابي ، كما عملوا على إنشاء مدارس للعمال لتعليمهم ورفع مستواهم الفكري ، وشمل ذلك جميع المحافظات ومعظم الأقضية والقرى ، وتخرج بعض العمال في المدارس المتوسطة والثانوية ، كما تخرج آخرون في الجامعة ، وبلغ عدد الذين يتلقون العلم في هذه المدارس أكثر من خمسة آلاف عامل يتعلمون بالمجان في مدارس ليلية .

٢- **رفع مستوى القرى والفلاحين فيها** : فلقد حرص الشيخ "مصطفى السباعي" على العناية بالقرى النائية يزورها ويلتقي بالفلاحين ، ويستمع لمشكلاتهم ، وينقل أصواتهم إلى المجلس النيابي ، حيث نادى بإيصال الكهرباء ، وتوفير الماء ، وبناء المدارس والخدمات الصحية فيها .

٣- سعى الشيخ "مصطفى السباعي" مع نفر من إخوانه إلى بناء (**المعهد العربي الإسلامي**) في (دمشق) ، وقد شمل جميع مراحل التعليم من الحضانة إلى الثانوية للذكور والإناث ، وقد فتحوا فروعًا له في بقية مراكز المحافظات السورية .

٤-كان الشيخ "مصطفى السباعي" يشجع الشباب على **ممارسة الرياضة**

(١) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي الداعية المجاهد الفقيه المجدد ، مرجع سابق .

(٢) محمد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٢٧٣ – ٢٧٥)

والفتوة لتحقق فيهم القوة الجسمية والروحية ، وساهم في تأسيس عدد من الأندية الرياضية في مراكز الإخوان في جميع المحافظات . وأنشأ الشيخ -رحمه الله- نظام الفتوة ، فكانت تقام للشباب الرحلات ، ويتدربون على مختلف الألعاب الرياضية ، ويلتقون في المعسكرات السنوية فتوثق الصلات بينهم ، ويتعرف بعضهم على بعض ، وتولى الشيخ القيادة العامة لفتوة "الإخوان المسلمين" حتى جاء " أديب الشيشكلي" فحل الجماعة وصادر أملاكها كما تقدم .

٥- **المواساة والأعمال الخيرية** : ساهم الشيخ -رحمه الله- في تأسيس عدد من اللجان لجمع الإعانات والتبرعات ، وتوزيعها على المحتاجين من المرضى والعاجزين، واهتم أيضًا برعاية الأسر الفقيرة ، وعمل على تنظيم يوم سنوي سماه (يوم الفقير) تطوف فيه اللجان على التجار ، وتسير في الأحياء لجمع الإعانات وتقديمها للفقراء في مواسم الشتاء والأعياد ، وساند في بناء عدد من المستشفيات الصحية المجانية للفقراء والمحتاجين[١].

خ- لما عين الشيخ "خالد الشقفة"[٢]معلمًا في قضاء (سَلَمْية) التابع لمحافظة (حماة) في الفترة من (١٩٤٢م- ١٩٥٤م = ١٣٦١-١٣٧٣هـ) برز دوره في **نصرة أهل السنة والجماعة** في هذه المحافظة التي كانت معقل (الإسماعيلية) الرئيسي في سوريا ، ثم لما ولي معلمًا للعلوم الإسلامية في مساجدها ، ومدرسًا للفقه الشافعي في (معهد حماة الشرعي) شارك في الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية ، وكان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، وكان كثير الخلطة بالناس ، وكثيرًا ما يقابل الحكام ، وكان وقافًا عند حدود الله ومحبًّا للسنة منكرًا للبدعة[٣].

ض- أقيمت مرة في المجمع العلمي العربي بـ(دمشق) محاضرة ألقاها رجل لبناني تكلم عن الحضارة الجديدة وأنه ينبغي في رأيه أن نأخذ كل ما فيها ، وأثنى على لباس الإفرنج وذم لباس المسلمين ، ولما انتهى من محاضرته أقبل عليه المنافقون من أصدقائه المؤيدين لآرائه يهنئونه على جمال أطروحته وحسن أسلوبه ، وكان من بين الحاضرين الشيخ "كمال الخطيب" وكان صداعًا بالحق لا يخاف فيه لومة لائم ، فصاح

---

(١) حسني أدهم جرار ، مصطفى السباعي قائد جيل ورائد أمة ، مرجع سابق ، (ص١٢٧ – ١٣٠)

(٢) خالد بن عبدالله الشقفة . ولد في (حماة) ،ونشأ يتيمًا،تلقى العلم في معهد (حماة) الشرعي ، وعين معلمًا في (سلمية) مركز الإسماعيلية في سوريا، ، وناضل عن منهج أهل السنة فيها ، توفي سنة (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م) انظر : محمد خير رمضان تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (١٥٩/١)

(٣) محمد خير رمضان ،تتمةالأعلام،مرجع سابق، (١٥٩/١)وأيضًا:محمد الناصر، علماء الشام في القرن العشرين،مرجع سابق، (ص٤٢)

في آخر القاعة بصوته الذي كان يغلب عشرة مكبرات للصوت ، وبلهجته المغرقة في العامية : (وْلك : الحمار حمار ولو لبس بدلة وينطرون ، والإنسان إنسان ولو حط جلال ..) فانصرف الناس بكلمة الشيخ وتركوا المحاضرة في مكانها[1].

وعُرف الشيخ بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، ولم يكن يبالي حب الناس ولا كرههم ولا يحفل بإكبارهم ولا احتقارهم ، ومع ذلك كان يحبه الناس ويحترمونه ويهابونه : رجال الشعب والحكومة ، والعلماء والجهلاء ، والأغنياء والفقراء ، لا يسلم من لسانه أحد ولكن لا يكرهه أحد ، وكان من حاله أنه يجلس مع الجماعة ممن يعرفهم أولا يعرفهم فيعظ وينصح ويأمر وينهى ، ويدور في مجامع الناس فيفعل مثل ذلك ، ويمر على الحلقات في (الجامع الأموي) فإن وجد ما يعجبه شجع المدرس بكلمة ، وإن أنكر شيئًا رد عليه ، وإن أحس غموضًا استوضح ، أو إيجازًا شرح ، أو ملالً من السامعين نفس عنهم بنكتة ، ويعرف له المدرسون ذلك فلا يأبونه منه ، وإن أبى بعضهم سلقه بلسانٍ حديدٍ ، حتى كان بعض المشايخ يسمونه (مفتش الجامع)

وكان يدور في الأسواق يراقب الناس ويدرس أحوالهم ، وهو يعرف أكثر أهل (دمشق) وآباءهم وأجدادهم ، فإن رأى حقيرًا رفعته الأيام فتكبر رماه بكلمة كالقنبلة فعرفه قدره وجرأ الناس عليه ، وإن رأى مجالً انخدع به الناس فحسبوه عالمًا حط منه فصرفهم عنه ، وإن أبصر جاسوسًا أو ممالئًا للفرنسيين صرخ وقال : (لعن الله الجواسيس والمنافقين) ، وإن رأى بائعًا يغش مشتريًا ، أو مشتريًا يضايق البائع ، أو شابًا يتحرش بالنساء ، أو امرأة تتصدى للشباب ، أو رأى معتديًا على آخر في جسده أو ماله أقام القيامة عليه فكأن البلد كلها مدرسة والناس تلاميذها وهو المعلم فيها ، وكان يتوسط في الخصومات ، ويعرض لحل المشكلات ، ويقضي بين الناس بلا محكمة ولا مرسوم جمهوري ، فيسمع من الخصمين ويوازن بين حجج الفريقين ثم يقضي ، والويل من جحيم لسانه لمن لا ينفذ حكمه ، فكم ألّف بين زوجين ، وأصلح بين شريكين ، وكان يأخذ من الأغنياء سطوة واقتدارًا ، أوحبّ وإكبارًا ، فيعطي الفقراء المستورين فيعف الله به وجوهًا لولاه أذهب ماءها حر السؤال[2].

ثانيًا : العمل النسوي في لبنان :

ذ- أنشئت جمعيات نسائية كان هدفها مواجهة الحركة النصرانية التبشيرية والفكرية التي استغلت الجوانب الرعائية والخدماتية لأهدافها السياسية التبشيرية بينما نجد أن المسلمين لم يبدؤوا بالالتفات إلى هذا الجانب إلا في مرحلة متأخرة ، وكان لانتشار التعليم أثره في إنشاء هذه الجمعيات حيث كان الهدف من التأسيس تقديم الأعمال الخيرية والعمل على رفع مستوى المرأة وتوظيف مهاراتها الجديدة التي

(١) علي الطنطاوي، رجال من التاريخ،مرجع سابق، (ص٤٧٢)

(٢) علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، مرجع سابق ، (٤٦٩ – ٤٧٤)

تعلمتها[1].

ولقد تنامى العمل النسائي في لبنان ، خصوصًا بعد استقلاله إلى منتصف السبعينيات من القرن الماضي ، وكان من أبرز الجمعيات الاجتماعية التي اهتمت بموضوع المرأة في هذه الفترة :

١- **جمعية تأمين العمل الخيري** :أُنشئت في (٢١نيسان/١٩٥٠م = ١٣٦٩/٧/٤هـ) وكانت أهدافها تأمين العمل لكل محتاجة .

٢- **الجمعية الخيرية الثقافية** :أُنشئت في (٦ تموز/١٣٥٣م = ٧٥٤/٥/٢٦هـ) من أهدافها رفع مستوى المرأة وإنشاء مصنع تتلقى فيه المرأة جميع الأشغال النسائية .

٣- **جمعية النهضة الاجتماعية :** أُنشئت في (٩/تموز/١٩٥٣م = ١٣٧٢/١٠/٢٧هـ) ومن أهدافها رفع مستوى المرأة الاجتماعي وتقديم المعونة للمحتاجين .

٤- **رابطة الجمعيات الخيرية النسائية** :أُنشئت في (١٦ تموز عام ١٩٥٣م = ١٣٧٢/١١/٥هـ) ممثلتها "ابتهاج قدورة" ، ومن أهدافها رفع مستوى المرأة ، وإنشاء مصنع عام تتلقى فيه المرأة الأشغال النسائية .

٥- **جمعية الأمور الخيرية الإسلامية النسائية** :أُنشئت في (١٦ تموز عام ١٩٥٣م = ١٣٧٢/١١/٥هـ) ومن أهدافها متابعة الأعمال لإيجاد منتدى نسائي ومدرسة مجانية للفقراء[2]

ولقد تميز العمل النسوي الإسلامي في لبنان عن غيره من الدول العربية بأنه يقتصر في مجمله على الأعمال الخيرية والدعوية ، التي تتعلق بمساعدة الطبقات الفقيرة والمحرومة من المسلمين -مثل : اليتامى والمرضى والعجزة- ، والاشتغال بالدعوة إلى الله تعالى .

بل ارتبط العمل الاجتماعي في لبنان بمفهوم الدعوة إلى الله تعالى ، ومساعدة الآخرين حتى حصر العمل الأهلي النسائي في هذا الإطار ، وانبثقت من داخل الجمعيات لجان أظهرت اهتمامًا بالقضايا التي تطرح عالميًّا حول حقوق المرأة إلا أن

(١) حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان ، مرجع سابق ، (ص١١٩ – ١٢٠) ، ونهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (٥٨ – ٥٩)

(٢) نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (٥٩ – ٦٠)

هذا الاهتمام كان ولا يزال دون المستوى المطلوب ، وذلك إما بسبب ضعف الإمكانيات المادية حيث تعتمد معظم هذه الجمعيات على التبرعات الفردية مثل : الزكاة والصدقة ، وهذه التبرعات تدفع في الغالب بهدف مساعدة الفقراء ولا تدفع في سبيل الدفاع عن مثل هذه القضايا ، وإما بسبب غياب العنصر البشري المتخصص والمتفرغ لهذه الأعمال وأمثالها ، الأمر الذي جعل عمل هذه الجمعيات ينحصر في بعض المحاضرات والمشاركات في المؤتمرات المحلية .

ومن أبرز هذه اللجان التي عملت على التوعية بقضايا المرأة :

أولاً : اللجنة النسائية في جمعية (الاتحاد الإسلامي) : التي تصدر عنها مجلة (منبر الداعيات) وهي مجلة نسائية دعوية تهتم بشئون المرأة والمجتمع ، ومن أهدافها :

أ- توعية العقل المسلم ، وخاصة عقل المرأة المسلمة ، حيث نسبة الأمية في أوساط النساء في بلاد الإسلام مخيفة ، ومظاهر التخلف الثقافي والتدني في الاهتمامات متفشية .

ب- الدعوة إلى الله تعالى ، فهو جماعها حتى في الإرشادات الصحية ، والتوجيهات التربوية ، وأخبار الأنشطة الثقافية والاجتماعية ، بل حتى تطغى في الطرفة والدعابة .

ت-الاهتمام بحاجات المرأة المسلمة في مجتمعها المعاصر ، على صعيد مشاكلها وعلاقتها بالرجل وتربيتها لأولادها ، وسبل معالجة أزمات المجتمع ، وطرح المشكلات الاجتماعية وتحليل أسبابها وتقديم الحلول لها برؤى إسلامية تنطلق من فهم الواقع لتسقط عليه الأحكام والمعالجات الشرعية المناسبة[1].

ثانيًا : اللجنة النسائية في جمعية (الإرشاد والإصلاح الخيرية) : وهذه اللجنة تعمل ضمن خطة عامة للجمعية فيما يتعلق بحقوق المرأة تتضمن ما يلي :

١- تحديد المرأة التي يسعى للوصول إليها .

٢- تأهيل وتشجيع النساء على استثمار طاقاتهن في الأنشطة الفاعلة والمفيدة والمؤثرة في المجتمع .

٣- تأسيس رؤية إسلامية لقضايا المرأة وشئونها وتوعية الناس على أساسها .

(١) نهى القاطرجي ،الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، ١٣٣- ١٣٥ .

٤- تتبُّع قضايا المرأة المهمة وتحديد الصواب منها ومساندته ، وتمييز الخطأ منه ومحاولة إصلاحه .

٥- تحديد مشاكل المرأة الحقيقية ، والقضايا الأكثر أهمية لطرح حلول إسلامية لها مثل : (الظلم الاجتماعي ، العنوسة ، الترمل ، الطلاق ، العنف ضد المرأة ، الطلاق التعسفي ، التمييز ضد المرأة المحجبة) [١]
إلى غير ذلك مماتضمّنته خطة الجمعية فيما يتعلق بالمرأة .

ثالثًا : الجمعيات الإسلامية في لبنان وسوريا :

ض- إنشاء الجمعيات :

تبنى العلماء والمشايخ في بلاد الشام إنشاء جمعيات اجتماعية وتعليمية وصحية كان لها دور عظيم في تقديم الخدمات وتعليم الناس وتوجيههم ، ومنها :

١- **"الجمعية الغراء لتعليم أولاد الفقراء"** : أسست في بداية العشرينيات من القرن العشرين الميلادي على يدي الشيخين "محمد هاشم الخطيب" و"محمد علي الدقر" ، ثم أشرف عليها بعد ذلك الشيخ "محمد علي الدقر" ، وجاء تأسيسهااحتجاجًا على السياسة التربوية الجديدة للإدارة الاستعمارية ، وهي من الجمعيات التي كان لها دور بارز في الحياة السياسية والاجتماعية[٢]، واستفاد منها الطلاب الفقراء من مناطق (حوران) و(البلقاء) الذين عادوا لقراهم معلمين ودعاة ، وقام الشيخ فاستخلص لهمغرفًا كثيرة في مساجد (دمشق)وُقفت على طلاب العلم فأسكنهم فيها ، وجمع لهمأموالاً من التجار الذين يحفون به ، وفتح مدارس للصغار ، ومعهدًاعلميًّا للكبار[٣] ، وأسند إشرافها إلى تلميذه الشيخ "حسن حبنكة الميداني" الذي أوكل إليه تنظيم مدرسة (سعادة الأبناء) ، ثم اعتمد عليه في تأسيس مدرسة (وقاية الأبناء) في زقاق العسكرية بالميدان ، وأدار مدرسة (الريحانية) بزقاق المحكمة عند سوق الخياطين ،ولما توفي الشيخ تولى رئاستها من بعده ابناه وهما الشيخ "أحمد بن محمد علي الدقر" وبعده الشيخ "عبد الغني بن محمد علي الدقر"[٤] إلى أن صدرت أوامر السلطة بإغلاقها[١].

---

(١) نهى القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، مرجع سابق ، (١٣٥ – ١٣٦)

(٢)يُنظَر : مركز دراسات الوحدة العربية ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، مصدر سابق ، (ص١١٤)

(٣) علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، مرجع سابق ، (ص٤٥٣- ٤٥٤)

(٤) **هو** : عبد الغني بن محمد علي بن عبد الغني الدقر . من مواليد (دمشق) ، فقيه ، نحوي ، تعلم على يد علماء (دمشق) ، أخذ عن أبيه ، توفي سنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (٩٦/٢)

٢- **"جمعية التوجيه الإسلامي"** : أسسها الشيخ "حسن حبنكة الميداني" لرعاية طلابه ، والقيام بالعديد من الجهود الدعوية والعلمية ، كما أنشأ معهده المعروف في (دمشق) بـ (معهد التوجيه الإسلامي) في جامع (منجك) ، وكان له نشاط وأثر كبير في بلاد الشام ، وسار الشيخ على طريقة شيخه "محمد علي الدقر" في هذه الجمعية ، واستفاد خبرة إدارية أثناء تكليف شيخه له بالإشراف على مدارس (الجمعية الغراء) .

وكانت جمعيته أخذت على عاتقها نشر العلوم الإسلامية ، وتخريج الدعاة إلى الله من حملة الشهادات الشرعية إلى جانب قيامها بالمهام الاجتماعية[٢].

٣- **"جمعية الفتح الإسلامي"** : أسسها الشيخ "محمد صالح فرفور"[٣] وكانت لها نهضة علمية وتربوية ، حيث كان يجتمع حوله عدد من الطلاب الذين علمهم ورباهم وفق منهج علمي وتربوي جعل مقرَّه الجامع الأموي وبعض المساجد القريبة ،كما أسس فيها (معهد جمعية الفتح الإسلامية الخيرية التعليمية) بـ(دمشق) ، وانتقى من طلابه الذين تربوا على يديه من يكون في هيئته التدريسية كالشيخ "موفق النشوقاتي"[٤]، وتفرغ الشيخ لجمعيته وكان رئيسها وعميد معهدها[٥].

٤- **"الجمعية الخيرية الإسلامية"** : وهي جمعية أسسها نخبة من علماء وأعيان (دمشق) على رأسهم الشيخ "طاهر الجزائري" ، وكانت جمعية علمية اجتماعية

=

(١) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١/ ١٣٨) ، ونزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٥٤)

(٢) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١/ ١٣٨)

(٣) **هو** : محمد صالح بن عبد الله بن محمد الفرفور . ولد بـ(دمشق) ، ونشأ بها وتعلم من علمائها ، ورحل لبلاد بعيدة وأخذ عن علمائها ، أقام معهدًا للعلوم الشرعية ،وعكف على طلابه معلمًا ومربيًا ، توفي سنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : علماء (دمشق) وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق ، (ص١٥٠)

(٤) **هو** : موفق بن محمد رسلان بن عمر النشوقاتي . فاضل ، من علماء (دمشق) ، أتقن الحديث وعلومه ، توفي سنة (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٤٨)

(٥) محمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٤٧)

، ولدت في ظروف التحدي التبشيري بأنشطته العلمية وإرسالياته الأجنبية ، وتمكنت الجمعية من مزاحمته ففتحت أكثر من ثمان مدارس للذكور ، ومدرستين للإناث، وتحولت الجمعية في نهاية (١٨٧٩م = ١٢٩٦هـ) إلى (ديوان معارف)[١].

٥- **"جمعية التمدن الإسلامي"** : تأسست عام (١٩٣١م – ١٣٤٩هـ) ، وكانت تضم ممثلي طبقة (البورجوازية الصغرى) من فقهاء ، وخطباء جوامع ، وأطباء ، ومحامين ، وأدباء ، كأمثال الشيخ "محمد بهجت البيطار" ، والشيخ "حسن الشطي" ، والشيخ "محمد كمال الدين الخطيب" - وكان عضواً نشطاً - والشيخ "محمد كامل القصار" ، والأديب المربي"محمد نسيب سعيد"[٢] ، أسسها "أحمد مظهر العظمة"[٣]، وكان أمين سرها ثم رئيساً لها ومشرفاً عليها وعلى ناديها إشرافاً كاملاً ،وفياً لها ، يتحفها من عطائه ويغذوها من فكره وأدبه طوال حياته ، ولما توفي –رحمه الله– تقلد أمانة سرها الشيخ "محمد كمال الدين الخطيب" ، وأدار مجلتهاأعواماً طويلة[٤] ، وكانت للجمعية مدارس إسلامية حملتكلٌّ منها مسمى (مدرسة التمدن الإسلامي) ، اعترف بهارسمياً ، وفتحت مدرستها الثانوية في (دمشق) أبوابها للطلاب سنة (١٩٤٦م – ١٣٦٥هـ) ، كما أسست الجمعية "الرابطة الأخوية لمساعدة فقراء الطلاب" ، وكان لها أثر كبير في مساعدة الفلسطينيين أيام انتفاضة الشعب الفلسطيني عام (١٩٣٦م – ١٣٥٤هـ) ، كما أسست (لجنة إعانة المنكوبين في القدس) ، وصدرت مجلة مشهورة للجمعية سميت (مجلة التمدن الإسلامي) ، وصدر العدد الأول منها عام (١٣٥٤هـ- ١٩٣٥م) ، وكانرئيسَ تحريرها ، يدون بنفسه أسماء المشاركين فيها ، يكتب العناوين بيده ليوفر أجرة موظف لهذا العمل ، واستمر على هذه الحال نصف قرن من الزمان حتى حين أصبح رئيس مفتشي الدولة ، وحين

---

(١) المصدر نفسه ، (ص٧١)

(٢) **هو** : محمد نسيب سعيد . فاضل ، أديب ، من أهالي سوريا ، توفي سنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤١٧)

(٣) **هو** : أحمد مظهر بن أحمد العظمة . عالم ، سياسي ،حقوقي ، له شعر ،من مواليد (دمشق) ،لأسرة تركمانية الأصل ،تعلم بـ(دمشق) ،ومارس العمل بالمحاماة مدة ،وعمل على تأسيس (جمعية التمدن) ، تنقل في وظائف الدولة ومنها وزارتا الزراعة والتموين ،كان ناشطاً في العمل الاجتماعي ، توفي سنة (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظه ، علماء (دمشق) وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق، (ص٦٦)

(٤) نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٠٤)

أصبح وزيرًا أيام الوحدة[١].

٦- **"جمعية الاعتصام الإسلامية"** : أسسها الشيخ "محمد تقي الدين النبهاني" سنة (١٩٣٨م – ١٣٥٦هـ) بعد قيام الثورة الفلسطينية ، واستشهاد الشيخ "عز الدين القسام" ، وكان من أهدافها طرد المحتلين الانجليز ، ومقاومة الهجرة اليهودية[٢].

٧- **"رابطة العلماء العاملين في دمشق"** : أسسها عدد من العلماء في الشام ، منهم رئيسها الشيخ "أبو الخير الميداني" ونائبه الشيخ "مكي الكتاني" وأمينها الشيخ "حسن حبنكة الميداني" الذي صار رئيسها بعد وفاة الشيخ "مكي الكتاني"[٣]، والشيخ "محمد بهجت البيطار" والشيخ "عبدالرؤوف أبو طوق"[٤] والشيخ "صالح فرفور" والشيخ "محمد كامل القصاب" رحمهم الله تعالى.

٨- **"جمعية أسرة العمل الخيري"** : أسسها جمع من علماء وأهالي الشام ، منهم الشيخ "حسن حبنكة الميداني "[٥].

٩- **"جمعية العلماء في حماة"** : ترأسها الشيخ "خالد عبدالله الشقفة" ، وضمت أعضاءً من علماء الشام من أمثال الشيخ "محمد الحامد" ، والشيخ "عبدالله الحلاق"[٦] الذي تولى رئاستها بعد وفاة الشيخ "خالد الشقفة" ، وكان لها دور

---

(١) محمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مصدر سابق ، (ص٤٤٣) ،وأيضًا : ترجمة المؤلف في كتاب : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (٣٦/١) وعند : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٥٦) ،وأيضًا : مركز دراسات الوحدة العربية ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، مصدر سابق ، (ص١١٤)

(٢) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١/ ٩٢)

(٣) المصدر نفسه ، (١/ ١٣٨)

(٤) **هو** : عبد الرؤوف أبو طوق . من كبار الخطباء في (دمشق) ، مولده ووفاته بها ، قرأ على كبار علمائها ، نشط في الحياة الاجتماعية والدينية ،كان نائبًا في البرلمان فعضوًا في مجلس الأمة أيام الوحدة ، توفي سنة (١٤١٨هـ -١٩٩٨م) انظر : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام مصدر سابق ، (ص٢٣٢)

(٥) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٣٨/١)

(٦) **هو** : أحد العلماء المجاهدين ، من مؤسسي (الحركة الإسلامية) في (حماة) ، رأس جمعية (العلماء) في (حماة) ، عرف بالصدع بالحق ، توفي سنة (١٤٠٢هـ -١٩٨٢م)

يُنظر في ترجمته : محمد خير يوسف ، المستدرك على تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (٣/ ١٩٩)

فاعل في الحياة الدينية والسياسية والاجتماعيةخصوصـًا في مدينة (حماة)[١]

١٠ـ **"جمعية الندوة الإسلامية بدمشق"** : أسسها العالم الأديب "عبد الرؤوف الحناوي الدمشقي"[٢] ، وضمت أعدادًا من المعلمين الإسلاميين ، ورسخت فيهم رابطة الدين والهدى والحق[٣].

١١ـ **"جمعية الهداية الإسلامية بدمشق"** : أسست سنة (١٣٤٩هـ-١٩٣٠م) ، وقد أقامت علاقات مع الحركة الإسلامية في مصر إثر زيارة قام بها عضوان من مصر إلى فلسطين وسوريا[٤] ، تولى رئاستها الشيخ "محمود ياسين"[٥] ، وكان من أعضائها عدد من علماء (دمشق) منهم الشيخ "عبد القادر أحمد العاني"[٦] والشيخ "محمد ياسين عرفة" والشيخ "عبد الرزاق الحفار"[٧] الذي الذي كان عضوًا إداريًّا ومحاسبًا فيها مدة طويلة ، واضطلع بمهمتها الدعوية حتى توفي ، وتولى أمانة سرها حتى آخر حياته الشيخ "محمد كامل القصار" ، ورحل مع وفدها في بعثة برية انطلقت من دمشق إلى المدينة النبوية سنة (١٣٥٩هـ-١٩٤٠م) ، وكانت أول رحلة من نوعها بعد نسف الخط الحديدي الحجازي بقصد إعادة تسييره ، ولقوا في سبيل ذلك مشقات مختلفة[٨]-عليهم

---

(١) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٥٩/١)

(٢) **هو** : عالم ، أديب ، من رجال التربية ، درس على عدد من علماء (دمشق) ، عمل في وزارتي التربية والعدل . توفي سنة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)

يُنظَر في ترجمته : محمد رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١/ ٢٨٨)

(٣) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (٢٨٨/١)

(٤) مركز دراسات الوحدة العربية ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، مصدر سابق ، (ص١١٤)

(٥) **هو** : محمود بن أحمد بن ياسين الدمشقي ، من مواليد (دمشق) ، قرأ على علماء عصره ، وساهم بكتابة المقالات الدينية في المجلات والصحف ، توفي سنة (١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م)

يُنظَر في ترجمته : مقال "بديع السيّد اللحام" : جهود علماء (دمشق) في الحديث في القرن الرابع عشر الهجري .

(٦) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (٣٠٩/١)

(٧) **هو** : عبد الرزاق بن عبدالعزيز بن محمد الحفار . فقيه ، خطيب ، من مواليد (دمشق) ، وقرأ على علمائها ،خطب وأم ودرّس في مساجدها ،كان عيشه كفافًا . توفي سنة (١٣٩٧هـ-١٩٧٧م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٢٣١)

(٨) انظر : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٠٣)

جميعًا رحمة الله تعالى-.

كان من أبرز وجوه نشاط هذه الجمعية منذ تأسست الطلب الدائم إلى وزارة المعارف للعناية بالدروس الدينية ، وجعل الامتحان فيهاإجباريًّا ، وسلكت الجمعية في ذلك شتى المسالك ، ولم تألجهدًا في نصيحة أولي الأمر ، وتذكيرهم بما يترتب على ذلك من المصالح للحكومة والطلاب وأولياء أمورهم وللوطن كافة[١].

١٢ – **"معهد حماة الشرعي"** : تتابع على الدراسة والتدريس فيه علماء ومشايخ (حماة) كالشيخ "محمد الحامد" و"خالد الشقفة" ، وكان له ولعلمائه دور بارز في نصرة مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المدينة التي يسكنها "الإسماعيلية" ، وهي مركزهم الرئيسي في سوريا[٢].

١٣ – **"معهد التوجيه الإسلامي"** : أشرف عليه الشيخ "حسن حبنكة الميداني" ، وتولى التدريس فيه نخبة من علماء ومشايخ (دمشق) كالشيخ "عبد القادر صادق بركة"[٣]، وقد خرج المعهد أعدادًا كثيرةً من الطلاب ، وقامت على إثر تأسيسه حركة علمية استقطبت جماعة واعية من الشبان نفع الله تعالى بهم البلاد[٤].

١٤ – **"جمعية الميدان الخيرية"** وتولى رئاستها الشيخ "محمد بن أمين الرفاعي"[٥].

١٥ – **"جمعية إسعاف طلاب العلوم الإسلامية"** : أسسها لفيف من وجهاء (دمشق)

---

(١) من الشواهد على هذا ما كتبه رئيسها الشيخ " محمود ياسين" في مجلة الفتح ، العدد(٤٤٧) السنة التاسعة ، بتاريخ (١٣٤٥/٢/٢٧هـ = ١٩٢٦/٩/٥م) ، (ص(١١٤٤- ١١٤٥) ، تحت عنوان: (كتاب مفتوح إلى وزارة المعارف في الجمهورية السورية)

(٢) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٥٩/١)

(٣) عبد القادر صادق بركة : فقيه ، لغوي ، أصولي ، من مواليد (دمشق) ، كان له نشاط في جامع جامع باب (المصلى) وجامع (منجك) ، توفي سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) انظر : محمد خير يوسف ، مصدر سابق ، (٣١١/١)

(٤) انظر : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص١١٩)

(٥) **هو** : محمد بن أمين الرفاعي . من مواليد (دمشق) ، تولى إمامة جامع (الدقاق) ثم جامع (الثريا) في حي (الميدان) ، عمل في (اتحاد الجمعيات الخيرية) ، وصار رئيسًا له بضع سنوات ،كان أستاذًا للشيخ "حبنكة الميداني" وسببًا في هدايته، توفي سنة (١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٢٦/٢)

وتجارها وعلمائها ، منهم الشيخ "عبد الرحمن الطباع"[١] الذي ترأس مجلس إدارتها ، والشيخ "محمد بدر الدين عابدين"[٢]، ولما كان الشيخ "عابدين" - رحمه الله- متقدًا للغة التركية وجّه نشاطه للطلاب والحجاج المغتربين القادمين من تركيا ويوغسلافيا والمقيمين منهم في (دمشق) ، وأخذ يعلمهم أمور دينهم حتى تخرج كثير منهم ، ونفع الله تعالى بهم بلادهم وبلاد الإسلام كالشيخ"عبد القادر الأرناؤوط"[٣] ، وكانت نهضة علمية مباركة[٤] ، وألحق الشيخ "عابدين" بالجمعية معهدًا حمل مسماها تولى إدارته الشيخ "فخر الدين الحسني"[٥].

١٦ – **"جمعية الفرقان"** : وكان مقرها في حي (الميدان) بـ(دمشق) ، وتعاون على تأسيسها علماء دمشق ووجهاؤها وتجارها ، ومن أبرزهم الشيخ "محمد بدر الدين عابدين"[٦].

---

(١) **هو** : عبد الرحمن بن شكري بن أنيس الطباع . من أهالي (دمشق) ، تولى (وزارة الأوقاف) في سوريا ، وكانت له جهود في تشييد المساجد والعناية بها ، وإنشاء المعاهد الشرعية التابعة للأوقاف ، توفي سنة (١٤٠٢هـ-١٩٨١م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (٩٠/٢)

(٢) **هو** : محمد بدر الدين عابدين . فقيه ، واعظ ، تربوي ، من مواليد (دمشق) ، درس علوم الدين على كبار علماء الشام ، كانت له دروس في (الجامع الأموي) وغيره ، توفي سنة (١٤٠٢هـ-١٩٨١م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٣١/٢)

(٣) **هو** : عبد القادر الأرناؤوط قدري بن صوقل بن عبدول بلاكاي . المشهور بعبد القادر الأرناؤوط، عالم ، محدث ، فقيه ، محقق، ولد في (كوسوفو) ، هاجر هو وأبوه فرارًا بدينهما إلى (دمشق) ، وقرأ على علمائها ، كان سلفي المعتقد ، انصرف لخدمة السنة وتحقيق مصنفاتها، توفي سنة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (١٢٦/٢)

(٤) انظر ترجمته عند : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٣٤٢)

(٥) **هو** : فخر الدين بن إبراهيم عصام الدين بن محمد بدر الدين الحسني . حفيد محدث الشام ، من مواليد (دمشق) ، تولى إدارة دائرة الإفتاء العام والتدريس الديني ،كان عضوًا في المجلس الإسلامي الأعلى ومجلس الأوقاف المحلي ومجلس الإفتاء الأعلى ، توفي سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٣٠٩)

(٦) انظر : محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٣١/٢)

١٧ – **"المعهدان الشرعيان للوافدين من أبناء العالم الإسلامي"** : أسسه وأشرف عليه الشيخ "محمد بدر الدين عابدين" ، واستمر الشيخ رئيسًا لهما حتى أقعده المرض ، وكان للمعهدين أثر كبير في دعم النهضة العلمية داخل الشام وخارجها[١].

١٨ – **"الجمعية الخيرية في حرستا"** – قرب (دمشق)- أسسها الشيخ "محمد بن ديب عوض"[٢] وأقرأ طلاب العلم فيها القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه[٣]

١٩ – **"معاهد جمعية الفتح الإسلامية الخيرية"** : وكان قد تولى عمادتها الشيخ "صالح فرفور" بعد عودته من لبنان ، وأنشأ فيها معهدًا للذكور وآخر للإناث ، وخرجت كثيرًا من الدعاة والعلماء ، ولم يزل مشرفًا عليها حتى توفي -رحمه الله-[٤]

٢٠ – **"معاهد العلوم الشرعية . وكانت مقرّاتها في : جامع (تنكز) و (الشميساتية) بحي (الكلاسة) وجامع (العداس) بـ(القنوات) ، وجامع (التكية السليمانية) "** : أسسها جمع من علماء ومشايخ (دمشق) كالشيخ "بدر الدين الحسني" ، والشيخ "محمد علي الدقر" ، والشيخ "محمد عبدالله الخطيب" - عليهم رحمة الله تعالى- وكان الشيخ "حسن حبنكة الميداني" -رحمه الله - عهد إليه بالإشراف على المعهد الشرعي في جامع (تنكز)[٥]

وكان من ثمرات هذه المعاهد الشرعية تخريج علماء مصلحين من خيرة الدعاة إلى الله في بلاد الشام[٦].

---

(١) المصدر نفسه (١٣١/٢)

(٢) **هو** : محمد بن ديب عوض . عالم ، خطيب ، ولد في (حرستا) قرب (دمشق) ، من خريجي (معهد التوجيه الإسلامي) ،كان عفيفًا زاهدًا دائب العمل ، أقرأ القرآن والحديث ،توفي سنة (١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٥٢/٢)

(٣) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (٢/ ١٥٢)

(٤) المصدر نفسه ، (١٧٠/٢) ،وأيضًا: : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق سابق ، (ص٣٧١)

(٥) انظر : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص١١٩)

(٦) محمد خير يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (١٩٠/٢)

٢١- **"جمعية التهذيب والتعليم بدمشق"** : رأسها الشيخ "محمد هبة الله الخطيب"[١].

٢٢- **"معهد جمعية إسعاف العلوم الشرعية"** : أشرف عليه رئيس الجمعية الشيخ "محمد بدر الدين عابدين"وخرّج كثيرًا من الطلاب المغتربين[٢].

٢٣- **"جمعية التعاون الإسلامى"**

٢٤- **"جمعية أعمال البر الخيرية"**

٢٥- **"جمعية البر والأخلاق فى حلب"** : أسست في مطلع عام (١٩٣١م – ١٣٤٩هـ) ، رأسها الشيخ "محمد راغب الطباخ"[٣] -رحمه الله- وتولى أمانة سرها في بعض فتراتها الحقوقي "محمد معروف الدواليبي" ، وكان من أهدافها تثبيت العقيدة الإسلامية وتقويتها في نفوس المسلمين ، والعمل بأحكام الكتاب والسنة .

٢٦- **"جمعية الأيتام الإسلامية بحلب"** : من مؤسسيها الشيخ "محمد عبد الله الشامي "[٤].

٢٧- **"جمعية النهضة الخيرية لنشر العلوم الدينية"** : تولى رئاستها الشيخ "أحمد بن صالح الشامي"[٥].

---

(١) **هو** : محمد هبة الله الخطيب . عالم ، خطيب ، من أعلام (دمشق) ، نشأ في أسرة علمية معروفة ، شارك في تأسيس جمعيات متعددة كما تولى خطابة (الجامع الأموي) ثمانية وأربعين عامًا ، توفي سنة (١٤٠٧هـ -١٩٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مصدر سابق، (٢٣٣/٢)

(٢) انظر : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٣٤٢)

(٣) **هو** : محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي . مولده ووفاته بها ، من كبار الفضلاء ، تعلم وتأدب ، وأنشأ مطبعة علمية ،ودرَّس في الكلية الشرعية بـ(حلب) ،واختير مديرًا لها ، توفي سنة (١٣٧٠هـ-١٩٥١م)

يُنظَر في ترجمته :خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مصدر سابق ، (١٢٣/٦)

(٤) **هو** : محمد عبد الله الشامي . من مواليد مدينة (الباب) بـ(حلب) تعلم بها ، وسافر لـ(القاهرة) وتخرج في كلية (الأزهر الشرعية) ، عرف بنشاطه الخيري ، شارك في تأسيس جمعيات ومشاريع خيرية ،عمل معلمًا وخطيبًا ومفتيًا ، توفي سنة (١٤٠٠هـ -١٩٨٠م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير يوسف ، المستدرك على تتمة الأعلام ، مصدر سابق ، (٢٥٤/٣)

(٥) **هو** : أحمد بن صالح بن محمد أديب بوبس . مفتي الحنابلة ، ولد بـ(دومة) قرب (دمشق) ، تتلمذ على علماء (دمشق) ، عرف بالاستقامة وكرم السجايا وقضاء حوائج الناس ، توفي سنة =

٢٨- **"الجمعية الخيرية بـ(معرّة النعمان)** " : أنشأها الداعية "أحمد مصطفى الحصري"[١] ، وأسس فيها معهد الإمام النووي الشرعي سنة (١٣٨٢هـ-١٩٦٢م) ، ولا يزال قائمًا إلى اليوم ، وله أثر كبير في البلدة .

٢٩- **"جمعية المساعدة الخيرية بدمشق"** : تولى رئاستها الشيخ "أنور بن محمد سليم "[٢]، وألحق بها دارًا للعجزة في حي (العمارة) بـ(دمشق) .

٣٠- **"جمعية المقاصد الإسلامية ببيروت"** : وقد تولى التدريس في مدارسها نخبة من علماء الشام ممن كانوا على طريقة السلف ، كالشيخ "محمد بهجت البيطار" والشيخ "محمد سعدي الصباغ"[٣] كما عمل فيها الطبيب الأديب "مصطفى الخالدي"[٤].

٣١- **"الكلية الشرعية في جامعة دمشق" :** أسسها الشيخ "مصطفى السباعي"- رحمه الله- سنة (١٩٥٥م – ١٣٧٤هـ) ، وأقيم لها احتفال رسمي برعاية رئيس الجمهورية حضره رئيس المجلس النيابي ورئيس الحكومة والوزراء والسفراء

=

(١٤١٤هـ- ١٩٩٣م)

يُنظَر في ترجمه : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤١)

(١) **هو** : أحمد بن مصطفى الحصري داعية مربٍّ ، ولد بـ(معرة النعمان) شمال (حماة) ، تعلم بالمدرسة (الخسروية الشرعية) بـ(حلب) ، تولى الإمامة والخطابة والتدريس بـ(الجامع الكبير) في بلدته ، توفي سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٥٤)

(٢)**هو** : أنور بن محمد سليم بن عبد القادر سلطان .عالم مربّ ، نال العالمية من كلية (أصول الدين) في الأزهر ، تعلم على يد علماء الشام ومصر ، عرف بالعطف على الفقراء وبذل الندى، له مشاركات في الإذاعة والتلفاز السورية ، توفي سنة (١٤٠١هـ-١٩٨١م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٧٤)

(٣) **هو** : محمد سعدي بن أسعد بن عبد المجيد ياسين المشهور بالصباغ . من مواليد (دمشق) ، عالم فاضل ، درس في جمعيات وكليات شرعية ، داخل (دمشق) وخارجها ،كلفته الحكومة السعودية بالإشراف على طلابها الموفدين إلى الجامعة الأمريكية بـ(بيروت) ، توفي سنة (١٣٩٦هـ-١٩٧٦م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٣٦٣)

(٤) انظر : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٣٨)

والعلماء وأساتذة الجامعة[١]، وكان ممّن درّس بها من علماء الشام وفضلائها الشيخ "بهجت البيطار" والشيخ "علي مصطفى الطنطاوي" والشيخ "محمد بن توفيق الشماع"[٢]، والشيخ "محمود الرنكوسي"[٣] ، والشيخ "مصطفى الزرقا" ، والحقوقي "معروف الدواليبي" ، كما ساهم في تأسيسها الشيخ"محمد أبو اليسر عابدين"[٤] - رحمهم الله تعالى- .

٣٢- **"الكلية الشرعية التابعة لجمعية العلماء"** : تولى التدريس فيها نخبة من علماء الشام من أمثال الشيخ "محمد بن توفيق الشماع" .

٣٣- **"جمعية النهضة الإسلامية بدمشق"** : أسسها الشيخ "محمد بن توفيق الشماع"[٥]

٣٤- **"الكلية الشرعية الإسلامية في بيروت"** : وتسمى (أزهر لبنان) ،ودرّس فيها من علماء الشام[٦] الشيخ "محمد سعدي الصباغ" ، ومفتي لبنان الشيخ "حسن خالد" ، والشيخ "صالح فرفور" ، والشيخ "نافع الشامي"[٧] ، والشيخ "علي الطنطاوي" .

٣٥- **"جمعية العلماء"** :أُنشئت سنة (١٣٥٦هـ - ١٩٣٧م) ، أسسها جمع من علماء (دمشق) ودعاتها منهم الشيخ "محمد كامل القصاب"- الذي تولى رئاستها- والشيخ "صالح فرفور" ، والشيخ" كامل القصار"[٨] - الذي شارك في إدارتها - وكان

---

(١) جريدة الشهاب ، السنة الأولى ، العدد (٦) ، تاريخ (١٣٧٤/١٠/٤هـ = ١٩٥٥/٥/٢٥م)

(٢) **هو** : محمد بن توفيق الشماع قاضٍ ، فقيه ، من مواليد (دمشق) ، طلب العلم على كبار شيوخ الشام ، وتولى القضاء في مختلف المدن السورية ، وتدرج في المناصب القضائية ، شارك في العديد من المؤتمرات الفقهية والقانونية ، توفي سنة (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٣٤٧)

(٣) ستأتي ترجمته بعد قليل .

(٤) نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٢١)

(٥) المصدر نفسه ، (ص٣٤٧)

(٦) المصدر نفسه ، (ص١١٣ ، ٣٦٣ ، ٣٧١ ، ٤٥٦)

(٧) **هو** : نافع بن عبد الكريم بن مصطفى الشامي مربٍّ ، داعية ، من مواليد مدينة (إدلب) في سوريا، برز في العمل الاجتماعي والسياسي ، كان سلفي المعتقد ، توفي سنة (١٤١١هـ- ١٩٩١م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٥٦)

(٨) **هو** : محمد كامل بن عمر القصار . من علماء (دمشق) ، ولد فيها ، لازم حلقات الشيخ ⇦=

وكان أبرز ما قامت به الجمعية حين أنشأت الحيلولة دون إلغاء القضاء الشرعي تدريجيًّا ، ومعارضةحلّ الأوقاف الأهلية[1].

٣٦- **"رابطة علماء فلسطين"** :أسسها جمع من علماء فلسطين منهم الشيخ "جمال سليم إبراهيم"[2] الذي تولى منصب نيابة الرئيس فيها .

٣٧- **"جمعية حي الزاهرة الخيرية بدمشق"** : أسسها الشيخ "محمد الفرا"[3]، وتولى رئاستها خمسًا وثلاثينسنةً ، ونبغ من طلابها أناس اشتهروا ، حيث أقام الشيخ نهضة علمية بتدريس العلوم الشرعية وتحفيظ القرآن الكريم للطلاب والطالبات.

٣٨- **"المدرسة الشرعية في منبج"** : من مؤسسيها الشيخ "محمد كامل بن بدر الدين الحسني"[4] .

٣٩- **"جمعية الدعوة السلفية للصراط المستقيم"** : أسسها الشيخ "محمد نسيب الرفاعي"[5].

=

"محمود ياسين" ، شارك في تأسيس الجمعيات الإسلامية ، توفي سنة (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٠٣)

(١) انظر : مجلة الفتح ، العدد (٦٣٧) السنة الثالثة عشر ، تاريخ (١٣٥٧/١١/٢٨هـ = ١٩٣٩/١/١٩م)، مقالة الشيخ مصطفى السباعي .

(٢) **هو** : جمال سليم إبراهيم . ولد بـ(نابلس) ، وتعلم بها ،كان نشيطًا في لجنة التوعية الإسلامية في بلدته ،وقائدًا بارزًا في (حماس) ، توفي سنة (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (٤٦/٢)

(٣) **هو** : محمد الفرا . من علماء (دمشق) ، ولد بها ،نشأ يتيمًا ، والتحق في صباه بحلقات الشيخ "حسن حبنكة الميداني" ، وبرع حتى أقرأ في المساجد وفي معهد (التوجيه الإسلامي) ، توفي سنة (١٤١٨هـ-١٩٩٨م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام، مصدر سابق ، (ص٣٩٨)

(٤) **هو** : محمد كامل بن بدر الدين الحسني . أحد العلماء ، من مواليد (منبج) ، انتقل إلى (حلب) وأخذ عن علمائها ، وتعلم بمدرستها (الخسروية) وتخرج في الكلية الشرعية ، عمل في الأوقاف والتدريس ، توفي سنة (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٠٣)

(٥) **هو** : محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محي الدين الرفاعي . من علماء (حلب) ، تعلم بها وتتلمذ على علمائها وعلماء (دمشق) ، ترك التصوف والطريقة الرفاعية ، ولزم طريقة السلف ، =

٤٠- **"المعهد الشرعي في حمص"** : أسسه جمع من علماء (دمشق) ، منهم الشيخ "محمود بن محمد جنيد الكعكة"[١].

٤١- **"جمعية دار الحديث بدمشق"** : نشأت سنة (١٩٥٢م = ١٣٧١هـ) ، ورأسها مشاركةً الشيخ "محمود بن قاسم الرنكوسي"[٢]، وكانت لها مدرسة في (العصرونية) ، وساهم في تأسيسها لفيف من علماء (دمشق) منهم الشيخ "مصطفى الصواف"[٣] الذي تولى أمانة سرها ، وأشرف على توسعة أنشطتها ، وسعى لضم مدرستها إلى وزارة التربية ، وأنشأ سكنًا داخليًّا للطلاب فيها إلى أن توفي – رحمه الله- [٤]

٤٢- **"مدرسة الفتح الإسلامي في مدينة (إدلب) قرب دمشق"** : أسسها الشيخ "نافع الشامي"، وكانت الأولى من نوعها في منطقته[٥].

٤٣- **"جمعية البر والخدمات الاجتماعية في حوران"** : رأسها الشيخ "عبد العزيز أبا زيد"[٦].

=

توفي سنة (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤١٧)

(١) **هو** : محمود بن محمد جنيد الكعكة الشافعي . من فقهاء (حمص) وواعظيها ، برع في الفقه حتى كان مرجعًا في الفقهين الشافعي والحنفي ، توفي سنة (١٤١٤هـ-١٩٩٣م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق (ص٤٣١)

(٢) **هو** : محمود بن قاسم بعيون المعروف بالرنكوسي . عالم ،مربّ ، ولد في (رنكوس) قرب (دمشق) ، تعلم على كبار علماء (دمشق) ، توفي سنة (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٣٠)

(٣) **هو** : مصطفى بن محمد عيد بن مصطفى الصواف . ولد وتعلم بـ(دمشق) ، وهو من علمائها وأجلائها ، طلب العلم على يد كبار علماء (دمشق) ، توفي سنة (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (١٦٨/٢)

(٤) المصدر نفسه (١٦٨/٢)

(٥) انظر : نزار أباظة ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (ص٤٥٦)

(٦) **هو** : عبد العزيز أبا زيد . مفتي (درعا) ، من مواليدها ، تعلم بها ،ورحل لـ(دمشق) طالبًا للعلم ،وعاد معلمًا للنلس وداعيةً ، توفي سنة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (٩٣/٢)

٤٤- **"جمعية التعليم الشرعي" و"مدرسة التعليم الشرعي"** : أسسها الشيخ "عبد الله سراج الدين"[١]، وكان من أبرز أهدافها رعاية أسر العلماء وطلاب العلم .

٤٥- **"المعهد العربي بدمشق"** : أسسته الحركة الإسلامية في سوريا على إثر حوادث العدوان الفرنسي ، وقد انضم إليه فيما بعد (مدرسة التمدن الإسلامي) ، بناءً على اتفاق بين القائمين على المعهد والمدرسة ، وأصبح اسم المعهد بعد الاتفاق (المعهد العربي الإسلامي) ، وكانت له فروع مماثلة في (درعا) و(حمص) و(إدلب) و(حلب) ، وتشمل الدراسة فيه مراحل التعليم الأساسي كافة[٢].

رابعًا : العمل الإسلامي في لبنان :

٤٦- **"الجماعة الإسلامية في لبنان"** : تعتبر الجماعة الإسلامية في لبنان واحدةً من القوى السياسية الرئيسة في البلاد ، وتتمتع بحضور شعبيٍّ وجماهيريٍّ في معظم مناطق لبنان ، وتنتمي إلى حركة "الإخوان المسلمين" .

نشأت الجماعة الإسلامية أوائل الستينات ، بعد أن استقلت عن جماعة "عباد الرحمن" ، وكان مركزها (طرابلس) حيث نالت الجماعة موافقة وزارة الداخلية على تأسيسها ، وفق القانون الأساسي ، والنظام المقدم إليها في (١٩٦٤/٦/١٨م = ١٣٨٤/٢/٨هـ)

الجدير ذِكره هنا : أن هذه الجماعة كان أعضاؤها يشاركون بمواقفهم السياسية من الصراع الداخلي اللبناني ، والقضايا الإقليمية ؛ كالموقف من (الوحدة العربية) و(حلف بغداد) و(الصراع العربي الإسرائيلي) .وأصدروا نشراتٍ غير رسميّة ؛ مثل : مجلّتَيْ (الفجر – عام ١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) و (الثائر –عام ١٩٥٨م – ١٣٧٧هـ) وعندما اندلعت أحداث (١٩٥٨م – ١٣٧٧هـ) وطاحبها من فرْزٍ وطنيٍّ وطائفي ؛ كان لهم موقع سياسيٌّ وعسكري واضح، فأنشؤوا في (طرابلس) معسكرًا للتدريب ، ومحطةً إذاعيّة ، أُطلِق عليها (صوت لبنان الحر)

تولّى رئاسة الجماعة : الشيخ "فتحي يكن"[٣] ، إضافةً إلى بقية المؤسسين ؛

---

(١) **هو** : عبد الله بن محمد نجيب سراج الدين . ولد في (حلب) ، وتعلم بها ، وأتم تحصيله على والده ، من كبار العلماء الصلحاء ، انصرف للتدريس في المساجد والمدارس الشرعية ، توفي سنة (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مصدر سابق ، (١٠٣/٢)

(٢) مصطفى السباعي ، دروس في دعوة الإخوان المسلمين ، منشورات قسم الطلاب ،(دمشق) ، (١٩٥٥م) ، (ص١٥٤)

(٣) **هو** : فتحي محمد عناية . المعروف بـ"فتحي يكن" . من مواليد (طرابلس) ، تعود أصوله لتركيا . سياسي ، عالِم ، من مؤسسي جماعة (عباد الرحمن) ثم (الجماعة الإسلامية) وتولى أمانتها العامة قبل أن يشكّل (جبهة العمل الإسلامي)انتُخِب عضوًا في مجلس النواب ، سنة =

منهم: القاضي المستشار "فيصل مولوي" – الأمين العام ، ونائب رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء - ، و "إبراهيم المصري" – نائب الأمين العام - .

أبرز أهداف الجماعة ؛ كما توضحها نشراتهم :

أ -تبليغ دعوة الإسلام إلى الناس ؛ نقيةً ، صافيةً ، متصلةً بالعصر ومشكلاته .

ب – تنظيم الذين استجابوا للدعوة إلى الإسلام ، وتثقيفهم به ، وتأهيلهم ليكونوا الطليعة .

ج –مواجهة تحدّي الحضارة الغربية .

د – السعي لبناء مجتمع جديد ، يكون الإسلام فيه هو الميزان بتصرّفات الأفراد .

هـ - السعي لجمْع شمْل المذاهب الإسلامية ؛ بالرجوع إلى الأصول الإسلامية[1] .

يتولّى أمانة الجماعة اليوم "فيصل مولوي" ، الذي عهد إلى "إبراهيم المصري" بمتابعة سير العمل فيها ؛ بسبب ظروفه الصحية الشديدة ، بعد أن استقلّ الشيخ "فتحي يكن" عنها ؛ بتكوينه (جبهة العمل الإسلامي) في عام (٢٠٠٦م – ١٤٢٧هـ) قبل أن يموت – عليه رحمة الله - .

٤٧- **"جامعة الإمام الأوزاعي بلبنان"** أُنشئت تلبيةً لحاجة العالم الإسلامي إلى كليات تُعنى بتطبيق الإسلام في مختلف نواحي الحياة . وتُعنى بتدريس الإسلام ، ودراسته من النواحي المختلفة :عقيدةً ، وفقهًا ، وشريعةً . كما تهتم بتكوين الدعاة ، وانتشارهم جغرافيًّا ، وتنوُّعهم لغةً ، وجنسًا . وهي الجامعة الوحيدة التي تمنح شهادات (البكالوريوس) و (الماجستير) و (الدكتوراه) المعترف بها في لبنان .

باشرت الجامعة مهمتها في عام (١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م) تحت اسم (كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية) وفي تاريخ (١٩٨٦/١٠/١٥م = ١٤٠٧/٢/١٢هـ)

=

(١٩٩٢م – ١٤١٢هـ) له عدة مؤلفات . توفي سنة (١٤٣٠هـ - ٢٠١٠م)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(١) يُنظَر : موقع الجماعة الإسلامية على الشبكة العنكبوتية .

صدر المرسوم برقم (٣٤٨٤) الذي اعترف بإنشاء الجامعة[١].

٤٨- **"جماعة عباد الرحمن"** :مؤسسة إسلامية ، أُنشئت عام (١٩٤٩م – ١٣٦٨هـ) في (بيروت) على يد الداعية "محمد عمر الداعوق"[٢] ، وأخذت على عاتقها الرسالة الآتية :

* تذكير المسلمين ، وتوعيتهم عن طريق المحاضرات ، والنشرات ، والدروس ، بالوسائل السمعية والبصرية .

* الاهتمام بالمجتمع المسلم ، وتأمين ما أمكن من خدمات الزكاة ، وتشجيع التعاطُف بين الأغنياء والفقراء .

*تربية جيلٍ صالحٍ من الشباب يؤمن بالقيم الدينية ، ويسعى لاتخاذها سبيلاً للحياة ، بعيدًا عن العصبية ، والطائفية[٣].

والملاحظ أن هذه الجمعيات قامت دفاعًا عن القيم والأخلاق ،وحفاظًا على هوية البلاد الإسلامية ، وتصديًا لِحُمَّى التغريب التي طالت بلاد الشام خلال هذا القرن ، كما أنها تتشابه في أهدافها ، وأساليب عملها ، وتتعاون فيما بينها ، فلا غرابة أن تجد بعض قادتها البارزين أعضاء في الوقت نفسه في جمعيات أخرى .

---

(١)للتوسُّع ؛ يُنظَر : موقع الجامعة على الشبكة العنكبوتية .

(٢) **هو** : مؤسس (جماعة عباد الرحمن) في لبنان .وُلد لعائلة بيروتية مشهورة ، انتهى به تحصيله العلمي إلى مهنة (مهندس)حتى عُرف بذلك أَلمّ بجانبٍ من العلوم الدينية ، وثقّف نفسه . توجّه إلى فلسطين للعمل هناك ، وأقام عدة سنوات ، وتزوّج فيها . عاد إلى لبنان سنة (١٩٤٧م – ١٣٦٦هـ) عندما لاحت كارثة (حرب فلسطين)وكان له نشاطٌ بارزٌ في التوعية والتدريس أسّس مع نفرٍ من إخوانه في (بيروت) (جماعة عباد الرحمن) وحصل على ترخيص رسمي . انتقل بعد ذلك إلى (الشارقة)مدرسًا وموجّهًا عبر وسائل الإعلام . توفي في (١٤٢٧/٢/٢٦هـ = ٢٠٠٦/٣/٢٦م)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٣) يُنظَر : نبذة عن الجماعة في الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

المطلب الثالث : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان التعليمي ووسائلها :

تعتبر بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري حلبة صراع بين أهل الإسلام من جهة ، وبين المستعمرين وأذيالهم الذين تربوا على أعينهم من جهة أخرى ، وظهر واضحًا رغبة المحتل في تغيير شامل للبلاد وأهلها ينتهي إلى الولاء له ، والبراء من كل علائق الدين وثوابته ، ويبقى الإسلامشعارًاظاهرًا لا أثر له ولا معنى .

وكان من أبرز الميادين التي بدأ بها المستعمر وأحفاده لتغيير الهوية الإسلامية وحربها في الشام ميدان التعليم كما سبق .

أولاً : في سوريا :

بالرغم من سطوة الاستعمار ، وسلطة النظام السياسي المتعاقب في بلاد الشام إلا أن جهود المدافعة كانت بارزة على الساحة هناك ، وكانت المعركة حامية الوطيس ، وكانتطولاً بين الفريقين ، وكان الشيخ "علي الطنطاوي" من أبرز المدافعين في هذا الميدان ، وأكثرهمضالاً بقلمه ولسانه ويده ، ولقد أفردته بالعنايةخصوصًا ، وسطرت من مواقفه أبرزها ، ومن ذلك :

أ - كان الفرنسيون وافقوا على وضع قانون خاص تمتاز به عشائر البدو في بلاد الشام سوى القانون العام في سائر البلاد ، حيث ثبتوا فيه تقاليدهم ، وكان الحكام من أنفسهم ، ولم يكن هذا الصنيعحبًّا لهم ، ولكنها عادة المستعمرين من تفريق الأمة الواحدة وتمزيق الدولة إلى دويلات ، وكان من عشائر البدو المشهورة وقبائلها في هذه الفترة قبيلة (الرولة)[1] وهم فرع من عَنَزَة ،وعَنَزَة بن أسد من ربيعة ، وكان شيخ مشايخ (الرولة) "نوري الشعلان"[2]، وأذيع بين القبائل أن مندوب المفوض السامي "المسير سولومياك" سيحضر إحدى مؤتمرات العشائر ، وسيشرف الجميع باستقباله ، وكانت بادية الشام ترتج استعدادًا للحفاوة بالمستعمر ، فزينت دار الحكومة في (سَلَمْية) ورفعت على المنازل والأسواق الأعلامودرِّب الطلاب في المدارس ،والشبابُ على التحية والسلام[3].

أعلن أن المندوب سيزور مدرسة (سلمية) الابتدائية فخرج مديرها وأساتذتها كلهم وصف التلاميذ لاستقباله ، وكان الشيخ "علي الطنطاوي" يدرس طلابه مواد

---

(١) يدعونها سكان شمال المملكة ونجدها هكذا (وُلَة) بسكون الراء وفتح الواو ،خلافًا للصحيح في لغة العرب إذ إنهم لا يبدؤون بساكن ولا يقفون على متحرك إلا في ضرورة الشعر .

(٢) نوري بن هزاع بن نايف الشعلان . من دهاة العرب ، اغتال شقيقين له في شبابه لينفرد بالحكم ، فانقادت له قبائل (الرولة) توفي سنة (١٣٦١هـ -١٩٤٢م)

يُنظر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٥٣/٨)

(٣) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ /٢٥١- ٢٥٢)

الكتابة والخطابة والتاريخ ، نصحه المدير أن يخرج بنفسه وبطلابه وحذره من مغبة الإعراض عن المناسبة ، فلم يخرج ولم يدع طلابه يخرجون ، ويقي معهم في (الصف) فدخل عليه المندوب ومعه (قائم المقام) وكبار الموظفين وهو يشرح الدرس للطلاب ، وكان عنوانه أو جعل عنوانه (أسباب الثورة الفرنسية) وتحدث عن حقوق الشعب ومن تعدى على حقوقه وسلب أرضه وحريته ، وقال كلامًا لا يختلف إطلاقًا عما كانت تردده الثورات والمظاهرات ، وكان يترجم أحدهم للمندوب همسًا ، وطال وقوفه لكنه لم يقل شيئًا وأشار أن يستمر وخرج ، وقد كان لهذا الموقف أثره في البلد حتى صار حديث الناس ، وترجم ما كانت تكنه نفوسهم من الغيرة على الدين وحب العيش تحت ظلال الإسلام والكراهية للاستعمار[1].

ب - كان من عادة الناس في بلاد الشام إحياء ذكرى المشاهد التاريخية ، وإقامة المناسبات الدينية -كما يزعمون- كذكرى المولد النبوي والهجرة النبوية وغزوة بدر وفتح مكة ونحوها .

وتلقى في تلك الليالي والأيام الخطب والمواعظ ، وتقام الاحتفالات والمحاضرات داخل المدارس والمساجد ، وصارت كل مدرسة تقيم حفلة مستقلة ، وكان من ضمن تلك المدارس (مكتب عنبر) فاجتمع طلاب الصفوف العليا فيه بحضور أساتذة المكتب ، وكان منهم الشيخ "علي الطنطاوي" ، والشيخ "محمد بهجت البيطار" ، و"عز الدين التنوخي" ، و"ميشيل عفلق" ، ولم يكن حينئذ دعا بدعوته الجاهلية لكنه كتب خطبة ألقاها عنه "نظيم الموصلي" - أحد مدرسي المكتب - تضمنت تعظيمًا للرسول ﷺ وذكرًا لشمائله غير أنه تكلم عنه كما يتكلم عن عظيم من عظماء غير المسلمين ، ما ذكر الرسالة ولا أشار إلى النبوة فكأنه تكلم عن عظمته البشرية فقط ، فنظر الشيخ علي الطنطاوي إلى الحاضرَيْن : "البيطار" و"التنوخي" فانكرا بنظراتهما وبإشارة خفية من أيديهما ، لكنهما لم يتكلما ، فما كان من الشيخ "الطنطاوي" إلا أن وضع كفيه على طرف المسرح الذي يخطبون عليه وقفز حتى علاه وأخذ بعنق ثوب الخطيب فجذبه ورمى به من فوق المسرح فوقع على من في الصف الأول ، واستلم مكبر الصوت ورد عليه حديثه ، وتكلم بما ينبغي لرسول الله ﷺ ، واضطربت الحفلة وهاج الناس وكثر الكلام ، وكتب الطلاب عرائض وقعوها ، كان أكثرهم مؤيدين للشيخ ، وكانت قلة قليلة مؤيدة لـ"ميشيل عفلق" ، وكان مما قال لهم كلمة كادت تكون مثلاً سائرًا على ألسنة الناس : (هذا الذي يدعي العربية ونصرتها والدفاع عنها ، ما فيه من العربية إلا أن اسمه مكتوب في القاموس المحيط باب القاف فصل الفاء) ، ورجع الناس إلى القاموس وعرفوا معنى الكلمة[2].

---

(١) المصدر نفسه ، (٢ / ٢٥٤) بتصرف .

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٤ /١٨٦ – ١٨٨)

واجتمعت الجمعيات الإسلامية كلها ، ونشرت منشورًا واحدًا طبعته ووزعته تأييدًا للشيخ ونصرة لموقفه ، بل اجتمع على التوقيع عليه قوم لم يجتمعوا قبل ذلك على أمر[1].

ج - في إحدى المدارس الثانوية الأهلية في دمشق يقال لها مدرسة (دوحة الأدب) - أنشأها بعض من يدعوهم الناس آنذاك بالزعيمات النسائيات - كان التدريس فيها مختلطًا ، وعزمت المدرسة على إقامة حفلة كبيرة يختار لها أكبر دار في (دمشق) ، وهي دار "أسعد باشا العظم"[2] ، وقد صارت الآن متحفًا للفنون الشعبية ، وبمشاركة كبار المشهورين بالموسيقى ، وحفظ الموشحات ، ومعرفة الغناء القديم في (حلب) ، وبرعاية من أبرز الزعماء الوطنيين الشعبيين في دمشق على رأسهم "رئيس الوزراء" "خالد بك العظم"[3] ، و"فخري البارودي"[4] .

كانت (حلب) مثابة الفن العربي -كما يقولون- وكان مما تغردت به فرع من هذا الفن عنوانه (اسق العطاش) وهو مشهور عند أهل الشام وإن اختلفوا في أصله ، فقيل إن أصله صوفي ، إذ كان الصوفية ينشدونه عندما ينقطع المطر وتجدب الأرض كقولهم :

يا ذا العطا يا ذا الوفا يا ذا الرضا ، يا ذا السخا

اسق العطاش تكرما فالعقل طاش من الظما

وكان مشايخ الصوفية إذا أنشدوا الموشحات وما يماثلها وقفوا وعبروا بدقات أقدامهم على الإيقاع الموسيقي وأشاروا بأيديهم عن حركات النغمة على أسلوب يعرفونه ، يبلغ السوء عند أولى الألباب والفطر السليمة ، وأقبح وأولى بالإنكار ما

---

(١) المصدر نفسه ، (٤ /١٨٨)

(٢) **هو** : أسعد بن إسماعيل بن إبراهيم العظم . صاحب (القصر الأثري) في (دمشق) ، من مواليد (دمشق) ،ولّي (دمشق) من العثمانيين ، مات مقتولاً سنة (١١٧١هـ -١٧٥٧م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ،مرجع سابق ، (٣٠٠/١)

(٣) **هو** : خالد بن محمد فوزي العظم . ولد بـ(دمشق) وتوفي بها ، تولى رئاسة الوزراء غير مرة ، ونال مناصب سياسية أخرى . توفي سنة (١٣٨٤هـ -١٩٦٤م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ،الأعلام ،مرجع سابق، (٢٩٩/٢)

(٤) **هو** : محمد فخري بن محمود البارودي ، سياسي ، عسكري ، صحافي ، شاعر ، من مواليد (دمشق) ، شغل منصب نائب في البرلمان السوري لسنوات عديدة . توفي سنة (١٩٦٦م – ١٣٨٥هـ)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

يسمى عندهم بالذكر وما هو منه ، وكان لـ "فخري البارودي" أثر كبير في هذه المناسبة إذ كان مولعًا بالموسيقى ملاًّ للفن فأراد أن ينقل هذا النوع من الرقص المسمى (رقص السماح) من المشايخ والكهول الصوفية ذوي اللحى إلى الغيد الجميلات والصبايا الفاتنات من بنات مدرسة (دوحة الأدب) ، فجاء من (حلب) بأستاذ كان في معرفة الغناء القديم وحفظ الموشحات مفردًا ، لا يجاريه أحد ولا يدانيه في فسقه إلا شيطانه بين جنبيه يقال له "عمر البطش" ، وحفَّظ الطالبات موشحات كلها عشق وغرام وشوق وهيام ، وكثير منه صيغ ليكون من كلام البنت تخاطب الرجل ، ونقل أنغامها ومقاماتها مما كان ينشده ويرقص عليه الصوفية من تضرع ودعاء .

واستمر التدريب والإعداد في سرية تامة حتى أعلن عن موعدها ومكانها فهب الغيورون يحذرون من إقامتها ، وينقدون ما كشف لهم من أوراقها لكن الحفلة أقيمت ، وحضرها "رئيس الوزراء" يومئذ ، ومعه الزعماء الوطنيون وعلى رأسهم العقيد "أديب الشيشكلي" ، وحضرها قوم من وجوه الناس وكبارهم ، وأذيع خبرها في الإذاعة[1] ، ونشرت تفاصيلها في الجرائد .

يقول الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- حين ارتقى منبر الجمعة بعد هذا الموقف : (لم أكن أنوي التعرض للحفلة لأنني تكلمت فيها وكتبت وحسبت أنني أعذرت بذلك إلى ربي ، ولكني لما بلغت الدعاء في آخر الخطبةخَطَرَت على بالي الحفلة وما كان فيها فخفت من الله أن يراني ساكتًا على إنكارها وأن أكون شيطانًا أخرس ، وأنا لا أرضى لنفسي أن أكون شيطانًا ناطقًا بليغًا ، أفارضى أن أكون شيطانًا أخرس ؟ لما بلغت الدعاء قلتكلامًا صدقوني أنني لا أحفظه ،لم أعدَّه ولم أرصفه ، وإنما تكلم به إيماني على لساني ، قال السامعون لي بعد ذلك إنك قلت ما معناه أن دمشق ظئر الإسلام ومثابة الأخلاق لا ترضى بما يخالف الإسلام ولا بما يذهب مكارم الأخلاق ، كائنًا من كان قائله أو فاعله ، وأن هذه الحفلة منكرة ، وأنها حرام ، وأنها تنافي الإسلام ، وأن كل من حضرها ورضي بها آثم ، وأن الذي لا يغار على محارمه ديوث)[2]

وكان عامة الناس من السوريين مؤيدين للشيخ "علي الطنطاوي" ، وفي مقدمتهم رجالات أهل العلم منهم القاضي الفاضل العالم الشيخ "محمد الأهدل" -رحمه الله- كتب مقالة عنوانها (كلنا علي الطنطاوي) ونشرت الهيئات الإسلامية بيانًا طبعت منه أكثر من مئة ألف نسخة ، ووزعته في أرجاء البلاد عنوانه (بيان الهيئات الإسلامية إلى الشعب الكريم) قالت فيه : (إن الجمعيات الإسلامية وعلماء المسلمين تعلن للحكومة باسم الدين ، وباسم الدستور ، والكثرة الساحقة من هذا الشعب الذي تنكر أديانه على اختلافها ، وتنكر أعرافه وأخلاقه الفسوق والدعارة والتهتك وإقامة الحفلات الراقصة

(١) لم يكن التلفاز في هذه الفترة يعرف في بلاد الشام .

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ١٣١ – ١٤٠) بتصرف .

المتكشفة باسم الفن والذوق والرياضة ، والتي غضبت من الحفلة التي أقامتها مدرسة (دوحة الأدب) ، وعرضت فيها البنات المسلمات راقصات أمام الرجال في شهر رمضان -شهر الطاعة- ، ونحن في مرحلة حرب مع اليهود ، ولا يستنزل نصر الله بمعصية الله .

وتعلن الجمعيات للحكومة أنه قيامًا بواجب الدين الذي يأمر بإنكار المنكر ، وتنفيذًا لأحكام الدستور الذي يحمي الخلق والعفاف ، وذودًا عن عقائدها وأخلاقها لا ترضى بمخالفة شرع الله وشرع العفاف، والسماح للفئة التي تتبع أهواءها وشهواتها باسم دعوى التقدمية والتجديد أن تتحكم بأخلاقها وأعراض بناتها ومستقبل أبنائها ، وتؤيد فضيلة الشيخ "علي الطنطاوي" في كلمة الحق التي أعلنها في مسجد الجامعة ، وعبر فيها عن حكم الدين ، وتنكر كل تحريف لها ، وتطلب وضع حد لمؤازرة بعض رجال الحكومة لهؤلاء الناس ، وحمايتهم للحفلات الماجنة .... الخ .

ثم ذيل هذا البيان بتوقيعات نخبة من أهل العلم في الشام وهم :

رئيس رابطة العلماء "أبو الخير الميداني" .

رئيس جمعية العلماء "كامل القصاب" .

رئيس جمعية الهداية الإسلامية "محمد سعيد الحمزاوي"[1].

نائب رئيس رابطة العلماء "مكي الكتاني" .

رئيس جمعية الأنصار "أحمد كفتارو"[2].

رئيس جمعية التهذيب والتعليم "هاشم الخطيب" .

رئيس جمعية الشعائر الدينية "محمد الرياشي" .

نائب رئيس الجمعية الغراء "أحمد الدقر" .

---

(١) **هو** : محمد سعيد درويش الحمزاوي . من أهالي (دمشق) ، تولى نقابة الأشراف بـ(بلاد الشام) ، شغل عددًا من المجالس الرسمية ، له أبحاث ومقالات ، توفي سنة (١٣٩٨هـ -١٩٧٨م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (٢/ ١٦٠)

(٢) **هو** : أحمد بن محمد أمين بن موسى كفتارو . ولد بـ(دمشق) لأسرة كردية ، تولى الإفتاء العام بسوريا ، من شيوخ (النقشبندية) ،ومن دعاة التقريب بين الأديان ، أنشأ معاهد للتعليم في سوريا، ورأس جمعية (الأنصار) ، وكانت له مشاريع كبيرة ، توفي سنة (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق، (٢٨/٢)

المراقب العام للإخوان المسلمين "مصطفى السباعي" .

رئيس جمعية التمدن الإسلامي "محمد حسن الشطي" -رحم الله الجميع- .

وأصدرت بعض الجمعيات كـ(جمعية الهداية الإسلامية) منشورًا أخر قالت فيه : (لقد حذر فضيلة الشيخ "الطنطاوي" وكثير من العلماء والجمعيات الحكومة من إقامة هذه الحفلة ، ومما ينشأ عنها من أمور هي في غنى عنها وعن عواقبها ، وليس الظرف بالذي يلائم التفكك بين أفراد الشعب الواحد ، أو إثارة مسائل لا يرضى عنها الدين ... إلى أن قالت : وما كان الذي جرى بالأمر الذي يسكت عنه قادة الدين وعلماء المسلمين ، وفي طليعتهم فضيلة قاضي دمشق الشرعي "الطنطاوي" .. الخ .

ولما التقى جمع العلماء برئيس الوزراء لمناصحته قال لهم : أنا أحترم الطنطاوي وأقدره ، ولكني أنكرت عليه لفظًا بذيئًا وصفني به ولا يليق بمثلي هو الديوث ، فصرخ به الشيخ "عبد القادر العاني" وقال له : لقد كفرت وحرمت عليك امرأتك إلا أن تجدد إسلامك ، أتقول عن لفظ استعمله رسول الله ﷺ وورد في الحديث إنه لفظ بذيء ؟ فبهت ولم يجبدً ا من الاعتذار[1].

لم يكن ما ذكرته آخر القصة بل إن القضية تصعدت وأثيرت في المجلس النيابي في جلسة (٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٥١م = ١٣٧٠/٩/٢٢هـ) ووجه المجلس استجوابًا للحكومة موقعًا من نائب دمشق الشيخ "مصطفى السباعي" ، ونائب دمشق أيضًا "محمد المبارك" ، ونواب آخرين ، ونشر في الجريدة الرسمية .

ويمكن أن ألخصه لعلاقته بالبحث ولأهميته في ما يلي :

أولاً : هل ترى الحكومة في هذه الحفلة التي أقيمت في قصر "آل العظم" باسم مدرسة (دوحة الأدب) وبرزت فيها الفتيات في سن الثامنة عشرة والعشرين في رقصات متعددة أمام الجمهور ، وأنشدت أناشيد الهوى والغرام بشكل مثير ، استعملت فيها آيات القرآن في مواطن لا تتفق مع جلالة القرآن وقدسيته ، هل ترى الحكومة في هذا ما يتفق مع نصوص الدستور وبيانها الوزاري ؟

هل ترى الحكومة أن مثل هذه الحفلات يصح أن يقوم بها معهد أنشئ للتعليم والتهذيب ؟ هل ترى الحكومة أنه مما ينسجم مع بيانها الوزاري ومع تعليمات وزارة الداخلية بمنع الاختلاط في الشوارع العامة بين الرجال والنساء في شهر رمضان أن

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ١٤٣)

تسمح بالاختلاط في تلك الحفلة حين كانت السيدات والتلميذات في أتم زينة وأجمل حلية ؟

هل ترى الحكومة في تقديم الشيخ "الطنطاوي" للقضاء احترامًا لحرية الرأي واحترامًا للإسلام الذي نص الدستور على وجوب تمسك الدولة به ؟

انتهت فصول هذه القصة بمحاكمة الشيخ "الطنطاوي" أمام مجلس القضاء الأعلى وخصم عشر راتبه شهرين متعاقبين [1].

ثانيًا : في لبنان :

د - في فترة الاحتلال الأولى أصدرت الوزارة تنظيمًا إداريًا زعمت أنه يحقق الجودة في مدارسها ، ويعين على استقامة النظام فيها ، ينص على أن يتسلم الفصل الواحد معلم واحد ،يدرِّس جميع مواده (الدين - العربي - الرياضيات - الطبيعيات - الرسم - الموسيقى - وكل ما يكلف الطلاب بتلقيه) ، وكان بين المدرسين المسلمين ناس من النصارى ، بل كان من المعلمين المسلمين من لا يعرف عن الإسلام إلا اسمه، وكانت النتيجة أن يكلف تدريس القرآن من لا يؤمن به ، فيهمله وينفق الساعة في درس آخر غير القرآن ، وكلف أحد المدرسين النصارى في (بيروت) بتدريس السيرة وتاريخ الصحابة ، فقام (مفتي بيروت) -آنذاك- الشيخ حسن خالد -رحمه الله- ، فذهب إلى المفوضية وطلب مقابلة المفوض السامي ، فلما دخل عليه رحب به ، وسأل الترجمان عما يريده فقال له : إن عندي شابًا مسلمًا مطلعًا على ديانتكم وعلى تاريخ المسيحية الكنسية يرغب تدريس أبناء النصارى .

عجب المفوض السامي وسأل الترجمان : هل الشيخ يجد أم هو يمزح ؟

فقال الشيخ : إنني أطلب ذلك جادًا ، فقال له المفوض : كيف تريد أن نسلم أبناء النصارى إلى معلم لا يؤمن بدينهم ؟ فقال المفتي : هذا ما جئت من أجله ، جئت لأسأل : كيف ترضون أن نسلم أبناءنا إلى معلم يعلمهم ديننا ، وليس دينه من ديننا ويكفر بما نؤمن به ؟[2]

ومن جهود المدافعة في هذا الميدان في بلاد الشام :

هـ - جاء الفرنسيون إلى الشام وكان أول ما صنعوه في التعليم أن جمعوا العلوم الإسلامية كلها في درس واحد سموه درس الديانة ، ثم جعلوا عنوانه (التربية الدينية) في مقابل (التربية الرياضية) و (التربية الفنية وهي الموسيقى والغناء والرسم) ، وصيروه حصة واحدة في الأسبوع كالذي يعطى للموسيقى والرسم والرياضة ، فما الذي يمكن أن يتلقاه التلميذ في ساعة واحدة من هذه العلوم كلها .

---

(١) القصة مذكورة بطولها في كتاب الشيخ الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ١٣١-١٤٦)

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ٣٣٩)

لِمِلمْ يكن نصيبها من الساعات مثل ما للرياضيات بأقسامها (الحساب - الجبر - المثلثات ... الخ) ، أو الطبيعيات بعلومها كالفيزياء بأنواعها ، والكيمياء بأقسامها ، ولم تزل خطوات العدو تتقدم في ذلك حتى أصدرواقرارًا يقضي بإلغاء دروس الدين وعدم دخولها في امتحانات الطلاب والطالبات ، وكانت النتيجة أن أهمل درس الديانة ، فلماذا يدرسونه والعلم به لا ينفعهم والجهل به لا يضرهم والغاية إنما هي الشهادة .

سعى العلماء في المطالبة بإلغاء هذه القرارات ، وظلوا يخوضون المعركة مستترة غالبًا وظاهرةً أحيانًا ، يراجعون الحكام ، ويكتبون في الصحف ، ويخطبون في المساجد ، ويدعون إلى الإصلاح وضرورة التغيير ، حتى إن منهم من يئس فدعا إلى مقاطعتها وإخراج الأولاد منها ، وفتح مدارس لهم تنشئهم على الدين وما يريده الشعب المسلم الذي ينفق ماله على هذه المدارس(١).

وبفضل الله تعالى ثم بجهود العلماء وعامة الشعب الذين طالبوا الحكومة بإعادة النظر في هذه القرارات زيدت علوم الدين ساعة أخرى في الأسبوع ، وأدخلت في الامتحان السنوي للطلاب والطالبات ، وصرح وزير المعارف بأن الوزارة لا تفكر في تخفيض عدد ساعات الديانة ، بل تبحث زيادة عددها .

ويصور لنا الشيخ "الطنطاوي" -رحمه الله- شدة المعركة والمدافعة بين الفريقين فيقول : (وبقيت المعركة مستمرة ، وكانتسجالاً بيننا وبينهم ، ولكننا نتقدم خطوتين فيؤخروننا بعدهما أربعًا ، نسهر الليل نضع بأيدينا حجرًا على حجر لنقيم الجدار ، فإذا طلع النهار جاء من يحمل المعاول الكبار ليهدم ما بنينا ،وقديمًا قالوا :

متى يبلغ البنيانيومًا تمامه إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟

هذا إذا كان الهادمواحدًا ، ولكننا كنا أمام مئات ، لا يهدمون بأيديهم كما نبني بأيدينا ، ولكنهم يهدمون بالمعاول بل بالبارود والقنابل)(٢).

و - الأنشطة الصيفية :

كانت تقام في فصل الصيف بعد نهاية الدراسة وبداية الإجازة الطلابية أنشطة في بعض المجمعات المدرسية يبادر إليها بعض المشايخ ليقيم للطلاب برامج علمية وثقافية واجتماعية ويعلن عنها في نشرات مطبوعةتعلّق في الأماكن العامة ، وربما أعلن عنها في بعض الصحف ، وإذا لم يتيسر طباعة الإعلان كتب بخط اليد على ورق

(١) أشير هنا إلى أن مدارس التعليم الحكومي كانت تقوم على أموال الشعب وتصرف بأموالهم شؤونها .

(٢) انظر : علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ / ٣٣٨ ، ٣٤٠ ، ٣٥٩ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥)

صقيل ثقيل ، وكانت تسمى (المدرسة الصيفية) ، وكان آباء التلاميذ لا يألفون العطلة الصيفية ، لذا كانوا أو كان أكثرهم يدخلون أولادهم هذه المدارس ليبقوا فيها فترة الصيف ، وربما دفعوا رسوم اشتراك المدرسةحفاظً ا على أبنائهم ، وكان يأتي إليها طلاب المدارس الثانوية الرسمية والأهلية والنصرانية الذين وجهت إليهم الرسائل والدعوات ، وعلقت في مدارسهم المنشورات ، وكان الطلاب يتهافتون على هذه المدارس ، ويتنافسون من أجل الإفادة منها[1].

ز - مناهج التعليم :

لما أوغل الاستعمار الفرنسي في هدم الدين واللغة ، وسلك كل سبيل معلن وخفي من أجل صرف الناس عنهما زاد شره فعمد إلى إصدار قوانين شملت مناهج التعليم والمعلمين ، ومن ذلك أنه عمد إلى علوم الدين (التوحيد والفقه وأصول الفقه والتجويد والتفسير والحديث والمصطلح) فجعلوها درسًا واحدًا سموه (الديانة) ثم أوغلوا في الشر فأعطوه ساعة واحدة في الأسبوع ، ثم زادوا الأمر سوءًا فاستبعدوا دروس (الديانة) من الاختبارات العامة ، بل إنهم صاروا يختارون لها أضعف المعلمين ، ثم ألحقوها بعلوم العربية وجعلوها جزءًا منها ، فضيعت معالم الدين وعلومه ، وصنعوا في العربية قريبًا من هذا فجعلوا النحو والصرف والإملاء والإنشاء مادة واحدة .

وكان قانون الشهادة الابتدائية أن من أخذ نصف درجة من عشر درجات في مادة، وكان مجموع درجاته في المواد كلها فوق النصف (أي أكثر من خمسين في المائة) نجح في الامتحان ، ما لم يكن قد أخذ صفرًا في إحدى المواد ، هذا وهم قد جمعوا علوم الدين كلها في مادة واحدة ، وعلوم العربية كلها في مادة واحدة ، وكانت النتيجة أن ينجح الجاهل بالدين واللغة العربية .

وكان العلماء أهل الحق يطالبون ويناشدون الحكومة بتبديل هذا القانون أو تعديله ويكون ردها : أمهلونا إلى أن ينعقد (مجلس المعارف الكبير) ولم يكن ينعقد إلا نادرًا ، فانبرى لهذا الأمر النكر الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- وكتب في جريدة (فتى العرب) من خلال سلسلة كان عنوانها الرئيس (أحاديث ومشاهدات) ، وتحت مقال بعنوان : (إلى مجلس المعارف الكبير) كشف فيه دور الاستعمار في تمزيق الشام وتقسيمه دويلات بعد أن كان ولاية خلال حكم العثمانيين ، وما كانت الشعوب المسلمة تعرف قبل ذلك (دولة دمشق) و(دولة حلب) و(دولة العلويين) و(دولة الدروز) و(فلسطين) وإمارة (شرقي الأردن) ، لكنها سنة المستعمرين في كل مكان

(١) المصدر نفسه ، مرجع سابق ، (٢ / ١٥٨، ٢٦٧)

وزمان ، وثنى بعد ذلك بقوانين التعليم ونظام المعارف والمناهج التعليمية التي ساعدت على هدم ما تبقى من معالم الدين ، ولم يلتفت صانعوا القرار فيها إلى المطالبات الشعبية بضرورة الإصلاح والتغيير ، وكان مما قاله -رحمه الله- : (هذا هو التعديل الذي نطلبه من مجلس المعارف الكبير ، وإن كنا نعلم أن هناك قوة تسيطر على أعضائه ،ويدًا تحركهم، وهناك من يستغل اسم المجلس لما يريد هو لا لما تريد الأمة . فهل يخيب ظننا السيئ ونجد في أعضاء هذا المجلس من يؤدي الأمانة ، ومن يقوم بالواجب ، ومن يكون المدافع عن دين الله وعن لغة القرآن ، وعن شرف هذه الأمة وعن تاريخها ، ولو أدى به ذلك إلى خسران منصبه وفقد مرتبه؟ هل نرى في أعضاء المجلس هذا الرجل الشريف ؟ هذا القوي الأمين ؟ أظن أنا لن نراه ، ولكن أرجو أن يكذب الله ظني وأن أراهم كلهم ذلك الرجل)[1].

ح - صيانة الأخلاق :

لما هبط مستوى التعليم في الشام ، وظهرت الخطة التي كانت خفية وراء الستار، وفسدت أخلاق الطلاب والطالبات بسبب الاختلاط بين الجنسين ، ونشأت فكرة ابتعاث الطلاب إلى (فرنسا) للدراسات العليا إذ لم يكن في (جامعة دمشق) إلا كليتان فقط وهما : معهد (كلية الحقوق) ، ومعهد (كلية الطب) فمن أراد التخصص[2] في مادة أخرى كانوا يبعثونه إلى فرنسا ، وزين بعض الناس أن يبتعث بعض الطلاب لدراسة اللغة العربية في فرنسا ، ووجد هذا الرأي ترحيبًا وذهب بعض الطلاب إلى هناك ، واشتد إنكار العلماء والأدباء في ذلك ، حتى كتب الشيخ الطنطاوي مقالاً عنيفاً جدّاً قال فيه ساخرًا : (هل ترسلونه إلى أصمعي العصر المسيو مارسيه؟) ومرّت الأيام فاستدعى وزير المعارف - آنذاك - الشيخ فذهب إليه ، فقابله الوزير بكبر وهو قاعد في مكانه ، وسلم عليه الشيخ فلم يرد عليه ، وأخذ يتشاغل بأوراق أمامه ، ثم رفع رأسه وقال للشيخ : أنت ماذا تعمل ؟ ما هو عملك ؟

فغضب عليه الشيخ غضبًا شديدًا . وهذا الشيخ "الطنطاوي" يكمل بقية الحديث مع الوزير ، يقول : (عندئذ نسيت الوظيفة ، ونسيت أني محتاج إلى مرتبها ، وأنني أعول إخوة لي لا مورد لهم غير هذا المرتب ، نسيت هذا كله ولم أذكر ألا أن كرامتي قدمُسَّت ، فعدتُ أولاً بلا إذن منه ، وقلت له : أنا وظيفتي معلم ، أعلم الكبار والصغار

(١) أشار الشيخ الطنطاوي في التعليق على المقال في الذكريات أن تاريخ فرنسا من أيام ملوكها الأوائل إلى عودة "شارل العاشر" إلى عرشها كان مقررًا في المدارس ضمن مادة التاريخ ، وأنهم درسوا تاريخ الثورة الفرنسية بتفاصيلها ، وعرفوا عنه أثناء الدراسة ما لم يعرف مثله أو جزء منه عن الفتوح الإسلامية وسير الخلفاء .

يُنظَر : علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (١ / ٣٨٦)

(٢) اصطلح أهل الشام على تسميته بـ (الإخصاء)

، أعلمك أنت قبل كل شيء أن تستقبل ضيوفك باحترام لأن العربي يكرم ضيفه ، وأن ترد السلام على من سلم عليك لأن رد السلام واجب في دين الإسلام ، فقال لي : لي أنا تقول هذا الكلام ؟

قلت : نعم ، وستقرؤه في الجريدة ، وتسمعه من فوق المنبر)

فلما سمع الوزير هذه اللهجة قال للشيخ : لماذا أنت على هذه الدرجة من العصبية ؟ ثم لان وبدل أسلوبه ، وقال : أنتم هكذا معشر الشباب ، وتكلم بمثل هذا الكلام وطلب كوبًا من الشاي ، وهدد الشيخخفيةً بالنقل إلى (دير الزور) ، فقال الشيخ : يا معالي الوزير : أنا والله إن ذهبت إلى الجزيرة لا أتبخر بشمسها ولا أذوب بمائها ، وأبقى صامدًا كما أنا الآن ولا أقول إلا كلمة الحق ، فما كان من الوزير إلا أن وقف وودع الشيخ بنفسه ، ولم يلمه على شيء ، بل كاد يوافقه على ما كتب[1].

ط - الخطابة والوعظ :

كان يخصص في بعض المدارس يوم في الأسبوع للخطابة فيجتمع كل من في المدرسة ، ويقوم أحد المعلمين علىسلّ م فيخطب ، ثم يتبعه بعد ذلك أحد التلاميذ فيلقي كلمة ارتجالية ، وفي أحد الأسابيع قامت فرنسا بعزل "الجنرال غورو" "المفوض السامي"[2] ، وعينت مكانه "الجنرال ويغان" ، وأمرت الحكومة على أثر ذلك أن تخرج المدارس كلها بمعلميها وتلاميذها لاستقباله ، ووافق أمر الحكومة في هذا الأسبوع خطبة أحد طلاب الصف السادس الابتدائي لم يتجاوز عمره الرابعة عشرة ، ألقى خطبته بصوت سمعه كل من في المدرسة ، ومن حولها من جيرانها ومن كان في المسجد أمامها ، وكان مما قال فيها : إن الفرنسيين أعداء ديننا ووطننا ، وأنه لا يجوز أن نخرج لاستقبال زعيمهم .

وكانت النتيجة أن امتنع التلاميذ وبعض المعلمين عن استقبال "المفوض السامي" الجديد ، وتعرض الطالب للجزاء والعقوبة ، وكسرت عليه درجة السلوك والأخلاق وكانت تسعًا من عشر ، بينما درجاته في المواد كلها عشرة من عشرة ، وكان هذا الطالب هو : "علي الطنطاوي" -رحمه الله-[3].

ي - مواقف مشهودة :

كان قانون الشهادة الابتدائية في الشام يشترط لنيلها موافقة اللجنة العليا لامتحان

(١) انظر : علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٣ /٢٠٠ – ٢٠١)

(٢) المفوض السامي كانت له سلطة حكومتي سوريا ولبنان معًا ، ومجلسيهما النيابيين والإشراف على القضاء فيهما وهو يعد أوسع من سلطان رئيسي الجمهوريتين وحكومتيهما .

(٣) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (١/ ١٣١)

الشهادة ، فكان يعقد على عهد الفرنسيين امتحان عام ، وكان من حسنات هذا القانون عنايته بالعربية ، ومن ذلك أن التلميذ الذي يخطئ في الإملاء يكسر له درجة من عشر درجات ، وكان ينص على أن الأخطاء إذا بلغت نصف الدرجة المقدرة فإنه يعطي صفرًا، ومن أخذصفرًا في مادة من المواد يرسب في الامتحان ولو أخذ أعلى الدرجات في جميع المواد .

كان المشرف العام على الامتحان مستشار المعارف وهو "المسيو راجه" ، وكان في الشام مثل "دنلوب" في مصر.

وكانت أسماء الطلاب في الامتحان مكشوفة ، فجاءت ورقة لتلميذ من مدرسة نصرانية ، والمستشار يريد أن تهتم به اللجنة ، وكان من ضمن أعضاء اللجنة الشيخ "علي الطنطاوي" وكان رئيسها الشيخ "عبد القادر المبارك".

أحصت اللجنة أخطاء الطالب فبلغت عشرًا ، وخمس كافية ليرسب الرسوب النهائي ، فأراد أهل اللين من أعضاء اللجنة أن يعطوه ولو ربعًا لئلا يأخذ صفرًا ، فأصر الشيخ "الطنطاوي" على تطبيق النظام وأن الصفر هو الدرجة المستحقة ، وكانت مشادة احتكم فيها إلى رئيس اللجنة الشيخ "عبد القادر المبارك" فكأنه مال معهم ،وصُعِّد الأمر حتى جاء "المسيو راجه" بنفسه ومعه ترجمانه "ميشيل السبع" فدخل على الشيخ "الطنطاوي" فكلمه باللين ثم أغلظ في الكلام ثم هدده ، فقال الشيخ للترجمان : بلغ سعادة المستشار أنني أعلم أنه يقدر الآن أن يأخذ ورقة من فوق المكتب وأن يكتب فيها قرار عزلي من الوظيفة ، ولا يرد قراره أحد ، يستطيع ذلك ولكنه لا يستطيع لا هو ولا أكبر منه أن يجعلنيأوقّع على ما أعتقد أنه باطل ، وثبت الشيخ في موقفه ورسب الطالب ، وكان لذلك صدى في (دمشق)[1]

ك - الكتابات والمقالات :

كانت "الماسونية" فاشية في وزارة المعارف ، وكانت هي باب الترقي في الوظيفة وطريق الحظوة عند الحكام، ومن لم يكن مؤمنًا بها تظاهر أنه معها أو سكت عنها ، وعين في هذه الفترة وزيرٌ مُوَالٍ للاستعمار معروف بدعوته إلى الإفساد ، وجعلحاكمًا مطلقًا في الوزارة .

أثار خبر تعيينه حفيظة العلماء ووجهاء البلد ، خصوصًا أنهم عرفوا عنه تربصه بالخصوم مع قوة بطشه ، فأعلنت عليه الحرب ، فكتب الشيخ "علي الطنطاوي" مقالة حروفها مسنونة كحد السيف ،وكلِمَاتُها حامية حمراء كالحديدخارجًا من الكير ، وكان لها أثر في الناس عجيب ، وتخاطف الجريدةَ التي أوردت المقالة -

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٣ /١٩٨- ١٩٩)

وهي جريدة (ألف باء) - المعلمون والمعلمات ، وصار عدد الجريدة يطلب بعد ساعات معدودات فلا يوصل إليه ولو بذل فيه خمس ليرات ، وثمنه في الأصل خمس هللات [1] .

ل - مناصحة ذوي السلطة :

عظم الانحراف في فترة الوحدة بين مصر وسوريا التي سميت آنذاك (الجمهورية العربية المتحدة) ، وأعظم ما كان من صوره ما كان في وزارة المعارف ناهيك عن الفساد الاجتماعي العام ، وعاشت حكومة الإقليم الشمالي سوريا فوضى اقتصادية واجتماعية حتى أصاب الناس جوع ، ونزل بأرضهم الجفاف ، وصودرت ممتلكاتهم تحت مسمى (الاشتراكية) وكان "السراج" [2] -يومئذ- رئيس حكومة الإقليم الشمالي ، وكان العلماء لا يرون أن في الحديث معه مصلحة ترجى لما علموا أن ليس له من الأمر شيء ، وكان منهم الشيخ "الطنطاوي" الذي كان يحثه بعض أصحابه على الدخول عليه فيقول : إن دعاني أجبته ، وإن لم يدعني فلا حاجة لي بلقائه ، حتى اقتنع يومًا بأن لقاءه ينفع المسلمين ، فالتقاهيومًا بصحبة مدير (دائرة الإفتاء) الشيخ "فخر الدين الحسني" وقال له الشيخ "الطنطاوي" :

إنني اشتغلت في عمري بمهنتين : مهنة التعليم ومهنة القضاء ، وكلا المهنتين بعيد عن أساليب السياسة وعن طرائق الدبلوماسيين ، فطلبي أن تسمح لي أن أتكلم على سجيتي وأن أقول ما في نفسي ، ولك علي عهد الله الذي هو المطلع على قلبي ألا أقول لك إلا الحق .

قال : تفضل ، وتكلم الشيخ عما يصنع موظفو وزارة المعارف بالطلاب والطالبات ، وشرح له ما يفعل من المنكرات ، ونصح له بما يجب على الحاكم ، و"السراج" صامت لا يتكلم ولا يبدو على وجههرضًا أو غضب ، ولا استزادة من الحديث ولا ملل ، حتى انقضت ثلاثة أرباع الساعة ، ولم يبق عند الشيخ ما يقول فسكت ، وبقي الآخر ساكتًا ، حتى استأذن الشيخ وصاحبه بالانصراف فأذن لهما ، ووقف يودعهما ، فلما خرجا قال الشيخ لصاحبه : هل تراه غضب من كلامي ؟

قال : لا أدري ، قال : هل تراه وافق عليهوسرَّ به ؟ قال : لا أدري ، ولم يقل

---

(١) المصدر نفسه ، (٣ / ٣٤٢)

(٢) **هو** : عبدالحميد السراج . عسكري ،سياسي ، سوري ، شغل عدة مناصب سياسية ، وخصوصًا في (دولة الوحدة)حتى استقال احتجاجًا على تجريده من النفوذ في الدولة ، ولم يعد للعمل السياسي بعد ذلك .

يُنظَر في ترجمته : أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص١٥٣)

خلال الجلسة كلها إلا كلمتين ، كلمة قال فيها إنه كان يستمع أيام رمضان كلها إلى أحاديث الشيخ (نور من القرآن) ، وكان ينتبه إلى كل ما يجيء فيها ، ولكنه يسكت لاعتقاده حسن نيته ، والثانية كانت عتابًا على كلمة صدرت من الشيخ لما خطب على أحد المنابر وقال : وهذا منبر رسول الله ﷺ ، وحين أقوم عليه تكون قدمي أرفع من أعلى الرؤوس ، وكرر كلمة (أعلى الرؤوس) فتغابى الشيخ ، وقال له : الناس في المسجد يقعدون على الأرض وأعلى رأس يرتفع عنها سبعين معشارًا (سنتمتر) والمنبر علوه ثلاثة أمتار[١].

أما أبرز الجهود الجماعية الأخرى ، فمنها :

أ ـ لما قدم "جمال عبد الناصر" الشام وخرج له الناس كان في طليعة مستقبليه في المطار المشايخ ، وكان من بينهم "رفيق السباعي"[٢] ، فلما مر عليه "عبد الناصر" ناوله ورقة كبيرة ، فعجب الرئيس منها وارتاب بها ، ودفعها إلى "عبد الحميد السراج" فقال له الشيخ : إنها لك لا له ، وفيها مطالبنا منك لا منه ، فقال الرئيس : إنها وصلتإليّ .

فلما انقضت أيام الزيارة وجاء يوم سفر الرئيس كان العلماء والمشايخ في وداعه كما كانوا في استقباله ، ومد يده يصافح عددًا منهم ، وكان الشيخ "رفيق السباعي" من بينهم وكان عريض الكف ـ فقال له : ماذا صنعت بطلباتنا ؟

لم يجب "عبد الناصر" ولكن أجابت الأيام ، أجابت أفعاله وأفعال عماله ورجاله ، وهذا "الطنطاوي" رحمه الله يعلق فيقول (كنا تحت المطر فوضعونا تحت الميزاب ، وكنا نشكو إذ نمشي في الشمس على الحصى الحار فسيرونا على جمر النار ... مازال شيء مما كنا نشكوه بل زاد) [٣]

لما طال الصمت وأبطأ الجواب عن المشايخ عزموا على الذهاب إلى مصر ، إذ إن رئيسهم الآن يقيم فيها ، ومن عندهم في الشام تبع له ، لا حيلة لهم ولا أمر إلا من بعد أمره .

---

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٦ /١٦)

(٢) **هو** : محمد رفيق بن عبدالفتاح السباعي . عالم ،مربّ ، فقيه ، طبيب، ولد في (حمص) ، تعلم على يد والده ،كان جريئًا لايخاف في الله لومة لائم ، حصل على شهادة الطب ،واتصل بالشيخ "بدرالدين الحسني " وتفرغ للعلم وترك الطب والجامعة ، توفي سنة (١٤٠٣هـ-١٩٨٢م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (١٥٥/٢)

(٣) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٣٧٧/٥)

وكانوا جماعة منهم :

الشيخ "أبو الخير الميداني" رئيس رابطة العلماء .

الشيخ "مكي الكتاني" نائب الرئيس .

"محمد أمين المصري" .

واثنان من النواب في المجلس النيابي لحكومة الوحدة.

والشيخ "علي الطنطاوي" ، وهناك غيرهم من المشايخ لم أعثر على أسمائهم .

ولما وصل المشايخ إلى مصر أقاموا بأحد فنادقها ينتظرون موعد دخولهم على الرئيس ، ومرت الأيام وقد جهد المشايخ في الدخول على الرئيس فلم يتمكنوا ، وحاولوا اللقاء بالوزير وهو يتوارى منهم ، وكل ما صنعوه أن قابلوا وزير المعارف في الإقليم الجنوبي (مصر) واعتذر لهم بأنه لا شأن له بالإقليم الشمالي سوريا

ورجع المشايخ إلى سوريا وكانحزنٌ ذلك الأمر في نفوسهمعظيمً ا ، وكان أثره على أهالي الشامسيئًا [1].

ب ـ تناقل الناس في الشام عزم وزير المعارف زيارتها ، فبعث إليه العلماء برقية يطلبون فيها موعدًا للاجتماع به ، فلم يأت منه جواب ، ثم علموا أن من كان حوله من المصريين الموظفين في الشام كتموا برقيتهم وحالوا دون وصولها إليه ، فلجأوا إلى مهاتفته فلم يجدوا إلى ذلكسبيلاً .

وعقد أثناء زيارته مهرجان صغير أو اجتماع حضره أحد أصدقاء الشيخ "علي الطنطاوي" وكان الشيخ قد سلمه رسالة للوزير ، لكنه لم يستطع الدنو منه ، فما كان إلا أن وقف على طريقه لما خرج يعترض السيارة حتى دنت منه فرفع الصديق الورقة فأمر الوزير أن يوصل إليه ، وأخذ منه الورقة ، وبهذا الموقف الذي كاد أن يموت فيه الصديق استطاع العلماء أن يحصلوا على موعد الوزير ، واجتمع له العلماء من أقطار الشام كلها ، من علماء (حلب) و (حمص) و (حماة) وغيرها .

كان من بين العلماء الحاضرين من (حلب) الشيخ "عبد الفتاح أبو غدة"[2] ،

---

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥/ ٣٧٧)

(٢) **هو** : عبدالفتاح بن محمد بشير أبو غدة . من أهل (حلب) ، علامة فقيه محدث،أخذ عن علماء الشام والهند وباكستان وتركيا ومصر وغيرها ، ونال الشهادة العالمية من الأزهر ، له جهود علمية ودعوية، منها المشاركة في تأسيس (رابطة العالم الإسلامي) ، توفي سنة (١٤١٧هـ-١٩٩٧م)

=

ومن (حماة) الشيخ "محمد الحامد " ، ومن (دمشق) كثيرون ، منهم الشيخ المفتي الطبيب "أبو اليسر عابدين" ، وأمين الفتوى الشيخ "عبد الحكيم المنير" ، والشيخ "عبد القادر العاني"، والشيخ الطبيب "رفيق السباعي" وغيرهم .

اجتمع العلماء أولاً في دار الإفتاء ، واتفقوا على أن يفتتح الحديث المفتي ، ثم يتولى الشيخ "علي الطنطاوي" -نيابة عن أهل العلم في الشام- الحديث فيما تبقى من الوقت ، وعقد الاجتماع فبدأ الشيخ المفتي الحديث وعرض لرواتب (أرباب الشعائر) فخشي الشيخ "علي الطنطاوي" أن يتحول المجلس عن غايته ، وأن ينتقل الحديث من المطالبة بإصلاح عام إلى مصلحة شخصية ، فلم يملك إلا أن رفع صوته وقال له : يا سيدي ، ما لهذا جئنا ، فقال الشيخ "أبو اليسر عابدين" : وهذا أيضًا مما جئنا له .

وخشي الشيخ أن يفلت الأمر من يده فالتفت إلى الحاضرين -وكانوا نحوًا من خمسين عالمًا من كبار علماء سوريا - ، وقال لهم : يا إخوان : ألهذا جئتم ؟ فصاحوا قائلين بصوت واحد : لا ، ما جئنا من أجل الرواتب ولكن جئنا مدافعين عن الدين وعن الأخلاق ، ومطالبين بالإصلاح .

فسكت المفتي ، وأمسك الشيخ بزمام الكلام وقال للوزير :

هل تعلم سيادتك أننا لسنا هنا أحرارًا ، كل واحد منا مراقب يبعث إليه من يحصي عليه حركاته وسكناته ، فكيف نعيش مطمئنين آمنين ألا تصيبنا جائحة ؟ حتى أنت ، إن معك اثنين يراقبانك ويرفعان عنك تقريرًا بكل ما تقول أو تفعل .

لما انتهى الشيخ إلى هذا الكلام دهش الحاضرون حتى ظنوا أن الشيخ لم يعد يدري ما يقول ، فإذا بالشيخ يقول : وهذا التقرير لا يرفع إلى سيادة الرئيس ، بل إلى رب الرئيس رب العالمين ، يعلن على رؤوس الأشهاد يوم الميعاد . يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا وزارة ولا رياسة ، فأرجوا ألا تهيئ جوابًا يرضينا الآن ، بل تعد الجواب لرب العالمين يوم الحساب .

وفي أثناء الاجتماع التفت الوزير إلى أحد المصريين الذين يعملون في سوريا وسأله عن بعض ما قاله الشيخ ، ودنا من أذنه يسارُّه ، فلما رآه الشيخ "الطنطاوي" خشي أن يلقي فيها ما يفسد به الأمر الذي جاءوا من أجله ، فقال له جهرًا : يا سيادة الوزير ، لا تسمع منه ، إنه صديقي ، ولكنه هو وأمثاله يغشونك ويغشون سيادة الرئيس ، الشعب هنا ناقم والأمة تغلي غضبًا لله وللأخلاق ، وهؤلاء يكذبون عليكم ويكتمون

=

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظة ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٢٤٥)

ذلك عنك .

فأصابه ومن معه ذهول حتى لم يعد يدري ما يقول ، ومرت ساعتان وعشر دقائق . وهمّ الوزير بالقيام يريد الانصراف لأن عنده موعدًا في (رياسة رعاية الشباب) ، فصاح به الشيخ "مكي الكتاني" -رحمه الله- : أتذهب إلى من كل همه اللعب وتدع علماء المسلمين الذين جاءوا يحفظون عليك دينك وآخرتك ؟ اقعد . فقعد[1].

ج - كتب الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه اللهمقالاً انتصر فيه للفضيلة والعفاف بعد أن ذبحت في ساحة التعليم والتربية باسم الحرية التي ضمنها الدستور فقال :

ما هذه الحرية التي طبلتم لها وزمرتم وهولتم وعظمتم ، وجعلتم الاعتداء عليها كفرًا بدين الحضارة وإلحادًا بشرعة الديمقراطية ؟

أهي حرية المرأة أن تكشف ما تريد من جسمها متى أرادت وأين شاءت ؟

أهي حرية ناظر المدرسة أن يحول مدرسته إلى ماخور ؟ أهي حرية الفسوق والعصيان ؟ أهذه هي الحرية المقدسة عندكم ؟

إنكم يا أيها السادة بين أمرين : إما أنكم تقولون ما لا تفهمون ، وإما أنكم تسترون بهذه الأسماء الحلوة أغراض نفوسكم ورغبات أجسادكم ، وإلا فخبروني : أي أمة تصنع مثل هذا الصنيع ؟ العرب ؟

إن العرب أغير الناس على الأعراض ، وإن كلمة العرض في لسانهم لا تقابلها كلمة في ألسن الأمم تترجم بها .

المسلمون ؟ إن الإسلام أمر بغض البصر وستر العورة .

الفرنسيون ؟ إن الفرنسيين يكشفون أفخاذ الشباب في الملعب ، فعلام تكشفونها أنتم في سوق الحميدية وهو للبيع والشراء وفيه الرجال والنساء ؟

إن الفرنسيين ينشئون بيوتًا للهو واللذة وبيوتًا للعلم ، وأنتم جعلتم بيوت العلم بيوت لذة ولهو .

إن الفرنسيين كانوا يسترون سيقان الجند ، فلما استلمتم أنتم الجيش كشفتم عن أفخاذهم .

---

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق (٥/ ٣٨١- ٣٨٦)

الروس ؟ إن الروس فصلوا بين الجنسين في المدارس لما عرفوا أن الاختلاط لا يأتي بخير ، وأنتم تسعون الآن بكل طريق لجمع الجنسين في المدارس .... إلى آخر المقالة التي ختمها فقال : فتفضلوا قولوا : هل هذا الذي أوصلتمونا إليه يحفظ علينا عفافنا أم هو يضيعه علينا ؟ هل يعمر بيوتنا أم يخربها على رؤوسنا ؟ هل يرضي ربنا أم يسخطه علينا ؟ هل يجعلنا أمة قوية أم هو يذهب بقوتنا ؟

لا والله ، أحلفها يمينًا غموسًا وأضعها في عنقي ، إنكم لا تريدون الصحة ولا الرياضة ولا المشاركة بالعيد ، إنما تريدون التلذذ بمرأى أجساد بناتنا باسم العيد والرياضة والصحة .

إنكم لصوص أعراض ، ولكن ليس الحق عليكم ، الحق علينا نحن آباء الطلاب والطالبات ، فنحن عميان لا نبصر ، خرس لا ننطق ، حمير لا نغار ، وإذا استمرت هذه الحال فليس أمامنا إلا اللعنة التي نزلت على بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم .

اللهم لقد بلغت ، اللهم لقد أنكرت المنكر ، اللهم لا تنزل علينا لعنتك ولا تحلل بنا غضبك .

ونال الشيخ بعد هذه المقالة أذى الألسنة والأقلام ، وبطش الرؤساء والحكام ، فاحتسب -رحمه الله- ذلك عند ربه [1].

د - ألقى الشيخ "الطنطاوي" -رحمه الله - كلمة أذيعت يوم الثلاثاء (١٩٦١/١٠/٣م = ١٣٨١/٤/٢٣هـ) بعد خمسة أيام من قيام ضباط في الإقليم الشمالي سوريا بحركة الانفصال خاطب فيها "جمال عبد الناصر" قائلاً :

(كنا نتألم ولا نستطيع أن نتكلم ، وأنا ألتمس لك المعاذير ، سأقول إن من الممكن أنك لم تكن تعلم بآلامنا ، ولكن لماذا لم تعلم بها ؟ وهل المسئول نحن أم المسئول أنت يا سيدي ؟

لقد تعودنا أن يذهب أصغر واحد فينا إلى رئيس الجمهورية أو رئيس الوزارة فيقرع عليه الباب متى شاء ويكلمه كما يكلم جاره وصديقه ، فجئت أنت فجعلت لنفسك حجَّابًا كحجَّاب "كسرى أنو شروان" في سابق العصر والأوان ، لا يستطيع أن يصل إليك إنسان .

ولقد حاولنا معشر العلماء أن نقابلك وطلبنا المواعيد مرارًا وسعينا لذلك سعيًا وسلكنا له كل سبيل ، فما استطعنا أن نظفر بلقائك ، مع أننا كنا نراك في الرائي

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ /٣٢٥)

(التلفزيون) تمضي ليلة كاملة من ليالي رمضان ، ليالي الطاعة والعبادة ترى الراقصات العاريات وتسمع المغنيات الفاسقات في حفلات (أضواء المدينة)[1] ، فهل اتسع وقتك لهذا وضاق عن لقاء العلماء ؟ لا أقول هذا الكلام الآن ، بل لقد علمت أنني قلته في جامع (تنكز) في الليلة التي كنت تحضر فيها هذه الحفلات ، قلته علنًا لم أكتمه ولم أدار به ، ولم أخف أحدًا في مقالتي لأنها ترضى الله .

ثم قلدك في ذلك أعوانك وحاشيتك ، حتى إن وفدًا من الشام يضم (رئيس رابطة العلماء) ونائبه واثنين من أعضاء هذا المجلس الذي دعوتموه مجلس الأمة وأستاذًا من أساتذة الجامعة وأنا ، ذهبنا إلى مصر وأقمنا عشرة أيام ، نقرع الأبواب ونسأل الحجاب الوصول إلى وزير المعارف ، فما استطعنا أن نحظى بشرف المثول في حضرة وزير المعارف .

وكنا نرسل البرقية فلا تصل البرقية ونبعث الكتاب فلا ينبعث الكتاب ، فتعذر الوصول وانسد الطريق ، طريق المقابلة وطريق المراسلة ، كنا نريد أن نشكو إليك فذهبنا نشكو منك ، ونعلن الشكوى في المساجد وفي المجامع وحيثما استطعنا ، وكنا نعلم أن بيدك السجن والتعذيب ، وكنا نخاف منك ، ولكنا نذكر عذاب الله إن سكتنا فنخاف من الله فيذهب خوفنا منك فنتكلم عليك)

ثم قال -رحمه الله- : (إننا في بلد مؤمن مستمسك محافظ على عفاف بناته ، أفنرضى أن يكون الرقص درسًا في المدارس ، وأن نأتي بمدرسيه من الحانات والخمور ليعلموا بناتنا الرقص بدلاً من تعليمهن الأخلاق والآداب ؟ وأن تذهب بناتنا ليقضين شهرًا في قرية (التل) في المعسكر مع الرجال الأجانب ؟ وأن تقيم الحكومة دائرة رسمية للرقص ؟ وأن يوضع تمثال للراقصات أمام (جامع الروضة) ويبقى سنة كاملة ؟ أقامته (وزارة الثقافة والإرشاد) ، وإنها لوزارة السخافة والإفساد .

لقد أريته للوزير من الشباك لما قابلناه مع العلماء ، وأسمعناه ما لم يسمع مثله في عمره ، قلت له : هل ترى يا مولانا ؟ أمام الجامع بالذات ؟ لا دين ولا ذوق)[2]

إلى آخر هذه الكلمة التي كان لها صدى واسع في الشام ومصر .

هـ - كان من أبرز جهود العلماء في التعليم حرصهم على نشر العقيدة الصحيحة والقضاء على ما يحتف بمدارس التعليم من البدع المحدثة التي قد يتعاطف معها الوسط المدرسي تحت ذريعة محبة النبي ﷺ ، على أن المدارس وقتئذ لم تكن خالية قط من

(١) كانت هذه الحفلة تقام في شهر رمضان ليلة السابع والعشرين في (دمشق) بحضور "عبد الناصر".

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٦ /٦٨ – ٧١)

ذلك ، إلا أن خط المدافعة كانمستمرًّا ، ومن ذلك :

أنه لما عاد العالم السلفي الشيخ "كامل القصاب" من المنفى سنة (١٩٣٧م – ١٣٥٦هـ) بعد صدور العفو العام عنه وعن إخوانه ، جمع العلماء ودعاهم إلى نبذ الخلاف ، فمشت معه الجمعيات الإسلامية والدعاة والمشايخ ،وشذَّت عنه (الجمعية الغراء) التي يرأسها الشيخ "علي الدقر" ، ويرجع هذا الشذوذ إلى أن (الجمعية الغراء) كانت متأثرة بالطريقة "التيجانية"[١]، وكان الطلاب في كثير من البلاد يفتتحون الصّباح بتحية أهل العلم أو بنشيد الوطن ، ولم يكنمعروفًا في تلك الأيام ، أو كان معروفًا ولكنه لم يبلغ أن يكونعرفًاعامًّا ، لذلك كانت كل مدرسة تلقن طلابها ما تختاره لهم ليجهروا به جماعة قبل الدخول إلى الصفوف ، أولا تلقنهم شيئًا وتدعهم يدخلون غرف دروسهم صامتين .

أما "الجمعية الغراء" فكانت لها مدارس يفتتح طلابها يومهم بتلاوة وذكر ودعاء يحفظونه ويجهرون به جماعة ، وكان من ذلك صلاة الفاتح وهي (اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم) ،ولم يرتض العلماء هذه البدعة في المدارس فانبرى جمع من أهل العلم يكشفون خفاياها ، ويبينون مصدرها ، وكان من أوائلهم الشيخ "محمد الخضر الشنقيطي"[٢] ، وكان مفتيًا للمدينة النبوية ، ثم نزل الأردن وكتب فيها رسائل كشف فيها حقيقة هذه الطريقة ، وكان يطبعها ويوزعها في الشام السيد "كامل البني" ، يدور بها على العلماء والمفتين ويحمل إليهمنسخًا من كتب الطريقة "التيجانية" ويستفتيهم فيها ، وينشر فتاواهم في رسائل متتابعة كانت توزع مجانًا في المدارس والمساجد ومجامع الناس ، وترسل في البريد ، وكانت تصدرها وتتولى الإنفاق عليها "الهيئة الإدارية لنصرة الشريعة المحمدية" .

---

(١) **"التيجانية"** : طريقة صوفية يؤمن أصحابها بجملة من الأفكار والمعتقدات الصوفية ، ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية اللقاء بالنبي ﷺلقاء حسيًّا في الدنيا ، وأنه خصهم بصلاة الفاتح ، أسسها "أحمد بن محمد بن المختار التيجاني" ، من مواليد (الجزائر) عاش ما بين (١١٥٠- ١٢٣٠هـ = ١٧٣٧-١٨١٥م)

يُنظَر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، أصدار الندوة العالمية للشباب ، مرجع سابق ، (٢٨١/١)

(٢) أصله من بلاد (شنقيط) ، تولى منصب وزارة العدل في حكومة شرقي الأردن ، قدم من بلده مرتحلاً للمغرب فالحجاز حتى استقر في المدينة ، واختير مفتيًا للمذهب المالكي ، وكان على علاقة وثيقة بشريف مكة ، تولى منصب سفير الأردن في السعودية ، اعتزل العمل السياسي آخر عمره ، وعاد إلى المدينة في سنة (١٣٥٤هـ - ١٩٣٦م) ، ولم يلبث أن توفي .

يُنظَر في ترجمته : موقع الرائد الإخباري على الشبكة العنكبوتية .

وكانت هذه الرسائل تنقل فتاوى العلماء ، ومنها فتوى مفتي الديار المصرية الشيخ "محمد بخيت المطيعي"[1] ، والخطبة التي ألقاها الشيخ "بهجت البيطار" ، ولخَّصَتْ هذه الفتاوى التي علَّقَتْ عليها الصحف والمجلات الإسلامية كـ (الفتح) للأستاذ "محب الدين الخطيب" و (المنار) للشيخ "رشيد رضا" و(الجامعة الإسلامية) و(التقوى) ، وروت أخبارها جريدة (النهار) ومجلة (كل شيء) التي كانت تصدرها (دار الهلال) ، وفيها ذكر أن هذه الرسائل توقفت شهرًا ونصف الشهر أملاً في أن تعود "الجمعية الغراء" عن الطريقة "التيجانية" بعدما نشرت فتاوى المفتين في المحافظات السورية ، ولكن أصرت عليها ولم ترجع عنها .

وجمع الأمير "خالد الجزائري" حفيد الأمير "عبد القادر الجزائري" أقوالاً نقلها من الكتب المعتمدة عند أصحاب هذه الطريقة كـ (جواهر المعاني) و (بغية المستفيد) و(الإفادة الأحمدية) كقولهم :

(إن المرة الواحدة من صلاة الفاتح تعادل ستة آلاف مرة من كل ذكر وتسبيح وتهليل ، ومن كل دعاء كبير أو صغير وقع في الكون)

ويزعم "التيجانية" أن هذه الطريقة أخذها "التيجاني" من رسول الله ﷺ من غير واسطة يقظة لا منامًا .

وكان لمفتي الجمهورية السورية آنذاك الشيخ "عطا الكسم" موقف عظيم حين أجاب بأن كل ما في هذه الكتب ، وأي كتاب من هذا النوع باطل ومخالف للشرع ، ولا تجوز قراءتها ولا تداولها .

وهبّ معه العلماء والمفتون في المحافظات السورية للرد على هذه العقيدة الباطلة ، ولما كثرت الردود والمقالات نشرت "الجمعية الغراء" بيانًا قالت فيه :

إن هذه الأقوال مدسوسة على الشيخ "التيجاني" قولاً بلا دليل ، ولم يقل مثله أحد من أتباع هذه الطريقة من لدن أولها إلى يوم صدور البيان.

وردًّا على مزاعمهم الباطلة في هذا البيان قام الشيخ "محمد الخضر الشنقيطي" يبعث للعلماء كتب هذه الطريقة التي تدعو إلى تلك البدع ، وتستند لتلك الخرافات فإذا كل هذا الكلام موجود فيها ، فبهت القوم ، ولم يرتفع صوت واحد منهم بعد ذلك بإنكار

---

(١) **هو** : محمد بن بخيت بن حسين المطيعي ، مفتي الديار المصرية ، ولد في بلدة (المطيعة) التابعة لمحافظة (أسيوط) وتعلم في الأزهر ،ودرّس فيه ، له مؤلفات ، كان حنفي المذهب . توفي سنة (١٣٥٤هـ-١٩٣٥م)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

نسبته إلى شيخهم "التيجاني" وانطفأت على إثر ذلك الفتنة [1].

و- وهذا الشيخ "علي الدقر" كان أقرب الناس إليه التجار وأبناء القرى ، لا سيما أهالي (حوران) في جنوبي الشام على حدود الأردن والتي تعيش جاهلية مزدحمة ، ففيها الجاهلية التي هي ضد العلم وفيها الجاهلية التي هي ضد الحلم وكان جل أهلها كما يقول الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله - يعيشون حياة من لم يدرِ أن رسولاً بعث وقرآناً نزل ، فعمد الشيخ "علي الدقر" إلى كل بلدة أو قرية يأخذ من أولادها من يعلمه ويفقهه في الدين فيلازم الشيخ سنوات ، يعود بعدها إلى بلده معلماً ومرشداً ، فأحيا الله به تلك الديار ، ولم تمر على دعوته شهور حتى تجاوبت أصداؤها في أقطار الشام كلها، ووصلت للقاصي والداني ، ولما رأى الشيخ إقبال أولاد القرى عليه من (حوران) و(البلقاء) – الأردن - وأنهم غرباء في (دمشق) ، خاف عليهم من الفساد وأشفق عليهم من التعب ، وكان في (دمشق) غرف كثيرة في المساجد موقوفة على طلبة العلم تسلط عليها ناس ليسوا من أهل العلم ولا من طلابه يتخذونها مجالس للتسلية أو بيوتاً للسكن أو مخازن لعروض التجارة ، فاستخلص منها ما استطاع فأسكن فيه هؤلاء الطلاب ثم رأى أن هذا كله لا يكفي ، وأن طلبة العلم بحاجة إلى مسكن قائم ومورد دائم فألف من هؤلاء التجار الذين يحفون به جمعيته المسماة (الجمعية الغراء لتعليم أولاد الفقراء) وعملت الجمعية عملاً عظيماً ففتحت المدارس للصغار ، ومعهداً علمياً للكبار [2] .

وكان الشيخ "علي الدقر" -كما وصفه الشيخ "علي الطنطاوي"- (الرجل الذي هز (دمشق) من أربعين سنة هزة لم تعرف مثلها من مائتي سنة ، وصرخ في أرجائها صرخة الإيمان فتجاوبت أصداؤها في أقطار الشام واستجاب لها الناس ..) [3]

وتحول (معهد الجمعية الغراء) بعد وفاة الشيخ إلى ثانوية شرعية تخرج منها العديد من طلاب العلم الذين التحق أكثرهم بكلية الشريعة في جامعة (دمشق) ، وما زال بعض الطلاب من مدرسة الشيخ يدرِّسون في الثانوية الشرعية .

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٧ /٣٣ – ٤٢)

(٢) علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، مرجع سابق ، (٤٥١ – ٤٥٣)

(٣) المصدر نفسه ، (٤٤٧)

المطلب الرابع : جهود المدافعة في الميدان الإعلامي ووسائلها :

تمهيد :

لما كان الإعلام أداة مؤثرة ووسيلة تمكن لأي قوى أو أفكار واتجاهات الوصول إلى الشعوب والتأثير عليها ، فقد اهتم أعداء الأمة من المستعمرين ومن جاء بعدهم من تلامذتهم وأذيالهم في غزو المجتمع المسلم في بلاد الشام عن طريق هذه الأداة ، وسخروها لتحطيم كل ما يتعلق بالإسلام ، ومارسوا جميع وسائل الإعلام (المقروء ، والمسموع ، والمرئي) للقضاء عليه ، ولم يكن العلماء والدعاة بمعزل عن هذا كله ، فلقد كان لهم في ذلك جهود وإن كانت محدودة إلا أنها كانت مؤثرة في واقع الناس .

ولعلي أبرز هنا جهود العلماء والدعاة والكتاب والجمعيات الإسلامية في هذا الجانب ، فمنها على سبيل المثال لا الحصر :

أ – الرد على أتباع الملل والنحل والمذاهب الإلحادية :

فهذا الشيخ "الطنطاوي" كما تقدم كتب رسائل في الرد عليهم وجعل عنوانها (سيف الإسلام) ، وتوالت الرسائل حتى زادت على عشر رسائل ، وكانت توزع مجاناً ، يتولى جمع المال لطبعها ، ويقوم بأكبر العمل في نشرها الشيخ "عبد القادر العاني" و(جمعية الهداية الإسلامية) ، وانتشرت هذه الرسائل ، وصار الناس يتداولونها ، وكان الطبع حرّاً ، والمطابع مفتوحة ، وكانت تتناول موضوعات عدة وعناوين مختلفة مثل (الصلاة وأسرارها) و(لماذا أنا مسلم) و(الشيوعية أكبر خطر على البشرية) و(الأدب القومي) و(بدعة جديدة)[1]

وفي مقال له -رحمه الله- في مجلة (الرسالة) -أراد الشيخ به أن تكون المجلة من المجلات الملتزمة بالخلق والدين ، لا بما تلزمها به أهواء الحكام أو شهوات القراء أو أسباب الرواج الأخرى ، بل تلتزم بألا تنشر ما ينافي الدين ، وما ينافي الخلق الكريم والحق والعدل - يقول : (مذاهب الأدب كثيرة ، ولكنا منها بين اثنين : مذهب (الأدب للفن) ومذهب (الأدب للحياة) ، أنعمل وغايتنا ، (الجمال الفني) وحده ، وسواء لدينا أكان هذا الجمال في مقطوعة ماجنة أم قصة مفسدة أم مقالة ملحدة ،.. أم نعمل وغايتنا تسخير الأدب للقضية الكبرى ، واتخاذها أداة لتحقيقها ، ووسيلة من وسائل الإصلاح

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ /١١)

الأخلاقي والسياسي والاجتماعي .. الخ) [١]

ب ـ لما دخلت السينما بلاد الشام غضب أهلها ، ورأوا أنها باب عظيم يتحرر به الشباب والفتيات من الدين والأخلاق ، فاندفع جماعة منهم لإنكار المنكر ، فانطلقوا إلى سينما في وسط البلد ليس فيها إلا نساء فدخلوا عليهن وأزالوا المنكر[٢].

ج ـ كان لبعض العلماء ورجالات الفكر جهود في إصدار المجلات الإسلامية في الشام ، ومنهم الشيخ "علي الطنطاوي" الذي اصدر مجلة سمّاها (مجلة البعث) وكانت أول مجلة إسلامية في الشام قبل أن يؤلف حزب (البعث) الذي سرق هذا الاسم ، صدر منها خمسة أعداد[٣].

د ـ كتبت إحدى الأديبات اسمها "ماري يني" مقالاً عنوانه (المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة) دعت فيه إلى المساواة في الحقوق والواجبات بين الجنسين ، والمقالة منشورة في صحيفة (ألف باء) فرد عليها الشيخ "الطنطاوي" وجادلها بالتي هي أحسن ، وساق لها الأدلة والبراهين ، لكن كل ذلك لم يفد معها ، فمال إلى السخرية بها قائلاً : (الآن حصحص الحق وتبين أني أنا المخطئ وأنت المصيبة ، والدنيا لا تخلو من المصائب ، ولذلك أرجع عما قلتُ إلى ما قلتِ أنتِ ، وسأعد عريضة وأقف في رأس سوق الحميدية وأوقعها من الرائح والغادي ، وأرفعها إلى الحكومة لتأمر بتحقيق هذه المساواة الكاملة ، وتصدر قانوناً مستعجلاً يلزم الزوج أن يحبل سنة وتحبل المرأة سنة ، ويرضع هو الطفل سنة ، وترضع هي سنة ، إذ لا يعقل ولا تتحقق المساواة بأن يعملا معًا في الإدارة أو في المصنع ويحمل كل منهما على عاتقه نصيبًا من العبء ، وتحمل هي في بطنها ما لا يحمل في بطنه مثله ، وإلى أن يصدر هذا القانون ويطبق فعلاً أقطع هذه المناظرة معترفًا بأني قد انهزمت وأني غلبت ، وأنها هي التي غلبت وانتصرت)[٤]

هـ ـ الرد على دعاة (الشعر الحر) :

كتب الشيخ "علي الطنطاوي" مقالة ردّ ا على دعاة التجديد في الأدب والشعر قائلاً : (التجديد كما نفهمه أو أفهمه أنا على الأقل لا يكون بقطع الصلة بالماضي ، ولا بالخروج على قواعد اللغة وسنن العرب في كلامها ، ولا بالدعوة الحمقاء إلى العامية ، وأن نعمد إلى عقود الشعر فنقطع خيوطها ، وننثر حباتها ونأتي بشيء لا هو بالنثر ولا

(١)علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ /٤٠١)

(٢) المصدر نفسه ، (٥ /٣١١)

(٣) المصدر نفسه ، (٧ /١٠٨)

(٤) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ /٣٨٧ ، ٣٨٨)

هو بالشعر ، بل أن تبقى اللغة عربية سليمة من العلل ، بليغة قوية بعيدة عن الركاكة والضعف ، نصب فيها بعد ذلك ما شئنا من أساليب جديدة وأفكار جديدة ، أي أن نصنع ما صنع أجدادنا في العهد العباسي حين ترجموا كتب اليونان والفرس فجعلوها عربية ، ولم يجعلوا لغتهم من أجلها يونانية ولا فارسية ، ولا لغة ممسوخةمسخًا من أصلها العربي كالقرد الذي كان إنسانًا فمسخ قردًا أو خنزيرًا .

هذه اللغة القردية التي في المجلات ، تترجم عن الانجليز والفرنسيين أدبهم ، تنقله إلينا كما ينقل التمثال البديع لكن بعد كسره ، لا تنقله تمثالاً بل رفات تمثال ، وقد أنفق ساعة من وقتي أحاول أن أفهم صفحة منه ثم لا أفهمها)[1].

و - الرد على خصوم (المجمع الأدبي) :

كانت بداية تكوين هذا (المجمع الأدبي) على يد "منير العجلاني"[2] بعد أن عاد من فرنسا حاملاً شهادة الدكتوراه في الحقوق ، وكان له نشاط بين الطلاب في فرنسا ، فلما رجع إلى الشام لم يستطع أن يقعد عاملاً ، فجمع أدباء الشباب ممن هم في سنه ومن هم أكبر منه وأصغر ، وجعل يحدثهم عن الأدب ، وعن المذاهب الجديدة فيه ، وكان يجمعهم في مكتب أخيه المحامي في أضخم عمارة في (دمشق) ، ويقدم لهم أطيب المرطبات وأنفس الحلويات ، ومع تعدد لقاءاتهم وأحاديثهم في الأدب والمناقشات والمناظرات اقترح بعضهم إنشاء نوع من الروابط بينهم ، إما جمعية أو لجنة أو رابطة ، وكان معهم الشيخ "علي الطنطاوي" ، فاقترح عليهم أن يسمى (المجمع الأدبي) ووافقوا على الاسم ، ولم يبق إلا معرفة عمل المسمى .

اتفق الأعضاء المنتخبون على أن تكون غاية (المجمع الأدبي) إيقاظ الروح الأدبية في البلد ، والتعاون على الإنتاج ، ومساعدة كل أدبي نابغ أقعده عارض من عوارض الدهر[3]، وإنشاء أدب جديد قوي .

وكان مجلس (المجمع الأدبي) تكوَّن من كل من : "منير العجلاني" سكرتيرًا ، و"أنور العطار" ، و"مشيل عفلق" ، و"سعيد الأفغاني" ، و"علي

---

(١) المصدر نفسه ، (٢ /٣٨٠)

(٢) سياسي ، ولد في (دمشق) ، ودرس الحقوق فيها وفي (باريس) ، وعمل بالمحاماة والصحافة ، انتخب نائبًا عن (دمشق) عدة مرات ، وتولى عددًا من الوزارات ، انتقل إلى السعودية ، وأسس (المجلة العربية) توفي في الرياض سنة (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) ، ودفن فيها .

يُنظَر في ترجمته : ترجمته على الشبكة العنكبوتية .

(٣) لا يجوز نسبة الحوادث إلى الدهر بل يجب نسبتها إلى مصرف الدهر وهو الله تعالى .

الطنطاوي" أعضاء إداريين ، و"سليم الزركلي" ، و" جميل سلطان"[1] ، و"زكي المحاسني"[2] وآخرين .

بقي في هذا المجمع الأدباء الذين تربوا على القرآن ، وعلى نهج البلغاء من الأدباء ، وخرج منه من كانوا أميل إلى غير ذلك ، فألفوا لأنفسهم جماعة سموها "ندوة المأمون" ، وقامت حرب بين فكرتين وأسلوبين ، وكان ممن خاض هذه الحرب إمام الجماعة الشيخ الأديب "علي الطنطاوي" ، فكتب مقالة عنوانها : (المجمع الأدبي وخصومه : نحطمهم كما يحطم النسر أمة من الذباب بضربة من جناحه) أقتبس منها بعض نصوصها ، يقول فيها (وبعد ، فطالما لهؤلاء الذين ينخرطون في أمر الأدب ، ويدخلون فيه وما هم من أهله ، ويتجرؤون على هذا المجمع وينطحون صَفَاته[3] ، ولم نحب أن يكون بيننا وبينهم جدال ، فخلينا بينهم وبين ما يريدون ، وكنا وإياهم كما قال الأول :

وكم قائل : ما لي رأيتك واجلاً ؟ فقلت له : من أجل أنك راكب

حتى إذا أكثروا علينا ، وحسبوا سكوتنا عجزاً ، وترفعنا جبناً ، لم نجهد أن نريهم شيئاً من غلظتنا كما أريناهم أشياء من ليننا ، ونحن ما أنشأنا هذا المجمع الأدبي إلا لأن طائفة من الناس ادعت هذا الأدب وما الدعي كالصحيح النسب ، وبعبعت بغير علم ، وظنت أن كل من أمسك بقلم وخط في صحيفة كان كاتباً نحريراً .

وكثرت هذه الطائفة وانتشر بلاؤها ، وملأت الصحف بآثارها ، والمجامع والمجالس بأحاديثها ، وطفقت تكتب في الأدب ، وما كتابتها إلا كصلاة حارثة الذي قال فيه الشاعر :

ألم تر أن حارثة بن بدر يصلي وهو أكفر من حمار !

قلنا للناس : هذا عملنا ، فمن عمل مثله فهو مثلنا ، ومن عمل خيراً منه فهو خير

---

(١) **هو** : جميل سليم سلطان . أديب ، باحث ، لغوي ، من مواليد (دمشق)، حصل على العالمية من (باريس) ، تولى إدارة المعارف في (حوران) ، توفي سنة (١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م)

يُنظَر في ترجمته : محمد خير رمضان ، تتمة الأعلام ، (١١٥/١)

(٢) **هو** : زكي بن شكري المحاسني . أديب ، دمشقي المولد والوفاة ، تخرج في كلية الحقوق ، وعمل في المحامات والتدريس فترات طويلة ، توفي سنة (١٣٩٢هـ -١٩٧٢م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٤٧/٣)

(٣) هي الصخرة .

منا ، ومن عمل دونه فهو دوننا ، لا فضل لأحد على أحد إلا بفضل علمه ، وحفظنا لشيوخ الأدب أقدارهم ، ولم يفكر واحد منا في انتقاصهم والتسميع بهم ، نستغفر الله ، أننتقص شيوخنا وأساتذتنا ؟ إنإذً ا لقوم سوء .

هذا منطق (المجمع الأدبي) وذاك منطوق خصومه ، ندعوهم إلى نقدنا النقد الصحيح فيسبوننا السب البذيء ، ونقول لهم : اعملوا ونحن معكم ، فيقولون لنا : اعملوا أو لا تعملوا فنحن عليكم ... الخ) [١]

ز ـ كان للشيخ "علي الطنطاوي"حديث أسبوعي في الإذاعة ، يذاع بعد صلاة الجمعة ، وقد استمر هذا البرنامج في الإذاعة لأكثر من تسع عشرة سنة [٢].

وهناك جهودلها علاقة بهذا الميدان ذُكِرت في السابق ، فلا حاجة لتكرارها ، وسيأتي فيالميادين اللاحقة بعضُ ما يتعلّق بهذا الميدان .

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ /٣٨٣ – ٣٨٧)

(٢) المصدر نفسه ، (٦ /٢١)

المطلب الخامس : جهود المدافعة في الميدان التربوي والدعوي ووسائلها :

تمهيد :

حفلت بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري بجهود كبيرة ساعدت في بناء المجتمع الشامي وتطوير أفرادهتربويًّا ودعويًّا ، بالرغم من العقبات التي كانت تواجه العمل الإسلامي آنذاك إلا أن التوجه للإصلاح الدعوي والتربوي ظلخطًّا تسير عليه كثير من المؤسسات والجمعيات والمدارس الدينية ، ويندفع للعمل من أجله المشايخ ورواد العمل الإسلامي ، وكان لتلك الجهود آثارها داخل البلاد الشامية بل وخارجها ، ومن أبرز تلك الجهود :

أولاً : في سويا :

أ ـ قيام ماعُرف بـ (نهضة المشايخ) :

بدأت هذه النهضة في العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري ، وكانت تهدف إلى بناء أفراد المجتمعدينيًّا وروحيًّا ، مع العناية بتهذيب السلوك والأخلاق ، وخصوصًا بعد دخول الاستعمار وتمكنه من السيطرة على التعليم والإعلام ، وحربه على الثوابت والقيم من خلال هاتين المؤسستين .

حينها فكر المشايخ في إخراج الأبناء السوريين من مدارس الحكومة ، ولا يتحقق هذا إلا بفتح مدارس تغني عنها ، فأُنشئت (الجمعية الغراء) تحت إشراف الشيخين "علي الدقر" و"هاشم الخطيب" ، ثم استقل كل منهما بمدرسة ، فبقيت (الجمعية الغراء) للشيخ "علي الدقر" ، وأنشأ الشيخ "هاشم الخطيب" (جمعية التهذيب والتعليم) . ولقد أثمرت هاتان المدرستان ،وخرّجتا العلماء والدعاة ، وأحيا الله تعالى بعلمهم أرض (حوران) و(الأردن)[1]

ب ـ من صور هذه الجهود : ما كان يقوم به الشيخ "عبد الكريم الرفاعي" من اهتمام بشباب الحي من خلال إحياء رسالة المسجد حيث رأىيومًا طالبًا من طلابه يعين اثنين من تلامذة المدارس على مذاكرة درسهما ، فسُرَّ به وأعجبه صنيعه فسأله : هل تقبل أن تلقي مثل هذا الدرس على عدد أكبر من التلاميذ ابتغاء ثواب الله ، بلا أجرة تأخذها مني ولا منهم ؟ قال : نعم فقال له : اجتهد أن تجعل موعد الصلاة منتصف الدرس ، حتى إذا أذن المؤذن قمت أنت إلى الصلاة ، فمن كان منهم مواظبًا عليها استعد لها وقام معك إليها ، ومن لم يقم فلا تقل لهشيئًا ، ولا تجبرهإجبارًا فربما فتحت

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (١ /٢٤٠)

للشيطان سبيلاً إليه فنفره منها ،فإذا قمتم أنتم وبقي قاعدًا ورأى الناس ينظرون استحيا منهم فصلى ، وسأل طلابه - وكان كثير منهم من المدرسين في المدارس المتوسطة والثانوية - هل يقبلون أن يلقوا دروسًا خاصة مجانية ؟ والطلاب عنده يرغبون فيها ومنهم من يعجز عن دفع أجرتها ، فقالوا : نعم ، فصار المسجد مدرسة تلقى فيها العلوم التي تدرس في المتوسطات والثانويات من بعد صلاة العصر إلى المغرب ، وكان من ذلك أن أقبل الطلاب كلهم على صلاة الجماعة ، وأطالوا البقاء في المسجد فحضروا بعض الحلقات التي تقام فيه ، فتعلموا علوم الدين والدنيا ، ونشأوا صالحين مصلحين[١].

ج - من أبرز جهود المدافعة في الميدان التربوي والدعوي عناية العلماء والمشايخ بتأصيل طلابهم تأصيلاً علميًّا ، وإعدادهم ليكونوا منارات يهتدي بها الناس ، ودعاة إلى الله على بصيرة ، وذلك من خلال دروس العلماء اليومية والأسبوعية التي كانت تغط بها الشام ، فمنها ما كانت تلقى في البيوت ، ومنها ما كان في المساجد ، ومنها ما يلقى في المدارس الدينية التي أنشأها المشايخ.

ولم يكونوا يتقاضون رواتب لا من الحكومة ولا من الطلاب . ومن هؤلاء : الشيخ "مصطفى الطنطاوي" الذي فتح داره للمشايخ ليقرؤوا عليه كل يوم في الصباح ، ثم يذهب طائفة منهم إلى جامع التوبة ، ويأتي آخرون ينضمون إليهم ، فيكون لهم درس آخر ، وكان له درس آخر في جامع (التوبة) بين العشاءين يبدأ بعد صلاة المغرب وينتهي قبل صلاة العشاء ، ومنهم الشيخ "أبو اليسر عابدين" -مفتي الشام- الذي كانت له دروس لا تقل عن الأربعة أو الخمسة كل يوم ، منها دروس في الصباح من بعد صلاة الفجر ، ودروس بين العشاءين ، ودروس في الليل ، ومنهم الشيخ "حسن حبنكة الميداني" الذي كانت له دروس منتظمة ، ثم تحول مجلسه إلى مدرسة أنشأها هو ، وكان له تلاميذ عني بهم عناية كبيرة وعكف معهم على الجد ، منهم ولده الشيخ "عبد الرحمن بن حسن الميداني"[٢] ، والشيخ "مصطفى الخن"[٣] ، والشيخ القارئ

---

(١) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (١ /٢٦)

(٢) **هو** : عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني . عالم ، باحث ، مفكر ، داعية ، له شعر ، ولد بـ(دمشق) ، ونشأ في رعاية والده ، وأخذ من علمه ، نال الدكتوراه من الأزهر ،ودرَّس في عدد من الجامعات السعودية ، توفي سنة (١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م)

يُنظَر في ترجمته : محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، طبعة دار الاعتصام ، القاهرة ، بدون تاريخ الطبع (٥٩/٣)

(٣) **هو** : مصطفى سعيد الخن ، الشافعي ، الميداني ، الدمشقي . العالم الأصولي ، ولد في (دمشق) ، وتأثر بشيخه " حسن حبنكة الميداني " وغيره من العلماء ، له عدة مؤلفات . توفي سنة (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) في (دمشق) .

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

"حسين خطاب"[1] ، والشيخ "سعيد رمضان البوطي" ، ومن المشايخ الذين كان لهم أثر في بلاد الشام شيخ علماء الشام الشيخ "بدر الدين الحسني" وكان كبير علماء الحديث في البلاد آنذاك ، وكانت تعقد دروسه تحت قبة الجامع الأموي ، والشيخ "محمد بن جعفر الكتاني" - صاحب (الرسالة المستطرفة)- وكانت تعقد دروسه في الجامع الأموي، والشيخ "محمد بهجت البيطار" في علم النحو والحديث والتفسير ، والشيخ "عبد القادر بدران" ، والشيخ العالم "محمد أبو زهرة" ، والشيخ "جمال الدين القاسمي" ، والمفتي الحاج "أمين الحسيني" -مفتي فلسطين- ، والشيخ "علي الدقر" ، والشيخ "مصطفى الزرقا" ، والشيخ "هاشم الخطيب" ، والشيخ المحدث "ناصر الدين الألباني" ، والشيخ "زهير الشاويش" ، والشيخ "عبد الفتاح أبو غدة" ، والشيخ الداعية "محمد أمين المصري" ، والشيخ "مصطفى نجا"[2] -مفتي لبنان- ، وغيرهم من علماء الشام ومشايخها .

د - إنشاء الجمعيات الإسلامية :

ولدت فكرة إنشائها سنة (١٩٢٩م – ١٣٤٧هـ) ، وإن كانت موجودة قبل ذلك في صورة اجتماع يعقده بعض طلبة العلم في منزل أحدهم ، حيث كان في (دمشق) جماعة من كبار التجار وكرامهم ومعهم بعض طلبة العلم يلتقون في (دَور)[3] بينهم ، وكان الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- قد عاد من مصر ، فأخذه إلى هذا الاجتماع صاحب له اسمه "عبد القادر العاني"[4] ، فحدثهم الشيخ عن إنشاء الجمعيات في مصر ، وذكر لهم قانونها ونظامها ، واقترح عليهم أن يحوّلوا هذا (الدور) إلى جمعية ينتفع بها أهل الشام، ويكون لهم حظ من ميراث النبوة وهو الدعوة إلى الله تعالى ، واختاروا قانون (جمعية الهداية الإسلامية) واسمها ، وكانت إذ ذاك قائمةً في مصر ، وأعدّوا

---

(١) **هو** : حسين بن رضا بن حسين خطاب . عالم مشارك ، خطيب ، شيخ القراء ، ولد بـ(دمشق) ، ، عكف على شيخه "حبنكة الميداني"، شارك في العمل السياسي ، ثم اعتزله . توفي سنة (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظه ، علماء الشام وأعيانها في القرن الخامس عشر الهجري ، مرجع سابق ، (ص١٦٦)

(٢) **هو** : مصطفى بن محيي الدين بن مصطفى بن عبد القادر محمد نجا . من مواليد (بيروت) ، عرفت أسرته بالتقوى والتجارة ، ساهم في تأسيس المساجد والمراكز في لبنان . توفي سنة (١٣٥٠هـ-١٩٣٢م)

يُنظَر في ترجمته : ترجمته على الشبكة العنكبوتية .

(٣) الدور :أن يجتمعوا أيامًا معدودة عند واحد منهم ،فإذا كان آخر يوم صنع لهم طعامًا .

(٤) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (١ /٣٤٤)

الأوراق الخاصة بالرخصة الرسمية [١].

وتوالت من بعدها الجمعيات ، وأولها (التمدن الإسلامي) التي أنشأها "أحمد مظهر العظمة" و"محمد كمال الدين الخطيب"[٢] ، وكان لها ناد ثقافي ومجلة يشرفان عليها ، يكتبان عناوينها بأيديهما ، ويلصقان الطوابع بنفسيهما ليوفرا على الجمعية أجرة موظفين يتولون هذا العمل [٣].

وجمعية (التهذيب والتعليم) التي أنشأها الشيخ "هاشم الخطيب" ، و (الجمعية الغراء)[٤] التي أشرف عليها الشيخ "علي الدقر" . وكان لهذه الجمعيات مدارس ومجلات ومنشورات ومحاضرات وحفلات ورسائل[٥] كان لها أثر عظيم عند أهالي الشام .

هـ ـ كان بعض علماء الشام يعقدون مجالس أسبوعية لمذاكرة العلم ، وما يتعلق بواقع البلاد والتشاور في ذلك أيام الوحدة بين مصر والشام ، منهم الشيخ "علي الطنطاوي" -الذي كان يفتح بيته لهم- ، ومنهم "محمد سعيد رمضان البوطي" ، و"محمد القاسمي" ، وقد مر قبل قليل مجلس مثله كان يعقده بعض العلماء والدعاة في بيت الشيخ "حسن حبنكة الميداني" -رحمه الله- .

و ـ لما احتل الفرنسيون جامع (تنكز) وجعلوه مدرسة عسكرية ذهب الشيخ "بدر الدين الحسني" ووراءه تلامذته ، والأمة من ورائهم حتى دخل من باب المسجد ، فلم يستطع الحارس أن يمنعه مع أن سلاحه بيده ، بل أخبر رؤساءه ، فما جاء غازيًا مقتحمًا ليردوه ، ولا محاربًا لينازلوه ، بل وجدواشيخًا مشرق الوجه خفيض الصوت قليل الكلام ، فقالوا لترجمانهم : اسأله : ماذا يريد ؟ فقال للترجمان : يابه : قل لهم : هذا مسجد ، والمساجد للصلاة ، وقد جئنا نصلي فيه ، فكم يكفيكم من الأيام لتخلوه لنا ؟ فأخلي ، وعادمسجدًا كما كان[٦].

ز ـ لما رأى الشيخ "بدر الدين الحسني" -رحمه الله- انتفاع الناس بتأليف

---

(١) لم يكن إصدار المجلات أو تأليف الجمعيات يحتاج إلا مجرد إخبار يقدم لوزارة الداخلية إلا إذا كانت سياسية .

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٢ /٢٦٩)

(٣) المصدر نفسه ، (٢ /٢٩٣)

(٤)علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٥ /٣٥٩)

(٥)المصدر نفسه ، (٤ /٢٩ ، ٥ / ١٤٢)

(٦) علي الطنطاوي ذكريات ، مرجع سابق ، (٣ / ٢٥٨)

الجمعيات الإسلامية -وخصوصًا فيما عرف بنهضة المشايخ - وإقبالهم على الخير والهدى سرَّه ذلك ، فأخذ يشجع الشيخين "هاشم الخطيب" و"علي الدقر" أن يبذلا وسعهما من خلال جمعيتهما ، فسألاه أن يجول معهما في مدن سوريا لوعظ الناس ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، فمشى معهم ، وكانوا إذا شارفوا البلد خرج الناس لاستقبالهم وساروا معهم ، فيبدؤون بالمسجد فيعظون ويعلمون ويحثون على الجهاد يبينون أحكامه وحالات وجوبه[1].

ثانيًا : الدعوة في سوريا ، ولبنان ، والأرن ، وفلسطين :

ح - البناء الدعوي والتربوي الشامل :

نشأ في سوريا خلال النصف الثاني من عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ما عرف بـ "رابطة شباب محمد" ، وكان هذا العنوان جامعًا لكل الشعارات والأسماء على كثرتها آنذاك ، كالرابطة الدينية في (حمص) ، والشبان المسلمين في (دمشق) ، ودار الأرقم بـ(حلب) ، والإخوان المسلمين في (حماة) ، وكانت دار الأرقم أقدم هذه الجمعيات في بلاد الشام [2].

وكان لمجموعة (شباب محمد) أنشطة اجتماعية وثقافية ، وكان يتولى الإشراف على هذه الأنشطة في فروع المحافظات السورية رجالات وعلماء ودعاة كان لهم أثر كبير في البلاد .

ولما عاد الشيخ "مصطفى السباعي" -رحمه الله- من مصر اجتمع العلماء والدعاة ورجال الجمعيات الإسلامية من كافة المحافظات السورية ، وقرروا توحيد الصفوف ، والعمل تحت جماعة واحدة سميت بـ "جماعة الإخوان المسلمين" لعموم القطر السوري ، وذلك سنة (١٩٤٢م – ١٣٦١هـ) ، ثم بعد ثلاث سنوات وتحديدًا في عام (١٩٤٥م – ١٣٦٤هـ) اختير الشيخ "مصطفى السباعي" أول مراقب عام لـ"الإخوان المسلمين" في سوريا .

بيد أن بوادر النهوض في العمل الإسلامي في الشام قد بدأت قبل ذلك ، وبالتحديد أوائل الثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي ، إذ كثر تأسيس الجمعيات الإسلامية ، وزادت أعداد العاملين للإسلام ، ففي (دمشق) تأسست (جمعية الهداية الإسلامية) ، وفي (بيروت) ثلاث جمعيات إسلامية : (جمعية الشبيبة الإسلامية) و(جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية) و(المجلس الخيري) ، وفي (طرابلس) جمعية إسلامية وهي (جمعية التعاون الخيري) ، وفي (حلب) تألفت (جمعية البر والأخلاق الإسلامية) ، وفي (حماة) تألف فرع لـ (جمعية الهداية الإسلامية) ، وفي فلسطين قامت جمعيات في (نابلس) و(حيفا) و(يافا) و(عكا) و(صفد) و(خليل الرحمن) و(اللد)

(١) المصدر نفسه ، (١ /٢٨٤)

(٢) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي الداعية المجاهد والفقيه المجدد ، مرجع سابق ، (١١٢)

و(الرملة) و(خان يونس) و(سلوان) ، وكانت تحمل كل منها اسم (جمعية الشبان المسلمين) تبعًا لـ(جمعية الشبان المسلمين) التي أسست في مصر سنة (١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م) ، أما ما عرف في سوريا بـ"رابطة شباب محمد" ، وتداعيات تأسيسها فقد تحدث عنها مؤسساها وهما "عبد الوهاب التونجي"[١] و"عمر صدقي بهاء الدين الأميري"[٢] في مقالة لهما بعنوان (رابطة شباب محمد ﷺ ومؤسساتها في العالم الإسلامي) نشرتها مجلة (الفتح) في عددها الصادر بتاريخ (٢ /١٠/ ١٣٥٦ هـ = ٧/ ١٠/ ١٩٣٧م) وقالا فيها : (قبل ثلاث سنوات خلت شَعَرَ بعض طلاب الجامعة السورية بحالة البلاد المنحطة من الناحية الخلقية والدينية ، وكيف أن الدين لم يبق منه عند الجمهور غير مظاهر فارغة ليست من جوهر الإسلام في شيء ، وتنبهوا إلى تقصيرهم في هذا المضمار ، وعرفوا أن عليهم واجبات نحو أنفسهم والبلاد أجلُّ ها وأعظمها صيانة الأخلاق ، فقاموا فيما بينهم بتأسيس حلقات يجتمعون فيها لتهذيب النفس وتقوية روابط الأخوة ، والتبشير بفكرتهم هذه بين الشباب ، وجعلوا يَنْظِمون الصالح وغير الصالح أو القابل للصلاح في سلك عقدهم ، وقد اتسعت الدائرة مع الأيام ، وبرز إلى الوجود بدل الحلقة الواحدة حلقات عدة متصل بعضها ببعض اتصالاً قويًّا ، فهي في مراسلة دائمة من جهة ، وتقوم بالرحلات المتنوعة في سبيل التعارف والاجتماع وتمكين أواصر الإخاء من جهة أخرى ، وتجتمع لتتعاون في البأساء والضراء ، وتدرس شؤون العالم الإسلامي المختلفة ، وكانت مناسبة رأى أفراد الحلقة فيها ضرورة مقابلة أحد كبار الزعماء في سورية ومباحثته في بعض الأمور الإسلامية ، وفيما هم يتحدثون مع ذلك الزعيم سألهم عن اسم الرابطة التي تجمع هؤلاء الشبان ، فأجاب أحدهم على البداهة (نحن شباب محمد ﷺ) فانتشر هذا الاسم في الأوساط انتشارًا سريعًا ، وأصبح له دوي في الآذان ، مما دعا لجعله اسمًا عامًّا يطلق على مجموع الحلقات في جميع الجهات .

وما أشرقت شمس سنة (١٣٥٦هـ - آذار / مارس ١٩٣٧م) إلا وكان شباب محمد ﷺ قد انتشروا في الآفاق ، وأصبحت لهم مراكز في : (دمشق) و (حلب) و (حماة) و (حمص) و (بيت المقدس) و (شرقي الأردن) و (باريس) و (برلين) و (مراكش) وهم يسعون -بفضل الله- لجعل رابطتهم تشمل أكثر البلاد

(١) عبد الوهاب صبحي التونجي . من مؤسسي دار الأرقم ، عمل في المحاماة والقضاء الشرعي ، من أهالي (حلب) ، كان عضو (اللجنة المركزية بالحركة الإسلامية) في سوريا .

يُنظَر : يوهانس رايسنر ، الحركات الإسلامية في سورية ، مرجع سابق ، ص (٤٦٩)

(٢) **هو** : من أهالي (حلب) ،عمل محاميًا ومعلمًا ،مثل بلاده سفيرًا في باكستان والسعودية ،له عدة مؤلفات وديوان ، توفي سنة (١٤١٢هـ -١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته : أحمد عبداللطيف الجدع وحسني أدهم جرار ، شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٩٧٨م – ١٣٩٨هـ) ، (٢/ ٥)

الإسلامية)

وذيّلا المقال بقولهما : (ولما كانت رابطة شباب محمد ﷺ رابطة روحية أخوية لا تتقيد بقيد رسمي ، فقد صحت العزيمة في بعض مراكز الحلقات أن تستعين بالله تعالى في تأسيس أندية رسمية تحقق أهدافها وغاياتها بالطرق النظامية والوسائل القانونية ، فأسست في (حلب) "دار الأرقم" ، وأسست في (دمشق) (جمعية الشبان المسلمين) وفي (حمص) (رابطة الطلاب الدينية) ، وهلمجرّا ...) [١]

وقد كان لهذه الجمعيات جهود أخرى ، منها مخاطبة المسئولين في وزارة المعارف بالعناية بعلوم الدين ، وجعل الامتحان فيهاإجباريًّا ، وأن هذا القرار سيمكن شباب الإسلام في البلاد من معرفة واجباتهم الدينية ، كما كانت لها إسهامات في طبع المنشورات والرسائل التي يكتبها العلماء وتقوم بطباعتها على نفقاتها ، كما كانت تنتصر لآراء العلماء والدفاع عنها ، وتصدر بياناتها الرسمية في التأييد لهم ، وخصوصًا "جمعية الهداية الإسلامية" ومن فيها من العلماء والتجار والوجهاء ممن لهم في البلد منزلة رفيعة وكلمة مسموعة [٢].

كما كانت بعض الجمعيات تقيم احتفالات تلقى فيها الخطب والقصائد ، وكانت سوقًا أدبية لنقد الواقع الذي أحدثه الاستعمار ومجالاً لنقد الوزارات وبيان عيوبها وكيفية إصلاحها كوزارتي المعارف والثقافة ونحوهما [٣].

وكان لهاأيضًا مجلات تصدرأسبوعيًّا كـ (مجلة البعث) التي أصدرتها (جمعية التهذيب والتعليم" ، وكانت أول مجلة إسلامية تصدر في (دمشق) سنة (١٩٣١م – ١٣٤٩هـ) [٤]

أما اسم "الإخوان المسلمين" الذي غلب على "رابطة شباب محمد" وعلى الحركة الدينية الإسلامية آخر الأمر فقد تم في صيف عام (١٩٤٦م – ١٣٦٥هـ) بعد جلاء الاستعمار الفرنسي عن بلاد الشام ، وإن كان هذا الاسم سبق أن أطلق على إحدى الجمعيات في (حماة) سنة (١٩٤١م – ١٣٦٠هـ) [٥]

وقد افتتح "الإخوان المسلمون" في عام (١٩٤٦م – ١٣٦٥هـ)مركزًا لهم في

---

(١) الفتح ، العدد (٥٧٠) ، (ص٧)

(٢) علي الطنطاوي ، الذكريات ، مرجع سابق ، (٣ / ٤٤٣) (٢ / ١٢، ١٣)

(٣) المصدر نفسه ، (٣ / ٣٤٤)

(٤) علي الطنطاوي (٢ /١٦٢)

(٥) عدنان زرزور ، مصطفى السباعي ، مرجع سابق ، (١٦٢)

كل محافظة من محافظات سوريا ، كما افتتح المركز العام للجماعة في وسط (دمشق) في (السنجقدار) ، أما مركزهم الثاني في (باب الجابية) فكانخاصًّا بالفتوة وحركة الإخوان الكشفية [١]

اتخذ "الإخوان المسلمون" في سوريا تجربة الحركة الإسلامية في مصر أنموذجًا يحتذى ، وكانت العلاقة بينهما علاقة تضامن وتعاون ولكنها مستقلة تعمل في خطة منسجمة مع معطيات واقع المجتمع السوري ، فهذه تشبه تلك ، لكن هذه ليست تلك[٢].

كما أنشؤوا لهم في لبنانمركزًا في (١٩٦٤/٦/١٨م = ١٣٨٤/٢/٨هـ) حيث نال موافقة وزارة الداخلية على تأسيس تنظيم إسلامي وفق القانون الأساسي والنظام المقدم إليها ، وكان من قادة الجماعة أمينها المؤسس الشيخ "فتحي يكن"، و"إبراهيم المصري"[٣] الذي يتولى اليوم نائب أمين عام الجماعة الإسلامية وغيرهما [٤].

وخلال الحرب العالمية الثانية عمل "الإخوان المسلمون" على نشر فكرهم في كل من شرقي الأردن وفلسطين[٥] ، وإن كانت "جماعة الإخوان في مصر" كان لها دور في تأييد ونصرة الثورة الكبرى التي قادها الشيخ "عز الدين القسام" سنة (١٩٣٦م – ١٣٥٥هـ) -كما سيأتي- .

ط - حظيت بلاد الشام ببروز نخب تربوية دعوية ساهمت في تربية جيل الشباب آنذاك ودعوتهم إلى الحق ، وزاحمت بما تحمله من المكانة الاجتماعية في مدافعة خطط المستعمر وكان من أبرز المؤثرين في الميدان التربوي والدعوي الشيخ "محمد أمين المصري" ، وكانت له في العقدين السادس والسابع من القرن العشرين آثاره الكبيرة في تربية الشباب المسلم من خلال محاضراته ودروسه وأحاديثه فقد عاش فترة خصبة مدرسًا في بعض الجامعات ،ومشرفًا وموجهًا لـ"كتائب محمد" في سوريا ،ومنسقًا مع حركة "الإخوان المسلمين" خلال تلك الفترة ، وكانت له نظرات تخالف

---

(١) المصدر نفسه ، (١٦٤)

(٢) مركز دراسات الوحدة العربية ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، مصدر سابق، (ص١٥٦)

(٣) من مواليد (طرابلس) لبنان ، يشغل اليوم نائب أمين عام الجماعة الإسلامية في لبنان ، ويرأس تحرير عدد من المجلات اللبنانية ، منها (الشهاب) و (المجتمع) و (الأمان)

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٤) موقع الجماعة الإسلامية في لبنان عبر الشبكة العنكبوتية .

(٥) المصدر نفسه .

نظرات الآخرين ، بل له شخصيته المستقلة في كثير من آرائه التربوية .

ومن أهم ركائز الشيخ التي غلبت على أطروحاته وأحاديثه مع طلابه :

١- موضوع التربية والتركيز على تربية المنزل وتربية الأم بالذات ، وتربية المدرسة ، وينتقد طرق التربية التقليدية التي لا تزال في مدارسنا وجامعاتنا .

٢- تربية الناشئة في المدرسة أو المسجد أو المجتمع ، ويؤكد كثيرًا على تربيتهم تربية القيادة لا تربية العبيد ، تربية الاستقلال لا تربية الخضوع .

٣- حديثه عن شعيرة الجهاد الغائبة التي تركها المسلمون ، وحورها العلماء المنهزمون وبدلوها أمام ضغط الواقع والاستشراق ، حتى قال الشيخ مقولته المشهورة : (إن الطفل في الأسرة المسلمة يجب أن ينام على أحاديث الجهاد ويستيقظ عليها)

ولذلك كان الذين لا يعرفون الشيخ -رحمه الله- يظنون أنه لا يتقن غير تفسير سورة الأنفال ، وكان يمازح من يعرفه ويقول : أنا لا أعرف إلا تفسير سورة الأنفال ، كما كان يكثر -رحمه الله- من تفسير سور : آل عمران والتوبة والأحزاب لتضمنها صور المعارك في حياة الرسول ﷺ ، وإنما كان يكرر ذلك لتأكيد المعنى .

٤- كان ينادي بأنه لا بد من قلة تنقذ الموقف ، والقلة هي النخبة التي تستطيع حمل الأمانة ، وكان يقول لإخوانه : (إن حمل الرسالة يعطي الفرد قوةً ما كان ليحلم بمثلها في الحالات العادية ، والشعب في حال حمل الرسالة يستمر في النهوض ، فإذا فترت هذه الروح كان سيره بقوة الدفعة الأولى إلى حين)

وكان زائروه وطلابه يلاحظون أن هناك مواضيع كان الشيخ -رحمه الله- يلح عليها ويكررها ، ولا يسأم من تكرارها [1].

وكان يلقي محاضرات عديدة في مسجد المرابط بحي المهاجرين بـ(دمشق) ، وفي مسجد الجامعة الإسلامية في (المدينة النبوية) ، وكان تواقًا إلى تخريج دعاة ومجاهدين يجالدون العدو والاستعمار في بلاد الشام .

وكان من أبرز الدعاة في الميدان التربوي والدعوي أيضًا :

(١) محمد العبدة ، مقدمة مختصرة في التعريف بـ"محمد أمين المصري" ، نقلتها من موقع (طريق الإسلام) **www.islamway.com**.

الشيخ "محمد بن عبد القادر المبارك" ، الذي كان يوقن أن التعليم ليس مجرد عرض للمعلومات ، ولكنه عملية تقويم تستهدف بناء الإنسان المؤمن العامل الواعي للمسؤولية أمام الله تعالى[١].

شارك الشيخ في العديد من المؤتمرات العلمية العالمية ، وأسهم في وضع عدد من المخططات التعليمية والجامعية في (الشام) و(مصر) و(السودان) و(السعودية) ، وكلف بوضع مناهج اللغة العربية والدين للمدارس الثانوية بسوريا ، وقد أقرت رغم معارضة وزير المعارف "ساطع الحصري" ، واستمرت هذه المناهج حتى عام (١٩٧٦م – ١٣٩٦هـ)[٢]

وقد عمل الشيخ بعد عودته من فرنسا أواخر (١٩٣٨م – ١٣٥٧هـ) مع أصدقاء له كانوا قد أسسوا في كل من (حلب) و(دمشق) جمعية إسلامية تعمل في الدعوة للإسلام في المجالين الاجتماعي والثقافي ، وكان الشيخ يمارس توجيهًا في ضوء الإسلام ، ودورًا في نشر العقيدة ، ومعالجة الفكر الاجتماعي والسياسي في ضوء الإسلام ، وكانت له حلقات علمية يناقش فيها موضوعات إسلامية علمية ، ومشكلات اجتماعية مع الطلاب والمدرسين والعمال ، وكان له نشاط متواصل في إلقاء المحاضرات العامة على مختلف المستويات [٣].

ومثل هذين الرجلين رجالات كانوا مؤثرين في هذا الميدان التربوي والدعوي منهم : "عبد الكريم الرفاعي" ، والشيخ "عبد الرحمن الباني" ، والشيخ "محمد صالح فرفور" ، والشيخ "عبد الفتاح أبو غدة" ، والشيخ "مصطفى الزرقا" ، والشيخ "مصطفى السباعي" ، والشيخ "حسن حبنكة الميداني" ، والشيخ "صبحي الصالح"[٤] ، وغيرهم كثير .

ثالثًا : قضية فلسطين ودور بلاد الشام فيها :

---

(١) محمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، دار المعالي ، عمان ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣) ، (ص٢٠٤)

(٢) محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، دار الاعتصام - (القاهرة) ، الطبعة الثالثة ، (١/ ٢٤٦ – ٢٤٣)

(٣) المصدر نفسه ، (٢٤٤/١)

(٤) **هو** : صبحي بن إبراهيم الصالح . مفكر ، عالم ، ولد في (طرابلس) لأسرة تركية الأصل، تولى (نائب رئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى) ، وأسس أول (مركز ثقافي إسلامي) في فرنسا ، درَّس في عدد من الجامعات العربية، له مؤلفات ، توفي سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظه ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص١٩٧)

ي - من أبرز جهود المدافعة في الميدان التربوي والدعوي (دعم مسيرة الجهاد في سبيل الله ضد الاستعمار الأجنبي والاحتلال اليهودي)

اعتبر هذا الجانب من أبرز صور المدافعة في القرن الرابع عشر الهجري ، حيث كان هناك اهتمام عربي وإسلامي وخصوصًا في الشام ومصر والعراق ، حيث بدأ الإعداد وتهيئة النفوس للدفاع عن حياض الإسلام من جانب العلماء والمشايخ منذ أول أيام الانتداب الفرنسي البريطاني لبلاد الشام في عام (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) ، وخلال حركة الجهاد على روابي فلسطين عام (١٩٤٧- ١٩٤٨م = ١٣٦٦-١٣٦٧هـ) .

لما قامت الثورة السورية عام (١٩٢٥م – ١٣٤٣هـ) ضد المحتل الفرنسي كان المشايخ يطوفون القرى ، فهذا الشيخ "بدر الدين الحسني" -محدث الشام- ومعه الشيخ "علي الدقر" ، والشيخ "هاشم الخطيب" ، في عام (١٩٢٤م – ١٣٤٢هـ) خرجوا من (دمشق) إلى (دوما) ومنها إلى (النبك) وإلى (حمص) ثم (حماة) و(حلب) حتى طافوا سوريا كلها يحثون على الجهاد في سبيل الله ، ويحضون الناس عليه ، وكانوا كلما وصلوا قرية أو بلدة خرج أهلها عن بكرة أبيهم لاستقبالهم بالأهازيج والمواكب ، ثم ساروا وراءهم إلى المسجد ، فتكلموا فيه ووعظوا وحمَّسوا ، وأثاروا العزة الإسلامية في النفوس ، وحثوا على الجهاد لإعلاء كلمة الله ، فكانت هذه الرحلة هي العامل الأول والمباشر لقيام الثورة السورية ضد فرنسا ، وقد امتدت سنتين منذ عام (١٩٢٥م – ١٣٤٣هـ) ، وأذهلت ببطولتها أهل الأرض[١].

وخرج طلبة العلم بدافع الجهاد من تلاميذ الشيخ "بدر الدين الحسني" والشيخ "علي الدقر" ، ومنهم الشيخ "حسن حبنكة الميداني" الذي انضم إلى الشيخ "محمد الأشمر"[٢]، وكان الشيخ حسن يحمل السلاح متنقلاً من مسجد إلى مسجد ، ومن حي إلى حي ، ولما ضعفت الثورة لجأ إلى الأردن مع بعض الثوار ، وبقي هناك سنتين تقريبًا[٣].

وأما دور العلماء والمشايخ وتلامذتهم في الدفاع عن فلسطين فليس يسعني هنا

---

(١) علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، دار المنارة للنشر ، جدة ، الطبعة العاشرة ، (١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م) ، (ص٤٥٤)

(٢) من أهل (دمشق) ، مجاهد ، درس علوم الدين على الشيخ " بدر الدين الحسني " وشارك في معركة (ميسلون) ، اضطر للجوء إلى الأردن ثم عاد إلى سوريا بعد عفو الفرنسيين عن الثوّار ، شارك في الثورة الكبرى في فلسطين سنة (١٩٣٦م – ١٣٥٥هـ) ، وحقق انتصارات ضد البريطانيين ، توفي سنة (١٩٦٠م – ١٣٧٩هـ)

يُنظَر في ترجمته : ترجمته على الشبكة العنكبوتية .

(٣) ينظر : محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، مرجع سابق ، (٢ /١٣٨)

الحديث عن تفصيلاته ، وإنما أشير إلى ذلك باختصار .

فهذا مفتي فلسطين الحاج "أمين الحسيني" في عام (١٩١٨م - ١٩١٩م = ١٣٣٦-١٣٣٧هـ) كون في صباه مع بعض أصدقائه في (القدس) أول منظمة سياسية عرفتها فلسطين وهي "النادي العربي" . وقد انتخب الحاج "أمين الحسيني" رئيسًا لها ، وكان لهذا النادي أثر كبير في انطلاق الحركة الوطنية الفلسطينية حينذاك .

وفي سنة (١٩١٩م – ١٣٣٧هـ) قاوم الحاج "أمين الحسيني" لجنة الاستفتاء الأمريكية (كينغ - كراين) ، وتزعم مظاهرة كبرى راحت تطالب بالاستقلال ، وتؤكد رفض وعد "بلفور" فاعتقلته السلطات البريطانية [١].

وكان الحاج "أمين الحسيني" دائمًا ما يعقد اللجان والمؤتمرات حتى إن السلطات البريطانية حاولت اعتقاله مرارًا ، ونسبت إليه اضطرابات عام (١٩٢٠م – ١٣٣٨هـ) في منطقة (بيسان) ، وطاردته ففر إلى (دمشق) ، وما لبث أن عاد لفلسطين ، وفي عام (١٩٣٧م – ١٣٥٦هـ) حاولت السلطة البريطانية اعتقاله ، ففر إلى لبنان بزورق عن طريق البحر [٢].

وحين انتخب الحاج "أمين الحسيني" رئيسًا للمجلس الإسلامي الأعلى من قبل الشعب بعث الوفود الممثلة للشعب الفلسطيني إلى أنحاء العالم الإسلامي من أجل نصرة فلسطين ، وسافر على رأس وفد من رجال الحركة الوطنية عام (١٩٢٣م – ١٣٤١هـ) إلى (دمشق) ، وفي المساء طوقت فندق (فيكتوريا) الذي نزلوا فيه قوة من الجيش الفرنسي ، ومنعت الناس من السلام عليه وعلى من معه ، وطلب قائد القوة من الحاج "أمين الحسيني" مغادرة (دمشق) فورًا ، فأجابهم بقوله :(ليس من حقكم منعي من الإقامة في وطني) ، وقاوم الفرنسيون المتظاهرين ، وحملوا المفتي بالقوة ونقلوه على متن دبابة فرنسية إلى الحدود العراقية [٣].

ولما زار "بلفور" فلسطين في (٢٥/آذار /١٩٢٥م = ١٣٤٣/٩/١هـ) لتدشين الجامعة العبرية في (القدس) أعلن المجلس الإسلامي الأعلى إغلاق جميع الأماكن المقدسة الإسلامية في وجهه ، ومنعه من الزيارة أو الدخول إلى ساحاتها ، وصدرت الصحف في ذلك اليوم مجللة بالسواد ، وطلب المندوب السامي "هربرت صمويل" من

---

(١) الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٦ /٤٥)

(٢) عبد الله العقيل ، من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة ، مكتبة المنار الإسلامية الكويت ، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) ، (ص١٢٥)

(٣) حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية ، دار البيضاء ، عمان ، (١٤٠٧هـ) ، (ص٦٧ -٧٧)

المفتي أن يمكن "بلفور" من زيارة الأقصى الشريف فلم يستجب له ، وأمر بإغلاق أبواب الحرم وطلب من الحرس ألا يفتحوها لـ "بلفور" ومرافقيه ، فجاء العدو ووجد الأبواب موصدة في وجهه فعاد ومن معه من حيث أتوا [١].

ولما تسلل اليهود إلى الجدار الغربي للمسجد الأقصى زاعمين أن فيه بقايا (هيكل سليمان) وصلّوا أمامه وبكَوا حاولوا جاهدين أن يكتسبوا حق الملكية لـ(حائط البراق) فبادر الحاج "أمين الحسيني" إلى عقد مؤتمر إسلامي في (القدس) سنة (١٩٢٨م – ١٣٤٦هـ) حضره (٧٠٠) مشارك من جميع أنحاء البلاد العربية والإسلامية ، وأصدروا بيانًا استنكروا فيه السياسة البريطانية في فلسطين ، والظلم الذي أنزله المستعمر في البلدان العربية الأخرى .

وفي (١١/ آب /١٩٢٩م = ١٣٤٧/١٠/١هـ) حاول اليهود رفع العلم اليهودي على (حائط البراق) معلنين انتزاعه من أيدي المسلمين ، فوقعت الاشتباكات في أنحاء (بيت المقدس) في (الخليل) و(نابلس) و(جنين) و(طولكرم) ، واستمرت أكثر من أسبوعين ، وشارك فيها مع عصابات اليهود القوات الإنجليزية وانتهت بمقتل (١٣٣) من اليهود ، و(١١٦) من العرب المسلمين ، وتم إعدام ثلاثة من المسلمين في (١٧ /يونيو /١٩٣٠م = ١٣٤٩/١/٢١هـ)[٢]

كما عمل المفتي الحاج "أمين الحسيني" ومن معه من العلماء والمشايخ على تشكيل الفرق الكشفية والرياضية في المدارس وبعض المعاهد الوطنية المستقلة ، إعدادًا لمرحلة الدفاع عن فلسطين ومنازلة المحتل ، وشكلت على يده منظمة (الجوال المسلم) التي ضمت أكثر من ألفي عضو لخدمة قضية فلسطين والدفاع عنها ، ولما قامت الثورة الفلسطينية سنة (١٩٣٦م – ١٣٥٥هـ) وأعلن الجهاد المقدس على يد القائد "عبد القادر الحسيني"[٣] كان عدد غير قليل ممن انضووا تحت لوائه من أفراد منظمة (الجوال المسلم) . وشكل المفتي "أمين الحسيني" جمعيات من العلماء والدعاة باسم (جمعيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتوعية الشعب وإزالة المنازعات والخصومات بين الأهالي) . كما قام بتأليف لجان سرية من شبان فلسطين لشراء

(١) المصدر نفسه ، (٧٧ -٧٩) وبيان نويهض الحوت ، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين فلسطين مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، (١٩٨١م – ١٤٠١هـ) ، (ص٢١٨)

(٢) كامل محمود خلة ، فلسطين والانتداب البريطاني ، طرابلس الغرب ، (١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ) ، (ص٢٩٢)

(٣) **هو** : عبد القادر موسى كاظم الحسيني ، ولد في (إسلامبول) ، شهيد قرية (القسطل) القريبة من (القدس) ، عرف بجهاده ضد الإنجليز واليهود ، استشهد سنة (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) في حرب فلسطين .

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

السلاح من داخل فلسطين ومن البلدان العربية المجاورة ، وتخزينها لأيام الجهاد ، وأقام هو وإخوانه من العلماء والدعاة مراكز سرية في عدة مناطق في فلسطين لإعداد الشباب وتدريبهم على استعمال السلاح وحرب العصابات ، وساعده في ذلك جلبه لكبار الضباط العرب المتقاعدين ممن كانوا يعملون في الجيش العثماني .

وشكل عصابات مسلحة من الوطنيين الصامدين في بعض أنحاء فلسطين ، وخاصة في أقضية (صفد) و(الناصرة) و(بيسان) و(عكا) في شمال فلسطين ، وكانت هذه العصابات شغلت الرأي العام فضلاً عن اليهود والإنجليز خلال (١٩٣١- ١٩٣٥م = ١٣٤٩-١٣٥٤هـ) دون أن يعرف أحد عنها شيئًا ، ولا عمن يوجهها ويقودها[١].

وعلى الرغم من وجود التنظيم السري للجهاد في شمال فلسطين فقد تكون تنظيم آخر في المناطق الجنوبية وخاصة (القدس) ، قاد لواءه المجاهد "عبد القادر الحسيني" ، وأطلق عليه اسم (الجهاد المقدّس) ، وذلك سنة (١٩٣٥م – ١٣٥٤هـ) وتولت هذه المنظمة أعمال الجهاد حتى عام (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) وعندما ساءت الأحوال العامة في فلسطين عمل المفتي الحاج "أمين الحسيني" على توحيد جميع التشكيلات والتنظيمات بما فيها التنظيم السري الذي كان يرأسه القائد "عبد القادر الحسيني" ، وشكَّل حينها ما سمي بـ"منظمة الجهاد المقدس" واختار المفتي القائد "عبد القادر الحسيني" قائدًا لها وكانت تحت إشراف المفتي ورئاسته السرية المباشرة [٢].

كانت هناك منظمة سرية عسكرية غاية في الخطورة والأهمية ظلت خارج هذه المنظمة وفقًا لاتفاق وخطة أجمع عليها مسئولوها ، وهي منظمة الشيخ "عز الدين القسام" والتي أطلق عليها (منظمة القساميين)[٣].

بنى الشيخ "عز الدين القسام" تنظيمه الجهادي على مرحلتين :

الأولى : منذ استقر مقامه في فلسطين حتى عام (١٩٢٥م – ١٣٤٣هـ) ، وتميزت هذه المرحلة بعملية الإعداد النفسي للشعب الفلسطيني ، ونشر روح الجهاد على أوسع نطاق .

الثانية : مرحلة الإنشاء والبناء مع انتشار التنظيم السري والتي بدأت منذ عام (١٩٢٥م – ١٣٤٣هـ) ، واستمرت حتى استشهاده -رحمه الله- في نوفمبر (١٩٣٥م – ١٣٥٣هـ)

---

(١) ينظر : حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (ص١٣٤- ١٣٦)

(٢) إميل الغوري ،فلسطين عبر ستين عامًا ، دار النهار ، بيروت لبنان ، (١٩٧٢م – ١٣٩٢هـ) ، (ص٢٤٤)

(٣) حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (ص١٣٨)

وتميزت المرحلة بالسرية الكاملة في بناء التنظيم بعيدًا عن مراقبة السلطات البريطانية والعصابات اليهودية[١].

ويؤكد "إميل الغوري" أن سر المنظمة لم ينكشف للشعب الفلسطيني والأمة العربية إلا عند استشهاد الشيخ "عز الدين القسام" [٢].

تبنت منظمة الشيخ "عز الدين القسام" الإسلام بشموله كمنهج للعمل والتربية والجهاد ، وجعلت الإيمان بالله تعالىشرطً اأولَ للدخول في المنظمة [٣].

وأمَّا غايتها فهي طرد الانتداب ، وإسقاط مخطط الوطن القومي لليهود وإقامة الحكم الإسلامي المستمد من شريعة الإسلام [٤].

وأما منهجها التربوي لأفرادها فقد فرض على كل عضو أن يحفظ ما يستطيع من آيات وأحاديث الجهاد في سبيل الله ، كما كانوا يدرسون الحروب الإسلامية التي قادها الرسول ﷺ وأصحابه كخالد ابن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص ، وقادة الفتوح الإسلامية من أمثال "محمد بن القاسم" و"عقبة بن نافع" و"طارق بن زياد" و"صلاح الدين الأيوبي" وغيرهم ، مع مراعاة الوقوف على تجارب الآخرين للاستفادة منها [٥] .

وكان شعار المنظمة (هذا جهاد ، نصر أو استشهاد) .

وكان أفراد المنظمة يتعاملون مع القرآن كمنهج حياة ، واعتادوا أن يحمل كل منهم نسخة من القرآن الكريم في كل وقت ليستطيع قراءة وتسميع الورد اليومي متى وجد نفسه في غير شغل ، كما شجعهم الشيخ "عز الدين القسام" على ممارسة الأذكار ، وأعطاهم ابتهالات وأناشيد يرددونها وهم يعدون أنفسهم للجهاد [٦] .

---

(١) محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره حركة الجهاد ، مكتبة الفلاح ، الكويت، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) ، (ص٢٦٨)

(٢) إميل الغوري ،فلسطين عبر ستين عامًا ، مرجع سابق ، (ص٢٥٢)

(٣) صبحي ياسين ، حرب العصابات في فلسطين ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة) ، (ص٦٣ - ٦٤)

(٤) محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٢٧٠ ، ٢٧١)

(٥) صبحي ياسين ، حرب العصابات في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٦٣ -٦٤)

(٦) محسن محمد صالح ، الإسلامي في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٢٧٣)

وأما العضوية فيها فإن الشيخ "محمد نمر الخطيب"[١] -من علماء (حيفا)- يذكر أن الشيخ "عز الدين القسام" كان ينتقي أعضاء جماعته من أهل الدين والعقيدة الصحيحة[٢].

وكما حرص الشيخ "عز الدين القسام" على عنصر التدين والاستقامة فقد حرص كثيرًا على كون العضومستعدًّا للطاعة والانضباط داخل المنظمة ، ولديه الرغبة الأكيدة للتضحية في سبيل الله .

واستطاع الشيخ "عز الدين القسام" أن يشكل أول تنظيم فلسطيني يستقطب الشيوخ والشباب من الفلاحين والفقراء والبدو ، إضافة إلى علاقاته بعشرات القرى حتى التف حوله ألف مجاهد بين منتظم ومناصر [٣] .

وأما الدعم المالي للمنظمة فمصدره الصلات الوثيقة والحسنة مع بعض الأثرياء من أهل فلسطين الذين عرفوا بالدين والأمانة والنزاهة ، كما أن المنظمة كان لها اشتراك يدفعه الأعضاء إضافة إلى كونهمعمالاً يكدحون لأجل العيش ، ومع ذلك كله فقد كان منهم من يدفع كل ما يزيد عن حاجة الأسرة الضرورية ويشتري بهسلاحًا ، ويذكر القائد القسامي "أبو إبراهيم الكبير" أنهم كانوا يصرفون من عملهم الشخصي على عملهم السياسي ، ومنهم من منع نفسه من الضروريات وأكره نفسه على لزوم العمل والإعداد .

ويتبين هنا أن منظمة الشيخ "عز الدين القسام" حرصت على الاعتماد على نفسهمالِيًّا ، ولم ترهن نفسها لجهات خارجية ، ولم تستخدم المال لكسب الأشخاص، ولم تَعِدْ أعضاءها برواتب أو مراتب فكان نتاج ذلك أن تحررت من القيود والولاءات الخارجية ، كما أنه لم يكن من داخلها مجال للمتكسبين والنفعيين[٤].

---

(١) **هو** : محمد نمر بن عبد الفتاح بن الشيخ سعيد الخطيب ، ولد في مدينة (حيفا) فلسطين في أسرة علم ، تعلم على يد علماء (عكا) التي رحل إليها ، قاد كتائب الجهاد بعد مقتل " القسام " ، وشهد معارك عديدة ضد الإنجليز واليهود ، أقام بعد ذلك بالشام والعراق ولبنانمشتغلاً بالخطابة والتدريس والتأليف .

يُنظَر في ترجمته : الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .

(٢) محمد نمر الخطيب ، من أثر النكبة ، الطبعة العمومية ، (دمشق) (١٩٥١م – ١٣٧٠هـ) ، (ص٨٧)

(٣) علي خلف ، تجربة الشيخ عز الدين القسام ، دار ابن رشد ، عمان ، (١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ) ، (ص٥٣)

(٤) محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٢٨٦)

حرص الشيخ "عز الدين القسام" على أن يتدرب جميع الأفراد على حمل السلاح استعدادًا لخوض أي معركة عند إعلان الجهاد ، وبعد ثورة البراق سنة (١٩٢٩م – ١٣٤٧هـ) تولى تدريب الأعضاء بنفسه ، فكان يخرج ليلاً ويدربهم ، ويوجههم بحزم وجد ، وقد وصف أحد القساميين طريقته ، ودرجة الطاعة له فقال : (كان يأخذنا لدروس التدريب ، ويطلب منا أن نمشي حفاة ، وعندما كنا نتدرب في الجبال ، كان يجعلنا ننام في العراء في جو بارد ، وكان يطلب منا السير دون استخدام لطعام أو ماء حتى نستطيع تحمل الجوع والعطش ، وكان يطلب منا أن ننام مرة أو مرتين في الأسبوع على حصيرٍ (قش) على الأرض وبغطاء خفيف ..)[١] ، وعمل المفتي الحاج "أمين الحسيني" على الاستفادة من الشيخ "عز الدين القسام" لدعم الحركة الوطنية فضمه إليها، وكان أحد ممثلي مدينة (حيفا) في الاجتماعات الوطنية التي عقدت آنذاك في (القدس) ، وعينه مدرسًا واعظًا في جامع الاستقلال في مدينة (حيفا) ، وكان هذا التعاون الوثيق بين الشيخين في الدعوة والجهاد في سبيل الله[٢] يقوده الشيخ "كامل القصاب" الذي هاجر بعد الثورة السورية ضد فرنسا أواخر (١٩١٨م – ١٣٣٦هـ) ، وكانت له صلة بالمفتي الحاج "أمين الحسيني" ، كما كان صديقًا للشيخ "عز الدين القسام" الذي قاد الثورة السورية ضد فرنسا في جبال (صهيون) ، والتقيا في (حيفا) بعد أن قضت فرنسا على الثورات وحكمت عليهما بالإعدام[٣].

وكان الشيخ "كامل القصاب" اختير ليكون حلقة الوصل بين الحاج المفتي "أمين الحسيني" والشيخ "عز الدين القسام" فيما يخص (منظمة القسام السرية) وأعمالها وتوجيهها ، وكانت أعمال الشيخ "كامل القصاب" امتدت إلى (القدس) فأصبح تردده على المفتي أمرًا عاديًّا ، ولما توفي الشيخ "عز الدين القسام" شهيدًا في الثورة ضد الانجليز سنة (١٩٣٥م – ١٣٥٤هـ) انظم أتباعه إلى الثورة العامة سنة (١٩٣٦م – ١٣٥٥هـ) [٤]

كانت منظمة الشيخ "عز الدين القسام" فقدت ثلاثة من أبطالها في (ثورة البراق) في (٢٧/يونيو/١٩٣٠م = ١٣٤٩/٢/١هـ) وهم : "عطا الزير"[٥] ، و"محمد

(١) المصدر نفسه ، (ص٢٨٨ ، ٢٥٠)

(٢) إميل الغوري ،فلسطين قبل ستين عامًا ، مرجع سابق ، (ص٢٥٠)

(٣) على خلف ، تجربة الشيخ عز الدين القسام ، مرجع سابق ، (ص١٥ – ١٦)

(٤) حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سبق ، (ص١٣٨)

(٥)من مواليد (الخليل) في فلسطين لم قليلاً بالقراءة والكتابة ، واشتغل ببعض المهن اليدوية ، شارك في المظاهرات الاحتجاجية على هجرة اليهود إلى فلسطين .

يُنظَر في ترجمته : ترجمته على الشبكة العنكبوتية .

جمجوم"[١] ، و"فؤاد حجازي"[٢]، وكانوا من تلامذة الشيخ ، وممن كانوا يحضرون دروسه ، وقد حكم عليهم بالإعدام من قبل الإنجليز[٣].

كانت هذه الحادثةإيذانًا بإعلان الجهاد ، وبدء العمليات العسكرية ضد الانتداب الإنجليزي ، وفي الفترة من (١٩٣٠ – ١٩٣٥م = ١٣٤٩-١٣٥٤هـ) قامت منظمة الشيخ "عز الدين القسام" بعدد من الاغتيالات للإنجليز واليهود والسماسرة والجواسيس وباعة الأرض حتى أعلنت المنظمة الجهاد في نوفمبر (١٩٣٥م – ١٣٥٤هـ)[٤] وهي السنة التي ازدادت هجرة اليهود فيها إلى فلسطين ، حيث دخلها (٦١٨٥٤)يهوديًّا ، واشترى اليهودكثيرًا من الأراضي العربية –حينذاك-[٥].

لم يكن أمام الشيخ "عز الدين القسام" إلا أن يبيع بيته الوحيد في (حيفا) استعدادًا للجهاد ، وباع أنصاره حُلِيَّ زوجاتهم وبعض أثاث بيوتهم ، واشتروا بثمنها بنادق ورصاصًا ،وودَّع كل واحد منهم أهله وواعدهم اللقاء في الجنة [٦].

وخرج الشيخ "عز الدين القسام" يرافقه (٢٥)مقاتلاً من إخوانه في (حيفا) وذلك في أكتوبر سنة (١٩٣٥م – ١٣٥٤هـ) ، وأخذوا يطوفون القرىخصوصًا منطقة (جنين) يدعون الناس إلى الثورة المسلحة ؛ حيث استجاب لهم عدد كبير من المخلصين[٧].

وبينما كان الشيخ "عز الدين القسام" ومن معه من المجاهدين يطوفون القرى

---

(١) محمد خليل جمجوم . من مدينة (الخليل) ، تلقى دراسته الابتدائية فيها ، عرف بجهاده ضد المحتلين ،وكان يتقدم المظاهرات المندّدة بالاحتلال .

يُنظَر في ترجمته : ترجمته على الشبكة العنكبوتية .

(٢) أصغر الشهداء الثلاثة ، من مواليد مدينة (صفد) تلقى دراسته الابتدائية والثانوية في الكلية الاسكتلندية ، وأتم الجامعة في الجامعة الأمريكية في (بيروت) ، عرف بالشجاعة منذ صغره .

يُنظَر في ترجمته : ترجمته على الشبكة العنكبوتية .

(٣) سمح حمودة ، الوعي والثورة ، دار الشروق ، عمان ، الطبعة الثانية (١٩٨٦م – ١٤٠٦هـ) ، (ص١٠١)

(٤) محمد عزة دروزة ، فلسطين وجهاد الفلسطينيين ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة) ، (١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ) ، (ص٢٨)

(٥) كامل خلة ، فلسطين والانتداب البريطاني ، مرجع سابق ، (ص٥٩١)

(٦) محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٣٠٨)

(٧) صبحي ياسين ، الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، دار الكتاب العربي ، (القاهرة) ، (١٩٦٧م – ١٣٨٧هـ) ، (ص٦٧)

مرت دورية بأحد الكهوف فقتل المجاهدون فيها يهوديًّا رفض الاستسلام ، فانكشف أمرهم قبل اكتمال خطة المواجهة ، وكانت السلطات البريطانية خصصت ألف جنيه فلسطيني لمن يدلي بمعلومات تقود للقبض على الشيخ "عز الدين القسام" ، وانتقل المجاهدون بعد انكشافهم إلى عدة مناطق ، كان آخرها في (أحراش يعبد) ، وتفرقوا فرقتين ، وبقي الشيخ "عز الدين القسام" وعشرة من رفاقه[١] .

وفي صباح (٢٠/ نوفمبر/١٩٣٥م = ١٣٥٤/٨/٢٤هـ) طوقت القوات الإنجليزية منطقة (أحراش يعبد) بأربعمائة جندي معظمهم من الإنجليز ، ورفض الشيخ "عز الدين القسام" ومن معه الاستسلام ، وقال لمن معه : (موتوا شهداء ، عليكم بالإنجليز فاجعلوهم هدف رصاصكم ، أما الجنود العرب فهم مساكين لا يدرون ماذا نصنع ولا ما يصنعون) ، وأخذ الشيخ يردد (الله أكبر ، الله أكبر ، يا رفاقي موتوا شهداء) ، واشتد القتال إلى العصر، وقتل من جنود الاحتلال (١٥)جنديًّا ، واستشهد الشيخ "عز الدين القسام" وثلاثة من إخوانه ، وجرح اثنان ، وأسر خمسة ، وبعد نهاية المعركة فتشت السلطات الانجليزية ملابس الشيخ فلم تجد إلامصحفًا و (١٤) جنيهًا ، ونقل الشهداء إلى (جنين) والأسرى إلى (نابلس) حيث أودعوا السجن[٢] .

وكان استشهاد الشيخ -رحمه الله- في هذه المعركة بداية إعلان الثورة الفلسطينية الكبرى سنة (١٩٣٦م – ١٣٥٥هـ)

لم تكن ثورة أشد على الإنجليز واليهود كهذه الثورة ؛ وذلك من عدة وجوه :

١- أنها كانت إسلامية في منطلقها ومختلف أحوالها .

٢- التنسيق المحكم والجهود المنظمة التي ظهرت في دخول "منظمة القسام" ، مع المنظمات الأخرى ، وقيامها بتركيز عملياتها في شمالي فلسطين ولواء (نابلس) ونشر أفرادها في الجبال وتنظيم العصابات السرية هناك ، كما تولى المجاهد "عبد القادر الحسيني" قيادة منطقة (القدس) ، وكان للمفتي الحاج "أمين الحسيني" دور ريادي في تمويل وتنظيم الثورة بشكل غير معلن في المرحلة الأولى ، ومباشر في مرحلتها الثانية[٣] .

٣- الدور الرائد للعلماء في توعية الشعب وتحريضه على الجهاد في سبيل الله ،

(١) محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٣٩)

(٢) المصدر نفسه ، (ص٣١١- ٣١٢)

(٣) صبحي ياسين ، الثورة العربية الكبرى ، مرجع سابق ، (ص٤١) ، ومحسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٣٦١ ، ٤١٢)

ويظهر ذلك في قيام الشيخ "كامل القصاب" وبعض إخوانه بالطواف في المدن والقرى ، حيث كان لهم أثر كبير في استلام المبادرة بعد الشيخ "عز الدين القسام"[١] .

تشكلت أثناء هذه الثورة (اللجنة العربية العليا) من جميع الوطنيين بمختلف اتجاهاتهم برئاسة المفتي الحاج "أمين الحسيني" ، ودعت اللجنة إلى إضراب عام في البلاد بسبب سياسة الانتداب الإنجليزي ، واستمر الإضراب ستة أشهر ، حيث شمل الإضراب المدارس والجامعات والمحلات التجارية ومكاتب الموظفين والمستشفيات، وامتنع القرويون من إنزال محصولاتهم إلى الأسواق [٢].

واشتعلت الثورة في جميع أنحاء فلسطين وسطّر المجاهدون البطولات التي لم تعهد إلا في رعيل الأمة الأول ، حتى سعت بريطانيا لدى أصدقائها من الملوك والرؤساء العرب من أجل التوسط لحل الأزمة سلميّا ، فوجه أربعة منهم نداءً جاء فيه : (إننا ندعوكم للإخلاد إلى السكينة ، معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل ، وسنواصل السعي في سبيل مساعدتكم)[٣]

وأذاع المفتي عقب ذلك بيانًا باسم (اللجنة العربية العليا) دعا فيه المواطنين لإنهاء الإضراب ، تلبية لنداء الرؤساء العرب ابتداءً من (٨/تشرين الأول/١٩٣٦م = ١٣٥٥/٧/٢٢هـ)

تم إنهاء الإضراب استجابة لأوامر المفتي ، ولم تمر عليه أربعة أشهر حتى دخل (١٨٠٠) يهودي إلى فلسطين ، فعادت الثورة مرة أخرى ، وكان للمفتي موقف حاسم تجاه الحلول السلمية التي نادى بها رؤساء وملوك العرب ، فهذه جريدة (التايمز) الإنجليزية تنشر مقالاً في (١٦/تموز/١٩٣٧م = ١٣٥٦/٥/٨هـ) جاء فيه : (إن المفتي هو العقبة الوحيدة أمام حل القضية الفلسطينية والتفاهم مع اليهود ، فيجب على حكومة بريطانية ألا تترك الساحة خالية لنشاطه ، بل عليها أن تقيله من منصبه ، وأن تبطش به ، وبالفريق المتصلب العنيد من المتطرفين)

وكان كما أرادت الجريدة ، حيث اقتحمت قوة عسكرية مقر (اللجنة العليا) بينما كانت تعقد إحدى جلساتها برئاسة المفتي ، وتمكن من الإفلات بأعجوبة من الباب الخلفي ، وصار بعد ذلك هدفًا للاحتلال الإنجليزي حتى اضطر لمغادرة فلسطين إلى

---

(١) المصدر نفسه ، (ص٤١)

(٢) حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (ص١٤٨ ، ١٤٩)

(٣) عبد الكريم العمر ، مذكرات الحاج أمين الحسيني ، الأهالي للطباعة والنشر ، (دمشق) ، الطبعة الأولى (١٩٩٩م – ١٤٢٠هـ) ، (ص٢٦ ، ٢٧)

لبنان ، وتابع هناك الإشراف على عمليات الجهاد في فلسطين[١]، وأنشأ هو وإخوانه (اللجنة المركزية للجهاد) ، وقامت اللجنة بتوجيه المجاهدين وإعانتهم وعلاج جرحاهم . وكان الجهاد حتى هذه المرحلة جهاداً إسلامياً[٢].

في عام (١٩٣٩م – ١٣٥٨هـ) طلب الانتداب الإنجليزي من فرنسا أن تضيق الخناق على المجاهدين الفلسطينيين ، فبدأ الخناق بإقامة فرنسا معسكرات اعتقال لوضع المجاهدين فيها في كل من (تدمر) و (بكفيا) اللبنانية ، وكان المفتي الحاج "أمين الحسيني" هدفاً لعدة مؤامرات اغتيال غير أنها كشفت في الوقت المناسب ، فاضطر إلى مغادرة لبنان إلى العراق في غفلة الفرنسيين ، وكان معه بعض إخوانه [٣].

في عام (١٩٤٦م – ١٣٦٥هـ) وافقت "الجامعة العربية" على إنشاء (الهيئة العربية العليا) لفلسطين ، ورشح المفتي الحاج "أمين الحسيني" رئيساً لها ، وفتحت لها فروع في عدد من عواصم العالم .

واهتم المفتي وإخوانه خلال هذه الفترة بشراء السلاح ونقله إلى داخل فلسطين ، ووضعه في مخابئ خاصة تحسباً لقيام ثورة الجهاد في فلسطين ، ولما أصدرت الجمعية العمومية للأمم المتحدة قرارها بتقسيم فلسطين في (١٩٤٧/١١/١٩م = ١٣٦٧/١/٦هـ) رفض المفتي وإخوانه وكافة أهالي فلسطين ، واندلعت على إثر ذلك الثورة بعد أيام قليلة من صدور القرار ، وكان المفتي يتولى توجيه المجاهدين ومدهم بالمال والسلاح ويشرف على إدارة المعركة من القاهرة .

وكان رأي (الهيئة العربية العليا) أن تبقى الجيوش العربية مرابطة على حدود فلسطين مع استمرار دعم الفلسطينيين بالسلاح والمال ،وأدرك العدو خطورة الأمر ، فسعى إلى الضغط على الدول العربية وعلى الجامعة لتمنع دخول مساعداتها التي أصدرتها إلى (الهيئة العربية العليا) ، ونجح في ذلك ، ومنعت المساعدات -من السلاح والمال- من الوصول إلى (الهيئة العربية العليا) ، ولكن فوجئ الجميع حينها بمقاومة باسلة من أهالي فلسطين قادتها منظمة "الجهاد المقدس" بقيادة المجاهد "عبد القادر الحسيني" وكتائب حركة "الإخوان المسلمين" التي كان لها دور كبير في دعم المجاهدين في فلسطين .

---

(١) صالح مسعود أبو بصير ، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة (١٩٨٨م – ١٤٠٨هـ) ، (ص١٤١)

(٢) محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان (١٩٥٩م - ١٣٧٩هـ) ، (١ /٢٠٩ م)

(٣) حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (ص١٧٣ – ١٨٣)

يؤكد "عارف العارف" أن الإمام "حسن البنا" -رحمه الله- أبرق إلى مجلس الجامعة العربية في (٢٩/ تشرين الثاني /١٩٤٧م = ١٣٦٧/١/١٦هـ) يقول : (إنه على استعداد لأن يبعث عشرة آلاف مجاهد (دفعة أولى) من "الإخوان المسلمين" إلى فلسطين ، لكن الحكومة المصرية رفضت ذلك الطلب)[١]

وتدفق سيل من أهالي فلسطين يريدون شراء الأسلحة من مصر ، وفتحت الحكومة المصرية لهم الباب ، وألفت لجنة لمساعدة أهالي فلسطين للحصول على ما يريدون ، وقبل "الإخوان المسلمون"رسميًّا في هذه اللجنة ، وتطوع بعض شبابهم لهذه الغاية وتركوا مصالحهم وراءهمظهريًّا ، وقدموا كل ما يستطيعون ، وتقدم آلاف من الشباب التابعين للحركة للجهاد على أرض فلسطين بعد أن فتح باب التطوع ، واستأذن "الإخوان المسلمون" الحكومة في إقامة معسكرات التدريب في سوريا والأردن ، واستطاعوا دخول فلسطين في مارس (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) قبل دخول القوات العربية النظامية بأكثر من شهرين ، وتتابعت أفواجهم ، وأقاموا هناك معسكرات واحتلوا عددًا من معسكرات العدو كـ (معسكر النصيرات) و(معسكر البريج)[٢] ، وما كادت بريطانيا تنهي انتدابها على فلسطين في (١٤/مايو/١٩٤٨م = ١٣٦٧/٧/٦هـ) وقبل أن تعلن العصابات اليهودية قيام كيانها إلا وقد أرسل "الإخوان المسلمون" كتائبهم المقاتلة ، واستطاع المجاهدون أن يلحقوا الخسائر البشرية والمادية بالعدو مما حدا باليهود أن يستنجدوا بأمريكا لتنقذ الموقف عن طريق إعلان الهدنة ، وحل "جماعة الإخوان المسلمين" ، ورفض "الإخوان المسلمون" رفضًا تامًّا قرارات الهدنة التي أصدرتها (هيئة الأمم) بعد أن كانت كتائب المجاهدين على وشك إحراز نصر حاسم على اليهود ، وأعلن الإمام "حسن البنا" -رحمه الله- أنه لا قبول للهدنة إلا بعد أن تدخل الجيوش العربية (تل أبيب) ، وتطرد اليهود من(حيفا) و(يافا) و(عكا) و(طبرية) ، وتردَّ المهاجرين من عرب فلسطين إلى ديارهم ، وإلا فالقتال حتى نقذف بآخر جندي صهيوني في البحر ، وتطهر فلسطين المباركة من هذا الرجس ، ولكن صدمة المجاهدين كانت كبيرة عندما أعلنت الحكومات العربية - آنذاك - قبولها قرارات الهدنة في (يوليو ١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، إذ لم يكن لهذا القبول من معنى سوى التخاذل عن مواصلة الجهاد ، وإتاحة الفرصة لليهود لإعادة تكوين أنفسهم واستمرار عدوانهم وجرائمهم ، وكانت الجيوش العربية التي دخلت الحرب محكومة بمواقف حكوماتها السياسية التي كانت معظمها موافقةسرًّا أو علنًا على قبول مشروع التقسيم وإقامة الدولة اليهودية ، ولذلك وضعت الجيوش العربية في وضع عسكري يساعد على تنفيذ التقسيم ، بل يفسح المجال لليهود في التوسع إلى أبعد حد ، والشَّواهد على ذلك كثيرة

(١) عارف العارف ، نكبة بيت المقدس ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (٢ /٣٩٨)

(٢) محمود عبد الحليم ، الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، دار الدعوة - الإسكندرية ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م) ، (٢ / ٥٨)

، منها أن الجيش العراقي الذي كان تعداده فرقتين في ذلك الوقت ، أي : من ٢٠- ٤٠ ألف جندي لم يقاتل منه في فلسطين خلال الشهر الأول والحاسم إلا (١٥٠٠) جندي فقط .

ومن جهة الأردن فإن الوثائق شاهدة على ذلك ، ومنها مذكرات "كلوب باشا"[١] -قائد الجيش الأردني في ذلك الوقت- ؛ حيث قال في مذكراته : (إنه في شهر آذار (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) سافر هو ورئيس الحكومة "توفيق أبو الهدى" إلى بريطانية ، واتفقوا على أن يضم القسم العربي من التقسيم إلى الأردن وأن لا يجري قتال بين الجيش الأردني والجيش اليهودي)

وتقول المصادر أيضًا : إن "كلوب باشا" -قائد الجيش الأردني- أرسل قائدًا لأحد الفرق في الجيش الأردني إلى قيادة (الهاجاناه) حلاً رسالة يقول فيها : بالإضافة إلى ما سبق ، فإن الجيش الأردني على استعداد لتأخير حركته حتى يأخذ الجيش اليهودي مواقعه على الجانب الآخر .

وحسب تقدير كبار الضباط العرب في الجيش الأردني ومنهم الفريق " صادق الشرق " الذي أصدر مؤخرًا كتابًا بعنوان (حروب العرب مع إسرائيل) يؤكد فيه أن القوة العسكرية العربية المتوفرة عام (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) كانت قادرة على منع قيام الدولة اليهودية لو استخدمت هذه الجيوش بالشكل العسكري الصحيح ، وخصوصًا بمبادأة الحركة المباغتة في الوقت المناسب ، فالجيوش العربية لم تهزم في (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) إلا أنها لم توضع من قبل حكوماتها في وضع عسكري سليم [٢].

كان من نتائج الضغوط الإنجليزية واليهودية أيضًا أن تولت "جامعة الدول العربية" القضية الفلسطينية برمَّتها ، وقامت بإدخال عرب فلسطين في الجيوش العربية النظامية فكانت الكارثة ، وسلمت ملف الشئون العسكرية في الجامعة إلى الجنرال "كلوب" ، وملف الشئون السياسية إلى الجنرال "كلايتون" ، ولم تكتف بذلك بل أصدرت قرارًا في نيسان (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) عهدت فيه إلى الجنرال "سبيرز" بتولي شئون الدعاية لقضية فلسطين ، وحولت إليه (٥٢٠٠٠) جنيه ، وهكذا نرى كيف أن ملف القضية الفلسطينية سلِّم إلى خصومها الذين انتزعوا القضية من أهلها ،

---

(١) ضابط بريطاني ، خدم في العراق ثم انتقل إلى شرقي الأردن ، عُرف بين البدو بـ "أبو حنيك" ، شغل منصب رئيس أركان الجيش الأردني .

يُنظَر : أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص(٩٠)

(٢) انظر مقال : عبده مصطفى دسوقي ، جهاد الإخوان في فلسطين شهادات ورؤى ، موقع (الإخوان المسلمين) على الشبكة العنكبوتية . **Www.ikhwanonline.com**.

واستطاعوا باسم الجامعة أنيكفُّوا أيديَ القيادات الجهادية - التي كانت تدير المعركة مع العدو-ويحلّوا هبهلاً منهم ، كما صادروا باسمها الأسلحة الكثيرة التي دفع ثمنها أهل لبنان في عام (١٩٤٧م – ١٣٦٦هـ) لتسليح المجاهدين الذين كانوا تحت قيادة كتيبة المجاهد "عبد القادر الحسيني" التي كانت تحت إشراف (مكتب فلسطين الدائم)[١]

ولما أعلن المفتي الحاج "أمين الحسيني" قيام حكومة (عموم فلسطين) في (غزة) سنة (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) برئاسة "أحمد حلمي عبد القادر" استجوبت الحكومة المصرية المفتي - وكان في (غزة) - إلى (القاهرة) ، فاعتذرفألحُّوا عليه ثانية فاعتذر ، فحمله القائد المصري اللواء "حسين سري" في قافلة عسكرية ، فوصل إلى (القاهرة) ووضع تحت الرقابة الشديدة ، ومنع من العودة إلى فلسطين ، وبدا لحكومة (عموم فلسطين) أن تنتقل إلى مصر بطلب من الأخيرة حيث وعدتها بدعمها وتفعيل مسئولياتها تجاه الفلسطينيين ، ومنع الحاج وأعضاء (الهيئة العربية العليا) من السفر إلى (غزة) حتى بعد قيام الهدنة ، وأغلقت دونهم كل قنوات العمل والحركة حتى الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة[٢].

بدأ المفتي الحاج "أمين الحسيني" يشعر بالملاحقة الدولية بل والعربية تجاه موقفه الثابت من القضية الفلسطينية ، وبعد العدوان الثلاثي على مصر سنة (١٩٥٦م – ١٣٧٥هـ) قام "هامر شولد" -الأمين العام للأمم المتحدة- بزيارة لـ(القاهرة) ، وأجرى خلالها مباحثات مع "جمال عبد الناصر" ، ومنذ تلك الزيارة شعر المفتي بأن شيئًا مَّا يحاك ضد القضية الفلسطينية ، وزاد من هذا الشعور قيام الحكومة المصرية بمنع المفتي من الاتصالات ، ومراقبتها لكل من يقوم بزيارته حتى خمدت نار القضية ، وتحولت فجأة إلى قضية لاجئين ، وصارت الحلول السلمية للقضية سيدة الموقف .

وكانت رسالة إلى المفتي من (هيئة الأمم المتحدة) أفادت بأن "هامر شولد" يعد مشروعًا لحل قضية فلسطين ، وأنه اتفق مع "جمال عبد الناصر" على خطوطه الكبرى ، وأن الاتفاقتمَّ على أساس حل القضية خلال عشر سنوات .

وفجأة هبت الصحف المصرية الحكومية تشن حملة ضد (الهيئة العربية العليا) ورجالها ، وكتب حينئذ المفتي خطابًا إلى "جمال عبد الناصر" يستفسر فيه عن الهجمة فلم يرد عليه ، فقرر السفر إلى سوريا وذلك في (١٥/أيلول /١٩٥٩م = ١٣٧٩/٣/١٢هـ) ثم بعدها إلى لبنان فأقام فيه [٣].

---

(١) عبد الكريم العمر ، مذكرات الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (ص١٠٣)

(٢) حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (ص٢٦٥ ، ٢٦٦)

(٣) زهير الماردِيني ، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني ، دار الفرقان ، بيروت لبنان ، (١٩٧٧م – – ١٣٩٧هـ) ، (ص٣٠٥)

وكان "هامر شولد" أعلن تفاصيل مشروعه في عام (١٩٥٩م – ١٣٧٩هـ) الذي وعد فيه بتوطين اللاجئين في البلاد العربية ، وتقديم المساعدات المالية الضخمة لهم ، وإنشاء المشاريع التي تكفل استيعابهم .

لكن هذا المشروع اصطدم بتوجه الرأي العام العربي الذي طالب بسحب المشروع ، كما أنه لقي رفضًا شديدًا داخل القيادات الفلسطينية ، وتم سحب المشروع[١].

واستمر العدو وعملاؤه في محاولاتهم تصفية العناصر الوطنية والقيادات المؤثرة على الرأي العام الفلسطيني والعربي ، وفي أيلول عام (١٩٦٣م – ١٣٨٣هـ) اجتمعت قيادات "جامعة الدول العربية" في (القاهرة) لبحث موضوعي :

- قضية فلسطين

-وإحياء الكيان الفلسطيني .

وقررت الجامعة تعيين من يمثل فلسطين في الجامعة ، وأسندت رئاسة الوفد الفلسطيني إلى الرئيس أو من يختاره لتمثيله .

وانبثق عن هذا الاجتماع إنشاء ما سمي بـ(منظمة التحرير الفلسطينية) بقيادة "أحمد الشقيري"[٢] في (القدس) في (٢٨/أيار /١٩٦٤م = ١٣٨٤/١/١٧هـ) ، وكانت قرارات هذا المؤتمر لا تحمل أي شرعية ، بل كان عدد من أعضائه أعداءً للقضية الفلسطينية ، وممن عرف بمواقفه الداعمة للإنجليز واليهود ، كما أن بعضهم كان من باعة الأراضي والسماسرة .

وتمكن "أحمد الشقيري" من تحويل قضية فلسطين إلى قضية قومية ، وهو أمر طالما تمناه اليهود وعملاؤهم وبذلوا الجهود للتوصل إليه [٣].

ك ـ لما غلب الفرنسيون جيش الحكومة العربية حولوا مسجد (جامعة دمشق)

---

(١) حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني ، مرجع سابق ، (ص٢٧١)

(٢) **هو** : أحمد أسعد الشقيري . محام ، أول رئيس لـ(منظمة التحرير الفلسطينية) ، ولد في قلعة (تبنين) في جنوبي لبنان ، أعلن استقالته من رئاسة المنظمة بعد فوزه مرتين ، توفي في الأردن سنة (١٩٨٠م – ١٤٠٠هـ)

يُنظَر في ترجمته : أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٣٩٥)

(٣) محمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٣٤٣)

ناديًا أو ملهىليليًّا ، وصوروا على جدرانه صورًا ، فاسترده المشايخ من أيديهم ، وعمل معهم طائفة من الشباب السوري المتوهج على تحريره ، وأقاموا فيه الصلاة ، وألقى الشيخ "علي الطنطاوي" -رحمه الله- على منبره أول خطبة جمعة ، وكان موضوعها (خطبة الجمعة) ، ثم جعلوا فيه دروسًا ليلية ، ألقى الشيخ "علي الطنطاوي" أول درس منها ، ثم قاموا بطبع رسائل للمشايخ ، وكتب الشيخ أول رسالة منها ، وكان الذي يرتب الخطب والدروس ويطبع الرسائل أخوه "محمد سعيد الطنطاوي "[1].

ل - ومن صور المدافعة في ميدان التربية :

تلك الجهود التي قام بها الشيخ "مصطفى السباعي" -رحمه الله- من أجل قضية فلسطين حيث كانت بالنسبة له قضية وجود ، وحياة أمة ، يحدق بها الخطر بينما قادتها لاهون .

بدأ الشيخ يطوف في أنحاء سوريا كلها عقب الإفراج عنه سنة (١٩٤٣م – ١٣٦٢هـ) بعد اعتقال استمر سنتين ونصف السنة ، فكان يخطب في الناس ويثير فيهم الحماس ، ويأخذ عليهم العهود والمواثيق بأن يبذلوا للقضية كلغالٍ ورخيص[2].

وهكذا كانت قضية فلسطين على لسانه في كل حديث وفي كل مكان وفي كل مناسبة ، تشهد بذلك مساجد سوريا كلها ، وبرلمانها وأنديتها وصحفها[3].

وبعد قرار التقسيم عام (١٩٤٧ - ١٩٤٨م = ١٣٦٦-١٣٦٧هـ) قام "السباعي" يجوب المدن السورية ويدعو أهلها إلى الجهاد في سبيل الله ، فشكل كتيبتين من (الإخوان) في سوريا تدربوا في (قطنا) في معسكرات الجيش ، وكان هو على رأسهم ، ثم توجهوا إلى ميدان القتال يدافعون عن المسجد الأقصى وبيت المقدس ، وخاضوا معارك حامية داخل أحياء (القدس) .

كان القتال يومئذ يدور فيها من بيت إلى بيت ، ومن شارع إلى شارع ، فضرب هو وإخوانه أروع نماذج البطولة ، وسقط عشرات الشهداء من المجاهدين من شباب "الإخوان" ، ودفن أكثرهم بجوار المسجد الأقصى ، وفي أرض المعركة التقى الشيخ "مصطفى السباعي" بقيادات كتائب "الإخوان" من مصر والأردن ، وتوزعوا أماكن القتال إلى أن تم وقف القتال بتوقيع العرب على الهدنة .

---

(١) علي الطنطاوي ، ذكريات ، مرجع سابق ، (٥ /١٣٧)

(٢) محمد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٢٧٠)

(٣) محمد بسام الأسطواني ، مصطفى السباعي (صفحات من جهاد متواصل) دار الوراق للنشر ، بيروت (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م) ، (ص٢٦ – ٢٧)

وأظهر "السباعي" ومن معه بطولات مشرّفةً في معارك حي (القطمون) وفي (القدس القديمة) عندما حررها (الإخوان) المجاهدون من اليهود الذين استسلموا بعد نسف الكنيس اليهودي الذي كان يستعمله اليهود لقصف المصلين في ساحات الأقصى ، ومقر قيادة المجاهدين في حي (الروضة)[١]

وبعد توقيع العرب على قبول الهدنة كشف الشيخ "مصطفى السباعي" بعد عودته لـ(دمشق) حقائق عرفها بنفسه وهو في أرض المعركة حيث قال :

(وجدت من واجبي أن أكشف الحقائق التي تبينتها بنفسي في هذه المعارك لما وجدته من انخداع الجمهور بما يذاع ويكتب ، وألقيت في ذلك محاضرات في (دمشق) و(حلب) و(حمص) وغيرها من المدن السورية ، وقد ذهل الجمهور لما أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تمامًا ..) [٢]

وقال أيضًا : (وكانت اللجنة العسكرية في قيادة جيش الإنقاذ قد منعت عنا السلاح والذخيرة حتى اضطررنا لشرائه بتبرعات المجاهدين وأهل الخير على حدود تركيا وفي مدينة عمّان) [٣]

وقال : (إن جيش الإنقاذ الذي ألفته "جامعة الدول العربية" وأوكلت قيادته إلى "فوزي القاوقجي"[٤] لم يكن إلا تسكينًا لشعور العرب الهائج في كل بلد ، وأنه لم يقصد منه أن يقاتل جديًّا ، أو أن يمنع سقوط المدن والقرى العربية بأيدي اليهود ، بل لم تخض قيادة جيش الإنقاذ معركة واحدة في فلسطين ، فـ"القاوقجي" كان يقيم قرب (نابلس) في منطقة عربية بحتة ، و"طه الهاشمي" و"صفوت باشا" لم يدخلا فلسطين قط، ولم يكونا يعرفان حقيقة الأوضاع في فلسطين ، بل كان مقر "الهاشمي" في (دمشق) يتنقل بينها وبين (القاهرة) .

وقال : (يبدو أن مهمة جيش الإنقاذ كانت تتمثل في تحطيم منظمة (الجهاد

---

(١) محمد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٢٧٠- ٢٧١) ، ومصطفى السباعي ، جهادنا في فلسطين دار الوراق ، بيروت لبنان (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، (ص٢٠ – ١٤)

(٢) مصطفى السباعي ، جهادنا في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٣٣ – ٣٤)

(٣) المصدر نفسه ، (ص٢٧)

(٤) أحد قادة الثورة السورية الفلسطينية ، من مواليد (طرابلس) الشام ، تخرج في المدرسة الحربية العثمانية وظهرت قدراته العسكرية مبكرًا ، وولي مناصب عسكرية عالية ، منها قيادته لجيش الإنقاذ العربي ، توفي سنة (١٣٩٧هـ- ١٩٧٧م) انظر : نزار أباظة ورياض المالح ، إتمام الأعلام، مرجع سابق ، (ص٣١٥)

المقدس) التي انخرط فيها شباب فلسطين ، وأبدوا من البطولات ما سجله لهم التاريخ بإعجاب وإكبار ، وكان قائدها الشهيد "عبد القادر الحسيني" يحاول أن يحصل من "الجامعة العربية" على قدر كاف من الأسلحة فخاب مسعاه حتى إنه حين جاء إلى معسكر (قطنا) ليأخذ معه الفوج الأول من إخواننا قال : لقد طلبت منهم مدفعًا واحدًا فرفضوا ، وأعطوني مائة بندقية لا تصلح إلا لوقود النار ، وهذه هي معي في السيارة ، ونظرنا فإذا ببنادق من العهد الفيصلي في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وأكثرها معصوب بعصائب من الحديد) فقال لهم "الحسيني" : (إنني ذاهب إلى فلسطين لأسترد (القسطل) سأموت هناك ولن أترك بلادي طعمة للأعداء ، واستشهد على ثرى (القسطل) عند أبواب (بيت المقدس)[1] -رحم الله الجميع- [2].

م - وممن سطروا سيرتهم في صفحات تاريخ القرن الرابع عشر الهجري في ميدان التربية والقيادة الجهادية القائد المجاهد اللواء "عبد الله التل"[3] الذي شارك في حرب عام (١٩٤٨م) بفلسطين قائدًا عسكريًّا ومفكرًا وباحثًا في مكايد اليهود وخطرهم في القديم والحديث .

قاد المجاهد "عبد الله التل" معارك بطولية ضد اليهود قبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين في (١٥/مايو/ ١٩٤٨م – ١٣٦٧/٧/٧هـ) ، ودخل على رأس

---

(١) مصطفى السباعي ، جهادنا في فلسطين ، مرجع سابق ، (ص٣٧ – ٣٨) ، و محمد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، مرجع سابق ، (ص٢٧٠ – ٢٧٣)

(٢) يذكر "زهير الشاويش" أن الشيخ "مصطفى السباعي" قاد إخوانه في معارك فلسطين وكان مصابًا بضغط الدم ، فأشار عليه الأطباء بالراحة وترك الخطابة فلم يعبأ بما قالوا ، وصار يخطب الجمعة في المسجد الأقصى ويستمر في الخطبة قرابة الساعة ، إضافة إلى مرض السكر ، ثم يلقي بعدها درسًا إلى قرب العصر ، وكان يغفل عن متابعة استعمال الدواء حتى ينفجر الدم من أنفه ، ويحدث بسام الأسطواني أن الشيخ بعد عودته من روسيا عام (١٩٥٧م – ١٣٧٦هـ) هجم عليه المرض فأخذ منه أكثر نصفه الأيسر فشل حركته ، وضاعف من تردي حالته ولكنه كره القعود ، واستمر يتابع نشاطه في الجامعة وفي قاعة البحث وألقى خلال مرضه أهم محاضراته العلمية على مدرج جامعة (دمشق) .

يُنظَر : محمد بسام الأسطواني ، مصطفى السباعي صفحات من جهاد متواصل ، مرجع سابق ، (ص٥٦ – ٥٨)

(٣) **هو** : عبد الله التل . من أسرة (التل) المعروفة في (إربد) شمال الأردن ، مفكر، مجاهد ، شارك قائدًا عسكريًّا في حرب (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) ، وكبد اليهود خسائر كبيرة وأخرجهم من المدينة القديمة قبل دخول الجيوش العربية ، له كتب منها (كارثة فلسطين) و(خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية) و(جذور البلاء) و(الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام) توفي سنة (١٣٩٣هـ- ١٩٧٣م)

يُنظَر في ترجمته : الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٧٥/٤)

الكتيبة السادسة مدينة (القــدس) ، وطهر المدينة القديمة من القوات اليهودية -وكان قائدًا للقوات العربية آنذاك- .

بدأت رحلته مع الجهاد في أول شبابه حين عاد من دورة أركان حرب ، والتحق بعدها بالفرقة البريطانية الأولى وقيادتها في (صرفند) ، وشارك في دورة لمدة ثلاثة أشهر ، واتصل سرًّا بضباط عرب من أجل تدريب أعداد من شباب فلسطين ، فكان هو ورفاقه من الضباط العرب يخرجون بعد ظهر كل يوم إلى مزارع البرتقال لشرح الدروس النظرية على السلاح ثم تطبيقها عمليًّا على الأسلحة ، وكان يتم ذلك سرًّا بعيدًا عن أعين الإنجليز ، وذلك خلال فترة الاستراحة بعد العمل الرسمي في منطقتي (اللد) و (الرملة)

وتدرب على أيديهم كثير من الشباب ، الذين كان لهم الفضل بعد الله تعالى في الدفاع عن هاتين المنطقتين وغيرهما قبل دخول الجيوش العربية [1].

ولما كشفت الحرب عن ساقها أدار اللواء "عبد الله التل" عمليات المعركة بنفسه ضد اليهود ، ومنها :

١- قيادته للمجاهدين وتجاهله أوامر الإنجليز ، وقتاله اليهود في مستعمرة (كفر عصيون) حتى استسلمت هي وبقية المستعمرات التابعة لها ، وقتل فيها أكثر من (٥٠٠) جندي يهودي ، واستسلم (٣٥٠) يهوديًّا من السكان نقلوا إلى معسكر أسرى الحرب في مدينة (المفرق) في الأردن ، أما الجيش الذي قاده "عبد الله التل" فاستشهد منهم (١٦) جنديًّا من (٢٠) متطوعًا ناضلاً ، وكان ذلك في (١٣/٥/١٩٤٨م = ٥/٧/١٣٦٧هـ)[2]

٢- انتصاراته الأولى على اليهود بعد أن حاصرهم بقوّاته حصارًا شديدًا حتى اضطرت الحامية اليهودية إلى الاستسلام وتم توقيع وثيقة تاريخية في ذلك .

وكان العجب يومئذ من تلك المواقف الرجولية والأخلاق الإسلامية التي قام بها القائد ومن معه ، فحين رضخ اليهود لشروط الاستسلام سمح للشيوخ والنساء والأطفال باللحاق بذويهم في الأحياء اليهودية .

يقول "عبد الله التل" في مذكراته : (كنت أنا وجنودنا نحمل العجزة والمرضى

---

(١) أحمد يوسف التل ، عبدالله التل ، بطل معركة القدس ، دار الفرقان ، عمان - الأردن ، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)

(٢) مذكرات عبد الله التل (كارثة فلسطين) طبعة دار القلم ، (القاهرة) ، (١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ) ، (١/ ١٧ – ٣٤)

والأطفال على الأكتاف ، وكان جندنا يقدمون لهم الماء والغذاء ، كنت أتذكر سلوك السلف من المسلمين الفاتحين وأتيقن أن هذه الأمة ستظل تمثل أخلاقهم الرائعة)

وتم الفتح في (١٩٤٨/٥/٢٨م = ١٣٧٨/١١/٢١هـ) ، وقتل من اليهود في هذه المعركة قرابة ألف جندي وجرح مثلهم ، وطرد سكان الحي اليهودي ، وأسر منه ما يزيد على (٦٠٠) يهودي نصفهم من (كفر عصيون) والباقي من (القدس) نفسها ، بينما خسرت الكتيبة السادسة واحدًا وعشرين شهيدًا بينهم ضابط واحد خلال أربعة أسابيع [١].

وفي اليوم الثاني من الفتح الموافق (١٩٤٨/٥/٢٩م = ١٣٧٨/١١/٢٢هـ) تدخلت بريطانية بشكل سريع ، واستعملت نفوذها في مجلس الأمن للموافقة على اقتراحها لوقف إطلاق النار لمدة شهر اعتبارًا من التاريخ نفسه ، وأجمعت الدول العربية على قبول الهدنة .

وهنا يؤكد اللواء "عبد الله التل" في مذكراته بأن موافقة الدول العربية على شروط الهدنة وقبولها كانخطأً فادحًا قلب كفة النصر الإسلامي العربي في فلسطين ، وأن اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية لم تفكر في النتائج والآثار التي ارتبطت بقبولها ، فهم وافقوا قبل أن يسألوا ليفهموا ، ووافقوا قبل أن يسيئوا الظن قليلاً بشروط الهدنة ، ويعتبر اللواء "عبد الله التل" أن جميع الدول العربية مسئولة عن ذلك القرار في اليوم الأسود الذي أجمعوا فيه على قبول الهدنة .

إذ إن اللجنة وافقت على فك الحصار عن مدينة (القدس) ، وأنقذت مئة ألف يهودي كانوا على وشك الاستسلام أو الموت جوعًا وعطشًا [٢].

ويضيف القائد يقول بألم : (جاءت أيام الهدنة ، ولم يتم الإعداد عند العرب، واليهود بدؤوا يستغلون كل دقيقة والعرب نيام ، ولم تأكل الحسرة إلا قلوب أولئك الضباط والجنود الذي يرون استعدادات اليهود للمستقبل القريب ، كما أن اليهود لم ينفذوا شروط الهدنة في أي جبهة من جبهات القتال ، بينما كانت الحكومات العربية لاهية ، لم تعمل على تعزيز جيوشها بالأسلحة والذخائر ، وزادت الخلافات والنزاعات السياسية ، على حين كان اليهود يستوردون السلاح من كل صقع وينقلون المهاجرين بالآلاف) [٣]

(١) عبدالله التل ، كارثة فلسطين ، مرجع سابق ، (١ / ١١٧- ١٢٤)

(٢) أحمد بن يوسف التل ، عبد الله التل بطل معركة القدس ، مرجع سابق ، (١/ ٢٤٧)

(٣) عبد الله التل (كارثة فلسطين) ، مرجع سابق ، (١ /٢٢٦ ت ٢٣٠)

٣- قامت إحدى كتائب الجيش العربي المرابطة في (بيت نبالا) -بتدبير من اللواء "عبد الله التل"- بالإغارة على قافلة يهودية مرت بالقرب من معسكر الكتيبة يوم (١٩٤٨/١٢/٢٤م = ١٣٧٩/٦/٢٤هـ) ودمرت جميع سيارات القافلة[١].

ن - وهذا الشيخ "محمد ناصر الدين الألباني" -رحمه الله- محدث الشام وخادم السنة كان له دور بارز في التعليم والدعوة ، حيث كان الشيخ حاملاً راية أهل السنة والجماعة ومدافعًا عن العقيدة والسنة ، وكانت تعقد له دروس أسبوعية في دمشق يحضرها طلاب العلم والمثقفون من أهالي الشام وذلك قبل عام (١٩٤٥م – ١٣٦٥هـ) ، وأما محاضراته ودروسه وتوجيهاته فكانت تركز على الدعوة إلى العقيدة الصحيحة ومحاربة البدع والخرافات والتصوف ، وكثيرًا ما يدعو إلى الفهم الصحيح للكتاب والسنة كما فهمها السلف الصالح وإلا فإن معظم الفرق والطوائف تدعي أنها على الكتاب والسنة ، وكان يحث طلابه في دروسه ومجالسه العامة والخاصة على التصفية والتربية ، تصفية الإسلام مما علق به من الخرافة والضلالة ، وتربية المسلمين على هذا الإسلام المصفى ، وتصفية العقيدة ، وتصفية السنة مما فيها من الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وتصفية السيرة النبوية من الروايات الضعيفة ، وتصفية كتب التفسير من الإسرائيليات والأحاديث المنكرة والضعيفة .

نشر الشيخ دعوته السلفية في بلاد الشام ، وعارضه متعصبوا المذاهب ومشايخ الصوفية وأثاروا عليه العامة ، وقالوا له : إنك وهابي ضال ، فسجن قرابة ستة أشهر ، وتعرض لضغط التضييق والتهجير فاستقر به المقام في الأردن ، ولم يسلم طوال حياته من الأذى وهو في ذلك صابر محتسب .

وكان من ضمن المضايقات التي دبرت له ما فعله خصومه في (حلب) و(اللاذقية) خلال زيارات الشيخ لبعض المدن السورية ، حيث رفعوا عرائض عديدة إلى مفتي الشام ، وحولت بعد ذلك إلى الشرطة ووزارة الداخلية ، واستمرت ملاحقة الشيخ ومساءلته على إثرها ، كما اتهم من قبل مفتي (دمشق) وعدد من خصومه بأنه يثير الفتنة في البلاد بسبب إثارته القضايا الخلافية باسم السلفية [٢].

وكان من أبرز أنشطة الشيخ العلمية والدعوية عقده الدروس المتعددة في الأسبوع الواحد حيث كان يعقد له درسان كل أسبوع يحضره طلاب العلم والمثقفون في (دمشق) وكانت كلها قبل عام (١٩٤٥م – ١٣٦٥هـ) ، وممن يحضرها آنذاك : "أحمد

(١) أحمد بن يوسف التل ، عبد التل بطل معركة القدس (ص٦٠)

(٢) محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم ، مرجع سابق ، (٢٩٥/١) ، وعاصم القريوني ، كوكبة من أئمة الهدى الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) ، (ص١٨٦- ٢٤١)

راتب النفاخ"[1] ، والشيخ "عبد الرحمن الباني" ، و"عبد الرحمن نحلاوي" ، و"عصام العطار" ، والطبيب "نبيه غبرة" ، و"محمد الصباغ" .

وكان للشيخ -رحمه الله- رحلات شهرية منظمة بدأت بأسبوع واحد من كل شهر ، ثم استقرت على ثلاثة أيام كل شهر ، يقوم الشيخ فيها بزيارة إلى المحافظات السورية (حلب) و (إدلب) و (سلمية) ثم (حمص) و (الرقة) و (حماة) وكانت لها آثار طيبة وثمرات عظيمة .

س - ومن أبرز الذين أثروا في ميدان الدعوة والتربية والسلوك الشيخ "محمد رشيد رضا" ودعوته الإصلاحية حيث دعا إلى لزوم منهج أهل السنة والجماعة ، وقام بطبع كتب السلف كـ"ابن تيمية" و"ابن القيم" والشيخ "محمد ابن عبد الوهاب" -رحمهم الله- ، إضافة إلى اهتمامه بتخريج الحديث ومعرفة الصحيح والضعيف ، وإنكاره للبدع والخرافات ، ومحاورة الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة حتى إن معركته مع بعض علماء الأزهر آنذاك -حين أنكر عليهم ما هم عليه من طرق وبدع وانحرافات -شاهدة على ذلك [2].

وكان يهتم بما تمر به بلاد الشام من أحداث على صعيدها الداخلي والخارجي ، وسخر مجلته (المنار) للدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين ، وكتب من خلالها آراءه الإصلاحية ودعا العلماء إلى القيام بواجبهم تجاه الأمة .

وتعتبر من أبرز آثاره في هذا الميدان مجلة (المنار) التي صدر منها (٣٤) مجلدًا و (تفسير المنار) وهو مطبوع في (١٢) مجلدًا ولم يكتمل[3].

ع - ومن أبرز جهود المدافعة في هذا الميدان ما قام به الشيخ "صالح فرفور" إذ درس في الكلية الشرعية في (بيروت) ، ثم أقام في (دمشق) وأنشأ فيها نهضة علمية متميزة ، ودرس عددًا من الطلاب وربَّاهم ، وجعل من الجامع الأموي مركزًا علميًّا وتربويًّا حيث كان له منهج علمي وتربوي ، ودرَّسه في بعض المساجد المحيطة بالأموي ، وقام بتأسيس (جمعية الفتح الإسلامية الخيرية التعليمية) في (دمشق) وانتقى من الطلاب الذين رباهم في المسجد وجعلهم هيئة تدريسية في الجمعية .

وكان للشيخ نبوغ في عدد من العلوم كالأصول والفقه والأدب واللغة ، كما كان

---

(١) **هو** : أحمد راتب بن مرسي النفاخ . عالم لغوي ، أديب، أستاذ، ولد بـ(دمشق) ،وتوفي بها ، أصل أسرته من (بعلبك)، لازم "محمود شاكر" في مصر ، تفرغ للعمل في مجمع اللغة العربية في (دمشق) ، توفي سنة (١٤١٢هـ -١٩٩٢م)

يُنظَر في ترجمته : نزار أباظه ومحمد المالح ، إتمام الأعلام ، مرجع سابق ، (ص٣٦)

(٢) مجلة البيان ، العدد (١١) ، (ص١١)

(٣) خير الدين الزركلي ، الأعلام ، مرجع سابق ، (٦ /١٢٦)

له فهم عميق للفتوى وأصولها ولواقع العصر ومشكلات معاصريه[1].

ف - وهذا الشيخ "طاهر الجزائري" يؤسس مع عدد من العلماء (الجمعية الخيرية الإسلامية) التي ضمت علماء وأعيان (دمشق) ، وانطلقت فكرتها من شعورهم بتحديات الإرساليات التبشيرية الأجنبية وأنشطتها التعليمية التي بدأت في (دمشق) من سنة (١٧٥٥م) واستطاعت الجمعية أن تفتتح ثماني مدارس للذكور ومدرستين للإناث ، وتحولت الجمعية في نهاية (١٨٧٩م) إلى (ديوان معارف) وعين الشيخ "طاهر الجزائري"مفتشاً عاماً على المدارس الابتدائية ، وبدأ في هذه الفترة تأليف عدد من كتب مناهج الصفوف الابتدائية في الدين والعربية والرياضة والطبيعة مع وضع برامج لها .

وحرص الشيخ على إنشاء مطبعة حكومية تقوم بطبع المؤلفات العامة وكتب المدارس التي وضعها ، واستطاع الشيخ مع جهود بعض أصدقائه وبدعم الوالي العثماني جمع الكتب المخطوطة والنادرة في مكان واحد بعد أن كانت متفرقة في المساجد والزوايا وبيوت الخاصة ، وكان المكان الذي اختاره الشيخ لجمع الكتب هو (المدرسة الظاهرية) -قرب الجامع الأموي- ثم تحولت إلى (المكتبة الظاهرية) ، وصارت أول مكتبة عرفتها (دمشق) في تاريخها الحديث عام (١٨٧٩ -١٨٨٠م = ١٢٩٦- ١٢٩٧هـ)

وأسس الشيخ بعدها عدة مكتبات عامة في (حماة) و (حمص) و (طرابلس) وعهدت إليه الحكومة العثمانية بتولي وظيفة (مفتش خزائن الكتب في ولاية سوريا ومتصرفية القدس)

كان مما تميز به الشيخ "طاهر الجزائري" اعتماده أسلوب الحوار الفكري من خلال الندوات والاجتماعات الأسبوعية التي تعقد بعد صلاة الجمعة ، واستمرت حتى فر إلى مصر عام (١٩٠٧م – ١٣٢٥هـ) ، وكان يجتمع في هذه الندوات بكبار علماء عصره ومثقفيه من أمثال الشيخ "جمال الدين القاسمي" والمؤرخ "عبد الرزاق البيطار" والشيخ "سليم البخاري" ، والتحق بها عدد من شباب الشام آنذاك كـ"رفيق العظم" و"محمد كرد علي" ، و"عبد الحميد الزهراوي" ، و"محب الدين الخطيب" ، و"شكري العسلي" ، و"شكري القوتلي" ، و"سليم الجزائري" و"عبد الرحمن الشهبندر" ، و"فارس الخوري" ، وآخرين .

وكان لهذه الندوات الفكرية أهداف منها : تعلم العلوم الحديثة ، ودراسة التاريخ والتراث الإسلامي ، واللغة العربية وآدابها ، والدعوة إلى التمسك بمحاسن الأخلاق

(١) محمد عبد اللطيف الفرفور ، أعلام (دمشق) في القرن الرابع عشر الهجري ، دار الملاح ودار حسان - (دمشق) (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (ص٣٦٥)

وقيم الإسلام ، والانفتاح على الغرب من خلال البحث عن الصالح من مدنيته ، وترك ما لا ينسجم مع شريعة الإسلام [1].

(١) كان الشيخ "طاهر الجزائري" من دعاة الإصلاح ومن رواد الكتاب العربي ، دعا إلى نبذ التعصب والجمود وفتح باب الاجتهاد ، وكان له تأثير كبير على طلابه من خلال حلقاته الفكرية وكان ملمًّا بعلوم الشريعة وتاريخ العرب والإسلام ورجالاتهم مع ما أوتي من ذهن وقاد واطلاع منقطع النظير ، غير أن الشيخ مع كل هذا فقد أقاله العثمانيون بعد أن ركب موجة القوميين العرب ، وخشيت السلطة العثمانية من بثه لأفكاره بين الأساتذة والطلاب ومنها قوله : (إن استيلاء الترك على العرب أزال مدنيتها وغيَّر أخلاقها)

وكان مما أخذ عليه صلاته وصداقته للمستشرقين الذين كانوا يراسلونه ويراسلهم من أمثال "جولد سيهر" -المجري اليهودي- و"مرغليون" -الإنجليزي اليهودي- و"جويدي" الإيطالي ، و" براون" –الإنجليزي- وغرامه بالغرب وانفتاحه عليه بوجه شجع أقرانه وطلابه وعامة الناس على قبول ما عندهم بلا ضابط ، كما أنه أغفل جانب الحذر في التعامل مع الاستشراق وأهدافه ورجاله ، وتسامح مع أصحاب الملل والنحل حتى صاحبهم فكان يجلس مع (المطران) و(الحاخام) و(شيخ العقل) و(مقدم النصيرية) و(الشيعة) مثل جلوسه مع أهل السنة .

للاستزادة يُنظَر : حازم زكريا محي الدين ، طاهر الجزائري ، دار القلم- (دمشق) (١٣٢١هـ) ، ومحمد سعيد الباني تنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر ، مطبعة الحكومة العربية السورية - (دمشق) الطبعة الأولى ، وعلي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، مرجع سابق ، (ص٤٣٢)

الفصل السادس

الدروس المستفادة من المدافعة وتطبيقاتها المعاصرة

وتحته مبحثان :

- المبحث الأول : **الدروس المستفادة من المدافعة .**
- المبحث الثاني : **التطبيقات المعاصرة**

المبحث الأول

الدروس المستفادة من المدافعة

كانت هذه الفترة من القرن الرابع عشر الهجري مليئةً بالأحداث والعِبر ، التي يجدُر الوقوف عندها ، والاستفاة منها ؛ إذ إن التاريخ يعيد نفسَه ، والليالي يُشبِه بعضُها بعضًا . ويمكن أن أذكر هنا أبرز الدروس المستفادة من المدافعة ؛ وهي :

١- أن الأمة – عبر قرونها وتاريخها – لم تخض معركة قط بحجم معركتها الفكرية والعسكرية أمام القوى العالمية في القرن الرابع عشر الهجري .

٢- أن خط انحراف الأمة -في قرونها المتأخرة وخصوصًا القرن الرابع عشر الهجري– كانت خطوته الأولى من بلاد الشام التي نفذت فيها الصليبية ، وكانت ساحةً عريضةً للمؤامرات والتحالفات حتى كانت بوابة العدو الأولى نحو غزو العالم الإسلامي .

٣- مع ما كان من تصاعد دعوة القومية الجاهلية ، ورفع شعارها في البلاد العربية خلال القرن الرابع عشر الهجري إلا أنها ما فتأت أن تضاءل دورها ، وتساقط أتباعها ، وخلت الساحة السياسية في بلاد الشام منهم ، وتمكن الباطنيون من طردهم وتهجيرهم ، والتفرد بالحكم دونهم .

إن هذا درس عظيم في أن أي شعار يرفع سوى شعار الإسلام ، وأي راية أو جماعة يجتمع الناس عليها سوى رايته ، فإن عاقبتها الزوال ونهايتها السقوط .

فهذا حزب (البعث الاشتراكي) تساقط رموزه ، وطرد قادته ، وانقلب بعضهم على بعض بعد أن حكموا سوريا في عقد الستينيات من القرن العشرين الميلادي ، وقبل ذلك ما كان من حال الشريف "حسين" وأولاده من بعده الذين خدعوا بشعار القومية العربية ، وتطلعت نفوسهم للزعامة لها ، وثاروا على الخلافة الإسلامية ففقدوا مُلكهم وكانوا غنيمة المستعمرين الباردة [1].

٤- ظهر الوجه الحقيقي لنصارى العرب القوميين ، الذين رفعوا شعار العروبة أوائل القرن الرابع عشر الهجري ، وخدعوا بها البسطاء والسذج من المسلمين ، كما انضوى تحت رايتها بعض أهل الإسلام من علمائه ومفكريه ، وبمجرد دخول الفرنسيين الشام تنكر القوميون النصارى لعروبتهم ، وتحالفوا مع المستعمر ضد بلادهم ووطنيتهم .

٥- عاشت الشام انتفاضة وطنية شعبية طوال فترة الاستعمار ، لم تهدأ يومًا واحدًا ، وإن هدأت فهو الهدوء الذي يسبق العاصفة ، وكان يبرز خلال هذه المظاهرات والثورات التعاطف الديني الذي كان يحركه في النفوس علماء البلاد ودعاتها ، بل كان بعض الوطنيين لا يسعه إلا أن يسير مع التيار ويركب موجة الإسلاميين .

---

(١)من أمثلة سقوط الشعارات الجاهلية المعاصرة أيضًا : سقوط حزب البعث في بلاد العراق عام (٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ) ، والقبض على رموزه في مشاهد مخجلة ذليلة ، والسكوت المطبق من دعاة القومية آنذاك .

٦- خفي دور الشاميين – من علماء ودعاة وأدباء ومفكرين ومجاهدين – على كثير من المفكرين والكُتّاب والمثقفين ، وظن كثيرون أن بلاد الشام كانت مرتعًا سهلاً ،ومغنمًا باردًا للمستعمرين ، بينما كانت الجهود كبيرة ، ومدافعة العدو قائمة بالحجة والبيان والسيف والسنان ، بل كانت المدافعة في الشام أنموذجًا فريدًا من بين صور المدافعة في البلدان الإسلامية الأخرى .

٧- من أعظم الأخطاء التي وقع فيها العثمانيون أنهم لم يتخذوا موقفًا حازمًا تجاه طوائف "الدروز" و"النصارى" في بلاد الشام ، بل قاموا بمنح الفرنسيين امتيازات مكنتهم من فرض وجودهم هناك ، وجعل المنطقة نقطة صراع وتمرد على الخلافة .

٨- كانت الشام حلبة صراع ديني وفكري وعسكري عدة قرون ، ولا تزال إلى اليوم، بل إن الصراع الفكري في العالم العربي قام على أيدي مثقفين ومثقفات من مختلف التيارات والأطياف الشامية .

٩- اتخذ الاستعمار وسائل عدة في غزو العالم الإسلامي وخصوصًا الشام ، من أبرزها ممارسة الضغوط على المؤسسات والمراكز الدينية ، وإقصاء الإسلاميين من المشاركة في العمل السياسي بكل هيئاته .

١٠- كان للفرق الضالة دور كبير في عرقلة العمل الإسلامي في الشام ، تارة بترك العمل والاعتماد على رياضة الروح كما يفعل الصوفية ، وتارة بافتعال الانقسام بين الإسلاميين وإذكاؤه كما فعل (حزب التحرير) و(الأحباش) وغيرهما ، وتارةً بإثارة الفتنة وتعميق الطائفية ؛ كما يفعل الرافضة وبعض الجماعات المخالفة لأهل السنة والجماعة .

١١- خلال فترات هذا القرن الرابع عشر الهجري وأمام أعظم أزمات الأمة ، وأكثرها صراعًا ، لم تتوفر في مجموع الأمة قيادات أو إعدادات تناسب المرحلة ، بل لم تستكمل الأمة فهم طبيعة المعركة ، وطبيعة العدو الذي يديرها ، والحلفاء الذين يقفون خلفه ، وكانت من آثار ذلك سلسلة إخفاقات متواصلة صار طولها ستة عقود .

١٢- تلقت الأمة دروسًا عملية واضحة في العقود المتأخرة تؤكد أن رفع المسلمين للراية الإسلامية في معاركها المصيرية في شتى بقاع الأرض أعطى ثمرات لم نكن أبدًا نراها طوال معارك الأمة مع أعدائها تحت الرايات العلمانية والقومية.

١٣- كانت هناك جدية من قبل بني قومنا (العلمانيين) في إبعاد الإسلام عن أي معركة ، وإقصاء الإسلام عن توجيهها ، وتنحية العقيدة الحقيقية عن مواجهة

العقيدة الباطلة ، بل إنه في أحد مراحل الصراع مع اليهود استبعد المسلمون غير العرب من المشاركة في المعركة ابتداءً ، فأطلق على الصراع وصف (الصراع العربي الإسرائيلي) مرة ، و (معركة القومية العربية) مرة أخرى ، ثم استجابوا للتعمية التي أطلقها الغربيون (أزمة الشرق الأوسط) بمعنى أنها ليست أزمة لباقي العالم الإسلامي في شرقه وغربه ، وما زال مسلسل تحويل وتصغير الصراع حتى صار أزمة لا تخص إلا (دول الطوق) ثم (دول الصمود والتحدي) ؛ لتتحول الأزمة إلى مجرد نزاع بين الفلسطينيين والإسرائيليين ، وليتحول الصراع في النهاية إلى مجرّد مشكلة أمنية بين "حماس الإسلامية" المحاصرة من جهة وبين دولة اليهود ، التي تساندها قوى الطغيان الدولي كلها[1].

١٤- كان للاستشراق أثر كبيرٌ في بلاد الشام خلال هذه الفترة ؛ إذْ كان هو عين الاستعمار على بلاد المسلمين . وقد ثبت أن المستشرقين منذ عهد "إبراهيم ابن محمد علي باشا" كانوا يكتبون تقارير حول الأوضاع السياسية والثقافية والاجتماعية في بلاد الشام ، قبل أن يرسلوها إلى حكوماتهم .

١٥- ممّا يُؤسَف له : أن الصراع السياسي على بلاد الشام عمومًا كان مصالحيًّا ؛ إذْ كانت تظهر بين فترة وأخرى أطماع الاستعمار الفرنسي والإنجليزي من جهة ، ومن طرفٍ خفيٍّ تتطلّع بعض دول الجوار لتوسيع نطاقها ، وضم أجزاء من أرض الشام إليها ، وما زالت الشواهد منذ حرب (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ) إلى اليوم .

١٦- برز دور الجمعيات القومية في التعاون المعلن والخفي مع المستعمر ، وانكشف غطاؤها وزيفُها بعد خروجه ؛ إذْ تنكّر بعض رموزها لعروبته وهويّته ، ونادى بإجلال المناهج الغربية العلمانية بديلاً عن الإسلام .

١٧- حين يضعُف الرّبّانيّون من العلماء والدعاة عن أداء مسئولياتهم ، والقيام بواجب الميثاق الذي أخذه الله عليهم ؛ يتمكّن أعداؤهم من اليهود والنصارى وسائر الفرق الأخرى من بثّ أفكارهم ، والتأثير على الشعوب المسلمة ؛ بسبب غياب القيادات ، والمرجعيّاتِ الشرعية .

١٨- كانت الخطوات الأولى للتغريب في العالم الإسلامي –وخصوصًا بلاد الشام- عن طريق بوّابتَيْ التعليم والإعلام ؛ حيث استغلّت قنوات الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة في هدم العقيدة الإسلامية ، وتشويهها ، وجُعلت أداةً

(١) ينظر : عبد العزيز مصطفى كامل ، العلمانيون وفلسطين ،ستون عامًا من الفشل وماذا بعد ؟ مرجع سابق ، (ص ١٠)

للغزو الفكري الساقط كما تمكّن المستعمر وذيولُه من تغريب التعليم ؛ عبر السيطرة على وزارة التربية والتعليم ، وإحداث أنظمة تتوافق مع خططه وغاياته ، واستطاع من خلال ذلك فرض رؤيته في مناهج التعليم ، والقائمين عليها .

١٩- إلى يومنا هذا ؛ لا تزال بلاد الشام هدفًا للقوى العالمية والإقليمية . ونلمس في واقع العالم اليوم : كيف أن الغرب الأدنى والأقصى يستعمل كل أساليب المكر والإبتزاز ضدّ بلاد الشام ، وخصوصًا فلسطين .

المبحث الثاني

التطبيقات المعاصرة

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : مناقب الشام وفضائل أهله في الكتاب والسنة .

المطلب الثاني : واقع الشام المعاصر ومستقبله المنشود .

المطلب الأول : مناقب الشام وفضائل أهله في القرآن الكريم والسنة النبوية :

أولاً : الأدلة من القران الكريم :

أ – قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ

ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١

ومعلوم أن إسرائه كان إلى (إيلياء) الشام التي باركها الله تعالى بالزروع والثمار التي حول المسجد .

ب – قوله تعالى في قصة "موسى" -عليه السلام- : ﴿ وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأعراف:١٣٧

قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" - رحمه الله - : (ومعلوم أن بني إسرائيل إنما أورثوا مشارق أرض الشام ومغاربها بعد أن أغرق فرعون في اليم) [١]

ج – قوله تعالى في قصة "إبراهيم الخليل" -عليه الصلاة والسلام- : ﴿ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴾ الأنبياء:٧٠-٧١" ومعلوم أن "إبراهيم الخليل" -عليه الصلاة والسّلام- إنما نجاه الله ولوطً ا" - عليه الصلاة والسلام - إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق[٢].

د – قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَـٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنبياء: ٨١ (وإنما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة "سليمان" - عليه الصلاة والسلام-)[٣]

وقال "العماد بن كثير" -رحمه الله- في قوله تعالى : ﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا ﴾الأنبياء: ٨١ يعني : أرض الشام [٤].

(١) ابن تيمية ، مناقب الشام وأهله ، مرجع سابق ، (ص٧٥)

(٢) ابن تيمية ، مناقب الشام وأهله ، مرجع سابق ، (ص٧٦)

(٣) المصدر نفسه ، (ص٧٧)

(٤) ابن كثير ، التفسير ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

هـ - قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَـٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ سبأ: ١٨.

قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" – رحمه الله تعالى - : (وهو ما كان بين اليمن مساكن سبأ ، وبين قرى الشام من العمارة القديمة كما ذكره العلماء)[١]

وقال "ابن عباس" - رضي الله عنهما - : (القرى التي باركنا فيها : بيت المقدس)[٢]

وعن "أبي كعب" -رضي الله عنه- في قوله تعالى : ﴿وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾الأنبياء: ٨١قال : (الشام ، وما من ماء عذب إلا يخرج من تحت الصخرة)

وكذا قال "أبو العالية" أيضًا ، وقال "قتادة" : (كان بأرض العراق ، فأنجاه الله إلى الشام ، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة ، وما نقص من الأراضي زيد في الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين)[٣]

و – قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ يونس: ٩٣... الآية . قال "قتادة" –رحمه الله- :بوّأهم الشام وبيت المقدس [٤].

ثانيًا : الأدلة من السنة :

١ - عن "معاوية" -رضي الله عنه- قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ، ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)

فقال "مالك بن يُخامَر" : سمعت معاذًا يقول : (وهم بالشام)[٥]

(١) ابن تيمية ، مناقب الشام وأهله ، مرجع سابق ، (ص٧٧)

(٢) ابن كثير ، التفسير ، مرجع سابق ، (ص١٢٠٢)

(٣)عماد الدين بن كثير ، التفسير ، مرجع سابق ، (ص٩٦١)

(٤) ابن رجب الحنبلي ، فضائل الشام ، بتحقيق عادل سعد ، مرجع سابق ، (ص٢١٠)

(٥) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد - باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ
=

٢ - وعن "سعد بن أبي وقاص" -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)[١]

٣- وعن "مرة بن إياس المزني" -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ، لا تزال طائفة من أمتي منصورين ، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة)[٢]

وعن "سلمة ين نفيل الكندري" -رضي الله عنه- قال : كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله أذال الناس من الخيل[٣]، ووضعوا السلاح ، وقالوا : لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها ، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه ، وقال : (كذبوا ، الآن الآن جاء القتال ، ولا يزال من أمتي يقاتلون على الحق ، ويزيغ[٤] الله لهم قلوب أقوام ، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي وعد الله ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وهو يوحي إلى أني مقبوض غير ملبث[٥] وأنتم تتبعوني أفنادًا[٦] يضرب

=

كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ النحل: ٤٠ رقم (٧٤٦٠)ومسلم في كتاب الإمارة ٠ باب قوله ﷺ : (لا تزال طائفةمن أمتي ....) رقم (٤٩٣٢)

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة – باب قوله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين) رقم (٤٩٣٥)

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ، في باب ما جاء في الشام برقم (٢١٩٢) (٤٨٥/٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ رقم (٦) وأخرجه الإمام أحمد في المسند ، رقم (١٥٦٣٤-١٥٦٣٥) (٤٣٦/٣) وإسناد الحديث صحيح كما قال الألباني .

يُنظَر : تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ، طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، (بيروت) و(دمشق) (ص١٩)

(٣) **أذال الناس من الخيل** : أهانوها واستخفوا بها ، وقيل أرسلوها ووضعوا عنها آلة الحرب .

((حاشية السيوطي على النسائي)) (٢١٤/٦)

(٤) **يزيغ** : أي يميل . ((حاشية السيوطي على النسائي)) (٢١٤/٦)

(٥) **ملبث** : اسم مفعول من ألبثه أو لبثه ، واللبث : المكث والإقامة .

((حاشية السيوطي على النسائي)) (٢١٥/٦)

(٦) أفنادًا : جماعات متفرقة .

((حاشية السيوطي على النسائي)) (٢١٥/٦)

بعضكم رقاب بعض ، وعقر دار المؤمنين بالشام)[1]

٤ - وعن "أبي أمامة" -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ، ظاهرين لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم إلى ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك)

قالوا يا رسول الله : وأين هم ؟

قال : (ببيت المقدس ، وأكناف [2]بيت المقدس) [3]

٥ - وعن "عمير بن الأسود" و"كثير بن مرة الحضرمي" – رحمهما الله تعالى - قالا : إن أبا هريرة وابن السمط قالا : لا يزال المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة ، وذلك أن النبي ﷺ قال : (لا تزال عصابة قوامة)

وقال النبي ﷺ : (هم أهل الشام)[4]

٦ - وعن "زيد بن ثابت الأنصاري" -رضي الله عنه- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يا طوبى للشام . يا طوبى للشام ، يا طوبى للشام)

قالوا : يا رسول ، وبم ذلك ؟

قال : (تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام)[5]

٧ - وعن "عبد الله بن حوالة" –رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (ستجندون أجنادًا ، جندًا بالشام وجندًا بالعراق وجندًا باليمن) قال عبد الله : فقلت خر لي يا

---

(١) أخرجه النسائي في أول كتاب الخيل ، حديث رقم (٣٥٦٠) (٢١٥/٦) وأحمد في المسند (١٠٤/٤) وإسناده صحيح كما قال الألباني . يُنظَر : السلسلة الصحيحة ، حديث رقم (١٩٣٥)

(٢) الأكناف : جمع كنف وهو كنف الناحية والجانب .

(٣) علّقه البخاري في الكُنى (٧٥٢) ورواه عبد الله بن الإمام أحمد (٢٦٩/٥)، والطبراني في الكبير (١٤٥/١) حديث رقم (٧٦٤٣) وابن الجوزي في (فضائل القدس) الباب التاسع - فضل السكنى فيه (ص٩٣) والحديثفيه ضَعف .

(٤) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير في ترجمة شرحبيل بن السمط الكندي ، رقم (٢٦٩١) (٦٢/٤) ورجال الحديث ثقات والإسناد صحيح .

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١/٢) وقال : حديث حسن . وفي بعض النسخ : صحيح . والإمام أحمد في المسند (١٨٤/٥) وهو صحيح كما قال الألباني - رحمه الله - .

يُنظَر : تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ، مرجع سابق ، حديث رقم (١) ص ١٢ .

رســـول الله .

فقال : (عليكم بالشام ، فمن أبى فليحلق بيمنه ، وليستق من غدره ، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله)

قال ربيعة : فسمعت "أبا إدريس" يحدث بهذا الحديث يقول : (ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه)(١)

٨ - وعن "عبد الله بن عمرو" -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : (إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي ، فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام)(٢)

٩ - وعن "عوف بن مالك" -رضي الله عنه- قال : أتيت رسول الله ﷺ وهو في بناء له ، فسلمت عليه فقال : عوف ؟ قلت : نعم يا رسول الله . قال : ادخل ، فقلت :كلِّي أم بعضي ؟ قال : (بلكلَّك) قال : فقال لي : (اعدد عوفستًّا بين يدي الساعة ،أوّلهن موتي . قال : فاستبكيت حتى جعل رسول الله ﷺ يسكتني ، قال : (قل : إحدى ، والثانية فتح بيت المقدس ، قل : اثنين ، والثالثة فتنة تكون في أمتي . والرابعة موتان يقع في أمتي يأخذهم كعقاص الغنم (٣)، والخامسة يفيض المال فيكم فيضًا حتى إن الرجل ليعطى المائة دينار فيظل يسخطها ، قل :خمسًا ، والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، يسيرون إليكم على ثمانين راية ، تحت كل راية اثنا عشر ألفًا ، فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها : الغوطة ، فيها مدينة ويقال لها : دمشق)(٤)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣٣/٥) والحاكم (٤ /٥١٠) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، وأخرجه من طريق آخر أبو داود (٣٨٨/١) والإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٨٨) وأخرجه الطحاوي في " مشكل الآثار " (٣٥/٢) وقال الألباني بحديث صحيح جدًّا .

يُنظَر : تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ، مرجع سابق ، حديث رقم (٢) ص ١٣ .

(٢) أخرجه الحاكم (٤ /٥٠٩) وأبو نعيم في ((الحلية)) (٥ / ٢٥٢) وقال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٥٨) وقال : رواه الطبراني في ((الكبير)) و ((الأوسط))

وقال الألباني : حديث صحيح .

يُنظَر : تخريج أحاديث فضائل الشام ، مرجع سابق ، حديث رقم (٣) ص ١٤ .

(٣) **العقاص** دابةٌ يأخذُ الغنمَ فيسيل من أنوفها شيءٌ لايلبثها أن تموت والعقصُ لغةً : القتل ، أو الموتُ المعجَّل .

يُنظَر : ابن حجر ، فتح الباري ، مرجع سابق (٣٣٤/٦) حديث رقم (٣١٧٦)

(٤) أخرجه البخاري (٦ /٢١٣) وابن ماجه (٢ /٤٩٦ - ٤٩٧) وأحمد في المسند (٢٥/٦) وغيرهم =

١٠ - وعن "أبي هريرة" -رضي الله عنه- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي أكرم العرب فرسًا وأجودهم سلاحًا يؤيد الله بهم الدين)[١]

١١- وعن "سالم بن عبد الله" عن أبيه -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس) قلنا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : (عليكم بالشام)[٢]

١٢ - وعن "بهز بن حكيم بن معاوية القشيري" عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله أين تأمرني ؟ فقال : (ها هنا) وأومأ بيده نحو الشام ، قال : (إنكم محشورون رجلاً وركبانًا ومجرون على وجوهكم)[٣]

١٣ - وعن "أبي الدرداء" -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : (فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق ، من خير مدائن الشام)

وفي رواية قال : سمعت النبي ﷺ يقول : (يوم الملحمة الكبرى ، فسطاط[٤] المسلمين بأرض يقال لها الغوطة ، فيها مدينة يقال لها : دمشق خير منازل المسلمين

=

من طرق أخرى عن عوف به ، دون قوله في آخره : ((فسطاط المسلمين))

انظر : تخريج أحاديث فضائل الشام ، مرجع سابق ، حديث رقم (٣٠) ص ٦٣ .

(١) أخرجه بن ماجه (٢ /٥٢٠) والحاكم (٤ /٥٤٨) وقال ((صحيح على شرط البخاري)) وقال البخاري : حديث حسن .

انظر : تخريج أحاديث فضائل الشام ، مرجع سابق ، حديث رقم (٢٨) ص ٦١ .

(٢) أخرجه أحمد (٢ /٨) والترمذي في الفتن ، باب ما جاء : لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قبل الحجاز ، رقم (٢٢١٧) وصححه ، وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح .

يُنظَر : تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ، مرجع سابق ، حديث رقم (١١) ص ٣٣ .

(٣) أخرجه أحمد (٥ /٣و ٥) والترمذي في الفتن ، باب ما جاء في الشام ، حديث رقم (٢١٩٢) والحاكم (٤ /٥٦٤) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، وصححه الألباني -رحمه الله- .

يُنظَر : تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ، مرجع سابق ، حديث رقم (١٣) (ص ٣٦)

(٤) **الفُسطاط** -بضمّ الفاء وسكون السين المهملة ، وطائين مهملتين بينهما ألف - بِرِصْن المسلمين الذي يتحصّنون به . وأصله : الخيمة .

يُنظَر : عون المعبود (٣١٦/١١)

يومئذ)[١]

١٤ - وعن "النواس بن سمعان الكلابي" -رضي الله عنهما- ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق)[٢]

١٥ - وعن "عبد الله بن عمرو" -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال : (سيكون هجرة ، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ، ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم ، وتقذرهم نفس الرحمن وتحشرهم النار مع القردة والخنازير)[٣]

١٦- أخرج الإمام "أحمد" و"الطبراني" من حديث "ذي الأصابع" -رضي الله عنه- ، أنه قال يا رسول الله ، أين تأمرنا إنْ ابتلينا بالبقاء بعدك ؟ قال : (عليك بالشام)[٤]

١٧- روى "يحيى بن سعيد" عن "عبد الله بن هبيرة" ، أن "أبا الدرداء" كان قاضيًا بالشام ، فكتب إلى "سلمان" : هلُمّ إلى الأرض المقدّسة ؛ أرض الجهاد)[٥]

١٨- روى "ابن عساكر" في تاريخه عن "عطاء الخراساني" ، قال : لمّا مهْتُ بالذُّقلة من خراسان شاورتُ مَن بِها مِن أهل العلم : أين ترون أن أنزل بعيالي ؟ فكلّهم يقول : عليك بالشام. أتيتُ البصرة فشاورتُ مَن بِها من أهل العلم : أين ترون أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام . ثم أتيت الكوفة فشاورتُ مَن بِها من أهل العلم : أين ترون أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام .ثم أتيت المدينة فسألتُ مَن بها من أهل العلم : أين ترون أن أنزل بعيالي ؟ فكلهم يقول : عليك بالشام[٦].

١٩- أورد "ابن رجب" -رحمه الله- في فضائل الشام قصّةً رواها "الصلت بن

---

(١) أخرجه أحمد (٥ / ١٩٧) وأبو داود (٢ / ٢١٠) والحاكم (٤/ ٤٨٦) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي وقال الألباني : حديث صحيح .

يُنظَر : تخريج أحاديث فضائل الشام للربعي ، مرجع سابق ، حديث رقم (١٥) ص ٣٨ .

(٢) أخرجه مسلم (٨ / ١٩٧) وأبو داود (٢ /٢١٣) والترمذي (٢ /٣٧)

(٣) أخرجه أبو داود في الجهاد باب في سكنى الشام ، رقم (٢٤٧٩) وقال الألباني : حديث حسن .

انظر : تخريجه لأحاديث مناقب الشام وأهله لشيخ الإسلام بن تيمية ، طبعة المكتب الإسلامي ، (دمشق) - بيروت – (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، (ص٨٢)

(٤) أحمد في المسند (٦٧/٤) والطبراني (٢٨١/٤)

(٥) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٦٧/١)

(٦) أخرجه ابن عساكر في التاريخ (٤٥/١)مختصرًا .

حكيم" عن "وهب بن منبّه" ، قال : قال "هرم بن حيّان" لـ"أويس القرني" : يا أخي ، إني أخاف الوحشة من بعدك . فقال "أويس" لما ظننتُ أن أحدًا يعرفُ الله عز وجلّ فيستوحش منه . قال فقلتُ له : أين أكون ؟ قال : فأومأ بيده نحو الشام . قال فقلتُ : كيف أصنع بالمعيشة ؟ قال إنْ خالَط هذا النفوسَ الضعفُ فما ينفعها شيء[١].

٢٠-نُقِل عن "الإمام أحمد" -رحمه الله-أنه استحبّ سُكنى الشام ، والانتقال بالذرية والعيال إلى معاقلها كـ(دمشق) ، فأمّا أطرافها وثغورها القريبة من الساحل فلا يُستحبّ سُكناها بالذّريّة ؛ لما يُخشى عليهم من إغارة الكفّار ، وإنما يُستحب الإقامة بها للرباط ، بدون نقل النساء والذرّية .وكل ما كان من بلدانها أقرب إلى السواحل ، وأشدّ خوفًا فإنه يُكره نقل الذّرّية إليه . فأمّا الأحاديث في فضائل الشام فلا تختص عنده بثغورها ؛بل هي عامّة لجميع أرض الشام ؛ كـ(بيت المقدس) وما والاه ، و(دمشق) ، وغيرها . والله تعالى أعلم[٢].

٢١- أخرج "عبد الرزاق" في مصنّفه عن "معْمر" عن "الأعمش" عن "القاسم بن عبد الرحمن"، قال :شُكِي إلى "ابن مسعودٍ" الفرات ، فقالوا : نخشى أن ينفتق علينا ، فلو أرلتَ له من يسكّره . فقال "عبد الله" لا تسكّره ، فو الله ليأتينّ على الناس زمانٌ لو التمستم فيه ملء طشتٍ من ماءٍ ما وجدتموه ، وليرجعنّ كل ماءٍ إلى عُنصُره ، ويكون بقية الماء والمسلمين بالشام[٣].

٢٢- وعن "أبي هريرة" -رضي الله عنه- ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزال بدمشق عصابة يقاتلون على الحق حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون) [٤]

٢٣- وعنه -رضي الله عنه- ، قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزال عصابةٌ من أمّتي يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حولها ، لا يضرهم من خذلهم ، ظاهرين على الحق إلى أن تقوم الساعة) [٥]

٢٤- وعن "سلمة بن نفيل" -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ ، قال : (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس ؛ يزيغُ الله قلوب أقوامٍ فيقاتلونهم ، ويرزقهم الله منهم ؛ حتى يأتي

---

(١) عادل سعد ، مجموع فضائل الشام ، فضائل الشام لابن رجب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م) (ص١٦٤)

(٢) ابن رجب الحنبلي ، فضائل الشام ، مرجع سابق ، (ص١٦٦) بتقحقيق عادل سعد .

(٣) مصنف عبد الرزاق (٣٧٣/١١-٣٧٤) رقم (٢٠٧٧٩)

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ (دمشق) (١١٦/١)

(٥) أخرجه ابن عساكر في تاريخ (دمشق) (١١٦/١)

أمر الله وهم على ذلك .ألا إن عُقر دار المؤمنين بالشام)[1]

ومن خلال ما سبق من الأدلة المتضافرة يتبين لنا :

أولاً : أهمية هذه الأرض ودورها في حفظ الإسلام وأهله من كيد أعدائه ، وأنها كانت موطن الأنبياء ومهاجرهم ، وتاريخها القديم يشهد بما كانت تتمتع به من مكانة ورفعة ، ولا تزال هذه الأرض مباركة إلى اليوم ، وغدًا ستكون مأرز المؤمنين ومنطلق فتوحاتهم .

ثانيًا : أنها أرض المحشر والمنشر ، فعن "ميمونة بنت سعد" مولاة النبي ﷺ قالت : يا نبي اللهفأْتِنا في بيت المقدس ، فقال : (أرض المحشر والمنشر)[2]

قال شيخ الإسلام "بن تيمية" -رحمه الله- : (والشام إليها يحشر الناس كما في قوله تعالى (لأول الحشر) فنبّه على الحشر الثاني ، فمكة مبدأ ، وإيلياء معاد الخلق ، وكذلك بدأ الأمر ، فإنه أسرى بالرسول ﷺ من مكة إلى إيلياء ، ومبعثه ومخرج دينه من مكة ، وكذلك دينه وظهوره وتمامه حتى يملكه المهدي بالشام .

فمكة هي الأول ، والشام هي الآخر في الخلق والأمر في الكلمات الكونية والدينية) [3].

ثالثًا : أن بها الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة ، ففي حديث "معاوية" رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لا يزال من أمتي قائمة بأمر الله ، ما يضرهم من كذبهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك)[4]

وفي صحيح مسلم عن "سعد بن أبي وقاص" -رضي الله عنه- ، قال ﷺ : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة)[5]

قال شيخ الإسلام "بن تيمية" -رحمه الله- : (وقال أحمد بن حنبل –رحمه الله-:

---

(١) أخرجه أحمد (١٤/٤) والنسائي (٢١٤/٦) وابن عساكر في تاريخ (دمشق) (٥٣/١)

(٢) أخرجه أحمد (٦ /٤٦٣) وابن ماجه (١ / ٤٢٩ - ٤٣٠) وإسناده صحيح كما قال الحافظ أحمد بن أبي بكر البوصيري في (زوائده) وقواه الإمام النووي في (المجموع)

(٣) ابن تيمية ، مناقب الشام وأهله ، المكتب الإسلامي ، (دمشق) - بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) (ص٧٨)

(٤) تقدم تخريجه (ص٦٠٩)

(٥) تقدم تخريجه (ص٦٠٩)

أهل المغرب هم أهل الشام ، وهو كما قال لوجهين :

أحدهما : أن في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام .

الثاني : أن لغة النبي ﷺ وأهل مدينته في (أهل الغرب) هم أهل الشام ومن يغرب عنهم ، كما أن لغتهم في (أهل المشرق) هم أهل نجد والعراق ، فإن المغرب والمشرق من الأمور النسبية فكل بلد له غرب قد يكون شرقًا لغيره ، وله شرق قد يكون غربًا لغيره ، فالاعتبار في كلام النبي ﷺ لما كان غربًا وشرقًا له حيث تكلم بهذا الحديث ، وهو بالمدينة) [1].

وقال "ابن رجب" –رحمه الله- : (وقد فسّر الإمام "أحمد" أهل الغرب في الحديث بأهل الشام ؛ فإن التشريق والتغريب أمرٌ نسبيٌّ ، والنبيّ ﷺ إنما قال هذا بالمدينة، وقد سمّى أهل نجد والعراق :أهل المشرق ؛ فلذلك كانوا يسمّون أهل الشام أهلَ الغرب ؛ لأن الشام تتغرّب من المدينة ، كما أنّ نجدًا تتشرّق عنها . وكانوا يسمّون البصرة هندًا ؛ لأنها من جهة الهند ، ومنها يُسلَك إلى الهند .ولهذا قال خالدٌ – لمّا عزله عمر عن الشام- :إن عمرَ أمرني أن آتي الهند . قال الراوي : وكانت الهند عندنا : البصرة)

وفسّرتْ طائفةٌ أخرى الغرب المذكور في الحديث بالدلو العظيم ، وقالوا : المرادُ بهم أهل الغرب ؛ لأنهم يستقون بالمغرب . وهذا قول "علي بن المديني" ، وغيره –عليهم رحمة الله - .

وقد وردت الأحاديث أن الغرب يهلك في آخر الزمان ، فلا يبقى منهم بقية إلا بالشام . فيرجع الأمر في تفسير الحديث بأهل الشام[2].

وقد جاء في بعض روايات حديث الطائفة المنصورة (لا تزال عصابة بدمشق ظاهرين))[3] وفي أخرى بلفظ (يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ، وعلى أبواب بيت المقدس وما حوله .....)[4]

رابعًا : أن بقاء الخير ودوامه في الأمة مرتهن ببقاء الخير في الشام ، كما أن

---

(١) شيخ الإسلام بن تيمية ، مناقب الشام وأهله ، مرجع سابق ، (ص٧٩ – ٨٠)

(٢) يُنظَر : ابن رجب الحنبلي ، فضائل أهل الشام ، مرجع سابق ، (ص١٨٧-١٨٨) بتحقيق عادل سعد .

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٣٥/٣)

(٤) أخرجه أبو يعلى كما في المطالب العالية ، كتاب المناقب باب فضل الشام ، (٤ /١٦٤) رقم (٤٢٤٤)

زواله عن الأمة مرتهن بزواله عنها ، كما في حديث "قرة بن إياس المزني" ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إذ فسد أهل الشام فلا خير فيكم ..)[١]

خامسًا : أنها أمان المؤمنين عند الفتن .

لقد أرشد رسول الله ﷺ أصحابه عند الفتن أن يأرزوا إلى الشام فهي أكثر نواحي الأرض إيمانًا ففي حديث "عبد الله بن عمرو" رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : (إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي ، فنظرت فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام ، ألا إن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام)[٢]

وفي حديث "عبد الله بن عمر" -رضي الله عنهما- قال : قال رسول الله ﷺ : (ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس) قلنا : فما تأمرنا يا رسول الله ؟ قال : (عليكم بالشام) [٣]

وفي حديث "بهز بن حكيم بن معاوية القشيري" عن أبيه عن جده قال : قلت يا رسول الله : أين تأمرني ؟ فقال : (ها هنا) وأومأ بيده نحو الشام ، قال : (إنكم محشورون جلاً وركبانًا ومجرون على وجوهكم)[٤]

وفي حديث "سلمة بن نفيل الكندي" -ﷺ- الطويل قال ﷺ : (وعقر[٥] دار المؤمنين بالشام)[٦]

قال "ابن رجب" – رحمه الله - : فيه إشارة إلى أن هذه الطائفة أو معظمها بالشـــام . وأما من قال من العلماء : إن هذه الطائفة المنصورة هم أهل الحديث – كما قاله "ابن المبارك" ، و"يزيد بن هارون" ، و"أحمد بن حنبل" ، و"علي بن المدينـــي" ، و"البخـــاري" ، وغيرهم -؛ فإنه غير منافٍ لما ذكرناه ؛ لأن الشام في آخر الزمان بها يستقر الإيمان ، ومُلك الإسلام ، وهي عقر دار المؤمنين ، فلا بد أن يكون فيها من

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦١٠)

(٢) تقدم تخريجه (ص٦١٢)

(٣) تقدم تخريجه (ص٦١٣)

(٤) تقدم تخريجه (ص٦١٤) .

(٥) العقر بضم العين وفتحها أي أصلها وموضعها كأنه أشار إلى أن الشام - وقت الفتن - أسلم من غيرها .

يُنظَر : حاشية السيوطي (٦ / ٢١٥)

(٦) تقدم تخريجه (ص٦١١)

ميراث النبوة من العلم ما يحصل به سياسة الدين والدنيا . وأهل العلم بالسنة النبوية بالشام هم الطائفة المنصورة ، القائمون بالحق ، الذين لا يضرهم من خذلهم[١].

سادسًا : أنها حارسة الإسلام ودرع المسلمين :

فمع ما أخبر به الرسول ﷺ من وجود الطائفة المنصورة بها إلا أنه جلى لنا وصفًا من أوصافها فقال مرة (عصابة قوامة)[٢]وفي رواية : (لا يزال أهل الغرب ظاهرين)[٣]

ففي هذين الوصفين دلالة على بأس هذه الطائفة وحمايتها لبيضة الإسلام ومع كونها قليلة العدد والعدة إلا أنها تستمد عونها وقوتها في الثبات على الحق باعتصامها بأمر ربها مع كثرة المخالفين والمخذلين .

بل إن حراستها للإسلام لا تنحصر في الدفاع عن أرضه بل حتى في صيانة أهل الإسلام من ولوج الشرك والبدع وسائر الضلالات والخرافات إلى عقولهم وعقيدتهم ودفع ما يثار من الشبه والأفكار التي تفسد الدين والدنيا .

وفي قوله ﷺ (إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ...)[٤] إشارة إلى قوة التحديات والصراعات التي تخوضها هذه الطائفة مع المخالفين لها .

وفي حديث "عبد الله بن حوالة" -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : ((ستجندون أجنادًا بالشام ، وجندًا بالعراق ، وجندًا باليمن) قال عبد الله : فقمت فقلت : خر لي يا رسول الله ، فقال : (عليكم بالشام ، فمن أبى فليلحق بيمنه .... الحديث))[٥]

سابعًا : كفالة الله تعالى لها ولمن فيها :

حيث تكفل الله تعالى بالشام وأهله ، فبالرغم من كل الإحن والنكبات التي حلت بالشام إلا أن الله تعالى سهل لأهله العيش بين أظهر الأعداء ومنّ عليهم ببركات السماء والأرض طوال القرون الماضية إلى اليوم ، ففي حديث "عبد الله بن حوالة" السابق ، حين سأل رسول الله ﷺ : وقال : خر لي يا رسول الله ، فقال ﷺ : (عليكم بالشام ، فمن

(١) ابن رجب الحنبلي ، فضائل الشام ، مرجع سابق ، (ص١٩٤) بتحقيق عادل سعد .

(٢) تقدم تخريجه (ص٦١١)

(٣) تقدم تخريجه (ص٦٠٩)

(٤) تقدم تخريجه (ص٦١٠)

(٥) تقدم تخريجه (ص٦١٢)

أبى فليلحق بيمنه ، وليستق من غدره ، فإن الله عز وجل قد تكفل لي بالشام وأهله)

قال "ربيعة" : فسمعت "أبا إدريس" يحدث بهذا الحديث يقول : (ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه)[١]

ومن حفظ الله عز وجل لها أنه يأمر ملائكته أن تبسط أجنحتها عليها فقد ثبت عن "زيد بن ثابت" ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يا طوبى للشام يا طوبى للشام، يا طوبى للشام) قالوا : يا رسول الله ، وبم ذلك ؟ قال : (تلك ملائكة الله باسطوا أجنحتها على الشام)[٢]

ثامنًا : أن أهلها خيار أهل الأرض :

فعن "أبي الدرداء" -ﷺ- أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : (يوم الملحمة الكبرى ، فسطاط المسملين بأرض يقال لها الغوطة ، فيها مدينة يقال لها دمشق ، خير منازل المسلمين يومئذ)[٣]

وعن "عبد الله بن عمرو" -رضي الله عنهما- عن النبي ﷺ قال : (سيكون هجرة بعد هجرة ، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ، ويبقى في الأرض شرار أهلها تلفظهم أرضوهم ... الحديث)[٤]

تاسعًا : أنها أرض الملاحم والفتوحات :

فعن "أبي هريرة" ﷺ قال : قال رسول ﷺ : (إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي ، أكرم العرب فرسًا ، وأجودهم سلاحًا يؤيد الله بهم الدين) [٥]

وعن "سلمة بن نفيل الكندي" قال : كنت جالسًا عند رسول الله ﷺ فقال رجل : يا رسول الله : أذال الناس الخيل ، ووضعوا السلاح وقالوا : لا جهاد ، قد وضعت الحرب أوزارها ، فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال : (كذبوا ، الآن ، الآن جاء القتال ، ولا يزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق ، ويزيغ الله قلوب أقوام ، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة ، وحتى يأتي وعد الله ، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة ،

(١) تقدم تخريجه (ص٦١٢)

(٢) تقدم تخريجه (ص٦١١)

(٣) تقدم تخريجه (ص٦١٤)

(٤) تقدم تخريجه (ص٦١٤)

(٥) تقدم تخريجه (ص٦١٣)

وهو يوحي إلى أني مقبوض غير ملبث ، و أنتم تتبعوني أفنادًا يضرب بعضكم رقاب بعض وعقر دار المؤمنين بالشام)[١]

وعن "أبي أمامة" -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ، ظاهرين لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك)

قالوا يا رسول الله : وأين هم ؟

قال : (ببيت المقدس ، وأكناف بيت المقدس)[٢]

وفي حديث "النواس بن سمعان الكلابي" -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق)[٣]

ونزول "عيسى بن مريم" -عليه الصلاة والسلام- عند منارة دمشق إشارة إلى وجود الطائفة المنصورة التي تقاتل وراءه المسيح الدجال ، وأن الفئة المقاتلة هي آخر الطائفة المنصورة في الشام ففي حديث "محمد بن كعب القرظي" قال : قال رسول الله ﷺ (لا تبرح عصابة من أمتي ظاهرين على الحق ، لا يبالون من خالفهم حتى يخرج المسيح الدجال فيقاتلونه)[٤]

وفي حديث "عوف بن مالك" -رضي الله عنه- إشارة إلى الملحمة التي تكون بين المسلمين والروم حيث أخبر رسول الله ﷺ فقال : (... والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ، يسيرون إليكم على ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفًا ... الحديث)[٥]

وابتداء القتال بين المسلمين والروم واليهود قبل قيام الساعة ، ففي حديث "أبي هريرة" -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال : (لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق[٦]، فيخرج إليهم جيش من المدينة ، من خيار أهل الأرض يومئذ فإذا تصافوا

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦١٠)

(٢) تقدم تخريجه (ص٦١١)

(٣) تقدم تخريجه (ص٦١٥)

(٤) رواه سعيد بن منصور (١٧٨/٢/٣) برقم (٣٢٧٦)

(٥) تقدم تخريجه (ص٦١٣)

(٦) **دابق** : سهل ممرع يعرف بمرج دابق ، يقع شمال مدينة حلب ،فيه وقعت الحرب بين السلطان السلطان سليم الأول العثماني والسلطان المملوكي قانصوه الغوري سنة (٩٢٢هـ) وانتهت بغلبة السلطان العثماني ودخوله سورية ، وانتزاعها من حكم المماليك.يُنظَر : تعريف =

قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا ، والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا ، فيقاتلونهم ، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدًا ، ويقتل ثلثهم ، أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا : فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنيمة قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان : إن المسيح قد خلفكم في أهليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاؤوا الشام خرج ، فبينما هم يعدون للقتال ، يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى بن مريم عليه السلام فأمهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لا نذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه في حربته)[١]

وفي حديث "عبد الله بن عمر" -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال : (تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر : يا مسلم هذا يهودي ورائي ، تعال فاقتله)[٢]

وفي رواية : (لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم حتى يقول الحجر : يا مسلم ، هذا يهودي فتعال فاقتله)[٣]

وقد جاء تعيين موضع القتال بين المسلمين واليهود في قوله ﷺ : (أنتم شرقي النهر وهم غربيه) والمقصود بالنهر نهر الأردن ببلاد الشام .

قال "ابن رجب" –رحمه الله- : ومن بركتها الدينية : أنها أرض الجهاد ؛ فأهلها في جهاد ورباطٍ ، ونفقتهم على أنفسهم كالنفقة في سبيل الله ، تُضاعف بسبعمئة ضعفٍ . وقد كتب "أبو الدرداء" رضي الله عنه إلى "سلمان" -رضي الله عنه- :هَلُمّ إلى الأرض المقدّسة ، أرض الجهاد .

وكذلك كان السلف يختارون الإقامة بها للجهاد ؛ كما فعل ذلك رؤساء مسلمة الفتح من قريش .

قال "أرطأة بن المنذر" : قال "عمر" :أعظم الناس أجرًا رويجل بالشام آخذٌ بلجام فرسه ، يكلأ من وراء بيضة المسلمين ، لا يدري أسبُعٌ يفترسه ؟ أم هامّة تلدغُه ، أو عدوٌّ يغشاه .

=

بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير (٤٧٨/١)

(١) أخرجه مسلم (١٨/ ٢٢٩) حديث رقم (٧٢٠٧)

(٢) أخرجه مسلم (٢٥١/١٨) حديث رقم (٧٢٦٦)

(٣) أخرجه مسلم (٢٥١/١٨) حديث رقم (٧٢٦٤)

وكان "ابن عيينة" وغيره من العلماء يقولون : من أراد علم لسِّيَر فعليه بأهل الشام، فإنهم لكثرة جهادهم أعلمُ الناس بأحكام الجهاد .

وعن "الشافعي" –رحمه الله– قال :من أراد عِلم الملاحم فعليه بأهل الشام[١]

وقال "ابن رجب" – رحمه الله – في موضع آخر : ومن بركات الشام الدينية : أن نور النبي ﷺ عند ولادته سطع إليها ، فأشرقت قصورها منه ، فكان أول مبدأ دخول نوره الشام ، ثم دخلها نور دينه وكتابه ، فأشرقت به ، وطهُرتْ به مما كان فيها من الشرك والمعاصي ، وكمُل بذلك قُدسُها وبركتُها[٢].

عاشرًا : أن أهلها أشد الناس بلاءً :

فإن شدة البلاء على بلاد الشام وأهلها يعود إلى منزلتها الكائنة آخر الزمان فإن الإيمان يأرز إليها ، وهي مهاجر المؤمنين يومئذ ، وخير بلاد الإسلام ، وحارسة بيضته من العدو ، وبها الطائفة المنصورة التي تقوم بأمر الله وتقاتل في سبيله وتدعو المسلمين للثبات عليه ، وهي عقر المؤمنين عند الفتن ، ومنطلق كتائب الإسلام المجاهدة ، وفيها المسجد الأقصى ، ومبعث أنبياء بني إسرائيل ، وإليها هجرة "إبراهيم الخليل" ، وإليها مسرى نبينا "محمد" ﷺ ، ومنها كان معراجه ، وبها ملكه ، وعمود دينه وكتابه ، وإليها المحشر والمعاد .

فبلاد مثل بلاد الشام تتظافر عليها نصوص شرعية مثل ما تقدم لا عجب أن ينصب عليها وعلى أهلها البلاء والمحنة [٣]، ومن أعظم أنواع البلاء وأشده عليهم :

أ - كثرة المخالفين لهم : فإن سواد الأرض يرمونهم عن قوس واحدة ، وقوى العالمية ترميهم بشرر المكر والكيد والتجويع والإبادة وهم مع ذلك صابرون محتسبون قائمون بأمر الله تعالى إلى قيام الساعة ، إذ لا يتوقفون عن القتال ، كلما انتهوا من مقاتلة قوم قاموا ليقاتلوا قومًا آخرين .

ب - كثرة المخذلين لهم : فهم مع هذه الجهود وتلك المدافعة يبتلون أثناء الطريق بمخذّلة من إخوانهم وأهليهم وأقوامهم ، يعوقونهم عن المسير ، ويرجفون في الديار

---

(١) ابن رجب الحنبلي ، فضائل أهل الشام ، بتحقيق عادل سعد ، مرجع سابق (ص٢١٣)

(٢) ابن رجب الحنبلي ، فضائل أهل الشام ، بتحقيق عادل سعد ، مرجع سابق ، (ص٢١٥)

(٣) روى الإمام أحمد في المسند (٤٩٩/٣)عن خريم بن فاتك الأسدي موقوفًا : ((أهل الشام سوط الله في الأرض ، ينتقم بهم ممن يشاء كيف يشاء ، وحرام على منافقيهم أن يظهروا على مؤمنيهم ،ولن يموتوا إلا همًا أو غيظًا أو حزنًا)) قال الألباني :إسناده صحيح موقوفًا ، انظر : تخريج أحاديث مناقب الشام وأهله ، مرجع سابق ، (ص٨٦)

والقرى ، ويثبطون الناس في أمصارهم عن الاستجابة لهم ، وتتسع دائرة الخذلان حتى يخذلهم إخوانهم في أصقاع الأرض .

ج - نزول المصائب من الجوع والخوف والمرض والفقر وهي التي أشار إليها حديث "أبي أمامة" -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي على الدين ، ظاهرين لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم إلا ما أصابهم من لأواء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك)

قالوا يا رسول الله : وأين هم ؟

قال : (ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس)[1]

والخلاصة أن بلاد الشام وأهلها ينتظرهم دور كبير للدفاع عن الإسلام ، طريقه شاق مليء بالفتن والإحن ، ومن حوله مخالفون ومناوئون ومكذبون ومخذلون ومحاربون ، وهم مع ذلك ثابتون صابرون لا يثنيهم ما يلاقونه من البلاد ، ولا ما يصيبهم من اللأواء .

بل إنهم مع كل ممارسات التجويع والتهجير والقسري ومصادرة الأراضي وبناء المستوطنات اليهودية فيها إلا أنهم ألزم الناس في مهاجر "إبراهيم" بقاءً فيه واتباعًا لملته .

قال شيخ الإسلام "ابن تيمية" -رحمه الله- : (فقد أخبر - النبي ﷺ - أن خيار أهل الأرض من ألزمهم مهاجر "إبراهيم" ، بخلاف من يأتي إليه ثم يذهب عنه ، ومهاجر "إبراهيم" هي الشام)[2]

الحادي عشر : أنها أرض مباركة :

قال "ابن رجب" – رحمه الله - : (واعلم أن البركة في الشام تشمل البركة في أمور الدين والدنيا ؛ ولهذا سُمّيت الأرض المقدسة . قال تعالى حاكيًا على لسان "موسى" -عليه الصلاة والسلام- :﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ المائدة: ٢١)[3]

كيف يستجمع أهالي الشام أوصاف تلك الطائفة ؟

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦١١)

(٢) ابن تيمية ، مناقب الشام وأهله ، مرجع سابق ، (ص٨٣)

(٣) ابن رجب الحنبلي ، فضائل الشام ، مرجع سابق ، (ص٢٠٩) تحقيق عادل سعد .

إن للطائفة المنصورة خصائص وصفات لا بد أن يتمثلها اليوم أهل الحق ودعاته في بلاد الشام وخصوصًا في فلسطين التي تأخر النصر فيها كثيرًا بسبب اختلاف الرايات والزعامات والمناهج ، ومع أن كثيرًا من صفات الطائفة المنصورة وخصائصها بدأ يتجمع ويتوزع على فصائل المجاهدين بمجموعها إلا أن من المهم تكرار تلك الصفات ليتعلم متعلم ويتذكر متذكر ويعود عائد ، مع العلم أن تلك الخصائص قابلة للتحقق في أية طائفة تقوى على استجماعها في نفسها لأنها في الأصل تكاليف شرعية موجهة إلى عموم الأمة ، وأهم تلك الخصائص :

أولاً : (الاستمساك بالحق) : لوصف النبي ﷺ لها بقوله : (على الحق ظاهرين) أو (ظاهرين على الحق)[١]

فظهورهم هو : التزامهم الظاهر والباطن بالدين ، وتحكيمهم للكتاب والسنة والرجوع إليهما عند الاختلاف ، فكمال الإتباع للحق والتمسك به أساس منهج الطائفة.

(ومن هنا نعلم أن الطائفة المنصورة هي التي انتسبت للحق ، وأن النصر لا يمكن أن يتصور تنزيله على غير المنتسبين إليها من أصحاب الرايات الضالة ، قومية كانت أو بعثية أو يسارية أو أي صيغة أخرى غير دينية ، وكذلك لا يمكن تصور نزوله على طائفة ضالة خارجة في اعتقادها عن منهج الفرقة الناجية المتبعة لطريقة السلف من الصحابة ومن بعدهم ، فإنها وإن أحرزت الغلبة في بعض فتراتها فإن نصرها ليس نصرًا للدين وإن ادعى أصحابه أنهم (حزب الله) أو تلقب زعيمهم بـ (نصر الله) [٢]

(ومن البدهي أن تكون الطائفة المنصورة من الفرقة الناجية ، إذ يستحيل أن يكون الحق والنصر في غيرها)[٣]

ثانيًا : القيام بالحق :

فالطائفة المنصورة لا تلتزم بالحق فقط اعتقادًا أوتصديقًا ، بل تقوم به وتعمل بمقتضاه وتطبقه على واقع حياتها ، ومعنى هذا أنهم أهل استقامة ظاهرة كما أنهم أهل سلامة باطنة ، وأن دينهم دعوة يحملونها ويدعون الناس إليها .

ثالثًا : الظهور بالحق :

---

(١) تقدم تخريجه (ص٦٠٩)

(٢) عبد العزيز كامل ، العلمانيون وفلسطين ،ستون عامًا من الفشل ، وماذا بعد ؟ مرجع سابق ، (ص١٥٤)

(٣) سلمان العودة ، صفة الغرباء ، مرجع سابق ، (ص ١٦٧)

فوصف النبي ﷺ بأنهم (على الحق ظاهرين) يفيد معنى زائدًا على مجرد الاستمساك بالحق ، ولها ثلاثة مدلولات :

١- أنهم بارزون للناس ، معروفون بهويتهم المنهجية الثابتة على الحق والمقاتلة عليه ، دون مهادنة عاجزة أو مداهنة فاجرة)[١]

٢ - ظهور حجتهم على الناس فهم منصورون بالحجة والبيان قبل نصرهم بالسيف والسنان .

٣ - أنهم في موقع الغلبة والقوة والتمكين بهذا الحق[٢].

رابعًا : المصابرة على الحق :

فإن الخصائص التي سبقت تبين لنا أن أهل الطائفة المنصورة يأخذون أنفسهم بالعزائم ويتواصون فيما بينهم بالثبات ، وهذا ما لا يقدر عليه المخذولون المخذلون ، ولذا قال النبي ﷺ : (لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ...)[٣]

خامسًا : البقاء على الحق :

وفيه دلالة على أن الطائفة المنصورة قديمة الوجود ، لم ينقطع وجودها عبر مراحل رسالات السماء ولن ينقطع حتى تقوم الساعة ، قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ هود: ١١٦ وهي اقتداء للفرقة الناجية في كل ملة كما دل على ذلك حديث الافتراق ، فليس في كل منها إلا فرقة واحدة ناجية ، وأول أجيال الفرقة الناجية في هذه الأمة هم صحابة النبي ﷺ الذين يمثلون ذروة الخيرية في الأمة الخيرية .

وقد استلزم هذا أن يكون شرط تعظيم الصحابة والاقتداء بهم أبرز شروط الفرقة الناجية والطائفة المنصورة[٤].

---

(١) عبد العزيز كامل ، العلمانيون وفلسطين وستون عامًا من الفشل وماذا بعد ، مرجع سابق ، (ص ١٥٦)

(٢) المصدر نفسه ، (ص١٥٦)

(٣) تقدم تخريجه (ص٦١١)

(٤) ينظر : عبد العزيز كامل ،العلمانيون وفلسطين ستون عامًا من الفشل وماذا بعد ، مرجع سابق ، (ص١٥٧ – ١٥٨)

سادسًا : الدفاع عن الحق :

فالطائفة المنصورة لا تعتقد الحقنظريًّا فقط ، ولا تمتثل لهعمليًّا فحسب ، وإنما تدافع عنه ، وتبذل دونهالمُهَج والنفس والنفيس ، وسيبقى هذا شأنها (حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال)[1]

(١) تقدم تخريجه (ص٦٢٤)

المطلب الثاني : واقع الشام المعاصر ومستقبله المنشود :

مرّت بلاد الشام خلال القرون الماضية بحملات متسارعة ؛ صليبية ووثنية ، عسكرية وفكرية .حمل لواءها عدوٌّ ظاهرٌ كشف القناع عن وجهه ، وآخر منافقٌ مرِض قلبُه فزاده الله تعالى مرضًا ، فانقلب على وجهه ، ودينه ، وأهله ، وفطرته .

وعلى الرغم من كل ذلك ؛ ظلّت بلاد الشام درعًا حصينةً ، لم تستطع قوى الكفر منازَلتها ، وسخّر الله لها من أهلها وعلمائها مَن يذود عن حياضها ، ويحفظ لها دينها ، ويقارع عدوّهابالقلم والسّنان ، والحُجّة والبيان .

كان القرن الرابععشر الهجري أكثر القرون خطرًا على الأمة ، وخصوصًا في بلاد المشرق العربي . فالمؤامرات والدسائس على الولايات العربية كانت تقودُها دول الاستعمار الأوربي . وكانت الطوائف والأحزاب الشيوعية والقومية في داخل بلاد الشام تقف جنبًا إلى جنبٍ مع الاستعمار خصْمًا للعمل الإسلامي ، الذي قاده العلماء ، وسارت خلفهم الجمعيّاتُ والمساجد ، ومكاتب الحركة الإسلامية ، والمدارس غير الحكومية .

إنّ كل المؤامرات لم تَثْنِ أهل الإسلام عن القيام بدورٍ دفاعي وبنائي ؛ يواجهون به خطط المستعمر ، ويحفظون بيضة الإسلام في بلاد الشام .

لقد كانت مدافعة أهل الإسلام شديدة ؛ على الرغم من ضعف الإمكانات ، وقلّة الناصر ، وتخاذُل القريب ، وشدّة البطش ، ودهاء العدوّ .

ويمكن الوقوف عند واقع الشام المعاصر ومستقبله المنشود من خلال النقاط التالية :

١) حظيت المدافعة بتأييدٍ شعبيٍّ منقطع النظير ، طوال فترات القرن ؛ فقد كان للإسلام حضورٌ في نفوس أهالي الشام ، وكان للعلماء والدعاة رصيدٌ شعبي واجتماعي، ساعد على التفاف الشعوب حولهم ؛ كما بدا ذلك واضحًا في الانتخابات البرلمانية ، والمظاهرات التي يقودها علماء البلاد .

ومن هنا ينبغي على العلماء والقيادات الدعوية والمؤسسات الاجتماعية أن تُعنى بضرورة الحضور الشعبي ، وتبذل كل السبل التي تكفُل حماية المجتمع من التغريب . كيف ؟! ونحن نرى اليوم ونسمع : كيف أن التنصير -خصوصًا- في بلاد الشام يتجه لتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والاجتماعية للشعوب الفقيرة ؛ سعيًا لتنصيرها عبر الدخول من هذا الباب .

إن على المؤسسات والمراكز والجمعيات الإسلامية والاجتماعية والخدمية والدعوية أن تنهض بواجبها الشرعي والإنساني تجاه شعوبها وأمّتها ، وتبني جسورًا

عظيمةً تمتدّ إلى الشارع ، والأسرة ، والمجتمع بكل شرائحه . وحين تقوم بهذا الأمر ستضمن –بإذن الله- سلامة المجتمع ، وحمايته من الغزو الفكري الدخيل ، وانصرافَه عن جهود المستعمرين في التبشير والتغريب .كما يكفل تأييده لها تحت أي ظرفٍ وموقف يمرّ به أهل الإسلام .

٢) حين أُعلِنت العلمانية في مؤسسات السلطة ، وفُرِضت على أهل الإسلام في بلاد الشام ، حلّت الرأسمالية ثم الاشتراكية بديلاً عن نظام المال الإسلامي ومصرفيّتهِ = عرف الناس حينئذ حاجتهم إلى الدين ، وانبعثت أصوات من هنا وهناك – حتى من بعض الثوريين أنفسهم- تنادي بإفلاس هذه المذاهب ، وعجْزها عن تلبية حاجات الشعوب ، وأن العودة إلى الإسلام شريعةً ومنهاجًا ودستورًا هو الحل الوحيد لكل ذلك .

لقد عاش الناس في هذا القرن الرابع عشر الهجري فراغًا روحيًّا ، وخواءً لم تملأْه الشعارات القومية ، ولا المذاهب الفكرية ؛ حملوا الاشتراكية العلمية منهجًا ، فزادتْ أوضاع البلادِ سوءًا . والتفتوا إلى قبلة أوروربا ، فما راعهم إلاّ الاستعمار الجاثم الذي التهم ما بقي من خيراتهم .

فما الحلُّ إذن ؟

الحل في الإسلام المنزل من السماء ؛ شرعةً ومنهاجًا ، دون تشذيب وتهذيب ، ودون إيغالٍ ، أو طغيانٍ ، أو رهبانية .

إن على أهل الثغور في بلاد الشام أن يَعْرضوا الإسلام الحقيقي في صورته النقية الناصعة ؛ سيّما وهم يرون الشعوب قد ملّت التجارب المرّة ، وأدّتْ تحت الظلم والبغي والحرب الطائفية الأهلية ، وقبل ذلك اكتوت بلهيب الحربين العالميتين : الأولى والثانية .وهي اليوم تنتظر قدَرها مع العدو اليهودي ، ومنظماته العالمية .

فلا مَخرج من كل ذلك إلا بالعودة إلى الإسلام ، وقيام أولي العلم والحكمة والرأي ببعث الإسلام مرة أخرى في نفوس أهله ، وإحياء العقيدة في قلوبهم وسلوكهم. وحينها تستقيم الحياة ، وتصلح النفوس ، وتُولد الآمال .

٣) كل شعار سوى شعار الإسلام فهو زائل ؛ هذا الذي أثبتته الأيام والسنن : كم رُفع من شعارات الاشتراكية الشيوعية ، حتى ظلّت إلهًا يُعبد من دون الله ؟! وكم مرّةٍ مجّدها العالَم الشرقي ، وفرضها على شعوبه المكلومة الفقيرة ؟! وكم اصطلت بنارها البلاد العربية – ومنها بلاد الشام – حين تبنّتها حلاًّ بديلاً عن الإسلام .

ما لبثت الشيوعية والاشتراكية أن سقطتا عند أصحابها ، وتمزّق اتحادها ، وانهار نظامُها .

وهذه القومية الجاهلية التي رُفع شعارُها في البلاد العربية ، ما فتئت يتضاءل دورها ، ويتساقط أتباعُها ، وخلتِ الساحة السياسية في بلاد الشام منهم ، وتمكّن الباطنيون من طرْدهم وتهجيرهم ، والتفرّد بالحكم دونهم .

وحين بُعثت من جديد في العراق في العقد السابع من القرن الرابع عشر الهجري وقامت دولة البعث ؛ لم تدُم طويلاً حتى كانت نهايتُها المخجلة في سقوط حزب البعث ، وأسْر زعيمه في مشهدٍ ذليلٍ ، زاد من ذلّته سكوت دعاة القومية آنذاك .

إن على المدافعين عن حياة الأمة وثقافتها اليوم أن يستيقنوا نصر الله تعالى لدينه، ورسله ، وأوليائه .وأن يملؤوا قلوبهم ثقةً بوعد الله تعالى القائل : ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ الروم: ٤٧ . وليعلموا أن نصر الله تعالى يجري وفق سنن لا تتغيّر ولا تتبدّل ، وأن أعظم السنن استجلابًا للنصر :إصلاحُ النفس ، وبناء الإنسان والمجتمع على قاعدة الدين ، ولزوم مصادره الثابتة . قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾الرعد: ١١ ، وقال تعالى : ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ محمد: ٧

٤)ممّا يميّز المدافعة في بلاد الشام بروزُ الدور الاحتسابي من العلماء والدعاة في نصح الأمة وتوجيهها . فقد ظهرت على ساحة العمل الإسلامي جهود الجمعيّات الإسلامية في ميادينها التعليمية والاجتماعية والتربوية ، وكان لهذا الدور الاحتسابي آثار عظيمة على نفوس أصحابه ،وتجرُّدهم من حظوظ أنفسهم ، وكان في الوقت نفسه رسالةً واضحةً لخصوم الإسلام يومئذٍ ؛ بأنْ لا مساومة على عقيدة الناس ، ودينهم .

إنّ على حُرّاس العقيدة والفضيلة اليومَ في بلاد الشام وغيرها أنْ يبذلوا وُسْعهم في بناء الإنسان المسلم ، وإيجاد المجتمع الكريم ، منخلال ممارسة العمل التطوّعي ، وبذل النفس والمال والوقت والعِلم ؛ سيما وأن موارد العمل الإسلامي نضبت ، وأنّ حبائل الغرب في القضاء عليه نُصِبتْ ، مع ما تعيشُه بلاد الشام عمومًا قبل ذلك وبعده من تجاذُباتٍ سياسيةٍ ، وانقسامات ، وولاءات تُلقي بظلالها على العمل الإسلامي .

وفي ظل هذه الظروف التي يعيشها العمل الإسلامي -خصوصًا في بلاد الشام- لا بدّ أن يلتفت أنصارُه ورموزُه ؛ بجمعيّاتهم ، ومؤسساتهم ، ومراكزهم ؛ إلى قيام شراكاتٍ وقنواتٍ محلّية وخارجية –في ظلّ غياب الدور الرسمي – تكفل استمرارية العمل الإسلامي ، وتنهض بواجباته ومسئولياته .

٥) إن من أعظم العوامل التي تنهض بالعمل الإسلامي ، وتثبته في ظل التحديات المعاصرة، وتجعل منه صخرةً تتحطم عليها معاول العدوّ : العناية بأنصاره

وحزبه المؤمنين ، وتطوير ذواتهم ؛ علميًّا ، وفكريًّا ، وسياسيًّا . وتحصينهم من الشبهات والشهوات ، والعمل على رعايتهم اجتماعيًّا ، مع العناية بأُسَرهم ، وتأمين العيش الكريم لهم ، وإخضاعهم لدوراتٍ بنائية وبرامج تربوية وقيادية ترتقي بواجباتهم ، وتعزّز الثقة فيهم .وعلى روّاد مؤسسات العمل الإسلامي القيام بواجبهم تجاه أفرادهم وشعوبهم .

إنّ نظرةً واحدةً لتحديد مدى عناية الجمعيات والمدارس الإسلامية بهذا الجانب تكشف لنا عُمق هذه المشكلة في فترة هذا القرن إلى اليوم .

ولربّما كان ممكنًا الإسهام في تطوير فئة من العاملين بإمكانات محدودةٍ ، وبجهود احتسابيةٍ –على أقلّ تقدير- .

ويمكن ذِكر بعض الفرص التي تتناسب مع واقع وظروف العمل الإسلامي في بلاد الشام خصوصًا :

أ) إيجاد مشاريع تعليمية وتنموية ، تتبنّاها الجمعيات والكليات والجامعات الشرعية ؛ ينخرط فيها الشباب المسلم . تهدف إلى البناء الشامل للشخصية المسلمة ، وتشرف عليها هيئات شرعية واعية .

ب) تنفيذ دورات موسمية بالتنسيق مع الجهات ذات العلاقة ؛ مثل : دورات في العلوم الشرعية ، وأخرى في الإسعافات الأولية وإطفاء الحرائق ، ونحو ذلك ؛ مما يتناسب مع ظروف المرحلة .

ج)التسويق الإعلامي المتميز لما تقوم به الجمعيات الإسلامية والجامعاتُ من جُهد ، وعرْض ثمراتِها وجهودها على عناصر تستطيع دفع عجلة العمل الإسلامي ؛ عبر تبنّيها ورعايتها لهذه الجمعيّات ؛ سواءً في الداخل أم الخارج .

د)التنسيق مع المؤسسات الاجتماعية والدعوية في الخارج ؛ لعقْد زياراتٍ رسميّة متبادلة ، تطّلع من خلالها الجمعيّاتُ على جهود نظيراتها في العالم الإسلامي .

٦على روّاد العمل الإسلامي وجمعيّاتِه ومؤسساته العملُ على نشر المنهج الشرعي ، والدعوة إليه ، والانطلاق من خلاله ، وجعله مردًّا وحكَمًا عند الاختلاف ؛ بعيدًا عن الأهواء والمصالح الشخصية ، وضغط الواقع . قال تعالى : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩

كما إن عليهم المحافظة على سلامته من الاختراق الفكري الغالي أو الجافي ، ومراعاة المصالح والمفاسد ، وفقه النوازل ؛ من خلال الرجوع إلى أهل العلم . قال

تعالى : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾النساء: ٨٣

وليحرصوا على وحدة الكلمة ، ونبذ الخلاف المفضي إلى التدابر والتنازُ ع . قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: ٤٥ – ٤٦

إنّ ممّا يحرص عليه دعاة الضلالة والانحراف :ضرْب العمل الإسلامي بيد أهله ، والقضاء عليه من قِبَل رموزِه وأنصاره ؛ وذلك باختلاق الأكاذيب ، ونشر الشائعات ، وتهويل الأخطاء ، وتوظيف النفعيّين ؛ لإشغال الرأي العام بهذه القضية أو تلك .

ومن الأهمية أن يحصِّن العمل الإسلامي نفسَه من الداخل ، وينطلق برؤية ثابتة واضحةٍ ، يلس فيها غموضٌ ولا خفاء ، ويستبين سبيل المجرمين المتربصين به ، خصوصًا في البلدان التي تعيش أوضاعًا مضطربةً ومتقلّبةً .

وكثيرًا ما يواجه العمل الإسلامي ظروفًا سياسيّةً ، وحصارًا ماليًّا في بعض فتراته .والقطاعات الخيرية الناجحة هي التي تضع لنفسها آليّاتٍ حلولاً تتجاوز بها مخاطر المرحلة وأزماتها الطارئة ، وتضمن بهذه الخطط سلامة القطاع الخيري ، واستمرار العمل فيه ، ولو بطأ ذلك عجلة العمل حينًا ؛ فإن المضيَّ على الطريق بحكمةٍ وتمهُّل خيرٌ من المجازفة والمنع .

٨- تحاول بعض المؤسسات والهيئات والجمعيات المشبوهة الزجَّ ببعض القطاعات الخيرية السُّنّية ، وإقحامها في مسلسل أحداث أمنية داخليةٍ زورًا وبهتانًا ؛ بغية التصادُم بينها وبين النظام السياسي . وأكثر من يسارع إلى ذلك الطوائف المخالفة لأهل السنة والجماعة ، وأحيانًا قوًى عالمية خفية ، تهدف إلى تجفيف العمل الإسلامي الخيري ، وإيجاد توتّراتٍ تنتهي به إلى الزوال .

وهنا ينبغي التعامل بحكمة ورويّة ، مع يقظة واستبانة لسبيل المجرمين ، وسدّ كل الثغرات التي قد يستغلّها العدوّ لتمرير مؤامراته .

وعلى المدافعين عن حياض الأمة أن يتعرفوا واقع هذه الطوائف والهيئات ، ويحرصوا على التضلُّع والتشبُّع ، من خلال قراءة ناضجةٍ لنشأتها ، وتاريخها ، ووسائلها، وغاياتها .

٩-ظهرت في بلاد الشام خلال فترة القرن الماضي انقساماتٌ طائفية ومذهبية ، واستطاع الإسلاميون أن يسجلوا حضورًا في الحياة السياسية والاجتماعية . ومن أبرز العوامل التي ساعدتْ على ذلك :

أ– التشاورات والتفاهمات التي قام بها بعض العلماء فيما بينهم ، وكان لها دور كبيرٌ في تجاوز الأزمات ، وسلامة المؤسسات والجمعيات والرموز من كيد الأعداء والمتربصين .

ب- المرجعية الواضحة لأهل العلم والحكمة ، التي كانت بارزةً على الساحة الاجتماعية ؛ حيثكان الناس في كل مناسبة أو نازلة يلتفّون حول علمائهم ، ويرجعون إليهم فيما يستجدّ أو ينزل سياسيًّا ، أو اجتماعيًّا ، أو ثقافيًّا .

ج- العمل الدؤوب والجهد الكبير الذي كان يقوم به بعض العلماء والدعاة لعموم الشعب ، في المساجد ؛ حيث تُقام الدروس ، والمحاضرات ، والخطب . وفي المدارس ، والجامعات ، وفي المناسبات العامةوتجلّى خلال هذه الفترة قوّة العزْم ، ورباطة الجأش ، والأخذ بعزائم الأمور ؛ بعيدًا عن الكسل ، والجُبن ، وحبّ الدنيا .

١٠- مع أهمية الدور الذي تقوم به المرأة المسلمة في الإسلام -وخصوصًا فيما يتعلق بتربية الأجيال المسلمة- ، ومساهماتها في الدعوة إلى الله ؛ إلا أن الاهتمام بها لا يتجاوز حدود الدفاع عنها ، بينما ظلّت المرأة خلال هذه الفترة هدفًا للأعداء ؛ يصوّبون إليه سهامَهم في الإعلام والتعليم .ويعقدون من أجلها المؤتمرات ، ويجعلون منها أداةً لتنفيذ وتمرير مشاريع التغريب .

إن من العوامل التي تدعم المحافظة على تراث الأمة وأصالتها من رياح التغيير والتغريبالعنايةُ بشأن المرأة أمًّا ، وزوجةً ، وبنتًا ، وأختًا .وبذْل كل السبل الكفيلة بحمايتها ، ورعايتها ، وتوجيهها ؛ حتى تحصّن الأمة نفسها من الداخل ، وتسدّ الطريق على دعاة التحرير .

وأهم الوسائل التي يمكن الاستفادةُ منها في توجيه المرأة :

أ–منابر الكليات والجامعات في البلاد العربية ، وخصوصًا الكليّات الشرعية ؛ حيث تقوم بعض الكليات والجامعات بعقد مؤتمرات تهتمّ بقضايا المرأة ، ودورها في النهوض بالمجتمع ؛ فضلاً عن الأسابيع الثقافية التي تُقام داخل الجامعات .

ب- الاستفادة من منابر المساجد ومحاريبها في الحديث عن المرأة في الإسلام، وما يمكن أن تقوم به في الحياة المعاصرة ، مع ضرورة تنسيق الجهود .

ج- إنشاء الجمعيات النسائية الإسلامية التي تهتمّ بالمرأة والأسرة المسلمة ، وتضع الأهداف والخُطط التي تفعّل دور المرأة في التعليم والتربية ؛ داخل الأسرة ،

وخارجها .

د- فتح القنوات الإعلامية الإسلامية الخاصة بالأسرة – والمرأة تحديدًا - ؛ سواءً كانتْ مسموعةً ، أو مرئيّةً ، أو مقروءةً وجعْلها بديلاً عن القنوات المحمومة الأخرى ،وفق خطة إعلامية تعالج قضايا المرأة المعاصرة ، نابعةٍ من رؤية إسلامية شرعية ؛ لتدفع بها نحو المشاركة في التربية والإصلاح .

هـ-الاستفادة من العناصر النسائية المتميزة ، وفتح المجال لهنّ للمشاركة في بناء الأسرة والمجتمع ، عبر رعاية مشاريعهنّ ، ودعمهنّ ماليًّا ، وفكريًّا . واللقاء بنظيراتهنّ ؛ من أجل الارتقاء بدور المرأة ، وتوظيفها في خدمة المجتمع والأمة .

١١- من ثمرات جهود المدافعة في بلاد الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري أنها جمعت الفرقاء على صفّ واحدٍ أمامَ عدوٍّ واحد ؛ هو الاستعمار وذيوله . فعلى الرغم من الاختلافات الفكرية التي ضجّت بها بلاد الشام آنذاك ، إلاّ أن الله تعالى وفّق بعض العلماء والدعاة من أهل السنة والجماعة لاحتواء المخالفين لهم ، وتوظيفهم في العمل الإسلامي ، دون الدخول معهم ابتداءً في مجادلاتٍ وخصوماتٍ ؛ بل إن بعضهم كان أكثر تأثيرًا وأشدّ غيرةً على الإسلام من بعض منتسبة أهل السنة والجماعة .

إن على القائمين على العمل الإسلامي اليوم –وخصوصًا في بلاد الشام – أن يحرصوا على جمع الكلمة ، ووحدة الصفّ ، واحتواء الخلاف ؛ خاصةً في المسائل الاجتهادية التي يسوغ فيها الخلاف . ويمكن العمل في المسائل المشتركة والمُجمَع عليها ، وإرجاء ما يمكن من مسائل النزاع ، مع التحلّي بالحكمة وسلامة الصدر ، والإخلاص لله ظاهرًا وباطنًا .

ومن وسائل العمل المشتركة :

أ– تكوين هيئات شرعية ومجالس علمية ، تضم العلماء والدعاة ، ويشرف عليها أجلاّء من علماء البلاد من أهل السنة والجماعة .

ب- توظيف المساجد والجمعيات الشرعية ، والمعاهد في المدافعة عن ثقافة الشعوب ودينها أمام أي فكرٍ دخيل ؛ حيث إن كثيرًا من أصحاب النزعات الفكرية العقدية يقفون مع أهل السنة والجماعة في هذا الجانب .

ج- يمكن للجمعيات الإسلامية –وخصوصًا السنية منها – أن تبادر إلى تأليف رابطة بين الجمعيّات في البلد الواحد ؛ إمّا على نطاق المحافظة الواحدة ، أوالولاية الواحدة .ويمكنها التوسع فيما بعد ، أو تكوين مجلس تنسيقيٍّ مشترك بين الجمعيات أو المدراس ، يهدف إلى التعاون والتكامل والتواصل بين الجمعيات، وحلّ العقبات التي تقف أمام العمل الإسلامي .

د- تفعيل الدور الاجتماعي ، والمشاركة في الحياة الاجتماعية ؛ عبر مشاريع خِدَمية ؛ مثل : (مساعدة الفقراء – إسعاف المرضى – زيارة المصابين – إطفاء الحرائق- كفالة اليتامى والأرامل – محو الأمية ...)

١٢- على المدافعين عن حياض الإسلام اليوم أن يعلموا أنهم قد هُدوا إلى أحسن طريق وأقوم سبيلٍ لعزة الإسلام وتمكينه في الأرض ؛ وهو : الدعوة إلى الله تعالى باللسان ، والقلم ، والسيف وأنهم بذلك يحفظون بيضة الإسلام ؛ فلا غَرْو أن يزداد بلاؤهم ومصابُهم في أنفسهم ، وأموالهم ، وأهليهم . وهم مع ذلك محتسبون ، صابرون . قال تعالى : ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٠ – ١٧٢

١٣- عند ظهور الإسلام وأهله يبرز دور النفاق والمنافقين في خلخلة الصف ، وسدّ الطريق دون وصول الإسلاميين إلى مراكز القوة والتأثير . وعلى القائمين على العمل الإسلامي أن يحذروا من العملاء والدخلاء ، والجواسيس . فكم اغتالوا من العلماء والدعاة والمجاهدين ؟! وكم سرّبوا من معلوماتٍ ، وكشفوا أوراقًا ، وزيّفوا حقائقَ طالتْ العمل الإسلامي في بلدان العالَم ؟!

وأشدّ ما يكون الحذر منهم عند تواتر الفتن ، وشدّة الخطوب ، واختلاط الحق بالباطل . فليكن أهل الإسلام منهم على بصيرةٍ ، وليعرفوهم في لحن أقوالهم ، وصنيع أفعالهم .

١٤- على أهل السنة والجماعة – وهم يدافعون عن منهجهم وشريعتهم الربانية- أن يُبرِزوا قياداتهم العلمية ، ويدفعوهم للتأثير على الساحة السياسية والاجتماعية ، من خلال مكانتهم الاجتماعية . ولا ينبغي أن يتوارى العلماء والقادة خلف مؤسساتهم ، أو في حُجَر مدارسهم . ولقد كان للعلماء في هذه الفترة أثر على كافةالصُّعُد في بلاد الشام ؛ حين كانت قلوبهم وبيوتهم مفتوحةً لسائر الناس .

ولئن كان العلماء لا يجدون وقتًا ، ولا يستطيعون جهدًا للنزول في الميدان ؛ فإن على مَن تحتهم أن يكونوا أعينهم المُبصِرة ، وآذانَهم الصاغية لما يستجد من القضايا والنوازل في جميع ميادين الحياة .

١٥- كان – ولا يزال –جهد الغرب مستمرًّا في الوصول إلى بوابة التعليم ، والتدخّل في شئونه ومناهجه ، وفرْض أجندته ورؤيته . وها هو اليوم يسعى إلى تغيير

المناهج التعليمية –وخصوصًا الشرعية – في بلاد الإسلام ، ويزعزع الثقة فيها ، ويشكك في نزاهة القائمين عليها ، ويتّهمهم بالإرهاب والأصولية والرجعية ، ويَصِم المناهج بالجمود والانغلاق .

إن علينا جميعًا أن نحفظ عقيدتنا وشريعتنا عن أن تمسّها يد التغيير الغربية ؛ لتحرف مسارها الديني إلى مساراتٍ شرقية يسارية ، أو غربيّةٍ علمانية ، أوليبراليّة . ومن أهم الوسائل المعينة على ذلك :

أ– الاستعانة بالله تعالى ، واللجوء إليه ، والدعاء في المواطن التي تُرجى فيها الإجابة .

ب–ليس معنى التطوير في المناهج تغييرُ ها وتبديلُها ؛ بل يمكن إعادة النظر في المحتوى ؛ بحيث يلبي حاجة المرحلة ، وظروفَها .

ج- الرفع للمسئولين ، ومخاطبتهم ، وزيارتهم ، والحديث معهم حول بعض مستجدات التعليم ، وجوانبه الحسنة والسيئة .

د) تشكيل فريق يُعنى بتقييم المناهج الشرعية ، ومدى تناولها للقضايا المعاصرة، ومحافظتها على الأصالة ويمكن أن تكون عملية التقويم كلّ خمس سنواتٍ .

هـ - ينبغي تفعيل دور الاحتساب الشرعيعند أي خطوةٍ يمكن أن تشكّل خطرًا على التعليم وثقافة أبنائنا وبناتنا ؛ ليس في التعليم فحسب ، بل في جميع وزارات الحكومة بل لا يقف دور لجان الاحتساب عند معالجة مشكلةٍ مّا ؛ بل ينبغي أن تُعنى اللجان بالبحث والدراسة ، وتخطو خطوات استباقية أحيانًا ، وتطرح رؤاها بوضوح وشفافية ، قبل أي خطوة يتخذها الطرف الآخر .

و- تطوير أداء المعلمين والمعلمات من ذوي التخصصات الشرعية ، وتأهيلهم للتدريس والتربية ، بطريقةٍ تتناسب مع واقع العالم اليوم ، وطلابنا في العالم العربي والإسلامي .

١٦- على العاملين في الحقل الإسلامي اليوم –وخصوصًا في بلاد الشام – أن يُعنَوا بالرسالة الإعلامية ؛ سواءً المقروءة أو المسموعة أو المرئية . فكم رأينا الغرب يسخّر لها كل إمكاناته ، ويصبّ فيها جهده الفكري والمالي والبدني ؛ من أجل أن يزيغ قلوب أبنائنا وبناتنا . ومن خلال نظرة سريعة لمدى عناية العمل الإسلامي بهذه الرسالة يرتدّ الطرّف حسيرًا . بينما نرى في المقابل الجهودَ الحثيثة والمتتابعة على تسخير الإعلام كأداة لتغريب وتغيير ثقافة الأمة المسلمة .

نعم ؛ هناك جهود في العقود المتأخرة ، لكنها ليست على مستوى التحدي

والمواجهة . ومع ذلك ؛ فقد كان لها ثمرات ونتائج على الساحة العربية والإسلامية ؛ بل والعالمية .

إن من فريضة الوقت على أعيان الأمة ؛ من علماء ، ووجهاء ، ورجال أعمال أن يسخّروا طاقاتهم من أجل نشر الإسلام في الأرض ؛ ليسمعه القريب والبعيد ، والمسلم والكافر ، والعربي والعجمي . ومن ذلك :

أ – إيجاد هيئات إشرافية متخصصة في الإعلام الإسلامي .

ب- فتح كليات ومعاهد أكاديميّة إعلامية ، تُعنى بدراسة الإعلام ، تكشف عن شخصيات إسلامية محترفة في هذا المجال .

ج- السعي لإنشاء قنوات إعلامية تعرض الإسلام بصورته النقية ، وتحقق الشمولية والمعاصرة .

د- إقامة المؤتمرات وورش العمل ؛ لمناقشة رسالة الإعلام الإسلامي ، ومدى فاعليّته وتأثيره .

هـ- إقامة حفل تكريم لأبرز القنوات الإسلامية على مستوى العالم .

و- إنشاء صندوق لدعم الإعلام الإسلامي .

١٧- على إخواننا المجاهدين في الثغور الشامية –وخصوصًا في فلسطين – أن يدركوا أن أيّ نجاحاتٍ – بالمنظور الشرعي لا بدّ أن تستند إلى رُؤًى شرعيةٍ واضحةٍ تنطلق منها ، وعلى ضوئها تُبنى المواقف .

١٨- يرى بعض المتخصصين في دراسة بلاد الشام أن هناك دلائل وقرائن كثيرة تدلّ على أن الفصائل المجاهدة اليوم على أرض الشام وما حولها هي طلائع الطائفة المنصورة ، المذكورة في الأحاديث . كما إن هناك دلائل وقرائن على أن عصابات اليهود الموجودة في فلسطين وما حولها اليوم هي طلائع دولة الدجّال العالمية ، وأن النزال المستقبلي والحتمي تلوح في الأفق مقدّماتُه ، وإرهاصاتُه .

التوصيات

أولاً : كانت بلاد الشام منذ قرون – وما زالت –مسرحًا للمدافعة بين قوى الحق والشر ، وعلى أهلها من أهل الإسلام أن يبذلوا وُسعهم في الدفاع عنها وعن مقدّساتها ؛ في ظل خُذلان بعض العرب والمسلمين لهم .

ثانيًا : هناك حاجة ملحّة للدراسة والبحث في واقع بلاد الشام خلال هذه الفترة وما سبقها ؛ فالحديث عن الشام لا تكفي عنه أطروحة ؛ بل ينبغي دراسة تحوّلاته ، وتأثيره على البلاد الإسلامية الأخرى ، والبحث في أحواله الفكرية ، والسياسية ، والاجتماعية ؛ بأناةٍ ، وتأمُّل .

ثالثًا : تمرُّ كثيرٌ من بلدان الإسلام اليوم بما مرّتْ به بلاد الشام خلال القرن الماضي . وما أشبه الليلة بالبارحة ! ومن هنا يجب على أولي العلم والرأي أن يسارعوا في الاستفادة من تجربة أهل الشام في المدافعة ، وأن يسدّوا الطريق ؛ ابتداءً بالإعداد النفسي ، والمالي ، والفكري ؛ لحماية مجتمعاتهم .

رابعًا : إذا أراد أهل الإسلام –وخصوصًا أهل الشام –الانتصارَ الحقيقي على عدوّهم فعليهم بالعودة إلى شريعة ربّهم ، وسنّة نبيّهم ﷺ ، والدعوة إليها . قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥

خامسًا : لا يزال أعداء الإسلام هم أعداؤه اليوم ؛ فالتآمرات والتحالُفات من القريب والبعيد ، والعملاء المنافقون في الداخل ، والحصار والتجويع المنظّم من قبل الغرب الأدنى والأقصى تعُد غريبةً ولا صُدفةً . وعلى الإسلاميين أن يدرءوا عن أنفسهم وعن إخوانهم كيد العدوّ ، ويحصّنوا مؤسساتهم من الداخل .

سادسًا : في ظل الحرب على العمل الخيري ؛ يجب على القائمين عليه أن يتّجهوا إلى المشاريع الاستثمارية ، أو الوقفية ، التي تكفل دعم المؤسسة أو الجمعية الخيرية ، وتسدّ حاجتها وعجزَها المادّي .

سابعًا : يجب على أهل الإسلام حمايةشعوب الأمة في عقيدتها وثقافتها ، وبذْل الجهد والوقت والمال في سبيل ذلك .

ثامنًا : هناك تحديات تواجهها الأمة وهي تدافع عدوَّها ؛ ومن ذلك :قوة العدوّ في سلاحه العلمي ، والمادة ، والحضاري ، والعسكري .

تاسعًا : هناك مشكلات وخروقات في جسد هذه الأمة ؛ منها : زيادةُ نسبة الأمية، والبطالة ، والتخلُّف في كثير من ميادين العمل (صناعة – زراعة – طاقة ...) مما يستنزف جهدًا مضاعفًا للوصول إلى بناء مجتمع كريمٍ .

عاشرًا : أن على عموم الأمة أن يلتفتوا للدفاع عن الشام –وخصوصًا بيت المقدس وأكنافه ، ويحملوا هذه القضية بروحٍ إسلاميّةٍ ؛ بعيدًا عن القومية ، والحزبية، والطائفة المنصورة التي أخبر عنها النبي ﷺ ستكون مع مرور الزمان في بلاد الشام ، وفي هذا بُشرى لأهل الشام ، وخصوصًا أهل فلسطين .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن أكون قد وُفّقتُ في الحديث عن هذا الموضوع . وما كان فيه من صواب فمن الله وحده ، وما كان فيه من خطأٍ فمنّي والشيطان . داعيًا المولى أن ينفعني به ، أنه سميع قريبٌ . وصلى الله وسلم على نبينا محمّد وعلى أصحابه أجمعين .

والحمد لله رب العالمين .

الفهارس العامة

- فهرس الآيات الكريمة .
- فهرس الأحاديث الشريفة ، والآثار الموقوفة .
- فهرس الأشعار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس اللغة والغريب والمصطلحات .
- فهرس الفرق والجماعات والمذاهب الدينية والسياسية .
- فهرس الأماكن والبلدان .
- قائمة المؤلفين .
- فهرس المحتويات .

فهرس الآيات الكريمة

الآية ، والسورة ، ورقم الآية (حسب ترتيب ورودها في المصحف)	الصفحة

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ البقرة: ٧٢ ..... ٢٦

﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ۚ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧ ..... ٥٥ ، ١٧١

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ البقرة: ٢٥١ ..... ١٦ ، ١٨ ، ٢٢

﴿ وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ آل عمران: ٧٢ ..... ١٧١

﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ آل عمران: ١٣٩ ..... ٢٤٨

﴿ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٧ ..... ١٨ ، ٢١

﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٦٨ ..... ٢٦

﴿ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ آل عمران: ١٧٠ - ١٧٢ ..... ٦٣٨

﴿ وَٱبۡتَلُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنۡ ءَانَسۡتُم مِّنۡهُمۡ رُشۡدٗا فَٱدۡفَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَأۡكُلُوهَآ إِسۡرَافٗا وَبِدَارًا أَن يَكۡبَرُواْۚ وَمَن كَانَ غَنِيّٗا فَلۡيَسۡتَعۡفِفۡۖ وَمَن كَانَ فَقِيرٗا فَلۡيَأۡكُلۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ٦ ﴾ النساء: ٦ ..... ١٥ ، ١٨

﴿ فَإِذَا دَفَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ أَمۡوَٰلَهُمۡ فَأَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبٗا ﴾النساء: ٦ ..... ١٩

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩. ..... ٦٣٣-٦٣٤

﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾النساء: ٨٣ ٦٣٣

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ ﴾ المائدة: ٢١ ..... ٥٢٦

﴿ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرۡنَا مَا كَانَ يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ ١٣٧ ﴾ الأعراف: ١٢٩ ـ ١٣٧ ..... ٦٠٣

﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٨ ..... ٥٠

﴿ فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ هود: ١١٦ ٦٢٧

﴿ وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ ﴾ يونس: ٩٣ ..... ٦٠٥

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ الأنفال: ٤٥ – ٤٦ ..... ٦٣٤

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ كَآفَّةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ التوبة: ٣٦ ..... ٢٤

﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ ﴾ الرعد: ٢٢ ..... ٢٦

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ الرعد: ١١ ..... ٦٣٢

﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ الإسراء: ١ ..... ٦٠٣

﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةٗ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الأنبياء: ٨١ ..... ٦٠٤

﴿ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ الأنبياء: ٧٠ - ٧١ ..... ٦٠٤

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴾ الحج: ٣٨ ..... ١٥ ، ١٧ ، ١٩

﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ الحج: ٤٠ ..... ١٨ ، ٢٢

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ المؤمنون: ٩٦ ..... ١٨ ، ٢٠

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ النور: ٥٥ ... ٣١٦ ، ٦٤٢

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الروم: ٤٧ ..... ٦٣٢

﴿ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ الأحزاب: ٥٦ ..... ٤٧٠

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ سبأ: ١٨ ..... ٦٠٤

﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ الصافات: ١٧٢ ..... ٢٢

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١ ... ٢٢

﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ فصلت: ٣٤ ١٨ ، ٢١

﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ محمد: ٧ ..... ٦٣٢

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى

تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتۡ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا بِٱلۡعَدۡلِ وَأَقۡسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾: الحجرات: ٩ ..... ٢٤

﴿ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ﴾ الطور: ٨ ..... ٢٠

﴿ أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلۡكَ إِذٗا

قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ

إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ النجم: ١٩ - ٢٣ ..... ٤٩

﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾ الجن: ١٨ ..... ٤٢٣

﴿ سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ ﴾ المعارج: ١ – ٢ ..... ١٦ ، ٢٠

فهرس الأحاديث الشريفة ، والآثار الموقوفة

طرفُ الحديث الصفحة

إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم ..... ٦٠٦ ، ٦٠٨

إذا كان أحدكم يصلي ٢٤

إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحدًا يمر بين يديه ولْيَدْرَأْهُ ما استطاع ٢٦

إذا وقعت الملاحم بعث الله من دمشق بعثًا من الموالي ..... ٦٠٩ ، ٦١٩

أرض المحشر والمنشر ٦١٣

اعدد عوفسنًا بين يدي الساعة ٦٠٩

اقرؤوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه ٢٥

إن أولئك إذا مات الرجل الصالح فيهم بنوا على قبره... ..... ٣٤

أنتم شرقي النهر وهم غربيه ٦٢٢

إنكم محشورون جلاً وركبانًا ومجرون على وجوهكم ... . ٦١٠ ، ٦١٦

إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي..... ٦٠٨

إني رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي..... ٦١٦

تقتتلون أنتم ويهود ٦٢١

جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم ٢٣

الرؤيا ثلاثة ٤٢

ستجندون أجنادًا بالشام ،وجندًا بالعراق ،وجندًا باليمن ..... ٦٠٨ ، ٦١٨

ستخرج نار في آخر الزمان من حضرموت تحشر الناس..... ٦١٠ ، ٦١٦

سيكون هجرة ، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم..... ٦١١

سيكون هجرة بعد هجرة ، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم ٦١٩

عصابة قوامة ٦١٧

على الحق ظاهرين ..... ٦٢٥ ، ٦٢٦

عليكم بالشام ، فمن أبى فليلحق بيمنه..... ٦٠٨ ، ٦١٨
فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة..... ٦١٠
قاتلوا في سبيل الله..... ٢١
كذبوا ، الآن ، الآن جاء القتال ... . ٦٠٦ ،٦١٩
لا تبرح عصابة من أمتي ظاهرين على الحق ٦٢٠
لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس..... ٦١٣
لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين..... ٦٠٧، ٦٢١، ٦٢٤
لا تزال عصابة بدمشق ظاهرين ٦١٥
لا تزال عصابة قوامة ٦٠٧
لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق ٦٢١
لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ..... ٦٠٥ ، ٦١٤
لا يزال بدمشق عصابة..... ٦١٣
لا يزال عصابة من أمتي يقاتلون..... ٦١٣
لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله..... ٦٠٥ ، ٦١٤
لا يضرّ هم من خذلهم ولا من خالفهم..... ٦٢٧
لتقاتلن اليهود ، فلتقتلنهم ٦٢١
لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ٣٣
لعنة الله على اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ٣٤
الله أكبر ، إنها السنن..... ٥٠
والسادسة هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر..... ٦٢٠-٦٢١
وعقر دار المؤمنين بالشام ٦١٧

ومن تكفل الله به فلا ضيعة عليه ..... ٦٠٨ ، ٦١٨

يا طوبى للشام ! يا طوبى للشام ! يا طوبى للشام ! ..... ٦٠٧ ، ٦١٩

يقاتلون على أبواب دمشق وما حولها ٦١٥

ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق .... ٦١١ ، ٦٢٠

يوم الملحمة الكبرى ، فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة..... ٦١٠ ، ٦١٩

فهرس الأشعـار

الصدر	القافية	الشاعر	الصفحة
يا ذا العطا	السخا	-	٥٢٠
وكم قائل	راكب	-	٥٥٠
وإذا أتونا	يكسرا	أحمد شوقي	٤٨٥
ألم تر	حمارِ	-	٥٥١
سلام من صبا	دمشقُ	أحمد شوقي	١١٩
زعم الناس	الجمالي	جمال الدين القاسمي	٤٥١
متى يبلغ	يهدمُ	-	٥٢٧
كلنا وارد	طاعم	أحمد شوقي	١٠٥

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العَـلُـَم

الصفحة

ابتهاج أديب قدورة..... ٢٨٩

إبراهيم المصري..... ٥٦٤

إبراهيم بن سليمان آغا هنانو..... ١١٦

إبراهيم بن محمد علي باشا..... ٧٦

إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط..... ١٨٠

أبو عبد الله بن كثير بن الطّلب ١٩

أحمد أسعد الشقيري ٥٨٤

أحمد بن زيني دحلان ٤٨

أحمد بن صالح بن محمد أديب بوبس..... ٥٠٧

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّاني الدمشقي الحنبلي ، أبو العباس ، تقي الدين ٤٠

أحمد بن علي بن عبد الغني الدقر..... ٤٢٦

أحمد بن علي بن محمد العسقلاني ٦٣

أحمد بن محمد أمين بن موسى كفتارو..... ٥٢٣

أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني..... ٦٣

أحمد بن مصطفى الحصري ٥٠٧

أحمد راتب بن مرسي النفاخ..... ٥٩٣

أحمد زكي بن محمد بن مصطفى أبي شادي ٣٠٦

أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي . (الشاعر) ١٠٥

أحمد عبد القادر (قدري) بن يحي الترجمان..... ١٩٩

أحمد عزت الأعظمي ١٩٢
أحمد مختار (باشا) الملقب بـ(الغازي) ٢١٤
أحمد مظهر بن أحمد العظمة..... ٤٩٩
أديب بن حسن الشيشكلي ٢٤٦
أسعد بن إسماعيل بن إبراهيم العظم..... ٥٢٠
أسعد بن مفلح داغر..... ١٤٩
إسكندر بن أنطون بن يوسف عمون..... ٢٠٧
ألكساندرة أفرينوه ٣٢١
أمجد الزهاوي..... ٤١١
إميل إدّه ٢٥٧
إميل دور ك هايم = إميل دور كايم ٢٧١
أمين بن فارس بن أنطون بن يوسف البجاني..... ٣٠٣
أمين بن مجيد بنمُلجم بن حيدر أرسلان..... ١٩٧
أنسي لويس الحاج ٣١٢
أنطون بن جميل بن أنطون ٢٣١
أنطون بن خليل سعادة مجاعص..... ٢٣٠
أنور العطار..... ٤٦٩
أنور بن محمد سليم بن عبد القادر سلطان..... ٥٠٩
أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني..... ٤٥
إيليا بن متاهر أبو ماضي..... ٣٠٦
بدر شاكر السيّاب ٣١٤
الرئيس بشارة بن عبد الله الخوري ٢٥٧
الأديب بشارة بن عبد الله الخوري..... ٤٧٧
بشير قاسم عمر الشهابي..... ٧٧
بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني..... ١٧٦
بيبرس العلائي البندقداري الصالحي..... ٣٤٣
تقي الدين الصلح..... ٣٥٨

توفيق بن أحمد فريد كركوتلي..... ٤٦٩
توفيق بن أمين زياد..... ٣١٥
توفيق بن عبد الله الصائغ..... ٣١٠
توفيق بن محمد سعدي الأيوبي..... ٤٧٤
توفيق بن يوسف بن نعمان السويدي..... ٢٢٠
توماس إدوارد لورانس..... ٢٥١
جبران بن خليل بن مخائيل بن سعد ٣٠٤
جرجي بن حبيب زيدان..... ٢٣٠
جرجي بن نقولا اليازجي..... ٣٢٢
جعفر باشا بن مصطفى بن عبد الرحمن العسكري..... ٢٢٠
جلال صادق العظم..... ٢٧٣
جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ٥٧
جمال سليم إبراهيم..... ٥١٠
جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل بن سلطان عبد الناصر ١٢٥
جميل بن محي الدين بن أحمد الخاني ٤٨٠
جميل سليم سلطان ٥٤٩
جميل صدقي بن محمد فيض الزهاوي..... ٢٩٧
جورج حبيب أنطونيوس ١٠٩
جوليا طعمة ٢٩٦
حافظ بن علي بن سليمان الأسد ١٢٤
حبيب باشا السعد ٢٥٨
حسن بن مرزوق حبنكة الميداني ٣٦٨
حسن خالد ٤٥١
حسني بن يحي سبح ٤٨٠
حسين بن رضا بن حسين خطاب..... ٥٥٤
الحسين بن طلال الشريف (ملك الأردن) ١٣٠
الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون الحسني الهاشمي..... ٩٢

حسين بن عمر بن حسين العيتاني بيهم البيروتي..... ١٨٠
حقي بن عبد القادر المؤيد العظم..... ٢١٠
حليم إبراهيم بن جرجس دمُّوس..... ٤٧٨
خالد بن عبدالله الشقفة..... ٤٩١
خالد بن محمد فوزي العظم..... ٥٢٠
خالد بن ياسين بن محمد الحكيم..... ٩٤
خالدة سعيد ٣١٢
خليل بن عبده بن يوسف مطران..... ٢٩٧
خير الدين الأحدب..... ٢٥٩
خير الدين بن محمود علي بن فارس الزّركلي ١٥١
رشاد فرعون ٤٣٣
رشدي بك بن أحمد باشا بن سليم الشمعة..... ٨٨
رشدي بن صالح ملحس ٢١٧
رفيق بن محمود بن خليل العظم ٢٠٧
رفيق بن موسى رزق سلوم..... ١٩٣
رياض الصلح ٢٦٦
زكي بن شكري المحاسني..... ٥٥٠
زكي بن نجيب بن إبراهيم الأرسوزي..... ٢٤٥
زينب بنت علي بن حسين بن عبيد الله بن حسن بن إبراهيم ، العاملي..... ٢٩٥
ساطع بن محمد بن هلال الحصري ، أبو خلدون ١١٢
سامي بن عبد الرحيم الصالح..... ٢٦١
سعد الدين العلمي..... ٤٥٢
سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني..... ٤٧٩
سعيد بن محمد بن ديب حوى..... ٤٤٤
سعيد حليم باشا ٣٣٧
سلطان باشا بن ذوقان بن مصطفى الأطرش ١١٨
السلطان سليم الثالث..... ٢٩

السلطان عبد الحميد الثاني ٣٠
السلطان عبد المجيد محمود ٣٠
السلطان محمد رشاد ٣٣٦
السلطان محمود الثاني ٣٠
سلمى بنت جبران الصائغ ٢٩٨
سليم بن شاهين سركيس ٣٢٣
سليم بن محمد بن سعيد الحسني الجزائري ١٩٦
سليمان قبلان فرنجية ٣٦٥
سميح القاسم ٣١٥
سهيل بن فارس الخوري ٣٧١
سيجمون فرويد ٢٧١
شارل دبّاس ٢٥٦
شبلي بن إبراهيم شميل ٢٠٩
شبلي بن يواكيم بن منصور بن سليمان طانيوس إده ٤٧٨
شفيق بك بن أحمد المؤيد العظم ٨٨
شفيق درويش جبري ٤٧٨
شكري الأيوبي ١٩٠
شكري بك بن علي بن محمد العسلي ٨٨
شكري بن إبراهيم غانم ٢٣٠
شكري بن محمود بن عبد الغني القوتلي ٢٠٣
شكيب بن محمود بن حسن بن يونس أرسلان ٧٦
شوقي أبي شقرا ٣٠٩
صادق بن صالح المؤيد العظم ١٩٠
صالح بن أسعد حيدر ٢٠٤
صالح بن علي العلوي ٣٤٤
صبحي بن إبراهيم الصالح ٥٦٤
صبري العسلي ٤٠١

صلاح البيطار ٢٢٢
صلاح الدين عبد الصبور ٣١٤
الطاهر الحداد التونسي ٣٢٧
طلال بن عبد الله بن الحسين بن علي ١٢٩
طه بن سليمان الهاشمي ٢١٧
عادل بن حمود بن حسن بن يونس ١٩٧
عارف بن أمين بن سعيد النكدي ٤٧٩
عارف الشهابي ٢٠٦
عارف بن صدقي الطرقجي ٣٦٩
عارف بن عارف المقدسي ٤٤٦
عارف بن محمد سعيد بن جهجاه بن حسين ٢٠٦
عاصم قانصوه ٣٦٥
عبد الحليم محمود ٣٠٢
عبد الحميد السراج ٥٣٣
عبد الحميد بن محمد شاكر بن إبراهيم الزهراوي ١٩٥
عبد الرؤوف أبو طوق ٥٠٠
عبد الرؤوف الحناوي ٥٠١
عبد الرحمن بن أحمد بن مسعود الكواكبي ٢٢٩
عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ٤٩
عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني ٥٥٤
عبد الرحمن بن شكري بن أنيس الطباع ٥٠٣
عبد الرحمن بن صالح شهبندر ٩٤
عبد الرزاق بن عبدالعزيز بن محمد الحفار ٥٠٢
عبد العزيز أبا زيد ٥١٢
عبد العزيز زكريا علي (عزيز المصري) ١٩٦
عبد الغني بن محمد العريسي ٢٠٥
عبد الغني بن محمد علي بن عبد الغني الدقر ٤٩٧

عبد القادر الأرناؤوط قدري بن صوقل بن عبدول بلاكاي ٥٠٤
عبد القادر بن أحمد العاني ٤٦٤
عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران..... ٤١٣
عبد القادر صادق بركة..... ٥٠٣
عبد القادر موسى كاظم الحسيني ٥٦٨
عبد الكريم الأشتر..... ٣٠٥
عبد الكريم الرفاعي ٤٢٦
عبد الكريم بن قاسم الخليل ١٩٣
عبد الله التل ٥٨٩
عبد الله الحلاق..... ٥٠١
عبد الله بن الحسين بن علي بن محمد الحسني الهاشمي..... ١٠٣
عبد الله بن سبأ..... ١٦٠
عبد الله بن محمد نجيب سراج الدين..... ٥١٢
عبد الله بن يوسف الهرري..... ٤٠٣
عبد المسيح حداد ٣٠٥
عبد الوهاب بن أحمد الإنجليزي ٩٤
عبد الوهاب بن أحمد البياتي..... ٣١٤
عبد الوهاب بن محمود حومد ٣٧١
عبد الوهاب صبحي التونجي..... ٥٥٨
عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود ٤١٣
عبد الفتاح بن محمد بشير أبو غدة..... ٥٣٦
عدنان زرزور..... ٣٧٣
عز الدين القسّام ٤٤٩
عز الدين بن أمين الدمشقي..... ٤٧٩
عزة بن محمد بن سليمان الجندي العباسي ١٩٦
عطا الزير..... ٥٧٤
عفيفة بنت يوسف كرم..... ٣٢٢

علي أحمد سعيد..... ٣٠٩
علي بن حسن بن أحمد عبد الرازق ٢٧٧
علي بن مصطفى الطنطاوي ١٤٥
علي رضا باشا بن محمود بن أحمد الركابي ٢١٧
عمر صدقي بهاء الدين الأميري..... ٥٥٩
عمر عبد السلام تدمري ٣٤٣
عمر عبد الله فروخ ١٠٧
عوني بن عبد الهادي..... ١٩٩
فؤاد بن حسن بن يوسف الخطيب..... ٢١٠
فؤاد حجازي..... ٥٧٤
فائز بن زعل الغصين..... ٩٥
فارس باشا بن نمر بن فارس أبي ناعسة..... ٢٣٠
فاروق (الملك) بن أحمد فؤاد (الملك) بن إسماعيل (الخديوي) بن إبراهيم بن محمد علي ٢٦٤
فتحي بن محمد عناية (فتحي يكن)..... ٥١٤
فخر الدين بن إبراهيم عصام الدين بن محمد بدر الدين الحسني..... ٥٠٤
الفرد جورج نقاش..... ٢٦٢
فريدريك نيتشه ٢٧٢
فوزي القاوقجي..... ٥٨٧
فيصل بن الحسين بن علي الحسني الهاشمي..... ٩٨
قاسم بن محمد أمين المصري ٢٧٧
كلوب باشا..... ٥٨١
كمال أتاتورك..... ٢٣٢
لؤي بن أحمد سامي بن إبراهيم الأتاسي..... ٣٧٩
لبيبة بنت ناصيف ماضي ٣٢١
لطفي بن الحاج حسن الحفار..... ٤٨٣
ماركس..... ٢٧٢
ماري بنت عبده يوسف العجمي (مي)..... ٢٩٩

مأمون بن شفيق الكزبري ٣٧٨
محبّ الدين بن أبي الفتح محمد بن عبد القادر بن صالح الخطيب ٦
محمد (تاج الدين) بن محمد (بدر الدين) بن يوسف الحسني ٢٥٣
محمد أبو اليسر بن محمد أبي الخير عابدين ٤٥٤
محمد أبو زهرة ٤٥٩
محمد أحمد عيسى الماغوط ٣١٢
محمد الأشمر ٥٦٦
محمد الحامد ٤٧
محمد الخضر الشنقيطي ٥٤٢
محمد الفرا ٥١٠
محمد أمين الحسيني ١٣٠
محمد أمين المصري ٤٢٠
محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز عابدين الدمشقي ٤٦٥
محمد أمين حافظ ٤١٩
محمد أنور السادات ١٣٩
محمد بدر الدين عابدين ٥٠٣
محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ٥١
محمد بن الشيخ حسين بن الشيخ العارف بالله محمد الجسر الطرابلسي الصيَّادي الحسيني ٢٥٨
محمد بن أمين الرفاعي ٥٠٣
محمد بن بخيت بن حسين المطيعي ٥٤٣
محمد بن توفيق الشماع ٥٠٩
محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني ٤٧٤
محمد بن ديب عوض ٥٠٥
محمد بن صفدر الأفغاني ، جمال الدين ١٦٢
محمد بن عبد الرزاق بن محمد كرد علي ٩٦
محمد بن عبد القادر المبارك ٣٦٩
محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ٤٩

محمد بن علي بن محمد بن السيف أحمد بن إدريس (محمد علي الإدريسي)..... ٤٧
محمد بن علي بن محمد بن عربي ٤٣
محمد بن كمال بن أحمد الخطيب الحسني ٤١٠
محمد بن محمد بن حسين بن بكري الميداني..... ٤٣١
محمد بن مصباح المحمصاني..... ٢٠٥
محمد بن مصطفى المجذوب ٣٩٧
محمد بن يوسف بن عبدالرحمن المغربي المراكشي ، بدرالدين الحسني..... ٤٥١
محمد بهجت البيطار..... ٤٦٣
محمد تقي الدين النبهاني..... ٣٩٩
محمد جميل بن محمد مصطفى بن حسين بيهم ٢٦٠
محمد خليل جمجوم ٥٧٤
محمد خير بن حسن حبنكة الميداني ٤٣٤
محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف..... ٣٠٧
محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي..... ٥٠٧
محمد رشاد..... ٣٣٧
محمد رشيد بن علي رضا بن محمد القلموني ٦
محمد رفيق بن عبدالفتاح السباعي..... ٥٣٤
محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري..... ٣٨٢
محمد سامي حلمي الحناوي..... ٢٤٦
محمد سعدي بن أسعد بن عبد المجيد ياسين المشهور بالصباغ..... ٥٠٨
محمد سعيد بن علي ابن الأمير عبد القادر الجزائري..... ١٥٦
محمد سعيد درويش الحمزاوي..... ٥٢٣
محمد سليم بن محمد تقي الدين الجندي ٤٤
محمد شحرور ٢٧٣
محمد صالح بن عبد الله بن محمد الفرفور ٤٩٧
محمد عبد الجواد بن عبد اللطيف (القاياتي)..... ٣٤
محمد عبد الله الشامي..... ٥٠٧

محمد عبده بن حسن خير الله التركماني ١٦٢
محمد عزة بن عبد الهادي دروزة..... ٢٢٨
محمد عزة دروزة..... ٤٢٥
محمد علي محمد ابن السيف أحمد بن إدريس (الإدريسي) ٤٧
محمد علي الدقر..... ٤١٥
محمد علي السنوسي..... ٤١
محمد علي باشا ابن إبراهيم أغا بن علي ٧٤
محمد علي بك العابد..... ١٥٦
محمد عمر الداعوق ٥١٥
محمد فخري بن محمود البارودي..... ٥٢٠
محمد فريد بك ابن أحمد فريد باشا..... ٧٤
محمد كامل بن أحمد بن عبد القادر القصاب..... ٦
محمد كامل بن بدر الدين الحسني..... ٥١١
محمد كامل بن عمر القصار..... ٥١٠
محمد محمد حسين ٢٧
محمد محمود الصواف..... ٤١١
محمد محمود رفعت ٤٧٠
محمد ناصر الدين بن نوح الألباني..... ٤٠٣
محمد نسيب بن عبد الرزاق بن محي الدين الرفاعي..... ٥١١
محمد نسيب سعيد ٤٩٨
محمد نمر بن عبد الفتاح بن الشيخ سعيد الخطيب ٥٧٢
محمد هبة الله الخطيب ٥٠٦
محمود بن أحمد بن ياسين الدمشقي..... ٥٠١
محمود بن قاسم بعيون المعروف بالرنكوسي ٥١٢
محمود بن محمد جنيد الكعكة الشافعي..... ٥١١
محمود بن محمد شاكر ١٠٧
محمود درويش..... ٣١٥

المختار بن أبي عبيد الثقفي ١٦٣
مدحت باشا ٣٣٢
مرشد بن حنا ضاهر بن نجم خاطر ٤٨٠
مرشد بن محمد أبي الخير بن أحمد بن عبد الغني بن عمر بن عابدين ٤٦٥
مريانا المراش بنت فتح الله بن نصر الله بن بطرس مرّاش ٢٩٤
مصطفى الخالدي ١٠٧
مصطفى النحاس "باشا" ٢٦٤
مصطفى بن أحمد بن محمد الزرقاء ٣٧٦
مصطفى بن حسني السباعي ٣٢٦
مصطفى بن محمد عيد بن مصطفى الصواف ٥١٢
مصطفى بن محيي الدين بن مصطفى بن عبد القادر محمد نجا ٥٥٥
مصطفى سعيد الخن ، الشافعي ، الميداني ، الدمشقي ٥٥٤
مصطفى صادق بن عبد الرزاق الرافعي ٣٢٢
معين بسيسو ٣١٥
ملا رمضان البوطي ٤٢٦
منير العجلاني ٥٤٩
موسى الصدر ٣٦٦
موفق بن محمد رسلان بن عمر النشوقاتي ٤٩٨
ميخائيل بن يوسف نعيمة ٣٠٤
ميشيل عفلق ٢٢١
ميمون بن ديصان أو غيلان ١٧١
نازك صادق الملائكة ٣١٤
ناصر بن علي بن حسين بن فهد بن راضي ٢٥٣
ناصيف بن عبد الله بن ناصيف بن جنبلاط الشهير باليازجي ١٧٦
ناظم القدسي ٣٧٩
نافع بن عبد الكريم بن مصطفى الشامي ٥٠٩
نجيب عازوري ١٨٧

نذير العظمة ٣١٠
نزار رشيد حسن الحلبي ٤٠٥
نزار قباني ٣١٣
نسيب أسعد عريضة ٣٠٤
نظيرة زين الدين ٢٧٧
نظيم بن إبراهيم بن نعمان بن يوسف الموصلي ٤١٩
نهاد القاسم ٤٦٣
نور الدين الأتاسي ٣٨٠
نوري بن سعيد بن صالح بن الملا طه ٢١٧
نوري بن هزاع بن نايف الشعلان ٥١٧
نيقولا مكيافيللي ٢٧١
هارون الرشيد بن محمد المهدي العباسي ١٥٩
هاشم الخطيب ٤١٥
هاشم بن خالد بن محمد بن عبد الستار الأتاسي ٤٢٥
هند نوفل ٣٢١
وردة بنت ناصيف اليازجي ٣٢٢
ياسين بن محمد عيد بن حامد بن محمد عرفة ٤١٢
ياسين حلمي باشا بن سلمان الهاشمي ٢١٨
يوسف الخال ٣٠٦
يوسف بك بن إبراهيم بن عبد الرحمن العظمة ١٠٤
يوسف زعين ٤٣٢

فهرس اللغة والغريب والمصطلحات

الغريب / المصطلح

الصفحة

غيايتان ٢٥
اتفاقية سان ريمو ١٠٣
اتفاقية سايكس – بيكو ١٠٢
أجودي = الأجاويد ٣٣٤
أذال = أهان ٦٠٦
أفناد = جماعات ٦٠٦
أكناف = جوانب ، ونواحي ٦٠٧

الامتيازات الأجنبية ٣٤٥
الباب العالي (الآصفي) (الوزير) ٧٧
البغّالة ٣٨٨
التأميم ٢٣٨
الجُهلاء ٣٣٤
خيال الظل = كراكوز ١٥٥
دائرة ٢٦٩
الداروينية ٢٧٠
درأ= المدارأة ٢٦
الدور ٥٥٥
الرائي = التلفاز ١٤٩
الرجل المريض ٧٨
رَوْلة (قبيلة) ٥١٧
زيغ =مالَ ٦٠٦
الشلاّحين ٣٨٨
الصفاة = الصخرة ٥٥٠
عزّ =قلّ ، ندر ٣٦٧
العصّارون ٣٨٩
العِقاص (داء) ٦٠٩
العُقر ٦١٧
العُقلاء ٣٣٤
الفرمان ٧٥
الفرويدية ٢٧١
الفسطاط (حصن المسلمين) ٦١٠
المحتسب ٣٨٩
ملبث = مكث ، إقامة ٦٠٦
وعد بلفور ١٠٢

اليوك = الخزانة ١٥٥

فهرس الفرق والجماعات والمذاهب الدينية والسياسية

الفرقة /الجماعة/المذهب
الصفحة

الاثنا عشرية ١٦٤
الأحمدية ٦١
الإخوان المسلمون ٢٤٦
الإسماعيلية ١٦٣
الاشتراكية ٢٢٤
البطائحية ٦١
البهائية ١٦٥
التبشير (التنصير) ٢٥٠
"التيجانية" ٥٤٢
الثورة العُرَابيّة ٣٤
جمعية الاتحاد والترقي ٨٦
جمعية الإصلاح البيروتية ٩٣
جمعية العربية الفتاة ٩٣
الجمعية القحطانية ٩٢
الجهمية ١٦٧
الحداثة ١٦٨
حزب اللامركزية ٩٢
حزب التحرير ٣٩٨

الدروز ٨٣
الرفاعية ٦١
الزنادقة ١٧٢
الشاذلية ٥٣
الصوفية ١٦٧
العلمانية ١٦٨
القادرية ٦١
القاديانية ١٦٤
القسيس ١٧٨
القومية (القومية العربية) ١٦٨
الليبرالية ١٧٠
المارونية ٨٤
الماسونية ١٧٠
المجاذيب ٦٧
المعتزلة ١٦٧
النصيرية ٨٤
وحدة الوجود ٥٥

فهرس الأماكن والبلدان

المكان / البلد
الصفحة

اسكندرونة ٥٩
الأعماق ٦٢١
جبل قاسيون ٣٨

حضرموت ٣٧
حلاب ٣٦
حلحول ٣٧
الخليل ٣٧
دابق ٦٢١
دمشق ٣٥
سبسطة ٣٥
صيدا ٣٥
كِلِزّ ٣٦
معرّة النعمان ٣٩
الموصل ٣٩
ميسلون (أرض المعركة) ١١٥
نابلس ٣٨
نينوى ٣٨
يافا ٣٧

قائمة المؤلفين

١- إبراهيم رضوان الجندي ، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية ، منشورات دار كامل -عمّان ، (١٩٨٦م – ١٤٠٦هـ)

٢- ابن أبي شيبة ، مصنف ابن أبي شيبة ، طبعة مكتبة الرشد ، الطبعة الثانية ، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

٣- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)

٤- ابن الجوزي ، فضائل القدس ، طبعة الآفاق الجديدة ، تحقيق جبرائيل جبور .

٥- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، طباعة ورثة جامعها : عبد الرحمن بن قاسم النجدي ، وابنه محمد.

٦- ابن عطية الأندلسي ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، دار بن حزم ، بيروت ،

الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)

٧- ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)

٨- ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)

٩- أبو الحسن الندوي ، مذكرات سائح في الشرق العربي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

١٠- أبو داود ، سنن أبي داود بشرحه عون المعبود ، طبعة دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م)

١١- أبو نعيم ، الحلية ، تحقيق سامي أنور جاهين ، طبعة دار الحديث .

١٢- أبو يعلى ، مسند أبي يعلى ، تحقيق حسين سليم أسد ، طبعة مكتبة الرشد .

١٣- أبوبكر محمد شطا ، نفحة الرحمن في بعض مناقب سيدنا ومولانا وأستاذنا وشيخنا المرحوم "أحمد بن المرحوم السيد زيني دحلان" ، دار فينوس ، القاهرة (١٣٠٥هـ - ١٨٨٧م)

١٤- أحمد بن حسن المعلم ، القبورية ، نشأتها ، آثارها ، موقف العلماء منها ، (اليمن أنموذجًا) ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

١٥- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، مقدمة فتح الباري المسماة (هدي الساري) طبعة دار السلام بالرياض ودار الفيحاء بدمشق .

١٦- أحمد شهاب الدين القسطلاني ، إرشاد الساري شرح صحيح البخاري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

١٧- أحمد شوقي ، الشوقيات ، طبعة دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية عشرة ، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)

١٨- أحمد طربين – محاضرات في تاريخ قضية فلسطين – القاهرة (١٩٥٨م – ١٣٧٧هـ)

١٩- أحمد عبداللطيف الجدع وحسني أدهم جرار ، شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٩٧٨م – ١٣٩٨هـ)

٢٠- أحمد يوسف التل ، عبدالله التل ، بطل معركة القدس ، دار الفرقان ، عمان - الأردن ، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)

٢١- الأزهري ، تهذيب اللغة ، تحقيق محمد علي النجار ، طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مادة – دفع – (٢٢٦/٢)

٢٢- أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، القاهرة ، (١٩٦٠م – ١٣٧٩هـ)

٢٣- إسماعيل الجوهري ، الصحاح ، طبعة دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ- ١٩٩٨م)

٢٤- أكرم نور الدين ساطع ، تاريخ ووثائق النصف الثاني من القرن العشرين ، طبعة دار النفائس ، لبنان – بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)

٢٥- إلياس فرح، تطور الأيدلوجية العربية الثورية، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة السابعة ، (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ)

٢٦- أليس بولو ، دمشق تحت القنابل ، ترجمة محمد نمر المدني ، دار دانية للنشر ، دمشق (١٩٦٦م – ١٣٨٥هـ)

٢٧- الإمام أحمد ، المسند ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٢٨- إميل الغوري ، فلسطين عبر ستين عامًا ، دار النهار ، بيروت لبنان ، (١٩٧٢م - ١٣٩٢هـ)

٢٩- أمين سعد ، الثورة العربية الكبرى مطبعة الحلبي – مصر .

٣٠- أنور الجندي ، العالم الإسلامي ، دار الكتاب المصري ، الطبعة الأولى (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ)

٣١- بشير البيلاني ، قوانين الأحوال الشخصية في لبنان ،معهد البحوث والدراسات العربية (١٩٧١م – ١٣٩١هـ)

٣٢- البشير فنصة ، النكبات والمغامرات ، دار يعرب للدراسات والنشر والتوزيع – دمشق ، (١٩٩٦م – ١٤١٦هـ)

٣٣- بيان نويهض الحوت ، القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، لبنان ، (١٩٨١م – ١٤٠١هـ)

٣٤- تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، جمال الدين المزي ، تحقيق عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمية ، بومباي ، الهند .

٣٥- توفيق برو، العرب والترك ، دار طلاس ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٩٩١م – ١٤١٢هـ)

٣٦- جريدة الشرق الأوسط ، بتاريخ (٢٨/ ٣ /١٤٢٠هـ = ١٩٩٩/٧/١٢م)

٣٧- جريدة الندوة ، العدد (٨٤٢٤)

٣٨- جريدة الوطن ، بتاريخ (٣/٢٥/ ٢٠٠١م = ١٤٢٢/١/١هـ)

٣٩- جريدة لسان الحال البيروتية ، بتاريخ (١٩٣٣/٢/٣م = ١٣٥١/١٠/٨هـ)

٤٠- جمال باشا الصغير ، كيف جلت القوات العثمانية ، ترجمة فؤاد الميداني ، بيروت (١٩٣٢م - ١٣٥١هـ)

٤١- جمال سلطان ، أدب الردة (قصة الشعر العربي الحديث) مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام - بريطانيا ، (١٤١٢ هـ - ١٩٩١م)

٤٢- جميل عبد الله المصري ، حاضر العالم الإسلامي ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م) ، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، الطبعة السابعة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

٤٣- جورج أنطونيوس ، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الأسد ، و إحسان عباس ، طبعة دار العلم للملايين ، لبنان ، الطبعة الثامنة (١٩٨٧م – ١٤٠٧هـ)

٤٤- جورج جبور ، الفكر السياسي المعاصر في سورية ، دار المنار ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية (١٩٩٣م – ١٤١٤هـ)

٤٥- جورج كلاّس ، الحركة الفكرية النسوية في عصر النهضة (١٨٤٩- ١٩٢٨م) دار الجيل ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)

٤٦- جورجي زيدان، تراجم مشاهير القرن التاسع عشر، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان .

٤٧- حازم زكريا محي الدين ، طاهر الجزائري ، دار القلم- دمشق (١٣٢١هـ - ١٩٠٣م)

٤٨- الحافظ بن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار الفكر ، بيروت (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

٤٩- الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق محمود مطرجي ، طبعة دار الفكر .

٥٠- حسان حلاق ، دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)

٥١- حسني أدهم جرار ، الحاج أمين الحسيني رائد جهاد وبطل قضية ، دار البيضاء ، عمان ، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)

٥٢- حسني أدهم جرار ، الشيخ عز الدين القسام قائد حركة وشهيد قضية ، دار الضياء ، الأردن - عمان ، الطبعة الأولى (١٤١٠هـ-١٩٨٩م)

٥٣- حسني أدهم جرار ، مصطفى السباعي قائد جيل ورائد أمة .

٥٤- حسين حماده ، محمد عزة دروزة صفحات من حياته وجهاده ومؤلفاته ، طبعة دار قتيبة ، سوريا – دمشق ، الطبعة الثانية سنة (١٩٨٣م – ١٤٠٣هـ)

٥٥- حنيفة الخطيب ، تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان وارتباطها بالعالم العربي (١٨٠٠-١٩٧٥م = ١٢١٤-١٣٩٥هـ) طبعة دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ، (١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ)

٥٦- خالد الأحمد ، مجلة المجتمع ، العدد (١٤٥٤) في (١٤٢٢/٣/١٧هـ = ٢٠٠١/٦/٩م)

٥٧- خالد الدبيان ، الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين ، دار المسلم للنشر، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)

٥٨- خالد الزهراني ، سنة التدافع وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل ، مكتبة الرشد ،الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)

٥٩- خالد موسى الزهراني ، سنة التدافع وحقيقة العلاقة بين الحق والباطل ، مكتبة الرشد (١٤٢٩هـ) الرياض – الطبعة الأولى ، (١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م)

٦٠- خير الدين الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان - الطبعة السابعة عشرة (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)

٦١- خير الدين الزركلي ،عامان في عمّان ، الأهلية للنشر والتوزيع ،عمّان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ)

٦٢- خيرية قاسمية ، الحكومة العربية في دمشق ، طبعة دار المعارف بمصر ، (١٩٧١م – ١٣٩١هـ)

٦٣- الراغب الأصبهاني ، معجم مفردات ألفاظ القرآن ، عناية إبراهيم شمس الدين ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ -١٩٩٧م)

٦٤- الراغب الأصفهاني ، مفردات ألفاظ القرآن ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م) ، تحقيق : صفوان داوودي ، (ص٢٠٨)

٦٥- الربعي ، تخريج أحاديث فضائل الشام ، طبعة المكتب الإسلامي ، الطبعة الرابعة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) ، بيروت ودمشق .

٦٦- زهير الشّلق ، من أوراق الانتداب ، طبعة دار النفائس ، بيروت (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)

٦٧- زهير الماردينى ، ألف يوم مع الحاج أمين الحسيني ، دار الفرقان ، بيروت لبنان ، (١٩٧٧م – ١٣٩٧هـ)

٦٨- زين نور الدين زين ، نشوء ، القومية الغربية ، دار النهار ، بيروت ، (١٩٦٨م – ١٣٨٨هـ)

٦٩- ساطع الحصري ، يوم ميسلون ، منشورات دار الاتحاد ، طبعة جديدة – بيروت - بدون تاريخ.

٧٠- سامي الجندي ، البعث ، طبعة دار النهار للنشر ، بيروت ، (١٩٦٩م – ١٣٨٩هـ)

٧١- سعد الشهراني ، فرقة الأحباش ، نشأتها ، عقائدها - آثارها ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

٧٢- سعيد الديوه جي ، جامع الموصل في مختلف العصور ، مطبعة شفيق ، بغداد ، سنة الطبع (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م)

٧٣- سعيد بن منصور ، سنن سعيد بن منصور ، تحقيق سعد الحميد ، دار الصميعي ، الرياض.

٧٤- سعيد بن ناصر الغامدي ، حزب البعث ، تاريخه وعقائده ، دار الوطن ، الرياض ، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)

٧٥- سفر الحوالي ، العلمانية ، مكتبة جامعة أم القرى ، (١٩٨٢م-١٤٠٢هـ)

٧٦- سلمان العودة ، صفة الغرباء ، دار ابن الجوزي .

٧٧- سليمان موسى ، الحركة العربية ، طبعة دار النهار ، بيروت ، لبنان ، (١٩٧٧م – ١٣٩٧هـ)

٧٨- السيوطي ، حاشية السيوطي على النسائي ، طبعة دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)

٧٩- شرف عبد المحسن البركاتي ، الرحلة اليمانية ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت (١٣٨٤هـ

- ١٩٦٤م)

٨٠- شكري القوتلي حياة أمة في رجل ، دار المعارف بمصر – (١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ)

٨١- شكيب أرسلان ، تاريخ الدولة العثمانية ، طبعة دار بن كثير بدمشق وبيروت ، ودار التربية بدمشق وبيروت ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

٨٢- شكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، طبعة دار التقدمية ، لبنان ، الطبعة الأولى (٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ)

٨٣- شكيب أرسلان ، مدونة أحداث العالم العربي ووقائعه ، إشراف "يوسف حسين" و"توما توفيق" و"يوسف قزماخوري" طبعة الدار التقدمية – لبنان – الطبعة الأولى (٢٠٠٨م – ١٤٢٩هـ)

٨٤- شيخ الإسلام بن تيمية ، مناقب الشام وأهله ، المكتب الإسلامي ، دمشق - بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م)

٨٥- صالح مسعود أبو بصير ، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الخامسة (١٩٨٨م – ١٤٠٨هـ)

٨٦- صبحي العمري ، لورانس الحقيقة والأكذوبة ، طبعة رياض الريس ، لندن ، الطبعة الأولى (١٩٩١م – ١٤١١هـ)

٨٧- صبحي ياسين ، الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، (١٩٦٧م – ١٣٨٧هـ)

٨٨- صبحي ياسين ، حرب العصابات في فلسطين ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

٨٩- صحيح سنن أبي داود ، للألباني ، طبعة دار غراس .

٩٠- صحيفة (الحياة) العدد (٥٦ - ١١) في (٢١/ مايو / ١٩٩٣م = ١٤١٣/١١/٣٠هـ)

٩١- صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي ، مكتبة ومطبعة اليابي حلبي وأولاده ، مصر ، الطبعة الثالثة (١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م)

٩٢- ضابط تركي سابق، الرجل الصنم ،ترجمة عبد الله عبد الرحمن ، بدون معلومات .

٩٣- الطبراني ، المعجم الأوسط ، تحقيق محمود الطحان ، طبعة دار المعارف .

٩٤- الطبراني ، المعجم الكبير ، تحقيق عبد المجيد السلفي ، مطبعة الأمة ، بغداد .

٩٥- ظافر القاسمي ، جمال الدين القاسمي وعصره ، مكتبة أطلس ، دمشق (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)

٩٦- عارف العارف ، نكبة بيت المقدس ، المكتبة العصرية ، بيروت .

٩٧- عاصم القرموشي ، كوكبة من أئمة الهدى الطبعة الأولى (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)

٩٨- عبد الرحمن الجبرتي ، عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الفارس ، بيروت .

٩٩- عبد الرحمن الميداني ، مكايد يهودية عبر التاريخ ، طبعة دار القلم - دمشق - الطبعة

السابعة، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)

١٠٠- عبد الرحمن الوكيّل ، هذه هي الصوفية ، ط دار الكتب العلمية .

١٠١- عبد الرحمن حبنكة الميداني . الوالد الداعية المربي الشيخ "حسن حبنكة" ، قصة عالم مجاهد حكيم شجاع ، طبعة دار البشير ، جدة ، الطبعة الأولى – (١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م)

١٠٢- عبد الرحمن حسن آل الشيخ ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، دار الصميعي للنشر والتوزيع –الرياض- ، الطبعة الثانية (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)

١٠٣- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، أجنحة المكر الثلاثة ، دار القلم ، دمشق - سوريا ، الطبعة الثامنة (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)

١٠٤- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، كواشف زيوف ، طبعة دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة ، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)

١٠٥- عبد الرحمن دمشقية ، الحبشي شذوذه وأخطاؤه ، الطبعة الثالثة ، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)

١٠٦- عبد الرحيم عبد الرحمن ، تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، طبعة دار الكتاب الجامعي ، مصر – القاهرة ، الطبعة الثامنة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)

١٠٧- عبد الرزاق البيطار ، حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، تحقيق محمد بهجت البيطار، طبعة دار صادر .

١٠٨- عبد العزيز العظمة ، مرآة الشام ، تحقيق نجدة فتحي صفوة ، لندن – مطبعة رياض الريس للكتب والنشر .

١٠٩-عبد العزيز نوّار ، تاريخ العرب المعاصر مصر والعراق ، طبعة دار النهضة العربية ، لبنان – بيروت ، د ط ، دت .

١١٠- عبد الكريم الأشتر ، النثر المهجري ، دار المكتبة الفكر ، طرابلس الغرب و الطعبة الثالثة ، (١٩٧٠م – ١٣٩٠هـ)

١١١- عبد الكريم العمر ، مذكرات الحاج أمين الحسيني ، الأهالي للطباعة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٩٩٩م – ١٤٢٠هـ)

١١٢- عبد الكريم رافق ، بحوث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي لبلاد الشام في العصر الحديث ، طبع تحت رقم (١١٢٤٨) وتاريخ (١٩٨٥/٢/١٩م = ١٤٠٥/٥/٢٩هـ) (بدون معلومات نشر)

١١٣- عبد الله التل ، مذكرات (كارثة فلسطين) طبعة دار القلم ، القاهرة ، (١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ)

١١٤- عبد الله العقيل ، من أعلام الحركة والدعوة الإسلامية المعاصرة ، مكتبة المنار الإسلامية الكويت ، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

١١٥- عبد الله بن خميس ، شهر في دمشق ، مطابع الرياض ، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)

١١٦- عبد الله محيي الدين ، الجمعيات الأهلية في لبنان النشأة والتحولات ، مركز الدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، (٢٠٠٠م – ١٤٢١هـ)

١١٧- عبد المحسن أبو ميزر، ماهية التأميم ، مجلة الرائد العربي، العدد (١٢) ، اكتوبر (١٩٦١م – ١٣٨٠هـ)

١١٨- عبد الوهاب أحمد عبد الوهاب ، تاريخ العرب الحديث – طبعة دار القلم ، دبي ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)

١١٩- عبدالله العقيل ، من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة .

١٢٠- عدنان زرزور ، مصطفى السباعي الداعية المجاهد والفقيه المجدد ، طبعة دار القلم بدمشق ، الطبعة الثانية (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)

١٢١- عزيز بك ، الاستخبارات والجاسوسية في الدولة العثمانية ، تعريب فؤاد الميداني ، بيروت .

١٢٢- علي الطنطاوي ، دمشق صور من جمالها وعبر من نضالها ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الخامسة (٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ)

١٢٣- علي الطنطاوي ، ذكريات ، دار المنارة ، جدة ، الطبعة الخامسة (٢٠٠٧م – ١٤٢٨هـ)

١٢٤- علي الطنطاوي ، رجال من التاريخ ، دار المنارة للنشر ، جدة ، الطبعة العاشرة ، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)

١٢٥- علي بن بخيت الزهراني ، الانحرافات العلمية والعقدية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، دار طيبة بمكة وآل عمار بالشارقة - الطبعة الثانية (١٤٨١هـ - ١٩٩٨م)

١٢٦- علي جريشة ، حاضر العالم الإسلامي ، طبعة مكتبة وهبة ، مصر- القاهرة ، الطبعة السادسة (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)

١٢٧- علي خلف ، تجربة الشيخ عز الدين القسام ، دار ابن رشد ، عمان ، (١٩٨٤م – ١٤٠٤هـ)

١٢٨- علي شعيب ، كمال اتاتورك ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٩٢م – ١٤١٢هـ)

١٢٩- علي محمد الصلابي ، الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط ، دار التوزيع والنشر الإسلامية ، بورسعيد ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م)

١٣٠- عماد الدين بن كثير ، التفسير ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)

١٣١- عمر رضا كحالة ، أعلام النساء ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة التاسعة ، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)

١٣٢- عمر فروخ وصلاح الخالدي ، التبشير والاستعمار ، طبعة المكتبة العصرية ، صيدا وبيروت ، لبنان ، (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)

١٣٣- عوض محمد القرني ، الحداثة في ميزان الإسلام ، طبعة دار هجر (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)

١٣٤- عيسى ميخائيل سابا ، الشيخ ناصيف اليازجي ، دار المعارف ، القاهرة ، (١٩٦٥م – ١٣٨٥هـ)

١٣٥- غالب علي عواجي ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها ، دار لينة للنشر - دمنهور - الطبعة الثالثة(١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)

١٣٦- كامل بن مصطفى الشيبي ، الصلة بين التصوف والتشيع ، دار الأندلس – بيروت – الطبعة الثالثة (١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ)

١٣٧- كامل حسين الحلبي الغزي ، نهر الذهب في تاريخ حلب ، المطبعة المارونية (١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م)

١٣٨- كامل محمود خلة ، فلسطين والانتداب البريطاني ، طرابلس الغرب ، (١٩٨٢م – ١٤٠٢هـ)

١٣٩- اللجنة الدائمةللبحوث العلمية والإفتاء ،بحث عن الطائفة "التيجانية"، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء ، الرياض ، الطبعةالثالثة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)

١٤٠- لورانس ،الثورة العربية ، طبعة الأهلية للنشر ،عمّان ، الطبعة الثانية (٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ)

١٤١- مجلة آفاق عربية ، العدد (٦) عام (١٩٨٧م – ١٤٠٧هـ)

١٤٢- مجلة الأسبوع العربي – بيروت ، عدد (٦٢١) – (١٣ آيار ١٩٧١م = ١٣٩١/٣/١٨هـ)

١٤٣- مجلة البيان ، العدد (١١) ، (ص١١) ، العدد (١١٠) ، العدد (١٢٧) ربيع الأول (١٤١٩هـ – ١٩٩٨م) ، العدد (١٨) شهر شوال (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ، العدد (١٩) ذو الحجة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) ، العدد (٥٢) ذو الحجة (١٤١٢هـ)

١٤٤- مجلة الجنان (١٨٧٠م – ١٢٨٦هـ)

١٤٥- مجلة الحوادث اللبنانية ، بتاريخ (٣ /نيسان /١٩٧٠م = ١٣٩٠/١/٢٧هـ)

١٤٦- مجلة الفتح ، العدد (٥٧٠) ، (ص٧) ، العدد (٦٣٩) تاريخ (١٣/ ١٣٥٧/١٢هـ = ١٩٣٩/٢/٢م) ، العدد (٤٤٧) السنة التاسعة ، بتاريخ (١٣٤٥/٢/٢٧هـ = ١٩٢٦/٩/٥م) ، العدد(٦٣٧) السنة الثالثة عشر ، تاريخ (١٣٥٧/١١/٢٨هـ = ١٩٣٩/١/١٩م) ، العدد (٥٨٤) بتاريخ (١٣٥٦/١١/١١هـ) الموافق (١٩٣٨/١/١٢م)

١٤٧- مجلة الكواكب القاهرية ، العدد (٧٤) وتاريخ ٢٥ ديسمبر (١٩١٧م – ١٣٣٥م)

١٤٨- مجلة المجتمع ، العدد (١٤٤٠) في (٤ /١٤٢١/١٢هـ - ٢٠٠١/٢/٢٧م) ، العدد (١٤٥٤) بتاريخ (١٤٢٢/٣/١٧هـ - ٢٠٠١/٦/٩م)

١٤٩- مجلة المنار – القاهرة (١٩٢٢م – ١٣٤٠هـ) (٣٠ يونيو / ١٩١٦م = ١٣٣٤/٨/٢٩هـ)

١٥٠- مجلة أمواج الإسكندرية ، العدد الثالث والثلاثون (٢٠٠٧م)

١٥١- مجلة نضال البعث ، منشورات دار الطليعة، بيروت، (١٩٦٣)

١٥٢- محب الدين الخطيب (سيرة جيل) طبعت تحت عنوان (من سير الخالدين بأقلامهم) تحقيق حسن سويدان ، دار القادري - دمشق وبيروت ، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)

١٥٣- محسن محمد صالح ، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره حركة الجهاد ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

١٥٤- محمد إبراهيم نصر ، الإعلام وأثره في نشر القيم الإسلامية وحمايتها ، طبعة دار اللواء للنشر والتوزيع ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م)

١٥٥- محمد الشيخ عثمان ، مجلة البيان ، العدد (٦٢) شوال سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)

١٥٦- محمد العبدة ، وطارق عبد الحليم : الصوفية نشأتها وتطورها ، طبعة دار الصفوة بالقاهرة – مصر ، الطبعة الأولى (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

١٥٧- محمد المجذوب ، علماء ومفكرون عرفتهم، دار الشوّاف .

١٥٨- محمد الناصر وخولة درويش ، المرأة بين الجاهلية والإسلام ، طبعة دار الرسالة ، مكة المكرمة ، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)

١٥٩- محمد بسام الأسطواني ، مصطفى السباعي (صفحات من جهاد متواصل) دار الوراق للنشر ، بيروت (١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م)

١٦٠- محمد بن إسماعيل ، صحيح البخاري بشرحه للقسطلاني ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثانية ، (٢٠٠٩م – ١٤٣٠هـ)

١٦١- محمد بن صامل السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، طبعة دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى – شوال (١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م)

١٦٢- محمد جمال الدين القاسمي ، إصلاح المساجد من البدع والعوائد - تخريج العلامة "الألباني" – إشراف "زهير الشاويش" – ط السادسة (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) - المكتب الإسلامي

١٦٣- محمد حامد الناصر ، علماء الشام في القرن العشرين ، دار المعالي ، عمان ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣)

١٦٤- محمد خير رمضان يوسف ، تتمة الأعلام ، طبعة دار ابن حزم للطباعة والنشر ، بيروت – لبنان – الطبعة الثانية (١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م)

١٦٥- محمد سرور زين العابدين ، مأساة المخيمات الفلسطينية في لبنان ، طبعة دار الجابية ، لندن.

١٦٦- محمد سعيد الباني تنوير البصائر في سيرة الشيخ طاهر ، مطبعة الحكومة العربية السورية - دمشق الطبعة الأولى .

١٦٧- محمد سليم الجندي ، تاريخ معرة النعمان ، تحقيق عمر رضا كحالة ، مطبعة الترقي الدمشقية ، (١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م)

١٦٨- محمد سيد الكيلاني ، الأدب المصري في ظل الحكم العثماني ، دار الفرجاني ، القاهرة، ط (١٩٦٥م – ١٣٨٤هـ)

١٦٩- محمد عبد الجواد القاياتي ، نفحة البشام في رحلة الشام ، دار الرائد العربي- بيروت -

(١٤٠١هـ- ١٩٨١م)

١٧٠- محمد عبد الغني النواوي ، الصراع العربي الإسرائيلي ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

١٧١- محمد عبد اللطيف الفرفور ، أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ، دار الملاح ودار حسان - دمشق (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)

١٧٢- محمد عبد الوهاب ، كتاب التوحيد ، بشرح الشيخ "عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ" المسمّى (فتح المجيد) ، وتعليق الشيخ ابن باز - رحمه الله - ، طبعة دار الفيحاء بدمشق ودار السلام بالرياض ، الطبعة الأولى (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

١٧٣- محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، المكتبة العصرية ، بيروت لبنان (١٩٥٩م – ١٣٧٨هـ)

١٧٤- محمد عزة دروزة ، نشأة الحركة العربية الحديثة ، منشور المكتبة العربية ، صيدا – بيروت ، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)

١٧٥- محمد علي السنوسي ، الرحلة الحجازية ، تحقيق علي الشنوفي ، طباعة ونشر الشركة التونسية للتوزيع (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)

١٧٦- محمد فؤاد عبدالباقي ، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)

١٧٧- محمد فاروق الخالدي ، التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين ، دار المعالي ، الطبعة الأولى (١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م)

١٧٨- محمد فاروق الخالدي ، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، طبعة دار الراوي للنشر والتوزيع، الدمام ، السعودية ، الطبعة الأولى ، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

١٧٩- محمد فريد بك المحامي ، تاريخ الدولة العلية العثمانية ، تحقيق إحسان حقي ، طبعة دار النفائس ، بيروت – لبنان ، الطبعة العاشرة (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)

١٨٠- محمد فهمي عبد الوهاب ، الحركات النسائية في الشرق وصلتها بالاستعمار والصهيونية العالمية ، دار الاعتصام ، بدون رقم وتاريخ .

١٨١- محمد قطب ، واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة للصحافة ، جدة ، الطبعة الثالثة (١٤١١هـ -١٩٩٠م)

١٨٢- محمد قطب ، كيف نكتب التاريخ الإسلامي ، طبعة دار الشروق ، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)

١٨٣- محمد قطب ، مذاهب فكرية معاصرة ، دار الشروق ، بيروت – القاهرة ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

١٨٤- محمد كرد علي ، خطط الشام ، دار العلم للملايين – بيروت (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

١٨٥- محمد لبيب البتنوني ، الرحلة الحجازية ، مطبعة المعارف ، الناشر "محمد سعيد كمال"، الطائف ، الطبعة الثالثة .

١٨٦- محمد محمد حسين ، أزمة العصر ، دار عكاظ ، جدة ، (١٩٧٨م – ١٣٩٨هـ)

١٨٧- محمد محمد حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر – دار الرسالة للنشر والتوزيع ، الطبعة التاسعة (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م) ، مكة .

١٨٨- محمد ناصر الدين الألباني ، السلسلة الصحيحة ، طبعة مكتبة المعارف .

١٨٩- محمد نمر الخطيب ، من أثر النكبة ، الطبعة العمومية ، دمشق (١٩٥١م)

١٩٠- محمود حسن منسي ، الهلال الخصيب ، جامعة الأزهر ، (١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م)

١٩١- محمود شاكر ، التاريخ الإسلامي ، طبعة المكتب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الثامنة ، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)

١٩٢- محمود عبد الحليم ، الإخوان المسلمون ، أحداث صنعت التاريخ ، دار الدعوة - الإسكندرية ، الطبعة الأولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م)

١٩٣- محيي الدين النووي ، شرح صحيح مسلم ، طبعة دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة العاشرة (١٣٢٥هـ - ٢٠٠٤م)

١٩٤- مذكرات محمد كرد علي ، مطبعة الترقي – دمشق- (١٩٤٨م – ١٣٦٧هـ)

١٩٥- مركز دراسات الوحدة العربية ، الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الخامسة (٢٠٠٤م – ١٤٢٥هـ)

١٩٦- مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، الطبعة العاشرة ، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)

١٩٧- مصطفى السباعي ، جهادنا في فلسطين دار الوراق ، بيروت لبنان (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)

١٩٨- مصطفى السباعي ، دروس في دعوة الإخوان المسلمين ، منشورات قسم الطلاب ،دمشق ، (١٩٥٥م – ١٣٧٤هـ)

١٩٩- مصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي، الطبعة الأولى ، (١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ)

٢٠٠- منير محمد نجيب ، الحركات القومية الحديثة ، في ميزان الإسلام ، إصدار مكتبة النار ، الأردن ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)

٢٠١- منير محمد نجيب، الحركات القومية في ميزان الإسلام، مكتبة الحرمين ، الطبعة الأولى، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)

٢٠٢- منيف الرزاز ،التجربة المرَّة ، طبعة بيروت ، (١٩٦٧م – ١٣٨٦هـ)

٢٠٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب العاصرة ، دار الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، بإشراف د / "مانع الجهني" ، طبعة دار الندوة العالمية للطباعة والنشر بالرياض ، الطبعة الخامسة (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)

٢٠٤- موقع (الإخوان المسلمين) على الشبكة العنكبوتية . **Www.ikhwanonline.com**.

٢٠٥- موقع الجماعة الإسلامية في لبنان .

٢٠٦- موقع صيد الفوائد .

٢٠٧- ميشيل عفلق ، في سبيل البعث ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، الطبعة الخامسة ، (١٩٧١م – ١٣٩١هـ)

٢٠٨- ناصر بن عبد الكريم العقل ، دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ، طبعة مركز الدراسات والإعلام – دار أشبيليا للنشر – الطبعة الأولى (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)

٢٠٩- نجاتي أقطاش وعصمت بينارق ، الأرشيف العثماني ، ترجمة صالح سعداوي صالح ، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باسلامبول ، طبعة عمان (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)

٢١٠- نجيب عازوري ، الأمة العربية، ترجمة أحمد أبو ملحم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت لبنان .

٢١١- نزار أباظة ، جمال الدين القاسمي ، علماء الإصلاح الحديث في الشام ، دار القلم ، دمشق ، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)

٢١٢- نزار أباظة ومحمدالمالح ،إتمام الأعلام ، دار الفكر ، دمشق ،الطبعة الثانية ، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م)

٢١٣- النسائي ، سنن النسائي بشرح السيوطي ، دار الفكر للنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م)

٢١٤- نهى عدنان القاطرجي ، الحركة النسوية في لبنان ، إصدار مجلة البيان ، الطبعة الأولى (١٤٢٨-٢٠٠٧م)

٢١٥- النووي ، المجموع ، طبعة عالم الكتب ، تحقيق محمد نجيب المطيعي .

٢١٦- هاني الحوراني، الأحزاب السياسية في الأردن، إصدار مركز الأردن للدراسات، عمان، الطبعة الأولى (١٩٩٣م – ١٤١٣هـ)

٢١٧- هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة ، تجربتي من حزب البعث العراقي، دار الريّس، لندن، الطبعة الأولى ، (١٩٩٣م – ١٤١٣هـ)

٢١٨- الهيثمي ، مجمع الزوائد ، تحقيق عبد الله الدرويش ، طبعة دار الفكر .

٢١٩- وليام وينك لورنك ، وجهة نظر قائد أمريكي كونفدرالي ، شبكة المعلومات العنكبوتية.

٢٢٠- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار بيروت للطباعة والنشر ودار صادق للطباعة والنشر ، بيروت (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)

٢٢١- يوسف الحكيم ، المذكرات ، طبعة بيروت ، (١٩٦٦م – ١٣٨٥هـ)

٢٢٢- يوسف الحكيم ، سورية والعهد الفيصلي ، دار النهار للنشر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٩٦٨م – ١٣٨٧هـ)

٢٢٣- يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الخامسة عشرة (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)

٢٢٤- يوسف القرضاوي ، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة السادسة (١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م)

٢٢٥- يوسف قزما خوري ، المعلم بطرس البستاني ، بيسان للنشر ،بيروت ، بدون رقم .

٢٢٦- يوهانس رايسنر ، الحركات الإسلامية في سوريا من الأربعينيات وحتى نهاية عهد الشيشكلي ، رياض الرئيس للكتب والنشر ، الطبعة الأولى (٢٠٠٥م – ١٤٢٦هـ)

فهرس المحتويات

الموضــوع

الصفحة

المقدمة ١
أسباب اختيار الموضوع ٣
الدراسات السابقة ٤
طريقتي ومنهجي في البحث ٧
صعوبات أثناء كتابة البحث ٨
خطتي في البحث ٩
شكر وتقدير ١٣
الفصل الأول : المقدمة والتمهيد ١٤
أولا : مفهوم المدافعةلغةً واصطلاحًا ١٥
المدافعة لغة..... ١٥
المدافعة اصطلاحًا ١٧
ثانيًا : المدافعة في ضوء القرآن الكريم والسنة ٢١
ثالثًا : أحوال بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري ٢٧
المبحث الأول : الحالة الدينية..... ٣٢
القسم الأول : الشرك بنوعيه : الأكبر ، والأصغر ٣٢
القسم الثاني : البدع المحدثة ٥٧
المبحث الثاني : الحالة السياسية ٧٣
المطلب الأول : واقع بلاد الشام من بداية القرن الرابع عشر الهجري إلى
نهاية الحرب العالمية الأولى ٧٤
المطلب الثاني : واقع بلاد الشام من بعد الحرب العالمية الأولى إلى إعلان
الاستقلال ١٠٦
المطلب الثالث : واقع بلاد الشام من إعلان الاستقلال إلى نهاية القرن
الرابع عشر الهجري ١٢٤

المبحث الثالث : الحالة الاجتماعية والاقتصادية ١٤٢
الفصل الثاني :الانحراف الفكري في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري ١٥٨
المبحث الأول : دعاة الانحراف الفكري في بلاد الشام ١٧٥
المطلب الأول : الجمعيات التي دعت إلى الانحراف الفكري في بلاد
الشام خلال القرن الرابع عشر الهجري ١٧٦
المبحث الثاني : دعاوى الانحراف الفكري في بلاد الشام ٢٢٧
المطلب الأول : السعي لاستقلال العرب وبناء المملكة العربية الكبرى ٢٢٨
المطلب الثاني : ضرورة الفصل بين الدين والحياة ٢٣٢
المطلب الثالث : المساواة في الحقوق والواجبات ٢٣٤
المطلب الرابع : العمل على تحرير المرأة ٢٣٦
المطلب الخامس : ممارسة حرية الاعتقاد والاجتماع تحت ظلال القومية..... ٢٣٧
المطلب السادس : تحسين الأوضاع الاقتصادية على مستوى الفرد والمجتمع . ٢٣٨

الفصل الثالث : وسائل الانحراف الفكري في بلاد الشام في القرن الرابع عشر
الهجري ٢٤٠
المبحث الأول : وسائلهم في الميدان السياسي ٢٤١
أولاً : الدعوة إلى علمانية الدولة ٢٤١
ثانيًا : الحكم بالقوانين الوضعية الأوربية ٢٤٧
ثالثًا : استغلال النفوذ في السلطة..... ٢٤٩
المبحث الثاني : وسائلهم في الميدان الاجتماعي ٢٧٠
أولاً : الغزو بالنظريات الغربية ٢٧٠
ثانيًا : الدعوة إلى الحرية المطلقة..... ٢٧٤
ثالثًا : دعوة تحرير المرأة..... ٢٧٦
المبحث الثالث : وسائلهم في الميدان الاقتصادي ٢٨٠
المبحث الرابع : وسائلهم في الميدان التعليمي ٢٨٦

المبحث الخامس : وسائلهم في الميدان الإعلامي..... ٢٩٤
أولاً : الصالونات الأدبية ٢٩٤
ثانيًا : السينما والمسرح ٢٩٨
ثالثا : اللغة والأدب ٣٠٠
رابعًا : الكتب والروايات ٣١٦
خامسا : إنشاء الصحف والمجلات ٣١٨

الفصل الرابع : عوائق المدافعة في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري
وكيفية التعامل معها ٣٢٩
المبحث الأول : العائق السياسي ٣٣١
أولاً : الحروب الطائفية ٣٣١
ثانيًا : التقسيم السياسي الطائفي..... ٣٣٤
ثالثًا : الاستبداد السياسي ٣٣٥
رابعًا : المؤامرات الخارجية ٣٤٢
خامسًا : الانقسام نحو العمل السياسي بين الإسلاميين ٣٦٧
سادسًا : الانقلابات السياسية ٣٧٥
المبحث الثاني : العائق الإعلامي ٣٨١
١ - عدم وجود مؤسسات إسلامية إعلامية متخصصة..... ٣٨١
٢ - ضعف الإمكانات ٣٨٢
٣ - المواقف المتباينة للإسلاميين حول المشاركة في الإعلام ٣٨٤
٤ - سيطرة الولاءات الاستعمارية ٣٨٥
٥ - الحرية الإعلامية المطلقة ٣٨٦
٦ - كان الغالب على الإعلام الإسلامي على مختلف صعده تأثره بظروف
المرحلة ٣٨٧
٧ - غياب المنظومة الإعلامية التكاملية ٣٨٧

المبحث الثالث : العائق الاقتصادي ٣٨٨
المبحث الرابع : العائق التربوي ٣٩٧
أولاً : الانقسام الداخلي في الصفوف الإسلامية ٣٩٧
ثانيًا :التيارات الفكرية الوافدة ٣٩٨
ثالثًا : الجهود الفردية وغياب العمل الجماعي ٤١٠
رابعًا : الانقسام بين المدارس الشرعية ٤١٢
خامسًا : ضعف الدعم المادي لمدارس المشايخ غير الحكومية ٤١٦
سادسًا : إقصاء الإسلام والإسلاميين عن عملية الإصلاح والتربية ٤١٨
الفصل الخامس : الجهود الفكرية للمدافعة في بلاد الشام في القرن الرابع عشر الهجري ، ووسائلها ٤٢٢
المطلب الأول : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان السياسي ووسائلها ٤٢٣
المطلب الثاني : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الاجتماعي ووسائلها ٤٥٦
المطلب الثالث : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان التعليمي ووسائلها ٥١٧
المطلب الرابع : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الإعلامي ووسائلها..... ٥٤٦
المطلب الخامس : الجهود الفكرية للمدافعة في الميدان الدعوي والتربوي ووسائلها ٥٥٣
الفصل السادس : الدروس المستفادة من المدافعة وتطبيقاتها المعاصرة ٥٩٧
المبحث الأول : الدروس المستفادة من المدافعة ٥٩٨
المبحث الثاني : التطبيقات المعاصرة..... ٦٠٣
المطلب الأول : مناقب الشام وفضائل أهله في الكتاب والسنة ٦٠٣
أولاً : الأدلة من القران الكريم ٦٠٣
ثانيًا : الأدلة من السنة ٦٠٥
المطلب الثاني : واقع الشام المعاصر ومستقبله المنشود ٦٢٩
التوصيات..... ٦٤٢
الفهارس العامة ٦٤٤

فهرس الآيات الكريمة ٦٤٥
فهرس الأحاديث الشريفة ٦٥٠
فهرس الأشعار ٦٥٣
فهرس الأعلام المترجم لهم ٦٥٤
فهرس اللغة والغريب والمصطلحات ٦٧١
فهرس الفرق والجماعات والمذاهب الدينية والسياسية ٦٧٣
فهرس الأماكن والبلدان ٦٧٥
فهرس قائمة المؤلفين ٦٧٦
فهرس المحتويات ٦٩٢